

الذخائر ٨٥

# البيئات والبيدات

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بجت بن الجاهظ

مختص

عبد السلام محمد هارون

الجزء الأول

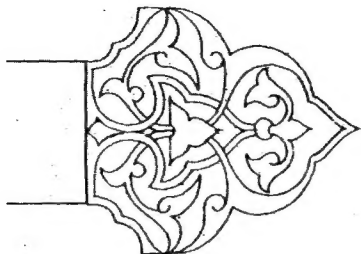
تقديم

د. عبد الحكيم راضي

المدينة العامة لتصور الثقافة







الخخاثر ٨٥

# البياء والنبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن محمد بن الجاحظ

بمحقق

عبد السلام محمد هارون

الجزء الأول

تقديم

أ.د. عبد الحكيم راضي



رقم الإيداع ٢٠٠٣/٢٣٩٧

الترقيم الدولي : x - 358 - 305 - 977 I.S.B.N.

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

٨٣٣٨٢٤٤ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٠ : ☎

e-mail: pic@6oct.ie-cg.com



## الذخائر

رئيس مجلس الإدارة

أنس الفقى

أمين عام النشر

محمد السيد عيد

الإشراف العام

فكرى النقاش

رئيس التحرير

أ.د عبد الحكيم راضى

مدير التحرير

د. محمود فؤاد

سكرتير التحرير

جمال العسكرى

المراسلات باسم مدير التحرير على العنوان التالى

١٦ ش أمين سامى قصر العينى - القاهرة

رقم بريدى ١٢٥٦١

مستشارو التحرير

أ.د. إبراهيم عبد الرحمن

أ.د. السباعى محمد السباعى

أ.د. حسين محمد ربيع

أ.د. حسين نصار

أ.د. عبد الله التطاوى

أ.د. عبده على الراجحي

أ.د. محمد حمدى إبراهيم

أ.د. محمد عوفى عبد الرؤوف



## بسم الله الرحمن الرحيم

### تعريف

عزيزى القارئ .. تصدر الدخائر ابتداءً من هذا العدد وقد حققت بعض ما كنت تصبو إليه . كانت الأصوات قد ارتفعت عبر البريد والهاتف تطالب بتحسين نوعية الورق الذى تُطبع فيه ، وارتفعت أكثر تطالب بزيادة عدد المطبوع تلبيةً لحاجات القراء الذين لم تكن تصل إليهم سواء فى أطراف البلاد أو فى مناطق القلب ، كما ارتفعت أيضًا تطالب بزيادة ما تقدمه السلسلة من العناوين ، وكذلك توفير النسخ من كثير من الإصدارات السابقة .

وقد استجابت إدارة الهيئة العامة لقصور الثقافة . مشكورة . لكل ما طُلب إليها ، وسوف تلمس بنفسك . عزيزى القارئ . آثار هذه الاستجابة المشكورة : لقد تحسنت نوعية الورق ، وتقررت زيادة عدد المطبوع ، كما تقرر أن تصدر حلقات السلسلة مرتين كل شهر . وإنا لندرجو أن نكون دائماً عند حسن ظن المثقف الجاد فى مصر وفى كل أرجاء الوطن العربى .

عزيزى القارئ .. لقد حدث بعض التغيير فى هيئة تحرير السلسلة ، وهو . فى الواقع . تغيير شكلى ، لأن هيئة التحرير فى تشكيلها الجديد حريصة على استمرار السياسة التى أرساها الأستاذ الدكتور / محمود فهمى حجازى قبل أن يترك رئاسة تحرير السلسلة إلى عمل آخر يرفع فيه اسم مصر عالياً بالخارج ، حيث يعمل سيادته رئيساً لجامعة مبارك / نور بكاراخستان ، ذلك أن القائمين على أمور السلسلة هم من بين زميل له وتلميذ ، ويعمل الجميع بنفس الروح التى بثها الأستاذ الدكتور حجازى ولنفس الأهداف التى سعى لتحقيقها ، الأمر الذى يستوجب منا جميعاً التنويه بجهده والإشادة بعلمه وريادته .



## تقديم

الكتاب الذى نقدمه هذه المرة واحد من أهم كتب التراث العربى ، خاصة فى مجال إرساء قواعد الفكر البلاغى وترسيخ دعائم النظرية الأدبية ، وهو يجمع بين كونه كتابا فى الأدب . بالمفهوم الواسع القديم لكلمة (الأدب) الذى يعنى الأخذ من كل علم بطرف . وكونه كتابا فى النظرية الأدبية ، وإن كان استخلاص عناصر هذه النظرية يحتاج إلى مجهود خاص من القارئ ، يستطيع بمساعدته التدخل للمساهمة فى لم شمل النظرية وتصور اكتمالها . وسبق أن قدمت (الذخائر) كتاب (الحيوان) للجاحظ ، كما قدمت أكثر من كتاب بتحقيق المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون محقق كتاب (البيان والتبيين) الذى نقدمه هذه المرة لقراء الذخائر .

وقد طبع كتاب ( البيان والتبيين ) أكثر من مرة وبأكثر من تحقيق ، ولكن أفضل تحقيقاته هو ما قام به المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون ، كما أن أوفى طبعاته هى التى صدرت عن مكتبة الخانجي ، وعنها تصدر هذه الطبعة من الكتاب .

ولسنا بحاجة إلى التعريف بالأستاذ المحقق ، فقد سبق أن تحدثنا عنه مع صدور كتاب (الحيوان) ، وإن كان من واجبنا التنويه بالتعاون الصادق من جانب نجله الكريم الأستاذ الدكتور نبيل عبد السلام هارون فجزاه الله خير الجزاء .

أما كتاب البيان نفسه . هدفه ومسلك الجاحظ فى تأليفه . فإن ذلك يحتاج إلى وقفة مطوكة للتعريف بالكتاب وهدفه ومنهج تأليفه وثقافة صاحبه .

## اعتزال الجاحظ وثقافته

وليس من شأننا هنا أن نبحث في نشأة المعتزلة كفرقة لها كيانها المتميز من ناحية الموقف الفكري ، ويكفى أن نكون على بينة من أن هذه الفرقة قد نشأت في محيط الحركة الفكرية العامة التي أوجدتها محاولات الفهم لمواضع الخلاف والتشابه في النص القرآني ، فضلا عن بعض العوامل السياسية ، وأنهم عُرِفوا بمبدأيهم الشهيدين (التوحيد والعدل) واتخذوا منهما محورين فرعاً عليهما بقية المسائل التي أداروا عليها نقاشهم ومواقفهم مثل : حرية الإرادة ، وموقف مرتكب الكبيرة ، والكلام في صفات الله ، وخلق القرآن ... إلخ . وأنهم عُنُوا بدرس الفلسفة والمنطق واتخذوا منها وسيلة لتثبيت آرائهم ونقض آراء خصومهم ، مما كان له أثره في أساليب الخطابة والحوار والجدل عندهم من ناحية ، وفي آرائهم النظرية في هذه الفنون . وغيرها من فنون القول . من ناحية أخرى .

غير أن من الضروري أن نذكر أن المعتزلة وإن جمعتهم مبادئهم العامة المشهورة في التوحيد والعدل وما تفرع عليهما من فروع ... فقد اختلف بهم المواقف في كثير من القضايا .. ولذلك انقسموا في داخلهم . بسبب الخلاف في التفاصيل . إلى فرق صغيرة كالبشرية أتباع بشر بن المعتز ت ٢١٠ ، والمعزية أتباع معمر بن عباد السلمي ت ٢١٥ ، والمرسية أتباع بشر المريسي ت ٢١٨ ، والنظامية أتباع إبراهيم بن سيار النظام (ت بعد ٢٢٠) والشامية أتباع ثمامة بن أشرس النمرى ( قتل في خلافة الواثق ) ... إلخ .

وكان من هذه الفرق أيضا الجاحظية ، قال القاضي عبد الجبار : «الجاحظية أصحاب عمرو بن بحر ، أبي عثمان الجاحظ ، كان من فضلا المعتزلة والمصنفين لهم» (١) ، وجاء في ( الفرق بين الفرق ) للبغدادى أن

(١) فرق وطبقات المعتزلة ، تحقيق الدكتور النشار ص ٢١٦ ، والملل والنحل للشهرستاني ٧٥/١ ، وهو ينقل عن القاضي عبد الجبار .

الجاحظية هم « أتباع عمرو بن بحر الجاحظ ، وهم الذين اغتروا بحسن بيان الجاحظ في كتبه التي لها ترجمة تروق بلا معنى » (١) .

ويُوحى استقلالُ الرجل بفرقة خاصة تُنسب إليه باستقلاله بمجموعة من الآراء كونها حول عدد من القضايا ، يقول البلخي ت ٣١٩ « وما تفرد به: القول بأن المعرفة طباع ، وهي مع ذلك فعلٌ للعارف وليست باختيار له ، وهو يوافق ثمامة في أنه لا فعل للعباد على الحقيقة إلا الإرادة ، ولكنه يقول في سائر الأفعال إنها تُنسب إلى العباد على أنها وقعت منهم طباعاً وأنها وجبت بإرادتهم . وليس يجوز أن يكون أحد يبلغ فلا يعرف الله » (٢) .  
ويذكر المسعودي أنه « كان غلام إبراهيم بن سيار النظام ، وعنه أخذ ومنه تعلم » (٣) .

وجاء في ( سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ) أنه « اشتغل على أبي إسحاق النظام ... بمذهب الاعتزال » (٤) .

وواضح أن ثقافته تتضمن في مكوناتها العناصر الكلامية والفلسفية فهو يتلقى الاعتزال على النظام ، ويتأثر بشمامة بن أشرس - زعيم فرقة الشاممية من المعتزلة - في القول بأن العباد ليس لهم فعل غير الإرادة ، بينما يلوح في حديثه عن ( الطباع ) صدى الفلسفة الطبيعية ، يقول القاضي عبد الجبار ، « وقد زاد على ذلك ( يعني على القول بالإرادة ) بإثبات الطبائع للأجسام ، كما قال الطبيعيون من الفلاسفة ، وأثبت لها

(١) الفرق بين الفرق ١٠٥ .

(٢) أبو القاسم البلخي ، مقالات الإسلاميين - باب ذكر المعتزلة ٧٣ من مجموعة ( فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ) نشر فؤاد السيد .. تونس د . ت

(٣) مروج الذهب ٤ / ١٠٩ ط . بيروت .

(٤) سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون لابن نياتة ص ٢٤٨ حققه أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - مصر ١٩٦٤ .

أفعالا مخصصة » ويضيف أن « مذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة، إلا أن الميل منه ومن أصحابه إلى الطبيعيين منهم أكثر منه إلى الإلهيين » وأنه « قد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط وروج كثيرا من مقالاتهم بعبارة البليغة » (١).

وجاء في ( سرح العيون ... ) أنه « تأمل كتب الفلاسفة ومال إلى الطبيعيين منهم ، وساد على المتكلمين منهم بفصاحته وحسن عبارته » (٢).

وفي مثل هذه التصريحات ما يؤكد معرفة الرجل بالتراث اليوناني خاصة في جانبه الفلسفي - حتى عصره ، وهو ما يؤكد ورود أسماء كثيرين من هؤلاء الفلاسفة وأسماء كتبهم في مواضع عديدة من مؤلفاته (٣).

وتدل إشارات كثيرة إلى أرسطو على معرفته بنتاج هذا الفيلسوف الذي يبدو أنه كان يعرف عنه الكثير من التفاصيل ، وهو ما يعززه وصفه له بأنه كان « بكىء اللسان غير موصوف بالبيان » (٤) ولعل مما يدعم القول بعمق معرفته به ما نسبته البعض إليه من سلخ معاني كتاب الفيلسوف

---

(١) فرق وطبقات المعتزلة ٢١٦ ، ٢١٧ ، وهذه الأخبار بنصها في ( الملل والنحل ) ١ / ٧٥ .

(٢) سرح العيون ص ٢٤٩ .

(٣) من أعلام الفلسفة والفكر اليوناني الذين وردت أسماءهم في مؤلفات الجاحظ : أرسطاطاليس ، أفلاطون ، إقليدس ، بطليموس ، جالينوس ، ديمقريطس ، هرمس . راجع : البيان والتبيين ٢٧/٣ ، الحيوان ٧٤/١ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ١٠١ ، ورسالة في الحتين إلى الأوطان ، ورسائل ٣٨٧/٢ ، التريع والتدوير - رسائل ٧٢ / ٣ ، الرد على النصاري - رسائل ٣١٤/٣ ، ٣١٥ حيث يرد حديث الجاحظ عن بعض هؤلاء الفلاسفة وعن كتبهم باعتبارها موجودة في أيدي الناس . ويشير كراتشكوفسكى إلى ميل الجاحظ إلى الفلسفة الطبيعية ، راجع : البديع عند العرب ص ٤٢ - ضمن ( دراسات في تاريخ الأدب العربي ) .

(٤) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ٧٣/٢٤ ، حيث يورد المؤلف احتمال صحة هذا الوصف .



اليوناني عن ( الحيوان ) وتضمنتها كتابه الذى يحمل نفس الاسم ، والذى يطلق عليه بعض القدماء اسم ( طبائع الحيوان ) ، وهو اتهام يعززه أصحابه برغبة الجاحظ فى ترويح مقالاته عن ( الطبايع ) (١) .

والواقع أن المتكلمين قد نظروا إلى الثقافة الفلسفية على أنها جانب مهم فى تكوين المتكلم ، بحيث لا يتحقق له التمكن من مهمته إلا بإتقان هذا الجانب ، يقول الجاحظ : « ولا يكون المتكلم جامعاً لأقطار الكلام ، متمكناً فى الصناعة ، يصلح للرياسة .. حتى يكون الذى يُحسن من كلام الدين فى وزن الذى يحسن من كلام الفلسفة ، والعالم عندنا هو الذى يجمعهما » (٢) وفى وصفه لكتابه ( الحيوان ) يقدمه بقوله : « وهذا كتابٌ تستوى فيه رغبة الأمم ، وتتشابه فيه العربُ والعجم ، لأنه وإن كان عربياً أعرابياً ، وإسلامياً جماعياً .. فقد أخذ من طرف الفلسفة وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة » (٣) .

ولست أريد الاستطراد فى تأكيد هذا الجانب ، فقد وقف عليه كثيرون ممن تعرضوا للحديث عن المعتزلة وأصحاب الكلام عموماً (٤) ، كما أن شيئاً مما قلنا عن هذه الجوانب عن ثقافة الرجل لا يراد لذاته وإنما لما يمكن أن يكون له من انعكاسات على آرائه فى الفن القولى . ويكفى أن نذكر فيما نحن بصده أن عدداً لا بأس به من الآراء والمبادئ التى نادى بها الفلاسفة والسوفسطائيون قد لوحظ صداها فى كتابات الجاحظ وكلام من ينقل عنهم ويعتمد آراءهم ، ويعد البعض من هذه المبادئ : مبدأ المطابقة بين الكلام

(١) من قال بهذه التهمة : الإسفرايينى فى ( التبصير فى الدين ... ) والبيضاوى فى ( الفرق بين الفرق ) .

(٢) الحيوان ٢ / ١٣٤ .

(٣) الحيوان ١ / ١١ .

(٤) راجع مثلاً - البلاغة تطور وتاريخ ٣٥ ، وأدب المعتزلة ١٤٠ .

وحال المخاطب ، وهو ما عُرِف بمطابقة الكلام لمقتضى الحال<sup>(١)</sup> ، وكذلك مبدأ الحديث عن الشيء ، وضده ، أو تحسين الشيء وتقييده<sup>(٢)</sup> .

ونحن نعرف أن آراءه فى قضايا ( المعرفة ) و ( الإرادة ) و ( الطباع ) وكذلك معرفته بنظرية الأوساط ... كل ذلك لم يكن بعيدا عن مواقفه ونظراته الخاصة إلى جوانب الفن القولى ، وهو ما يعنينا تسجيله ، أعنى - كما سبق القول - تسجيل ما كان للفكر الكلامى والفلسفى لدى الرجل من تأثير على رؤيته للفن القولى .

على أن الجاحظ لم يكن من أولئك المتكلمين المنحصرين فى دائرة الفكر الكلامى والفلسفى فحسب ، أعنى أن شهرته لم تكن مستمدة من كونه مجرد متكلم كما هو الحال مع أمثال النظام أو ثمامة أو بشر المرسى وغيرهم ، وإنما كان يستمد شهرته من هذا الجانب ، كما كان يستمدها من هذه المؤلفات الكثيرة التى خلفها فى مختلف فروع الثقافة التى عُرِفَت فى عصره والتى تتم عن اطلاع واسع عميق على تراث الفكر الإنسانى حتى وقته ، سواء فى ذلك التراث العربى أو تراث الأمم الأخرى الذى جرت ترجمته .

وقد مر بنا الحديث عن الجانب الأخير ، أعنى ثقافته بتراث الأمم الأخرى ، أما ثقافته العربية فيكفى لمعرفة أن نقرأ فى بعض تراجمه أنه « العلامة النحوى ، اللغوى ، الإخبارى ، المتكلم المعتزلى ، وأحد رؤسهم .. » وأنه « سمع من أبى عبيدة مَعْمَر بن المثنى وأبى سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى ، وأبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى . وأخذ علم النحو عن أبى حسن الأخفش - وكان صديقه ... وتلقف الفصاحة عن العرب شفاها بمرئيد البصرة »<sup>(٣)</sup> .

(١) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ٣١ والنزعة الكلامية فى أسلوب الجاحظ ٩٣ .

(٢) النزعة الكلامية فى أسلوب الجاحظ ٩٤ .

(٣) إرشاد الأريب ٧٦ / ١٦ .

وقد انعكست هذه الثقافة الواسعة فى تنوع مؤلفاته وغناها وشمولها .  
جاء فى ( إرشاد الأريب .. ) لياقوت : « وقال المرزبانى : قال أبو بكر  
أحمد بن على .. وله كتب كثيرة مشهورة جليلة فى نُصرة الدين وفى  
حكاية مذهب المخالفين ، والآداب والأخلاق ، وفى ضروب من الجِدِّ  
والهزل ... وإذا تدبر العاقلُ أمر كتبه عَلم أنه ليس فى تلقيح العقول  
وشحذ الأذهان ومعرفة أصول الكلام وجواهره ، وإيصال خلاف الإسلام  
ومذاهب الاعتزال إلى القلوب كتبٌ تشبهها » (١) .

ويعد كتاب ( البيان والتبيين ) - أو ( البيان والتبيين ) كما ذهب  
بعض الباحثين مؤخرًا - من أهم هذه الكتب ، إن لم يكن أهمها جميعًا ،  
يقول المسعودى « وله كتب حسان ، منها كتاب ( البيان والتبيين ) وهو  
أشرفها ، لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم ، وغرر الأشعار ومستحسن  
الأخبار ، وبلغ الخطب ما لو اقتصر عليه مقتصرٌ لاكتفى به » (٢) وجاء فى  
ياقوت أيضًا ما يدل على أن الكتاب قد دخل إلى الأندلس فى حياة  
الجاحظ وقبل موته بحوالى عشرين عاما على الأقل (٣) مما يدل على  
مكانة الكتاب وقيمته لدى الدارسين فى عصره وبعد عصره .

(١) ياقوت - إرشاد الأريب ١٦ / ٧٦ .

(٢) مروج الذهب ١٠٩ / ٤ .

(٣) الإرشاد لياقوت ١٦ / ١٠٥ ، ١٠٦ .

## كتاب (البيان والتبيين) بين مدارس التأليف البلاغى

زيبدر أن التعدّد فى ثقافة الرجل ومصادر تفكيره كان وراء الاختلاف فى طابع كتابه ، وذلك ما نجد فى محاولات البعض من المحدثين سلكه ضمن هذه المدرسة أو تلك من مدارس التأليف البلاغى ، معتمدين على نص لأبى هلال العسكري فى ( الصناعتين ) يوازن فيه بين منحيين من مناحى التأليف ، أطلق على أحدهما ( مذهب المتكلمين ) وعلى الآخر ( مقصد صنّاع الكلام من الشعراء والكتاب )<sup>(١)</sup> .

ومع ذلك فليس بوسعنا أن نسلّم بما لدينا من تفسيرات المحدثين لمقصد أبى هلال فى نصّه المشار إليه ، على الأقل فيما يتعلق بموقع الجاحظ فى (البيان والتبيين) بين هذين المنحين .

فالدكتور سيد نوفل قد فهم من عبارة أبى هلال هذه أن الجاحظ ينتمى - فى هذا الكتاب - إلى الفريق الثانى - فريق صنّاع الكلام من الشعراء والكتاب - وقال عنه : إنه « فى جملة رجل أديب اتّبع طريقة أدبية تُعنى بإيراد النماذج والإكثار من الأمثلة والآثار الأدبية شعرها ونشرها ، وقد عرّف له هذا المتأخرون ، فقال أبو هلال - بعد أن قرر أنه شارحٌ للجاحظ ومنظمٌ للمتفرق عنده ، وبعد أن تحدّث فى الفصل الأول موجزاً عن ماهية الفصاحة والبلاغة - (وليس الغرض من هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين، وإنما قصدت فيه مقصد صنّاع الكلام من الشعراء والكتاب ) وهذا صريح فى الدلالة فى أنه قد اتّبع الجاحظ فى سلوك طريقة صنّاع الكلام من الشعراء والكتاب ، وأن الجاحظ لم يسلك طريقة المتكلمين »<sup>(٢)</sup> .

(١) الصناعتين ١٥ .

(٢) البلاغة العربية فى دور نشأتها - سيد نوفل ١٧٦ .

أما الأستاذ أمين الخولي فيحدثنا - اعتمادا على القرائن ، وعلى الأدلة التى من بينها عبارة أبى هلال - عن طريقتين فى التأليف البلاغى ، الأولى: طريقة المتكلمين ، والثانية : طريقة الأدباء . « فأما الطريقة الأولى فتمتاز بخاصة أهلها المتكلمين فى الجدك والمناقشة ، والتحديد اللفظى والعناية بالتعريف الصحيح والقاعدة المقررة والإقلال من الشواهد الأدبية وعدم العناية بالناحية الفنية فى خصائص التراكيب ، وتقدير المعانى الأدبية ، واستعمال المقاييس الحكمية الفلسفية المعتمدة على قواعد منطقية أو نظريات خلقية ، أو مقررات طبية فى الحكم الأدبى دون نظر إلى معانى الجمال وقضايا الذوق » (١) .

« وأما الطريقة الثانية وهى طريقة الأدباء فى درس البلاغة فتمتاز بالإكثار المسرف من الشواهد الأدبية نشرها وشعرها ، والإقلال من البحث فى التعريف والقواعد والأقسام وتعتمد فى النقد الأدبى على الذوق الفنى وحاسة الجمال أكثر من اعتمادها على تصحيح الأقسام وسلامة النظر المنطقى ، ولا ترجع فى ذلك إلى أصول الفلسفة من خُلقيات أو غيرها ، ونرى هذا فى مثل كتابة أبى هلال فى ( الصناعتين ) يسوق فى المقام الواحد عشرات الأمثلة والشواهد من القرآن والحديث وكلام العرب نشرها وشعرها ، ويعتمد فى النقد الأدبى على الذوق غير مكثف بالصحة العقلية والسلامة النظرية » (٢) .

ويضع الأستاذ الخولى أبا عثمان الجاحظ ضمن أصحاب الطريقة الأولى، ففى حديثه عن صلة البلاغة فى دور نشأتها بالفلسفة - وهى الصلة التى تجلت فى أن البلاغة « عاشت فى كنف رجال الفلسفة وتحت رعايتهم » وأنَّ « جمهرة الأقلام التى خدمتها أقلام فلاسفة أو متفلسفين »

(١) البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها - ضمن كتاب ( مناهج تجديد ) ص ١٥٩ .

(٢) أمين الخولى ، المرجع السابق ١٦٠ ، ١٦١ .

.. يعدّ من هؤلاء المتفلسفين « سَهْلُ بن هارون ... وكان حكيما يتعاطى الفلسفة ، وأبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ... وكان حكيما قرأ كتب الفلاسفة من اليونان والفرس والروم والهند ، وكان رأس فرقة فى الاعتزال نُسبت إليه فسُميت (الجاحظية) ... » (١).

الجاحظ . إذن . فى تقدير الأستاذ الخولى من أصحاب المدرسة الكلامية فى التأليف البلاغى الذين يعلن أبو هلال تنكب طريقهم فى كتابه . وهو فى تقدير الدكتور نوفل من مذهب صناع الكلام من الشعراء والكتاب ، وهذا ما يزيد من تعقد المشكلة . فمن المفروض . وفقا لتقدير الأستاذ الخولى . أن نجد فى كتاب ( البيان ) كل سمات مدرسة المتكلمين ، أو معظم هذه السمات من جدل ومناقشة وتحديد لفظى وعناية بالتعريف والقاعدة والإقلال من الشواهد الأدبية ... إلخ ، وذلك . فى واقع الأمر . ما لا نجده ، باستثناء النقل لعدد من تعاريف بعض المصطلحات دون تدخل . غالبا . وباستثناء المناقشة والجدل اللذين هما طابع كتابة الجاحظ بوجه عام . كما أنهما . فى الحقيقة . غير قاصرين على كتابات المتكلمين ، ويكفى أن نشير إلى ابن الأثير . ضياء الدين . وهو فى تقسيم الأستاذ الخولى من مدرسة الأدباء لنجده . خاصة فى ( المثل السائر ) . من أكثر الناس جدلا ومناقشة واهتماما بالحدّ والتعريف اللذين نجدهما عند بلاغى آخر من نفس طريقة الأدباء . عند الخولى . وهو البهاء السبكى .

فإذا جئنا إلى المبررات التى يمكن أن تكون وراء تقسيم الدكتور نوفل وسلكه للجاحظ فى مدرسة صناع الكلام من الشعراء والكتاب .. وجدنا لدى الجاحظ كثرة الشواهد والأمثلة ، ووجدنا الابتعاد . فى أغلب الأحيان . عن الحدود والتعريفات والقواعد ، وهذه كلها من سمات طريقة الأدباء . كما يشرحها الأستاذ الخولى . وبالتالى فهى تقرّب الجاحظ . فى البيان

والتبيين - من حدود هذه الطريقة ، وعلى العكس من ذلك نجد أبا هلال نفسه لا يسقط مبدأ الحد والتعريف من كتابه : فالباب الأول عنده - مثلاً - فى (الإبانة عن موضوع البلاغة فى أصل اللغة وما يجرى معه من تصرف لفظها وذكر حدودها) <sup>(١)</sup> ، والفصل الأول من الباب السابع فى ( حد التشبيه ) <sup>(٢)</sup> كما أن منحى النظام واضح فى كل أبواب الكتاب وفصوله على نحو قد يفوق ما عند المتكلمين من معاصريه - كالرمانى والباقلانى - فى مؤلفاتهم البلاغية ، بحيث لا نستطيع أن نقول إن ما رفضه أبو هلال من ( مذهب المتكلمين ) هو التحديد والتنظيم ، كما أننا لا نستطيع القول بأنه رفض مذهبهم فى أن يكون البحث البلاغى وسيلة إلى معرفة الإعجاز القرآنى ، لأنه صريح فى مقدمة كتابه فى القول بأن « أحق العلوم بالتعلم ، وأولها بالتحفظ - بعد المعرفة بالله جل ثناؤه - علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذى به يُعرف إعجاز كتاب الله تعالى » <sup>(٣)</sup> .

وإذن فما الذى رفضه أبو هلال من مذهب المتكلمين فى التأليف البلاغى ؟ ثم هل كان أمامه - أو فى ذهنه - نموذج آخر غير كتاب الجاحظ وجه إليه الرفض ؟

وبالنسبة للسؤال الثانى فقد كانت هناك مؤلفات لعدد من المتكلمين تنطلق جميعها من قضية الإعجاز ، ويتسم الحديث فيها بالعموم ليشمل بالنقاش ما وقفوا عليه من قضايا العبارة الأدبية ، من هذه المؤلفات : (النكت فى إعجاز القرآن) للرمانى ت ٣٨٦ ، و ( بيان إعجاز القرآن ) للخطابى ت ٣٨٨ . وربما كان أمامه أيضاً عدد من الكتب فى نظم القرآن مما لم يصل إلينا ، ككتاب أبى بكر السجستانى ( عبد الله بن أبى داود

(١) الصناعتين ص ١١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ٧ .

ت ٤١٦ ) وكتاب أبى زيد البلخى ( أحمد بن سليمان ت ٣٢٢ ) وكتاب ابن الإخشيد ( أبو بكر أحمد بن على المعتزلى ت ٣٢٦ ) ، وجميعها تحمل عنوان ( نظم القرآن ) .

غير أن معرفة الكتب التى كانت فى تصوره وهو يرفض سلوك مذهب المتكلمين لا تُغنى عن محاولة التبيصّر بحقيقة ما وَجَّه إليه رفضه من هذا المذهب ، وهنا نعود إلى عبارة العسكرى ، وإلى السياق الذى جاءت فيه .. لقد جاءت هذه العبارة فى نهاية الفصل الأول من الباب الأول ، وهو الفصل الذى عقده ( للإبانة عن موضوع البلاغة فى اللغة وما يجرى معه من تصرف لفظها ، والقول فى الفصاحة وما يتشعب منه ) ، وفيه يستعرض بعض الدلالات اللغوية لكلمتى ( البلاغة ) و ( الفصاحة ) ليستطرق منها إلى بعض دلالاتهما الاصطلاحية ، ثم يصرح فى نهاية الفصل بقوله : « وليس الغرض فى هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين ، وإنما قصدت مقصد صنّاع الكلام من الشعراء والكتاب ، فلهذا لم أطلّ الكلام فى هذا الفصل » <sup>(١)</sup> .

فهو لا يُطيل الكلام لأنه لا يقصد إلى سلوك مذهب المتكلمين ، وإذن فالإطالة فى رأيه من سمات مذهبهم ، وبالتالي فالاختصار هو السمة البارزة لمن يقصد مقصد صنّاع الكلام من الشعراء والكتاب . غير أن أبا هلال نفسه لم يسلم من هذه الإطالة فى كتابه ، كما أن الإيجاز أصبح سمة لكتابات بعض المتكلمين ، وبذلك يبقى الوصف بالإطالة تعريفاً غير مانع ، وهو غير جامع بالقطع ، لصفات طريقة المتكلمين .

وهنا تُسعفنا بعضُ نصوص من الجاحظ نفسه يشير فيها إلى بعض معالم ( طريقة المتكلمين ) فى التأليف ، من ذلك قوله فى مطلع بعض رسائله : « كما نحب أن يخرج هذا الكتاب تاماً ، ويكون للأشكال الداخلية



فيه جامعًا ... حتي يُجتنَب فيه العويصُ ، والطرق المتوعرة ، والألفاظ المستنكرة ، وتلزيق المتكلفين ، وتلفيق أصحاب الأهواء من المتكلمين» (١).

وهناك نص آخر يصف فيه . علي لسان أحد قرائه . طريقة المتكلمين . أو بعضهم . في التأليف : « وقلت : اكتب إلي كتابًا تقصد فيه إلى حاجات النفوس ، وإلى إصلاح القلوب ... دون الذي عليه أكثر المتكلمين من التطويل ، ومن التعمق والتعقيد ومن تكلف مالا يجب وإضاعة ما يجب» (٢).

إن تأمل النص الأخير على وجه الخصوص وعرض ما فيه على كلام العسكري عن كتاب الجاحظ ، ثم على كلامه عن كتابه هو ( الصناعتين ) يكاد يكشف عن الصفة . أو الصفات التي رفضها أبو هلال بما ورد في كتاب الجاحظ حقيقةً . أو توهمًا من أبي هلال نفسه . فالتطويل والتعمق والتعقيد وترك ما يجب وإقحام مالا يجب والخوض في تعقيدات المذاهب . وهو مضمون النص الأول . هي العيوب التي يمكن القول إن العسكري قد أخذها على طريقة المتكلمين في التأليف ربما وجد بعضُها في كتاب الجاحظ ، ومن هنا كان وصفه له بأن « الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ، ومنتشرة في أثنائه ، فهي ضالة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير ، وبالتالي كان ما وعد به من مجيء كتابه « مشتملا على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام . نثره ونظمه . ويستعمل في محلوله ومعقوده من غير تقصير وإخلال وإسهاب وإهذار» (٣).

---

(١) كتاب النساء . رسائل ١٥٢/٣ .

(٢) فصل من صدر كتاب الجاحظ في خلق القرآن . رسائل الجاحظ ٢٨٥ / ٣ .

(٣) الصناعتين ١١ .

فالإحاطة بالموضوع ، وإيضاح جوانبه وعدم الخروج عنه ، والتعرض لكل أقسامه دون إخلال يُوقع فى الغموض أو إسهاب يورث التشتت هى الصفات التى قصد إليها العسكرى ، وذلك فى مقابل إطالة الجاحظ ، وتشعب الحديث فى كتابه بدرجة قد تتوه معها - على غير التعبير بطريقة الجاحظ - بعض الحقائق ، ويُنسَى بعضها الآخر وليس غير ذلك من طريقة المتكلمين يمكن نسبته إلى كتاب الجاحظ . وهنا نعود إلى الحديث عن سلك الكتاب فى نظام إحدى المدرستين لنجد أن القطع بانتمائه لإحدهما غير دقيق ، لأن الجاحظ فى الواقع عالمٌ وحده ، ومن الصعب إخضاع طريقته فى ( البيان والتبيين ) لنظام بعينه فى التأليف ، فمن ناحية : يرفض الرجل - وهو المتكلم المعتزلى - أن يستخدم المتكلمون ألفاظهم الخاصة فى غير مقامات الكلام ، ولا شك أنه كان على وعى بأن الحديث فيما يتصل بالأنواع الأدبية خلاف الحديث فى قضايا الفلسفة والكلام ، والناظر فى مؤلفاته يتبين لديه تلك القدرة العجيبة على الاستغراق فى الموضوع الذى يكتب فيه حتى ليظن القارئ أنه لا يحسن غيره .

من هنا كان ذلك المنحى الأدبى فى السرد وإيراد كل ما يتصل بموضوع القول بطريقة تفوّت على القارئ أي شعور بطول الحديث أو الملل من القراءة .

أكثر من هذا نجد أن جنوحه إلى الإطالة والسرد وسوق النماذج والخروج من لفظة إلى أخرى ، لم يكن - كما ظن الكثيرون - مسلكاً بلا ضابط ولا هدف ، فقد كان الرجل - كما سنرى - قاصداً لصنعيه ، واعياً بالهدف منه . وهذا ما يكشف عنه الحديث عن بنية الكتاب فى حدود هدفه .

## بنية الكتاب وطريقة تأليفه فى حدود هدفه

بين التظهير والتأديب :

فى حديثه عن ( علم الأدب ) يطالعنا ابنُ خلدون فى مقدمته بأنه سمع من شيوخه فى مجالس التعليم أن أصولَ هذا الفن وأركانه أربعة دواوين هى :

( أدبُ الكاتب ) لآبِن قُتَيْبَةَ

وكتابُ ( الكامل ) لِلْمُبرِّدِ

وكتابُ ( البيان والتبيين ) لِلجَاحِظِ

وكتابُ ( النوادر ) لِأبَى عَلَى القَالِي<sup>(١)</sup>

والواقع أن كتابَ ( البيان والتبيين ) ينفرد من بين الكتب التى ذكرها ابنُ خلدون بأكثرَ من مِيزة ، فهو إلى جانب كونه أحدَ المؤلفات الكبرى فى ( علم الأدب ) - بمفهوم القدماء - يُعَدُّ تقريباً - أقدمَ المراجع العربية التى تعرّضت للبحث فى نظرية الفن الأدبى كما يتمثل فى فن الخطابة وفن الجدل والمناظرة وغيرهما من الأشكال الأدبية كالشعر والرّسائل ، اللذين كثيرا ما ينسحبُ عليهما الكلامُ عن الخطابة<sup>(٢)</sup> .

ويبدو أن الوصفَ الأخير للكتاب - أعنى النظر إليه كمرجع فى نظرية الفن القولى - قد سيطر على نظرة كثير من المحدثين إلى الكتاب ، بحيث أغفلوا - غالباً - صفته الأخرى ، وهى كونه كتاباً فى ( علم الأدب ) أيضاً ،

(١) مقدمة ابن خلدون . ط . كتاب الشعب ص ٥٢٢ .

(٢) فى أولية الجاحظ فى التأليف فى نظرية الفن القولى يراجع : قهيد فى البيان العربى من

الجاحظ إلى عبد القاهر لطف حسين ص ٣ ، والبدیع عند العرب لكراتشكوفسكى ص ٤١ ،

وبلاغه أرمطو بين العرب واليونان لإبراهيم سلامة ص ٦٩ .

والنقد المنهجى عند الجاحظ لناود سلوم ص ٨٨ .

وكان لهذا الموقف من جانب المحدثين نتيجة أساسية هي وصفه بالاستطراد والميل إلى الخروج كثيراً عن موضوعه الأصلي ، وهو استنتاج طبيعي في هذه الحالة ، فإذا كان الموضوع الأساسي للكتاب في تقديرهم هو نظرية الفن القولي بوجه عام ، أو - على الأقل - مجموعة من النظرات الأساسية التي تشكل عماد هذه النظرية .. فإن إيراد هذه النماذج والمقتطفات من شتي أنواع الأدب يعد استطراداً وخروجاً على الموضوع الأساسي ، مع ملاحظة أن ذلك يحتل القسم الأكبر من الكتاب مما يجعل استخلاص نظرات الجاحظ وآرائه في فن القول لا يتأتى سهلاً ميسوراً ، وإنما هو في حاجة إلى جهد القارئ ورعاية صدره .

→ هذه الظاهرة هي التي توضح لماذا كانت طريقة الجاحظ في تأليف الكتاب عرضة لانتقاد الكثيرين من القدماء والمحدثين ، ممن نظروا إليه على أنه مؤلف من أساسه في نظرية الفن القولي ، فصرح كراثشكوفسكى بأن الجاحظ « ليس من الكتاب الذين يسمحون لغيرهم بالاقتراب منهم دون أن ينالهم غناء » <sup>(١)</sup> والسبب في ذلك أن « استطراداته الكثيرة تؤدي به إلى الخروج عن الموضوع الذي يبحث فيه إلى مواضيع أخرى » <sup>(٢)</sup> .

ووصف آخرون صنيع الجاحظ بأنه أخرج كتابه « عن كونه كتاباً للبيان بكثرة خروجه واستطراده وردوده وأمثله » <sup>(٣)</sup> بل إن البعض قد غلب صفة ( الأدب ) على الكتاب فوصفه بأنه « مختارات من الأدب من آية قرآنية أو حديث ، أو شعر أو حكمة أو خطبة ، ممزوجة بما له من آراء في مسائل عدة » <sup>(٤)</sup> .

(١) البديع عند العرب - ضمن ( دراسات في تاريخ الأدب العربي ) ص ٤١ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٠ .

(٣) النقد المنهجي عند الجاحظ - دأود سلوم - ص ٨٨ .

(٤) ضحى الإسلام لأحمد أمين ١ / ٣٩٠ ط ٩٣٤ ، ويورد الأب فكتور اليسوعى قول

كارادى فو عن الجاحظ «... إن الموضوع عنده ليس إلا وسيلة للاستطراد » راجع : النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ ص ٨٧ .

وقد سبق إلى مثل هذا التصور بعض القدماء منهم أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ( ق ٤ ) صاحب كتاب ( البرهان في وجوه البيان ) ، وأبو هلال العسكري ت ٣٩٥ صاحب ( الصناعتين ) ، ثم البياقلاتي ت ٤٠٣ هـ في ( إعجاز القرآن ) . والكتاب الأول من أساسه في معارضة ( بيان ) الجاحظ من حيث طريقة تأليفه التي تصعب معها الإحاطة بمسائله لأنه « إنما ذكر فيه أخباراً منتحلة وخطبا منتخبة ، ولم يأت فيه بوصف البيان ، ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان ، فكان ... غير مستحق لهذا الاسم الذي نُسب إليه » <sup>(١)</sup> لذلك حاول صاحب ( البرهان ) - فيما يقول - أن يذكر في كتابه « جملا من أقسام البيان آتية على أكثر أصوله محيطة بجماهير فصوله ، يعرف بها المبتدئ معانيه ويستغنى بها الناظر فيه » <sup>(٢)</sup> .

ونفس المأخذ تقريبا يصرح به أبو هلال ، فكتاب ( البيان والتبيين ) في رأيه أكبر الكتب المؤلفة في ( البلاغة ومعرفة الفصاحة ) وأشهرها « وهو ... كثير الفوائد ، جم المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة ، والأخبار البارة ، وما حواه من أسماء الخطباء ، وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة ، وغير ذلك من فنونه المختارة ، ونعوته المستحسنة إلا أن الإبانة عن حُلُود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ، ومنتشرة في أثنائه ، فهي ضالة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير » <sup>(٣)</sup> .

وواضح أن الانتقاد عند كل من الرجلين موجه إلى ظاهرة انعدام النظام والتبويب في كتاب الجاحظ ، وهو ما حاول كل منهما أن يتلافاه عن طريق إحكام النظام ، والترتيب الدقيق لمباحث كتابه ، والإقلال بقدر الإمكان ما

(١) البرهان في وجوه البيان ٥١ ، ٥٢ .

(٢) البرهان ٥٢ .

(٣) الصناعتين ١٠ ، ١١ .

عُدَّ من قبيل الاستطراد عند الجاحظ .

ولا يخرج انتقاد الباقلاني عن ذلك تقريبا ، بل لقد ذهب إلى عدم قدرة الجاحظ على أن يُخْلِى كلامه من الاختيار من كلام غيره و « ممّا يوشّع به كلامه من بيتٍ سائر ومثّلٍ نادر وحِكْمَةٍ مُمَهِّدَةٍ مَنْقُولَةٍ وَقَصَّةٍ عَجِيبَةٍ مَأْثُورَةٍ » (١) .

على أن من القدماء - كما رأينا - مَنْ نظروا إلى الكتاب باعتباره كتابا فى ( علم الأدب ) ، والأدب - فى تعريف هؤلاء - هو حفظ أشعار العرب وأخبارها ، والأخذ من كل علم بطرف ، يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط (٢) .

والواقع أن الناظر فى كتاب ( البيان والتبيين ) لا يسعه إلا أن يأخذ فى الاعتبار كلاً من الوصفين أعني كون الكتاب مؤلفا فى ( علم الأدب ) من جهة ، وكونه يحتوي على عدد من النظرات الهامة فى الفن القولي من جهة أخرى .

فهل كان هناك ازدواج فى عقلية الرجل حينما جمع فى مؤلف واحد بين القواعد والأصول المتصلة بفن القول وبين النماذج والنصوص والمختارات التى كان إفراطه فى إيرادها سببا فى وصف البعض للكتاب بأنه كتاب فى ( علم الأدب ) ؟

إن نظرة أخرى فى حديث ابن خلدون عن علم الأدب والمقصود منه تساعد على إجابة صحيحة عن السؤال ، يقول عن علم الأدب : « هذا العلم لا موضوع له ينظر فى إثبات عوارضه أو نفيها ، وإنما المقصود عند أهل اللسان ثمرته ، وهى الإجابة فى فني المنظوم والمنثور على أساليب

(١) إعجاز القرآن ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٥٢١ .

العرب ومناحيهم ، فيجتمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعرٍ عالى الطبقة ، وسجعٌ مُتَساوٍ فى الإجادة ومسائل من النحو واللغة مبثوثة أثناء ذلك متفرقة يستقرئ منها الناظرُ فى الغالب معظمَ قوانين العربية مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع فى أشعارهم منها ، وكذلك ذكر الملم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة . والمقصود بذلك كله ألا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه ، لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه « (١) .

وواضح أن كتب الأدب بالمفهوم الذى ساقه ابنُ خلدون لم تكن تؤلف بغير هدف ، وواضح أيضا أن إيراد المختارات والنماذج الكثيرة فى كتاب الجاحظ لم يكن بغير تصور لفائدة ما من وراءها ، وأنه لم يعد فى ذلك ما صنعه البعض - كابن طباطبا العلويّ ت ٣٢٢ - حين جمع إلى كتابه ( عيار الشعر ) - وهو فى أصول الفن الشعرى - كتابا آخر سماه ( تهذيب الطبع ) وقال إن الهدف من ورائه أن « يرتاض من تعاطى قول الشعر بالنظر فيه ، ويسلك المنهاج الذى سلكه الشعراء ، ويتناول المعاني اللطيفة كتناولهم إياها ، فيحتذي على تلك الأمثلة فى الفنون التى طرّقوا أقوالهم فيها » (٢) .

فهذه التدريب وتكوين الذوق الفنى لدى القارئ لم يكن غائبا عن أذهان أصحاب ذلك الضرب من التأليف ، ومنهم الجاحظ ، كما لم ينسوا ذكره صراحة (٣) .

(١) مقدمة ابن خلدون ٥٢١ ، ٥٢٢ .

(٢) عيار الشعر ص ٧ .

(٣) من المحدثين من تنبه إلى هدف التدريب العملى وصل الذوق والتمكين من الإجادة من وراء هذه الاختيارات الكثيرة - راجع : الجاحظ : حياته وآثاره ، لطفه الحاجرى ص ٤٣١ ، ( النشر الفنى وأثر الجاحظ فيه ) لعبد الحكيم بليغ ص ٢٦٥ - ٢٦٧ .

وهكذا جاء الكتاب . كما قلنا . جامعًا بين كونه مؤلفًا في نظرية الفن القولي وكونه مؤلفًا في علم الأدب ، ولم يكن مؤلف الكتاب غافلا عن الصفة الأخيرة فيه أعنى كون الكتاب مؤلفًا في علم الأدب أيضًا ، وقد نقل ضمن ما نقل عن غيره تعريفًا لعلم الأدب معزواً إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، يقول فيه : « كسفاك من علم الأدب أن تروى الشاهد والمثل »<sup>(١)</sup> ثم يفتح في موضع آخر باباً بعنوان ( كلام في الأدب )<sup>(٢)</sup> كما ينقل قول شبيب بن شيببة « أطلب الأدب فإنه دليل على المروءة وزيادة في العقل وصاحب في الغربة وصلة في المجلس »<sup>(٣)</sup> وليس ذلك كله سوى صدق لما آمن به الجاحظ من أن « الإنسان بالتعلم والتكلف » وأنه « بطول الاختلاف إلى العلماء ومدايسة كتب الحكماء يَجُود لفظه ، وَيَحْسُنُ أدبه »<sup>(٤)</sup>.

وأبسط النتائج التي يمكن أن نرتبها على وصف الكتاب على هذا النحو .. الحد من تهمه الميل إلى قوضوية التأليف التي كثيراً ما توجه إلى الجاحظ ، وعلى الأخص في هذا الكتاب ، وكذلك الحد من الاتهام بانعدام شخصية المؤلف فيه<sup>(٥)</sup> ، إذ من الواضح أن كثيراً مما جاء في الكتاب مما وُصف بأنه استطراد من المؤلف ونقول عن غيره إنما قصد به - عن عمد - تقديم أكبر قدر من نماذج القول الجيد منشوره ومنظومه لتكون في متناول المطلعين على كتاب يتعرض في المقام الأول لنظرات في فن القول ، ويستهدف تكوين

(١) البيان والتمييز ٨٦ / ١ .

(٢) البيان ٣ / ٢٦٧ وراجع ٣ / ٢٤٠ ( ذكر حروف من الأدب ) .

(٣) البيان ١ / ٣٥٢ .

(٤) البيان ٨٦ / ١ . وتراجع نصوص أخرى تكشف عن معنى ( الأدب ) عنده في ( البيان ) في ( مصطلحات نقدية وبلاغية ) الشاهد البوشيخي ٦٣ ويذكر كلام الجاحظ عن ( المدارس ) بقول معاصره ابن سلام : ( إن كثرة المدارس لتعدي على العلم ) طبقات فحول الشعراء ٦ / ١ ، ٧ .

(٥) هذا الاتهام الأخير يوجهه إلى الجاحظ الدكتور طه حسين . راجع : تهديد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر ص ٣ .



ذوق فنى لدى قارئه ، أو تقوية ما قد يكون لديه من هذا الذوق .

### الوعى بمسلك الاستطراد :

وكما قلنا .. كان الرجل واعيا بقيام كتابه على دعامين ، إحداهما : ما يسوقه من أفكار ونظرات تتصل بأصول الفن القولى . والأخرى : هذه الاختيارات العديدة التى يزرعها الكتاب ، والتى يتضح وعيه بتقديمها عن عمد فى كثير من المواضع ، من مثل قوله فى مقدمة الجزء الثانى إن قصده كان الحديث عن مطاعن الشعوبية على العرب ، ولكنه رأى أن يقدم بدلا من ذلك بعض الاختيارات من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام السلف من المتقدمين ،<sup>(١)</sup> ثم يردف ذلك بحديث عن خطب العرب ، وبعض صفاتها وحرصه على تقديم نماذج منها :

« اعلم أن جميع خطب العرب ... على ضربين : منها الطوال ومنها القصار ... وقد أعطينا كل شكل من ذلك قسطه من الاختيار ، ووقينا حظه من التمييز ... هذا سوى ما رسمنا فى كتابنا هذا من مقطعات كلام العرب الفصحاء ، وجمل كلام الأعراب الخُلص ، وأهل اللسن من رجالات قریش والعرب وأهل الخطابة من أهل الحجاز ، وتُتف من كلام النُساك ، ومواعظ من كلام الزهاد »<sup>(٢)</sup> .

ثم يأخذ فى الوفاء بما وعد به ، فيقدم ما شاء من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخطبه ، وخطب الصحابة وأقوالهم ، ثم يقول « قد ذكرنا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبه صدرا ، وذكرنا من خطب السلف » . ثم يعيد بتقديم المزيد : « وسنذكر من مقطعات الكلام وتجاوب

(١) البيان والتبيين ٥/٢ .

(٢) البيان ٧/٢ .

البُلاء ومواعظ النُساك ، ونَقْصِدُ من ذلك إلى القصار دُونَ الطوال ، ليكونَ ذلك أخفَّ على القارئ ، وأبعدَ من السَّامةِ والمَلَل . ثم نعود بعد ذلك إلى الخطب المنسوبة إلى أهلها إن شاء الله « (١) .

ولا يَلِثَ بعد ذلك أن يصرَّحَ . بما يؤكد يقظته التامة إلى ما يصنع :  
« وقد ذكرنا من مَقْطَعَاتِ الكلام ، وقصارِ الأحاديثِ بِقَدَرِ ما أسقطنا به مؤونة الخطب الطوال .

وسنذكر من الخطب المُسنَّدة إلى أربابها مقداراً لا يَسْتَفْرِغُ مجهودَ مَنْ قرأها ، ثم نَعُودُ بعد ذلك إلى ما قَصَرَ منها وخَفَّ ، وإلى أبوابٍ قد تَدْخُلُ في هذه الجملة وإن لم تكنْ مثلَ هذه بأعيانها » (٢) .

والصلة بين هذا النصِّ وما سَبَقَه واضحة ، فهو هنا يُعلنُ أنه قدَّم من الاختيارات ما سَبَقَ أن وَعَدَ به في النصِّ السابق . كل ذلك عن عَمْدٍ ووعْيٍ بما يقدِّم من المواد التي قد يكون بعضها بالذات مرغوباً من قارئ الكتاب أو مَنْ قَدَّمَ إليه . ومن هذا القبيل - أعني توجيهَ مادةٍ معينة إلى قارئ بعينه - ما صرَّحَ به من قوله : « كانت العادةُ في كُتُبِ الميوان أن أجعلَ في كل مصحف من مصاحفها عشرَ ورقات من مَقْطَعَاتِ الأعراب ونوادِر الأشعار لما ذكرتَ عجبكَ بذلك فأحببتُ أن يكونَ حظُّ هذا الكتاب في ذلك أوفر إن شاء الله » (٣) .

وهكذا يستمر في الإعلان عن العديد من الاختيارات من شتى ضروب القول ، فإذا ما قدَّم ضرباً تلاه بغيره ثم وَعَدَ بشالٍ ليقدمه في مكان لاحق، وهكذا (٤) .

(١) البيان ٦٦/٢ .

(٢) البيان ١١٧/٢ .

(٣) البيان ٢٠٢/٣ .

(٤) راجع البيان ٥/٣ ، ٦٨/٣ .

إلى جانب هذا الهدف التعليمي وراء تقديم الجاحظ لاختياراته واستطراده يطالعنا هدف آخر عملي لا يتفصل عن هدفه الأصلي في تثبيت الأفكار الأساسية لكتابه .. هذا الهدف هو دفع السامة والملل عن قارئ الكتاب ، وحثه على مواصلة القراءة والمثابرة عليها .

وبدل حديث الجاحظ . في غير كتاب البيان أيضا . على إيمانه بأمرين يتصل أولهما بالنفس البشرية عموما ومدى قدرتها على تلقى العلم واستيعابه ، ويتعلق الآخر بمثقفى عصره على وجه الخصوص .

وفيما يتصل بالنفس البشرية يرى أن « من شأن النفوس الملائمة لما طال عليها وكثر عندها » <sup>(١)</sup> ، وأن « الأسماع قد تمل الأصوات المطربة والأوتار الفصيحة والأغاني الحسنة إذا طال ذلك عليها » <sup>(٢)</sup> ، وأن « العلم - وإن كان حياة العقل ... فإن حكمه حكم الماء وجميع الغذاء الذى إذا فضل عن مقدار الحاجة عاد ذلك ضررا » ، وبالتالي « فليس لنا أن نكون من الأعوان على ذلك ، ومن الجاهلين بما عليه طبائع البشر ، فإن أقوام ضعيف وأنشطهم سوء ، وإن كانت حالاتهم متفاوتة فإن الضعف لهم شامل ، وعليهم غالب » <sup>(٣)</sup> .

أما بالنسبة لمثقفى عصره فهو سيئ الظن بهم ويقدرتهم على التحصيل والصبر على مشقة العلم ، ولذلك نسمع قوله بعقب بعض تصريحاته فى وجوب الترقق فى عرض أبواب الكتب : « ولولا سوء ظنى بمن يظهر التماس العلم فى هذا الزمان ويذكر اصطناع الكتب فى هذا الدهر ، لما احتجت فى مدارستهم واستمالتهم وترقيق نفوسهم وتشجيع قلوبهم ... إلى هذه الرياضة الطويلة ، وإلى كثرة هذا الاعتذار ، حتى كأن الذى أفيد

(١) رسالة فى كتاب الفتيا - رسائل ٣١٨/١ .

(٢) مفاخرة الجوارى والعلمان - رسائل ٩١ / ١ .

(٣) رسالة فى كتاب الفتيا - رسائل ٣١٨/١ ، ٣١٩ .

إياهم أستفيد منهم ، وحتى كأن رغبتي في صلاحهم رغبة من يرغب في دنياهم ويتضرع إلى ما حوته أيديهم » (١) .

وفي مواجهة هذه الحال يسلك الجاحظ طريقا مزدوجا يقوم على التدرج في تقديم مادته وحسن عرضها من ناحية ، ثم التنوع فيها من ناحية ثانية .

ويظهر أخذه بطريقة التدرج في عرض مادته من قوله في بعض المواضع من كتاب الحيوان : « ولا بأس بذكر ما يعرض ، ما لم يكن من الأبواب الطوال ... فإن ذلك مما لا يخف سماعه ولا تهش النفوس لقراءته .. وأنا كاتب لك بعد هذا . إذ كنت قد أملتك بالتطويل ... ولا أرى أن أزيد في سأمك وأحملك است فراغ طاقتك ... ولكني أبدأ بصغار الأبواب وقصارها ومحقراتها وملاحها لئلا تخرج من الباب الأول إلا وأنت نشيط للباب الثاني ، وكذلك الثالث والرابع إلى آخر ما أنا كاتبه لك إن شاء الله » (٢) .

هذا عن التدرج في عرض المادة استجابة لطبيعة النفس البشرية في ضعفها وقلة صبرها على مشقة العلم . وأما التنوع فيلجأ إليه أيضا كوسيلة إلى نفس الهدف وإلى اجتذاب قارئه النافر من الإطالة ، والمستعصى على الاستمرار في موضوع واحد : « فإن ملك الكتاب ، واستثقلت القراءة فأنت حينئذ أعذر ... وما عندي لك من الحيلة إلا أن أصوره لك في أحسن صورة ، وأقلبك منه في الفنون المختلفة ، فأجعلك لا تخرج من الاحتجاج بالقرآن الحكيم إلا إلى الحديث المأثور ، ولا تخرج من الحديث إلا إلى الشعر الصحيح ، ولا تخرج من الشعر الصحيح الظريف إلا إلى المثل السائر الواقع .... » (٣) .

(١) الحيوان ٥ / ١٥٥ .

(٢) الحيوان ٥ / ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٣) الحيوان ٥ / ١٥٥ ، ١٥٦ .

وهذا هو الأسلوب الذي سار عليه في ( البيان والتبيين ) سعيا وراء الهدف نفسه . من ذلك ما جاء بِعَقِبِ حديثٍ وأشعارٍ في كراهية البعض لِإِنْجَابِ الْإِنَّاثِ مِنْ قَوْلِهِ :

« وهذا البابُ يقع في كتاب الإنسان .... ولكن قد يجري السببُ فَيَجْرى معه بقدر ما يكون تنشيطا لقارئ الكتاب : لأن خروجه من الباب إذا طال لبعض العلم ، كان ذلك أروحَ على قلبه ، وأزيد في نشاطه إن شاء الله » <sup>(١)</sup>.

ويقول في موضع آخر :

« قد ذكرنا ... في صدر هذا الكتاب من الجزء الأول ، وفي بعض الجزء الثاني كلاما من كلام العقلاء البلغاء ، ومذاهب من مذاهب الحكماء والعلماء . وقد روينا نوادر من كلام الصُّبَّان والمُحَرِّمين من الأعراب ، ونوادر كثيرة من كلام المجانين وأهل المرءة من الموشوسين ، ومن كلام أهل القفلة من النوكى ... فجعلنا بعضها في باب الاعتاظ والاعتبار وبعضها في باب الهزل والفكاهة ، ولكل جنس من هذا موضع يصلح له ، ولا بد لمن استكده الجد من الاستراحة إلى بعض الهزل » <sup>(٢)</sup>.

ومن هذا القبيل تصريحه في غير هذا الموضع بأن :

« وجه التدبير في الكتاب إذا طال أن يداوى مؤلفه نشاط القارئ له ، ويسوقه إلى حفظه بالاحتيال له ، فمن ذلك أن يُخرجه من شيء إلى شيء ، ومن باب إلى باب ، بعد أن لا يخرجه من ذلك الفن ، ومن جمهور ذلك العلم » <sup>(٣)</sup> ، وكذلك قوله عند ذكر بقية النوكى والحمقى : « وأحبنا ألا يكون مجموعا في مكان واحد إبقاء على نشاط القارئ والمستمع » <sup>(٤)</sup>.

---

(١) البيان ١/١٨٦ .

(٢) البيان ٢/٢٢٢ .

(٣) البيان ٣/٣٦٦ .

(٤) البيان ٥/٤ .

ومر بنا أن التنوع قد يكون بالخروج إلى بعض فنون الهزل ، وهنا يؤكد الجاحظ أن هذه الفنون لا تقل أهمية عن غيرها من ألوان الجد التي يتشعب إليها الحديث ، على أساس أنها وسيلة إلى الجد وطريق إليه ، وهذا ما يشرحه الجاحظ ، في نص من ( الحيوان ) ردأ على من عاب عليه هذا المسلك : « وهذا كتاب موعظة وتعريف ... وقد غلطك فيه بعض ما رأيت في أثنائه من مزح لم تعرف معناه ، ومن بطالة لم تطلع على غورها ، ولم تدّر لم اجتلبت ولا لأي رياضة تجشمت تلك البطالة . ولم تدّر أن المزاح جد إذا اجتلب ليكون علة للجد ، وأن البطالة وقار ورزاة إذا تكلفت لتلك العاقبة . ولما قال الخليل بن أحمد : لا يصل أحد من علم النحو إلى ما يحتاج إليه حتى يتعلم مالا يحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لا يتوصل إلى ما يحتاج إليه إلا بما لا يحتاج إليه ، فقد صار ما لا يحتاج إليه يحتاج إليه »<sup>(١)</sup>.

ذلك هو تبريره لظاهرة الاستطراد . أو ما يبدو أنه كذلك ، في بعض جوانبها ، لقد حاول أن يسخر بعض هذه المادة لخدمة قراءة الكتاب نفسه ، ولذلك لجأ إلى طريقة التدرج ثم التنوع بإيراد بعض المختارات البعيدة بدرجة ما عن الموضوع المعروض<sup>(٢)</sup>.

(١) الحيوان ٣٧/١ ، ٣٨ .

(٢) جدير بالذكر أن الجاحظ يعتمد نفس الأسلوب في غير ( البيان ) من مؤلفاته ، ومنها كتاب ( الحيوان ) حيث يصرح بنفس الهدف من الاستطراد بالخروج من موضوع إلى موضوع ، وأنه تجديد نشاط القارئ وجذبه إلى مزيد من القراءة . راجع ( الحيوان ) ٩٢/١ ، ٩٣ ، ١٥/٦ ، كما أن من القدماء من أشاروا إلى قصد الجاحظ إلى هذا الهدف ، كالمسعودي ، راجع مروج الذهب ١٠٩/٤ ط بيروت . ومن الدارسين المحدثين من سجل متابعة بعض القدماء للجاحظ في هذا المسلك ، كابن قتيبة في ( عيون الأخبار ) والمحسن التنوخي في ( نثر المحاضرة ) ، راجع : النشر الفني وأثر الجاحظ فيه لعبد الحكيم بليغ ص ١٩٩ ، ٣١١ ، ٣١٢ .

## الوعى بمبدأ النظام فى الكتاب :

غير أن عملية التنوع هذه لم تستول على انتباه الرجل فتجعله ينسى الخطَّ الأساسى ، أو الموضوعَ الرئيسى للكتاب ، أو - بعبارة دقيقة - خصوصية ذلك الموضوع . وهنا نقف عند ظاهرة أساسية فى الكتاب وهى: الوعى بمبدأ النظام فيه .

وهذا الوعى يتضح فى أكثر من مظهر ، من بينها :

١ - النصّ على ما ليس من موضوع الكتاب .

٢ - الوعى بترتيب مادة الكتاب فى داخله .

٣ - الوعى بالهدف من الاختيارات الكثيرة التى يوردها - بعيداً عن هدف التنوع للتسلية .

أما عن المظهر الأول وهو النص على ما ليس من موضوع الكتاب فيستجلى فى قصّره الحديث فى كثير من الموضوعات والإحالة فيها على كتب أخرى له ، لأنّ هذا الموضوع أو ذاك ليس من موضوعات (البيان والتبيين) .

من ذلك ما جاء بعقب حديثه ، الذى سبقت الإشارة إليه ، عن بغض البعض لإعجاب البنات من قوله: « وهذا الباب يقع فى ( كتاب الإنسان ) وفى فصل ما بين الذكر والأنثى تاماً ، وليس هذا الباب مما يدخل فى باب البيان والتبيين » (١) .

وفى تعليله لتلقيب واصل بن عطاء بـ ( الغزّال ) يتعرض لعدد من الألقاب التى لحقت عدداً من الأشخاص ، ثم يقول : « وهذا الباب مُستَقْصَى فى كتاب ( الأسماء والكُنَى ) ، وقد ذكرنا جُمْلَةً منه فى كتاب (أبناء السراى والمهيرات) » (٢) . ثم يكرّر نفس التصريح فى معرض الحديث

(١) البيان والتبيين ١ / ١٨٦ .

(٢) البيان ١ / ٣٤ .

عن بعض من كان له كنيستان إحداهما فى الحرب والأخرى فى السلم : «وهذا الباب مستقصى مع غيره فى أبواب الكنى والأسماء ، وهو وارد عليكم إن شاء الله» (١).

وينقل عن إبراهيم بن هانئ - أحد معاصريه - كلاما فى الصفات الخلقية المفضلة فى بعض الفئات ، ثم يقول :

« وهذا الباب يقع فى ( كتاب الجوارح ) مع ذكر البرص والعرج والعسر ... وغير ذلك من علل الجوارح ، وهو وارد عليكم - إن شاء الله - بعد هذا الكتاب » (٢).

كما يُورد شعراً للأعشى ، وآخر لبشار فى وصف المرأة الجميلة ووصف لونها ، ثم يقول :

« ولبشار - خاصة - فى هذا الباب ما ليس لأحد ، ولولا أنه فى كتاب ( الرجل والمرأة ) وفى باب القول فى الإنسان فى ( كتاب الحيوان ) أَلَيَقُ وأزكى ، لذكرناه فى هذا الموضع » (٣).

كما جاء قوله فى موضع آخر :

« ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ، وجهلوا هذا الباب ألبتة ، ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل فى باب صناعة الكلام لفسرتها لكم » (٤).

ويقول - فى سياق الحديث عن منافع العصا :

« والذي نحنُ ذاكروه من ذلك فى هذا الموضع قليلٌ من كثير ما ذكرنا فى كتاب ( العرجان ) ، فإذا أردتموه فهو هناك موجودٌ إن شاء الله » (٥).

(١) البيان ١/٣٤٣ .

(٢) البيان ١/٩٥ .

(٣) البيان ١/٢٢٥ .

(٤) البيان ١/٧٨ .

(٥) البيان ٣/٧٤ .



وربما تكون الدلالة هنا بالسلب ، أعنى أن الحديث ليس مباشرا ولا صريحا عن موضوع الكتاب ، ولكن ممّا لا شكّ فيه أن النصّ على أن الكلام في هذا الموضوع أو ذاك لا يدخل ضمن ما ينبغي الحديث عنه في كتاب يعالج قضية ( البيان والتبيين ) له دلالة على تصوّر الرجل لما يدخل في إطار هذا الموضوع ، وما يخرج عن هذا الإطار .

أما المظهر الثانى وهو الوعى بترتيب مادة الكتاب فى داخله فواضح من أحاديثه المتكررة عن الموضوع المناسب لهذا الموضوع أو ذاك ... والوعى بما سوف يقدم من أبواب وما سيذكر من أحاديث ، وعلى سبيل المثال : يقول فى حديثه فى ( باب البيان ) :

« وكان فى الحق أن يكون هذا الباب فى أول هذا الكتاب ولكنّا أخرناه لبعض التدبير » (١) .

وفى حديثه عن البيان وسؤال موسى عليه السلام ربه أن يحلّ عقدة لسانه يقول :

« وسنقول فى شأن موسى عليه السّلام ومسألته فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله » (٢) . ليرد الحديث بعد ذلك عن موسى عليه السلام فى مسألتين : الأولى : عقدة لسانه ، وطبيعتها وسؤاله الله سبحانه أن يحلّها . وذلك فى سياق الحديث عن البيان والعبي وما يعتري اللسان من الآفات (٣) . والمسألة الثانية : هى عصاه ، والكلام عن المآرب التى أودعها الله سبحانه فيها ، ونفعها له ، وذلك فى ( كتاب العصا ) من الجزء الثالث (٤) .

ومعنى هذا أنه كان على بينة من إمكان الانتفاع بحديث موسى عليه

(١) البيان ١/٧٦ .

(٢) البيان ١/٨ .

(٣) البيان ١/٣٦ ، ٣٧ ، ٢٧/٤ ، ٢٨ .

(٤) البيان ٣/٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١١٣ ، ١٢٢ .

السلام من هاتين الزاويتين ، ومن هنا كانت إشارته . أو وعده . فى مطلع كتابه بسوق الحديث عن موسى ومسألته فى موضعه من الكتاب .

ومن هذا القبيل وعيه بما ينوى سوقه من أخبار خطباء القبائل وترتيبهم ، وهو ما كرر الوعد به فى أكثر من موضع :

« وسنذكر كلام قس بن ساعدة ، وشأن لقيط بن معبد ... وخطباء إباد إذا صرنا إلى ذكر خطباء القبائل إن شاء الله » (١) .

« وإذا صرنا إلى ما يحضرنا من تسمية خطباء بنى هاشم وبلغاء رجال القبائل ... ولأتنا عسى أن نذكر جملة من خطباء الجاهليين والإسلاميين والبدويين والحضرين ، وبعض ما يحضرنا من صفاتهم وأقدارهم ومقاماتهم ، وبالله التوفيق » (٢) .

فإذا أقعده العجز والمرض عما وعده به من تنظيم العرض وترتيب الأولويات فيه لم ينس وعده وإنما نراه يعتذر عن عدم الوفاء به ، لأنه يعرف ما ينبغى وإن كان لا يستطيع تحقيقه ، وهكذا جاء تصريحه :

« كان التدبير فى أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم ، وأسماء أهل الإسلام على منازلهم ، ونجعل لكل قبيلة منهم خطباء ، ونقسم أمورهم باباً باباً على حديثه ، ونقدم من قدمه الله ورسوله عليه السلام فى النسب ، وفضله فى الحسب ، ولكنى لما عجزت عن نظمه وتنزيده تكلفت ذكرهم فى الجملة ، والله المستعان » (٣) .

(١) البيان ٥٢/١

(٢) البيان ٩٢/١ .

(٣) البيان ٣٠٦/١ ، وقد يكون من المفيد هنا أن تشير - مجرد إشارة - إلى معاصرة الجاحظ لابن سلام الجُمُحِيّ ٢٣٦ هـ صاحب ( طبقات فحول الشعراء ) الذى قسم شعراءه وفقاً لزمّتهم إلى جاهليين وإسلاميين ، وأن يُبدي مجرد تساؤل عن احتمال أن يكون الجاحظ قد فكّر فى أن يقدم تقسيماً للخطباء إلى طبقات جاهلية وطبقات إسلامية ، موازياً لتقسيم ابن سلام لشعرائه ، وإن كان الجاحظ لم يحقق عملية التقسيم على نحو عملى .

والاعتذارُ هنا خاصٌ بمسألة تنظيميةٍ بحتة ، أى أنه لم ينقص شيئاً من مادته ، وإنما هو لم يستطع - فقط - أن ينسّقها على النحو الذى وعد به .

وقريب من هذا مسلكه فى الحديث عن مطاعن الشعوبية على العرب فى اتّخاذهم العِصَى والمُخَاصِرَ عند الخطابة .. لقد صرّح قرب نهاية الجزء الأول بقوله :

« وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب فى خطبها المخصرة والقناة والقضيبة ... بكلامٍ مستكرهٍ سنذكره فى الجزء الثانى إن شاء الله » (١) .

وهنا نلاحظ أنه لم ينسَ وعده ، حتى بعد أن بدا له أن يؤجّل ذلك إلى الجزء الثالث ، فجاء قوله فى مقدمة الجزء الثانى :

« أردنا . أبقاك الله . أن نبشّرك بصدور هذا الجزء ... بالرد على الشعوبية فى طعنهم على خطباء العرب وملوكهم .. ولكننا أحببنا أن نصيّر صدر هذا الباب كلاماً من كلام رسول رب العالمين والسلف الصالحين » (٢) .

فإذا جاء صدر الجزء الثالث وفى بوعده وقال :

« نبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية ... ويمطّاعنهم على خطباء العرب ... » (٣) .

وكثيراً ما تُصادفنا فى الكتاب تنبيهاتٌ من مثل :

« ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول ... » ٥٧/١ ، ٩٦

« ثم رجع القول إلى ذكر الإشارة » ٩١/١

« وتلحق هذه المعانى بأخواتها قبل .. » ١١١/١

(١) البيان ٣٨٣/١ .

(٢) البيان ٥/٢ .

(٣) البيان ٥/٣ ، ٦٠ .

« ويصير هذا الشعر وما أشبهه مما وقع في هذا الباب إلى الشعر الذي في أول الفصل » ١ / ٢١٧ .

وهذا يعنى أن لكل نص في الكتاب موضوعا ، وأن لكل موضوع موضوعا ينبغى أن تتجمع فيه النصوص المتصلة به ، فإذا ابتعد النص المتصل بأحد الموضوعات عن مكانه فلا بد من الإشارة إلى ذلك .

فإذا جدَّ خبرٌ أو موضوع أو حديث عن شخص يمكن الإفادة منه في أكثر من موضع ... أسرع بالإشارة إلى ذلك والتنبيه على المواضع التي يمكن أن يفادَ فيها بهذا الخبر أو الحديث . من ذلك حديثه عن أبى الأسود الدؤلى وأنه كان قد جمع شدة العقل وصواب الرأي وجودة اللسان وقول الشعر ، ثم يجيء قوله : « وهو يعدُّ في هذه الأصناف ، وفي الشيعة ، وفي العرجان وفي المغاليج » ثم يقول : وعلى « كل شيء من هذا شاهد سيقع في موضعه إن شاء الله تعالى » (١) .

أكثر من هذا نلاحظ حرصه على أن يسوق المبرر لكل ما يمكن أن يكون هدفاً للسؤال مما يتعلق بترتيب مادة الكتاب .. ومن هذا القبيل تعليقه - في سياق الكلام عن فضائل العصا واتخاذ الأنبياء لها - لتقديم الكلام عن سليمان عليه السلام قبل الكلام على عدد من الأنبياء الذين اتخذوها : « قال أبو عثمان : وإنما بدأنا بذكر سليمان صلى الله عليه وسلم لأنه من أبناء العجم ، والشعوبية إليهم أميل ، وعلى فضائلهم أحرص ، ولما أعظم الله أكثر وصفاً وذكرًا » (٢) .

وهو حرص على تبرير صنيع لعله لو ترك تبريره ما كان لیسأل عنه أحد ، ولكنها الدقة والوعى بالنظام في هذه العقلية الكبيرة .

(١) البيان ١ / ٣٢٤ .

(٢) البيان ٣ / ٣١ .

أما المظهر الثالث للوعى بالنظام فيتجلى فى وعيه بالهدف من هذه الاختيارات الكثيرة والوظائف التى تؤدىها فى بنية الكتاب وفى سبيل هدفه ، فهذه الاختيارات إما للحفظ والمذاكرة ، وإما للتدريب وتهذيب الطبع ، وإما للتدليل على صحة القضايا والقروض التى يطرحها .

ومن مظاهر تنبيهه إلى الوظيفة الأولى تصريحه - بعد كلام لمحمد بن على بن عبد الله بن عباس ... بقوله :

« وهذا كلام شريف نافع ، فاحفظوا لفظه وتدبروا معناه » <sup>(١)</sup> وقوله - بعد قطعة فى أسيلم بن الأحنف الأسدى - :

« وهذا الشعر من أشعار الحفظ والمذاكرة » <sup>(٢)</sup> .

وقوله فى موضع آخر :

« ونذكر هنا أبيات شعر تصلح للرواية والمذاكرة » <sup>(٣)</sup> .

كذلك يبدأ الجزء الثالث بقوله :

« هذا - أبقاك الله - الجزء الثالث من القول فى البيان والتبيين ، وما شابه ذلك من غرر الأحاديث ... وبعض ما يجوز فى ذلك من أشعار المذاكرة والجوابات المنتخبة » <sup>(٤)</sup> .

أما الالتفات إلى الوظيفة الثانية - أعني تهذيب الطبع والمساعدة على الإجابة فى القول - وهى نتيجة طبيعية للهدف الأول - فيتجلى فى مثل قوله :

« ومتى كان اللفظ ... كريماً فى نفسه متخيراً من جنسه وكان سليماً

(١) البيان ٨٥/١ .

(٢) البيان ٣٩٦/١ .

(٣) البيان ١٨٦/٢ .

(٤) البيان ٥/٣ .

من الفضول ، برزنا من التعقيد ، حُبب إلى النفوس واتصل بالأذهان ،  
والتحَمَ بالعقول ... وَخَفَّ عَلَى أَلْسِنِ الرُّوَاةِ وَشَاعَ فِي الْأَنَاقِ ذِكْرُهُ ، وَعَظُمَ  
فِي النَّاسِ خَطَرُهُ ، وَصَارَ مَادَّةً لِلْعَالَمِ الرَّئِيسِ وَرِيَاضَةً لِلْمُتَعَلِّمِ  
الرَّيِّضِ<sup>(١)</sup> .

ومررنا بتصريحه بأن « الإنسان بالتعلم والتكلف ، وبطول الاختلاف  
إلى العلماء ومُدارسة كُتُبِ الحُكَمَاءِ يَجُودُ وَيَحْسُنُ أَدَبُهُ »<sup>(٢)</sup> وهو يعنى أن  
أحد أهدافه من إيراد هذه النصوص والاختيارات مساعدة شدة الأدب على  
الإتقان والإجادة .

والواقع أن الناظر المتأنّي في الكتاب يمكنه أن يجد المبرر المقبول لكل  
ما ورد فيه بما يُعَدُّ لَدَى البعض من قبيل التطويل . فليس ثمة نص إلا وله  
وظيفة ، وإذا صرفنا النظر عن مجموعة الاختيارات من الخطب وأقوال  
السلف وأقوال الزهاد والنسك ، والنوادر من المعلمين والحقوقي ... إلخ  
ووظيفتها من التهذيب والتدريب والحث على المذاكرة معروفة ... ثم عدنا  
إلى كثير من إطلاقاته واستشهاداته الكثيرة لوجدنا أن لكل منها دوره  
في غالب الأحيان ، إن لم يكن في كل الأحيان .

والدليل على ذلك أن النص الوارد على سبيل الاستطراد لا يعرّي من  
صلة ما بالموضوع الأصلي للحديث ، ومن هنا تتنوع النصوص المستطرّد  
إليها بتنوع الموضوعات الأساسية ، وتكون استطراداته عندئذ بمثابة  
الإطار ، أو الخلفية التي تعمق من فهم القارئ للنص الأساسي كما تزيد  
- في الوقت نفسه - من قيمة النص الأصلي .

ولنتظر كيف أتى بالمثال على تجنب واصل بن عطاء ت ١٣١ هـ للنتنظ  
بصوت الرأ في كلمة يتند فيها بالشاعر بشار بن برد ويكرهه : فالجاحظ

(١) البيان ٨/٢ .

(٢) البيان ٨٦/١ .

يبدأ بذكر لثَغَةِ واصل ، وقُبْحِها وشناعَتِها ، ويزيد أنه كان طويلَ العُنُقِ جداً ، ولذلك قال بشار :

مَالِي أَشَائِعَ غَزَالًا لَهُ عُنُقٌ كَنَقَتِ الدُّوَانُ وَلِي وَإِنْ مَثَلًا

ثم يقول : « فلما هَجَا واصلًا ، وصَوَّبَ رأيي إبليس في تقديم النار على الطين ، وقال :

الأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مَذْكَانَتِ النَّارُ

وجعل واصل بن عطاء غزلاً ، وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ... قال واصل بن عطاء عند ذلك : ( أما لهذا الأعمى ، المُلحد ، المُشْتَفِّ ، المُكْنِي بأبى مُعَاذٍ مَنْ يُقْتَلُهُ ؟ أما والله لولا أن الغيلة سَجِيئةٌ من سَجَايا الغالية لبعثتُ إليه من يَنْعِجُ بطنه على مضْجَعه ، ويقتله في جوف منزله ، وفي يوم حَفْلِهِ ) « ، لينقل لنا الجاحظ - بعد ذلك ما يروى عن أبى حفص عمر بن أبى عثمان الشُّمَيْرِي من إيضاحات على مقدرة واصل في اختيار الكلمات الخالية من الرأء بدلا من مرادفاتِها المُشتملة عليها ، وإن كانت هذه المرادفاتُ أَفْصَحَ من وجهة النظر اللغوية البهتة<sup>(١)</sup> .

هذا مَثَلٌ لكيفية تقديمه للأخبار والنصوص موضع الشواهد ، وواضح أنه يعود إلى الورا لِيُورِدَ ما يمكن أن يُسمَّى بـ ( قصة النص ) أو ( إطار النص ) بحيث يشعر القارئ بشيء من تسلسل الإيراد وتتابع الانتقالات .

وبقى لدينا موضع - أو مواضع - الاستشهاد ذاتها في النص وتلك هي الكلمات الخالية من الرأء مثل : المُشْتَفِّ والمُلحد ، وبعثت ومضْجَعه ، فهذه الكلمات جاءت بدلا من مرادفات مشتملة على الرأء هي - على الترتيب - ( المُرْعَث ، الكافر ، أرسلت ، فراشه ) .

وهنا لا يدعُ الجاحظ هذه القضية تغلت من يده .. فالكلمات التي

تَجَنَّبُهَا وَاصِلٌ هِيَ الْأَفْصَحُ ، وَلَكِنَّهُ اضْطُرَّ إِلَى تَرْكِهَا لِتَسْتَخْلَصَ مِنْ عَيْبِ لِسَانِهِ فِي نُطْقِ الرَّأْيِ ، وَهَذَا - وَعَلَى سَبِيلِ مَا يَبْدُو دَفَاعًا عَنْ وَاصِلٍ مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَضَرْبًا لِمَثَلٍ قَدْ فِي تَغْلِبِ الْخَطِيبِ عَلَى أَحَدِ الْعُيُوبِ الْخَطِيبَةِ فِي النُّطْقِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى - يُلْجَأُ الْجَاهِظُ إِلَى تَعْمِيمِ الظَّاهِرَةِ ، فَيَقُولُ :

« وَقَدْ يَسْتَخْفُ النَّاسُ أَلْفَاظًا وَيَسْتَعْمِلُونَهَا وَغَيْرُهَا أَحَقَّ بِذَلِكَ مِنْهَا » وَأَنَّ الْعَامَّةَ رُبَّمَا اسْتَخَفَّتْ أَقْلَ اللَّفْظَيْنِ وَأَضْعَفَهُمَا ، وَتَسْتَعْمِلُ مَا هُوَ أَقْلُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ اسْتِعْمَالًا وَتَدَعُ مَا هُوَ أَظْهَرُ وَأَكْثَرُ ، وَلِذَلِكَ صَرَرْنَا نَحْدُ الْبَيِّنَةِ مِنَ الشَّعْرِ قَدْ سَارَ ، وَلَمْ يَسِرْ مَا هُوَ أَجْوَدُ مِنْهُ ، وَكَذَلِكَ الْمَثَلُ السَّائِرُ <sup>(١)</sup> .

فَالظَّاهِرَةُ - إِذَنْ - أَعْنَى شَيْوَعِ الْأَضْعَفِ أَوْ الْمَفْضُولِ وَخُمُولِ الْأَقْوَى أَوْ الْفَاضِلِ - أَعْمُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَخْلُو مِنَ الرَّأْيِ .

وَلَا يَقْنَعُ الْجَاهِظُ بِهَذَا حَتَّى يَبْلُغَ بِالْقَضِيَةِ مِنَ الْعُمُومِ مَدًى يَتَجَاوَزُ ظَاهِرَةَ اللُّغَةِ كُلِّهَا ، وَالشَّعْرَ ، وَالْأَمْثَالَ ، إِلَى بَعْضِ ظَوَاهِرِ الْاجْتِمَاعِ ، فَ« قَدْ يَبْلُغُ الْفَارِسُ وَالْجَوَادُ الْغَايَةَ فِي الشَّهْرَةِ ، وَلَا يُرْزَقُ ذَلِكَ الذِّكْرُ وَالتَّنْوِيَةُ بَعْضُ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُ .. » وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي الْخُطْبِ ، فَقَدْ يُرْزَقُ الْخُطِيبُ مِنَ الشَّهْرَةِ مَا غَيْرُهُ أَوْلَى بِهِ مِنْهُ <sup>(٢)</sup> .

وَوَاضِحٌ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ قَدْ تَجَاوَزَتْ طَبَقَاتِ الْفَصَاحَةِ فِي الْكَلَامِ وَتَرَكَ النَّاسَ لِلْفَصِيحِ وَاسْتِعْمَالَ مَا هُوَ أَقْلُ فَصَاحَةً ... إِلَى ظَاهِرَةِ اشْتِهَارِ الْمَفْضُولِ وَخُمُولِ الْفَاضِلِ مِنَ الْكَلِمَاتِ وَأَبْيَاتِ الشَّعْرِ وَالْأَمْثَالَ وَالْفُرْسَانِ وَالْخُطْبَاءِ ، وَكَأَنَّنَا أَمَامَ الْمُبْدَأِ الشَّيْعِيِّ الزَّيْدِيِّ فِي جَوَازِ إِسَامَةِ الْمَفْضُولِ مَعَ وَجُودِ الْأَفْضَلِ <sup>(٣)</sup> ، كُلُّ ذَلِكَ - فِيمَا يَبْدُو - مِنْ أَجْلِ تَبْرِيرِ مَا صَنَعَهُ وَاصِلٌ فِي اسْتِخْدَامِ كَلِمَاتٍ غَيْرِهَا أَفْصَحُ مِنْهَا ، وَإِنْ كَانَتْ هِيَ الْكَلِمَاتُ الْأَنْسَبُ

(١) الْبَيَانُ ٨ / ٢٠ .

(٢) الْمَوْضِعُ السَّابِقُ .

(٣) جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ أَيْضًا قَالُوا بِهَذَا الْمُبْدَأِ . مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ٢ / ١٣٤ .



بالقياس إلى عاهته (١).

فإذا كانت القضية المعروضة هي مقدرةً واصل وبلاغته - رغم عاهته - فليس هناك ما يمنع من إيراد أشعار في مدحه بهذه الصفة وأخرى في هجائه وهجاء المعتزلة ، وثالثة في الرد عليها وتفنيد ما جاء بها ... (٢).

وهكذا يتسلسل الحديث في الكتاب دون أن يُحسَّ القارئ لا بالملل ولا بأن صاحب الكتاب قد أقحم شيئاً لا لزوم له ، لأنه ما من شيء مما يورده في سياق موضوع من الموضوعات إلا وله غالباً عُلقة بهذا الموضوع من زاوية ما .

فالحديث عن الحروف التي تدخلها اللُثغة (٣) ذو صلة بحديث واصل ، وحديث واصل نفسه ذو صلة بما كان قبله من حديث في العيِّ والحَصْر ونقص آلة البيان ، وكذلك الحديث عن عيوب الخطابة وعيوب الخطيب من الاستعانة بالغريب ، والتشادق والنظر في عيون الناس ، ومسّ اللحية ، والخروج مما بُني عليه أول الكلام وما يقابل ذلك من حديث منسوب لأبي دؤاد بن حريز عن الخطابة وصفة الخطيب الجيد (٤) وكأنما قصد بهذا الحديث عن أعلى مراتب الإجادة في الخطابة أن يكون في مقابل ما سبق من الحديث عن عيوب الخطيب ، وبالذات عيوب النطق وما يعترى اللسان والخلق من الآفات .

فإذا اختتم الكلام عن أبي دؤاد بن حريز يذكّر عدد من الأبيات الشعرية له ، ووصفه بأنه « كان أحَدَ من يجيد قريضَ الشعر وتحخير الخطب » عقب ذلك بقوله : « وفي الخطباء من يكون شاعرا ... وربما كان

(١) يسلك الملاحظ هذا الأسلوب كثيرا ، في البيان والتبيين ، وفي غيره من كتبه ، راجع -

على سبيل المثال - البيان والتبيين ١٤/٢ ، ١٥ ، الحيوان ١٠٢/٢ ، ١٠٣ .

(٢) البيان ٢١/١ - ٣٤ .

(٣) ٣٤-٣٤/١ .

(٤) ٤٤/١ .

خطيباً فقط ، وبينَ اللسان فقط » <sup>(١)</sup> ... فإذا وصل إلى بشار بن برد - باعتباره شاعراً وخطيباً <sup>(٢)</sup> - استطرد من ذلك إلى الحديث عن المطبوعين من الشعراء ، وهم « بشار العُقَيْلى ، والسَّيد الحميرى ، وأبو العتاهية وابنُ أبى عُيَيْنَةَ » <sup>(٣)</sup> ، فإذا وصل إلى العتَّابى باعتباره ممن يجمعون بين الخطابة والشعر والرسائل .. تحدث عن بديعه ، ثم تحدث عن شعراء البديع ، وهم : العتَّابى وبشار وابنُ هرْمَةَ <sup>(٤)</sup> .

وقد يجعل الخبرُ وصلةً إلى الخبر ، والحديثُ عن الشخص وصلةً للحديث عن غيره ، مثلاً : يتكلم عن عبِيد الله بن زياد بن ظبيان - قال له أشيم بن شقيق بن ثور : « ما أنت قائلُ لريك وقد حملتُ رأس مُصْعَب بنِ الزَّيْبِرِ إلى عبد الملك بن مروان ؟ قال : اسكُتْ فأنْت يوم القيامة أخطب من صَعْصَعَة بنِ صُوحان إذا تكلمت الخوارج » ثم يقول الجاحظ : « فما ظنك ببلاغة رجل عبِيد الله بن زياد يضرب به المثل . وإنما أردنا بهذا الحديث خاصةً الدلالة على تقديم صَعْصَعَة بنِ صُوحان فى الخطب » <sup>(٥)</sup> .

وعلى هذا النحو تمضى موضوعاتُ الكتاب يأخذ كل منها بطرف الآخر ، حتى ليصعب على قارئه فى بعض الأحيان أن يجد مكاناً للتوقف عنده نظراً لشدة التجاذب بين الأفكار فى المواضيع المختلفة .

ومع ذلك فمن الصعب وصف هذا المسلك بأنه تزيد من الرجل ، قد يوصف الكتاب بشيء من اختلال الترتيب . وهو ما أحسه الجاحظُ واعتذر عنه وحاول تلافى آثاره . أما التزيدُ فنادراً ما يمكن تسجيله . والدليل على ذلك أن ننظر فى الأشعار التى احتواها الكتاب ، والتى قد يتبادر أنها

(١) البيان ٤٤/١ ، ٤٥ .

(٢) البيان ٤٩/١ .

(٣) البيان ٥٠/١ .

(٤) البيان ٥١/١ .

(٥) البيان ٣٢٦/١ ، ٣٢٧ .

مجرد نصوص جيدة للحفظ والمذاكرة فحسب . شأن الاختيارات فى الكتب الأخرى . لنجد أن للكثير منها وظائف أساسية بحيث يتداخل وجودها ويتلاحم عضويًا مع بقية حلقات السياق الذى جاءت فيه مهما تكن الموضوعات التى تدور حولها هذه الحلقات :

وأبرز الوظائف التى نلمحها لهذه النصوص وظيفة الوثيقة العلمية التى يستشهد بها على فكرة معينة ، أو إثبات فرض معين<sup>(١)</sup> .. ومن هذا القبيل الأشعار الواردة فى قُبْح العِيّ والحَصَر كصفتين مضاوئتين للبيان<sup>(٢)</sup> والأشعار الواردة فى حسن الحديث ، وأنْ بذل الحديث الحَسَن للضيف جانبٌ من قرأه<sup>(٣)</sup> ، وكذلك الأشعار التى سجلها فى صفة التنافر فى أبيات الشعر وكلماته<sup>(٤)</sup> ، فإذا كان الحديث عن خطيب مرموق فإن ما قيل فيه من الأشعار - حياً وميتاً - يمثل مادة خصبة لا يتركها الجاحظ<sup>(٥)</sup> ، ومن هذا القبيل ما مرّ بنا مما قيل فى واصل ابن عطاء سواء فى التنويه به أو الهجوم عليه .

وبفصح الجاحظ فى كثير من الحالات عن وعيه بهذا المسلك وذلك فى تقديمه للأشعار فى المواضع المختلفة ، نحو قوله فى سياق الحديث عن الدلالة بالإشارة - « وقد قال الشاعر فى دلالات الإشارة »<sup>(٦)</sup> وقوله فى سياق الحديث عن دلالة النُصْبَة : « ومتى دل الشيء على معنى فقد أخبر عنه ، وإن كان صامتاً ، وأشار إليه وإن كان ساكناً ... وقال عنترة بن شداد العبسى - وجعل نعيب الغراب خبراً للزاجر ... »<sup>(٧)</sup> ، وقوله : « وما

---

(١) البيان ١/٣٢٦ ، ٣٢٧ .

(٢) تنبه إحسان عباس إلى هذه الوظيفة . يراجع : تاريخ النقد .. ص ٩٤ .

(٣) البيان ٣/١ - ٦ .

(٤) البيان ٩/١ - ١١ .

(٥) البيان ١/٦٦ .

(٦) البيان ١/٧٨ .

(٧) البيان ١/٨١ ، ٨٢ .

قالوا فى الإيجاز ويلوغ المعانى بالألفاظ اليسيرة « (١) » .

وربما عقد الأبواب المستقلة ليورد من الشعر ما قيل فى أحد موضوعات الكتاب ، ومن هذا القبيل ما أورده « مما قالوا فى صفة اللسان » (٢) ، و « ذكر ما قالوا فى مديح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنثور » (٣) ، و « باب آخر فى ذكر اللسان » (٤) و « باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل فى باب الخطب » (٥) « باب منه آخر : ووصفوا كلامهم فى أشعارهم فجعلوها كبرودِ العَصَب ، وكالحُلل والمعاطف والذبياج والوشى » (٦) وكذلك ما أورده من « باب ما قيل فى المخاصر والعصى وغيرهما » (٧) و « باب آخر من الشعر مما قالوا فى الخطب واللسن والامتداح به والمديح عليه » (٨) و « باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المحذوف والقليل الفضول » (٩) .

ومن ناحية أخرى فإن كثيرا من النصوص الواردة فى الكتاب إن هى إلا شواهد وأمثلة على الظواهر التى يتناولها بالحديث كالسجع والازدواج والبديع - كما فهمه - والإيجاز ، وغير ذلك . ومن هذا القبيل الأشعار التى يوردها كأمثلة على استخدام بعض الخطباء لألفاظ المتكلمين دون حاجة من المناسبة (١٠) والأشعار التى استخدم أصحابها مثل هذه الألفاظ على سبيل

(١) البيان ١/١٤٩ .

(٢) البيان ١/١٥٩ .

(٣) ١ البيان / ١٦٦ .

(٤) البيان ١/١٧٢ .

(٥) البيان ١/٣١٨ .

(٦) البيان ١/٢٢٢ .

(٧) البيان ١/٣٧٠ .

(٨) البيان ١/٢٣١ .

(٩) البيان ١/٢٧٦ .

(١٠) البيان ١/١٤٠ .

التملح<sup>(١)</sup> ، وكذلك الأشعار التي أدخل فيها أصحابها بعض الألفاظ الفارسية<sup>(٢)</sup> وبالمثل النصوص الكثيرة التي أوردها وفتح لها أبوابا خاصة مثل « باب من الأسجاع فى الكلام »<sup>(٣)</sup> و « باب أسجاع »<sup>(٤)</sup> و « باب من مزدوج الكلام »<sup>(٥)</sup> و « باب من الكلام المحذوف »<sup>(٦)</sup> .

وربما لفتته الظاهرة فراح يسجل أمثلتها دون ذكر اسمها : كالذى فعله فى عدد من الأبيات التى تشتمل على صور من الطباق<sup>(٧)</sup> وربما سَمَى الظاهرة ، أو نقل اسمها عن ينسب إليه ثم راح يورد الأمثلة عليها كما فعل فى حديثه عن ( المثل ) وحديثه عن ( البديع )<sup>(٨)</sup> . والحقيقة أنه لا تُعوّزُه المناسبة ليضم نصّا إلى آخر . فقد تأتى المناسبة من اشتراك الموضوع بين النصين ، أو اشتراك الظواهر الأسلوبية . كالإيجاز والإطناب . أو الظواهر البديعية . كالازدواج والسجع والطباق . بل إن الكلمة الواحدة قد تشدُّ فى أحد النصوص فإذا به يتوقّف ليجمع الأمثلة المشتملة عليها ، وعلى سبيل المثال : يتحدث عن قبيلة عُكْل ، ويقول إن فيهم شعراً وفصاحة ثم يذكر ما زعمه يونس من « أن عُكْلاً أحسنُ الناس وجوهاً فى غِبِّ حَرْبٍ » وقول بعض بنى تميم :

خَلِيلِي الْفَتَى الْعُكْلِي لَمْ أَرِ مِثْلَهُ      تَحَلَّبُ كِفَاهِ نَدَى شَانِعِ الْقَدَرِ  
كَأَن سُهَيْلاً . حِينَ أَوْقَدَ نَارَهُ      بَعْلِيَاءَ . لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ يَسْرِى

(١) البيان ١٤١/١ .

(٢) البيان ١٤١/١ - ١٤٤ .

(٣) البيان ٢٨٤/١ .

(٤) البيان ٢٩٧/١ .

(٥) البيان ١١٦/٢ .

(٦) البيان ٢٧٨/٢ .

(٧) البيان ١٤٩/١ - ١٥٢ ، ٧٢/٣ .

(٨) البيان ٥٥/٤ .

ثم يقول : « ولم أكتب هذا الشعر ليكون شاهداً على مقدار حظهم في الشرف ، ولكن لنضعه إلى قول جرّان العود :

أراقب لمحا من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل يظرف<sup>(١)</sup>  
وواضح أن كلمة ( سهيل ) هي الجامع بين النصين .

وقد يبدأ الأمر بالتفاتة إلى كلمة مشتركة . كما حدث هنا . فيورد ما اشتمل عليها من نصوص ، ولا يتجاوز ذلك ، وقد يتجاوزه فينتقل انتباهه إلى ظاهرة فنية . كالطباق . فإذا به يستمر في إيراد النصوص المشتمة على الظاهرة متجاوزا الجامع الأول . أو السبب الأول . وهو الاشتراك في هذه الكلمة أو تلك .

من ذلك إirاده لقول محمد بن يسير في وصف قسيّ ضمن أبيات :  
عطف السيّات موانع في عطفها تُعزى إذا تُسبت إلى عصفور  
ثم يقول : « ذهب إلى قوله :

\* في كفه معطيةً متنوع \*

وهذا مثل قوله : \* خرقاء إلا أنها صنّاع \*

وهذا مثل قوله : \* غادر داءً ونجاً صحيجا \*

ومثل قوله : \* حتى نجا من جوفه وما نجا \*<sup>(٢)</sup>

وكما نرى : فإن الجامع بين بيت ابن يسير والشرط الذي يليه هو كلمة ( موانع ) وكلمة ( متنوع ) ، ولكن الأمر يختلف بين الأشطر الأربعة الأخيرة ، فظاهرة المطابقة . وليس مادة الكلمات . هي التي تجمعها ، وهي . بطبيعة الحال . التي لفتت نظر الجاحظ إليها .

(١) البيان ٣٩/٤ . ٤٠ . ويراجع في استهوا . الكلمة الواحدة له وجمع النصوص المشتمة

عليها ٢٣٢/١ .

(٢) البيان ٧٢/٣ .

وقد يبدأ الأمرُ بكلمة - كما مرَّ - ثم يستطرد إلى ذكر نماذج من استخداماتها في عدد من الدلالات التي تتحملها الكلمة ، بما قد يؤدي إليه ذلك من الوقوف على قضايا نقدية ، أو لغوية . ومن ذلك حديثه عن معنى ( وَزَنَ الكلام ) و ( الكلام الموزون ) مما ورد في كلام بعض الشعراء ، جاء عنده :

« وما ذكروا فيه الوزنَ قوله :

زني القولَ حتى تعرفي عند وزنيهم إذا رفع الميزان كيف أميل<sup>(١)</sup> .

ثم قال :

« وباب منه آخر ، ويذكرون الكلامَ الموزونَ ويمدحون به ويفضلون إصابة المقادير ، ويذمون الخروج من التعديل » .

و ( وَزَنُ الكلام ) هنا - أي عنده - يعنى إيراد كل كلمة أو صفة بالقدر اللازم بغير نقص ولا زيادة ، ومن هنا كان هجاء الشاعر لبعضهم :

ما شئت من بقلّة سقواء ناجيةٍ ومن أثاثٍ وقولٍ غير موزونٍ  
وكان فخرُ بعضهم :

فإن أكْ معرُوقَ العظامِ فإِنني إذا ما وزنتِ القومَ بالقومِ وأزنُ .  
وكان مدحُ مالك بن أسماءَ لبعض نسائه :

وحديثُ ألدّه هو ممّا ينعتُ الناعتون يوزنَ وزناً

ثم تأتي قضية إصابة المقدار - في الكلام ، وفي الحظوظ من كل شيء :  
الطعام والماء ... إلخ .

من هنا كان قولُ جعفر بن سليمان « ليس طيبُ الطعام بكثرة الإنفاق وجودة التوابل ، وإنما الشأن في إصابة المقدار »<sup>(٢٢)</sup> .

« وقال طرفة في المقدار وإصابته :

فَسَقَى ديارَكَ غيرَ مُفسِدِها - صَوَّبَ الرّبيعَ وديمه تَهْمِي

(١) البيان ٢٢٦/١ .

(٢) هذه النصوص في ( البيان ) ٢٢٧/١ .

طَلَبَ الْغَيْثَ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ ، لَأَنَّ الْفَاضِلَ ضَارٌّ « (١) .

ومن إصابة المقدار . فيما يبدو . وَضَعُ الشَّيْءِ إِلَى جِوَارٍ مَا يُشَبِّهُهُ ، أَيْ إِلَى جِوَارٍ مَا حَقَّهُ أَنْ يَوْضَعَ مَعَهُ . ومن هنا « قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ لِصَاحِبِهِ : ( أَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ ، قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لَأَتَى أَقُولُ الْبَيْتَ وَأَخَاهُ ، وَأَنْتَ تَقُولُ الْبَيْتَ وَابْنَ عَمِّهِ ) وَعَابَ رُؤْيَةَ شَعْرَ ابْنِهِ عُقْبَةَ فَقَالَ : ( لَيْسَ لَشِعْرِهِ قَرَانٌ ) . وَجَعَلَ الْبَيْتَ أَخَا الْبَيْتِ إِذَا أَشَبَّهُهُ وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يُوَضَعَ إِلَى جَنْبِهِ » .  
وهنا تشدُّه صفة ( الْأَخُوَّةُ ) هذه فيقول : « وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ قَالَ الْأَعَشَى :

أَبَا مِسْمَعٍ أَقْصِرْ فَإِنَّ قَصِيدَةَ      مَتَى تَأْتِيكُمْ تَلْحَقُ بِهَا أَخَوَاتُهَا  
وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ « وَمَا نُزِّيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا » وَقَالَ  
عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِيبٌ :  
وَكُلُّ أَخٍ مُقَارِفُهُ أَخُوهُ      لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ « (٢) .  
هذه القرابة . المجازية طبعاً . لا تلبث أن تشدَّه إِلَى ذِكْرِ قَرَابَاتٍ أُخْرَى  
من نفس المستوى .

« قَالَ الْهُذَلِيُّ :

أَعَامِرُ لَا أَلُوكَ إِلَّا مُهْتَدًا      وَجِلْدَ أَبِي عِجْلٍ وَثِيقِ الْقَبَائِلِ  
ويعنى به ( أَبِي عِجْلٍ ) : الثَّوْرُ . وقالوا فيما هو أبعد من هذا ، قَالَ ابْنُ  
عَسَلَةَ الشَّيْبَانِيُّ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْمَسِيحِ :

وَسَمَاعٌ مُذْجَنَةٌ تَعْلَلْنَا      حَتَّى نَنَامَ تَنَامَ الْعَجَمِ  
فَصَحُوتُ وَالنَّمْرُ يُحَسِّبُهَا      عَمَّ السَّمَاءِ وَخَالَةَ النَّجْمِ « (٣) .

(١) البيان ٢٢٨/١ .

(٢) هذه النصوص في ( البيان ) ٢٢٨/١ .

(٣) البيان ٢٢٩/١ .



ويظل يُورد الأمثلة على هذه ( القرباب المجازية ) إلى أن يقول :  
« فهذا مما يدل على توسّعهم فى الكلام وحمل بعضه على بعض واشتقاق  
بعضه من بعض » (١) .

لننظر الآن كيف تطرق الحديث من ( وزن الكلام ) أى سَوِّه على أتم  
وجه من الدقة ، إلى حديث ( إصابة المقدار ) إلى حديث المشابهة بين أبيات  
الشعر و ( المآخاة ) بينها ، وإلى ذكر هذا العدد من القرباب المجازية ..  
ليخرج إلى نتيجة عامة هى « توسّعهم فى الكلام وحمل بعضه على  
بعض ... » وهذه هى طريقة الملاحظ : أن لا يأتى بالنص عارياً عن سياقه  
أو خبره ، وأن لا يدع استغلال النص - ما أمكن - لتقديم أكبر قدر من  
الفائدة لقارئه .

أما الظاهرة الأهم بالنسبة لنا فهى أن هذه الاستطرادات كثيراً ما  
تنجلى عن لمحة أو نظرة من نظراته المتعلقة بأصول الفن القولى وذلك  
كحديثه السابق عن ( القرآن ) بين الأبيات - هذا القرآن الذى قُصِّل فيه  
القول فى أكثر من موضع - وكحديثه عن توسّعهم فى الكلام وحمل بعضه  
على بعض ...

وهذه - غالباً - هى الطريقة التى ترد بها نظراته وآراؤه فى الفن القولى،  
والمبادئ التى تحكمه ، إذ ترد هذه النظرات فى سياقات قد يكون ظاهرها  
الاستطراد والإطالة بينما تحمل فى حقيقتها الوعى ببدأ الترتيب والنظام .

هذه - عزيزى القارئ - بعض ملامح الكتاب الذى احتدم حوله الجدل فى  
القديم ، ودار حوله الكثير من الدراسات فى العصر الحديث ، والذى نقدته  
لك اليوم .. أعنى كتاب البيان والتبيين .

عبد الحكيم راضى

## إهداء

---

حَفِظَكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ وَأَمَتَّ بِكَ ، وَجَعَلَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ  
مِنْ وَدٍّ مَوْصُولًا أَبَدَ الدَّهْرِ ، فَقَدْ عَرَفْتُكَ صَدِيقًا  
لَا يَشُوبُ صَدَاقَهُ زَيْفٌ مِنْ شَوَائِبِ الدُّنْيَا ، وَعَرَفْتُكَ عَلَى تَقَادُيمِ  
الْعَهْدِ وَتَطَاوُلِ الزَّمَانِ ، أَخَا ثَابِتِ الْإِخَاءِ وَثِقَ النَّفْسِ ،  
لَيْسَ كَمَنْ يَدُورُ بَحْثُهُ بَيْنَ النَّاسِ مُلْتَمَسًا بِهَا الْغَنَمُ ، وَبَاعِيًا  
بِهَا النَّفْعَ ، فَكَانَ ذَلِكَ ، أَيَّدَكَ اللَّهُ ، مِمَّا أَكْبَرَكَ فِي عَيْنِي ،  
وَأَعْظَمَكَ فِي نَفْسِي ، وَبَسَطَنِي أَنْ أَقْدِمَ إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ بِالْخَالِدِ  
لِزَيِّ فِيهِ ، وَلَعَلَّمَهَا السَّمِيُّ الْكَرِيمُ ، أَنِّي أَخْفِظُ لَكَ فِي نَفْسِي  
مِثْلَ مَا تَحْفَظُ لِي مِنْ وَفَاءٍ ، وَأَطْوَى لَكَ صَدْرِي  
عَلَى مِثْلِ مَا تَطْوِي مِنْ وِلَاءٍ .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ١ - عرض الكتاب

وهذا الكتاب هو الحلقة الثانية من سلسلة مكتبة الجاحظ التي أخذت نفسى بإخراجها وجلائها على الناس ، وهو ، لا جرم ، أَسِيرُ كتب أبى عثمان وأكثرها تداولاً ، وأعظمها نفعاً وعائدة ؛ فيه تخرّج كثير من الأدباء ، واستقامت ألسنهم على الطريقة المثلى . فهو أستاذ أرهط متعاقبة من المتأدبين ، وهو شيخ جماعات متتابعة ممن صقلوا ذوقهم بصيقل الجاحظ ، ورفعوا فَنَّهُم بالتأمل فى فنه وعبقريته .

### ٢ - بعض أقوال القدماء

فيه يقول أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري <sup>(١)</sup> فى الصناعتين ، عند الكلام على كتب البلاغة : « وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين ، لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وهو لعمرى كثير الفوائد ، جم المنافع ؛ لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة ، والأخبار البارعة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبه عليه من مقاديرهم فى البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ، ونعوته المستحسنة . إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة ، ماثوثة فى تضاعيفه ، ومنتثرة فى أثنائه ، فهى ضالّة بين الأمثلة ، لا توجد إلا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير . »

وهو كلام رجل قد خبر الكتاب ورازه ، ولكنه لم يشأ أن يرسم لنا صورة مفصلة واضحة .

(١) توفى نحو سنة ٣٩٥ .

وابن رشيقي القيرواني ( ٣٩٠ — ٤٦٣ ) في العمدة <sup>(١)</sup> يقول : « وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ — وهو علامة وقته — الجهد ، وصنع كتابا لا يُبلغ جودة وفضلا ، ثم ما ادعى إحاطته بهذا الفن ؛ لكثرة ، وأنّ كلام الناس لا يُحيط به إلا الله عز وجل » .

أما ابن خلدون المغربي ( ٧٣٢ — ٨٠٨ ) فيسجل لنا رأى قدماء العلماء في هذا الكتاب ؛ إذ يقول عند الكلام على علم الأدب <sup>(٢)</sup> : « وممنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين : وهى أدب الكتاب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للميد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها ، وفروع عنها » .

### ٣ — تفصيل الكتاب

إنّ دأب الجاحظ في تأليفه أن يرسل نفسه على سجيّتها ، فهو لا يتقيد بنظام محكم يترسّمه ، ولا يلتزم نهجاً مستقيماً يحذوه ، ولذلك تراه يبدأ الكلام في قضية من القضايا ، ثم يدعها في أثناء ذلك ليدخل في قضية أخرى ، ثم يعود إلى ما أسلف من قبل . وقد كانت هذه سبيل كثير من علماء دهره ، كما أن علو سنه وجلّة التأليف في تلك الأبحاث التى طرّقها ، كل أولئك كان شفيعاً له في هذا الاسترسال والانطلاق .

وكان أبو عثمان يشعر بذلك ويعتذر عنه أحياناً ، فهو يقول عند الكلام على البيان <sup>(٣)</sup> : « وكان في الحق أن يكون هذا الباب في أول هذا الكتاب ، ولكننا أخرناه لبعض التدبير » .

(١) العمدة ( ١ : ١٧١ ) في باب البيان .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٨٠٥ .

(٣) الجزء الأول ص ٧٦ .

وهو يَعدُّ في أواخر هذا الجزء <sup>(١)</sup> أن يتكلم في الجزء الثاني على طعن الشعوبية على العرب في اتخاذ المِخْصَرَة ، ثم يحاول الوفاء بما وعد ، في الجزء الثاني ، ولكنه يرى أن الفرصة لم تسنح له بعد ، فيعتذر بقوله : ولكننا أحيينا أن نصلِّر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجلَّة من التابعين . ومضى الجزء الثاني بأكمله ، ولا يستطيع صاحبنا الوفاء بما وعد به إلا في صلب الجزء الثالث من الكتاب /

ونحن نستطيع أن نردُّ مباحث الكتاب وقضاياها إلى الضروب التالية :

- (١) البيان والبلاغة (٢) القواعد البلاغية (٣) القول في مذهب الوسط (٤) الخطابة (٥) الشعر (٦) الأسجاع (٧) نماذج من الوصايا والرسائل (٨) طائفة من كلام النساك والقصاص وأخبارهم (٩) عَرَضُ لبعض كلام التوكي والحمقى ونواديرهم (١٠) ضروب من الاختيارات البلاغية .

### البيان والبلاغة :

تحدث الجاحظ في تعريف البيان ، وساق في تفصيل أنواع الدلالات البيانية من اللفظ ، والإشارة ، والتعقد ، والتنبية <sup>(٢)</sup> . وعقد أبواباً لمُدح اللسان والبيان <sup>(٣)</sup> ، وصنع موازنة بين لغة العامة والحضرين والبدويين <sup>(٤)</sup> ، ونوه تنويعاً بصحة لغة الأعراب في عصره <sup>(٥)</sup> ، وروى مقطعات من نوادر الأعراب وأشعارهم <sup>(٦)</sup> وتحدث في لُكْنَة النبط والروم <sup>(٧)</sup> ، وعَرَض نماذج من كلام الموالي <sup>(٨)</sup> ، وعقد في الجزء الثاني باباً للحن وأخبار اللحنين ، بعد أن تكلم

(٢) انظر ١ : ٧٥ .

(٤) ١ : ١٣٠ .

(٦) الجزء الثالث .

(٨) ١ : ١٦١ — ١٦٥ .

(١) الجزء الأول ص ٣٨٣ .

(٣) ١ : ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٢ .

(٥) ١ : ١٥٧ .

(٧) ١ : ٧٠ .

في الجزء الأول<sup>(١)</sup> على اللحن ومتى يُستملح ومتى يُستهجن . وفي الجزء الثاني عرض صوراً من صور المعى والحصر ، وبسط مذهباً له في وجوب أداء القصص والنواتر كما هي ، إن معربة فمعربة ، أو ملحونة فملحونة ، زاعماً أن الإعراب يفسد نواتر المولدين .

ولم ينس أن يسوق في صدر كتابه طائفة من الآيات التي تنوّه بشأن البيان والبلاغة ، ثم يعيد الكرة في الحث على البيان والتبيين<sup>(٢)</sup> ، إذ يقول : « وأنا أوصيك ألا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة ... » .

وهو لا يُغفل أن يتكلم في مخارج الحروف ، ويبيّن أثر سعة الشدق وأثر اكتمال الأسنان أو نقصها في البيان<sup>(٣)</sup> ، وكذلك أثر لحم اللثة<sup>(٤)</sup> ، وكذا أثر سقوط الأسنان ، وينقل قول محمد الرومي<sup>(٥)</sup> : « قد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكلها » .

ويعقد باباً للحروف التي تدخلها اللثغة ، ويبيّن : أي لثغة أشنع وأياها أظرف<sup>(٦)</sup> . ولعل الذي دفعه إلى ذلك ما كان معروفاً من لثغة وأصل بن عطاء المعتزلي ، الذي حاول أن يعتذر له ، وأن يجعل من هذا النقص الذي كان يتغلب عليه ، كلاً وعبقريّة يسوق فيها الدليل إثر الدليل<sup>(٧)</sup> .

وهو كذلك يروى طائفة صالحة من أخبار البلغاء والخطباء والأئمة والفقهاء والأمراء<sup>(٨)</sup> ، ومن جمع بين الخطابة والشعر<sup>(٩)</sup> ، ويعرض نماذج من كلام الرسول في صدر الجزء الثاني<sup>(١٠)</sup> ، كما عقد باباً للغز في الجواب في ذاك الجزء . فإذا ما حاول الكلام في البلاغة ، وهي المرتبة التي فوق البيان ، ذهب

(١) ١٤٦ : ١ (٢) ١٤٥ : ١ (٣) ٢٠٠ : ١ (٤) ٥٨ : ١  
(٥) ٦١ : ١ (٦) ٦١ : ١ (٧) ٦٤ : ١  
(٨) ١٤ : ١ (٩) ٩٨ : ١ (١٠) ٥١ : ١

يسرُّ تعريفها عند الفرس والروم والهند ، والأعراب ، وأعلام البلغاء ، كالعنان وسهل بن هارون ، وعمرو بن عبيد ، وابن المقفع <sup>(١)</sup> . ثم لا يرضيه ذلك حتى يظفر بترجمة لصحيفة هندية ترسم حدود البلاغة وتبين أصولها <sup>(٢)</sup> .

ولم يتعرض لمسائل البلاغة التي عرفت فيما بعد ، إلا ما قدّم من كلام في تنافر الحروف واثلاثها <sup>(٣)</sup> ، وكذلك وجوب مراعاة مقتضى الحال <sup>(٤)</sup> . وهو يتكلم في الإيجاز والإطناب ويعين المواضع الصالحة لكل منهما <sup>(٥)</sup> ، ويروى لنا الشعر الذي يمدح فيه الشعراء الإيجاز <sup>(٦)</sup> . ويتكلم في المشاكلة البديعية ، ويعرض فيها أمثلة من القرآن والشعر <sup>(٧)</sup> .

### القول في مذهب الوسط :

يستطيع المتصفح لهذا الكتاب أن يلمح للجاحظ مجهداً طريفاً ، فهو قد عقد باباً للصمت والحث عليه <sup>(٨)</sup> ، ويحكى أقوال المعارضين لأصحاب الخطابة والبلاغة الذين يفضلون هذا الصمت <sup>(٩)</sup> ، ويخصص باباً آخر يقذف فيه بطائفة من كلام المُعْزِّين وأصحاب التقعير <sup>(١٠)</sup> ، وأبواباً أخرى في مديح اللسان وشدة العارضة <sup>(١١)</sup> ولكنه لا يرضيه هؤلاء ولا أولئك ، بل يرى أن كلا منهما قد جنح إلى غير الصواب ، وأن الصواب والخير كله في إصابة القدر في الكلام <sup>(١٢)</sup> ، وأن تكون الألفاظ والمعاني أوساطاً بينَ <sup>(١٣)</sup> .

(١) ١ : ٨٨ .	(٢) ١ : ٩٢ .	(٣) ١ : ٦٩ .
(٤) ١ : ١٤٩ .	(٥) ١ : ١٤٩ .	(٦) ١ : ٢٧٦ .
(٧) ١ : ١٥٢ .	(٨) ١ : ١٩٤ .	
(٩) ١ : ٢٦٩ .	(١٠) ١ : ٣٧٧ .	
(١١) ١ : ٢٣١ ، ٢١٢ ، ١٦٦ .	(١٢) ١ : ٢٧٧ .	
(١٣) ١ : ٢٥٥ .		

## الخطابة :

وقد عنى الجاحظ بهذا الفن عناية خاصة . ولا غرو ، فالخطابة دعامة من دعائم الدعوة . وكان المعتزلة يلجئون إلى الخطابة والجدال في تأييد أمرهم ، وبيان مذاهبهم ومقالاتهم <sup>(١)</sup> . فهو يرسم للخطابة أدبا يستحسن فيه أن يقتبس القرآن والشعر <sup>(٢)</sup> ، ويبين ما ينبغي اتباعه في ضروب من الخطب ، كخطبة النكاح <sup>(٣)</sup> ، وما تتطلبه الخطابة من الجهر بالقول وترفع الصوت ، ذاكراً في ذلك الخير والمثل <sup>(٤)</sup> ومن عرف بجهارة الصوت <sup>(٥)</sup> ، وهو يسترسل فيذكر أن الروم أهل جهارة ، وينقل خبراً غريباً : « لولا ضجة أهل رومية وأصواتهم لسمع الناس جميعاً صوت وجوب القرص في المغرب » <sup>(٦)</sup> . ويتكلم في الدمامة ومدى أثرها في قدر الخطيب والشاعر <sup>(٧)</sup> ، ويتعرض للخلاف في تأثير حركة الخطيب وإشارته ، أو سكونه وهلهو جوارحه ، في سامعيه <sup>(٨)</sup> . ويتكلم في استعمال الخناصر والعصى في الخطبة <sup>(٩)</sup> وطعن الشعوية على العرب في ذلك <sup>(١٠)</sup> ، ويذكر أسماء الخطباء وقبائلهم وأنسابهم <sup>(١١)</sup> وأخبار خطباء الخوارج خاصة <sup>(١٢)</sup> ، كما عقد باباً لأسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان <sup>(١٣)</sup> ، وكما نوه بمصلحة إيراد وتعيم في الخطب <sup>(١٤)</sup> . وهو في أثناء ذلك يسرد مختارات قوية من خطب الرسول والخلفاء الراشدين ومن بعدهم ، وكذا خطب رجالات الخوارج وأهل الدعوة .

- |  |                |
|--|----------------|
| (٢) ١ : ١١٨ .                                | (١) ١ : ١٤ .   |
| (٤) ١ : ١٢٠ .                                | (٣) ١ : ١١٦ .  |
| (٦) ١ : ١٣٣ .                                | (٥) ١ : ١٢٣ .  |
| (٨) ١ : ٩١ .                                 | (٧) ١ : ٢٣٧ .  |
| (١٠) ١ : ٢٨٣ ثم أول الثاني ، ثم أول الثالث . | (٩) ١ : ٣٧٠ .  |
| (١٢) الجزء الثالث .                          | (١١) ١ : ٣٠٧ . |
| (١٤) ١ : ٥٢ .                                | (١٣) ١ : ٣٥٨ . |



## الشعر

والشعر وسيلة من وسائل البيان ، ومعرض من معارض البلاغة ، وله ميسم يبقى على الدهر في المدح والمهجاء <sup>(١)</sup> ، وله أوزان لا بد منها ولا بد من القصد إليها ؛ فمن جاء كلامه على وزن الشعر ولم يعتمد هو هذا الوزن فليس كلامه بشعر ، فقد ورد القرآن وفي الحديث كلام موزون على أعارض الشعر ولكنه لا يسمى شعرا <sup>(٢)</sup> . ومن يجمع بين الشعر والخطابة قليل <sup>(٣)</sup> . وليس ينبغي للقصيدة أن تكون كلها أمثالا وحكما ، فإنها إذا كانت كذلك لم تميز ولم تجر مجرى النواثر <sup>(٤)</sup> وفي المولدين شعراء مطبوعون <sup>(٥)</sup> ، وللشعراء رسوم خاصة <sup>(٦)</sup> ، وقد كان بعض أبيات الشعر سببا من أسباب تسمية الشاعر <sup>(٧)</sup> . والشعر خير الوسائل لتخليد الإنتاج الفنى ، « فما تكلمت به العرب من جيد المنثور ، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشرة ، ولاضاع من الموزون عُشْرُهُ » <sup>(٨)</sup> .

## السجع :

وهذا الفن من البيان يثير خلافا بين العلماء والأدباء والديانين ؛ فهناك حديث : « أسجع كسجع الجاهلية ؟ ! » فهو في ظاهره حجة لمن يرفض استعمال هذا الفن ويستعجنه ، وهو عند التأويل محمول على السجع الذى يراد به إبطال الحق <sup>(٩)</sup> . على أن من الأدباء من يرى أن السجع إنما كان منبها عنه في نأنة الإسلام ، لقرب عهدهم بالجاهلية ، حيث كان السجع يجرى في

(٢) ١ : ٢٨٧ — ٢٨٩ .

(٤) ١ : ٢٠٦ .

(٦) ١ : ٩٣ .

(٨) ١ : ٢٨٧ .

(١) ١ : ١٥٦ .

(٣) ١ : ٤٥ .

(٥) ١ : ٥٠ .

(٧) ١ : ٣٧٤ .

(٩) ١ : ٢٨٧ .

الكهانة والترجم بالغيب ، فلما زالت العلة زال التحريم <sup>(١)</sup> . ولهذا شبه في النهي عن مرثية ابن أبي الصلت لقتلى أهل بدر في أول الأمر ، فلما زالت العلة زال النهي <sup>(٢)</sup> . ويسوق الجاحظ من بعد ذلك ماثورا من متخير السجع وبديعه <sup>(٣)</sup> .

### الرسائل والوصايا :

ولقد كانت الرسائل والوصايا مظهرا من مظاهر البيان العربي ، فهو ينثر في تضاعيف كتابه قدراً صالحاً مختاراً منها <sup>(٤)</sup> ، لتكون إماما يحتذى ، وقالبا يُصاغ عليه القول .

### النسك والقصاص :

وللنسك حظ وافر من عناية الجاحظ في الكتاب . فهؤلاء النسك الروحيون قد نبغ منهم نوابغ في البيان ، فهم قوم قد لانت ألسنتهم ودق إحساسهم ، بما حفظوا كلام الله وحديث الرسول ، وهم قد تصدوا لوعظ العامة والتأثير فيهم بيلغ القول وحسن المحاضرة ، وكانت لهم جولات في مساجد البصرة والكوفة ، حيث كانت تؤثر عنهم الحكمة وترى العظة ، ويتناقل البيان الرفيع .

وأما القصص فقد كانت صناعتهم تقتضيهم العناية بقوة البيان وحسن الأداء ، وكانوا ذوي فصاحة وبلاغة ، فمنهم: موسى بن سيار الأسواري « كان من أعاجيب الدنيا ، كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به ، فقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرأ

(٢) ١ : ٢٩١ .

(١) ١ : ٢٩٠ .

(٤) انظر الجزء الثاني .

(٣) ١ : ٢٧٤ ، ٢٩٧ .

الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها بالفارسية ، فلا يُدرى بأى لسان هو أُبين <sup>(١)</sup> ؟

لذلك ولهذا عقد الجاحظ باباً لذكر النساك والزهاد من أهل البيان <sup>(٢)</sup> ، وآخر لذكر القصاص <sup>(٣)</sup> كما روى طائفة من كلام النساك <sup>(٤)</sup> ومقطعات من كلام القصاص <sup>(٥)</sup> ، كما خصص في الجزء الثالث من الكتاب باباً كبيراً في الزهد ساق فيه مواعظ عيسى وداود عليهما السلام ، ومواعظ الحسن وعمر وآخريين من النساك ، ومن زهاد البصرة والكوفة . وأتبع ذلك بمختارات من دعاء السلف الصالح ، والأعراب والنساك .

### النوكى والحمقى :

والجاحظ ذلك المرح الضاحك ، لا يفتأ يعجب الناس من هذا الخلق الطريف ، أولئك الذين شاء الله أن يكونوا مصدر عبرة وموعظة ، كما شاء أن يكونوا مصدر عزاء وتسرية عن النفس . هؤلاء النوكى والحمقى قد يتفق لبعضهم من البيان الساخر ، ومن التبيين العجيب ، ما يكون في الصدر المقدم من حسن التعبير وجميل التعليل ، كما يتفق لبعضهم أن يريد البيان فيخطئ خطأ ظاهراً أو خفياً ، فيكون كلامه غواراً جديراً بأن ينبه الجاحظ على التحذير منه ، وبأن يكشف عما به من خلل ومجانبة للصواب ، كما صنع في باب العى . وهو يروى في الجزء الثانى وفى الجزء الثالث طائفة من أخبارهم وأقوالهم ؛ ليكون في ذلك ترويح عن نفس المتصفح ، ونفع له في بيانه وعبارته ، وهذى له أن يضل السبيل . ويستطرد الجاحظ فيما يستطرد فيلحق بهؤلاء النوكى والحمقى طائفة خاصة من المعلمين <sup>(٦)</sup> ، لا يلبث أن يستثنى منهم

(٢) ١ : ٣٦٢ .

(٤) ١ : ٢١٠ .

(٦) ١ : ٢٤٨ ، ٢٥٠ .

(١) ١ : ٣٦٨ .

(٣) ١ : ٣٦٧ .

(٥) في الجزء الثانى .

جماعة من جِلَّة المعلمين والمُؤدِّين .

### الاختيارات :

والجالحظ بين الفينة والأخرى يوشع كتابه بالجيد المتخير من النثر والشعر ، ولا سيما في الجزأين الثاني والثالث ، حيث تطالعك الآيات الحسان والفقر المستملحة . فمنها ما يكون شاهداً لما ينبغي أن يدعّمه ويؤيده من قضايا البيان ، ومنها ما يرويه ليكون للحفظ والمذاكرة . وقد روى طائفة من مختارات المراثي ، ومن الحمريات ومن هجاء البراميكة ومدحهم ، ومما قيل في الشيب ، ومما حوى الحكمة والزهد ، وروى كذلك كثيراً من أقوال الأعراب ونواديرهم ، وطائفة من أدب بني العباس ومجموعة من قصار الخطب وطولها ، ومتنخل الرسائل والوصايا ، كما سبق القول .

هذه صورة لست أراها كاملة التكوين مستوفية الوضوح ، ولكنها تقرب الكتاب إلى قارئه تقريباً ، وتخط الخطوط الرئيسة التي يستطيع بها أن يتبع ما يحوى الكتاب من فن .

### ٤ - أثر الكتاب

لعل من نافلة الكلام أن أردد القول في عظيم أثر هذا الكتاب . ويمكنني أن أقول في ثقة : إنه ليس يوجد أديب نابه في العربية لم يسمع بهذا الكتاب أو لم يفد منه . وقلماً نجد أديباً من المحدثين لم يتمرس بما فيه من أدب . كما كان من هذا الكتاب مادة غزيرة استمدّها كبار المؤلفين القدماء في مؤلفاتهم كابن قتيبة <sup>(١)</sup> في عيون الأخبار ، والمبرد <sup>(٢)</sup> في الكامل ، وابن عبد ربه <sup>(٣)</sup> في العقد ، والعسكري <sup>(٤)</sup> في الصناعتين ، والحصري <sup>(٥)</sup> في زهر الآداب وجمع الجواهر ،

(٢) سنة ٢١٠ - ٢٨٦ .

(٤) توفي بعد ٣٩٥ .

(١) سنة ٢١٢ - ٢٧٦ .

(٣) ٢٤٦ - ٣٢٨ .

(٥) توفي سنة ٤٥٣ .

وابن رشيقي<sup>(١)</sup> في العملة ، وعبد القاهر الجرجاني<sup>(٢)</sup> في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، وأسامة بن منقذ<sup>(٣)</sup> في لباب الآداب .

## ٥ - تاريخ تأليفه

ذكرت طرفاً من ذلك في مقدمة الحيوان<sup>(٤)</sup> ، وسقت الدليل على أن الجاحظ آلفه في أخريات حياته ، حين علت به السن وقعد به المرض ، وذكرت أيضاً أنه آلفه بعد كتاب الحيوان ؛ إذ أننى عثرت على نص قاطع في البيان والتبيين يدل على ذلك ، وهو قوله : « كانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادير الأشعار لما ذكرت من عجبك بذلك ، فأحببت أن يكون حظ هذا الكتاب في ذلك أوفر إن شاء الله » .

ومن المعروف أن الجاحظ أهدى كتاب البيان والتبيين إلى القاضي أحمد بن أبي دواد<sup>(٥)</sup> ، كما أهدى من قبله كتاب الحيوان إلى الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات المتوفى سنة ٢٣٣ ، وكتاب الزرع والنخل إلى الكاتب إبراهيم بن العباس الصولي المتوفى سنة ٢٤٣ ، وأن كلا منهم أعطاه خمسة آلاف دينار<sup>(٦)</sup> .

والذى يعيننا من هؤلاء هو القاضي أحمد بن أبي دواد . كان أحمد من بلغاء الناس وفصحائهم وشعرائهم ، وكان قد برع في الفقه والكلام حتى بلغ ما بلغ وكان من أصحاب واصل بن عطاء المعتزلى ، فصار بذلك إلى الاعتزال ، وكان ذا حظوة عند المأمون ، وقد أوصى به أخاه المعتصم ، فلما صارت الخلافة إليه جعله قاضى القضاة بعد أن عزل يحيى بن أكثم . ولما مات المعتصم وتولى ولده

(٢) توفى سنة ٤٧١ .

(٤) مقدمة الحيوان ص ٢٦ .

(٦) إرشاد الأريب ( ١٦ : ١٠٦ ) .

(١) ٣٩٠ - ٤٦٣ .

(٣) ٥٨٤ - ٤٨٨ .

(٥) ١٦٠ - ٢٤٠ .

الوائق حسنت حال أبي دواد في أول خلافته ، فقلد المتوكل ولده محمد بن أحمد القضاء مكانه ، ثم عُرِّل وقلد يحيى بن أكرم ثانية ، وتوفي أحمد سنة ٢٤٠ ، وكان بين محمد بن عبد الملك وبين أحمد بن أبي دواد منافسة شديدة ، وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك خاصاً به ، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دواد للعداوة كانت بين أحمد ومحمد ، ولما قبض على محمد هرب الجاحظ فقبل له : لم هربت ؟ فقال : « خفت أن أكون ثانی اثنين إذ هما في التنور ! » . يريد ما صنع بمحمد وإدخاله تنور حديد فيه مسامير ، كان هو صتّعه ليعذب الناس فيه ، فعذب هو فيه حتى مات

ويروى ياقوت (١) ، أنه بعد قتل ابن الزيات جيء بالجاحظ مقبلاً إلى مجلس ابن أبي دواد ، فجرت بينه وبين القاضي محاوراة انتصر فيها الجاحظ ، وكان من عاقبتها أن رضى عنه ابن أبي دواد وأجازه وقرّبه إلى نفسه .  
وهذا الخبر يعين لنا أن كتاب البيان والتبيين لم يظهر إلا بعد سنة ٢٣٣ ، وهي السنة التي قتل فيها ابن الزيات .

## ٦ - نسخ الكتاب

### النسخة الأولى والنسخة الثانية :

يذكر ياقوت (٢) أن كتاب البيان والتبيين نسختان : « أولى وثانية ، والثانية أصح وأجود » . فيشتد سؤال الأدباء : أين أولاهما وأين الأخرى ؟ وكان من صنّع الله حينما اتجهت إلى معارضة أصول الكتاب بعضها ببعض ، أن تبيّن لي في أثناء ذلك أن نسخة مكتبة كوبرلي ، هي أصح نسخة من أصول الكتاب ، ولحظت أيضاً أنها كثيراً ما تنفرد ببعض النصوص والعبارات ، التي لا توجد في

(١) إرشاد الأريب ( ١٦ : ٧٩ ) .

(٢) إرشاد الأريب ( ١٦ : ١٠٦ ) .

سائر النسخ ، أو توجد ولكن بعبارة أخرى مخالفة . كما أن سائر النسخ كثيراً ما تتفق في ذكر نصوص وعبارات لا نجدها في نسخة كويريل ، أو نجدها ولكن بصورة أخرى . ومهما يكن من شيء فلا ريب عندى أن نسخة كويريل هي أصح النسخ وأوثقها وأوفرها نصاً ، ونستطيع أن نترجم هذا بأن القائم لدينا من أصول الكتاب نسختان : إحداهما نسخة كويريل ، والأخرى ما عداها من النسخ التوائم التي قلما تشذ واحدة منها عن الأخرى <sup>(١)</sup> .

### وصف المخطوطات :

جعل الجاحظ كتابه هذا في ثلاثة أجزاء ، كما نص على ذلك في أول الجزأين الثاني والثالث . وقد توافر لى من نسخ الكتاب أربع مخطوطات :  
( الأولى ) : نسخة مكتبة كويريل <sup>(٢)</sup> المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ( ٤٣٧٠ أدب ) ، المرموز لها بالرمز ( ل ) . وهذه النسخة المصورة في أربع مجلدات أصلها المخطوط جزءان اثنان ، ولكنها مع ذلك تنبّه في آخر كل جزء من تقسيم الجاحظ على أنه قد انتهى وابتدأ الذى يليه . والجزء الأول في ٣٥٦ صفحة والثاني في ٣٥٥ ، وفي كل صفحة ١٧ سطراً ، وبكل سطر نحو عشرين كلمة . وهذه النسخة القديمة مكتوبة بخط جميل وضبط دقيق . وفي نهايتها : « كمل السفر الثاني ، وبتمامه تم الكتاب بأسره بفضل الله وعونه . والصلاة على سيدنا محمد وآله في الجمعة سابع المحرم بن سنة أربع وثمانين وستائة . علقه الفقير إلى الله أحمد بن سلامة بن سالم المعري » .

(١) نجد أيضاً أن اختاح نسخة كويريل وحدها « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » ، أما سائر النسخ فتتفق في أن اختاحها « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على محمد النبي الكريم وسلم ، عونك اللهم وتيسرك » .

(٢) نص خاتم وقف هذه المكتبة « هذا مما وقفه الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبي عبد الله محمد ، عرف بكويريل ، أقال الله عتاره ١٠٨٨ » .

( الثانية ) : نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم ( ٤٧١ أدب ) وهي المرموز لها بالرمز ( ب ) وهي في مجلد واحد يقع في ٧٠٠ صفحة بكل صفحة واحد وعشرون سطراً ، وبكل سطر نحو ١٣ كلمة ، وهي مكتوبة بالخط الفارسي الجميل وليس بها ضبط ، وعنوانها عجيب « كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن يحيى ( كذا ) الجاحظ وهو كتاب جيد النظم والتثر الموضوع على متوال كامل المبد ( كذا ) بل يفوق عليه حسناً وبلاغة » . وكتب في صدرها أيضاً « فيما صار نسخه بالمدينة المنورة على ذمة الكتبخانة الخديوية . ومضاف فيما مايو سنة ١٨٨٢ » . وكلمة « فيما » مكونة من « في » العربية ، و « ما » الفارسية التي بمعنى شهر ، فتاريخ هذه النسخة يرجع إلى سنة ١٢٩٩ الهجرية .

( الثالثة ) : نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم ( ١٨٧٢ أدب ) وهي المرموز إليها بالرمز ( جـ ) وهي في مجلد يقع في ٥٧١ صفحة بكل صفحة واحد وعشرون سطراً ، وبكل سطر نحو ١١ كلمة . وهي مكتوبة بالخط المعتاد وليس بها ضبط ، ولكن بها أثر قراءة وتصحيح ، وبعض كتابات ذاهبة في الندرة بخط المغفور له العلامة محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي ، وقد ألصق بآخرها ورقة بها تعليقات فهرسية لمواضع متفرقة من الكتاب بخطه أيضاً . وفي خاتمة هذه النسخة : « وكان الفراغ من كتابه هذا الكتاب يوم الخميس المبارك الموافق ١١ محرم الحرام سنة ١٣٠٩ ثلاثمائة وتسعة بعد الألف ، على يد كاتبها الفقير راجي عفو الكريم ، محمد سليم » .

( الرابعة ) : نسخة المكتبة التيمورية المحفوظة برقم ( ٤٩٨ أدب ) ، وهي في مجلد واحد به ٥٨٨ صفحة مكتوبة بالخط الفارسي المعتاد ، وبكل صفحة ١٩ سطراً وبكل سطر نحو ١٧ كلمة ، وبهوامش هذه النسخة تعليقات كثيرة



بخط الناسخ وكتب في صدرها : « من كتب الفقير عبد السلام المويلحي في ٢ رجب سنة ١٢٨٥ هـ ، وهذه النسخة مجهولة التاريخ ، وبها عدة أسقاط قيد موضعها في أول الكتاب العلامة المغفور له أحمد تيمور باشا . وتبلغ هذه الأسقاط نحو ٢٠ صفحة من مواضع متفرقة .

### الطباعات السابقة :

(١) النشرة الأولى في مجلدين في ٢٢٢ صفحة و ١٩٠ صفحة ، وذلك بالمطبعة العلمية من سنة ١٣١١ — ١٣١٣ ، عني بها حسن أفندي الفاكهاني إلى نهاية الكراسة السابعة من الجزء الأول ، وباقى الكتاب بعناية الشيخ محمد الزهرى الغمراوى ، وهذه النشرة مجردة من الضبط ، وبها تعليقات يسيرة في الجزء الأول فقط .

(٢) النشرة الثانية في ثلاث مجلدات في ٢١٨ صفحة ، ١٩٦ صفحة ، ٢٣٦ صفحة . وذلك في مطبعة الفتوح ومطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ . أشرف عليها الأستاذ الكبير السيد محب الدين الخطيب ، ونجد في نهاية الجزء الثالث : « وكتب بعض حواشى هذا الجزء إبراهيم بن محمد الدلجمونى الأزهرى <sup>(١)</sup> ، عُفى عنه . وهذه الطبعة بها قليل من الضبط وقليل من التعليق ، وتمتاز عن سابقتها بالإشارة إلى بعض روايات النسخ المخطوطة ، وما يجدر ذكره أن تلك النسخ المخطوطة غير معينة .

(٣ ، ٤) النشرة الثالثة والرابعة ، صنع الأستاذ الجليل حسن السندوى ١٣٤٥ ، ١٣٥١ وكل منهما في ثلاث مجلدات ، وتمتاز الرابعة بكثرة التعليقات والتراجم ، وألحق بهما بعض الفهارس . هذا وقد طبع كتاب عنوانه « منتخبات من البيان والتبيين » يقع في

---

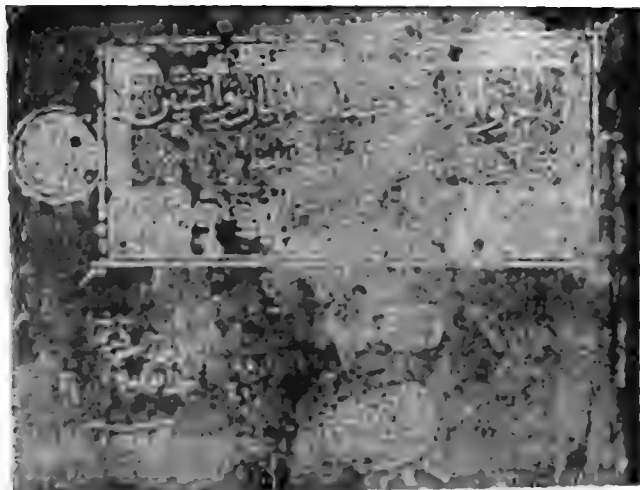
(١) كان غفر الله له من أعلام أدياء الأزهر ، وقد تلمذت له علما في الأزهر سنة ١٣٤٠. ومن آثاره شرح ديوان الحماسة المنسوب للرافعى ، ونشرة من كامل المبرد .

ثمانين صفحة ، وذلك بمطبعة الجوائب ١٣٠١ ثم بمطبعة الرغائب ١٣٢٨ . وكتاب آخر عنوانه « مختار البيان والتبيين » باعتهاء الأديبين : خليل بيدس ، وشريف النشاشيبي ، وهو في ٢٤٨ صفحة طبع بمطبعة بيت المقدس سنة ١٩٣٣ الميلادية .

## ٧ — تحقيق الكتاب

عندما فرغت من تحقيق تلك المَعْلَمة الكبيرة ، أعنى كتاب الحيوان ، رأيت أن أتمس شيئاً من الهدوء والروح ، إثر ذلك المجهود العاقي ، ولكن تلك الرغبة الملحة في بعث مكتبة الجاحظ، وهي رغبة توشك أن تكون جهاداً، حملتني أن أدخل في الميدان كرة أخرى ، استجابة لدعوة النفس ، وتلبية لإرادة صديق كريم لذي، هو الأستاذ « عبد السلام محمد الناظر » ، الذي سعدتُ بأخوته وزمالاته زهاء ربع قرن قضينا منها ثمانى سنين جنباً إلى جنب زمانَ الطلب بدار العلوم ، فقد أرادني على أن أعجل بوفاء ما وعدت به من قبل ، فكان بتلك الرغبة الكريمة وبما أخذ على عاتقه من المشاركة في تفقات الطبع، صاحب فضل عظيم في ظهور هذه النشرة الحديثة من البيان التي جعلت إهداءها إليه .

وكان الأدباء من قبلُ يجدون كثيراً من العسر ، ويلمسون كثيراً من الاستغلاق ، الناجم عن تحريف النصوص وتصحيفها ، وقلة التعرض لبيان ما بها من إشارة ، وحل ما فيها من رموز ، فلما شرعت في تحرير هذا الكتاب هالتي ما رأيت في الطباعات السابقة من تحريف وتشويه ، مع أن الذين تولوا هذه النشرات علماء فضلاء ، ذلك أنهم لم يعنوا بدراسة الأصول المخطوطة دراسة متصلة ، ولم يراعوها مراعاة تامة ، فلم يسعفهم فضلهم الواسع بإخراج النسخة القوية من السلامة ، أما نسختنا هذه فقد عورضت على المخطوطات التي أسلفت وصفها في الفصل السابق وصنعت — فيما نرى — على ما تقتضيه أساليب النشر الحديث ، وأُعدَّت لها الفهارس الكاشفة عن خباياها وما بها من خير كثير .



صورة الصفحة الأولى من نسخة كوبريل

وقد أُنْخِذَتْ نسخة كويريل أصلاً لهذه النشرة ، منهاً على ما بينها وبين سائر النسخ من خلاف . وما كان من زيادة في سائر النسخة على سائر النسخ لم أنبه عليه . وهو كثير ، وما كان من زيادة في سائر النسخ أضفته بين معقنين : [ ] ونهت عليه . على أنني فيما بعد صفحة ٢٩٤ من هذا الجزء قد أضريت عن هذا التنبيه ؛ تجنباً للإسهاب ، وجعلت وضع الكلمة بين المعقنين دليلاً على أنها من سائر النسخ ، وقد أثبت أرقام نسخة الأصل على جوانب الصفحات مكتفياً بذكر الصفحات عن ذكر رقم الجزء ؛ فإن الجزء الثاني من الأصل إنما يبدأ في نحو منتصف الجزء الثاني من نشرتنا هذه ، وسأنبّه على ذلك في حينه .

وعُنيت بضبط الكتاب محققاً ما به من الألفاظ الغريبة والكلمات الفارسية والبصرية ونحوها ، كما عُنيت خاصة بتحقيق الأعلام وترجمتها على ما في ذلك . من عسر شديد وجهد جهيد ، فقد أُرِيت الأعلام المترجمة في هذا الجزء فقط على الأربعمئة والأربعين ، وبذلت العناية في تحقيق النصوص وتحريرها ، ونسبة الشعر إلى قائله ، منهاً على المراجع من الدواوين وغيرها من كتب اللغة والأدب والتاريخ والسير والحدث والتفسير والقراءات .

وأما تقسيم الكتاب فقد أبقيته كما صنع الجاحظ ، ثلاث مجلدات ، لم أحدث فيه تغييراً ، ولم أضف إليه شيئاً من العناوين .

وقد شك بعضهم في التفسيرات اللغوية التي وردت في صلب الكتاب ، فظن أنها من زيادات القراء والناسخين ، وقد فاته أن الجاحظ قد عمد إلى تفسير كثير من لغات كتابيه : الحيوان ، والبيان . ويجد القارئ في ثانيا الحيوان كثيراً من التفسيرات والنصوص اللغوية التي تناقلها اللغويون ورووها عن الجاحظ . ولقد استطعت أن أستخرج فهرساً كبيراً للمواد اللغوية الجاحظية في كتاب

الحيوان ، وقع في نحو ٢٧ صفحة <sup>(١)</sup>، لذلك حافظت على هذه النصوص وأبقيتها في مكانها من صلب الكتاب .

## ٨ — الفهارس

وستضاف إلى الكتاب فهارس تقتضيها طبيعته ، وهي :

- ١ — فهرس البيان والبلاغة
- ٢ — الخطب .
- ٣ — الرسائل والوصايا .
- ٤ — الأشعار والأرجاز .
- ٥ — الأمثال .
- ٦ — اللغات .
- ٧ — الأعلام .
- ٨ — القبائل والأرهاب والطوائف .
- ٩ — البلدان .
- ١٠ — أيام العرب .
- ١١ — معالم الحضارة .
- ١٢ — الكتب

ويلحق بها من بعدُ جريدةٌ تعين المراجع والمصادر ، وطائفة من الاستدراكات العامة للكتاب .

اللهم منك نستمدّ التوفيق ، وبك نستعين ، وعليك نعتمد . والحمد لله رب العالمين .

١١ شوال سنة ١٣٦٧ هـ

١٦ أغسطس سنة ١٩٤٨ م

عبد السلام محمد هارون

(١) انظر الحيوان ( ٧ : ٥٨٨ — ٦١٥ ) .

## مقدمة الطبعة الثانية

كنت قد أشرت في أواخر الجزء الرابع من الطبعة الأولى أنني عثرت على نسخة خامسة من أصول الكتاب ، جلبها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية من مكتبة ( فيض الله ) بالآستانة . ورقم هذه النسخة في المكتبة هو ١٥٨٠ ورقمها في المعهد ٨٨٧ وهي مخطوطة بخط أندلسي كتبها بخطه لنفسه محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن حجاج بن زهير اللخمي ، وهو نقلها من نسخة أبي ذر بن محمد بن مسعود الحشني ، وعليها بخط أبي ذر ما يفيد أنّ نسخة أبي ذر منسوخة من نسخة أبي جعفر البغدادي . ونسخة أبي جعفر هذه كتبت في غرة ربيع الآخر من سنة ٣٤٧ . وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز ( هـ ) .

فكان من حظ هذه النشرة الثانية أن تظهر بمقابلة كاملة على نسخة مكتبة ( فيض الله ) . وبذلك امتازت هذه الطبعة بكثير من التصحيحات ، وتعديل في الشروح والتعليقات ، وبعض الإضافات الحديثة .

وقد وجدت اشتراك نسختي ( ل ) و ( هـ ) في كثير من الإضافات التي كنت قد وضعتها في النشرة الأولى بين علامتي الزيادة [ ] مقتبسة من نسخة ( ل ) فقط ، فلما وجدت هذا الاشتراك ساريا في الجمهور من هذه المواضع أغفلت وضع علامتي الزيادة في كل ما اشتراك فيه ؛ لما وضع لي أنهما أصلان عظيمان من أصول الكتاب .

وقد أدخلت في أصول الكتاب وحواشيه ما كان قد عنّ لي من تصحيحات ، وما ظهر لي من صواب أخطاء الطبع ، فجاءت هذه النشرة أصح من سابقتها وأدنى إلى الكمال الذي ينبغي . والحمد لله وحده .



وَأَخَذَ نَبِيٌّ وَمَلَأَ عَلَى كَلَامِهِ لِلْفِرَاقِ خَلْقِي - بِخُفْيَةٍ  
وَالْجَوْنِ خَوْنًا - مَرِيٍّ وَغَيْرِ مَرِيٍّ - لِقَائِهِمْ وَتَمِيزَهُمْ  
وَأَمْرٌ جَدِيدٌ نَحْنُ فِيهِ أَهْلُ الْأَنْبَاءِ مِنْ عَدَا الْكَلْبِ - كَيْتُ الْبَيْتِ الْبَيْتِ  
وَبِشْرَتِهِ خَيْرٌ لَنَا - خَالٍ وَأَخْبَسَ مِنْ خَيْرٍ - لِقَائِهِمْ وَتَمِيزَهُمْ  
وَأَمْرٌ جَدِيدٌ نَحْنُ فِيهِ أَهْلُ الْأَنْبَاءِ مِنْ عَدَا الْكَلْبِ - كَيْتُ الْبَيْتِ الْبَيْتِ

[illegible]



# الْبَيْتُ وَالنَّبِيُّ

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الأول

بمطبع دار

عبد السلام محمد هارون



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو عثمان عمرو بن بحر ، رحمه الله :

اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْعَمَلِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّكَلُّفِ لَمَّا لَا تُحْسِنُ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعُجْبِ بِمَا نَحْسِنُ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ السَّلَاطَةِ وَالْهَوَى (١) ، كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْيَمَى وَالْحَصَرِ . وَقَدِيمًا مَا نَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا ، وَتَضَرَّعُوا (٢) إِلَى اللَّهِ فِي السَّلَامَةِ مِنْهَا .

وقد قال الثمر بن تولب (٣) :

أَعِزَّنِي رَبِّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعْلَجَهَا عِلَاجًا  
وقال الهذلي (٤) :

١٠      وَلَا حَصَرٌ بِخَطِيئَةٍ      إِذَا مَا عَزَبَ الْخُطْبُ (٥)  
وقال مكي بن سودة (٦) :

(١) السلاطة : حدة اللسان ، والصخب . والهوى : كثرة الكلام في خطأ .

(٢) كتب لزاعمها في ل : « ورغبوا » إشارة إلى أنها كذلك في نسخة .

(٣) امرئ بن تولب : شاعر غصص ، أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبي ﷺ وكتب له كتاباً ، وروى عنه حديثاً . وكان أحد أجود العرب المتكويين وقرانهم . الإصابة ٧٨٠٣  
والشعر والشعراء لابن قتيبة . والخزانة ( ١ : ٢٩١ ) . ويقال « امرئ » بكسر الميم . وصحح ابن دبريد في الاشتقاق ١١٣ أنه يفتح التثنية وسكون الميم .

(٤) هو أبو العيال الحلبي ، أحد الشعراء الحضريين ، عمر وعاش إلى خلافة مطوية ، وكان هو وبلد بن عامر يسكنان مصر ، خرجا إليها في خلافة عمر بن الخطاب ، الأغاني ( ١٦٧ : ١٦٨ )  
والإصابة ٨٥٣ من باب الكنى .

(٥) البيت من أبيات في الأغاني . والقصيد في شرح أشعار الهذليين للسكري ١٣٧ ، ومخطوطة الشنقيطي من الهذليين ٩٥ . وفي شرح السكري : « عوت : غلبت وقتلت ، عند ملك أو في جمع » .

(٦) مكي بن سودة البرقي البصري ، ذكره المزياني في معجمه ٤٧١ .

خَصِرٌ مُسْتَهَبٌ جَرِيءٌ جَبَانٌ خَيْرُ عِيٍّ الرِّجَالِ عِيٌّ السُّكُوتِ

وقال الآخر :

مَلِيٌّ يَبْهَرُ وَالتَّفَاتِ وَسَعْلَةٍ وَمَسْحَةٍ عُنُونٍ وَقَتْلُ أَصَابِعٍ (١)

وَمَا دُمُوا بِهِ الْعِيُّ قَوْلُهُ (٢) :

وَمَا بَعَى مِنْ عِيٍّ وَلَا أَنْطَقُ الْخَنَا إِذَا جَمَعَ الْأَقْوَامَ فِي الْخُطْبِ مَخْفِلُ ٥

وقال الراجز وهو يَمْتَحُ بدلوه :

عَلَقْتُ يَا حَارِثُ عِنْدَ الْوَرْدِ بِجَائِي لَا زَقِيلُ التَّرْدَى (٣)

• وَلَا عِيٍّ بِإِتِّئَاءِ الْمَجْدِ (٤) •

وهذا كقول بشرٍ الأعمى :

١٠. وَعِيٌّ الْفَعَالُ كَعِيٍّ الْمَقَالُ وَفِي الصَّمْتِ عِيٌّ كَعِيٍّ الْكَلِمُ

وهذا المذهب شبيه بما ذهب إليه شَتِيمُ بنُ خُوَيْلِدٍ (٥) في قوله :

وَلَا يَشْعِبُونَ الصَّدْعَ بَعْدَ تَفَاقُمِ وَفِي رَفَقِ أَيْدِيكُمْ لِذِي الصَّدْعِ شَاعِبٌ (٦)

ومثل هذا قول زُبَّانِ بنِ سَيَّارٍ (٧) :

وَلَسْنَا كَأَقْوَامٍ أَجَلُّوا رِيَاسَةَ يُرَى مَالُهَا وَلَا يُحَسُّ فَعَالُهَا

١٥. يُرِيدُونَ فِي الْخِصْبِ الْأُمُورَ وَنَفْعَهُمْ قَلِيلٌ إِذَا الْأُمُورُ طَالَ هَزَالُهَا (٨)

(١) هذه رواية لـ . وفي سائر النسخ والكامل ٢٠ ليسك : « الأصابع » .

(٢) هو يحيى بن سعيد ، كما في العقفة والميرة لأبي عبيدة . نواذر المخطوطات ( ٢ : ٣٥٤ ) .

(٣) الجاني : الذي يطلع فجأة . والرقل : الذي يمر ذيل ثوبه . والتردى : لبس الرداء ٢٠

لـ : فجعاني « صوابه في سائر النسخ . والرجز في الحيوان ( ٣ : ٤١٩ ) .

(٤) لـ : « ولا عيًّا » وفي هامشها : « الرواية : بجائي » . ولا عيٍّ » .

٢٠

(٥) شَتِيمُ بنُ خُوَيْلِدٍ : شاعر جاهلي ، كما في الخزانة ( ٤ : ١٦٤ ) . وشَتِيمُ بِنْتَةُ التَّصْفِيرِ .

(٦) لـ : « لدى الصدع » .

(٧) هـ : « وهذا كقول » . وزبان بن سيار بن عمرو الغزالي . شاعر جاهلي كان بينه وبين

٢٥ الحادرة الذبياني مهاجرة . الأغاني ( ٣ : ٧٩ — ٨٠ ) والاشتقاق ١٧٢ .

(٨) يُوَيْفُونَ : يطلبون ويديرون . الأموال : الإبل .

وقلنا بلا عيٍّ وسننا بطاقة إذا النار نار الحرب طال اشتعالها  
لأنهم يجعلون العجز والعي من الخرق ، كانا في الجوارح أم في الألسنة .

وقال ابن أحرر الباهلي :

لو كنت ذا علم علمت وكيف لي بالعلم بعد تدبير الأمر (١)

وقالوا في الصمت كقولهم في المنطق . قال أحيحة بن الجلاح :

والصمت أجمل بالفتي مالم يكن عيٍّ يشينه (٢)

والقول ذو خطل إذا مالم يكن لبُّ يعينه

وقال مُحَرِّز بن علقمة :

لقد وازى المقابر من شريك كثير تحلم وقليل عاب (٣)

صموتا في المجالس غير عيٍّ جديراً حين ينطق بالصواب ١٠

وقال مكِّي بن سودة :

تسلّم بالسكوت من العيوب فكان السكوت أجلب للعيوب

ويرجل الكلام وليس فيه سوى الهديان من حشد الخطيب

وقال آخر (٤)

جمعت صنوف العي من كل جهة وكنت جديراً بالبلاغة من كتب (٥) ١٥

(١) في هامش ل : « تدبر ما هنا من الإدبار » . وفي اللسان : « وعرف الأمر تدبراً ، أي

بأخذه » . قال جرير :

ولا تعرفون الشر حتى يصيكم ولا تعرفون الأمر إلا تدبراً .

(٢) فيما عدل : « أحسن بالفتي » . وسيعاد البيتان في ( ٢ : ٢٧ ) .

(٣) ل : « كبير تعلم » ، والوجه ما في سائر النسخ .

(٤) في الكامل ٢٠ ليسك : « وقال رجل يصف رجلاً من إباد بالعي ، وكان أبوه خطيباً وخاله » .

(٥) فيما عدل ل : « وكنت حرياً » . وفي الكامل : « وكنت مليئاً » .

أَبُوكَ مُعِمٌّ فِي الْكَلَامِ وَمُخَوِّلٌ وَخَالِكٌ وَثَابُ الْجَرَائِمِ فِي الْخُطْبِ

وقال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ الْمَلَالِيُّ (١):

أَتَانَا وَلَمْ يَعِدْهُ سَجْبَانُ وَائِلٌ يَبَانًا وَعِلْمًا بِالذِّى هُوَ قَاتِلٌ  
فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَهُ مِنْ الْعِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِاقْلٍ  
سَجْبَانُ مَكْلٌ فِي الْبَيَانِ ، وَبِاقِلٌ مِثْلُ فِي الْعِيِّ ، وَلَهُمَا أَخْبَارٌ .

وقال الآخر :

مَاذَا رُزِنَسَا مِنْكَ أُمَّ الْأَسْوَدِ مِنْ رَحْبِ الصُّلْرِ وَعَقْلِ مُتَلَدٍ (٢)  
• وَهِيَ صَنَاعٌ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ •

وقال آخر (٣) :

لَوْ صَحِبْتَ شَهْرَيْنِ دَابًّا لَمْ تَمَلْ وَجَعَلْتَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِي وَيَلْ (٤)  
حُبُّكَ لِلْبَاطِلِ قَدْ شَعَلَ كَسْبُكَ عَنْ عِيَالِنَا ، قُلْتُ : أَجَلُ  
• تَضَجُّرًا مِنِّي وَعِيًّا بِالْحِجْلِ •

(١) كنا . والصواب أن صاحب الشعر هو حميد الأرقط ، كما في اللسان ( بقل ٦٥ ) . وحيد الأرقط شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصراً للحجاج ، كما في الخزائن ( ٢ : ٤٥٤ ) نقلاً عن الأنساب . وقد ذكر الحجاج في قوله من أبيات هذه القصيدة :

يقول وقد ألقى المراسى للقرى أين لي ما الحجاج بالناس فاعل

وأما حميد بن ثور الملالى فصحافى عاش إلى خلافة عثمان . الإصابة ١٨٢٠ .

(٢) يقال رجب رجباً ، كحسن حسناً ، ورجب رجباً كصب صباً . والمتلد : القديم . وفي اللسان ( تلد ) :

ماذا رزينا منك أم معبد من سعة الحلم وخلق متلد ٢٠

(٣) هو أبو الخطاب عمر بن عيسى البهذلى ، شاعر كان في عصر هارون الرشيد ، كما في أمالي ثعلب ١٩٤ .

(٤) تقرأ أيضاً « ويل » كفروح ، كما أشير ذلك في هامش ل . وفي أمالي ثعلب : « من قول العلال » .

قال : وقيل لئلاَّ جِمْهَرُ بن البختكان الفارسي<sup>(١)</sup> : أى شَيْءٌ أَسْتَرُ  
للغى ؟ قال : عقلٌ يَجْمَلُهُ . قالوا : فإن لم يكن له عقلٌ . قال : فمالٌ يستو .  
قالوا : فإن لم يكن له مال . قال : فأخوانٌ يَعْبُرُونَ عنه . قالوا : فإن لم يكن له  
أخوانٌ يَعْبُرُونَ عنه . قال : فيكون عَيْبًا صامتا . قالوا : فإن لم يكن ذَا  
صَمْتٍ . قال : فموتٌ وحىٌ خَيْرٌ له من أن يكونَ فى دار الحياة .

وسأل الله عز وجل موسى بن عمران ، عليه السلام ، حين بعثه إلى  
فرعونَ بإبلاغ رسالته ، والإبانة عن حجته ، والإقصاص عن أدلته ، فقال حين  
ذكر العقدة التى كانت فى لسانه ، والمُنبَسة التى كانت فى بيانه : ﴿ وَأَحْلَلْتُ  
عُقْدَةَ مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ .

- ١٠ وأنبأنا الله تبارك وتعالى عن تعلق فرعونَ بكلِّ سببٍ ، واستراحته إلى  
كلِّ شئٍ ، وثبنا بذلك على مذهبِ كلِّ جاحِدٍ معاند ، وكلِّ مُحتالٍ  
مكايدٍ ، حينَ خَبَرنا بقوله : ﴿ لَمْ أَتَا خَيْرٌ مِنَ الَّذِي هُوَ مَعِي . وَلَا يَكَاذُ بَيِّنٌ ﴾ .  
وقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ  
مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ . وقال : ﴿ وَيَضِيئُ صَدْرِي وَلَا يَطْلُقُ لِسَانِي ﴾ ، رغبةً  
منه فى غاية الإقصاص بالحجة ، والمبالغة فى وضوح الدلالة ؛ لتكون الأعتاقُ  
إليه أُمَيْلًا ، والعقولُ عنه أَفْهَمَ ، والنفوسُ إليه أَسْرَعُ ، وإن كان قد يأتى من  
وراء الحاجة ، ويبلغ أفهامهم على بعض المشقة .

والله عز وجل أن يمتحنَ عباده بما شاء من التخفيف والتثقيل ، ويُلَوِّ  
أخبارهم كيف أحبَّ من المحبوب والمكروه . ولكلِّ زمانٍ ضرب من المصلحة  
ونوع من المحنة ، وشكل من العبادة .

(١) بزرجهر بن البختكان ، حكيم فارسي ، وهو الذى قص تاريخ انتساخ كتاب كالية ودمنة  
ورجته من كتب الهند . ونجد كثيرا من أقواله وحكمه مشورة فى عيون الأخبار لابن قتيبة . وه بن البختكان ه  
من ه .

ومن الدليل على أن الله تعالى حلّ تلك العقدة ، وأطلق ذلك التعقيد والخبسة ، قوله : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي . وَاجْعَلْ لِي وَبِئاً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ . فلم تقع الاستجابة <sup>(١)</sup> على شيء من دُعائه دون شيء ، لعموم الخير .

وستقول في شأن موسى عليه السلام ومسألته ، في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله .

وذكر الله تبارك وتعالى جميل بلائه في تعليم البيان ، وعظيم نعمته في تقويم اللسان ، فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، ومدح القرآن بالبيان والإفصاح ، وبِحسن التفصيل والإيضاح ، وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ ، وجماله فرقاناً كما سماه قرآناً . وقال : ﴿ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ <sup>(٢)</sup> ﴾ ، وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ، وقال : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، وقال : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ .

وذكر الله عز وجل لنيته عليه السلام حال قریش في بلاغة المنطق ، ورجاحة الأحلام ، وصحة العقول ، وذكر العرب وما فيها <sup>(٣)</sup> من الدهاء والتكرأ والمكر ، ومن بلاغة الألسنة ، واللدي عند الخصومة ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْحَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّيَةِ حِدَادٍ ﴾ . وقال : ﴿ وَتَنْذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ . وقال : ﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ ، وقال :

(١) ل : : الإجابة .

(٢) في النحل ١٠٣ : وهذا لسان عربي مبين . وفي الشعراء ١٩٥ : بلسان عربي مبين .

(٣) ل : : وما فهم .



﴿عَالِهَتَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ . ثم ذكر خلافة أَلَسْتُمْ ، واستأثمهم الأسماع بِحَسَنٍ منطقيهم ، فقال : ﴿وَأَنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ . ثم قال : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مع قوله : ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ .

وقال الشاعر في قوم يُحسنون في القول ويسبقون في العمل ، قال أبو حفص (١) : أنشدني الأصمعيّ للمكعبير الضبيّ (٢) :

كسالى إذا لاقيتهم غير منطقي يُلَهَى بِهِ المحرّب وهو عناء  
وقيل لُرهمان (٣) : ما تقول في خُرَاعة ؟ قال : جوعٌ وأحاديث !

- وفي شبيه هذا المعنى قال أفنون بن صريم التغلبي :
- لو أننى كنتُ من عادٍ ومن لَدِمٍ غِذَى قَيْلٍ ولقمانٍ وذى جَدَنِ (٤)  
لَمَّا وَقَوْا بِأَخِيهِمْ مِنْ مَهْوَلَةٍ أَخَا السُّكُونِ وَلَا حَادُوا عَنِ السُّنَنِ (٥)  
أَنَّى جَزَوْا عَامراً سَوْىَ يَفْعَلُهُمْ أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنى السَّوْىَ مِنَ الْحَسَنِ (٦)

(١) أبو حفص ، كنية عمر بن أقي عثمان الشمرى .

(٢) المكعبير الضبي اسمه جهث بن غفوط ، كما في حواشي الكامل ٤٨ ليسك . والبيت الثالث

من أبيات منسوبة إليه في الكامل . ولكنها في الحماسة ( ٢ : ١٩١ - ١٩٣ ) منسوبة إلى ولده حمز بن المكعبير . وهو هججو بالشعر بنى عدلى بن جندب ، وكان استجد بهم ليستردوا له إبله التي اغتصبها بنو عمرو بن كلاب ، فلم يصنعوا شيئاً . و « المكعبير » بكسر الباء . وفي اللسان : « ويقال كعبيره بالسيف ، ومنه سمي المكعبير الضبي ، لأنه ضرب قوماً بالسيف » . وضبط في الحماسة بالفتح ، وأجاز التبريزي الكسر أيضاً ، تبعاً لابن جني في المبحج ٣٦ .

(٣) ما عدل ، هـ : « لُرهمان » .

(٤) ما عدل ، هـ : « ريت فهم ومن لقمان أرجدن » . والأبيات مشروحة مفصلة في

المفضليات ٢ : ٦٢ وخزانة الأدب ( ٤ : ٤٥٦ ) . وانظر أمالي الزجاجي ٥١ والقلي ( ٢ : ٥١ ) .

(٥) ل : « لا فذوا » وأشير في هامشها إلى رواية « وقوا » . ل ، هـ : « ولا جلروا » .

(٦) ل ، هـ : « سوي » وأشير في هامشها إلى رواية : « سوي » .

ثُمَّ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطَى الْعُلُوقُ بِهِ      رُثْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللِّينِ  
رُثْمَانُ ، أصله الرِّقَّة والرَّحْمَةُ . والرُّثُومُ أَرْقُ من الرِّعُوفِ . فقال :  
« رُثْمَانُ أَنْفٍ » ، كأنها تَبَرُّ وَلَدُهَا بِأَنْفِهَا وَتَمْنَعُهُ اللَّيْنِ .

وَلَاَنَّ الْعَرَبَ تَجْعَلُ الْحَدِيثَ وَالْبَسْطَ ، وَالتَّائِسَ وَالتَّلَقَّى بِالْبِشْرِ ، مِنْ  
حَقُوقِ الْقِرَى وَمِنْ تَمَامِ الْإِكْرَامِ بِهِ . وَقَالُوا : « مِنْ تَمَامِ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقَةِ عِنْدَ  
أَوَّلِ وَغَلَةِ » ، وَإِطَالَةِ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمَوَاكِلَةِ . وَقَالَ شَاعِرُهُمْ — وَهُوَ حَاتِمُ  
الطَّلَاقِ<sup>(١)</sup> — :

سَلَى الْجَانِعَ الْعَرْنَانَ يَا أُمَّ مُنْزِرٍ      إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ نَارِي وَمَجْزَرِي  
هَلْ أَبْسُطُ وَجْهِي أَنَّهُ أَوَّلُ الْقِرَى      وَأُبْذِلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي  
وَقَالَ الْآخَرُ<sup>(٢)</sup> :

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ خَيْرٌ فَهِيَ      وَخَيْرُهُمْ لَطَارِقٍ إِذَا أَتَى  
وَرُبُّهُ يَضُمُّ طَرَقَ الْحَيِّ سُرَى      صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا اشْتَى  
« إِنَّ الْحَدِيثَ جَانِبٌ مِنَ الْقِرَى » .

وَقَالَ الْآخَرُ<sup>(٣)</sup> :

لِحَافِي لِحَافِ الضَّيْفِ وَالْيَيْتِ يَتُهُ      وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مَقْنَعُ  
أَحَدُهُ إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى      وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ  
وَلِذَلِكَ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَهِمِّ<sup>(٤)</sup> :

(١) لعل هذه العبارة من زيادة بعض القراء . وإلا فإن الشعر ليس حاتم ، بل هو لعروة بن الرود  
في ديوانه ٩٩ والخماسة ( ٢ : ٢٥٨ ) .

(٢) هو الشماع ، وليس في ديوانه . وانظر معجم الشواهد ٢ : ٥٦٤ .

(٣) هو عروة بن الرود المصري ، ديوانه ١٠٠ . ونسب البيت في الخماسة ( ٤ : ٣٣٥ ) ٢٠ .

٢٠ إلى عتبة بن بجير ، أو مسكين الدارمي . ونسبها مع غيرها في الأغاني ( ١١ : ١٤٩ ) إلى العجير  
السلولي ، وذكر أن من الناس من يتنسبها لعروة .

(٤) هو عمرو بن سنان — وهو الأهمم — بن سمي بن سنان بن خالد ، كان سيدياً من سادات

قومه ، خطيباً بليغاً شاعراً شرفاً جليلاً ، وكان يقال لشعره : « الحلال المشقة » . وفد إلى رسول الله ﷺ  
في وفد بني نعيم ، وسأله عن الزبير بن العوام فمليحه ثم هبطه ، ولم يكذب في الجاهل ، فقال —

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيتٌ صالحٌ وصديقٌ<sup>(١)</sup>  
وقال آخر<sup>(٢)</sup>:

أضاحكٌ ضيفي قبلَ إنزالِ رَحْلِهِ      ويخصبُ عندي والمحلُّ جَدِيدُ  
وما الخصبُ للأضيافِ أن يكثرَ القَرَى      ولكنما وجهُ الكريمِ خصيبُ

ثم قال الله تبارك وتعالى في باب آخر من صفة قريش والعرب: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾ وقال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ وقال: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ وقال: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلْتَّرُولِ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

وعلى هذا المذهب قال: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ

بِأَبْصَارِهِمْ﴾. وقد قال الشاعر في نظر الأعداء بعضهم إلى بعض:  
يتقارضون إذا التقوا في موقفٍ      نظراً يُزِيلُ مَوَاطِئَ الْأَقْدَامِ<sup>(٣)</sup>

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُبَيِّنَ

لَهُمْ﴾؛ لأنَّ مدار الأمر على البيان والتبيين<sup>(٤)</sup>، وعلى الإفهام والتفهيم<sup>(٥)</sup>. وكلما كان اللسان أبين كان أحمداً، كما أنه كلما كان القلب أشدَّ استبانةً كان أحمداً. والمفهم لك والمفهم عنك شريكان في الفضل، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم

= رسول الله: إن من الشرِّ حكماً وإن من البيان سحراً.

(١) البيت من قصيدة طويلة لمرو بن الأهم في المفضليات (١: ١٢٣ - ١٢٥) برواية:

فهذا صبح راحن وصديق.

(٢) هو الحري، كما في عيون الأخبار (٣: ٢٢٩). والحري هو إسحاق بن حسان بن

فهمي، كما في الحيوان (١: ٢٢٤).

(٣) وكذا ورد إنشاده في اللسان (قرض). وقد أشير في هامش ل إلى رواية: «يزل مواقع

الأقدام» في نسخة. وفيما عدل: «يزل مواقع».

(٤) ما عدل: «هـ: العيين».

(٥) ما عدل: «هـ: التفهيم».

وكذلك المعلم والمتعلم . هكذا ظهر هذه القضية ، وجمهور هذه الحكومة ،  
إلا في الخاص الذي لا يُذكر ، والقليل الذي لا يُشهر .

وضرب الله عز وجل مثلاً لعمى اللسان ورداءة البيان ، حين <sup>(١)</sup> شبه  
أهله بالنساء والولدان : فقال تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ يُثْبِتُ فِي الْحِجَةِ وَهُوَ فِي  
الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ . ولذلك قال التمر بن تولب :

وكلُّ خليلٍ عليه الرِّعَاثُ والحُبْلَاتُ ، ضعيفٌ مَلِيَقٌ <sup>(٢)</sup>  
الرِّعَاثُ : القِرْطَةُ . والحُبْلَاتُ : كلُّ ما تَزَيَّنَتْ به المرأة من حَسَنِ  
الحُلِيِّ ، والواحدة حُبْلَةٌ .

وليس ، حَفِظَكَ اللهُ ، مَضْرُوءُ سُلَاطَةِ اللِّسَانِ عِنْدَ الْمُنَازَعَةِ ، وَسَقَطَاتُ  
الْخَطْلِ يَوْمَ إِطَالَةِ الْخُطْبَةِ ، بِأَعْظَمَ مِمَّا يَحْدُثُ عَنِ الْعَمَى مِنْ اخْتِلَالِ الْحِجَةِ ،  
وَعَنِ الْحَصْرِ مِنْ فَوْتِ دَرْكِ الْحَاجَةِ . وَالنَّاسُ لَا يَعِيرُونَ الْخُرْسَ ، وَلَا يُلَوِّمُونَ  
مَنْ اسْتَوَلَى عَلَى بَيَانِهِ الْعِجْزُ . وَهُمْ يَذْمُونَ الْحَصْرَ ، وَيُوَنِّبُونَ الْعَمَى ، فَإِنْ  
تَكَلَّفَا مَعَ ذَلِكَ مَقَامَاتِ الْخُطْبَاءِ ، وَتَعَاطَيَا مَنَاطِرَ الْبُلْغَاءِ <sup>(٣)</sup> ، تَضَاعَفَ  
عَلَيْهِمَا الذَّمُّ وَتَرَادَفَ عَلَيْهِمَا التَّأْنِيبُ . وَمِمَّا تَنَبَّأَ الْعَمَى الْحَصْرُ لِلْبَلِيغِ الْمِصْقَعِ ، فِي  
سَبِيلِ مِمَّا تَنَبَّأَ الْمَنْقَطَعُ الْمَفْحَمُ لِلشَّاعِرِ الْمَقْلُقِ <sup>(٤)</sup> ؛ وَأَحَدُهُمَا الْيَوْمُ مِنْ صَاحِبِهِ ،  
وَالْأُخْرَى إِلَيْهِ أَسْرَعُ .

وليس اللَّيْجُلَاجُ وَالتَّمَتُّامُ ، وَالْأَلْتَفُغُ وَالْفَأْفَاءُ ، وَذُو الْحُبْسَةِ وَالْحُكْلَةُ وَالرُّيَّةُ <sup>(٥)</sup>  
وَذُو اللَّفْفِ وَالْعَجَلَةُ <sup>(٦)</sup> ، فِي سَبِيلِ الْحَصْرِ فِي خُطْبَتِهِ ، وَالْعَمَى فِي مُنَازَلَةِ خُصُومِهِ ،

(١) ل : هـ حتى .

(٢) البيت في اللسان ( رعث ) . والتفسير بعده ساقط من هـ .

(٣) ل : هـ مناضلة البلغاء .

(٤) ماتن فلان فلاناً ، إذا عارضه في جدل أو خصومة .

(٥) الحكلة : شبه العجمة ، لا بين صاحبها الكلام . والريّة : عجلة في الكلام وقلة أناة .

(٦) رجل ألف ، أى عصى بطيء الكلام ، إذا تكلم ملاً لسانه فمه .

كما أن سبيل المُفَحِّم عند الشعراء ، والبكى عند الخطباء ، خلاف سبيل  
المُسَهِّب الثَّرَّار ، والخطيل المِكْتَار .

- ثم اعلم — أبقاك الله — أن صاحب التشديد والتقير والتقريب <sup>(١)</sup>  
من الخطباء والبلغاء ، مع سماحة التكلف ، وشنعة التزيد ، أعذر من عبي  
يتكلف الخطابة ، ومن حصير يتعرض لأهل الاعتياد والتزينة . ومدار اللائمة  
ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف ، ويأنا يمازجه التزيد .  
إلا أن تعاطى الحصير المنقوص مقام الدرب التام ، أفتح من تعاطى البليغ  
الخطيب ، ومن تشاذق الأعرابي الفح . وانتحال المعروف ببعض الغزارة في  
المعاني والألفاظ ، وفي التحجير والارتجال ، أنه البحر الذي لا ينزح ، والقمر  
الذي لا يسير ، أيسر من انتحال الحصير المنحوب أنه في ميسلاخ التام <sup>(٢)</sup>  
الموفر ، والجامع المحكك <sup>(٣)</sup> . وإن كان النبي ﷺ قد قال : « إياي  
والتشاذق » ، وقال : « أبغضكم إلى الثرثارون المتفهبون » <sup>(٤)</sup> ، وقال : « من بدا  
جفا » . وعاب الفدايين <sup>(٥)</sup> والمتزدين ، في جبهة الصوت وانتحال سعة الأشداق ،  
ورحب الغلاصم وهذل الشفاه ، وأعلمنا أن ذلك في أهل الوبر أكثر ، وفي أهل  
المتر أقل — فإذا عاب المديري بأكثر مما عاب به الوبري <sup>(٦)</sup> ، فما ظنك بالمؤلد القروي  
والتكلف البلدي . فالحصير المتكلف والعبي المتزيد ، ألوم من البليغ المتكلف

(١) التقير : أن يتكلم بأقصى قمر فمه . والتقريب في الكلام كالتصغير فيه .

(٢) المنحوب : الجبان الضعيف القلب . والميسلاخ ، الجلد ، أراد أنه في هيئته ومزجه .

(٣) المحكك : المنجذ ، الذي جرب الأمور وعرفها .

(٤) المتفهبون : الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم ، مأخوذ من الفهق ، وهو

الامتلاء والانتاع .

(٥) في الحديث ( ٥ : ٥٠٧ — ٥٠٨ ) : « الفداد : الجاني الصوت والكلام » . وقد ساق في

ذلك خبراً وحديثاً .

(٦) المديري : الحضري ، ومباني أهل الحضرة بالمدن ، وهو قطع الطين اليابس . والوبري : ساكن

البلدية ، والبلدة يتخذون بيوتهم من الوبر .

لأكثر مما عنده . وهو أعذر ؛ لأنَّ الشبهة الداخلة عليه أقوى . فمن أسوأ حالاً — أبقاك الله — مَن يكون ألوم من المشكِّقين ، ومن الثَّرائين التفتيحين ، ومن ذكره النبي ﷺ نصاً ، وجعل التَّهْي عن مذهبه مفسراً ، وذكر مقته له وبغضه إياه .

- ولما علم واصل بن عطاء <sup>(١)</sup> أنه أُلْتُغ فاحش اللُّغ ، وأنَّ مَخرج ذلك منه شنيع ، وأنه إذ كان داعيةً مقالاةً ، ورئيسَ نحلة ، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل ، وأنه لا بُدَّ له من مقارعة الأبطال ، ومن الخطب الطوال ، وأنَّ البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة ، وإلى ترتيب ورياضة ، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة ، وإلى سهولة المخرج وجَّهارة المنطق ، وتكميل الحروف وإقامة الوزن ، وأنَّ حاجة المنطق إلى الخلاوة ، كحاجته إلى الجلالة ١٠ . والفخامة <sup>(٢)</sup> ، وأنَّ ذلك من أكثر مائستال به القلوب ، وتُشْتَى به الأعناق <sup>(٣)</sup> ، وتزِين به المعاني ؛ وعِلِمَ واصلٌ أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام ، واللسان المتمكِّن والقوة المتصرفة ، كنحو ما أعطى الله تبارك وتعالى نبيه موسى عليه السلام من التوفيق والتسديد ، مع لباس التقوى وطابع النبوة ، ومع المِحنة <sup>(٤)</sup> والاتساع في المعرفة ، ومع هَدْيِ النبيِّين وسَمَتِ المرسلين ، وما يُعَشِّيهُم الله به من القبول ١٥ .

(١) هو أبو حذيفة وأصل بن عطاء المحرل ، وكان يجلس إلى الحسن البصري ، فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر ، وقالت : الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر — خرج واصل عن الفريقين ، وقال : إن الناسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ، بل هو بمنزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه ، وجلس إليه عمرو بن عبيد ، قتل لهذا ولأبائهما

مختلزين . ولد سنة ٨٠ وقرئ سنة ١٨١ . وابن خلكان ، ولسان الميزان ( ٦ : ٢١٤ ) .

(٢) فيما عدل : إلى الجلالة والفخامة .

(٣) فيما عدل : هـ : وتشتى إليه الأعناق .

(٤) المحنة : الاحتقان والاحتجار . فيما عدل : المحنة .

والمهابة . ولذلك قال بعضُ شعراء النبی ﷺ (١) :

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبَيِّنَةٌ كانت بداهته تُثَبِّتُك بالخبر

ومع ما أعطى الله تبارك وتعالى موسى ، عليه السلام ، من الحجّة البالغة ، ومن  
العلامات الظاهرة ، والبرهانات الواضحة ، إلى أن حلَّ الله تلك العقدة وأطلق تلك  
الخبسة (٢) ، وأسقط تلك المحنة ؛ ومن أجل الحاجة إلى حُسن البيان ، وإعطاء  
الحروف حقوقها من الفصاحة — رآه أبو حذيفة إسقاط الرءاء من كلامه ، وإخراجها  
من حروف منطوقه ؛ فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ، ويناضله ويساجله ، ويتأبى لسترو  
والراحة من هُجته ، حتى انتظم له ما حاول ، وأتسق له ما أمل .

ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلاً ،  
ولطرافته معلماً ، لما استجرتنا الإقرار به ، والتأكيد له . ولستُ أغنيَ خطبه المحفوظة  
ورسائله المخلدة ، لأنَّ ذلك يحتمل الصنعة ، وإنما عنيُّ معاجزة الخصوم ومناقلة  
الأكفء ، ومفاوضة الإخوان .

واللغة في الرءاء تكون بالغين والذال والياء ، والغين أقلها قبحاً ، وأوجدها في  
كبار الناس وبلغائهم وأشرفهم وعلمائهم .

وكانت لثقة محمد بن شبيب المتكلم ، بالغين ، فإذا حمل على نفسه وقوم  
لسانه أخرج الرءاء : وقد ذكره في ذلك أبو الطرّوق الضبيّ (٣) فقال : ١٥  
علمٌ بإبدال الحروف وقامعٌ لكل خطيب يغلب الحقُّ باطله

(١) هو عبد الله بن راحة الأنصاري . انظر الإصابة ٤٦٦٧ . وبعض آيات القصيدة في

السيرة ٧٩٢ جوتجن والمؤلف ١٢٧ .

(٢) فيما عدل : هـ وضع تلك الخبسة هـ .

(٣) أبو الطرّوق ، لم أجده له ترجمة إلا ما قال ابن خلكان ، أنه كان شاعراً من شعراء المعتزلة ،  
وأنه مدح وأصل بن عطاء بإطالة الخطب ، واجتنبه الرءاء على كثرة ترددها في الكلام . انظر الوفیات في  
ترجمة وأصل بن عطاء . وقد ذكره المرزبان في معجمه ٥١٣ في باب ذكر من غلبت كنيته على اسمه .  
وانظر الحيوان ( ٦ : ٩٢ ) .

وكان واصل بن عطاء قبيح اللثة شنيعها ، وكان طويل العنق جداً ؛  
ولذلك قال بِشَّارُ الأعمى :

مالي أشايغ غزالاً له عنقٌ كَيَقْنِقِ النَّوْ إن وَلِي وإن مَثَلًا<sup>(١)</sup>  
عُنُقُ الزَّرَافَةِ ما بالي وبِأَلْكُمُ أَتَكْفِرُونَ رجالاً أَكْفَرُوا رجالاً

٥ فلما هجا واصلًا وصوبَ رأى إبليسَ في تقديم النَّارِ على الطُّينِ ، وقال : ١١  
الأرض مظلمة والنَّارُ مُشْرِقةٌ والنَّارُ معبودةٌ مذ كانت النَّارُ  
وجعل واصل بنَ عطاء غزالاً ، وزعم أنَّ جميعَ المسلمين كفَّروا بعد وفاة  
الرسول ﷺ ، فقيل له : وعلى أيضاً ؟ فأنشد :

وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذي لا تُصَبِّحُنَا<sup>(٢)</sup>  
١٠ قال واصل بن عطاء عند ذلك : « أما لهذا الأعمى المَلِجِدُ المُشْنَفُ المَكْنَى بأبي  
معاذٍ مَنْ يَقتله<sup>(٣)</sup> . أما والله لولا أن الغيلةَ سَجِيَّةٌ من سجايا الغالية ، لبعثتُ إليه  
من يَمَسُّجِ بطنه على مضجعه ، ويقتله في جوف منزله وفي يوم حَفَله ، ثم كان  
لا يتولَّى ذلك منه إلا عَقِيلٌ أو سَلُومى<sup>(٤)</sup> » .

قال إسماعيل بن محمد الأنصارى ، وعبد الكريم بن روح الغفارى : قال أبو  
١٥ حفص عمر بن أبى عثمان الشَّمرى : ألا تريان كيف تجنب الرءاء في كلامه هذا وأنتما  
للَّذى تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه لا تظنَّان به التكلف ، مع امتناعه  
من حَرْفِ كثير الثوران في الكلام . ألا تريان أنَّه حين لم يستطع

(١) النقيق ، بكسر النونين : ذكر العام . والدو ، والدوية ، والدلوية ، والثأوية : الفلاة .

(٢) البيت لعمر بن كلثوم في معلقته . ل : « وما دون الثلاثة » وهى رواية غريبة . صبح

٢٠ القوم : سقاهم الصبوح : والمراد به الخمر . ما عدا هـ : « لا تصبِّحُنَا » .

(٣) المشنف : الذى لبس الشنف ، وهو يالفتح : القروط فى أعلى الأذن . وفيما عدا ل :

« المكنى » بدل « المكنى » . وانظر الكامل ٤٨٨ هـ ليسك .

(٤) (٤) بشار بن برد من أصل فارسى ، وكان أبوه برد مولى لأمّ الطباء العقيلية السدوسية ، فادعى

بشار أنه مولى بنى عقيل لزوجله فيهم . الأغاني ( ٢٠ : ٣ ) .



أن يقول بشَّار ، وابن بُرد ، والمرعَّث ، جعل المشنَّف بدلا من المرعَّث ، والمَّلجد بدلا من الكافر ؛ وقال : لولا أنَّ الغيلة سجيَّة من سجايا الغالية ، ولم يدكر المنصورية ولا المغيرة <sup>(١)</sup> ؛ لمكان الرء ؛ وقال : لبعثت من يبيع بطنه ، ولم يقل : لأرسلت إليه ؛ وقال : علَى مضجعه ، ولم يقل : على فراشه .

- وكان إذا أراد أن يذكُر البَر قال : القمح أو الحنطة . والحنطة لغة كوفيَّة . والقمح لغة شامية . هذا وهو يعلم أنَّ لغة من قال برّ ، أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة . وقال أبو ذؤيب الهذلي <sup>(٢)</sup> :

لا دَرَّ دَرِّي إن أطعمتُ نازلم قَرَفَ الحَيِّ وعندي البَرِّ مكنوز <sup>(٣)</sup>

وقال أمية بن أبي الصلت في مدح عبد الله بن جُدعان <sup>(٤)</sup> :

- ١٠ له داع بمكة مشمِعٌ      وآخر فوق دارته يُنادي

- (١) المنصورية : إحدى فرق الغالية من الشيعة ، وهم أصحاب منصور العجلي ، وكان يزعم أن علياً هو الكسف الساقط من السماء ، وأن أول ما خلق الله عيسى عليه السلام ، ثم على بن أبي طالب . انظر الملل ( ٢ : ١٤ ) ومفاتيح العلوم ٢٢ والمواقف ٩٢٥ والفرق بين الفرق ٢٣٤ . والمغيرة : فرقة من غلاة الشيعة أيضاً ، وهم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي . وكان مولد لخالد بن عبد الله القسري ، ادعى النبوة لنفسه ، وغلا في حق علي غلوا ظاهراً . انظر الملل ( ٢ : ١٣ ) ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف ٦٢٤ والفرق بين الفرق ٢٢٩ والحيوان ( ٢ : ٢٦٧ ) .

(٢) وكذا نسبة الجاحظ في الحيوان ( ٥ : ٢٨٥ ) . وفيما عدل : المتخلف المذل . وهذه النسبة الأخيرة في القسم الثاني من مجموعة أشعار المذللين ص ٨٧ وجهود ابن دريد ( ١ : ٢٧ ) . وانظر اللسان ( ٥ : ٣٦٥ / ١٨ : ١٧٩ ) وجهود الأمثال للمسكزي ١٧٩ .

- (٣) القرف ، بالكسر : القشر . والحني : سوق المقل ، وقيل رديه ، وقيل يابسه .  
(٤) عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، أحد أجداد العرب في الجاهلية ، وكان ممدحاً لأمية بن أبي الصلت ، مدحه بقوله :  
أذكر حاجتي لم قد كفاني      حياؤك إن شيمتك الحياء  
ثم بقوله :

- ٢٥ عطاؤك نهن لأمري إن حيوت      يئذل وما كل العطاء نهن  
وكان له أمثال تسميان : الجردتين ، فوهه إيما . الأغاني ( ٨ : ٢ - ٤ ) .

إلى رُدْح من الشَّيْزَى عليها لُبَابُ الثَّيْرِ يُلْبِكُ بِالشَّهَادِ (١)

وقال بعض القرشيين يذكر قيس بن معد يكرب ومقدمه مكة في كلمة له :

قيسُ أبو الأشعثِ بطريقِ اليمنِ لا يسألُ السائلُ عنه ابنُ مَنْ (٢)  
• أشيعَ آلُ الله من يرَّ عَدَنَ •

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « أَتُرَوْنَ إِنِّي لَا أَعْرِفُ رَقِيقَ الْعِيشِ ؟  
لُبَابُ الثَّيْرِ بِصَغَارِ الْمُعْزَى (٣) » .

وسمع الحسن رجلاً يعيب الفالوذق ، فقال : « لُبَابُ الثَّيْرِ ، بُلْعَابُ  
التَّحُل ، بِخَالِصِ السَّمَنِ ، مَا عَابَ هَذَا مُسْلِمٌ ! » .

وقالت عائشة : « مَا شِيعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَذِهِ الثَّيْرَةِ السَّمَرَاءِ  
١٠ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا » .

وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك  
تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر .

حدثني أبو سعيد عبد الكريم بن روح قال : قال أهل مكة لمحمد بن  
المناذر الشاعر (٤) : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، إنما الفصاحة

١٥ (١) الرُدْح : جمع رِاح ، كسحاب ، وهي الجفنة العظيمة . والشيزى : خشب أسود تتخذ منه  
القضبان . واللباب : الخالص . والشهاد ، بالكسر : جمع شهد ، وهو العسل . وقد نسب البيت في  
اللسان ( شيز ) إلى ابن الزبير ، وفي ( روح ، شهد ) إلى أمية .

(٢) ل : يا ابن من . والسائل تقرأ بالرفع بمعنى أنه لا يحتاج إلى التعريف بأبيه ، وبالنصب  
بمعنى أنه يعطى من يعرف ومن لا يعرف .

(٣) انظر الجيوان ( ٥ : ٤٨١ ) . ٢٠

(٤) هو محمد بن مناذر ، مولى بنى صبيح بن يربوع ، كان إماماً في علم اللغة وكلام العرب ،  
وكان في أول أمره ناسكاً ملازماً للمسجد كثير التواضع جميل الأمر ، إلى أن فتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب  
التقفي ، فتهتك بعد سترو ، وقتل بعد تسكة . وكان معاصراً للأصمعي ، وخلف الأحرار ، وأدى العناية ،  
وأدى نؤاس . ومناذر ، بضم الميم . ومحمد أخيلار حسان في الأغاني ( ١٧ : ٩ - ٣٠ ) .

- لنا أهل مكة . فقال ابن المناذير : أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن ، وأكثرها له موافقة ، فضنعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم . أنتم تسمون القدر بـرمة وتجمعون البرمة على برام ، ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور ، وقال الله عز وجل : ﴿ وَجِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَالْحَقِّ رَاسِيَاتٍ <sup>(١)</sup> 》 . وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت علية <sup>(٢)</sup> ، وتجمعون هذا الاسم على علالي ، ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ عُرِفَ مِنْ قَرْيَةٍ عُرْفَ مَنِيَّةٍ 》 وقال : ﴿ وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ 》 . وأنتم تسمون الطلع الكافور والإغريض ، ونحن نسميه : الطلع . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَحُلْ طَلْعُهَا هَضِيمٌ 》 . فعَدَّ عشر كلمات لم أحفظ أنا منها إلا هذا .
- ألا ترى أنَّ أهل المدينة لما نزل فيهم ناسٌ من القُرْسِ في قديم الدهر علقوا ١٠  
بألفاظ من ألفاظهم ، ولذلك يسمون البطيخ : الخربز ، ويسمون السميط : الرزْدَقِ <sup>(٣)</sup> ، ويسمون المصوص : المزور <sup>(٤)</sup> ، ويسمون الشطرنج : الأشترنج ، في غير ذلك من الأسماء . وكذلك أهل الكوفة ؛ فإنهم يسمون المسحاة : بآل ، وبآل بالفارسية .
- ولو علق ذلك لغة أهل البصرة إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد ١٥  
العرب كان ذلك أشبه ، إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد التبت وأقصى بلاد العرب .

(١) كالجواب ، هنا ما في ل ، هـ : وهي قراءة ورش وأبي عمرو في الوصل ، وابن كثير ويعقوب في الوصل والوقف . وقراءة سائر القراء : كالجواب . وهي ما في سائر النسخ . وانظر الحيوان ( ٤ ) : ٦/٩١ ( ١٦٣ ) .

(٢) العلية ، بكسر العين وضمها مع تشديد اللام المكسورة ، لعتان .  
(٣) السميط ، كشريف وبهجة التصغير أيضاً : الأجرُ القام بعرضه فوق بعض . والرزْدَق ، فارسي معرب ، وأصله بالفارسية « رسته » ومعناه السطر والصف من النخل وغيره . وفي الأصول : الرزْدَق « عَرَفَ » .

(٤) المصوص : لحم يتقعق في الخلل ويطبخ .

ويسمى أهل الكوفة الحَوْك : الباذرُوج <sup>(١)</sup> ، والباذرُوج بالفارسية ،  
والحوك كلمة عربية . وأهل البصرة إذ التقت أربع طرق يسمونها : مُرْبة ،  
ويسمونها أهل الكوفة : الجهار سوك . والجهار سوك بالفارسية . ويسمون السوق  
والسويقة : « وازار » ، والوازار بالفارسية . ويسمون القنّاء : خِياراً ، والخيار  
بالفارسية . ويسمون المجدوم : وَيَذَى ، بالفارسية .

وقد يستخف الناس ألقاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها . ألا  
تري أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في  
موضع الفقر الملقع والعجز الظاهر . والناس لا يذكرون السَّعْب ويذكرون  
الجوع في حال القدرة والسلامة . وكذلك ذكر المطر ؛ لأنك لا تحمد القرآن  
يلفظ به إلا في موضع الانتقام . والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر  
المطر وبين ذكر الغيث . ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم  
يقُل الأسماع ، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين . ألا تراه لا يجمع الأرض  
أرضين ، ولا السمع أسماعاً . والجاري على أفواه العامة غير ذلك ، لا يتفقدون  
من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعض القراء أنه لم  
يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج .

والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما ، وتستعمل ما هو أقل في  
أصل اللغة استعمالاً وتدع ما هو أظهر وأكثر ، ولذلك صيرنا نجد البيت من  
الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه ، وكذلك المثل السائر .

وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية في الشهرة ولا يُرزق ذلك الذكر والتنويه  
بعض من هو أولى بذلك منه . ألا ترى أن العامة ابن القريّة <sup>(٢)</sup> عندها أشهر في

(١) الباذرُوج ، ذكر في الحُمد ١٠ أنه رجانة معروفة .

(٢) ابن القمية ، هو أبو سليمان أيوب بن زيد ، كان أعزياً أمياً . وهو معدود في الخطباء  
المشهورين ، قتله الحجاج بن يوسف سنة ٨٤ . والقمية ، بكسر القاف وتشديد =

الخطابة من سبحان وائل . وعُيِّدَ الله بن الحرّ (١) أذكرَ عندهم في القروسية من زهير بن ذؤيب . وكذلك مذهبهم في عنترة بن شداد ، وعنتية بن الحارث ابن شهاب (٢) . وهم يضربون المثل بعمرو بن معديكرب ، ولا يعرفون بسطام ابن قيس (٣) .

- وفي القرآن معان لا تكاد تفترق ، مثل الصلاة والزكاة ، والجوع والخوف ، واللجنة والنار ، والرغبة والرهبة ، والمهاجرين والأنصار ، والجن والإنس . قال قطرب : أنشدني ضرار بن عمرو (٤) قول الشاعر في واصل بن عطاء :  
ويجعل الأبر قمحاً في تصرفه وجائب الرأى حتى احتال للشعر (٥)

= الرأى المكسورة : اسم لإحدى جداته . وذكر الأصماني في الأغاني أن ثلاثة أشخاص شاعت أخبارهم واشتهرت أخبارهم ولا حقيقة لهم ولا وجود في الدنيا ، وهم : مجنون ليل ، وابن القية ، وابن أوى العقب . ١٠  
انظر وفیات الأعيان والمعارف ٢٥٨ والأغاني ( ١ : ١٦٣ ) .

(١) عبيد الله بن الحر الجعفي : قائد من الشجعان الأبطال ، وكان بينه وبين مصعب بن الزبير منافسة ، صمد عبيد الله لرجال مصعب صموداً ، ولكن أصحابه تقربوا عنه فخاف أن يؤسر فالتقى بنفسه في الفرات فمات غرقاً . وكان عبيد الله شاعراً فحلاً . انظر ابن الأثير في حوادث سنة ٦٨ والمحيون ( ١ : ١٠٣ - ١٠٤ ) . ١٥

(٢) كان فارس نجيم ، وفيه يقول عمرو بن معديكرب : « مقابل أي ظنية لقيت على ماء من أمواه معد ، ما لم يلقي دنيا عيهاها أو حراها » . يعني بالخرين : عامر بن الطفيل ، وعنتية بن الحارث ، وبالبعدين : عنترة ، والسليك بن السليكة . الأغاني ( ١٤ : ٢٧ ) .

(٣) بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني ، سيد شيان ، ومن أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقته عاصم بن خليقة الضبي يوم الشقيقة . ٢٠

(٤) ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الضررية من فرق الجبهة ، وكان في بدء أمو تلميذاً لواصل بن عطاء المحترق ، ثم خالفه في خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر . الاعتقادات للرازي ٦٩ والفرق بين الفرق ٢٠١ . ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود ، وحرف أبي بن كعب ، ويقطع بأن الله لم ينزله . الملل والنحل ( ١ : ١١٥ ) . قال أحمد بن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحي القاضي ، فأمر بضرب عنقه فهرب ، وقبل إن يحيى بن خالد البرمكي أخفاه . لسان الميزان ( ٣ : ٢٠٣ ) . ٢٥

(٥) من أسماء الشعر مما ليس فيه الرأى « السبد » بالتحريك ، و « الملب » بالضم ، و « المسبحة » ، و « المصالح » . و « الجملة » : ما طال من الشعر ، و « اللمة » : مزاد على الجملة . و « الحصلة » ، بالضم : ما اجتمع من الشعر ، كذلك . انظر المختص ( ١ : ٦٢ - ٦٩ ) .

ولم يُطَقْ مطراً والقول يُعْجَلُهُ فعادَ بالغيث إشفاقاً من المطرِ  
قال وسألت عُثْمَانَ النَّبْرِيَّ (١) : كيف كان واصلُ يصنع في العدد ؛  
وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين ؛ وكيف كان يصنع بالقمر والبدر  
ويوم الأربعاء وشهر رمضان ، وكيف كان يصنع بالحرم وصفر وربيع الأول وربيع  
الآخر وجمادى الآخرة ورجب ؟ فقال : مالى فيه قولٌ إلا ما قال صفوان :  
ملقن ملهمٌ فيما يحاوله جَمٌّ خواطره جوابُ آفاقِ  
وأُنشدنى ديسم (٢) قال : أنشدنى أبو محمد الزيندى :

وَحَلَّةُ اللَّفْظِ فِي الْبَاءَاتِ إِنْ ذَكَرْتَ كَحَلَّةِ اللَّفْظِ فِي اللَّامَاتِ وَالْأَلِفِ (٣)  
وَحَصَلَةُ الرَّاءِ فِيهَا غَيْرُ خَافِيَةٍ فَاعْرِفْ مَوَاقِعَهَا فِي الْقَوْلِ وَالصَّحْفِ (٤)  
يزعم أن هذه الحروف أكثر تردداً من غيرها ، والحاجة إليها أشد .  
واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب . من جملة خطب الناس  
ورسائلهم ؛ فإِنَّكَ متى حَصَلَتْ جميع حروفها ، وعددت كل شكل على  
جدة ، علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد .

(١) هو أبو سلمة عثمان بن مقسم البصري الكندي البصري . قال السمعاني في الأنساب ٧٧ :  
هذه النسبة إلى البر وهو المخطئة ، وهذه النسبة إلى يمه ، والمشهور بهذا الانساب أبو سلمة عثمان بن  
١٥ مقسم البصري الكندي مولى لهم من أهل الكوفة يروى عن قتادة ، وابن أبي إسحاق ، وحماد بن أبي  
سليمان ، وجابر ، وعاصم بن أبي النجود . وكان قديماً معروفاً بالكتب ووضع الحديث . لسان الميزان  
( ٤ : ١٥٥ ) .

(٢) هو ديسم العنزي أحد من هاجمهم بشار . الحيوان ( ١ : ١٨٣ ) . وكان بشار كثير اللوع  
٢٠ بديسم العنزي ، وكان صديقاً له ، وهو مع ذلك يكثر هجاءه . الأغاني ( ٣ : ٢٧ ) .

(٣) الحلة ، بالفتح : الحصلة . فيما عدل : إن فقدت ؛ والمعنى يتجه بكل منهما .

(٤) أشير في هامش هـ إلى رواية : « وحصة » في نسخة .

## ذكر ما جاء في تلقيب واصل بالغزال ومن نفى ذلك عنه

قال أبو عثمان : فمن ذلك ما خبرنا به الأصمعي قال : أنشدني  
المعتمر بن سليمان ، لإسحاق بن سويد العلوي :

برئت من الخوارج لست منهم      من الغزال منهم وابن باب (١)  
ومن قوم إذا ذكروا علياً      يردون السلام على السحاب  
ولكنني أحب بكل قلبي      وأعلم أن ذاك من الصواب  
رسول الله والصدق حياً      به أرجو غداً حسن الثواب (٢)  
وفي مثل ذلك قال بشار :

مالي أشايع غزاًلاً له عنق      كيتقي اللو إن ولي وإن مثلاً (٣)  
ومن ذلك قول معدان الشميطي (٤) :

يوم تشفى النفوس من يعصر اللو      ويشتي بسامة الرحال (٥)  
وعندي وتيها وتقيف      وأمي وتغليب وهلال  
لا حرورا ولا النواصب تنجو      لا ولا صحب واصل الغزال (٦)

(١) يعني بالغزال واصل بن عطاء . وابن باب ، هو عمرو بن عبيد ، من شيوخ المعتزلة ، وأحد الزهاد المشهورين . توفي بمران سنة ١٤٤ ورواه المنصور . قالوا : ولم يسمع بخليفة رضى من دونه سواء . تاريخ بغداد ٦٦٥٢ والمعارف ٢١٢ . وانظر لتعليل تسمية المعتزلة بالخوارج الفرق بين الفرق ٩٩ حيث أنشد البيهقي . وفي اللسان ( ٤٦٧ ) : « من الغزال » بالعين المهملة . وانظر الكامل ٥٤٦ . (٢) فيما عدل : « حسن المآب » .

(٣) سبق البيت في ص ١٦ .  
(٤) هو أبو السري معدان الأعمى الشميطي المديني . ونسبه إلى الشميطة ، وهي فرقة من الشيعة الإمامية الرافضة ، تنسب إلى أحمد بن شبيب صاحب المختار . وقد قتلها معاً مصعب بن الزبير . ما عدا هـ : « الشميطي » تصحيف . انظر الفرق بين الفرق ٣٦ ، ٣٩ ومفاتيح العلوم ٢٢ ، وكامل البرد ٦٤٣ والمثل والحل ( ٢ : ٣ ) .

(٥) يعصر : أبو قبيلة ، وهو يعصر - ويقال أعصر أيضا - بن سعد بن قيس بن غطفان . انظر الاشتقاق ١٦٤ ، والمعارف ٣٦ والقلموس ( عصر ) . وسامة ، هو سامة بن لؤي ، ولقبه بالرحال لأن أخاه عامر بن لؤي توعده حين قفا عنه ، فرحل إلى عمان هارباً حيث لقي حفه في الطريق . انظر سيرة ابن هشام ٦٣ جوتجن .

(٦) النواصب ، والناصية ، وأهل النصب : المتدينون بيقضه على ، لأنهم نصبوا له ، =

وكان بشارٌ كثير المدح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بشارٌ بالرجعة ،  
ويكفر جميع الأمة . وكان قد قال في تفضيله على خالد بن صفوان <sup>(١)</sup> وشيب <sup>١٦</sup>  
ابن شيبه <sup>(٢)</sup> ، والفضل بن عيسى <sup>(٣)</sup> ، ويوم خطبوا عند عبد الله بن عمر بن  
عبد العزيز وإلى العراق :

أبا حذيفة قد أوتيتْ مُعْجِبةٌ في خطبةٍ بدّدت من غير تقدير  
وإن قولاً يروق الخالدين معاً لمُسكِتٍ مُخْرِسٍ عن كُلِّ تحبير <sup>(٤)</sup>  
لأنه كان مع ارتجاله الخطبة التي نزع منها الرأ <sup>(٥)</sup> ، كانت مع ذلك  
أطول من خطبهم . وقال بشار :

تكلّفوا القول والأقوام قد حفلوا وخبروا خطباً ناهيك من خطب  
فقام مرتجلاً تغلّى بدائته كيمرجل القين لما حُفّ باللّه  
وجائب الرأ لم يشعر بها أحد قبل التصفّح والإغراق في الطلب <sup>(٦)</sup>  
وقال في كلمة له يعنى تلك الخطبة :

فهذا بديّة لا كتخبير قائل إذا ما أراد القول زوّره شهر <sup>(٧)</sup>

= أى عذوه . فيما عدل ، هـ : « النواب » تحريف ، صواب هذه النواب « كافي هـ . وقد أشير  
إلى هذه الرواية الأخيرة في هامش ل .

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهم ، كان قريباً لشيب ، وعلمنا من أعلام الخطابة ،  
وقد وفد إلى هشام ، وكان من سمار أبن العباس ، وكان مطلقاً ، روى أنه قال : « ما من ليلة أحب إلى  
من ليلة قد طلقت فيها نسائي ، فأرجع والستور قد قلعت ، ومتاع البيت قد نقل ، فبعثت إلى بنتي  
بسليقة فيها طعاسي ، وتبعث إلى الأخرى بفراش أنام عليه » . المعارف ١٧٧ .

(٢) شيب بن شيبه ، كان من رهل خالد بن صفوان ، وكان بينهما منافسة شديدة ، وهو  
شيب بن شيبه بن عبد الله بن عبد الله بن الأهم . وسيد ذكره فيما بعد .

(٣) في هامش هـ : « يعنى بالخالدين خالد بن صفوان وشيب بن شيبه » .

(٤) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي ، وسيترجم له في باب أسماء الخطباء والبلغاء .

(٥) خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها الرأ ، محفوظة في مكتبة مدرسة النسي شيت  
بالموصل . انظر مخطوطات الموصل ص ٢٠٨ . وقد عثرت على نسخة من الخطبة ملحقه بتهامة نسخة  
فيض الله من البيان ونشرتها محققة في نواذر المخطوطات ١ : ١١٧ - ١٣٦ .

(٦) فيما عدل : « لم يشعر به أحد » ، وهي رواية الأعماني ( ٣ : ٥٩ ) .

(٧) زور الكلام : أصلحه وجيأه .



فلما انقلب عليهم بشرًا ومقاتله لهم بادية ، هجوه ونفوه ، فما زال غائبًا حتى مات عمرو بن عبيد . وقال صفوان الأنصاري :

- متى كان غزال له يالين حوشب غلام كعمرو أو كعيسى بن حاضِر<sup>(١)</sup>  
أما كان عثمان الطويل ابن خالد أو القرم حفص نهيّة للمخاطر<sup>(٢)</sup>  
له خلف شعب الصّين في كل ثغرة إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر<sup>(٣)</sup>  
رجال دُعاة لا يقلّ عزيمتهم تهكم جبار ولا كيد مكر<sup>(٤)</sup>  
إذا قال مُروا في الشتاء تطلّوا وإن كان صيف لم يُخف شهر ناجر<sup>(٥)</sup>  
بهِجرة أوطان وبذل وكلفة وشدة أخطار وكُد المسافر  
فأنجَح مساعهم وأنقَب زئدhem ولورى بفلج للمخاصم قاهر<sup>(٦)</sup>  
وأوتاد أرض الله في كل بلدة وموضع فتياها وعلم التشاجر<sup>(٧)</sup>  
وما كان سحبان يشق غبارهم ولا الشلق من حنى هلال بن عامر<sup>(٨)</sup>  
ولا التاطق الثخار والشيخ دغفل إذا وصلوا أيمانهم بالمخامر<sup>(٩)</sup>

(١) عيسى بن حاضِر ، أحد رجال المعتزلة ، وكان صاحب عمرو بن عبيد ، انظر الحيوان ( ١ ) :

( ٢٣٧ - ٢٣٨ ) .

- (٢) حفص ، هو حفص الفرد ، ذكره ابن النديم في الفهرست ٢٥٥ مصر ١٨٠ ليك ،  
وذكر أنه من الجبّة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه وتناظر ، فقطعه  
أبو الهذيل . والنّية : بالضم : غاية كل شيء ، كالتّاية . والمخاطر : الذى يخاطر غيوه ، أى يراهنه .  
(٣) السوس الأقصى : كورة بالمغرب مدينتها طنجة . والسوس الأدنى : بلدة بالأهواز .  
(٤) العزم والعزيمة والعزم والمزمع ، بمعنى . والتهكم : التّكبر ، ويقال تهكم عليه ، إذا اشتد غضبه .  
(٥) تطلّوا للأمر وتطلّوا به وتطلّوا : تكلف استطاعته . فيما عدل : تطلّوا « و : وإن  
كان صيفاً » .

(٦) أنقَب الزئد : قدحه فأخرج منه النار . ولورى الزئد لبراء : أنقبه .

(٧) التشاجر : التنازع والاختلاف في الخصومات ، أراد التنازع الكلامي .

(٨) الشلق : جمع أشلق ، وهو النفوة ذو البيان .

- (٩) الثخار ، هو الثخار بن أوس العنبري ، قال فيه صاحب القاموس « أنسب العرب » . وكان  
معاصراً لجميل الشاعر ، وقد هجاه بشعر في الأغاني ( ٧ : ٩٥ ) . وسيأتى قول الجاحظ في علة تسميته  
بالثخار ، أنه ربما حمى في الكلام فخر . ودغفل ، هو دغفل بن حنظلة =

ولا القالة الأعْلَن رَهْطُ مَكْحَلٍ إِذَا تَطَقُوا فِي الصَّلْحِ بَيْنَ الْعَشَائِرِ <sup>(١)</sup> ١٨  
 بِجَمْعٍ مِنَ الْجُفَيْنِ رَاضٍ وَسَاخِطٍ وَقَدْ زَحَفَتْ بُدَاؤُهُمْ لِلْمَحَاضِرِ <sup>(٢)</sup>  
 الْجُفَيْنِ : بكر وتيم . والرُّوقَان : بكر وتغلب . والغاران : الأزْد وتيم .  
 ويقال ذلك لكل عِمَارَةٍ مِنَ النَّاسِ <sup>(٣)</sup> ، وهى الجمع ، وهم العِمَائِرُ أيضاً :  
 غَارٌ . والجُفُفُ أيضاً : قَشْرُ الطَّلْعَةِ —

تَلَقَّبَ بِالْعَزَّالِ وَاحِدٌ عَصِرُهُ فَمَنْ لِلتَّيْمِ وَالْقَبِيلِ الْمَكَائِرِ  
 وَمَنْ لِحُرُورِيٍّ وَآخَرَ رَافِضِيٍّ وَآخَرَ مُرْجِيٍّ وَآخَرَ جَائِرِيٍّ <sup>(٤)</sup>  
 وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْكَارٍ مِنْكَرٍ وَتَحْصِينَ دِينَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ  
 يُصَيِّبُونَ فَصَلَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ كَمَا طَبَّقَتْ فِي الْعِظَمِ مُدِيَّةُ جَازِرٍ  
 تَرَاهُمْ كَأَنَّ الطَّيَرَ فَوْقَ رِجْسِهِمْ عَلَى عِمَّةٍ مَعْرُوفَةٍ فِي الْمَعَاشِرِ ١٠  
 وَسِمَاهُمْ مَعْرُوفَةٌ فِي وَجْهِهِمْ وَفِي الْمَشْيِ حُجَّاجًا وَفَوْقَ الْأَبَاعِرِ  
 وَفِي رَكْعَةٍ تَأْتِي عَلَى اللَّيْلِ كُلِّهِ وَظَاهِرِ قَوْلِي فِي مِثَالِ الضَّمَائِرِ  
 وَفِي قَصٍّ هُذَابٍ وَاحْفَاءٍ شَارِبٍ وَكَوْثَرٍ عَلَى شَيْبٍ يُضَيُّ لِنَاطِرِ <sup>(٥)</sup>  
 وَغَنَفَقَةٍ مَصْلُومَةٍ ، وَلِنَعْلِهِ قِيَالَانِ ، فِي رُذْنِ رَحِيبِ الْخَوَاصِرِ <sup>(٦)</sup>  
 فَتِلْكَ عَلَامَاتٌ تَحِيطُ بِوَصْفِهِمْ وَلَيْسَ جُهُولُ الْقَوْمِ فِي عِلْمِ خَابِرِ <sup>(٧)</sup> ١٥

= السدوسى ، أدرك النبى ولم يسمع منه شيئاً ، ووفد على معاوية . وقلته الأزرقة . انظر أمثال الميدانى  
 فى : « أنسب من دغفل » والإصابة ٢٣٩٥ .

(١) مكحل ، هو عمرو بن الأَهمم المتقرى ، كما سيأتى فى ص ٣٥٥ .

(٢) البناء : جمع باد ، وهو ساكن البادية . والمحاضر : المتاهل يجتمعون عليها .

(٣) الجف ، والروق ، والغار : الجمع الكثير من الناس .

(٤) هـ ، ب : حافر .

(٥) الكوثر : لوث العملة ، أى إدارتها على الرأس .

(٦) المنفقة : مابين الشقة السفلى والذقن . قبال النيل : زملها .

(٧) هـ ، ب : « فى جمع خابِر » .

وفي واصل يقول صفوان :

١٨ فما مَسَّ دِيناراً ولا صَرَّ درهماً ولا عرف الثوبَ الذي هو قاطعه

وفيه يقول أنسباط بن واصل الشيباني :

وأشهد أن الله سَمَّاكَ واصلاً وأنتَ عمود النقية والشيم

ولما قام بشار يعنر <sup>(١)</sup> إبليس في أن النار خير من الأرض ، وذكر

واصل بما ذكره به ، قال صفوان :

زَعَمْتُ بَأَنَّ النَّارَ أَكْرَمُ عَنَصراً وفي الأرض تُحيا بالحجارة والزُّند <sup>(٢)</sup>

وتُخْلَقُ في أرحامها وأرومها أعاجيب لا تُحصى بِحُطٍّ ولا عَقْدٍ <sup>(٣)</sup>

وفي القعر من لُجِّ البحار منافع من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد

كذلك سِرُّ الأرض في البحر كله وفي الغيضة الغنَّاء والجبل الصلْد <sup>(٤)</sup>

ولا بُدُّ من أرض لكل مُطْطِرٍ وكلُّ سَبُوحٍ في الغمائر من جُدٍّ <sup>(٥)</sup>

كذلك وما ينساح في الأرض ماشيا على بطنه مَشَى الْمُجَانِبِ لِلْقَصْدِ <sup>(٦)</sup>

ويَسْرَى على جلد يقيم حُرُوزَه تُعْمِجُ ماء السَّيلِ في صَبَبٍ حَرْدٍ <sup>(٧)</sup>

وفي قُلُلِ الأَجْبالِ خَلَفَ مُقْطَمٌ زَبْرَجْدُ أَمْلَاقِ الْوَرَى سَاعَةَ الْحَشْدِ <sup>(٨)</sup>

(١) فيما علل : هـ : يعنر .

(٢) يعني أن النار كرامة في الحجارة والزند .

(٣) الأروم : جمع أرومة ، وهي الأصل . والعقد : ضرب من الحسلب .

(٤) ما علل هـ : لكل مطهر . ولا يستقيم به المعنى ، وصوابه من هـ . والفرق بين الفرق حيث

أنشد القصيدة . والغمائر : جمع غمير ، وهو الماء الكثير . والجبد ، بالضم والفتح : شاطئ النهر . أى  
لا بد لكل سابح من شاطئ .

(٥) ينساح : يمشي على بطنه . ل : كذلك ما ينساح .

(٦) التعمج : التلوى . والصبيب : الموضع المنحدر . والحرد : التلحي المتزل .

(٧) المقطم : جبل يمتد من أسوان على شاطئ النيل الشرق حتى يكون منقطعه طرف القاهرة .

قال ياقوت : وذكر قوم أنه جبل الزبرجد . والأملاك : الملوك .

- وفي الحرّة الرّجلاء تُلقَى معادنٌ  
من الذهب الإبريز والفضة التي  
وكلّ فلزّ من نحاسٍ وأثك  
وفيها زرايخ ومكسر ومزتك  
وفيها ضروب القار والشبّ والمها  
تري العرق منها في المقاطع لائحاً  
ومن إثميد جون وكلسي وفضة  
وفي كلّ أغوار البلاد معادنٌ  
وكلّ يواقيت الأنام وحليها  
وفيها مقام الخيل والركن والصفاء ١٠
- لهن مغارات تَبْجَسُ بالتقد (١)  
تروق وتُصَبِّي ذا القناعة والرّهد  
ومن زئبق حَيّ ونوشاذر يُسْدِي (٢)  
ومن مرقشينا غير كاب ولا مُكْدِي (٣)  
وأصناف كَبِيْرٍ مطاولَة الوقْد (٤) ١٩  
كما قَدَّتِ الحسنة حاشية البرد  
ومن ثوبياء في معادنه هِنْدِي  
وفي ظاهر البيداء من مَسْتَوٍ نجد (٥)  
من الأرض والأحجار فاخرة المجد  
ومُستَلَم الحُجّاج من جَنَّة الخلد

(١) الحرّة : أرض حجارها سود . والرجلاء : التي لا يستطيع المشي فيها حتى يترجل فيها ؛  
لخشونتها وصموتها . تبجس بالتقد ، أي تنفجر بالذهب والفضة .

(٢) الفلز : جواهر الأرض كلها . والأثك : الأسرب ، وهو الرصاص القلبي . وقال كراع : هو  
الغزدير . وجعل الزئبق حيا لسرعة حركته . والنوشاذر ، بالنال المضمومة ، ويقال بالهملة أيضاً : حجر  
صاف كالبلور . انظر حواشي الحيوان ( ٥ : ٣٤٩ ) . فيما عدل ، هـ : « ونوشادر » . وفي الفرق بين  
الفرق ٤٠ : « ونوشادر سندی » نسبة إلى السند . قال داود : « يكون بالبلاد الحارة » . ١٥

(٣) الزرنيخ : معدن له ألوان كثيرة ، منها الأصفر والأحمر والأخضر ، وأجودها الصفاحي الذي  
يستعمله النقاشون الذي له لون كالون الذهب ، وكانت صفاته تنفس وكأنها مركبة بعضها فوق بعض .  
المعتمد لابن رسولاً ١٤٠ . وفي اللسان أنه لفظ أعجمي ، وضبط فيه وفي المغرب ١٧٤ بكسر الزاي .  
والمكر ، بالفتح : المرة ، وهي طين أحمر يصبغ به . والمزتك : مبيض المرداسنج . والمرداسنج : رصاص  
عيط وأسرنج أو رصاص محروق ، يسبك حتى يمتزج ، وتبييضه أن يلف في صوف ويطبخ بفول ، وكلما  
نضج غير الصوف والفول حتى يبيض . تذكرة داود . وهو غارسي معرب . والمرقشينا : صنف من الحجارة  
يستخرج منه النحاس . المعتمد . ٢٠

(٤) المها : جمع مهاة ، وهي البلورة التي يعمّ لشدة بياضها . فيما عدل ، هـ : « النهي » ،  
وهو بالفتح : ضرب من الخرز . ٢٥

(٥) التجد : ماغلط من الأرض ولزق واسعوى .

- وفي صخرة الخضر التي عند حوتها      وفي الحجر المنهي لموسى على غنبد<sup>(١)</sup>  
وفي الصخرة السماء تصدع آية      لأم فصيل ذي رغاء وذى وحيد<sup>(٢)</sup>  
مفاخر للطين الذي كان أصلنا      ونحن بثوه غير شك ولا جحد  
فذلك تدبير ونفع وحكمة      وأوضح يرهان على الواحد الفرد  
أجعل عمراً والنطاسي واصلأ      كأتباع ذيصان وهم قمش المد<sup>(٣)</sup>  
وتفخر بالميلاء والعليج عاصم      وتضحك من جيد الرئيس ألى الجعد<sup>(٤)</sup>  
وتحكي لدى الأقوام شئمة رأيه      لتصرف أهواء النفوس إلى الرّد  
وسميته الرّزّال في الشعر مطنياً      ومولاك عند الظلم قصته<sup>(٥)</sup> مردي  
— يقول : إن مولاك ملاح ؛ لأنّ الملاحين إذا تظلموا رفعوا المرادى —  
فيا ابن حليف الطين واللوم والعمى      وأبعد خلق الله من طرق الرشد<sup>(٦)</sup>  
أنهجو أبا بكر وتحلع بقده      علياً وتغزو كل ذاك إلى برّد  
كأنك غضبان على الذين كله      وطالب دحل لا يبيت على جحد  
رجعت إلى الأمصار من بعد واصل      وكنت شريداً في التهائم والتنجيد<sup>(٧)</sup>

- ١٥ (١) صخرة الخضر : التي نسي عندها الموت      وفي سورة الكهف : (قال أرايت إذ أوتينا إلى الصخرة فإن نسيت الموت) . والخضر ، بكسر الخاء ، ويقال فيه أيضاً خضر ككفف . أمهى الحجر : ظهر مأوه ، إشارة إلى ضرب موسى بعصاه الحجر .  
(٢) إشارة إلى الصخرة التي ظهرت منها ناقة صالح عشراء ، ونتجت سقبا . والوحد ، ضرب من سر الإبل . ب ، جد . هـ وجد . هـ ، وأبى مالى ل ، هـ ، واليومية .  
(٣) ذيصان : صاحب الديصانية من الجوس التوبة . والقمش ، جمع قماش ، وهو الرّزّال من كل شيء .  
(٤) الميلاء ، هي حاضنة ألى منصور العجل صاحب المنصورة . انظر الحيوان ( ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٨ ) . وأبو الجعد ، كنية لواصل بن عطاء ، وكنيته المروقة هـ أبو حذيفة هـ .  
(٥) في هامش هـ : « القصة : القطعة ترفع فيها الظلامة » .  
(٦) في هامش ل : « وإنما قال ابن حليف الطين ؛ لأنّ أباه كان غداراً يصنع الجرار » .  
(٧) التهائم : الأرض المنصورة إلى البحر . ومنه هامة . والتجعد بضمّتين ، وسكن الجيم الشعر : جمع نجد ، وهو ما غلظ من الأرض وأشرف واستوى .

أُتَجَلَّ لَيْلَى النَّاعِظِيَّةِ نَحْلَةً      وَكُلُّ عَرِيْقٍ فِي التَّنَاسُخِ وَالرَّدِّ (١)  
عَلَيْكَ بِدَعْدٍ وَالصَّدُوفِ وَفَرَّتَنِي      وَحَاضِئَتِي كَيْسَفٍ وَزَامِلَتِي هِنْدٍ (٢)  
تَوَائِبَ أَقْمَارًا وَأَنْتَ مُشَوَّةٌ      وَأَقْرَبُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ شَبِّهِ الْقِرْدِ  
ولذلك قال فيه حمادُ عَجْرَدٍ (٣) بعد ذلك :

ويا أَقْبَحَ مِنْ قِرْدٍ      إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ

ويقال إنه لم يجزِغَ بشار من شيءٍ قطُّ جزَعَه من هذا البيت (٤).

وذكره الشاعرُ وذكر أخويه لأُمِّه فقال :

لقد ولدتُ أُمُّ الْأَكِيْمِيهِ أَعْرَجًا      وَآخَرَ مَقْطُوعَ الْقَفَا نَاقِصَ الْعَصْدِ (٥)

وكانوا ثلاثةً مختلفي الآبَاءِ وَالْأُمِّ وَاحِدَةً ، وَكُلُّهُمْ وُلِدَ زَمِنًا . ولذلك قال

١٠ بعضُ من يهجوهُ :

إِذَا دَعَاهُ الْخَالُ أَقْمَى وَنَكَصَ      وَهَجَنَةُ الْإِقْرَافِ فِيهِ بِالْحِصَصِ (٦)

وقال الشاعر :

لَا تَشْهَدَنَّ بِخَارِجِي مُطْرِفٌ      حَتَّى تَرَى مِنْ تَجَلِّهِ أَفْرَاسًا (٧)

- (١) لَيْلَى النَّاعِظِيَّةِ : إحدى نساء الغالية ، منسوبة إلى بَنَى نَاعِظٍ ، بالنَّظَاءِ المعجمة ، وهم بطن من العرب . انظر القاموس واللسان والجوهرة ( ٣ : ١٢١ ) . غلّة : أى صاحبة نَحْلَةٍ ومذهب .  
(٢) دَعْدٌ ، وَأَنْتَ مُشَوَّةٌ : الأسماء الثلاثة في غزل العرب . والكسف ، هو أبو منصور العجلي .  
انظر الحيون ( ٢ : ٢٦٦ / ٦ : ٣٨٩ ) . وَالزَّامِلُ : من يزل غيو ، أى يتبعه .  
(٣) حماد عَجْرَدٌ ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر من مخضرمي الدولتين ، ٢٠ ولم يشتهر إلا في العباسية ، وكان يته وبن بشار مهاجرة فاحشة . توفي سنة ١٦١ وقيل ١٦٨ .  
٢٥ (٤) انظر الحيون ( ٤ : ٦٦ / ٦ : ٢٢٨ ) .  
(٥) الْأَكِيْمِيهِ : مصغر الأكمة ، وهو الذي ولد أعمى .  
(٦) الْإِقْرَافُ : الهجعة من قبل الأب ، عني أنه ليم الأم والأب .  
(٧) أى لا تشهد به المحافل والحروب . والخارجي من الخيل : الذي يخرج بنفسه من غير أن يكون له عرق في الجودة . والمطرف ، كالطارف : المستحدث .

- وقال صفوان الأنصارى فى بشارٍ وأخوته ، وكان يخاطب أهمهم :  
 وَلَذَتْ خُلْدًا . وَذِيحًا فى تشتمه . وبعده حُزْرًا يشتد فى الصُّعْدِ (١)  
 ثلاثة من ثلاثٍ فَرَّقُوا فِرْقًا فاعرف بذلك عِرْقَ الخالِ فى الوليد  
 الخُلْد : ضربٌ من الجُرْذَان يُولد أعمى . والذَّيخ : ذَكَر الضَّبَاع ، وهو أعرج .  
 والخُزْر : ذَكَر الأَرانب ، وهو قصير اليدين لا يلحقه الكلب فى الصُّعْد (٢) .  
 وقال بعد ذلك سليمان الأعمى ، أخو مسلم بن الوليد الأنصارى  
 الشَّاعر (٣) ، فى اعتذار بشارٍ لإبليس وهو يخبر عن كَرَم خصال الأرض :  
 لا بُدَّ للأرض إن طابَتْ وإن خَبِثَتْ من أن تُحِيلَ إليها كُلَّ مغروسٍ  
 وَثَرِيَّةُ الأرضِ إن جِدَتْ وإن قُحِطَتْ فَحَمَلُهَا أبدأ فى إثر منقوس (٤)  
 وبطنها بفَلَزِ الأرضِ ذو خَبَرٍ بكل ذى جَوهَر فى الأرضِ مرموس (٥)  
 ١٠ — الفِلَازُ : جَوهَر الأرضِ من الذهب والفضة والنحاس والأثك وغير ذلك —  
 وكلُّ آتِيَةٍ عَمَتْ مَراقِبُهَا وكلُّ مُنْتَقِدٍ فيها وملبوس  
 وكلُّ ما عَونَها كالْمِلحِ مِرْقَقَةٌ وكلُّها مُضْحِكٌ مِن قول إبليس (٦)  
 وقال بعضُ حُلَمَاءِ بغداد (٧) :

- (١) التشم ، أراد به الشتامة : وهى القبح . والصعد : جمع الصعود ، بالفتح ، وهى العقبة الشاقة .  
 (٢) انظر الحيوان ( ٥ : ٦ / ٤٤٧ : ٣٥٦ : ٧ / ٣٧٥ : ١٣٢ ) .  
 (٣) وكذلك فى الحيوان ( ٤ : ١٩٥ ) لكن ياقوتاً فى معجم البلدان ( ١١ : ٢٥٥ ) والصفدى  
 فى نكت الحميان ١٦٠ قد جعلاه ابناً لمسلم بن الوليد . قال ياقوت : « وهو ابن مسلم بن الوليد ،  
 المعروف بصريح القوافى ، الشاعر المعروف ، كان كأيهِ شاعراً جيداً » .  
 (٤) جيئت : مطرت بالجود ، وهو المطر الغزير . والمنقوس : المولود .  
 (٥) ل ، هـ : بكل جوهرة . والمرموس : الملقون .  
 (٦) الماعون : كل ما انتفع به .  
 (٧) الحُلَماء : جمع خُلَيع ، وهو المستهتر بالشرب واللهو ، والذى أعطى نفسه هزلها فيما عدا  
 ل ، هـ : خلفاء بغداد وهو تحريف . وسجاء البيتان فى ( ٣ : ١٥٢ ) الأصل . وقبلهما : « وقال  
 بعض الطيِّاب » . والطيِّاب : بالكسر : جمع طيب ، وهو الفسك المَرَّج . انظر سيويه ( ٢ : ٢١١ )  
 والحيوان ( ٣ : ٢٧ ) .

عجبت من إبليس في كبره وقبح ما أظهر من قبه (١)  
 تاه على آدم في سجله وصار قواداً للزيت (٢)  
 وذكره بهذا المعنى سليمان الأعشى ، أخو مسلم الأنصاري (٣) ، فقال :  
 يأتي السجود له من قرط نخوته وقد تحول في مسلخ قواد  
 وقال صفوان في شأن واصل وبشار ، وفي شأن النار والطين ، في كلمة  
 له :

وفي جوفها للعبد أستر منزل وفي ظهرها يقضي فرائضه العبد  
 تمج لقاط الملح مجاً وتصطفى سبائك لا تُصدأ وإن قُلم العهد  
 وليس بمحصى كنه ما في بطونها حساب ولا خط وإن يُلغ الجهد  
 فسائل بعد الله في يوم حفره وذلك مقام لا يشاهده رعد (٤)  
 أقام شبيب وابن صفوان قبله بقول خطيب لا يجانبه القصد (٥)  
 وقام ابن عيسى ثم فقهه واصل فأبدع قولاً ماله في الوري ند  
 فما نقصته الرأ إذ كان قادراً على تركها واللفظ مطرد سر  
 ففضل عبد الله خطبة واصل وضوعف في قسم الصلوات له الشكك (٦)  
 فأقنع كل القوم شكر جائبهم وقلل ذاك الضعف في عينه الزهد

\*\*\*

قد كتبنا احتجاج من زعم أن واصل بن عطاء كان غزلاً ، واحتجاج من

(١) هـ ، ب : و حيث ما ابتلاه .

(٢) ل : في سجلته .

(٣) انظر ما سبق في ٣١ ص ٦ .

(٤) يشير إلى ما كان من اجتماع شبيب وخالد بن صفوان والفضل بن عيسى وواصل ، عند

عبد الله بن عمر بن عبد العزيز . انظر ما سبق في ص ٢٤ .

(٥) القصد : المحتدل الذي لا يميل إلى أحد طرق الإقراط والضمير . ل ، هـ : أقام شيئاً .

(٦) الشكك ، بالضم : الجزاء والمطاء .



دفع ذلك عنه ، ويزعم هؤلاء أنّ قول الناس : واصل الغزال ، كما يقولون : خالد  
 الحذاء<sup>(١)</sup> ، وكما يقولون : هشام الدستوائي<sup>(٢)</sup> . وإنما قيل ذلك لأنّ الإباضية<sup>(٣)</sup>  
 كانت تبعث إليه من صدقاتها ثياباً دستوائية ، فكان يكسوها الأعراب الذين  
 يكونون بالجناب<sup>(٤)</sup> ، فأجابوه إلى قول الإباضية ، وكانوا قبل ذلك لا يزوجون  
 الهجناء ، فأجابوه إلى التسوية وزوجوا هجيناً ، فقال الهجين في ذلك :  
 إنا وجدنا الدستوائيين الصائمين المتعبدينا  
 أفضل منكم حسباً وديناً أخرى الإله المتكبرينا  
 • أفیکم من ینکح الهجینا<sup>(٥)</sup> .

وقال : إنما قيل ذلك لواصل لأنه كان يكثر الجلوس<sup>(٦)</sup> في سوق الغزالين ،  
 إلى أبي عبد الله ، مولى قطن الهلال . وكذلك كانت حال خالد الحذاء الفقيه . وكما  
 قالوا : أبو مسعود البدری<sup>(٧)</sup> ، لأنه كان نازلاً على ذلك الماء . وكما قالوا : أبو مالك

- 
- (١) هو خالد بن مهول ، ويكنى أبا المبارك ، مولى لقيش لآل عبد الله بن عامر بن كهلز . قيل  
 إنما سمى حذاء لأنه كان يتكلم فيقول : أخذ على هذا الحديث . المعارف ٢١٩ . وقيل إنه تزوج امرأة  
 فنزل عليها في الحناتين فحسب إليها . السمعاتي ١٦٠ .
- (٢) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سنير — كجعفر — الدستوائي البصري البكري ،  
 وكان يرمى بالقدر ، روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ودستوا ، بفتح الدال والياء ، من بلاد  
 فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمان وسبعون سنة . معجم البلدان ، والمعارف ٣٢٣ ، وتهذيب  
 التهذيب ، وندوة الحفاظ ( ١ : ١٥٥ ) .
- (٣) الإباضية : فرقة من فرق الخوارج ، نسبة إلى عبد الله بن إباض ، الخوارج في أيام مروان بن  
 محمد . انظر آراءهم في المال ( ١ : ١٨٠ ) والفرق بين الفرق ٨٢ والمواقف ٦٣٠ .
- (٤) الجناب ، بالفتح : موضع في أرض كلب في السملوة ، بين العراق والشام . ل : ٥ بالحجاب « تحيف » .
- (٥) الهجين : عرق وُلد من أمة ، أو من أبوه خير من أمه .
- (٦) فيما عدل « لكتوة جلوسه » .
- (٧) هو أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري البدری ، وشهرته بكنيته . صحاحي شهد  
 العقبة وبعثوا ، توفي سنة ٤٠ . الإصابة ٥٥٩٩ والسمعاتي ٦٨ .

السُّلَى<sup>(١)</sup> ؛ لأنه كان يبيع الخُمُر في سُلَّة المسجد<sup>(٢)</sup> .

وهذا الباب مستقصى في كتاب « الأسماء والكنى » ، وقد ذكرنا جملة منه في كتاب « أبناء السُّرارى والمَهيرات » .

### ذكر الحروف التى تدخلها اللغة وما يحضرنى منها

٥ قال أبو عثمان : وهى أربعة أحرف : القاف ، والسين ، واللام ، والراء .  
فأما التى هى على الشين المعجمة فذلك شئ لا يَصَوِّرُه الخطُّ ؛ لأنه ليس من الحروف المعروفة ، وإنما هو مَخْرُجٌ من المَخارج ، والمَخارجُ لا تُحصى ولا يُوقف عليها . وكذلك القولُ فى حروف كثيرة من حروف لغات العجم ؛ وليس ذلك فى شئ أكثر منه فى لغة الخوز . وفى سواحل البحر من أسياف فارس ناسٌ كثير ، كلامهم يشبه الصَّغِير<sup>(٣)</sup> . فمَنْ يستطيع أن يَصوِّرَ كثيراً من حروف الرُّمزية ، والحروف التى تظهر من فم الجوسى إذا ترك الإفصاح عن معانيه ، وأخذ فى باب الكناية وهو على الطعام ؟!

فالثَّغَةُ التى تعرض للسين تكون ثاء ، كقولهم لأبى يَكْسوم<sup>(١)</sup> : أبى يَكْنوم ؛ وكما يقولون : بُثْرَةٌ ، ويُسَمُّ الله ، إذا أرادوا بُسْرَةً ، ويسم الله .

والثانية الثَّغَةُ التى تعرض للقاف ؛ فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول : قلت له ، قال : طَلَّتْ له ؛ وإذا أراد أن يقول : قال لى ، قال : طال لى .

(١) فى القاموس ( سدد ) : « وإسماعيل السلى ليه المقانع فى سلة مسجد الكوفة » . ومثله فى اللسان . وفى تهذيب التهذيب : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة السلى ، أبو محمد الكوفى . مات سنة سبع وعشرين ومائة . وذكر السمعاني ٢٩٤ أنه مولد نهب بنت قيس بن غزوة ، خنجرى الأصل ، سكن الكوفة .

(٢) السلة : بالضم : ثياب ، أو ما حول المسجد من الرواق .

(٣) فيما عدا ل : « شبيه بالصغير » .

(٤) أبو يَكْسوم : كنية أئمة الملك الحلبى ، صاحب القيل الذى وجه لخدم الكعبة ، وكان له ابن يسمى « يَكْسوم » ، وه كان يكنى . انظر السيرة ٤١ : جوتجن .

وأما اللثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله : اعتَلَّتْ : اعتَيْتْ ، وبديل جَمَل : جَمَى . وآخرون يجعلون اللام كافاً ، كالذي عرض لعمر أخى هلال ، فإنه كان إذا أراد أن يقول : ما العلة في هذا ، قال : مَكْعَكَة في هذا .

- وأما اللثغة التي تقع في الراء فإن عددها يُضَعَف على عدد لثغة اللام ؛ لأن الذي يعرض لها أربعة أحرف : فمنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عَمَى ، فيجعل الراء ياءً . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عَمَخ ، فيجعل الراء غينا . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عَمَد ، فيجعل الراء ذالا . وإذا أنشد قول الشاعر (١) :

واستبدت مرةً واحدةً إنما العاجز من لا يستبد  
قال :

واستبدت مئةً واحدةً إنما العاجز من لا يستبد  
فمن هؤلاء على بن الجعيد بن قريش .

ومنهم من يجعل الراء ظاءً معجمة ، فإذا أراد أن يقول :

واستبدت مرةً واحدةً إنما العاجز من لا يستبد  
يقول :

واستبدت مظةً واحدةً إنما العاجز من لا يستبد

ومنهم من يجعل الراء غيناً معجمة ، فإذا أراد أن ينشد هذا البيت قال :

واستبدت معةً واحدةً إنما العاجز من لا يستبد

- كما أن الذي لثغته بالياء ، إذا أراد أن يقول : « واستبدت مرةً واحدةً » يقول :  
« واستبدت مئةً واحدةً » .

(١) هو عمر بن أبي ربيعة ، من قصيدة في ديوانه ٧٦ مطلوعها :

ليت هذا أغرقتنا ما تمد وشفت أظفينا ما نجد

وأما اللثغة الخامسة التي كانت تعرض لواصل بن عطاء ، ولسليمان بن يزيد العلوي<sup>(١)</sup> الشاعر ، فليس إلى تصويرها سبيل . وكذلك اللثغة التي تعرض في السين<sup>(٢)</sup> كتحو ماكان يعرض لمحمد بن الحجاج ، كاتب داود بن محمد ، كاتب أم جعفر ؛ فإن تلك أيضاً ليست لها صورة في الخط تُرى بالعين ، وإنما يصورها اللسان وتتأذى إلى السمع . وربما اجتمعت في الواحد لثغتان في حرفين ، كتحو لثغة شوشى ، صاحب عبد الله خالد الأموى ؛ فإنه كان يجعل اللام ياءً والراء ياءً . قال مرة : مَوَيَّاءُ وَيَّيُّ أَيْ . يريد: مولاى ولى الأرى .  
واللثغة التي في الراء إذا كانت بالياء فهي أحقرهن وأوضعهن لذى المروعة ، ثم التي على الظاء ، ثم التي على الذال . فأما التي على الغين فهي أيسرهن ، ويقال إن صاحبها لو جهَد نفسه جَهْدَه ، وأخذ لسانه<sup>(٣)</sup> ، وتكلف مخرج الراء على حَقِّها والإفصاح بها ، لم يك بعيداً من أن تُجيبه الطبيعة ، ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً .

وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم ، بالغين ، وكان إذا شاء أن يقول عمرو ، ولعمري ، وما أشبه ذلك على الصِّحَّة قاله ، ولكنه كان يستثقل التكلف والتَّهَيُّؤُ لذلك ، فقلت له : إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فلسْتُ أشك أنك لو احتملتَ هذا التكلف والتَّهَيُّؤَ شهراً واحداً أنَّ لسانك كان يستقيم .  
فأما من تعثره اللثغة في الضاد وربما اعتراه أيضاً في الصاد والراء ، حتى إذا أراد أن يقول مُضَرَّ قال مُضَيَّ ، فهذا وأشباهه لاحقون بشوشى .  
وقد زعم ناسٌ من العوام أن موسى عليه السلام كان أَلْفَ ، ولم يقفوا من الحروف التي كانت تعرض له على شيء بعينه . فمنهم من جعل ذلك خِلقة ، ومنهم من زعم أنَّه إنما اعتراه حين قالت آسية بنت مُزاحم امرأة فرعون لفرعون :

(١) ذكره الجاحظ في الحيوان ( ٦ : ١٩١ ) وروى له القائل شعراً في ( ٣ : ٢٨ ) .

(٢) فيما عدا ل : هـ الشين هـ .

(٣) هـ : هـ وأخذ لسانه هـ .

« لَا تُقْتَلُ طِفْلاً لَا يَعْرِفُ الثَّمَرُ مِنَ الْجَمْرِ »<sup>(١)</sup> . فَلَمَّا دَعَا لَهُ فِرْعَوْنُ بَهِمَا جَمِيعاً تَنَاولَ جَمْرَةً فَأَهْوَى بِهَا إِلَى فِيهِ ، فَأَعْتَرَاهُ مِنْ ذَلِكَ مَا اعْتَرَاهُ .

وَأَمَّا اللَّثْغَةُ فِي الرَّاءِ فَتَكُونُ بِالْيَاءِ وَالظَّاءِ وَالذَّالِ وَالغَيْنِ ، وَهِيَ أَقْلُهُا قَبِيحاً وَأَوْجَدُهَا فِي ذَوِي الشَّرَفِ وَكِبَارِ النَّاسِ وَيُلْغَاثُهُمْ وَعِلْمَاتُهُمْ . ٢٥

- وَكَانَتْ لَثْغَةُ مُحَمَّدِ بْنِ شَيْبٍ الْمُتَكَلِّمِ ، بِالغَيْنِ ، إِذَا حَمَلَ عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمَ لِسَانَهُ أَخْرَجَ الرَّاءَ عَلَى الصَّحَةِ فَتَأَنَّى لَهُ ذَلِكَ . وَكَانَ يَدْعُ ذَلِكَ اسْتِثْقَالاً . أَنَا سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُ .

قَالَ : وَكَانَ الْوَاقِدِيُّ<sup>(٢)</sup> يَرَوِي عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ ، أَنَّ لِسَانَ مُوسَى كَانَتْ عَلَيْهِ شَامَةٌ<sup>(٣)</sup> فِيهَا شَعْرَاتٌ . وَلَيْسَ يَدُلُّ الْقِرَاءَنُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا<sup>(٤)</sup> ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ

- فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَاحْطَلَّ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾ دَلِيلٌ عَلَى شَيْءٍ دُونَ شَيْءٍ . ١٠
- وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : إِذَا تَتَعَتَعَ اللِّسَانُ فِي التَّاءِ فَهُوَ تَمْتَامٌ ، وَإِذَا تَتَعَتَعَ فِي الْفَاءِ فَهُوَ فَاقَاءٌ . وَأَنْشُدْ لِرُؤْيَةَ بْنِ الْعَبَّاسِ :

يَا حَمْدُ ذَاتِ الْمُنْطِقِ التَّمْتَامِ<sup>(٥)</sup> كَأَنَّ وَسْوَاسَكَ فِي اللَّمَامِ<sup>(٦)</sup>

• حَدِيثُ شَيْطَانِ بْنِ هِنَامٍ<sup>(٧)</sup> •

- (١) فِيمَا عَدَلَ : « لَا يَفِرُّ » بَدَلُ « لَا يَعْرِفُ » . ١٥
- (٢) الْوَاقِدِيُّ ، هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَاقِدِ الْوَاقِدِيُّ ، مَوْلَى الْأَسْلَمِيِّينَ . كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَانْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَوَلَّى الْقَضَاءَ بِهَا لِلْمَأْمُونِ . وَكَانَ عَالِماً بِالْمَغَارِزِ وَالسَّرِّ وَالْفُرُوحِ وَالْأَخْبَارِ . وَوُلِدَ سَنَةَ ١٣٠ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٠٧ . الْفَهْرَسْتُ لِأَمِينِ التَّدِيمِ ١٤٤ وَالْمَعَارِفُ ٢٢٦ وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ( ٣ : ٢ ) .
- (٣) وَابْنُ خُلِكَانَ ( ١ : ٥٠٦ ) وَالسَّمْعَانِيُّ ٥٧٧ .

- (٤) الشَّامَةُ ، بِالْمُهْمَلِ وَهِيَ وَهْجَةٌ : الْخَالَ فِي الْجَسَدِ . فِيمَا عَدَلَ : « شَامَةٌ » . ٢٥
- (٥) فِيمَا عَدَلَ : « مَا قَالُوا » .
- (٦) فِي الدِّيَوَانِ ١٤٤ : « يَا هَالِ » مَرْحَمٌ هَالَةٌ . وَالْبَيْتُ مَطْلَعُ أَرْجُوزَةٍ لَهُ يَمْدَحُ بِهَا مُسْلِمَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ .
- (٧) يُقَالُ : مَا يَزُورُنَا إِلَّا لَمَامًا : أَيُّ إِلَّا أَحْيَانًا عَلَى غَيْرِ مُوَاطَاةٍ .
- (٨) فِي اللَّسَانِ : « بَنُو هِنَامٍ » : حَيٌّ مِنَ الْجِنِّ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الشُّعْرِ الْفَصِيحِ « وَفِي الْأَصُولِ : بَنَى هِمَامٌ » صَوْلَاهُ مِنَ الدِّيَوَانِ .

وبعضهم ينشد :

• يا حَمْدُ ذاتِ المنطقِ التَّمَنُّمِ •

وليس ذلك بشيء ، وإنما هو كما قال أبو الرَّحْفِ (١) :

لست بفأفأٍ ولا تَمَتِّمٍ ولا كثيرِ الهَجْرِ في الكلامِ

وَأُنشد أيضاً للحوَلاني في كلمةٍ له :

إِنَّ السَّيَاطَ تَرَكْنَ لاسِتِكَ مِنْطِقاً كَمَقَالَةِ التَّمَتِّمِ لَيْسَ بِمُعَرَّبٍ

فجعل الحَوَلاني التَّمَتِّمَ غَيْرَ مُعَرَّبٍ عن معناه ، ولا مفصَّحٍ بِحَاجَتِهِ .

وقال أبو عبيدة : إِذَا أَدْخَلَ الرَّجُلُ بَعْضَ كَلَامِهِ فِي بَعْضٍ فَهُوَ أَلْفٌ ،

وقيل بلسانه لَفَفٌ . وَأُنشدني لأبي الرَّحْفِ الرَّاجِزُ :

١٠ كَأَنَّ فِيهِ لَفَفاً إِذَا نَطَقَ مِنْ طُولِ تَحْيِيسٍ وَهَمٍّ وَأَرْقٍ

كَأَنَّهُ لَمَّا جَلَسَ وَخَدَهُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يَكْلُمُهُ ، وَطَالَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، أَصَابَهُ

لَفَفٌ فِي لِسَانِهِ .

وكان يزيد بن جابر ، قاضي الأزارقة (٢) بعد المُقْعَطِلِ ، يقال له الصُّمُوتُ ؛

لأنه لما طال صمته نُقِلَ عليه الكلام ، فكان لسانه يلتوى ، ولا يكاد يبين .

١٥ وأخبرني محمد بنُ الجهم (٣) أَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ اعْتَرَاهُ أَيَّامَ مُحَارَبَةِ الرُّطِّ (٤) ، مِنْ

طُولِ التَّفَكُّرِ (٥) وَلِزُومِ الصُّمُوتِ .

(١) هو أبو الزحف بن عطاء بن الخطفي — ابن عم جرير بن الخطفي — وعمر أبو الزحف حتى بلغ

زمان محمد بن سليمان بن عبد الله بن عباس . انظر الشعراء لابن قتيبة .

٢٠ (٢) الأزارقة : فرقة من فرق الخوارج السبع : نسبة إلى نافع بن الأزرق . انظر آراءهم في الملل ( ١ ) :

١٦٠ ( ١٦٠ ) ومفاتيح العلوم ١٩ والمواقف ٦٢٩ والفرق بين الفرق ٨٢ .

(٣) هو محمد بن الجهم البجلي ، ولده المأمون عدة ولايات . وقد ذكر أبو الفرج في الأغاني ( ١٣ ) :

١٥ ( أسئلة طهفة في الأدب والشعر ، وجهها إليه المأمون فأعجبه جوابها ، وكان هذا الاختيار مؤعلاً لحصوله على هذه الولايات .

٢٥ (٤) الرط : جبل من الهند . انظر تحقيق اسمهم في حواشي الحيوان ( ٥ : ٤٠٧ ) . وقد كان هؤلاء ممن

حاربهم المأمون . انظر حوادث سنة ٢٠٥ ، ٢٠٦ من كتب التاريخ .

(٥) هـ : التفكير .

قال : وَأَنْشَدَنِي الْأَصْمَعِيُّ :

- حديث بنى قُرَظَ إِذَا مَا لَقَيْتَهُمْ كَتَزُّو الدُّبَا فِي الْعَرَفِجِ الْمُتَقَارِبِ (١)  
 قال ذلك حين كان في كلامهم عَجَلَةً . وقال سلمة بن عِيَّاش (٢) :  
 كَأَنَّ بَنِي رَأْلَانَ إِذْ جَاءَ جَمْعُهُمْ فَرَارِيحُ يُلْقَى بَيْنَهُنَّ سَوِيْقُ (٣)  
 فقال ذلك لِدَقَّةِ أَصْوَاتِهِمْ (٤) وَعَجَلَةَ كَلَامِهِمْ . وقال اللَّهْمِيُّ (٥) في اللجلاج :  
 لَيْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ بِاللِّجْلَاجِ وَلَا الَّذِي يَزْحَلُ كَالِهَلْبَاجِ (٦)  
 وَرُبَّ يِدَاءٍ وَلَيْلٍ دَاجٍ هَتَكُنْهُ بِالْخُصِّ وَالْإِدْلَاجِ  
 وقال محمد بن سَلَامِ الْجُمَحِيُّ : كان عمرُ بن الخطاب ، رحمه الله ،  
 إِذَا رَأَى رَجُلًا يَتَلَجَّلُجُ فِي كَلَامِهِ ، قَالَ : « خَالِقُ هَذَا وَخَالِقُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِيِّ وَاحِدٌ » (٧) .  
 ويقال : في لسانه حُبْسَةٌ ، إِذَا كَانَ الْكَلَامَ يَنْثَقِلُ عَلَيْهِ وَلَمْ يَبْلُغْ حَدَّ الْفَافَاءِ ١٠  
 والتمتُّم . ويقال في لسانه عَقْلَةٌ ، إِذَا تَعَقَّلَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ (٨) . ويقال في لسانه

- (١) بنو قُرَظَ : بطن من بني بكر بن كلاب . انظر المعارف ٤٠ والقاموس ( قُرَظَ ) . فيما عدا  
 ل ، هـ . بنى رَظَ : تخويف ، اجتلبه ما سبق من الكلام . والدبا : الجراد قبل أن يطير .  
 (٢) سلمة بن عِيَّاش : شاعر بصري من مخضرمي الدولتين ، وكان منقطعاً إلى جعفر ومحمد ،  
 ابنى سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، يمدحهما . انظر الأغاني ( ٢١ : ٨٤ - ٨٦ ) . ١٥  
 (٣) بنو رَأْلَانَ : قبيلة من ملوك بني مالك بن عمرو بن تميم .  
 (٤) فيما عدا ل ، هـ : لَرَقَةُ أَصْوَاتِهِمْ : تخويف .  
 (٥) اللهبي ، هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي هب ، أحد شعراء بني هاشم ، وكان ممن  
 وفد على عبد الملك بن مروان . انظر الأغاني ( ١٥ : ٢ - ١٠ ) ، والمؤلف ٣٥ والمرزبانى ٣٠٩ .  
 (٦) يزحل : يزول عن مقامه . قال ليلى : ٢٠  
 لَوْ يَقُمُ الْقَيْلُ أَوْ قِيَالُهُ زَلَّ عَنْ مَثَلٍ مَقَامِي وَزَحَلُ  
 والهلباج : الأحمق الشديد الحق .  
 (٧) فيما عدا ل ، هـ : إِذَا رَأَى الرَّجُلَ : « عمرو بن العاص » . وفي تاج العروس ( ١٠ : ٢٤٥ ) :  
 « قال النحاس : سمعت الأحمش يقول : هو العاصي بالياء ، لا يجوز حذفها . وقد سمعت العامة بحذفها . قال  
 النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة يعني أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » ٢٥  
 وانظر شرح الرضي للشافعية ( ٢ : ٣٠٣ ) . والخير في الحيوان ( ٥ : ٥٨٧ ) وعيون الأخبار ( ٢ : ١٧١ ) .  
 (٨) الكلام بعد « التمتُّم » إلى هنا من ل ، هـ .  
 ( ٥ - البيان - أول )

لَكِنَّةٌ ، إِذَا أَدْخَلَ بَعْضَ حُرُوفِ الْعَجَمِ فِي حُرُوفِ الْعَرَبِ ، وَجَذِبَتْ لِسَانَهُ الْعَادَةُ الْأُولَى إِلَى الْخُرْجِ الْأَوَّلِ . فَإِذَا قَالُوا فِي لِسَانِهِ حُكْلَةً فَإِنَّمَا يَذْهَبُونَ إِلَى نُقْصَانِ آلَةِ الْمُنْطَقِ ، وَعَجَزِ أَدَاةِ اللَّفْظِ ، حَتَّى لَا تُعْرَفَ مَعَانِيهِ إِلَّا بِالِاسْتِدْلَالِ .

وقال رؤبة بن العجاج :

لَوْ أَنَّنِي أُوتِيتُ عِلْمَ الْحُكْلِ عِلْمَ سَلِيمَانَ كَلَامَ التَّمِيلِ <sup>(١)</sup>  
وقال محمد بن ذُهَب <sup>(٢)</sup> ، فِي مَدِيحِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ :  
وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تَسَاوَدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ سِوَاؤُهَا <sup>(٣)</sup>  
وقال التيمي <sup>(٤)</sup> فِي هِجَاةِ ابْنِي ثَقَلَبٍ :

وَلَكِنْ حُكْلًا لَا تُبَيِّنُ وَدِينَهَا عِبَادَةُ أَعْلَاجٍ عَلَيْهَا الْبِرَانِسُ <sup>(٥)</sup>  
قال : وَأَنْشَدَنِي سُحَيْمٌ بْنُ حَفْصٍ <sup>(٦)</sup> ، فِي الْخُطْبِ الَّذِي تُعْرِضُ لَهُ  
التَّنْحِيحُ وَالسُّعْلَةُ ، وَذَلِكَ إِذَا انْتَفَخَ سَخَرُهُ ، وَكَبَا زَنْدُهُ ، وَبَا حُلْدُهُ ؛ فَقَالَ :  
نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِهْمَالِ وَمِنْ كَلَالِ الْغُرْبِ فِي الْمَقَالِ  
• وَمِنْ خُطْبِ دَائِمِ السُّعَالِ •

١٥ (١) وَكَلَّا جَلِيتِ النِّسْبَةُ فِي الصِّحَاحِ وَثَمَارِ الْقُلُوبِ ٣٤٩ ، ٥١٥ وَأَمثالُ الْمِيدَانِي (١) :

٢/٤٥٤ : ٨٥ ) وَالْحَيَوَانُ ( ٤ : ٢٣ ) . لَكِنْ قَالَ ابْنُ بَرِّي : « الرَّجَزُ لِلْعَجَاجِ » . انْظُرِ الْمُسَانِدَ ( حُكْلٌ ) . وَالْحُكْلُ : مَا لَا يَسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ مِنَ الْحَيَوَانِ .

(٢) هُوَ أَبُو الْعِيَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ ذُهَبٍ الْقَتَيْبِيُّ الْعُمَانِيُّ الرَّاجِزُ ، وَقِيلَ لَهُ الْعُمَانِيُّ وَهُوَ بَصْرِيُّ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ عُمَانَ ؛ لِأَنَّ دَكِيئَةَ الرَّاجِزِ نَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ : مِنْ هَذَا الْعُمَانِيِّ ؟ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَصْفَرَ مَطْحُولًا . وَهُوَ شَاعِرٌ رَاجِزٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، كَانَ مُقَرَّبًا مِنَ الرَّشِيدِ - الْأَعْنَانِي ( ١٧ : ٧٨ - ٨٣ ) وَالشُّعْرَاءُ لِابْنِ قَتِيبَةَ .

(٣) السُّوَادُ ، بِالْكَسْرِ : السَّرِيرُ . وَانْظُرِ الْحَيَوَانُ ( ٤ : ٢٣ ) .

(٤) فِي الْحَيَوَانِ ( ٤ : ٢٤ ) : « وَقَالَ التِّيمِيُّ الشَّاعِرُ الْمُتَكَلِّمُ » .

(٥) أَنْشَدَهُ فِي الْحَيَوَانِ بِرُؤْيَا : « عَجَمٌ وَحُكْلٌ لَا تَبَيِّنُ » .

٢٥ (٦) وَقِيلَ أَيْضًا فِي اسْمِهِ « عَامِرٌ بْنُ حَفْصٍ » وَلَقَبَهُ « سُحَيْمٌ » . وَلَقَبَهُ هَذَا بِذِكْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ . وَالدَّائِنِيُّ فِي كَتَبِهِ يَذْكُرُ بَيَانِيَةَ الْقَلْبِ وَأَسْمَاءَ . انْظُرِ الْفَهْرَسْتَ لِابْنِ النَّدِيمِ ٩٤ لَيْسَلِكِ ١٣٨ . مَصْرُ . قَالَ ابْنُ النَّدِيمِ : كَانَ عَلَمًا بِالْأَخْبَارِ وَالْأَنْسَابِ ، قَعَّةٌ فِيمَا يَرْوِيهِ . وَتَوُفِّيَ سَنَةَ ١٩٠ .



وَأُنْشِدُنِي ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ :

إِنَّ زَهَاداً لَيْسَ بِالْبُكِيِّ وَلَا يَهَيِّبُ كَثِيرَ الْعِيِّ

وَأُنْشِدُنِي بَعْضَ أَصْحَابِنَا :

نَادَيْتُ هَيْذَانَ وَالْأَبْوَابُ مَغْلَقَةٌ وَمِثْلُ هَيْذَانَ سَنَى فَتَحَةَ الْبَابِ (١)

كَالْهَيْدَلَوَانِيِّ لَمْ تُقَلِّلْ مُضَارِبُهُ وَجَهٌ جَمِيلٌ وَقَلْبٌ غَيْرُ وَجَابٍ (٢) .  
وقال آخر :

• إِذَا اللَّهُ سَنَى عَقْدَ شَيْءٍ تَسِرَا (٣) •

وقال بشر بن الْمُعْتَمِر (٤) ، في مثل ذلك :

وَمِنْ الْكِبَائِرِ مَقُولٌ مَتَّعَ جَمُّ التَّنَحُّنِ مُتَعَبٌ مَبْهُورٌ (٥)

وذلك أَنَّهُ شهد رِثْسانَ ، أبا بُجَيْرِ بْنِ رِثْسانَ ، يَخْطُبُ . وقد شهدتُ  
أنا هذه الخطبة ولم أَرِ جباناً قطُّ أَجْراً مِنْهُ ، ولا جريئاً قطُّ أَجْبِناً مِنْهُ .  
وقال الأَشْهُلُ الأَزْرَقِيُّ - من بعض أَمْخِيالِ عَمْرانَ بْنِ حِطَّانِ الصَّفَرِيِّ القَعْدِيِّ (٦) .

(١) سَنَى : فَتَحَ وَسَوَّلَ . واليَتَانِ عَمْرانَ في العقد ( ٣ : ٣٩٠ ) .

(٢) الْهَيْدَلَوَانِيُّ ، بضم الهمزة مع ضم الهاء وكسرهما : السيف المطبوع من حديد الهند . تَقَلَّلَ : تَكَلَّمَ .  
والوَجَابُ : الحفاق المضطرب من الخوف .

(٣) يَجْرَى صدره : • وأَعْلَمَ علماً لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ •

و : • فَلَا تَيْأَسُوا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّهُ •

انظر اللسان ( غور ، سنا ) وأمل القائل ١ : ٢٣٥ .

(٤) بشر بن المعتمر ، صاحب البشرية ، انتهت إليه رئاسة المعتزلة ببغداد ، وانفرد عن أصحابه المعتزلة في

بعض مسائل أوردتها في كتابي « معجم الفرق الإسلامية » . وكان بشر نحاساً في الرقيق . توفي سنة ٢١٠ . انظر  
لسان الميزان ( ٢ : ٢٣٢ ) والمثل والنحل ( ١ : ٨١ ) والمواقف ٦٢٢ ومفاتيح العلوم ١٩ والفرق ١٤١ واعتقادات الرازي  
٤٢ واللسان ( ربح ) . فيما عدل ، هـ : بشر بن معمر ، تهرق . ويشتر قصيدتان في الحيوان ( ٦ : ٢٨٤ - ٢٩٧ ) .

(٥) المقول : الكثير القول .

(٦) هو أبو سَمَاحِ عَمْرانَ بن حِطَّانِ بن طَيِّبِ بْنِ السُّلَوسِ ، رأس القعدة من الصفرية ، وخطيبهم

وشاعرهم ، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم ، ثم لحق بالشرقة فطلبه الحجاج فهرب إلى الشام ، فطلبه  
عبد الملك ففر إلى عمان . ولما طال عمره قعد عن الحرب ، فاكفَى بالتحريض والدعوة بشعره . توفي سنة  
٨٤ . الإصابة ٦٨٦٩ .

- في زيد بن جندب الإيادي <sup>(١)</sup> خطيب الأزارقة ، وقد اجتمعا في بعض المحافل ، فقال بعد ذلك الأشثل البكري <sup>(٢)</sup> :

٢٨

تَحَنَّنَ زَيْدٌ وَسَعَلَ لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسْلَ  
وَيْلُ أُمِّهِ إِذَا ارْتَجَلَ ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَقَلَ

وقد ذكر الشاعر زيد بن جندب الإيادي ، الخطيب الأزرقى ، في مرثيته لأبي ذؤاد بن حريز الإيادي <sup>(٣)</sup> ، حيث ذكره بالخطابة وضرب المثل بخطباء إياد ، فقال :

كَفَسُ إِيَادٍ أَوْ لَقِيطِ بْنِ مَعِيدٍ وَعُذْرَةُ وَالْمِنْطِقِ زَيْدُ بْنُ جُنْدَبٍ  
وزيد بن جندب هو الذي قال في الاختلاف الذي وقع بين الأزارقة :

١٠. قُلْ لِلْمَحِلِّينَ قَدْ قُرْتُ عِيُونَكُمْ بِفِرْقَةِ الْقَوْمِ وَالبَغْضَاءِ وَالهَرَبِ <sup>(٤)</sup>

كُنَّا أَنَا عَلَى دِينَ فَرَقْنَا طَوْلَ الْجِدَالِ وَخَلَطَ الْجِدَّ بِاللَّعِبِ <sup>(٥)</sup>

مَا كَانَ أَغْنَى رَجُلًا ضَلَّ سَعِيَهُمْ عَنِ الْجِدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْخُطْبِ

إِنِّي لَأَهْوَيْكُمْ فِي الْأَرْضِ مُضْطَرِبًا مَالِي سِوَى قَرَسَى وَالرَّمَجِ مِنْ نَشِبِ

وَأَمَّا عُذْرَةُ الْمَذْكُورِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فَهُوَ عُذْرَةُ بْنُ حُجَيَّةٍ <sup>(٦)</sup> الْخَطِيبُ الْإِيَادِيُّ .

١٥. وَيَدُلُّ عَلَى قَدْرِ فِهِمْ ، وَعَلَى قَدْرِهِ فِي اللَّسَنِ وَفِي الْخُطْبِ ، قَوْلُ شَاعِرِهِمْ :

وَأَيُّ قَتَى صَبَّرَ عَلَى الْأَيْمَنِ وَالظُّلْمَا إِذْ اعْتَصَرُوا لِلُّوحَ مَاءَ فِظَاطِهَا <sup>(٧)</sup>

إِذَا ضَرَجُوهَا سَاعَةً يَدِمَاتُهَا وَحُلَّ عَنِ الْكُومَاءِ عَقْدُ شِظَاطِهَا <sup>(٨)</sup>

(١) له شعر في الحيوان ( ٦ : ٢١٩ ) .

(٢) هـ : النكري .

(٣) فيما عدل ، هـ : بن جبر ، تحريف . انظر اللال ٧١٨ .

(٤) فيما عدل : قد قرت عيونكم .

(٥) فيما عدل : قرع الكلام .

(٦) فيما عدل ، هـ : عُذْرَةُ بْنُ حُجَيَّةٍ .

(٧) اللوح ، بالفتح والضم : المطش . والفظاظ : جمع قط ، وهو ماء الكرش . وكانوا يقتصرون

٢٥ ماء الكرش إذ عز عليهم الماء في المغلوز .

(٨) الكوماء : البقعة المنظمة السنام . والشظاظ : العود الذي يدخل في عروة الخواقي .

فإنك ضحّاك إلى كلّ صاحب وأنطق من قسّ غداة عكاظها  
إذا شغب المولى مشاغِبْ معشِرْ فعنزة فيها آخذٌ بكِظاظِها<sup>(١)</sup>

فلم يضرب هذا الشاعر الإياديّ المثل لهذا الخطيب الإياديّ ، إلا  
٢٩ برجل من خطباء إياد ، وهو قسّ بن ساعدة . ولم يضرب صاحب مرثية أبي

دؤاد بن حريز الإياديّ<sup>(٢)</sup> المثل إلا بخطباء إياد فقط ، ولم يفتر إلى غيرهم ،  
حيث قال في عنزة بن حُجيرة<sup>(٣)</sup> :

كقسّ إيادٍ أو لقيط بن معبد وعنزة والمنطيق زيد بن جندب

وأول هذه المرثية قوله :

نعي ابن حريز جاهلٌ بمصابه نعم نزاراً بالبكا والتحوب<sup>(٤)</sup>  
١ نعاة لنا كالليث يحمي عرينه وكالبئر يُعشى ضوؤه كلّ كوكب  
وأصبر من عوذ وأهدى إذا سرى من النجم في داج من الليل غيّه<sup>(٥)</sup>  
وأذرب من حدّ السنّان لسائه وأمضى من السيف الحسام المشطب<sup>(٦)</sup>  
زعيم نزارٍ كلّها وخطيبها إذا قام طاطا رأسه كلّ مشغب  
سليّل قروم سادة ثمّ قاله يتّون يوم الجمع أهل المحصب<sup>(٧)</sup>  
١٠ كقسّ إيادٍ أو لقيط بن معبد وعنزة والمنطيق زيد بن جندب

(١) الكظاظ : ممارسة الشدة وملازمتها .

(٢) انظر ما سبق ص ٤٢ . وفيما عدل ، هـ : « بن جرير » .

(٣) انظر ما سبق ص ٤٢ . وفيما عدل ، هـ : « ابن حجرة » .

(٤) التحوب : اليكاء في جرع وصياح . والبيت في صمط اللال ٧١٨ .

(٥) المدد ، بالفتح : الجمل المسن وفيه بقية . وفي أمثالهم : « زاحم يمدد أودع » ، أى استمن على  
٢٠ حريك بأهل السن والمعركة ، فإن رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .

(٦) الغرب : الحدة . والحسام : القاطع . والمشطب : الذى فيه طرائق في مته .

(٧) أشم في هامش ل إلى رواية « ثم قادة » في نسخة . والمحصب : موضع رمى الجمار بمنى .

- في كلمة له طويلة . وإيأهم عني الشاعر بقوله :
- يرمُون بالخطب الطوال وتارةً وَحَى المَلَا حِظَّ خِيفَةِ الرُّقْبَاءِ <sup>(١)</sup>
- قال : أخبرني محمد بن عباد <sup>(٢)</sup> بن كاسيب ، كاتب زهير ومولى بجيلة من سبي دابق <sup>(٣)</sup> ، وكان شاعراً راوية ، وطلّابة للعلم علامة ، قال :
- سمعت أبا داود بن حريز <sup>(٤)</sup> يقول وقد جرى شيء من ذكر الخطب وتخيير الكلام واقتضابه ، وصعوبة ذلك المقام وأهواله ، فقال : « تلخيص المعاني رفق <sup>(٥)</sup> ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق من غير أهل البادية بغض ، والنظر في عيون الناس عي ، ومس اللحية هلك ، والخروج مما ينبغي عليه أوّل الكلام إسهاب » .
- ١٠ قال : وسمعت يقول : « رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الثروة ، وجناحها رواية الكلام ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تخيير الألفاظ <sup>(٦)</sup> . والمحبة مقرونة بقلّة الاستكراه » . وأنشدني بيتاً له في صفة خطباء إباد :
- يرمُون بالخطب الطوال وتارةً وَحَى المَلَا حِظَّ خِيفَةِ الرُّقْبَاءِ
- فذكر المبسوط في موضعه ، والمخفوف في موضعه ، والموجز ، والكناية
- ١٥ والوحي باللحظ ودلالة الإشارة . وأنشدني له الثقة في كلمة له معروفة :
- الجودُ أحسنُ مساً يابني مطرٍ مِنْ أَنْ يَبْزُكُمُوهُ كَفَّ مستلِب <sup>(٧)</sup>
- ما أعلمُ النَّاسَ أَنَّ الجودَ مدفَعَةٌ للثَمِّ لكنّه يأتى على التشب

(١) عني بالملاحظ النعيم ، لحظه لحظاً : نظره بمؤخر عينه . والبيت منسوب إلى أبي دؤاد بن حريز . وهو بهذه النسبة في زهر الآداب ( ١ : ٩٦ ) .

(٢) هـ : عتاب هـ .

(٣) دابق ، بكسر الباء ، وروى بفتحها : قرية قرب حلب .

(٤) فيما عدل : « جهر » . وانظر ما مضى ص ٤٢ .

(٥) التلخيص : التبيين والشرح والتفصيل .

(٦) فيما عدل : « اللفظ » .

(٧) بنو مطر : رطب ممن بن زائدة الشيباني ، الجواد المعروف . وابن أخيه يزيد الشيباني المدوح بالكرم والشجاعة . انظر أخيراً في وفيات الأعيان وغيرها . يؤه الشيء : استلب منه .

قال : ثم لم يحفل بها ، فأدعاهما مسلم بن الوليد الأنصاري ، أو أذعيت له . وكان أحد من يجيد قريض الشعر وتغيير الخطب <sup>(١)</sup> .

وفي الخطباء من يكون شاعراً ويكون إذا تحدث أو وصف أو احتج بليغاً مفوهاً بَيِّنًا ، وربما كان خطيباً فقط ، وبين اللسان فقط .

- ٥ . فمن الخطباء الشعراء ، الأئنياء الحكماء : قس بن ساعدة الإيادي .  
والخطباء كثير ، والشعراء أكثر منهم ، ومن يجمع الشعر والخطابة قليل .  
ومنهم : عمرو بن الأهمم الجَنْقَرِي ، وهو المُكْحَل ، قالوا : كأن شعره في مجالس الملوك حُلَّ منسورة <sup>(٢)</sup> . قيل لعمر بن الخطاب رحمه الله : « قيل للأوسية : أي منظر أحسن ؟ فقالت : قصور يعض في حداثتي حُضِر » ، فأشد عند ذلك عمر بن الخطاب ، يث عدى بن زيد العبادي :  
١٠ . كذمتي العاج في المحارب أو كال بيض في الرّوض زهرة مُسْتَيِّر  
قال : فقال قسامة بن زهير <sup>(٣)</sup> : « كلام عمرو بن الأهمم أنق ، وشعره أحسن » . هذا ، وقسامة أحد أئنياء العرب .

ومن الخطباء الشعراء : البعيث المُجاشعي ، واسمه خلدش بن بشر بن يبة <sup>(٤)</sup> .

١٥ . ومن الخطباء الشعراء : الكميث بن زيد الأسدي <sup>(٥)</sup> ، وكنيته أبو المستهل .

(١) فيما عدل ، هـ : « الكلام » .

(٢) هـ : « منسوبة » .

(٣) قسامة بن زهير المازني ، له إدراك ، وكان ممن افصح الأئمة مع عجة بن غزوان ، وكان رأساً في

٢٠ . تلك الحروب . مات بعد الثمانين . الإصطبة ٧٢٨٠ .

(٤) في المؤلف ٥٦ ، أنه خلدش بن بشر بن خالد بن يبة بن قوط بن سفيان بن مجاشع .

دخل بين جهر وفسان السليطي ، وأعان غسان ، فليج المجاء بينه وبين جهر والفرزدق ، وسقط البعث . فيما عدل : « ليد » بدل « يبة » تحريف .

(٥) من يقال له الكميث من الشعراء ثلاثة ، كلهم أسدي ، من بني أسد بن خزيمة . وأعرفهم

٢٥ . وأشهرهم الكميث بن زيد ، وكان مكثراً جداً ، يعمل لإدخال الذهب في شعره ، وله في أهل البيت الأشعار المشهورة ، وهي أجود شعره . وهذا الكميث هو الكميث الأصغر =

ومن الخطباء الشعراء : الطرمّاح بن حكيم الطائي<sup>(١)</sup> ، وكنيته أبو نعيم  
قال القاسم بن مَعْن : قال محمد بن سهل راوية الكميّ : أنشدتُ الكميّ  
قولَ الطرمّاح :

إذا قُبِضَتْ نَفْسُ الطرمّاحِ أَخْلَقَتْ      عُرَى المَجْدِ واستَرْخَى عِنانُ القَصَائِدِ  
قال : فقال الكميّ : إى والله ، وعِنان الخطابة والرّواية .

وقال أبو عثمان الجاحظ : ولم يرَ الناسُ أعجبَ حالاً من الكميّ  
والطرمّاح . وكان الكميّ عدنانياً عصيّاً ، وكان الطرمّاح قحطانياً عَصِيّاً .  
وكان الكميّ شيعياً من الغالية ، وكان الطرمّاح خارجياً من الصّفوية . وكان  
الكميّ يتعصّب لأهل الكوفة ، وكان الطرمّاح يتعصّب لأهل الشام . وبينهما  
مع ذلك من الخاصّة والمخالطة ما لم يكن بين نفسين قطّ ، ثم لم يجر بينهما  
صِرْمٌ ولا جَفَوَةٌ ولا إعراض ، ولا شيءٌ مما تدعو هذه الحِصَالُ إليه . ولم يرَ الناسُ  
مثلهما إلا مذكروا من حال عبد الله بن يزيد الإباضي<sup>(٢)</sup> ، وهشام بن الحكم  
الرافضي<sup>(٣)</sup> ؛ فإنهما صارا إلى المشاركة بعد الخلطة والمصاحبة<sup>(٤)</sup> .

= وأما الأكبر فهو الكميّ بن ثعلبة ، أحد الشعراء المخضرمين ، وهو جد الكميّ الأوسط :  
الكميّ بن معروف بن الكميّ بن ثعلبة ، شاعر مخضرم أيضاً . انظر المؤتلف ١٨٠ والمرزبانى ٣٤٧ .

(١) الطرمّاح بن حكيم : شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، مولده ومنشؤه بالشام ، ثم  
انتقل إلى الكوفة مع من وردوا من جيوش أهل الشام فاعتقد مذهب الشرة والأزارقة ، وكان فصيحاً يكثر  
في شعوه الغريب . قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابي عن ثمانى عشرة مسألة كلها من غريب شعر  
الطرمّاح فلم يعرف واحدة منها . انظر الشعراء لابن قتيبة والأغانى ( ١٠ : ١٤٨ ) والخزانة ( ٣ : ٤١٨ ) .  
(٢) فيما عدنا ل : ه بن زيد الإباضي ه .

(٣) هشام بن الحكم : صاحب مذهب المشامية ، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستاني ، ومن  
المشبية عند الخوارزمي في مفاتيح العلوم ٢٠ ، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق . وكان يقول  
بالنّجس والتّشبيه . وآراؤه مفصلة في الفرق ٤٧ — ٥٣ وللمل والنحل ( ٢ : ٢١ — ٢٣ ) . وانظر  
الحويان ( ٣ : ١١ ) .

(٤) الخلطة ، بالكسر : المشقة ؛ وبالضم : الشركة .

وقد كانت الحال بين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة ، الحال التي تدعو إلى المفارقة بعد المنافسة والمحاسنة ؛ للذي اجتمع فيهما من اتفاق الصناعة والقربة والمجاورة ، فكان يُقال : لولا أنهما أحكم تميم لتبائنا تبائن الأسد والثمر . وكذلك كانت حال هشام بن الحكم الرافضي ، وعبد الله بن يزيد الإباضي<sup>(١)</sup> ، إلا أنهما أفضلا<sup>(٢)</sup> على سائر المتضادين ، بما صاروا إليه من الشركة في جميع تجارتهما . وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة فقال : ليس له صديق في السر ، ولا علو في العلانية<sup>(٣)</sup> ، فلم يعارضه شبيب . وتدل كلمة خالد هذه على أنه مُحسِن أن يَسُبَّ سبَّ الأشراف .

٣٢

ومن الشعراء الخطباء : عمران بن حطان ؛ وكنيته أبو شهاب ، أحد بني عمرو بن شيان إخوة سنوس .

١٠

فمن بني عمرو بن شيان مع قُلُوبهم من الخطباء والعلماء والشعراء : عمران بن حطان رئيس القَعْد من الصُّفَرِيَّة ، وصاحب قُتَيْبَاهم ، ومَفْرَعُهُمْ عند اختلافهم .

ومنهم : دَعْفَل بن حنظلة النَّسَابِيَّة ، الخطيب العلامة . ومنهم القَعْقَاع بن شُور<sup>(٤)</sup> . وسنذكر شأنهم إذا انتهينا إلى موضع ذكرهم إن شاء الله .

ومن الخطباء الشعراء : نصر بن سيار<sup>(٥)</sup> ، أحد بني لَيْث بن بكر ، صاحب

١٥

(١) فيما عدل ، هـ : هـ بن زيد . وانظر ما سبق ص ٤٦ .

(٢) فيما عدل ، هـ : هـ فضلا وهما سين ، يقال فضل كنصر وعلم ، وأفضل عليه وعنه ، أي زاد .

(٣) الخير في الحيوان (٥٩٢ : ٥) وعيون الأخبار (٧٣ : ٣) والعقد (٢٧١ : ٢) وسيأتي في ٣٤٠ .

(٤) شور ، يفتح الشين المعجمة . وفي القاموس أن القَعْقَاع بن شور تابعي . وترجم له في لسان

الميزان ( ٤ : ٤٧٤ ) ، وقال : من كبار الأمراء في دولة بني أمية . وفيه يقول الشاعر :

٢٠

وكتبت جليسا قَعْقَاع بن شور ولا يشقى بقَعْقَاع جليسا

(٥) نصر بن سيار : أمير من الدعاة الشجعان ، كان أمير خراسان سنة ١٢٠ ، ولاد هشام بن

عبد الملك . ثم غزا ملوارة النهر ففتح حصونا وغنم كثيرا ، وأقام بمر . وقد انته إلى استئصال الدعوة

العباسية ، فكتب إلى بني مروان بالشام فلم يأبوا بالخطر ، وظل يكافح حتى عجز وتطلب أبو مسلم على

خراسان ، فخرج نصر من مرو إلى قوس ، واستمر في كفاحه إلى أن لحقه المرض في مفارقة بين الرى

٢٥

وهذان . ومات بسلو سنة ١٣١ .

خراسان . وهو يُعَدُّ في أصحاب الولايات والحروب ، في التدبير ، وفي العقل  
وشِدَّة الرأي

ومن الخطباء الشعراء العلماء : زيد بن جندب الإيادي ، وقد ذكرنا  
شأنه (١) .

ومن الخطباء الشعراء : عجلان بن سحبان الباهلي ، وسحبان هذا هو  
سحبان وائل ، وهو خطيب العرب .

ومن الخطباء الشعراء العلماء ، ومن قد تنافر إليه الأشراف : أعشى  
هَمَّان .

ومن الشعراء الخطباء : عمران بن عصام العنزي (٢) ، وهو الذي أشار  
على عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه ، والبيعة للوليد بن عبد الملك ، في  
خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة . وهو الذي لما بلغ عبد الملك بن مروان  
قتل الحجاج له قال : ولم قُتل ، وبُله ؟ ألا رعى له قوله فيه :

وَبَعَثْتُ مَنْ وَلَدَ الْأَعْرَ مُعْتَبٍ      صَقْرًا يَلُودُ حِمَامَهُ بِالْعَرَفِجِ (٣)  
فَإِذَا طَبِخَتْ بِنَارِهِ أَنْضَجَتْهَا      وَإِذَا طَبِخَتْ بِغَيْرِهَا لَمْ تَنْضَجِ  
وَهُوَ الْهَزْبُ إِذَا أَرَادَ فَيْسَةً      لَمْ يَنْجِهَا مِنْهُ صَبَاحُ مُهَجِّجٍ (٤)

(١) انظر ما سبق ص ٤٢ .

(٢) عمران بن عصام العنزي : شاعر خطيب ذو لسان وذو جلد وشجاعة ، عرفه الحجاج فبعثه إلى  
عبد الملك بن مروان لينزع الولاية من أخيه عبد العزيز بن مروان ، ويجعلها لابنه الوليد بن عبد الملك ، فقام  
بذلك ، ولم يلبث عبد العزيز إلا ستة أشهر حتى مات . فلما كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام  
معه على الحجاج ، فألق به حين قتل ابن الأشعث قتلته . الأغاني ( ١٦ : ٥٨ — ٥٩ ) . والعنزي :  
نسبة إلى عترة ، بالتحريك ، إحدى قبائل بني أسد . فيما عدل ، هـ : «المرئي» تحريف . وهو معدود  
في رجال عترة . انظر الاشتقاق ١٦٩ ، والطبري ( ٧ : ٢٥ ) .

(٣) معتب ، بكسر التاء المشددة : جد من أجداد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن  
مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي ، وهو ثقيف .  
(٤) مهجج بالسبع : صالح به وزجو . ما عدا هـ : «المهجج» ، تحريف .



ومن خطباء الأمصار وشعرائهم والمولدين منهم : بَشَّارُ الأعمى ، وهو  
بشار بن بُرد ، وكنيته أبو مُعَاذ ، وكان من أحد موالى بنى عُقَيْل . فإن كان  
مولى أُمِّ الطُّبَّاءِ على ما يقول بثو سدوس ، وعلى ما ذكره حَمَّادُ عَجْرَدٍ ، فهو  
من موالى بنى سدوس . ويقال إنه من أهل خراسان نازلاً في بنى عُقَيْل . وله

٣٣ مدحٌ كثيرٌ في فُرسانِ أهلِ خُراسانَ ورجلاتهم . وهو الذى يقول :  
من خُراسانَ ويَتى فى الذُّرى وَلَدَى المَسْعَاةِ فَرعى قد بَسَقَ

وقال :

وإِنِّ لِمِنْ قَوْمِ خُراسانَ دارُهم كرامٍ وَفَرعى فِيهِمُ ناصِرٌ بَسَقَ

وكان شاعراً راجزاً ، وسجّاعاً خطيباً ، وصاحب منشورٍ ومزّوج . وله

رسائلٌ معروفة . ١٠

وأنشد عُقْبَةُ بْنُ رُؤْيَةَ ، عُقْبَةُ بْنُ سَلَمٍ <sup>(١)</sup> ، رَجَزاً يمتدحه به ، وبشاراً  
حاضر ، فأظهر بشاراً استحسانَ الأرجوزة ، فقال له عُقْبَةُ بْنُ رُؤْيَةَ : هذا طراز  
يا أبا مُعَاذٍ لاثِحْسِنُهُ . فقال بشار : أَلَيْلَى يُقالُ هذا الكلام ؟ أنا واللهِ أَرَجُزُ  
منك وَمِنْ أَيْكَ وَمِنْ جَلَّتْكَ . ثم غدا عَلَى عُقْبَةَ بْنِ سَلَمٍ بأرجوزته التى أولها :

١٥ يا طَلَلُ الحَيِّ بِذاتِ الصَّمَدِ باللهِ خَيْرُ كَيْفِ كُنْتُ بَعْدِي

وفىها يقول :

اسلَمَ وَحَيَّتْ أبا الجَلَدِ اللهُ أَيامُكَ فى مَعَدٍ

وفىها يقول :

(١) عُقْبَةُ بْنُ سَلَمٍ ، قال ابن دُهدٍ فى الاشتقاق ٢٩٢ : « ومن بنى هُناة فى الإسلام : عُقْبَةُ بْنُ

٢٠ سَلَمٍ ، صاحب دار عُقْبَةَ بالبرصه ، ابن نافع بن هلال بن أميان بن هراب بن عاصد بن خنيزر بن أسلم  
بن هُناة . والخير مفصل فى الأغاني ( ٣ : ٣٦ - ٣٧ ) وزمر الآداب ( ٢ : ١٢١ ) .

الْحُرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ      وليس للمُلْحِفِ مِثْلُ الرُّدِّ

وفيه يقول :

وصاحب كالذَّمْلِ المُمِدِّ      حَمَلَتْهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي

• وما ذَرَى مَا رَغِبْتِي مِنْ زُهْدِي •

• أَيْ لَمْ أَرِهِ زُهْدًا فِيهِ وَلَا رَغْبَةً <sup>(١)</sup> . ذَهَبَ إِلَى قَوْلِ الْأَعْرَ الشَّاعِرِ <sup>(٢)</sup> :

لَقَدْ كُنْتُ فِي قَوْمٍ عَلَيْكَ أَشِحَّةٌ      بنفسك ، لَوْلَا أَنَّ مَنْ طَاحَ طَائِحُ  
يُودُّونَ لَوْ خَاطَبُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ      وَهَلْ يَنْقَعُ الْمَوْتُ التَّفَنُّوسُ الشَّحَائِحُ <sup>(٣)</sup>

\*\*\*

والمطربوعون على الشعر من المولدين بشارَ العُقَيْلِيّ ، والسَّيِّدِ الحِمْيَرِيّ ، وأبو

١٠ العتاهية ، وابن أبي عُيَيْنَةَ <sup>(٤)</sup> . وقد ذَكَرَ النَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ يَحْيَى بْنَ نَوْفَلٍ ،

وَسَلْمًا الْحَاسِرَ ، وَخَلْفَ بْنَ خُلَيْفَةَ <sup>(٥)</sup> . وَأَبَانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ اللَّاحِقِيُّ أَوَّلُ  
بِالطَّبْعِ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَبِشَارٌ أَطْبَعَهُمْ كُلَّهُمْ .

(١) قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَذَكَرَ لِي أَبُو دَلْفٍ هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيّ هَذَا الْخَبْرَ عَنِ الْجَاهِظِ ، وَزَادَ فِيهِ

١٥ الْجَاهِظُ قَالَ : فَانْظُرْ إِلَى سَوَاءِ أَدَبِ عَقِيَّةِ بْنِ رُوَيْتَةَ وَقَدْ أَجْمَلَ بِشَارَ عَصْرَهُ وَعَشْرَتَهُ ، فَقَابَلَهُ بِهَذِهِ الْمَقَابِلَةِ الْقَيِّحَةِ .

(٢) كَلِمَةُ « الْأَعْرَ » مِنْ لِ فَقَطْ . وَفِي الْمُؤْتَلَفِ ص ٤٠ شَاعِرَانِ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ بْنِ وَائِلٍ ، يُقَالُ

لِكُلِّ مِنْهُمَا « الْأَعْرَ » .

(٣) انْفَرَدَتْ لِي بِهَذِهِ الرِّوَايَةِ وَكُتِبَ فِيهَا غَرَقٌ « هَلْ » : « لَا » إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمَا رَوَاتَانِ . وَفِيمَا عَدَا

لِي وَكُنَّا زَهْرَ الْأَدَابِ ( ٢ : ١٢١ ) : « وَلَا » .

(٤) هُوَ أَبُو عَيْنَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي عَيْنَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ

٢٠ وَسَاكِنِي الْبَصْرَةِ ، أَنْفَدَ أَكْثَرَ أَشْعَالِهِ فِي هِجَاؤِ ابْنِ عَمِّهِ خَالِدٍ . انْظُرِ الْأَغَانِي ( ١٨ : ٨ — ٢٩ ) .

(٥) مِنْ شُعْرَاءِ الْحَمَّاسَةِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ « الْأَطْلَعُ » لِأَنَّهُ قَطَعْتَ يَدَهُ فِي سَرَقَةٍ ، فَاسْتَمَاضَ عَنْهَا

بِأَصَابِعِ مَنْ جُلُودَ ، وَكَانَ مِنْ مَعَاصِرِي جَهْرٍ وَالْفَرَزْدَقِ ، دَخَلَ يَوْمًا عَلَى نَزِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُبَيْرٍ ، فِي يَوْمٍ

مَهْرَجَانٍ ، وَقَدْ أَهْدَيْتَ لَهُ هَدِيَّةً وَهُوَ يَفْرِقُهَا فِي النَّاسِ ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ أَمِيرًا عَلَى الْعِرَاقِ ، فَوَقَفَ ثُمَّ قَالَ :

كَأَنَّا شَحْمِيسُ فِي بَيْتَةٍ      تَقَسَّسَ فِي بَعْضِ عِيْدَانِهَا

—      وَقَدْ حَضَرَتْ رَسْلَ الْمَهْرَجَانِ      وَصَفُّوا كَرِيمَ هَدَايَانِهَا

ومن الخطباء الشعراء ومن يؤلف الكلامَ الجيّد ، ويصنّع المناقلاطِ الحسانَ  
ويؤلف الشعر والقصائدَ الشريفة ، مع بيانٍ عجيبٍ وروايةٍ كثيرة ، وحُسنٍ ذلِّ  
وإشارة : عيسى بن يزيد بن دأب ، أحد بني ليث بن بكر ، وكنيته أبو الوليد .

- ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابةَ والشعرَ الجيّدَ والرسائلَ  
الفاخرة مع البيان الحسن : كلثوم بن عمرو العتّابي ، وكنيته أبو عمرو ، وعلى  
ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقولُ جميعٌ من يتكلّف مثل ذلك من شعراء  
المولدين ، كبحرٍ منصورٍ التّمري ، ومسلم بن الوليد الأنصاري وأشباههما .  
وكان العتّابي يُحمّدي حنوّ بشار في البديع . ولم يكن في المولدين أصوبُ  
بديعاً من بشار ، وابن هُرمة .

- ١٠ والعتّابي من ولد عمرو بن كلثوم ، ولذلك قال :  
إني امرؤ هدمَ الإقنارَ ما تَرَتِي واجتاحَ ما بَنَتِ الأيامُ من حَطَرِي  
أيّامَ عمرو بنِ كلثوم يسوّدُه حَيّا ربيعةً والأفناء من مُضَرٍ (١)  
أرومةً عطّلتني من مكارِمِها كالقوسِ عطّلها الرّامي من الوترِ  
وذلّ في هذه القصيدة على أنّه كان قصيراً بقوله (٢) :  
١٥ نَهَى ظِرَافَ القَوَانِي عن مُواصِلَتِي ما يَفْجَأُ العَيْنَ من شَيْبِي ومن قِصَرِي

\*\*\*

- علوت برأسي فوق الروس وأشخصته فوق هاماتها  
لأكسب صاحبتى صفحة تغيظ بها بعض جاراتها  
وكان بين يديه جامات من ذهب وقضة ، فأمر له منها بعشرين جاما ، وأقبل يقسم الباقي ويقول :  
٢٠ لا تبخلنّ يديها وهي مقبلة فليس يتقصها التبذير والسرف  
وإن تولت فأحري أن تحيد بها فليس تبقى وياق شكوها خلف

انظر الشعراء لابن قتيبة .

(١) الأفناء : الأخطا من القبائل ، واحدها فو ، بالكسر ، وفنا ، كعصا .

(٢) هـ : « قوله » .

ومن الخطباء الشعراء الذين قد جَمَعُوا الشُّعْرَ والخطبَ ، والرسائلَ الطُّوَالَ والقِصَارَ ، والكتبَ الكِبَارَ المخلَّعة (١) ، والسِّمَرُ الحِسانَ المدنونة ، والأخبارَ المؤلَّدة : سهْلُ بنُ هارونَ بنِ راهيوني (٢) الكاتب ، صاحب كتاب ثُعلة وغفرة ، في معارضة كتاب كليلَة ودمنة ، وكتاب الإخوان (٣) . وكتاب المسائل ، وكتاب المخزوميّ والمذهليّ ، وغير ذلك من الكتب .

ومن الخطباء الشعراء : عليّ بن إبراهيم بن جبلة بن مخزّمة ، ويكنى أبا الحسن (٤) . وسنذكر كلام قُصّ بن ساعدة وشانَ لقيط بن معبد ، وهند بنت الحُسّ ، وجمعة بنت حابس ، وخطباء إِياد ، إذا صرنا إلى ذكر خطباء القبائل إن شاء الله .

١٠ وإِيادٍ وتيمٍ في الخطبِ خَصْلَةٌ ليست لأحدٍ من العرب ؛ لأنّ رسولَ الله ﷺ هو الذي رَوَى كلامَ قُصّ بن ساعدة وموقفه على جملة بمُكاظ وموقفته ، وهو الذي رَوَاهُ لقريشٍ والعرب ، وهو الذي عَجَّبَ من حُسْنِهِ وأظْهَرَ من تصوّيه . وهذا إسنادٌ تعجز عنه الأمانى ، وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفقّ الله ذلك الكلامَ لقُصّ بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ، ولإظهاره معنى الإخلاص وإيمانه بالبعث . ولذلك كان خطيبَ العرب قاطبةً .

(١) فيما عدل ، هـ : المجلدة .

(٢) فيما عدل ، هـ : راهيوني . وقد ضبطت الماء في هـ بالفتح والكسر معا . وفي الفهرست ١٠ ليسك راهيوني . وسهل بن هارون ، نسبته إلى دستيسلان ، كورة بين واسط البصرة والأهواز . كان سهل متحقيقا بالمأمون ، وصاحب بيت الحكمة ، وهو فارسي الأصل ، شعوى المذهب ، شديد العصبية على العرب ، وله في ذلك كتب كثيرة . عمل للحسن بن سهل رسالة يمدح فيها البخل ويرغبه فيه ويستميحه في خلال ذلك ، فأجابه الحسن بكلام جاء فيه : « قد مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبّحه الله ، وما يقوم بفساد معنك صلاح لفظك ، وقد جعلنا ثوب مدحك فيه قبول قولك فما نعطيك شيئا » . انظر الفهرست ١٢٠ ليسك و ١٧ مصر وسرح العين بهامش لامية المعجم ( ١ : ٢٦١ - ٢٧٢ ) .

(٣) عند ابن النديم : كتاب اسباسيوس في اتخاذ الإخوان .

(٤) فيما عدل : « ولا أعلمه يكنى إلا أبا الحسن » .

وكذلك ليس لأحد في ذلك مثل الذي لبنى تميم ؛ لأنَّ النبي عليه السلام لما سأل عمرو بن الأهتم عن الزريقان بن بدر <sup>(١)</sup> قال : « مانع لحوزته ، مطاع في أذنيه <sup>(٢)</sup> » . فقال الزريقان : « أما إنَّه قد علم أكثر ممَّا قال ، ولكنَّه حسدني شرفي » . فقال عمرو : « أما نحن قال ما قال فوالله ما علمته إلَّا ضيق الصدر <sup>(٣)</sup> ، زمر المروعة <sup>(٤)</sup> لقيم الخال ، حديث الغنى » ، فلما رأى أنه خالف قوله الآخر ، قوله الأوَّل ، ورأى الإنكار في عيني رسول الله قال : « يا رسول الله ، رضيْتُ فقلْتُ أحسن ما علمتُ ، وغضيتُ فقلْتُ أقبح ما علمتُ ؛ وما كذبتُ في الأوَّل ولقد صدقتُ في الآخرة » . فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : « إنَّ من البيان لسحرا » .

١٠. فهاتان الحصلتان خُصَّت بهما إبادٌ وتيم ، دون جميع القبائل <sup>(٥)</sup> .  
ودخل الأحنف بن قيس على معاوية بن سفيان ، فأشار له إلى الوساد فقال له : اجلس . فجلس على الأرض ، فقال له معاوية : ومامتك يا أحنف من الجلوس على الوساد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ فيما ألوصى به قيس بن عاصم

(١) عمرو بن الأهتم ، هو عمرو بن سنان بن سمى التميمي ، والأهتم لقب أبيه سنان . وقد عمرو إلى رسول الله في وفد تميم ، وكان سيداً خطيباً شاعراً . انظر الإصابة ٦٧٦٥ ومعجم المرتضى ٣١٢ .  
والزريقان بن بدر ، هو الحصين بن بدر ، ولقب الزريقان لحسن وجهه . وهو وعمرو بن الأهتم ممن نادوا الرسول الكرم من وراء الحجرات حين وفدوا في بني تميم ، وله شعر في كتاب الحيوان ( ٣ : ١٠٣ / ٦ : ٩٨ ) والسيرة ٩٣٥ جوتنجن . وانظر الإصابة ٢٧٧٦ والمعارف ٣٦ ، ١٣١ والمؤلف ١٢٨ وزهر الآداب ( ١ : ٦ — ٧ ) .

(٢) فيما عدل ، هـ : « أذنيه » تحريف . وروى : « مطاع في عشيته » . وانظر القصة في زهر الآداب ( ١ : ٥ ) ولباب الآداب ٣٥٤ — ٣٥٥ ولؤلؤ أمثال الميكاني .  
(٣) في زهر الآداب والأمثال : « ضيق المعطن » . والمعطن : مناخ الإبل حول الماء ، وهو كناية عن البخل .

(٤) زمر المروعة : قليلها ، يقال هو زمر بين الزمارة والزمورة . وفي زهر الآداب : « زمن » تحريف .

(٥) فيما عدل ، هـ : « دون سائر القبائل » .

- الْمِنْقَرِيُّ وَلَكِنَّهُ أَنْ قَالَ : « لَا تَنْشِ السُّلْطَانَ حَتَّى يَمْلِكَ ، وَلَا تَقْطَعَهُ حَتَّى يَنْسَاكَ ، وَلَا تَجْلِسَ لَهُ عَلَى فِرَاشٍ وَلَا وِسَادٍ ، وَاجْعَلْ يَنْكَ وَبَيْنَهُ مَجْلِسَ رَجُلٍ أَوْ رَجُلَيْنِ ؛ فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَأْتِيَ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ مِنْكَ فَتَقَامَ لَهُ ، فَيَكُونَ قِيَامُكَ زِيَادَةً لَهُ ، وَتَقْصَانَا عَلَيْكَ <sup>(١)</sup> » . حَسْبِيَ بِهَذَا الْمَجْلِسِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَعَلَّهُ أَنْ يَأْتِيَ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ مِنِّي ؛ فَقَالَ مَعْلُوبَةٌ : « لَقَدْ أُورِثْتُ نَيْمَ الْحِكْمَةِ ، مَعَ رِقَّةٍ حَوَاشِي الْكَلِمِ <sup>(٢)</sup> » . وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
- يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَمَّا مَضَى      وَعِلْمُ هَذَا الزَّمَنِ الْعَائِبِ <sup>(٣)</sup>  
 إِنْ كُنْتُ تَبْغِي الْعِلْمَ أَوْ أَهْلَهُ      أَوْ شَاهِدًا يُخْبِرُ عَنْ غَائِبِ  
 فَاعْتَبِرِ الْأَرْضَ بِسُكَّانِهَا      وَاعْتَبِرِ الصَّاحِبَ بِالصَّاحِبِ

...

١٠

وذهب الشاعرُ في مرثية أبي دؤادٍ في قوله :

- وَأَصْبِرْ مِنْ عَوْدٍ وَأَهْدَى إِذَا سَرَى      مِنْ النَّجْمِ فِي دَاخٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهِبِ <sup>(٤)</sup>  
 إِلَى شَبِيهِ يَقُولُ جَبَّارِ بْنِ سُلَيْمَى <sup>(٥)</sup> بِنَ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، حِينَ وَقَفَ عَلَى قَبْرِ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ لَا يَضِلُّ حَتَّى يَضِلَّ النَّجْمُ ، وَلَا يَعْطَشُ حَتَّى يَعْطَشَ الْبَعِيرُ ، وَلَا يَهَابُ حَتَّى يَهَابَ السَّيْلُ ، وَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَ مَا يَكُونُ حِينَ لَا تَنْظُرُ نَفْسٌ بِنَفْسٍ خَيْرًا <sup>(٦)</sup> » .

(١) فيما عدل : « ونقصا عليك » .

(٢) فيما عدل : « الكلام » .

(٣) ل ، هـ : « العائب » .

(٤) انظر ما سبق ص ٤٣ ص ١١ .

٢٠

(٥) سلمى ، بضم السين ، وقيل بفتحها ، كما نص ابن حجر في الإصابة ١٠٥١ . ب :

« سليمان » تحريف . وجبار ، أحد الصحابة القُرَاسَن ، أسلم بعد وقعة بدر معونة ، لسبب طريف ، بعد ما كان شديد العداوة للمسلمين . انظر السيرة ٦٥٠ ، ٩٣٩ جوتجن .

(٦) انظر الحيران ( ٢ : ٤٨١ ) وشرح سقط الزند ٥٠٠ . هـ : « ما كان يكون » .

وكان ريد بن جندب أشقى أفطح <sup>(١)</sup> ، ولولا ذلك لكان أخطب العرب قاطبة . وقال عبيدة بن هلال الشكري <sup>(٢)</sup> في هجائه له :

أشقى عَنِّيَّةً وناب ذو عَصَل <sup>(٣)</sup>      وَقَلَحَ بادٍ ومينٌ قد نَصَل <sup>(٤)</sup>  
وقال عبيدة أيضاً فيه :

وَلَفُوكَ أَشْتَعُ حينَ تنطِقُ فاغراً      مِن في قريحٍ قد أصابَ بَريراً <sup>(٥)</sup>  
وقد قال الكميت :

تُشَبِّهُ في الهامِ آثارها      مَشافِرَ قَرَحَى أَكَلَنَ البرير <sup>(٦)</sup>  
وقال التمر بن تولب في شتعة أشداق الجمل :

كَمْ ضَرِيَّةٌ لَكَ تُحَكِّي فَاقْرَاسِيَّةً      مِنَ المَصاعِبِ في أَشداقِ شَنَعُ <sup>(٧)</sup>

القراسيَّةُ : بعيرٌ أَضْجَم <sup>(٨)</sup> . وَالضَّجَمُ : اعوجاجٌ في الفم ، وَالْفَقَمُ : مثله . وَالرُّوقُ : ركوبُ السِّنِّ الشَّفَّةِ .

وفي الخطباء مَنْ كانَ أَشقى ، وَمَنْ كانَ أَشَدَّ ، وَمَنْ كانَ أَرْوَقَ ، وَمَنْ كانَ أَضْجَمَ ، وَمَنْ كانَ أَفْقَمَ . وفي كُلِّ ذلكِ قد رويتنا الشاهد والمثل .

(١) الشفا : اختلاف نية الأسنان بالعلول والقصر ، والدخول والخروج . والفَلَحُ : شق في الشفة العليا ، فإذا كان في العليا فهو عَلَمٌ - ل : ه أفطح ه بالجيم ، تحريف -

(٢) ذَكَرَهُ الأَمَدِيُّ في المَوْثَلِ ١٥٤ . وفي الاشتقاق ٢٠٧ : ه ومنهم عبيدة بن هلال ، كان مع قطري بن الفجاءة ثم ولّى بعده أمر الخوارج . وهو الذي يقول في حصارهم لما حاصروهم سفيان بن الأبرد الكلبي :

إلى الله أشكو ما نرى من جيادنا      تسلك هزلي نخهن قليل ه

(٣) العنقية : العقاب الحبيطة الخالب . والمصل : الاتواء .

(٤) ل : ه وفلح ه تحريف . نصل : خرج وظهر .

(٥) القريح : المصالب بالقرحة ، فيهدل لذلك مشفوه . والبير : الأول من عمر الأراك .

(٦) عجز البيت في الحيوان ( ٣ : ٢١٠ / ٦ : ٤١٢ ) .

(٧) المصاعب : جمع مصعب ، وهو النحل . وانظر الحيوان ( ٣ : ٣١٠ ) . والتفسير الثال

ساقط من ه .

(٨) الذي في المعاجم أنه البعير الضخم الشديد .

وروى الهيثم بن عدى <sup>(١)</sup> عن أبي يعقوب الثقفى ، عن عبد الملك بن  
 عمير <sup>(٢)</sup> ، قال : قديم علينا الأحنف بن قيس الكوفى ، مع المصعب بن  
 الزبير ، فما رأيت حَصْلَةً تُذَمُّ في رجلٍ إلَّا وقد رأيتها فيه : كان صتل الرأس  
 أحجَنَ الأنف ، أغصَفَ الأذن <sup>(٣)</sup> ، متراكب الأسنان ، أشدَقَ <sup>(٤)</sup> ، مائل  
 الذَّنَن ، نائق الوجنة ، باحق العين <sup>(٥)</sup> ، خفيف العارضين ، أحنف  
 الرجلين ، ولكنه كان إذا تكلم جلى عن نفسه .

ولو استطاع الهيثم أن يمتعه البيان أيضاً لمتعه . ولولا أنه لم يجد بداً من  
 أن يجعل له شيئاً على حالٍ لَمَّا أقرَّ بأنه إذا تكلم جلى عن نفسه <sup>(٦)</sup> .  
 وقوله <sup>(٧)</sup> في كلمته هذه كقول هند بنت عتبة ، حين أتاها نعي يزيد  
 بن أبي سفيان ، فقال لها بعض المعزين : إننا لنرجو أن يكون في معاوية خلفٌ  
 من يزيد ، فقالت هند : « ومثل معاوية لا يكون خلفاً من أحد ، فوالله أن لو  
 جُمِعت العرب من أقطارها ثم رمى به فيها ، لخرَج من أى أعراضها شاء » .  
 ولكنا نقول : المثل الأحنف يقال : « إلا أنه كان إذا تكلم جلى عن نفسه » ؟

• • •

١٥ (١) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى الأخبارى ، كان من جالس المنصور والمهدى والمهاذى ،  
 وفيه يقول أبو نواس :

إذا نسبت عديا في بنى ثعل      فقدم الدال قبل العين في النسب  
 وله تصانيف كثيرة . ولد قبل ١٢٠ وتوفى سنة سبع ومائتين . ابن خلكان .

(٢) هو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حلثة القرشى — ويقال القرشى — أبو عمرو الكوفى ،  
 ٢٠ المعروف بالقبلى ، روى عن الأشعث بن قيس ، وجابر بن سمرة ، والمغيرة ، والنعمان بن بشير ، وعنه ابنه  
 موسى ، وشهر بن حوشب ، والأعمش ، توفى سنة ١٣٦ . انظر تهذيب التهذيب .

(٣) صحل الرأس : دقيقه . أحجن : مقبل الرؤفة نحو القم . أغصف ، مسترخ .

(٤) الأشدق : الواسع الشدق المائله .

(٥) الباق : أن تحسف العين بعد العور .

(٦) هذه الفقرة ليست في ل . والكلام في الخير لعبد الملك بن عمير ، لا الهيثم بن عدى . ٢٥

(٧) في النسخ : « وقولنا » .



ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول فيما يعتري اللسان من ضروب الآفات . قال ابن الأعرابي : طلق أبو رمادة <sup>(١)</sup> امرأته حين وجدها لثغاء ، وخاف أن تجمعه بولد ألثغ ، فقال :

لثغاء تأتي بحيفس ألثغ تميم في الموشى والمصيف

الجيفس : الولد القصير الصغير <sup>(٢)</sup> .

وأنشدني ابن الأعرابي كلمة جامعة لكثير من هذه المعاني ، وهي قول الشاعر :

اسكت ولا تنطق فانت حجاب <sup>(٣)</sup> كلك ذو عيب وأنت عياب

إن صدق القوم فانت كذاب أو نطق القوم فانت هياب

أو سكك القوم فانت قيقاب <sup>(٤)</sup> أو أقدموا يوما فانت وجاب <sup>(٥)</sup>

وأنشدني في هذا المعنى أيضاً :

ولست بدميمجة في الفرا ش وجابة يحمي أن يجيبا <sup>(٦)</sup>

ولا ذى قلائم عند الحياض إذا ما الشرب أراب الشربا <sup>(٧)</sup>

الدميمة : الثقليل عن الحركة <sup>(٨)</sup> . والقلائم : كثرة الصياح . وأنشدني :

(١) ل : « أبو زمعة » . وفي عيون الأخبار ( ٤ : ٨ ) . « طلق زياد » .

(٢) الجيفس : كهزير وصيفل . وقيل في تفسيره : الدمع الخلق . والتفسير ساقط من هـ .

(٣) الحجاب : الصغير الجسم المتداخل العظام . ل : « حيمخاب » تحريف . وأنشده في أمالي

ثعلب ٢٦٢ من المخطوطة واللسان ( غيب ) ، وهو القفاح الذي لا يورى . والقفاح والقفاح : حجر

القدح . وانظر عيون الأخبار ( ٢ : ١٥ ) .

(٤) قيقاب : كثر الكلام غلظه .

(٥) الوجاب : الجبان الفرق . وأنشده في اللسان ( قدم ) : « أو أقدموا » شاهداً على أن قدم ،

بالتشديد ، بمعنى تقدم .

(٦) الدميمة ، بالنال المهملة . وفي الأصول : « بزميمة » تحريف صوابه في اللسان ( دج ) ،

وجب ) ونوادير أوى ريد ٢٤٢ وما سيأت في ص ٦٨ و ٣ : ٣٢٩ ، حيث أنشد البيت . والوجابة :

الفرع الفرق . ورواية النوادر : « هابة » .

(٧) البيت في اللسان ( وجب ، قلم ) .

(٨) فسر في اللسان ( دج ) بأنه المتداخل ، وفي ( وجب ) بأنه الذي يندمج في الفراش . وفي

النوادر : « ابن الأعرابي : رجل دميعة ، إذا كان ملائماً لفرشه » .

رُبُّ غَرِيبٍ ناصِحٍ الجِيبِ      وابنُ أبٍ مُتَّهِمِ العَيْبِ (١)  
 ورُبُّ عَيْابٍ لَهُ مَنْظَرٌ      مُشْتَمِلُ الثَّوْبِ عَلَى الْعَيْبِ (٢)  
 وأنشدني أيضاً :  
 وأَجْرًا مِنْ رَأَيْتُ بظَهْرِ غَيْبٍ      عَلَى عَيْبِ الرُّجَالِ ذُوو العِيُوبِ (٣)

\* \* \*

وقال سهل بن هارون : « لو عَرَفَ الزَّنجِيُّ قُرْطَ حاجته إلى ثنياه في إقامة الحروف ، وتكميل آلة البيان (٤) ، لما نزع ثنياه » .  
 وقال عمر بن الخطاب رحمه الله في سهل بن عمرو الخطيب (٥) : « يا رسول الله ، أنزع ثَنِيَّتِهِ السُّفْلَيْنِ حَتَّى يَدْلَعَ لِسَانَهُ ، فلا يَقُمْ عَلَيْكَ خَطِيئًا أَبَدًا (٦) » .  
 ١٠ وإنما قال ذلك لَأَنَّ سهيلاً كان أعلم من شفته السُّفْلَى (٧) .  
 وقال خلاد بن يزيد الأرقط (٨) : خطب الجمحي خطبةً نكاح أصاب فيها معاني الكلام ، وكان في كلامه صغيرٌ يخرج من موضع ثنياه المنزوعة ، فأجابه زيد بن علي بن الحسين بكلام في جودة كلامه ، إلا أَنَّهُ فَضَّلَهُ بِحُسْنِ الخُرجِ

- (١) رجل ناصح الجيب : نقي الصدر ، ناصح القلب ، لا غش فيه .  
 (٢) البتان في عيون الأخبار ( ٢ : ١٤ ) برواية : « وكل عياب » .  
 (٣) كأنه مأخوذ من قول المستورد حين قال له رجل : أريد أن أرى رجلاً عيباً . قال : « انصحه بفضل معائب فيه » . الكامل ٥٧٩ ليسك . وانظر عيون الأخبار ( ٢ : ١٤ ) .  
 (٤) هـ ، ح : « وتكميل جميل البيان » .  
 (٥) هو أبو زيد سهيل بن عمرو بن عید شمس ، خطيب قهش ، وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية ، وكان من المؤلفات قلوبهم ، أعطاه الرسول الكريم مائة من الإبل . مات بالطاعون سنة ثمان عشرة . الإصابة ٣٥٦٦ وصفة الصفوة ( ١ : ٣٠٧ ) والسيعة ٤٧٦ جوتجن .  
 (٦) في الإصابة : « قال عمر للنبي ﷺ : دعني أنزع ثنيتي سهيل فلا يقوم علينا خطيئاً . فقال : دعها فلعلمها أن تسرك يوماً . فلما مات النبي ﷺ قام سهيل بن عمرو فقال لهم : من كان يعبد عملاً فإن عملاً قد مات ، ومن كان يعبد الله فله حياة لا يموت » .  
 (٧) كنا . وإنما أعلم مشقوق الشفة العليا . ومشقوق الشفة السفلى يقال له الأفلح .  
 (٨) خلاد بن يزيد الأرقط ، أحد الرواة للقبائل ، والمؤلفين بالقبائل والأشعار . توفي سنة ٢٢٠ . ابن النديم ١٧ ليسك ١٥٦ مصر وتهذيب التهذيب ( ٣ : ١٧٦ ) .

والسَّلَامَةِ من الصغير ، فذكر عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، سلامة  
لفظ زيد لسلامة أسنانه ، فقال في كلمة له :

قَلْتُ قَوَادِحُهَا وَتَمَّ عَدِيدُهَا قَلَهُ بِذَلِكَ مَزِيَّةٌ لَا تَنْكَرُ (١)

ويروى : « صَحَّتْ مَخَارِجُهَا وَتَمَّ حُرُوفُهَا » . المَزِيَّةُ : الفضيلة .

وزعم يحيى بن نُجَيْم بن معاوية بن زَمْعَةَ ، أحدُ رَوَاةِ أَهْلِ البصرة (٢) ،  
قال : قال يونس بن حبيب ، في تأويل قول الأحنف بن قيس :

أَنَا ابْنُ الزَّافِرِيَّةِ أَرْضَعَتْنِي بِثَدْيٍ لَا أَجْدُ وَلَا وَحِيمٌ (٣)

أَتَمَّتْنِي فَلَمْ تَنْقُصْ عِظَامِي وَلَا صَوْتِي إِذَا جَدُّ الْخَصُومِ (٤)

قال : إنما عني بقوله عظامي أسنانه التي في فيه ، وهي التي إذا تَمَّتْ

تَمَّتْ الحُرُوفُ ، وإذا نَقَصَتْ نَقَصَتْ الحُرُوفُ .

وقال يونس : وكيف يقول مثله : « أَتَمَّتْنِي فَلَمْ تَنْقُصْ عِظَامِي » وهو يريد

بالعظام عظامَ اليدين والرجلين ، وهو أحنف من رجليه جميعاً ، مع قول الحُتَاتِ ٣٩

له (٥) : « وَاللَّهِ إِنَّكَ لَضَعِيلٌ ، وَإِنْ أَمَلَكْ لَوَرَهَاءُ » (٦) . وكان أعرف بمواقع العيوب

وأبصر بدهيقها وجليلها . وكيف يقول ذلك وهو نُصِبَ عِيُونُ الْأَعْدَاءِ وَالشُّعْرَاءِ

١٥ (١) المقادح : أكال يقع في الأسنان .

(٢) ذكر ابن النديم في الفهرست ١٧٠ ليسك ٢٤٢ مصر ، مع أصحاب القصائد التي قبلت في  
الغريب .

(٣) الزافرية ، لم أحد في قبائلهم ما يحتمل هذه النسبة . وأم الأحنف ، هي حبة بنت عمرو بن قوط بن  
ثعلبة الباهلية ، كما في الإصابة ٤٢٦ . والأجد : المباس الذي ذهب لبنه .

٢٠ (٤) فيما عدل : « اصطك الخصوم » . وفي البيت إقواء .

(٥) الحتات ، كغراب ، هو الحتات بن يزيد بن علقمة التميمي الدارمي المجاشعي ، وكان الرسول قد  
آخى بينه وبين معاوية ، فمات في خلافته ، فوره بالأخوة . الإصابة ١٦٠٧ . وهو أحد من وفد من بني تميم  
على رسول الله . السيرة ٩٣٣ — ٩٣٤ .

(٦) الورهاء : الحمقاء التي لا تتألك حمقا .

والأخفاء ، وهو أنْفُ مُضَرَّ الذي تَعَطَّس عنه ، وأَيِّنُ العربِ والعجم قاطبة .  
 قالوا : ولم يتكلم معاوية على منبر جماعة منذ سقطت ثناياه في الطَّسْت .  
 قال أبو الحسن وغيره : لما شَقَّ على معاوية سقوطُ مَقَادِم فيه قال له يزيد  
 ابن معن السلمى : « والله ما بلغ أحدٌ سِنَّكَ إلا أبغض بعضه بعضاً ، ففُوك  
 أهونُ علينا من سمعك وبصرك » . فطابت نفسه .

وقال أبو الحسن المداقنى : لما شَدَّ عبدُ الملك أسنانه بالذهب قال :  
 « لولا المنابر والنساء ، ما باليئُ متى سقطت » .

قال : وسألتُ مباركا الزنجيَّ الفاشكار (١) ، ولا أعلم زنجياً بلغ في  
 الفَشْكَرة مبلغه ، فقلت له : لِمَ تنزع الزنجُ ثناياها ؟ ولم يحدِّث ناسٌ منهم  
 أسنانهم ؟ فقال : أمّا أصحاب التحديد فللقِتال والثَّهش ، ولأنهم يأكلون  
 لحومَ الناس ، ومتى حاربَ ملكٌ ملكاً فأخذَه أسيراً أو قتيلاً أكله ، وكذلك إذا  
 قاتل بعضهم بعضاً أكلَ الغالبُ منهم المغلوب . وأمّا أصحاب القَلْع فإنهم قالوا :  
 نَظَرْنَا إلى مَقَادِم أفواه الغنم فكرهنا أن تشبه مَقَادِم أفواهنا مَقَادِمَ أفواه الغنم ، فكم  
 تظنُّهم — أكرمَكَ الله — قَدَلُوا من المنافع العظام بِفَقْد تلك الثنايا .

وفي هذا كلامٌ يقع في كتاب الحيوان .

وقال أبو الهندي في اللَّفْع :

مَقِيْتُ أبا المصْرَح إِذْ أَتَانِي وَذُو الرِّعَاتِ مَتَّصِبٌ يَصِيحُ (٢)  
 شَرَاباً تَهْرُبُ الذُّبَابُ مِنْهُ وَيَلْتَفُّ حِينَ يَشْرِبُهُ الْقَصِيحُ (٣)

(١) الفاشكار : لفظة فارسية معربة ، مأخوذة من « بشكارى » الفارسية ، بمعنى الزراعة والفلاحة :

(٢) ( Agriculture, tillage ) . انظر استنجاس ١٨٩ . وفي هامش هـ : « الفاشكار هو الفلاح .  
 والفشكة : الفلاحة » .

(٣) فيما عدنا ل هـ : « إذا تَأَنَّى » تحفف . والرعة ، بالضم ، والتحكك : عثوث الدبك .

(٣) الذبان تسقط على البيذ الحلو ولا تسقط على الحارز . انظر الحيوان ( ٣ : ٣٦٠ ،

٣٨٠ ) . هـ : « الذبان عنه » .

وقال محمد بن عمرو الرُّومى ، مولى أمير المؤمنين : قد صَحَّت التجربة وقامت العبرة على أَنَّ سقوطَ جميع الأسنان أَصْلَحُ فى الإبانة عن الحروف ، منه إذا سقط أَكْثَرُها ، وخالف أَحَدُ شَطْرَيْها الشُّطْر الآخر .

وقد رأينا تصديقَ ذلك فى أفواه قوم شاهدَهم النَّاسُ بعد أن سقطت جميعُ أسنانهم ، وبعد أن بقى منها الثُّلثُ أو الرَّبْع .

فممن سقطت جميعُ أسنانه وكان معنى كلامه مفهوماً : الوليد بن هشام القَحْظَمى <sup>(١)</sup> صاحبُ الأخبار . ومنهم : أبو سفيان بن العلاء بن لبيد الثَّغَلِى <sup>(٢)</sup> ، وكان ذا بيانٍ ولسن .

وكان عبيد الله بن أبى غَسَّان ظريفاً يصرفُ لسانه كيف شاء <sup>(٣)</sup> ، وكان الإلحاح على القَيْسى <sup>(٤)</sup> قد بَرَدَ أسنانه ، حتَّى لا يرى أَحَدٌ مِنْها شيئاً إلاَّ ١٠ إن تطلَّعَ فى لحم اللثة ، أو فى أصول منابتِ الأسنان .

وكان سفيانُ بن الأبرد الكلبى <sup>(٥)</sup> كثيراً ما يجمع بين الحارِّ والبارِّ ، فتساقطت أسنانه جُمُوعٌ ، وكان فى ذلك كُلُّه خطيئاً بيِّناً .

وقال أهل التجربة : إذا كان فى اللحم الذى فيه مَفلوْزُ الأسنان تشميرٌ ١٥ وقَصْرٌ سَمَكٌ <sup>(٦)</sup> ، ذهب الحروفُ وفَسَدَ البيان . وإذا وَجَدَ اللسانُ من جميع

(١) الوليد بن هشام بن قحزم ، أبو عبد الرحمن القحظمى ، من أهل البصرة ، يروى عن جبر بن عثمان ، وروى عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجهمى . توفى سنة ٢٢٢ . لسان الميزان وأنساب السمعاني ٤٤٣ .

(٢) ذكره الجاحظ فى ( ١ : ١٩١ ) من الأصل ، فىمن كنيته اسم ، قال : « وأبو سفيان بن العلاء بن لبيد الثغلى ، خليفة عيسى بن شبيب المازنى على شرط البصرة » .

(٣) فيما عدل : كيف أحب .

(٤) القيسى : المشمش باللغة التركية ، كما فسو استنجاس فى معجمه ٩٩٨ . وفيه : Apricot :

قيسى T . ل . هـ : القىء ، تحريف لا يستقيم .

(٥) سفيان بن الأبرد الكلبى : أحد قواد بني أمية ، كان ذا ضلع كبيرة فى حرب الخوارج ، وهو

آخر من أرسل إلى قطرى بن الفجاعة وقطه سنة ٧٨ ، وكان المباشر لقطه سودة بن أبيجر ، انظر ما سبق

فى ( ٣ : ٢٦٤ ) ، وابن خلكان فى ترجمة قطرى .

(٦) التشمير : التقليل . والسماك : بالفتح : الارتفاع .

جهاته شيئاً يقرعه ويصكه ، ولم يمر في هواء واسع المجال ، وكان لسانه يملأ  
جَوِيَّةً فيه ، لم يضره سقوط أسنانه إلا بالمقدار المعتد ، والجزء المحتمل . ويؤكد  
ذلك قول صاحب المنطق <sup>(١)</sup> ، فإنه زعم في كتاب الحيوان أن الطائر والسبع  
والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين ، وأحكى لما  
يُلْقَن ولما يَسْمَع ، كتنحو البيفاء والغداف وغراب البين <sup>(٢)</sup> ، وما أشبه ذلك ؛  
وكالذي يتهيأ من أفواه السنائر إذا تجاوبت ، من الحروف المقطعة المشاركة  
لمخارج حروف الناس . وأما الغنم فليس يمكنها أن تقول إلا « ما » . والميم والباء  
أول ما يتهيأ في أفواه الأطفال ، كقولهم : ماما ، وبابا ؛ لأنهما خارجان من  
عمل اللسان ، وإنما يظهران بالتقاء الشفتين . وليس شيء من الحروف  
أدخل في باب التقص والعجز من فم الأهم ، من الفاء والسين إذا كانا في  
وسط الكلمة . فأما الضاد فليست تخرج إلا من الشدق الأيمن ، إلا أن  
يكون المتكلم أعسر يسراً <sup>(٣)</sup> ، مثل عمر بن الخطاب رحمه الله ؛ فإنه كان  
يخرج الضاد من أي شديقه شاء . فأما الأيمن والأعسر والأضبط <sup>(٤)</sup> ،  
فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد .

وكذلك الأنفاس مقسومة على المنخرين ، فحالاً يكون في الاسترواح <sup>(٥)</sup>  
ودفع البخار من الجوف من الشق الأيمن ، وحالاً يكون من الشق الأيسر ،

(١) صاحب المنطق ، هو أرسطوطاليس ، لأنه « أول من خلص صناعة اليونان من سائر  
الصناعات المنطقية ، وصورها بالأشكال الثلاثة ، وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لقب بصاحب  
المنطق » . التفطى ٢٢ . وانظر ابن النديم ٣٤٧ — ٣٤٩ .

(٢) انظر الحيوان ( ٥ : ٢٨٨ ) . وجاء في الحيوان ( ٢ : ٣١٥ ) . « وغراب البين نوعان :  
أحدهما غراب صغار معروفة بالضعف واللؤم ، والآخر كل غراب يتشام به » .

(٣) رجل أعسر يسر : يعمل يديه جميعاً .

(٤) الأعسر : الذي يعمل يده اليسرى خاصة . والأضبط ، فهو المعاجم بأنه الأعسر اليسر  
الذي يعمل يكلتا يديه . وتأمل .

(٥) الاسترواح : التشمس . ٢٥

ولا يجتمعان على ذلك في وقتٍ إلا أن يستكرو ذلك مستكرو ، أو يتكلفه متكلف . فأما إذا ترك أنفاسه على سجيته لم تكن إلا كما قالوا <sup>(١)</sup> .

وقالوا : الدليل على أن من سقط جميع أسنانه أن عظم اللسان نافع

له ، قول كعب بن جُعيل ليزيد بن معاوية ، حين أمره بهجاء الأنصار ، فقال

- له : « أرأى أنت إلى الكفر بعد الإيمان <sup>(٢)</sup> ، لا أهجو قوماً نصرُوا رسولَ الله ﷺ وآووه ، ولكني سأدلك على غلامٍ في الحى كافر ، كأن لسانه لسانُ نور » . يعنى الأخطل .

وجاء في الحديث : « إن الله تبارك وتعالى يُبغض الرجل الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة الخلاً بلسانها <sup>(٣)</sup> » .

- قالوا : ويدل على ذلك قولُ حسَّان بن ثابت ، حين قال له عليه السلام : ١٠ « ما بقى من لسانك ؟ » . فأخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أُرْبَتته ، ثم قال : « والله أن لو وضعته على شعرٍ لحلقه ، أو على صخرٍ لقلقه <sup>(٤)</sup> وما يسرني به مقولٌ من معدد » .

وأبو السمط مروان <sup>(٥)</sup> بن أبى الجنوب بن مروان بن أبى حفصة <sup>(٦)</sup> ، وأبوه

- (١) كنا وردت العبارة في جميع النسخ بدون ذكر فاء الجواب ، لغير ضرورة ، وحققها الإتيات كما في قول عمر :

رأت رجلاً أما إذا الشمس علوت فيضحي وأما بالمشي فيخصر

(٢) ل : « الإسلام » .

(٣) يقال بقر وبقر ويقر وبقر . انظر المعاجم والحيوان ( ٤ : ٤٦٩ ) . ومنه قراءة ( إن البقر تشابه

- علينا ) . وأما « الباقرة » فلم أرها إلا هنا ، ومخرجها على أنها واحد البقر . وفي الجامع الصغير السيوطي ١٨٤٩ : ٢٠ « إن الله تعالى يبغض الخليخ من الرجال ، الذى يتخلل بلسانه نخل الباقرة بلسانها » ، وخرج الحديث من مسند أحمد ، ومن أبى داود والترمذى ، وذكر أنه حديث حسن .

(٤) فيما عدا ل : « على صخر لقلقه ، أو على شعر لحلقه » .

(٥) كان يقال له مروان الأصغر ، ولجده : مروان الأكبر . وكان شاعراً ساقط الشعر بارده ،

- عاصر الواقى والمزكى . وله في المتوكل وأحمد بن أبى دولا قصائد عدة . تاريخ بغداد والأغانى ( ١١ : ٢ ) . ٢٥

(٦) مروان بن أبى حفصة ، هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة ، شاعر =

وابنه ، في نسقي واحد ، يقرعون بأطراف ألسنتهم أطراف أنفهم .  
وتقول الهند : لولا أن القيل مقلوب اللسان لكان أنطق من كل طائر  
يتياً في لسانه كثير من الحروف المقطعة المعروفة <sup>(١)</sup>.

وقد ضرب الذين زعموا أن ذهاب جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن  
الحروف من ذهاب الشطر أو الثلثين ، في ذلك مثلاً ، فقالوا : الحمام  
المقصود جناحه جميعاً أجدر أن يطير من الذي يكون جناحه أحدهما وافرأ  
والآخر مقصوصاً . قالوا : وعلة ذلك التعديل والاستواء ، وإذا لم يكن ذلك  
كذلك ارتفع أحد شقيه وانخفض الآخر ، فلم يجديف ولم يطير <sup>(٢)</sup>.  
والقطا من الطير قد يتياً من أفواها أن تقول : قطا قطا . وبذلك  
سميت <sup>(٣)</sup> ويتياً من أفواه الكلاب العيثات والفأيات والولوات ، كنحو قولها :  
وَو وَو ، وكنحو قولها : عَفْ عَفْ .

قال الهيثم بن عدي : قيل لصبي : من أبوك ؟ فقال : وَو وَو ؛ لأن أباه  
كان يسمى كلباً <sup>(٤)</sup> .

قال : ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم  
اللسين . واستعمال الجرماقة للعين <sup>(٥)</sup> .

= مجرود من أهل الجملة ، قدم بغداد وولد المهدي الرشيد ، وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلوية في  
شعره ، وله في ممن بن زائدة مفاتيح ومرت عجيبة . ولد سنة ١٠٥ وتوفي سنة ١٨٢ . وفیات الأعيان  
وتاريخ بغداد ٧١٢٧ ومجموع الرزاني ٣٩٦ وابن خلكان ( ٢ : ٨٩ ) .

(١) انظر الحيوان ( ١ : ٣١٠ / ٧ : ٣ : ١ : ١٩٢ ) .

(٢) جذف الطائر : طار وهو مقصود ، كأنه يرد جناحه إلى خلفه . ومجذافه جناحه . يقال  
بالدال والذال جميعاً . انظر الحيوان ( ١ : ٢٦٢ / ٣ : ٢٣٠ ) .

(٣) ل : ه ولذلك سميت .

(٤) الخمر في الحيوان ( ٢ : ٦٨ / ٥ : ٢٨٨ ) .

(٥) الجرماقة : طائفة من الكلدانيين ، أي السريانيين . قال المسعودي في التنبيه والإشراف ٦٨ :

« وكانوا شعوباً وقبائل ، منهم النونيون ، والأثوريون ، والأرمان ، والأردوان ، والجرماقة ، ونبط المرق ، وأهل السواد » .



وقال الأصمعي : ليس للروم ضادٌ ، ولا للفرس ثاء ، ولا للسرياني ذال .

قال : ومن ألقاظ العرب ألفاظٌ تتنافر ، وإن كان مجموعةً في بيت شعري لم يستطع المنشدُ إنشادها إلا ببعض الاستكراه . فمن ذلك قول الشاعر :

وقبرٌ حربٍ بمكانٍ قفرٍ      وليس قربٌ قبرٍ حربٍ قبرٍ<sup>(١)</sup>

ولما رأى مَنْ لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يُشيد هذا البيت<sup>(٢)</sup> ثلاثَ مرَّاتٍ في نسقٍ واحدٍ فلا يتتبعُ ولا يتلجّجُ ، وقيل لهم إن ذلك إنما اعتراه ، إذ كان من أشعار الجِنِّ ، صدّقوا بذلك .

ومن ذلك قول ابن يسير<sup>(٣)</sup> في أحمد بن يوسف<sup>(٤)</sup> حين استبطأه :

هَلْ مُعِينٌ عَلَى الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ      أَمْ مَعَزٍ عَلَى الْمُصَابِ الْجَلِيلِ  
مَيِّتٌ مَاتَ وَهُوَ فِي وَرَقِ الْعَيْشِ      مَقِيمٌ بِهِ وَظِلِّ ظَلِيلِ<sup>(٥)</sup>  
فِي عِدَادِ الْمَوْتِ وَفِي عَامِرِ الدُّنَى      يَا أَبُو جَعْفَرٍ أَخِي وَخَلِيلِ<sup>(٦)</sup>

(١) البيت مجهول القائل ، ولتنافر لفظه نسبة إلى بعض الجن ، وصنموا في ذلك قصة . انظر الحيران ( ٢٠٧ : ٦ ) ومعاهد التنصيص ( ١ : ١٢ ) . وقد روي بلفظ : « وما بقرب قبر حرب قبر » .  
(٢) البيت السابق من السريع . فيما عدل : « هذين البيتين » تحريف .

(٣) هو محمد بن يسير الهاشمي ، يقال إنه كان مولى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الهاشمي الأخباري الأديب ، وكان شاعراً ظيفاً من شعراء المحدثين ، متقللاً ، لم يفارق البصرة ولا وفد إلى خليفة ولا شريف متنجساً ، ولا جاوز بلدَه ، وكان ماجناً هجاء خبيثاً من بخلاء الناس . انظر أخباره في الأغاني ( ١٢ : ١٢٤ - ١٣٦ ) . وله أخبار وأشعار شتى في كتب الحيران . وفي الأصول : « ابن بشير » تحريف . وفي القاموس ( يسر ) . « وأبو جعفر وهو محمد بن يسير ، شاعر هجاء في ترجمته من الأغاني ( ١٦ : ١٣٧ ) أن الخليفة المتصم تعامل باسمه وقال : « أمر محمود ، وسير سريع » .

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب ، كان كاتب ديوان الرسائل زمان المأمون ، وكان فصيح اللسان يقول الشعر في الفزل والمدح والهجاء ، وله أخبار مع إبراهيم بن المهدي ، وأبي العاتية ، ومحمد بن يسير وغيرهم . توفي سنة ٢١٣ . تاريخ بغداد ٢٦٩٢ والأغاني ( ٢٠ : ٥٦ - ٥٨ ) . والأبيات في العقد ( ٦ : ١٩٢ ) .

(٥) ورق العيش : نضرتة وحدائقه .

(٦) ما عداه : « عامر » .

لم يُمْتِ مِيتَةَ الْوَفَاءِ وَلَكِنْ      ماتَ عَنْ كُلِّ صَالِحٍ وَجَمِيلٍ  
 لَا أُذِيلُ الْأَمَالَ بَعْدَكَ إِيَّيْ      بَعْدَهَا بِالْأَمَالِ حَقٌّ بِخَيْلٍ  
 كَمْ لَهَا وَقْفَةً يَبَابُ كَرِيمٍ      رَجَعَتْ مِنْ نَذَاهُ بِالْتَعْطِيلِ (١)  
 ثُمَّ قَالَ :

• لَمْ يَضُرَّهَا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، شَيْءٌ      وَانْتَشَتْ نَحْوَ عَزَفِ نَفْسٍ ذَهُولِ (٢)  
 فَتَفَقَّدَ النِّصْفَ الْأَخِيرَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ ؛ فَإِنَّكَ سَتَجِدُ بَعْضَ أَلْفَاظِهِ يَتَبَرَّأُ  
 مِنْ بَعْضٍ .

وَأُنْشِدُنِي أَبُو الْعَاصِي قَالَ : أَنْشَدُنِي خَلْفَ الْأَحْمَرِ فِي هَذَا الْمَعْنَى :  
 وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ      يَكْذِبُ لِسَانُ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ (٣)  
 وَقَالَ أَبُو الْعَاصِي : وَأُنْشِدُنِي فِي ذَلِكَ أَبُو الْيَبْدَاءِ الرَّيَّاحِيُّ (٤) :  
 وَشِعْرِي كَبَعْرِ الْكَبْشِ فُرَّقَ بَيْنَهُ      لِسَانُ دَعَى فِي الْقَرِيضِ دَخِيلِ (٥)  
 وَأَمَّا قَوْلُ خَلْفَ :

• وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ •

فَأِنَّهُ يَقُولُ : إِذَا كَانَ الشَّعْرُ مُسْتَكْرَهًا ، وَكَانَتْ أَلْفَاظُ الْبَيْتِ مِنَ الشَّعْرِ  
 لَا يَقَعُ بَعْضُهَا مِمَّاثِلًا لِبَعْضٍ ، كَانَ بَيْنَهَا مِنَ التَّأَوُّفِ مَا بَيْنَ أَوْلَادِ الْعَلَّاتِ . وَإِذَا

(١) التَّعْطِيلُ : الْإِعْلَاءُ وَتَرْكُ الشَّيْءِ ضَيَاعًا . فِيمَا عَدَا لَ : « مَوْقَعًا يَبَابُ كَرِيمٌ » .  
 (٢) فِي اللَّسَانِ : « عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ تَعْرِفُ وَتَعْرِفُ عَرَفًا وَعَرُوفًا : تَرَكْتَهُ بَعْدَ إِعْجَابِهَا  
 وَزَهْدَتِ فِيهِ » . وَالذَّهُولُ ، مِنَ الذَّهْلِ ، بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ تَرَكْتُ الشَّيْءَ تَتَابَعًا عَلَى عَمْدٍ ، أَوْ بِشَغْلِكَ عَنْهُ  
 شُغْلٍ . فِيمَا عَدَا لَ ، هـ : « نَحْوُ عَرَفٍ » تَحْرِيفٌ .

(٣) أَوْلَادُ عِلَّةٍ : بَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْ أَمَهَاتِ شَيْءٍ . وَالْبَيْتُ فِي الْعَمَلَةِ ( ١ : ١٧٢ ) .  
 (٤) ذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ فِي الْفَهْرَسْتِ ٦٦ وَقَالَ إِنَّهُ زَوْجُ أُمِّ أَبِي مَالِكٍ عَمْرُو بْنُ كَرْكُزَةَ . وَكَانَ أَبُو  
 مَالِكٍ رُلُوبَةً أَيْ الْيَبْدَاءِ . وَاسْمُ أَبِي الْيَبْدَاءِ أَسْعَدُ بْنُ أَبِي عَصَمَةَ ، وَهُوَ أَعْرَابِي نَزَلَ الْبَصْرَةَ ، وَكَانَ يَهْلُمُ  
 الصِّيَّانَ بِأَجْرَةٍ .

(٥) انْظُرِ الْعَمَلَةَ ( ١ : ١٧٢ ) .

كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضياً موافقا ، كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة .

قال : وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل الخارج ، فتعلم<sup>(١)</sup> بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان .

وأما قوله : « كبير الكيش » ، فإنما ذهب إلى أن بحر الكيش يقع متفرقاً غير مؤلف ولا متجاور . وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر ، تراها متفقة مُلساً ، ولينة المعاطف سهلة ؛ وتراها مختلفة متباينة ، ومتافرة مستكرهة ، تشقُّ على اللسان وتكُده . والأخرى تراها سهلة لينة ، ورطبة متواتية ، سليسة النظام ، خفيفة على اللسان ؛ حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد .

وقال سحيم بن حفص<sup>(٢)</sup> : قالت بنتُ الحطيئة للحطيئة : « تركت قوماً كراماً ونزلت في بني كليب بحر الكيش » . فعابتهم بتفريق بيوتهم . فقبل لهم : فأنشئونا بعض ما لا تتباين ألفاظه ، ولا تتنافر أجزاؤه . فقالوا : قال الثقيفى<sup>(٣)</sup> :

من كان ذا عضيد يدرِك ظلامته      إنَّ الدليل الذى ليست له عضدُ  
تنبؤ يده إذا ما قُلَّ ناصره      ويأنف الضيم إنَّ أثرى له عددُ  
وأنشدوا<sup>(٤)</sup> :

(١) فيما عدا ل : « فيعلم » وتقرأ بالبناء للمفعول .

(٢) سبقت ترجمته في ص ٤٠ .

(٣) هو الأجود الثقيفى ، كما في الشعراء ٧١٢ . وانظر عيون الأخبار ( ٢ : ٢ ) ، والحيوان ( ٣ ) :

( ٤٥ ) . وفى ل : « فأنشدوا » فقط .

(٤) الأبيات التالية لأنى حبة الحموى ، كما في الكامل ١٩ ليسك والحماسة ( ٢ : ١١٠ ) .

وانظر الحيوان ( ٣ : ٤٩ ) .

رَمَتْنِي وَسَيَّرَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      عَشِيَّةَ آرَامِ الْكَنَاسِ رَمِيمٌ <sup>(١)</sup>  
 رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ بَيْتِهَا      ضَمِنْتُ لَكُمْ أَلَا يَزَالُ يَمِيمٌ <sup>(٢)</sup>  
 أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتُهَا      وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالتُّضَالِ قَدِيمٌ <sup>(٣)</sup>  
 وَأَنْشَدُوا :

٤٤

وَلَسْتُ بِلُمِيحَةٍ فِي الْفَرَا      شِ وَجَايَةٍ يَحْمِي أَنْ يُجْبِيَا <sup>(٤)</sup>  
 وَلَا ذِي قَلَارٍ عِنْدَ الْحِيَاضِ      إِذَا مَا الشَّرِيبِ أَرَابَ الشَّرِيَا  
 وَقَالَ أَبُو نُوَيْلٍ بْنُ سَالِمٍ <sup>(٥)</sup> لِرُؤْيَا بْنِ الْعِجَاجِ : يَا أَبَا الْجَحَافِ ، مَتَى إِذَا  
 شَعْتَ <sup>(٦)</sup> . قَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ عَقَبَةَ بَنِ رُؤْيَا يَنْشُدُ رَجَزاً  
 أَعْجَبَنِي . قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ ، لَوْ كَانَ لِقَوْلِهِ قِرَانٌ <sup>(٧)</sup> ! وَقَالَ الشَّاعِرُ :  
 مَهَاذِبَةٌ مَنَاجِبَةٌ قِرَانٌ      مَنَادِبَةٌ كَأَنَّهُمُ الْأُسُودُ ١٠

وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :  
 وَبَاتَ يَدْرُسُ شِعْراً لَا قِرَانَ لَهُ      قَدْ كَانَ تَقَحُّهُ حَوْلًا فَمَا زَادَا  
 وَقَالَ الْآخَرُ ، بِشَّارٍ :  
 فَهَذَا بَدِيَّةٌ لَا كَتْمَحِيرَ قَاتِلٍ      إِذَا مَا أَرَادَ الْقَوْلَ زَوْرُهُ شَهْرًا <sup>(٨)</sup>

\*\*\*

١٥

(١) رمتني ، أي بطرفها ستر الله : الإسلام أو الشيب . وآرام الكناس ، روى فيها : « بأحجار الكناس » ، وهو اسم موضع . ورقيم : اسم خليلته .

(٢) يصح في « أن » أن تكون ناصبة ، أو مخففة من التثنية يرفع بعدها الفعل .

(٣) قال المبرد في تفسيره : « لو كنت شاباً لرميت كما رميت ، وكنت كما قُتيت ، ولكن قد

تطلول عهدي بالشباب » .

(٤) سبق البيتان والكلام عليهما في ٥٧ . وفي الأصول : « ولست بزميجة » ، تحريف .

(٥) فيما عدل ، هـ : « قال نُوَيْلُ بْنُ سَالِمٍ » .

(٦) فيما عدل : « متى شعت » . وكتب فوقها في هـ : « إذا » .

(٧) في هامش هـ : « القِرَان : التشابه والملازمة » .

(٨) سبق البيت في ٢٤ .

فهذا في اقتران الألفاظ . فأما في اقتران الحروف <sup>(١)</sup> فإن الجيم لا تقارن  
الطاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين ، بتقديم ولا بتأخير . والزاي لا تقارن الطاء  
ولا السين ولا الضاد ولا النال ، بتقديم ولا بتأخير . وهذا باب كبير . وقد  
يكتفى بذكر القليل حتى يُستدل به على الغاية التي إليها يُجرى .

- وقد يتكلم المغلاق <sup>(٢)</sup> الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ،  
ويكون لفظه متخيراً فاخراً ، ومعناه شريفاً كريماً ، ويعلم مع ذلك السامع  
لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي . وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه  
الصفة ، فأنت تعلم مع إعرابه وتخفيف ألفاظه في مخرج كلامه ، أنه خراساني .  
وكذلك إن كان من كتاب الأهواز .

- ١٠ ومع هذا إنا نجد الحاكية من الناس <sup>(٣)</sup> يحكي ألفاظ سكان اليمَن  
مع مخارج كلامهم ، لا يُعادر من ذلك شيئاً . وكذلك تكون حكايته  
للخراساني والأهوازي والزنجي والسندي والأجناس وغير ذلك <sup>(٤)</sup> . نعم حتى  
تجده كأنه أطبع منهم ، فإذا ما حكي كلام الفأفاء فكأنما قد جُمِعت كل  
طُرُق في كل فأفاء في الأرض في لسان واحد . وتجده يحكي الأعمى بصور  
ينشئها لوجهه وعينه وأعضائه ، لا تكاد تجد من ألف أعمى واحداً يجمع ذلك كله ،  
١٥ فكأنه قد جَمَعَ جميع طُرُق <sup>(٥)</sup> حركات العميان في أعمى واحد .  
ولقد كان أبو دُبُوبَةُ الزنجي ، مولى آل زياد ، يقف بباب الكرخ ،

(١) فيما عدل : « افتراق » في هذا الموضع وسابقه .

(٢) المغلاق : الذي يستصحي عليه الكلام .

(٣) الحاكية ، أراد به الذي يحكي كلام الناس ويفعل مثلهم في الحديث . وهذا اللفظ لم يرد في

المعاجم المتداولة .

(٤) ما عدل هـ : « والأجناس وغير » تخويف .

(٥) فيما عدل ل هـ : « طرق » بالقاف .

بحضرة المُكَارِبِينَ <sup>(١)</sup> ، فينْهَقُ ، فلا يبقى حمارٌ مريض ولا هَرَمٌ حَسِيرٌ ، ولا مُتَعَبٌ بهيرٌ إلا تَهَقُّ . وقبل ذلك تسمع نهيقَ الجِمارِ على الحقيقة ، فلا تنبعت لذلك ، ولا يتحرك منها متحركٌ حتَّى كان أبو دُبُوبَةَ يحركه . وقد كان جَمَعَ جميعَ الصورِ التي تجمع نهيقَ الحمارِ فجعلَها في نهيقٍ واحد . وكذلك كان في بُباحِ الكلاب . ولذلك زعمت الأَوَائِلُ أَنَّ الإنسانَ إِنَّمَا قيل له العالمُ الصغيرُ سليلُ العالمِ الكبير ، لأنَّه يصوِّرُ بيديه كلَّ صورة ، ويحكى بفمه كلَّ حكاية <sup>(٢)</sup> ولأنَّه يأكلُ الثِّبَاتِ كما تأكلُ البهائم ، ويأكلُ الحيوانَ كما تأكلُ السِّباعُ وأنَّ فيه من أخلاقِ جميعِ أجناسِ الحيوانِ أشكالا .

وإنَّما تهيأَ وأمكنَ الحَاكِيةَ لجميعِ مخارجِ الأُمِّ ، لِمَا أعطى اللهُ الإنسانَ من الاستطاعةِ والتمكين ، وحين فضَّله على جميعِ الحيوانِ بالمنطقِ والعقلِ والاستطاعة . فيَطُولُ استعمالُ التكلفِ ذُلَّتْ جوارحُه لذلك . ومتى تَرَكَ شِمالَه على حالها ، ولسانه على سجيته ، كان مقصوراً بعادةِ التشبُّهِ على الشكلِ الذي لم يزل فيه . وهذه القضيةُ مقصورةٌ على هذه الجملةِ مِن مخارجِ الألفاظ ، وصُورِ الحركاتِ والسُّكُونِ . فأَمَّا حُرُوفُ الكلامِ فَإِنَّ حُكْمَهَا إِذَا تَمَكَّنَتْ فِي الأَلْسِنَةِ خِلَافَ هذا الحكمِ . ألا ترى أَنَّ السُّنْدِي إِذَا جُلِبَ كبيراً فإنه لا يستطيعُ إلَّا أَنْ يَجْعَلَ الجِيمَ زايّاً ولو أَقامَ في عُلْيَا تميم ، وفي سُفْلَى قيس ، وبينَ عَجَزِ هَوَازِنَ ، خمسين عاماً . وكذلك التَّبَطِيُّ القُحَّ ، خِلَافَ المِفْلاقي الذي نشأَ في بلادِ التَّبَطِ ؛ لأنَّ التَّبَطِيَّ القُحَّ <sup>(٣)</sup> يجعلُ الرِّزايَ سيناً ، فإذا أرادَ أَنْ يقولَ زَوْرَقَ قال : سَوْرَقَ ، ويجعلُ العينَ همزةً ؛ فإذا أرادَ أَنْ يقولَ مُشْمَعِيلَ ، قال : مُشْمَعِيلَ .

(١) المكربين : جمع مكار ، وهو من يكرهك دابته تنفع بها بالكراء ، وهو الأجر .

(٢) هذه الجملة ساقطة من ل . وانظر الحيوان ( ١ : ٢١٤ ) .

(٣) ما بعد الفتح الأول إلى هنا ليس في ل .

والتخاس يمتحن لسانَ الجارية إذا ظنَّ أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بأن تقول : ناعمة ، وتقول : شمس ، ثلاث مرَّات متواليات .

والذى يعترى اللسان ممَّا يمنع من البيان أمور : منها اللُّغَةُ التى تعترى الصَّيَّان إلى أن ينشئوا ، وهو خلافُ ما يعترى الشَّيْخُ الهَرَمَ الماتِّجُ <sup>(١)</sup> ، المسترخى الحَنَك ، المرتفع اللُّثَّة ؛ وخلافُ ما يعترى أصحاب اللِّكْن من العَجَم ، ومن يُنشئ <sup>(٢)</sup> من العرب مع العَجَم . فمن اللِّكْن ممَّن كان خطيباً ، أو شاعراً ، أو كاتباً داهياً <sup>(٣)</sup> زيادُ بن سَلَمَى أو أُمَامَةُ ، وهو زيادُ الأعجم . قال أبو عُبيدة : كان يُنشدُ قوله :

فَتَى زَادَهُ السُّلْطَانُ فِي الْوُدِّ رِفْعَةً إِذَا غَيَّرَ السُّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلٍ <sup>(٤)</sup>

قال : فكان يجعل السَّيْنَ شَيْئاً وَالطَّاءَ تَاءً ، فيقول : « فَتَى زَادَهُ الشُّلْطَانُ » .

ومنه سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ <sup>(٥)</sup> ، قال له عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رحمه الله ، وأنشد قصيدته التى يقول أولها :

عُمَيْرَةٌ وَدَّعَ إِنِّ تَجْهَرْتُ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

(١) الماتِّج : الهرم الذى يمج ريقه ولا يستطيع حمله .

(٢) ل : « خطيباً وشاعراً وكاتباً داهياً » .

(٣) هـ : « نشأ » .

(٤) زيادُ الأعجم : من شعراء الدولة الأموية ، وقد شهد فتح إصطخر مع أبى موسى الأشعرى ،

وطال عمره ووفد على هشام بن عبد الملك . وفى الاشتقاق ٢٠١ عند الكلام على عبد القيس : « ومنهم زياد بن سلمى الذى يقال له زيادُ الأعجم الشاعر » . ويقال له أيضاً زياد بن سليمان . انظر الخزانة ( ٤ :

١٩٣ ) ومعجم الرزاني ١٣٣ والمؤلف ١٣١ والشعراء لابن قتيبة ٣٩٥ ، والأغانى ( ١٤ : ٩٨ — ١٠٥ )

ومعجم الأدباء ( ١١ : ١٦٨ ) .

(٥) فى الحيوان ( ٧ : ١٥١ ) أن يزيد بن المهلب كان بعد هذا الشعر أحسن ما مدح به . وفى

الكامل ٣١٦ أنه يمدح بالشعر المهلب بن أبى صفرة . ونسب فى الحماسة ١٧٩١ إلى حبيب بن عوف .

(٦) سحيم من المخضرمين ، قد أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أسود شديد السواد يرتضع لكنه حبشية .

وكان عبد الله بن أبى ربيعة قد اشتراه وكتب إلى عتيان بن عفان : إني قد ابنت لك غلاماً شاعراً حبشياً . فكتب إليه

عتيان : لا حاجة إليه فلرده ؛ فلما قصارى أهل العبد الشاعر إن شيع أن يشيب بنسبهم ، وإن جاع أن ينجوهم .

فرد عبد الله . فقل سحيم فى خلاصة عتيان . انظر الأغاني ( ٢٠ : ٢ ) والخزانة ( ١ : ٢٧٢ — ٢٧٤ ) .

( ٢ - البيان - أول )

قال له عمر <sup>(١)</sup> : لو قَدَّمْتَ الإسلامَ على الشَّيْبِ لأَجَزْتُكَ . فقال له : ما سَعَرْتُ . يريد ما سَعَرَتْ ، جعلَ الشَّيْبَ المعجمةَ سيناَ غيرَ معجمة .

ومِنْهُمْ: عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ زِيَادٍ <sup>(٢)</sup> ، وَاليُّ العِرَاقَ ، قالَ لَهائِي بنُ قَيْصَةَ : أَمْرُورِي سَاطِرَ اليَوْمِ ! يَريدُ : أَمْرُورِي .

ومِنْهُمْ: صُهَيْبُ بنُ سِيانَ التَّمَرِيِّ <sup>(٣)</sup> صَاحِبُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ كانَ يَقولُ : إِنَّكَ لَهائِي ، يَريدُ إِنَّكَ لَحائِنٌ <sup>(٤)</sup> . وَصُهَيْبُ بنُ سِيانَ يَرتَضِخُ لُكْنَةً رومِيَّةً ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ يَرتَضِخُ لُكْنَةً فارسيَّةً ، وَقَدِ اجْتَمَعَا على جَعْلِ الحاءِ هاءً .

وَأَزْدَانُ قَاذُرٌ لُكْنَتُهُ نَبْطِيَّةٌ ، وَكانَ مِثْلَهُما في جَعْلِ الحاءِ هاءً .  
وَبَعْضُهُم يَروِي أَنَّهُ أَملى على كاتِبٍ لَه فقالَ: اكتب: «الهاصل أَلْفُ كُرٍّ» <sup>(٥)</sup> ، فكتبها الكاتب بالهاء كاللَّفْظِ بها <sup>(٦)</sup> فأعاد عليه الكلامَ ، فأعاد الكاتب . فلما فُطِنَ لاجتماعهما على الجهل <sup>(٧)</sup> قالَ: أَنتَ لَأَتَهَسَّنَ أَنْ تَكتبَ ، وَأَنَا لَا أَهَسِّنُ أَنْ أَملى ، فَاكتبْ : «الهاصل أَلْفُ كُرٍّ» : فكتبها بالميم معجمة .

(١) بدل هذه العبارة فيما عدل : لو كان شركك كله مثل هذا لأَجَزْتُكَ . هكذا وقع في جميع نسخ الكتاب . والحكاية مروية عن عمر رضي الله تعالى تعالى عنه في غير هذا الموضع كما وقعت داخل الكتاب . وهو كلام مقحم من زيادة قلري أو ناسخ . والقصة في الكامل ٣٦٦ .

(٢) في الكامل ٣٣٦ : وكان عبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية ، وإنما أنه من قبل زوج أمه : شعوبه الأسوري . وسأقي في كلام الجاحظ نحو هذا .

(٣) صهيب بن سنان بن مالك التميمي الرومي ، قبل له ذلك لأن الروح سيوه صغوا ، فنشأ فهم فصار ألكن . وكان ممن عذب في بدء الإسلام . توفي سنة ٣٨ .

(٤) حائِنٌ : أي هالك . ما عدا هـ : الحائِنُ ، والسياق بآله .

(٥) الكر ، بالضم ، مكيل لأهل العراق ستون قفيرا ، قال ابن سيده : يكون بالمصري أربعين يردبا .

(٦) فيما عدل : كما لفظ بها .

(٧) ل : باجتماعهما على الخطأ .



ومنه أبو مسلم صاحب الدعوة <sup>(١)</sup> ، وكان حسن الألفاظ جيد المعاني ، وكان إذا أراد أن يقول : قلت لك ، قال : كُلت لك . فشارك في تحويل القاف كافاً عبید الله بن زياد . كذلك خيرنا أبو عبيدة .

قال : وإنما أتى عبید الله بن زياد في ذلك أنه نشأ في الأساورة <sup>(٢)</sup> عند شيرويه الأسوري ، زوج أمه مرجانة . ٤٧

وقد كان في آل زياد غير واحد يسمى شيرويه . قال : وفي دار شيرويه عاد علي بن أبي طالب زياداً من علة كانت به .

فهذا ما حضرنا من لُكنة البلغاء والخطباء والشعراء والرؤساء . فأما لُكنة العامة ومن لم يكن له حظ في المنطق فمثل فيل مولى زياد <sup>(٣)</sup> فإنه قال مرة لزياد : « أهتدوا لنا همارَ وهش » . يريد همارَ وحش . فقال زياد : ما تقول ١٠ وتلك ! قال : « أهتدوا إلينا أيراً » . يريد عيراً . فقال زياد : الأول أفون ! وفهم ما أراد <sup>(٤)</sup>

وقالت أم وليد لجبر بن الخطمي ، لبعضي ولديها : « وقع الجردان في عجان أمكم » <sup>(٥)</sup> ، فأبدلت الدال من الجردان <sup>(٦)</sup> دالاً وضمت الجيم ، وجعلت العجين عجانا . وقال بعض الشعراء في أم وليد له ، يذكر لُكنتها :

أول ما أسمعُ منها في السحر <sup>(٧)</sup>      تذكرُها الأنكى وتأنثُ الذكر ١٥  
« والسوءةُ السوءةُ في ذكر القمر »

(١) هو أبو مسلم الخراساني ، الذي قام بالدعوة إلى الدولة العباسية . واسمه عبد الرحمن بن مسلم ، قُتل أبو جعفر المنصور سنة ١٣٧ .

(٢) الأساورة : قوم من العجم بالبيعة نزولها قديماً ، كالأحامية بالكوفة . انظر الحيوان ( ٥ : ٣٤٠ ) .

(٣) كان مولى زياد وحاجبه . انظر الحيوان ( ٧ : ٨٢ — ٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٣٣ ) . ٢٠

(٤) هذه الجملة في ل فقط .

(٥) الجردان ، بالضم : قضيب ذوات الحوافز ، أو هو عام . والمجان : ما بين السوتين .

(٦) الجردان ، بكسر الجيم وضمتها : جمع جرد ، وهو ضرب من الفأر .

(٧) فيما عدل : « أكثر ما أسمع » . وسعيد الجاحظ فيما بعد برواية : « أول » .

لأنها كانت إذا أرادت أن تقول القمر ، قالت : الكَمَر .  
 وقال ابنُ عباد (١) : رَكِبَتْ عَجُوزٌ سِنْدِيَّةً جَمَلًا ، فلما مضى تحتها  
 متخلعاً اعتراها كهيفة حركة الجِماع ، فقالت : هذا الذَّمْلُ يَذْكُرُنَا بِالسَّرِّ .  
 تريد أنه يَذْكُرُهَا بِالْوِطَاءِ ، فقلبت الشين سيناً والجيم ذالاً . وهذا كثير .  
 ° ويا بآخر من اللكنة . قيل لَتَبْطِي : لِمَ ابْتَعَثَ هَذِهِ الْأَتَانِ ؟ قال :  
 « أَرَكُهَا وَتَلَدُّ لِي » فجاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ، ولا زاد فيها  
 ولا نقص ، ولكنه فتح المكسور حين قال: وتَلَدُّ لِي ، ولم يقل: تَلَدُّ لِي .  
 قال : والصَّقْلِيُّ (٢) يجعل الذال المعجمة دالاً في الحروف .

★ ★ ★

١٠ (١) هو محمد بن عبد بن كاسب ، كما في الحيوان ( ٣ : ٢٩٢ ) ، حيث ساق القصة بعبارة أخرى .

(٢) الصَّقْلِيُّ : نسبة إلى صقلاب ، وهي بلاد بين الهنديا وقسطنطينية كما ذكر ياقوت . فيما عدا  
 ل : « الصقل » تحريف ، فإن الذين يهتمهم الجاحظ عند ذكر الأمم هم الصقالية . انظر الحيوان ( ٦ :  
 ١١٣ ، ١١٨ ... ٣/٣٦ : ١٤٦ ، ٤/٦٤٥ : ٧٦ ، ٥/١٠٩ : ٧/٣٦ : ٢٣٦ ) .

## بَابُ الْبَيَانِ (١)

- قال بعضُ جهابذة الألفاظِ وتُفَادِ المعاني : المعاني القائمة في صدور الناس<sup>(٢)</sup> المتصورة في أذهانهم ، والمتخلجة في نفوسهم ، والمتصلة بخواطيرهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة ، وموجودة في معنى معلومة ، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه والمعاون له على أمره ، وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره . وإنما يحصى تلك المعاني ذكرهم لها<sup>(٣)</sup> ، وإخبارهم عنها ، واستعمالهم إيها . وهذه الخصال هي التي تقرّبها من الفهم ، وتُجَلِّبها للعقل ، وتجعل الخفي منها ظاهراً ، والغائب شاهداً ، والبعيد قريباً . وهي التي تلخص المتيسر<sup>(٤)</sup> ، وتُحَلُّ المتعقد ، وتجعل المهمل مقيداً ، والمقيد مطلقاً ، والمجهول معروفاً ، والوحشي مألوفاً ، والفعل موسوماً ، والموسوم معلوماً . وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة التدخل ، يكون إظهار المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الإشارة أبين وأثور ، كان أنفع وأتجع . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمّته الله عز وجل بمدحه ، ويدعو إليه ويحث عليه . بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم<sup>(٥)</sup> .

(١) كلمة : البيان : ليست في ل ، هـ ، وهي في سائر النسخ .

(٢) فيما عدا ل : : العباد .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : : وإنما يحصى تلك المعاني في ذكرهم لها .

(٤) التلخيص : التبيين والتوضيح . وفي حديث علي : أنه قدّم لتلخيص ما التبس على غيره .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : : الأعجم .

والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يُفضى السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محموله كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان التليل ؛ لأن مدار الأمر والغاية التى إليها يجرى القاتل والسامع ، إنما هو الفهم والإفهام ؛ فبأى شيء بلغت الإفهام وأوضح عن المعنى ، فذلك هو البيان فى ذلك الموضع .

ثم اعلم — حفظك الله — أن حُكَمَ المعانى خلاف حُكَمِ الألفاظ ؛ لأن المعانى مبسطة إلى غير غاية ، وممتدة إلى غير نهاية ، وأسماء المعانى مقصورة معلودة ، ومحصلة محدودة .

- وجميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد <sup>(١)</sup> ، ثم الخط ، ثم الحال التى تسمى نصباً <sup>(٢)</sup> . والنصبه هى الحال الدالة ، التى تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات ، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبها ، وحلية مخالفة لجلية أختها ؛ وهى التى تكشف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ، ثم عن حقائقها فى التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها فى السار والضرار ، ١٥  
وعما يكون منها لقواً بهرجاً <sup>(٣)</sup> ، وساقطاً مطرَحاً .

قال أبو عثمان : وكان فى الحق أن يكون هذا الباب فى أول هذا الكتاب ، ولكننا أخرناه لبعض التدبير .

(١) العقد : ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين ، يقال له حساب اليد . وقد ورد فى

٢٠ الحديث أنه « عقد عقد تسعين » . وقد ألفت فيه كتب وأراجز . انظر الخزانة ( ٣ : ١٤٧ ) والمحيوان ( ١ : ٢٢ ) .

(٢) كنا ضبطت فى ه بكرة النون ، ضبط اسم المفعلة .

(٣) لقواً : أى لا يعتمد به ولا يحصل منه على فائدة ، ل : لقواً : تحريف . والبهرج : الباطل .

- وقالوا : البيان بَصَرَ واليُّ عَمَى ، كما أَنَّ العلم بَصَرَ والجهل عَمَى .  
والبيانُ من نِتاجِ العِلْمِ ، واليُّ من نِتاجِ الجهل .
- وقال سهلُ بنُ هارون (١) : العقلُ رائدُ الرُّوحِ ، والعلمُ رائدُ العقلِ ،  
والبيانُ تَرْجَمَانُ العلمِ (٢) .
- وقال صاحبُ المنطق : حَدُّ الإنسانِ : الحَيُّ التَّاطِقُ المُبِينُ .
- وقالوا : حَيَاةُ المروءةِ الصَّدَقُ ، وحياةُ الرُّوحِ العَفَافُ ، وحياةُ الجِلْمِ  
العلمُ ، وحياةُ العِلْمِ البيانُ .
- وقال يونسُ بنُ حبيبٍ : ليس لعمي مروءةٌ ، ولا لمتقوصِ البيانِ بهاءٌ ،  
ولو حَلَّتْ بِيافوخِهِ أَعْتَانُ السَّمَاءِ (٣) .
- وقالوا : شِعْرُ الرَّجُلِ قِطْعَةٌ من كلامه ، وَظَنُّهُ قِطْعَةٌ من عِلْمِهِ ، واختيارُهُ  
قِطْعَةٌ من عَقْلِهِ .
- وقال ابنُ التَّوَّامِ (٤) : الرُّوحُ عِمَادُ البَدَنِ ، والعِلْمُ عِمَادُ الرُّوحِ ، والبيانُ  
عِمَادُ العلمِ .
- قد قلنا في الدِّلَالَةِ باللفظ . فَأَمَّا الإِشَارَةُ فَبَالِيدٍ ، وبِالرَّأْسِ ، وبِالْعَيْنِ  
وَالْحَاجِبِ وَالْمَنْكِبِ ، إِذَا تَبَاعَدَ الشَّخْصَانِ ، وبِالثُّوبِ وبِالسَّيْفِ . وقد يَتَهَدَّى رَافِعُ  
السَّيْفِ والسَّوْطِ ، فيكونُ ذَلِكَ زَاجِرًا ، وَمَانِعًا رَادِعًا ، ويكونُ عِيدًا وَتَحْذِيرًا .

(١) سبقت ترجمته في ٢٥ .

(٢) الترجمان ، كزعران وعفتون ، ويفتح التاء وضم الجيم : المقصر للسان .

(٣) أَعْتَانُ السَّمَاءِ : نَوَاحِيهَا ، وَاحِدُهَا عَتَنٌ وَعَتَنٌ . فيما عدل : « عَتَانٌ » . وقد روى صاحب

اللسان قول يونس هذا ثم قال : « والعامة تقول عَتَانُ السَّمَاءِ » . لكنهم قالوا : عَتَانُ السَّمَاءِ : ما عن لك  
منها وقد ضبط في اللسان ضبط قلم بالفتح ، وفي القاموس ضبط تعيين بالكسر .

(٤) أورد له الجاحظ في البيان ، وكذا ابن قتيبة في عيون الأخبار ، أخباراً تنبئ عن حكمته

وصواب رأيه . ولعله « صابر بن التَّوَّامِ الشُّكْرِيُّ » ، الذي ذكره الجاحظ في الحيوان ( ٦ : ٤٦ ) .

والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم المون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه . وما أكثر ما تنوب عن اللفظ ، وما تُقني عن الخط . ويعدّ فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة ، وجلية موصوفة ، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها . وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح ، مرفق كبير <sup>(١)</sup> ومُعونة حاضرة ، في أمور يسترها بعض الناس من بعض ، ويخفونها من الجليسي وغير الجليسي . ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ، ولجهلوا هذا الباب البتة . ولولا أن تفسر هذه الكلمة يدخل في باب صناعة الكلام لفسرتها لكم . وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم  
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم <sup>(٢)</sup> ٥٠

وقال الآخر :

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه  
وفي الناس من الناس مقاييس وأشباه  
وفي العيني غنى للمرء أن تنطق أفواه

وقال الآخر في هذا المعنى :

ومعشر صيد ذوي تجلّة ترى عليهم للتدى أدله ١٥

وقال الآخر :

ترى عينها عني فتعرف وخيها وتعرف عيني ما به الوحي يرجع

وقال آخر :

(١) المرفق ، بفتح الميم والقاف : وكثير المجلس : ما استعين به .

(٢) ل : هـ المسلم هـ . وما أتيت من سائر النسخ يوافق ما في العمدة ( ١ : ٢١٢ ) .

(٣) هو أبو النخعي . انظر عين الأسير ( ٢ : ١٨٢ ) .

وعينُ الفتى تُبْدِي الذى فى ضميره وتعرف بالنجوى الحديث المعنى (١)  
وقال الآخر :

العينُ تُبْدِي الذى فى نفسِ صاحبها من الحجة أو بُغْضِي إذا كانا  
والعينُ تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب ثيانا

هذا ومبلغُ الإشارة أبعدُ من مبلغِ الصوت . فهذا أيضاً باب تتقدم فيه  
الإشارة الصوت .

والصوتُ هو آلة اللَّفْظ ، والجوهرُ الذى يقوم به التقطيع ، وبه يوجد  
التأليف (٢) . ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا مثوراً  
إلا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف . وحسنُ  
الإشارة باليد والرأس ، من تمام حسن البيان باللسان ، مع الذى يكون مع  
الإشارة من الدَّلِّ والشِّكْلِ (٣) والتَقْتُلِ والتثْنِ (٤) ، واستدعاء الشهوة ، وغير  
ذلك من الأمور .

قد قلنا فى الدلالة بالإشارة . فأما الخط ، فمما ذكر الله عز وجل فى  
كتابه من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب ، قوله لنبيه عليه السلام :  
﴿ إقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .  
وأقسم به فى كتابه المُنَزَّل ، على نبيه المرسل ، حيث قال : ﴿ ن . وَالْقَلَمِ  
وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ، ولذلك قالوا : القَلَمُ أَخَذَ اللسانين . كما قالوا : قَلَّةُ الْعِيَالِ  
أَخَذَ الْيَسَانين . وقالوا : القَلَمُ أَبْقَى أثراً ، واللسان أكثرُ هَذَرًا .

(١) المعنى ، بالعين المهملة وكسر الميم المشددة وضحا : الغامض المظلم .

(٢) الكلام من هنا إلى كلمة « التأليف » التالية ساقط من ل .

(٣) الشكل ، بالكسر والفتح : دل المرأة وغنجها وغزلها .

(٤) التقتل ، بالقاف : الاختيال والتثنى والتكسر فى المشى . ما عدا هـ : التقتل ، تحريف .

- وقال عبد الرحمن بن كيسان <sup>(١)</sup> : استعمال القلم أجدرُّ أن يحضَّرَ  
 الذَّهْنُ على تصحيح الكتاب ، من استعمال اللِّسان على تصحيح الكلام .  
 وقالوا : اللسان مقصورٌ على القريب الحاضر ، والقلم مطلقٌ في الشاهد  
 والغائب ، وهو للغايرِ الحائِثِ <sup>(٢)</sup> ، مثله للقائمِ الرَّاهِنِ .  
 ° والكتاب يُقرأ بكلِّ مكان ، ويُدرَس في كلِّ زمان ؛ واللسان لا يغفُو  
 سامِعَه ، ولا يتجاوزُه إلى غيره .

وأما القول في التقدُّر ، وهو الحسابُ دونَ اللَّفْظِ والخطِّ ، فاللَّيْلُ على  
 فضيلته ، وعِظَمُ قَدْرِ الانتفاعِ به ، قولُ الله عزَّ وجل : ﴿ فَالْيَوْمَ الْإِصْبَاحُ  
 وَجَاءَ اللَّيْلُ <sup>(٣)</sup> سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ  
 الْعَلِيمِ ﴾ . وقال جلُّ وتقدُّس : ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ  
 الْيَقِينَ . الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ . وقال جلُّ وعزَّ : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ  
 الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ  
 مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ . وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ  
 فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصَرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا  
 عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ ١٥

والحسابُ يشتمل على معاني كثيرةٍ ومنافعٍ جليلةٍ ، ولولا معرفةُ العبادِ  
 بمعنى الحسابِ في الدنيا لَمَّا فَهِمُوا عن الله عزَّ وجل معنى الحسابِ في الآخرةِ .  
 وفي عدم اللَّفْظِ ، وفسادِ الخطِّ ، والجهلِ بالعقدِ فسادُ جُلِّ النَّعَمِ ، وفقدانُ  
 جُمهورِ المنافعِ ، واختلالُ كلِّ ما جعله الله عزَّ وجلَّ لنا قِواماً ، ومصلحةً ونظاماً

(١) ذكره الجاحظ في الحيوان ( ٤ : ٢٠٥ ) وروى عنه .

(٢) الحائِثُ : المالك . وفي الأصول : الكائِنُ .

(٣) قرأ الكوفيون : (وجعل) ، وقال السبعة : (وجعل) . انظر تفسير أبي حيان ( ٤ : ١٨٦ ) .



وأما النُصبة <sup>(١)</sup> فهي الحالُ الثَّاطقة بغير اللَّفظ ، والمشيئة بغير اليد .  
وذلك ظاهرٌ في خَلْقِ السموات والأرض ، وفي كُلِّ صامِتٍ وناطقٍ ، وجامِدٍ  
ونامٍ ، ومُقيمٍ وظاعنٍ ، وزائدٍ وناقصٍ . فالدَّلالة التي في المَوَاتِ الجامد ،  
كالدَّلالة التي في الحيوانِ الناطق . فالصَّامِتُ ناطقٌ من جهة الدَّلالة ،  
والعَجَماءُ مُعْرِبةٌ من جهة الثِّرهان . ولذلك قال الأول <sup>(٢)</sup> .

« سَلِ الْأَرْضَ فَقُلْ : مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَّى  
ثِمَارَكَ ؟ فَإِنْ لَمْ تَجِبْكَ جَوَاراً ، أَجَابَتِكَ عَتَبَاراً » .

وقال بعضُ الخطباءِ : « أَشْهَدُ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ آيَاتٌ دَالَّاتٌ <sup>(٣)</sup>  
وشواهدٌ قائماتٌ ، كُلٌّ يُؤَدِّي عَنْكَ الْحُجَّةَ وَيَشْهَدُ لَكَ بِالرَّبُّوبِيَّةِ <sup>(٤)</sup> ، موسومةٌ

بِآثَارِ قُدْرَتِكَ ، وَمَعَالِمِ تَدْبِيرِكَ ، الَّتِي تَجَلَّيْتَ بِهَا لَخْلُقِكَ ، فَأَوْصَلْتَ إِلَى  
الْقُلُوبِ مِنْ مَعْرِفَتِكَ مَا أُتِمَّهَا مِنْ وَحْشَةِ الْفِكْرِ ، وَرَجَمَ الظَّنُونِ . فَهِيَ عَلَى  
اعْتِرَافِهَا لَكَ ، وَاقْتِرَافِهَا إِلَيْكَ <sup>(٥)</sup> شَاهِدَةٌ بِأَنَّكَ لَا تُحِيطُ بِكَ الصِّغَاتُ ،  
وَلَا تُحَدِّدُكَ الْأَوْهَامُ ، وَأَنْ حَظَّ الْفِكْرُ فَيْكَ ، الْاعْتِرَافُ لَكَ » .

وقال خطيبٌ من الخطباءِ ، حينَ قامَ عَلَى سَرِيرِ الْإِسْكَندَرِ وَهُوَ مَيَّتٌ <sup>(٦)</sup> :  
« الْإِسْكَندَرُ كَانَ أَمْسِي أَنْطَقَ مِنْهُ الْيَوْمَ ، وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظَ مِنْهُ أَمْسٍ » .

ومتى دُلَّ الشَّيْءُ عَلَى مَعْنَى فَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ صَامِتاً ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ وَإِنْ

(١) انظر ما سبق في حواشي ص ٧٦ .

(٢) هو الفضل بن عيسى بن أبان ، كما في الحيوان ( ١ : ٣٥ ) . وانظر عيون الأخبار ( ٢ ) :

١٨٢ ) وما ساقى في ص ٣٠٨ .

(٣) ل : « ودلالات » .

(٤) فيما عدا ل : « وعرب عنك بالربوبية » .

(٥) فيما عدا ل . « ودلها إليك » .

(٦) القول التالي ينسب أيضاً إلى الموبد حينَ قامَ يرثي قبلة الملك . الكامل ٣٢٠ ليسك

والمقد ( ٢ : ١٥٦ ) ومروج الذهب ( ٢ : ٣١٨ ) والمستطرف ( ٢ : ٢٩٤ ) والحيوان ( ٦ ) -

٥٠٥ ) والصناعتين ١٤ - ١٥ .

كان ساكناً . وهذا القول شائع في جميع اللغات ، ومتفق عليه مع إفراط الاختلافات .

وقال عترة بن شداد العنسي وجعل نعيب الغراب خيراً للزاجر :

حرق الجناح كأنّ لحى رأسه جَلَمَان بالأخبار هَشْ مُوَلَعٌ<sup>(١)</sup>

٥ الحرق : الأسود . شبه لحيه بالجلَمين ، لأن الغراب يخبر بالفرقة والغربة ويقطع كما يقطع الجَلَمَان<sup>(٢)</sup> . وأنشدني أبو الرّديني العُكَلِي<sup>(٣)</sup> ، في تنسّم الذئب الرّيح واستنشائه<sup>(٤)</sup> واسترواحه :

يَسْتَحِيرُ الرّيح إذا لم يَسْمَعِ<sup>(٥)</sup> بمثل مقرّج الصّفا الموقّع

المقرّج : الفأس التي يُكسّر بها الصّخر . والموقّع : المخلد . يقال وقّعت الحديد إذا حدّثتها . وقال آخر ، وهو الرّاعي :

إنّ السّماء وإنّ الرّيح شاهدة والأرض تشهد والأيام والبلد

لقد جرّيت بنى بدر بيغيهم يوم الهبّاعة يوماً ماله قود<sup>(٦)</sup>

وقال نُصيب في هذا المعنى ، يمدح سليمان بن عبد الملك :

(١) انظر الحيوان ( ١ : ٣٤ / ٢ / ٣١٦ ) .

(٢) الإنشاد التالى والتعليق عليه ، هو فيما عدل سابق لذلك الإنشاد المتقدم . ١٥

(٣) أبو الرديني العكلى هو الدلم بن شهاب ، أحد بنى عوف بن كنانة ، من عكل ، ويروى المجاحظ فيما سبّاق أنه هجا بنى غير فروعده بالقتل فقال :

أتوعدن لتقتلنى غير متى قلت غير من هجاءا

فشهد عليهم منهم رجل قتله . وكان يهاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، أحد شعراء

الدولة العباسية انظر الأغاني ( ٢٠ : ١٨٣ ) والحيوان ( ٥ : ١٥٩ / ٦ / ٤٦٣ ) والخزانة ( ٣ : ١٠٥ ) . ٢٠

(٤) الاستنشاء : الشم . فيما عدل : استنشاقه ، وهما بمعنى .

(٥) انظر الحيوان ( ١ : ٣٤ / ٤ / ١٣٣ : ٧ / ١٤٠ ) . وفي اللسان ( فخر ، قرع ) : يستمخره .

(٦) يوم الهبّاعة ، كان لبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة بن بدر ، وأخوه حمل . انظر معجم

البلدان والكامل لابن الأثير ( ١ ، ٣٥٢ ) والعقد ( ٣ : ٣١٦ ) والعمدة ( ٢ : ١٦١ ) وأمثال

الميلاني ( ٢ : ٣٦٢ ) والخزانة ( ١ : ٣ / ٣٠٣ : ٤ / ٥٨٥ ) . ٢٥

أَقُولُ لِرَكِبٍ صَادِرِينَ لَقِيَتْهُمْ      قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبٌ <sup>(١)</sup>  
 قَفُّوا خَيْرُونَا عَنْ سُلَيْمَانَ إِنْثَى      لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانٍ طَالِبٌ <sup>(٢)</sup>  
 ٥٣      فَعَاجُجُوا فَأَتَتْهُمَا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ      وَلَوْ سَكَنْتُمْ أَنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ  
 وَهَذَا كَثِيرٌ جَدًّا .

\*\*\*

وَقَالَ عَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ <sup>(٣)</sup> : « قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ <sup>(٤)</sup> » . فَلَوْ لَمْ  
 نَقِفْ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ لَوَجَدْنَاهَا شَافِيَةً كَافِيَةً ، وَبِجَزْئَةٍ  
 مُغْنِيَةً ؛ بَلْ لَوَجَدْنَاهَا فَاضِلَةً عَنِ الْكُفَايَةِ ، وَغَيْرَ مَقْصُورَةٍ عَنِ الْغَايَةِ . وَأَحْسَنُ  
 الْكَلَامِ مَا كَانَ قَلِيلُهُ يُغْنِيكَ عَنْ كَثِيرِهِ ، وَمَعْنَاهُ فِي ظَاهِرِ لَفْظِهِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزَّ  
 وَجَلَّ قَدْ أَلْبَسَهُ مِنَ الْجَلَالَةِ ، وَغَشَّاهُ مِنْ نُورِ الْحِكْمَةِ عَلَى حَسَبِ نَيَّْةِ صَاحِبِهِ  
 ١٠      وَتَقَوَّى قَائِلُهُ . فَإِذَا كَانَ الْمَعْنَى شَرِيفًا وَاللَّفْظُ بَلِيفًا ، وَكَانَ صَحِيحَ الطَّبِيعِ بَعِيدًا  
 مِنَ الْاسْتِكْرَاهِ ، وَمُتَزَهًا عَنِ الْاِخْتِلَالِ مَصُونًا عَنِ التَّكَلُّفِ ، صَنَعَ فِي الْقُلُوبِ  
 صَنِيعَ الْعَيْثِ فِي الثَّرْبَةِ الْكَرِيمَةِ . وَمَتَى فَصَلَّتِ الْكَلِمَةُ عَلَى هَذِهِ الشَّرِيطَةِ ،  
 وَنَفَذَتْ مِنْ قَائِلِهَا عَلَى هَذِهِ الصَّنُفَةِ ، أَصَحَّهَا اللَّهُ مِنَ التَّوْفِيقِ  
 وَمَنْحَاحِهَا مِنَ التَّائِيدِ ، مَا لَا يَمْتَنِعُ مَعَهُ مِنْ تَعْظِيمِهَا صُلُورُ الْجَبَابِرَةِ ، وَلَا يَذْهَلُ  
 ١٥      عَنْ فَهْمِهَا مَعَهُ عَقُولُ الْجَهْلَةِ .  
 وَقَدْ قَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ <sup>(٥)</sup> : « الْكَلِمَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْقَلْبِ وَقَعَتْ فِي

(١) القلوب : طالب الماء . وأُريد بالماء نفسه . هـ ، ب : « لاغب » وكتب في هامش ل : « دح :

لاغب » . وانظر الكامل ١٠٤ ليسك وزهر الأدب ( ٢ : ٤١ ، ٤٢ ) والعمدة ( ١ : ٤٤ ) .

(٢) ودان : موضع بين مكة والمدينة قرب من الجحفة . قال ياقوت : « وقد أكر نصيب من  
 ٢٠      ذكرها في شعره » . وأنشد هذه الأبيات . هـ ، ج : « آل ودان » وكذا ياقوت .

(٣) فيما عدل : « بسم الله الرحمن الرحيم وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه » .

(٤) فيما عدل : « قيمة كل إنسان » . وفي زهر الأدب ( ١ : ٤١ ) : « كل امرئ » .

(٥) هو عامر بن عبد قيس بن ثابت التيمي ، ويقال له أيضاً عامر بن عبد الله . تابعي ثقة من كبار التابعين

وعبادهم . وكان غايته في الرهد ، روى عنه في ذلك روايات تدخل في حدود المبالغة . انظر الإصابة ٦٢٨٠ وصفة  
 ٢٥      الصفوة ( ٣ : ١٢٦ — ١٢٥ ) . وكان من الأئمة الفصحاء ، كما ستري في مواضع كثيرة . توفي في خلافة معاوية .

القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان <sup>(١)</sup> .

وقال الحسن رحمه الله ، وسمع رجلاً <sup>(٢)</sup> يعظ ، فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ، ولم يرق عندها ، فقال له : « يا هذا ، إن بقلبك لشرٌّ أو بقلبي » .

وقال عليُّ بنُ الحسين بن علي رحمه الله <sup>(٣)</sup> : لو كان الناس يعرفون

جُملة الحال في فضل الاستبانة ، وجُملة الحال في صواب التَّبيين ، لأعزُّوا عن

كلِّ ما تَحُلَّج في صلورهم ، ولَوَجَدوا من يَرِد اليقين ما يُغْنِيهم عن المنازعة إلى

كلِّ حال سوى حالهم . وعلى أنْ ذَرَك ذلك كان لا يُعِدُّهم في الأيام القليلة

العِدة <sup>(٤)</sup> ، والفِكرة القصيرة المُدة ، ولكنهم من بين مغمورٍ بالجهل ،

ومفتونٍ بالعجب ، ومعدولٍ بالهوى عن باب الثبُت ، ومصرفٍ بسوء العادة

١٠ عن فَضْلِ التَّعلم .

وقد جَمَعَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ بن الحسين صلاحَ شأن الدنيا بخذافيها في

كلمتين ، فقال : « صلاحُ شأن جميع التعاشي والتعاشي ، مِلءُ مكيالٍ ثلثاه

فِطنة ، وثُلُثه تغافلٌ » . فلم يَحِلْ لغير الفِطنة نصيباً من الخير ، ولا حَظّاً في ٥٤

الصلاح ؛ لأنَّ الإنسان لا يتغافل إلا عن شيءٍ قد فَطِنَ له وعَرَفَه .

وذكر هذه الثلاثة الأخبار إبراهيمُ بنُ دَاخَةَ ، عن مُحَمَّد بن عمير . ١٥

وذكرها صالح بن عليٍّ الأَقَم ، عن محمد بن عُمير . وهؤلاء جميعاً من مشايخ

الشَّيخ ، وكان ابنُ عمير أغلامهم .

وأخبرني إبراهيمُ بن السُّنْدِي ، عن عَلِيٍّ بن صالحٍ الحاجب ، عن العباس

ابن محمد قال : قيل لعبد الله بن عباس : أئني لك هذا العلم ؟ قال : « قلبٌ عقولٌ ،

(١) انظر الحيوان ( ٤ : ٢١٠ ) .

(٢) فيما عدل : « ومع متكلماً »

(٣) كلام على هذا في زهر الآداب ( ١ : ٥٩ ) .

(٤) يقال : أعلمه الشيء ، إذا لم يحبه .

(٥) في الكامل ٤٦ : « في ملء مكيال » ، وفي زهر الآداب ( ١ : ٧١ ) : « وهو ملء مكيال » .

ولسان سؤول . وقد رووا هذا الكلام عن دَغْفَلِ بن حنظلة العلامة <sup>(١)</sup> وعبد الله أولي به منه . والدليل على ذلك قول الحسن : إنَّ أوَّلَ مَنْ عَرَّفَ بالبصرة ابنُ عباسٍ ، صعد المنبر فقرأ سورة البقرة ، ففسرها حرفاً حرفاً ، وكان مِثْجاً يسيل غزياً <sup>(٢)</sup> .

المِثْجُ : السائل الكثير ، وهو من التَّجَاج . والغرب ، ها هنا : اللّوام .

- هشام بن حسان وغيره ، قال : قيل للحسن : يا أبا سعيد ، إنَّ قوماً زعموا أنَّك تَنمُّ ابنَ عباسٍ . قالوا : فبكى حتَّى اخضلت لحيتَه ، ثم قال : إنَّ ابنَ عباسٍ كان من الإسلام بمكان ، إنَّ ابنَ عباسٍ كان من القرآن بمكان <sup>(٣)</sup> ، وكان والله له لسان سؤول ، وقلب عقول ، وكان الله مِثْجاً يسيل غزياً .

- ١٠ قالوا : وقال علي بن عبد الله بن عباس : من لم يجد مَسَّ الجهل في عقله ، ودُلَّ المعصية في قلبه ، ولم يَسْتَبِينَ موضع الحَلَّة في لسانه ، عند كلال حدِّه عن حدِّ خصمه ، فليس مَمَّنْ يَنْزِع <sup>(٤)</sup> عن رية ، ولا يَرغبُ عن حال معجزة ، ولا يكثر لفصل ما بين حجة وشبهة .

- قالوا : وذكر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، بلاغة بعض أهله فقال : إني لأكره أن يكون مقدار لسانه فاضلاً على مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلاً على مقدار عقله .

وهذا كلام شريف نافع ، فاحفظوا لفظه وتدبروا معناه ، ثم اعلموا أنَّ المعنى الحقيِرَ الفاسدَ ، والدني الساقط ، يعيش في القلب ثم يبيض ثم يفرخ ،

(١) انظر الحيوان ( ٣ : ٤٨٩ ) وعيون الأخبار ( ٢ : ١١٨ ) . ودغفل بن حنظلة ممن أدرك النبي ولم

يسمع منه شيئاً ، ووفد على معاوية فسأله عن مسائل فأجابها وكان منها هذا السؤال . انظر المياني ( ٢ : ٢٧٣ ) .

(٢) الخمر في اللسان ( تَجَج ، غَرَب ) . وفي حواشي هـ : معنى عرف بالبصرة : فعل فعل

الحجاج بمرقة في جمع الناس للذكر والدعاء .

(٣) فيما عدل : هـ : كان من العلم بمكان .

(٤) فيما عدل ، هـ : يفرغ .

فَإِذَا ضَرَبَ بِجُرَائِهِ وَمَكَّنَ لُحُوقَهُ ، اسْتَفْجَلَ الْفَسَادَ وَبَزَلَ ، وَمَكَّنَ الْجَهْلَ  
وَقَرَحَ <sup>(١)</sup> ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقْوَى دَاوُهُ ، وَيَمْتَع دَوَاهُ ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ الْمَجِينِ الرَّدَى ،  
وَالْمُسْتَكْرَةَ الْغَيْبَى ، أَعْلَقَ بِاللُّسَانِ ، وَآلَفَ لِلسَّمْعِ ، وَأَشَدَّ لَتَحَاماً بِالْقَلْبِ <sup>(٢)</sup>  
مِنَ اللَّفْظِ النَّبِيهِ الشَّرِيفِ ، وَالْمَعْنَى الرَّفِيعِ الْكَرِيمِ . وَلَوْ جَالَسْتَ الْجُهَالَ  
وَالنُّوْكَى ، وَالسُّخْفَاءَ وَالْحَمَقَى ، شَهراً فَقَطْ ، لَمْ تَنْقُ مِنْ أَوْصَارِ كَلَامِهِمْ ،  
وَتَحْبَالَ مَعَانِيهِمْ ، بِمَجَالَسَةِ أَهْلِ الْبَيَانِ وَالْعَقْلِ دَهراً ؛ لِأَنَّ الْفَسَادَ أَسْرَعَ إِلَى  
النَّاسِ ، وَأَشَدَّ التَّحَاماً بِالطَّبَائِعِ . وَالْإِنْسَانُ بِالتَّعْلُمِ وَالتَّكَلُّفِ ، وَيَطُولُ  
الْاِخْتِلَافُ إِلَى الْعُلَمَاءِ ، وَمُدَارَسَةِ كُتُبِ الْحِكْمَاءِ ، يَجُودُ لَفْظُهُ وَيَحْسُنُ أَدَبُهُ ،  
وَهُوَ لَا يَخْتِجُ فِي الْجَهْلِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ تَرْكِ التَّعْلُمِ ، وَفِي فُسَادِ الْبَيَانِ إِلَى أَكْثَرِ  
مِنْ تَرْكِ التَّخِيرِ . ١٠

وَمَا يُؤَكِّدُ قَوْلَ مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلَ بَعْضِ  
الْحِكْمَاءِ حِينَ قِيلَ لَهُ : مَتَى يَكُونُ الْأَدَبُ شَرّاً مِنْ عَدَمِهِ ؟ قَالَ : إِذَا كَثُرَ  
الْأَدَبُ ، وَنَقَصَتِ الْقَرِيحَةُ .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْأَوَّلِينَ : « مَنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ أَغْلَبَ خِصَالِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ ،  
كَانَ حَقُّهُ فِي أَغْلَبِ خِصَالِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ » . وَهَذَا كُلُّهُ قَرِيبٌ مِنْ بَعْضِ . ١٥  
وَذَكَرَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ  
أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَخْدَعَ ، وَأَعْقَلَ مِنْ أَنْ يُخْدَعَ » .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ : « كَفَاكَ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ أَنْ  
تَعْرِفَ مَا لَا يَسْتَعِجُّ جَهْلُهُ ، وَكَفَاكَ مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ أَنْ تَرَوْى الشَّاهِدَ وَالْمَثَلَ » .  
وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي يَرَوِي عَنْ جَدِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ ، ٢٠

(١) بَزَلَ : بَلَغَ مِنَ الْبَزُولِ ، وَهُوَ النَّاسَةُ . وَقَرَحَ : بَلَغَ مِنَ الْقُرُوحِ ، وَالْقَارِحُ مِنْ ذِي الْخَافِرِ  
بِمِزْلَةِ الْبَزُولِ مِنَ الْإِبِلِ . كَتَبَ بِهَا عَنْ الْقُرَةِ .  
(٢) مِنْ « وَأَشَدَّ » سَاقَطَ مِنْ ل .

قال : سمعتُ أبا مسلم<sup>(١)</sup> يقول : سمعت الإمام إبراهيم بن محمد<sup>(٢)</sup> يقول :  
يكفي من حظِّ البلاغة أن لا يُؤنَّى السَّامِعُ من سوء إقهام النَّاطِقِ ، ولا يُؤنَّى  
النَّاطِقُ من سوء فهم السَّامِعِ .

قال أبو عثمان : أما أنا فأستحسنُ هذا القولَ جدًّا .

\*\*\*

•

---

(١) هو أبو مسلم الخراساني الداعي للدولة العباسية .

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أخو أبي العباس  
السفاح رأس الدولة العباسية ، حبسه مروان بن محمد ، وقتل في محبسه سنة ١٣٢ حيث ظهر بعده  
أبو العباس السفاح ، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، ولا [ حول ولا <sup>(١)</sup> ] قُوَّة إلا بالله ، وصلى الله على محمدٍ  
خاصَّة ، وعلى أنبيائه عامة .

خبرني أبو الزبير كاتبُ محمد بن حَسَّان <sup>(٢)</sup> ، وحلَّثني محمد بن أبان  
٥ - ولا أدري كاتب مَنْ كان - قال :

قيل للفراسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفَصْل من الوصل .  
وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .  
وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البدهة ،  
والغزارة يَوْم الإطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ،  
١٠ وحسن الإشارة .

وقال بعضُ أهل الهند : جَماعُ البلاغة البصر بالحُجَّة ، والمعرفة بمواضع الفرصة .  
ثم قال : ومن البصر بالحُجَّة ، والمعرفة بمواضع الفرصة ، أن تدعَ  
الإفصاح بها إلى الكناية عنها ، إذا كان الإفصاح أوعَرَ طريقةً . وربما كان  
الإضرابُ عنها صفحاً أبلغَ في الدُّرك ، وأحقُّ بالظفر .  
١٥

قال : وقال مرَّة : جَماعُ البلاغة اتِّماسُ حُسْنِ الموقع ، والمعرفةُ بساعات  
القول ، وقلة الخرقِ بما التبسَ من المعاني أو غمَّضَ <sup>(٣)</sup> ، وبما شَرَدَ عليك من  
اللفظ أو تعذَّر .

(١) هذه مما عدل ل .

(٢) هو محمد بن حسان بن سعد الحميري ، كان على خراج الكوفة . انظر الأغاني ( ٢ : ١٤٨ ) .

(٣) الخرق ، بالتحريك : الدهشة والحيرة . فيما عدل ل ، هـ : الحرف ، تحريف .



ثم قال : وزين ذلك كله ، وبهاؤه وحلاوته وسناؤه ، أن تكون الشّمائل موزونة ، والألفاظ معتدلة ، واللهجة نقيّة <sup>(١)</sup> . فإنّ جامع <sup>(٢)</sup> ذلك السنّ والسمت والجمال وطول الصمت ، فقد تمّ كلّ التمام ، وكلّ كلّ الكمال .

وخالف عليه سهل بن هارون في ذلك ، وكان سهل في نفسه عتيق الوجه ، حسن الشّارة ، بعيداً من الفدامة ، معتدل القامة ، مقبول الصّورة ، <sup>٥</sup> يُقضى له بالحكمة قبل الخبرة ، وبرقة الذّهن قبل المخاطبة ، وبدقة المذهب قبل الامتحان ، وبالتّبل قبل التّكشف . فلم يمتعه ذلك أن يقول ما هو الحقّ عنده وإن ادخل ذلك على حاله النقص .

قال سهل بن هارون : لو أنّ رجلين خطباً أو تحدّثا ، أو احتجّا أو وصفاً وكان أحدهما جليلاً جليلاً بهياً ، ولباساً نبيلاً <sup>(٣)</sup> ، وذاتاً حسنة شريفاً ، <sup>١٠</sup> وكان الآخر قليلاً قميئاً ، وباذاً الهيئة ذميماً ، وخاملاً الذّكر مجهولاً ، ثم كان كلاهما في مقدار واحد من البلاغة ، وفي وزن واحد من الصواب ، لتصدّع عنهما الجَمع وعامتهم تَقضى للقليل الدّميم على التّيبيل الجسيم ، وللبادّ الهيئة على ذى الهيئة ، ولشغلهم التعجب منه عن مساواة صاحبه به ، ولصار التعجب منه سبباً للتعجب به ، <sup>١٥</sup> ولصار الإكثار في شأنه علة للإكثار في مدحه ، لأنّ النفوس كانت له أحقر ، ومن بيانه أياس ، ومن حسّده أبعد . فإذا هَجَمُوا منه على ما لم يكونوا يَحْتَسِبُونَهُ ، وظهَرَ منه خلاف ما قَدَرُوهُ ، تضاعَفَ حَسَنُ كلامه في صلورهم ، وكَبُرَ في عيونهم ؛ لأنّ الشّيء من غير معدنه أغرب ، وكلّما كان أغرب كان أبعد في الوهم ، وكلّما كان أبعد في الوهم كان أطرف ، وكلّما كان أطرف كان أعجب ، <sup>٢٠</sup>

(١) ل : « والألفاظ معتدلة ، واللهجة نقيّة » ، وفيها تحريف .

(٢) فيما عدا ح : « جاء مع » .

(٣) ل فقط : « وليسا » والمعروف في المعاجم المتناولة « لباساً » كما في سائر النسخ .

- وكلما كان أعجب كان أبعد . وإثما ذلك كنوايد كلام الصبيان وملح  
 المجانين ؛ فإن ضحك السامعين من ذلك أشد ، وتعجبهم به أكثر . والناس  
 ٥٧ موكّلون بتعظيم الغريب ، واستطراف البعيد <sup>(١)</sup> ، وليس لهم في الموجود  
 الزّاهن ، وفيما تحت قدرتهم من الرّأى والهوى ، مثّل الذى لهم فى الغريب  
 القليل ، وفى النادر الشاذّ ، وكلّ ما كان فى ملك غيرهم . وعلى ذلك زهد  
 الجيران فى عالمهم ، والأصحاب فى الفائدة من صاحبهم . وعلى هذا السبيل  
 يستطرون القادم عليهم ، ويحلّون إلى التّازح عنهم ، ويتركون من هو أعمّ نفعاً  
 وأكثر فى وجوه العلم تصرفاً ، وأخفّ مؤونة وأكثر فائدة . ولذلك قدّم بعض  
 الناس الخارجى على العريق <sup>(٢)</sup> ، والطّارف على التّليد .  
 ١٠ وكان يقول <sup>(٣)</sup> : إذا كان الخليفة بليغاً والسيد خطيباً ، فإنك تجد  
 جمهور الناس وأكثر الخاصّة فيهما على أمرين : إمّا رجلاً يُعطى كلامهما من  
 التعظيم والتّفضيل ، والإكبار والتّبجيل ، على قدر حالهما فى نفسه ،  
 وموقعهما من قلبه ؛ وإمّا رجلاً تعرّض له التّهمة لنفسه فيهما ، والخوف من أن  
 يكون تعظيمه لهما يؤهمه من صواب قولهما ، وبلاغة كلامهما ، ما ليس  
 ١٥ عندهما ، حتّى يفرط فى الإشفاق ، ويسرف فى التّهمة . فالأول يزيد فى حقّه  
 للذى له فى نفسه ، والآخر ينقصه من حقّه لتّهمته لنفسه ، وإشفاقه من أن  
 يكون مخدوعاً فى أمره . فإذا كان الحبّ يُعفى عن المساوى فالبُغض أيضاً  
 يُعفى عن المحاسن . وليس يُعرف حقائق مقادير المعاني ؛ ومحصول حدود لطائف  
 الأمور ، إلّا عالم حكيم ، ومعتدل الأخلاط عليم ، وإلا القوى الثّمة ، الوثيق  
 ٢٠ الثّقة ، والذى لا يميل مع ما يستميل الجمهور الأعظم ، والسواد الأكبر <sup>(٤)</sup> .

(١) فيما عدل ، ه : « واستطراف البعيد » .

(٢) الخارجى : الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قدم .

(٣) أى سهل من هرون . انظر ص ٨٩ م ٩ . وفيما عدل : « وكانوا يقولون » .

(٤) ه : « الأكثر » .

وكان سهل بن هارون شديد الإطناب في وصف المأمون بالبلاغة والجهارة ،  
وبالحلاوة والفخامة ، وجودة اللهجة والطلاوة .

وإذا صيرنا إلى ذكر ما يحضرنا من تسمية خطباء بنى هاشم ، وبلغاء  
رجال القبائل ، قلنا في وصفهما على حسب حالهما ، والفرق الذي بينهما ؛  
ولأننا عسى أن نذكر جملة من خطباء الجاهليين والإسلاميين ، والبدويين  
والحضرين ، وبعض ما يحضرنا من صفاتهم وأقدارهم ومقاماتهم ، وبالله التوفيق .  
ثم رجع القول بنا إلى ذكر الإشارة .

وروى أبو شير<sup>(١)</sup> عن مَعْمَرِ أَى الْأَشْعَثِ<sup>(٢)</sup> ، خلاف القول الأول  
٥٨ في الإشارة والحركة عند الخطبة ، وعند منازعة الرجال ومناقلة الأكفاء .

- ١٠ وكان أبوشير إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه ، ولم يقلب عينيه ،  
ولم يحرك رأسه ، حتى كأن كلامه إنما يخرج من صدع صخرة . وكان يقضى على  
صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك ، وبالعجز عن بلوغ إرادته . وكان يقول : ليس  
من حق المنطق أن تستعين عليه بغيره ، حتى كلمه إبراهيم بن سيار النظام عند  
أيوب بن جعفر<sup>(٣)</sup> ، فاضطره بالحجة ، وبالإضافة في المسألة ، حتى حرك يديه  
وحل حبوته ، وحبا إليه حتى أخذ بيديه . وفي ذلك اليوم انتقل أيوب من قول  
١٥ أَى شِير إلى قول إبراهيم . وكان الذى عَرَّ أبا شير وموّة له هذا الرأى ، أن  
أصحابه كانوا يستمعون منه ، ويسلمون له ويميلون إليه ، ويقبلون كل ما يؤرده

(١) أبو شير هذا أحد أئمة القدرية المرجعة . انظر السمطاني . ونجد آراءه في الفرق ١٩٠ - ١٩٤ .

(٢) هو معمر بن عباد السلمي ، صاحب فرقة المعمرية من المعتزلة ، وكان من تلاميذه

٢٠ أبو الحسن المدائني ، وحفص الفرد ، وأبو شير ، وأبو بكر الأصم ، وأبو عامر عبد الكريم بن روح .  
انظر ابن النديم ١٤٧ ، والوافيق ٦٢٣ طبع بولاق . ومعمر بتشديد الميم ، كما في لسان الميزان ( ٦ ) :  
٧١ . - توفي سنة ٢١٥ .

(٣) أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي ، كان من أعلم الناس بقريش ، وبال دولة ورجال  
الدعوة كما سيأتي . وذكر الجاحظ في الحيوان ( ٦ : ٧٨ ) أنه كان لا يحب أكل الضباب .

عليهم ، وثُبِّتَ عندهم . فلما طَالَ عليه توقُّعُهم له ، وَتَرَكَ مجاذبتهم إِيَّاه ، وَخَفَّتْ مؤوَنَةُ الكلامِ عليه - نَسِيَ حَالَ منازعة الأَكْفَاءِ ومجاذبة الخصوم . وكان شيخاً وقوراً ، وَزِمْنِيّاً رَكِيناً <sup>(١)</sup> ، وكان ذا تَصَرُّفٍ في العلم ، ومذكوراً بالفهم والحلم .

٥ قال معمر ، أبو الأشعث : قلت لبهلة الهندي أَيَّامَ اجتلب يحيى بن خالدٍ أطباءَ الهند ، مثل مَنكَة وبازيكر <sup>(٢)</sup> وقليبرقل <sup>(٣)</sup> وسيندياد وفلان وفلان : ما البلاغةُ عندَ الهند ؟ قال بهلة : عندنا في ذلك صحيفةٌ مكتوبة ، ولكن لا أحسن ترجمتها لك <sup>(٤)</sup> ، ولم أعالج هذه الصناعة فأثَّقَ من نفسى بالقيام بخصائصها ، وتلخيص لطائف معانيها .

١٠ قال أبو الأشعث : فليُتَبَّ تلك الصحيفة التراجمة فإذا فيها <sup>(٥)</sup> :

أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة . وذلك أن يكون الخطيبُ رابطَ الجأش ، ساكنَ الجوارح ، قليلَ اللَّحْظ ، متخيرَ اللَّفْظ ، لا يكلمُ سَيِّدَ الأُمَّة بكلام الأُمَّة ولا الملوك بكلام السُّوقَة . ويكونُ في قُوَاه فضلُ التصرُّف في كلِّ طبقة ، ولا يدقُّ المعاني كُلَّ التدقيق ، ولا يُنقِّح الألفاظ كلَّ التنقيح ، ولا يُصَفِّيها كُلَّ التصفية ، ولا يَهْدِيها غاية التهذيب ، ولا يفعلُ ذلك حتى يصادِفَ ١٥ حكيماً ، أو فيلسوفاً عليمًا ، ومَن قد تعودَ حذفُ فضول الكلام ، وإسقاطُ مشتركات الألفاظ ، وقد نَظَرَ في صناعة المنطق على جهة الصَّنَاعَةِ والمبالغة ، لا على جهة الاعتراض والتصفُّح ، وعلى وجه الاستطراف والنظرُف . قال : ومن عِلْمِ حَقِّ

(١) الزميت : الحليم الساكن القليل الكلام ، كالصميت . والركين : الرزين .

٢٠ (٢) كذا ضبطت هذه الأسماء الهندية في ل ، هـ . لكن ضبطت « سيندياد » في هـ بضم السين .

وفي الحيوان ( ٧ : ٢١٣ ) أن « منكة » كان صحيح الإسلام .

(٣) ل : « وقال بن قل » وأثبت ما في سائر النسخ .

(٤) فيما عدل ل ، هـ : « مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك » . وكلمة « لك » ساقطة من هـ .

(٥) ذكر المسكوكى في الصناعتين ١٩ هذه الصحيفة ، وفسرها . كذلك ذكرها ابن قتيبة في

- المعنى <sup>(١)</sup> أن يكون الاسم له طَبَقاً ، وتلك الحال له وَقْفاً ، ويكون الاسم له لا فاضلاً [ ولا مفضولاً <sup>(٢)</sup> ] ، ولا مقصراً ، ولا مشتركاً ، ولا مضمناً ، ويكون مع ذلك ذاكراً لما عَقَدَ عليه أوَّل كلامه ، ويكون تصفُّحه لمَصَادِرِهِ ، في وزن تصفُّحه لموارده ، ويكون لفظه مُوَنِقاً ، ولهوَل تلك المقامات معايداً <sup>(٣)</sup> .
- ومدارُّ الأمر على إفهام كلِّ قوم بمقدارِ طاقتهم ، والحمل عليهم على أقدار منازلهم ، وأن ثَوَاتِيَةَ آلائِهِ ، وتَصَرَّفَ معه أَدَاتُهُ ، ويكون في التَّهْمَةِ لنفسه معتدلاً ، وفي حسن الظنِّ بها مقتصدًا ؛ فإنه إن تجاوزَ بِمِقْدَارِ الْحَقِّ في التَّهْمَةِ لنفسه ظَلَمَهَا ، فأودَّعها ذِلَّةَ المظلومين ، وإن تجاوزَ الْحَقَّ في مقدار حُسْنِ الظنِّ بها ، آمنها فأودَّعها تهاوُنَ الآمنين . ولكل ذلك مقدارٌ من الشُّغْل ، ولكل شُغْل مقدارٌ من الوَهْن ، ولكل وهن مقدارٌ من الجهل .
- وقال إبراهيم بن هانئ <sup>(٤)</sup> ، وكان ماجناً خليعاً ، وكثير العَبَثِ متمرداً . ولولا أن كلامه هذا الذي أراد به الهزل يدخلُ في باب الجِدِّ ، لَمَّا جعلته صِلَةً الكلام الماضي . وليس في الأرض لفظٌ يسقط البتَّة ، ولا معنى يور حتى لا يصلحَ لمكانٍ من الأماكن .

- قال إبراهيم بن هانئ : من تمام آلة القَصَص أن يكون القَاصُّ أَعْمَى ، ويكون شيخاً بعيد مدَى الصوت . ومن تمام آلة الرُّمَز أن تكون الرُّامِرُ

(١) فيما عدل : « وقال من علم حق المعنى » وق الصناعين : « قال وأعلم أن حق المعنى » .

(٢) هذه مما عدل .

(٣) بدله في الصناعين : « ومعناه نيراً واضحاً » . وهو يدل أن الترجمة التي حصل عليها

المسكبي غير التي حصل عليها الجاحظ .

(٤) إبراهيم بن هانئ : أحد معاصري الجاحظ ، روى عنه أخباراً في الحيوان ، وتخيلاً في البخلاء

- سوداء . ومن تمام آله المَعْنَى أن يكون فَاَرِ الْبِرْدُون ، بِرَاقِ الثَّيَاب <sup>(١)</sup> ،  
عَظِيمَ الْكِبَرِ ، سَيِّءِ الْخُلُقِ . ومن تمام آله الْحَمَار أن يكون ذَمِيًّا ، ويكون  
اسمه أَذِين أو شُلُومًا ، أو مَازِيَار ، أو أَزْدَانِقَاذَار ، أو مِيشَا ، ويكون أَرْقَطَ  
الثَّيَاب ، مَحْتَمِ الْعُنُقِ . ومن تمام آله الشَّعْر أن يكون الشَّاعِرُ أَعْرَابِيًّا ، ويكون  
الدَّاعِي إلى الله صَوْفِيًّا . ومن تمام آله السُّودُّد أن يكون السَّيِّدُ ثَقِيلَ السَّمْعِ ، عَظِيمَ  
الرَّأْسِ . ولذلك قال ابن سنان الْجَدِيدِي <sup>(٢)</sup> ، لِرَاشِدِ بْنِ سَلَمَةَ الْهُذَلِيِّ : « مَا أَنْتَ  
بِعَظِيمِ الرَّأْسِ [ وَلَا ثَقِيلِ السَّمْعِ ] <sup>(٣)</sup> فَتَكُونُ سَيِّدًا ، وَلَا بَارِسَحَ فَتَكُونُ فَارِسًا » .
- ٦٠ وقال شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ الْخَطِيبِ ، لِبَعْضِ فُتَيَانَ بْنِ مِثْقَمٍ : « وَاللهِ  
مَا مُطِلَّتْ مَطْلُ الْفُرْسَانِ ، وَلَا فُتِقَتْ فَتَقُ السَّادَةِ » .

وقال الشاعر :

- فَقَبِلْتُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ      وَكَفَا كَكْفِ الضُّبِّ أَوْ هِيَ أَحَقَرُ <sup>(٤)</sup>  
فَعَابَ صِغَرَ رَأْسِهِ وَصِغَرَ كَفِّهِ ، كَمَا عَابَ الشَّاعِرُ <sup>(٥)</sup> كَفَّ عَيْدِ اللهِ  
ابن مطيع الْعَدَوِيِّ ، حِينَ وَجَدَهَا غَلِيظَةً جَافِيَةً ، فَقَالَ :
- دَعَا ابْنَ مُطِيعٍ لِلْبَيْاعِ فَجَعَلَتْهُ      إِلَى تَيْعَةٍ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ آلِفٍ  
فَنَاقَلْتَنِي خُشْنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا      بِكَفِّي لَيْسَتْ مِنْ أَكْفِ الْخَلَائِفِ
- ١٥ وهذا الباب يَقَعُ ( فِي كِتَابِ الْجَوْلَارِحِ ) مَعَ ذِكْرِ الْبُرْصِ وَالْعُرْجِ وَالْعُسْرِ

(١) فِيمَا عَدَلَ ، هـ : « الثَّيَابِ » . وَلِكُلِّ وَجْهٍ . وَفِي حَوَاشِي هـ : « خ : الثَّيَابِ » .  
(٢) كُنَّا ضَبَطْنَا فِي ل . وَهُوَ إِمَّا نِسْبَةٌ إِلَى « جَدِيدٍ » ، وَهِيَ خَطَّةٌ لِبْنِي جَدِيدٍ بِالْبَصَرَةِ ، أَوْ إِلَى  
« الْجَدِيدَةِ » ، وَهِيَ قَلْعَةٌ فِي كُورَةِ بَيْنَ التَّهْنَيْنِ بَيْنَ نَصِيْبَيْنِ وَالْمَوْصِلِ .  
(٣) هَذِهِ مِمَّا عَدَلَ ل .  
(٤) فِيمَا عَدَلَ ، هـ : « قَلْبِ رَأْسًا » .  
(٥) هُوَ فَضَالَةُ بْنُ شَرِيكَ . وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزَّيْرِ قَدْ وَلِيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُطِيعٍ مِنَ الْأَسْوَدِ  
الْكُورَةَ ، فَطَرَدَهُ عَنْهَا الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عَيْدٍ التَّقْفِي ، فَقَالَ فَضَالَةُ هَذَا الشَّعْرُ فِي مِجَاجِهِ . انْظُرِ الْأَغَانِي  
( ١٠ : ١٦٤ ) . وَسَمِعْتُ الْجَاهِظَ يُنْشِئُهُ فِيمَا بَعْدَ .

والأذر والصُّلَع <sup>(١)</sup> [ والحذب والقُزَع <sup>(٢)</sup> ] ، وغير ذلك من عِلَل الجوارح .  
وهو واردٌ عليكم إن شاء الله بعد هذا الكتاب .

وقال إبراهيم بن هانئ : من تمام آله الشيعة أن يكون واقراً الجُمّة ،  
صاحب بازيكند <sup>(٣)</sup> . ومن تمام آله صاحب الحرّس أن يكون زميتاً قُطوباً  
أيضاً اللّحية ، أحنى أجنى <sup>(٤)</sup> ، ويتكلّم بالفارسيّة <sup>(٥)</sup> .

وأخبرني إبراهيم بن السُّنْدِيّ قال : دخل العُمانيّ الرّاجز على الرّشيد ،  
ليُشده شعراً ، وعليه قَلَنسوةٌ طويلة ، وخُفٌّ ساذج ، فقال : إياك أن تُشَدَّنِي  
إلاّ وعليك عمامةٌ عظيمة الكُور ، وخُفّان دُماليقان <sup>(٦)</sup> .

قال إبراهيم : قال أبو نصر : فَبَكَرَ عليه من الغدٍ وقد تَزَيَّأَ بَرِيّ الأعراب ،  
فأنشده ثم دنا فقبِلَ يده ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، قد والله أنشدتُ مَرْوَانَ  
ورأيتُ وجهه وقبِلْتُ يده وأخذتُ جائزته ، وأنشدتُ يزيد بن الوليد وإبراهيم  
ابن الوليد ورأيتُ وجوههما وقبِلْتُ أيديهما وأخذتُ جوائزهما ، وأنشدتُ  
السَّفَّاح ورأيتُ وجهه وقبِلْتُ يده وأخذتُ جائزته ، وأنشدتُ المنصور ورأيتُ  
وجهه وقبِلْتُ يده وأخذتُ جائزته ، وأنشدتُ المهديّ ورأيتُ وجهه وقبِلْتُ يده  
وأخذتُ جائزته ، وأنشدتُ الهاديّ ورأيتُ وجهه وقبِلْتُ يده وأخذتُ جائزته .  
هذا إلى كثيرٍ من أشباه الخُلَفَاء وكبار الأمراء ، والسادة الرؤساء ، ولا والله

(١) فيما عدا ل ، ه : ه والفلج ه .

(٢) هذه ما عدا ل .

(٣) في هامش ل : ه بزيكند : نوع من الثياب ، فارسيّة ه . وقد ضبطت الكلمة في المتن

والتعليق ، بفتح الزاي وضم الهاء وفتح الكاف .

(٤) الأحنى : المرتفع قُمل الأنف المحذوب وسطه . والأجنى : تسهيل الأجنا ، وهو الأحذب

الظهور .

(٥) فيما عدا ل ، ه : ه صاحب تكلم بالفارسيّة ه .

(٦) الدُماليقان : المستدير الأملس . ل : ه دلقمان ه صوابه في سائر النسخ . ونظر الشعر

والشعراء ٣٧١ ومحوّن الأُصْبُل ( ١ : ٩٣ - ٩٤ ) .

إِنْ رَأَيْتَ فِيهِمْ أَمْرًا مِنْظَرًا ، وَلَا أَحْسَنَ وَجْهًا ، وَلَا أَنْعَمَ كَفًّا ، وَلَا أُنْدَى رَاحَةً مِنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَوَاللَّهِ لَوْ أَلْقَى فِي رُوعِي أَنِّي أَتَخَذْتُ عَنْكَ مَا قُلْتُ لَكَ مَا قُلْتَ . قَالَ : فَأَعْظَمَ لَهُ الْجَائِزَةَ عَلَى شِعْرِهِ ، وَأَضْعَفَ لَهُ عَلَى كَلَامِهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَبَسَطَهُ ، حَتَّى تَمَتَّى وَاللَّهِ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ أَنَّهُمْ قَامُوا ذَلِكَ الْمَقَامَ .

\*\*\*

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول . قال ابن الأعرابي : قال معاوية بن أبي سفيان لصُحَّارِ بْنِ عِيَّاشِ الْعَيْدِيِّ <sup>(١)</sup> : ما هذه البلاغة التي فيكم ؟ قال : شَيْءٌ نَجِيشٌ بِهِ صَدُورُنَا تَقْدِيفُهُ عَلَى أَلْسِنَتِنَا . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ غُرَضِ الْقَيْسِ <sup>(٢)</sup> : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَؤُلَاءِ بِالْبَسْرِ وَالرُّطْبِ ، أَبْصَرُ مِنْهُمْ بِالْحُطْبِ . فَقَالَ لَهُ صُحَّارٌ : أَجَلُ وَاللَّهِ ، إِنَّا نَتَعْلَمُ إِنَّ الرِّيحَ تَلْقِيحُهُ <sup>(٣)</sup> ، وَإِنْ الْبَرْدَ لَيَعْقِلُهُ ، وَإِنْ الْقَمَرَ لَيَنْصِبُهُ ، وَإِنْ الْحَرَ لَيَنْضِجُهُ .

وقال له معاوية : ما تعلمون البلاغة فيكم ؟ قال : الإيجاز . قال له معاوية : وما الإيجاز ؟ قال صُحَّارٌ : أَنْ تُجِيبَ فَلَا تَبْطِئَ ، وَتَقُولَ فَلَا تَخْطِئَ . فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : أَوْ كَذَلِكَ تَقُولُ يَا صُحَّارُ ؟ قَالَ صُحَّارٌ : أَقْلَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَا تُبْطِئُ وَلَا تُخْطِئُ <sup>(٤)</sup> .

وَشَأْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَجَبٌ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بَعْدَ مُحَازَرَةِ إِيَادٍ تَفَرَّقُوا فَرِيقَيْنِ ، فَرِيقُهُ وَقَعَتْ بَعْمَانُ وَشَقُ عُثْمَانُ ، وَهُمْ خُطَبَاءُ الْعَرَبِ ؛ وَفَرِيقُهُ وَقَعَتْ إِلَى الْبَحْرَيْنِ

(١) هو صُحَّارُ بْنُ عِيَّاشٍ - وَيُقَالُ ابْنُ عِيَّاشٍ - مِنْ شُرَاحِلِ بْنِ مَقْدِ الْعَيْدِيِّ ، مِنْ بَنِي عَبْدِ الْقَيْسِ ، خُطِيبٌ مَقُودٌ ، كَانَ مِنْ شَيْخَةِ عَثَانَ ، لَهُ صَحِيحَةٌ وَأَخْبَارٌ حَسَنَةٌ ، وَكَانَ عَلَامَةً نَسَابَةً . تَوَفَّى نَحْوَ سَنَةِ ٤٠ . انظر الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

(٢) مِنْ غُرَضِ الْقَوْمِ ، بِضَمِّ الْعَيْنِ ، أَيْ عَائِلَتِهِمْ .

(٣) فِي الْأَصُولِ : لَتَنْفِخُهُ ، صَوَابُهُ فِي عَمَوْنِ الْأَخْبَارِ ( ٢ : ١٧٢ ) .

(٤) فِيمَا عَدَا لَ : لَا تَبْطِئُ وَلَا تَخْطِئُ . وَفِي الْخَوَانِ ( ١ : ٩١ ) : لَا تَخْطِئُ وَلَا تَبْطِئُ . وَفِي الصَّنَاعَتَيْنِ ٣٢ : هُوَ أَلَا تَخْطِئُ وَلَا تَبْطِئُ .



[ وَشَقَّ الْبَحْرَيْنِ <sup>(١)</sup> ] ، وَهَمَّ مِنْ أَشْعَرِ قَبِيلٍ فِي الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ حِينَ كَانُوا فِي سُرَّةِ الْبَادِيَةِ <sup>(٢)</sup> وَفِي مَعْدِنِ الْفَصَاحَةِ . وَهَذَا عَجَبٌ .

وَمِنْ خُطْبَائِهِمُ الْمَشْهُورِينَ : صَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ ، وَزَيْدُ بْنُ صُوحَانَ ، وَسَيْحَانُ بْنُ صُوحَانَ <sup>(٣)</sup> . وَمِنْهُمْ صُحَارُ بْنُ عَيَّاشٍ . وَصُحَارٌ مِنْ شِيعَةِ عَثَانَ ، وَبَنُو صُوحَانَ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ .

وَمِنْهُمْ مَصْقَلَةُ بْنُ رَقَبَةَ ، وَرَقَبَةُ بْنُ مَصْقَلَةَ ، وَكَرْبُ بْنُ رَقَبَةَ . وَإِذَا صِرْنَا إِلَى ذِكْرِ الْخُطَبَاءِ وَالنَّسَائِينَ ، ذَكَرْنَا مِنْ كَلَامِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَقَلَّرَ مَا يَحْضُرُنَا ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

قَالَ لِي ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : قَالَ لِي الْمَفْضَلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الضَّبِّيُّ : قُلْتُ لِأَعْرَابِيٍّ مَتَى : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ لِي : الْإِيجَازُ فِي غَيْرِ عَمَجَزٍ ، وَالْإِطْنَابُ فِي غَيْرِ حُطْلٍ .  
قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : فَقُلْتُ لِلْمَفْضَلِ : مَا الْإِيجَازُ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : حَذْفُ الْفُضُولِ <sup>(٤)</sup> ، وَتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ .

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ، قِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ : لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ بِدَعَوَاتٍ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا وَعَافِنَا وَارْزُقْنَا ! فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : لَوْ زِدْتَنَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ . فَقَالَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِسْهَابِ .

\*\*\*

(١) هَذِهِ مِمَّا عَدَلَ .

(٢) ل : « فِي هَذِهِ الْبَادِيَةِ » .

(٣) ذَكَرَهُمُ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي الْأَشْتَقَاقِ ١٩٩ وَقَالَ : « بَنُو صُوحَانَ بْنِ حَجَرٍ بْنِ الْخَلَارِثِ بْنِ الْمَجْرَسِ . وَسَيْحَانُ فُضْلَانُ مِنَ السَّيْحِ ، سَاحِ الْمَاءِ يَسِيحُ سَيْحاً » . فِيمَا عَدَلَ : « شَيْخَانُ » تَحْرِيفٌ .

(٤) ل : « مَا الْإِيجَازُ عِنْدَكُمْ ؟ قَالَ : تَرْكُ الْفُضُولِ » .

## باب

ذكر ناس من البلغاء والخطباء والأئمة والفقهاء والأمرء

من كان لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل

منهم : زيد بن صوحان . ومنهم : أبو وائلة إياس بن معاوية المزني <sup>(١)</sup> .  
القاضي القائف ، وصاحب الزكن ، والمعروف بجودة الفراسة . ولِكثرة كلامه  
قال له عبد الله بن شبرمة <sup>(٢)</sup> : « أنا وأنت لا تتفق . أنت لا تشتهي أن تسكت  
وأنا لا أشتي أن أسمع » .

وأبي حلقة من حلق قريش في مسجد دمشق ، فاستولى على المجلس ،  
ورأوه أحمر دميماً باذاً الهيبة ، قشيفاً ، فاستأثروا به فلما عرفوه اعتزروا إليه وقالوا  
له : الذئب مقسومٌ بيننا وبينك ؛ أتيتنا في زى مسكين ، تكلمنا بكلام الملوكة .

ورأيت ناساً يستحسنون جواب إياس بن معاوية حين قيل له : ما فيك  
عيبٌ غير أنك مُعجَبٌ بقولك . قال : أفاُعَجِبُكم قولي ؟ قالوا : نعم . قال :  
فأنا أحقُّ بأن أعجبَ بما أقول ، وبما يكون مِنِّي مِنكم <sup>(٣)</sup> .

والناس ، حفظك الله ، لم يَضَعُوا ذِكْرَ العُجْبِ في هذا الموضع . والمعيبُ  
عند الناس ليس هو الذي لا يعرف ما يكون منه من الحُمن . والمعرفة لا تُدْخِلُ في  
باب التسمية بالعُجْبِ ، والعُجْبُ مذموم . وقد جاء في الحديث . « إنَّ المؤمنَ

(١) هو إياس بن معاوية بن مرة المزي ، من هزينة مضر ، ولله عمر بن عبد العزيز قضاء  
البصرة . وكان صادق الطبع لطيفاً في الأمور ، وكان لأم ولد ؛ ومنزله عند النبي ، ومات بها سنة  
١٢٢ . انظر المعارف ٢٠٥ وتعليق التهذيب ( ١ : ٣٩ ) وأنساب السمعاني .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن حسنة الهذلي ، أبو شبرمة الكوفي القاضي . ولله أبو جعفر  
المنصور قضاء الكوفة . ولد سنة ٧٢ وتوفي سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب

(٣) ل : « مني » فقط .

مَنْ سَاعَيْتَهُ سَيِّئَتُهُ وَسَرَّيْتَهُ حَسَنَتُهُ . وقيل لعمر : فلان لا يعرف الشر . قال :  
« ذاك أجدر أن يقع فيه » . وإنما العجب إسراف الرجل في السرور بما يكون  
منه والإفراط في استحسانه ، حتى يظهر ذلك في لفظه وفي شمائله . وهو الذي  
وصف به صمصمة بن صوحان <sup>(١)</sup> ، المنذر بن الجارود <sup>(٢)</sup> ، عند علي بن أبي  
طالب رحمه الله ، فقال : « أما إنه مع ذلك لتَنظَّارُ في عِطْفِيهِ ، تُفَالُ في  
شِرَاكِهِ ، تُعْجِبُهُ حُمْرَةُ بَرْدِيهِ <sup>(٣)</sup> » .

قال أبو الحسن : قيل لإياس : ما فيك عيبٌ إلا كثرة الكلام . قال :  
فتسمعون صواباً أم خطأ ؟ قالوا : لا ، بل صواباً . قال : « فالزيادة من الخير  
خير » . وليس كما قال ؛ للكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية ، وما فضل عن  
قدر الاحتمال ودعا إلى الاستفقال والمَلال ، فذلك الفاضل هو الهنر ،  
وهو الخطل ، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيِّبونه <sup>(٤)</sup> .

وذكر الأصمعي أن عمر بن هبيرة لما أَرَادَهُ على القضاء قال : إني  
لا أصلح له . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنتى عيى ، ولأنتى دميم ، ولأنتى  
حديد . قال ابن هبيرة : أما الحدة فإن السوط يقومك ، وأما اللدامة فإني  
لا أريد أن أحاسن بك أحداً ، وأما العيى فقد عبرت عما تريد .

فإن كان إياس عند نفسه عيباً فذاك أجدر بأن يهجر الإكثار .  
وبعد فما نعلم أحداً رمى إياساً بالعيى ، وإنما عابوه بالإكثار .  
وذكر صالح بن سليمان ، عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث ، قال

(١) هو صمصمة بن صوحان العبدي ، كان مسلماً في عهد الرسول ولم يره . روى عن عثمان  
وعلى ، وشهد صفين مع علي ، وكان خطيباً فصيحاً . مات بالكوفة في خلافة معاوية . الإصابة ٢٠ : ٤١٢٥ . وصوحان ، بضم الصاد . الاشتقاق ١٩٩ والخير في الحيوان ( ٥ : ٥٨٨ ) .  
(٢) المنذر بن الجارود العبدي ، ولد في عهد النبي ، ولأبيه صحة ، وشهد الجمل مع علي  
وولاه عبيد الله بن زياد الهند في إمرة يزيد بن معاوية فمات هناك سنة ٦١ . انظر الإصابة ٨٣٢٨ .  
(٣) انظر الحيوان ( ٥ : ٥٨٨ ) والبيان ( ٤ : ١١٢ ) .

ما رأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض ، إلا ما كان من الحجاج بن يوسف ، وإياس بن معاوية ؛ فإن عقولهما كانت ترجع على عقول الناس كثيراً .

وقال قائل لإياس : لِمَ تُعَجِّل بالقضاء ؟ فقال إياس : كم لكفك من إصبع ؟ قال : خمس . قال : عجلت . قال : لِمَ يعجل من قال بعد ما قتل الشيء علماً و يقيناً . قال إياس : فهذا هو جوابي لك <sup>(١)</sup> .

وكان كثيراً ما يُشيد قول النابغة الجعدي :

أني لي البلاء وأني امرؤ إذا ما تبيت لم أرتب <sup>(٢)</sup>

قال : ومدح سلمة بن عياش <sup>(٣)</sup> ، سوار بن عبد الله <sup>(٤)</sup> ، بمثل ما وصف به إياس نفسه حين قال :

وأوقف عند الأمر ما لم يضح له وأمضي إذا ما شك من كان ماضياً <sup>(٥)</sup>

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، إلى عدى بن أوطاة : إن قبلك رجلين من مزينة ، قول أحدهما قضاء البصرة . يعني بكر بن عبد الله المزني <sup>(٦)</sup> وإياس ابن معاوية . فقال بكر : والله ما أحسن القضاء ، فإن كنت صادقاً فما

(١) ل : هـ فهذا جوابي .

(٢) أنشده في الحيوان ( ٣ : ٤٩٥ ) وقال : ليس يريد أنه في حالة تيبه غير مرتاب ، وإنما يعني أن بصيرته لا تغتر . لم أرتب ، بفتح التاء من الرية ، وبضمها أيضاً من الرنوب ، وهو التوقف .

(٣) سلمة بن عياش : شاعر بصرى من مخضرمي الدولتين ، كان منقطعاً إلى جعفر وعبد ولدى سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس مدحهما . وترجم له أبو الفرج في ( ٢١ : ٨٤ — ٨٦ ) .

(٤) أبو عبد الله سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة النخعي البصري ، نزل بغداد وولى بها قضاء الرصافة . وكان قتيلاً فصيحاً ، أديباً شاعراً . وقد وثقه كثيرون منهم أحمد بن حنبل . توفي سنة ٢٤٥ . انظر تلخيص بغداد ٤٧٨٨ .

(٥) بكر بن عبد الله المزني ، نسبة إلى مزينة ، أبو عبد الله البصري ، ثقة جليل ، توفي سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب .

يَجْلُ لَكَ أَنْ تَوَلِّيَنِي ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا إِنَّهَا لِأَحْرَامَا <sup>(١)</sup> .

وكانوا إذا ذكروا البصرة قالوا : شيخُها الحَسَنُ ، وفُتَاهَا بَكْرٌ .

وقال إِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ : لَسْتُ بِجَبِّ وَالْجَبِّ لَا يَخْدَعُنِي . وقال :

الْجَبُّ <sup>(٢)</sup> لَا يَخْدَعُ ابْنَ سِيرِينَ ، وَهُوَ يَخْدَعُ أَيْ وَيَخْدَعُ الْحَسَنَ .

- ودخل الشَّامُ وهو غلامٌ ، فَتَقَدَّمَ خَصَمًا لَهُ ، وَكَانَ الْحَصَمُ شَيْخًا كَبِيرًا ، إِلَى بَعْضِ قَضَاةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : أَتَقْدِمُ شَيْخًا كَبِيرًا ؟ قَالَ : الْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْهُ . قَالَ : اسْكُتْ . قَالَ : فَمَنْ يَنْطَلِقُ بِحُجَّتِي . قَالَ : لَا أَظُنُّكَ تَقُولُ حَقًّا حَتَّى تَقُومَ . قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، [ أَحَقُّ هَذَا أَمْ بَاطِلًا <sup>(٣)</sup> ؟ ] . فَقَامَ الْقَاضِي فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ سَاعَتِهِ ، فَخَبَّرَهُ بِالْحَبْرِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَقْضِ حَاجَتَهُ السَّاعَةَ وَأَخْرِجْهُ مِنْ الشَّامِ ، لَا يُفْسِدَ عَلَى النَّاسِ .

فَإِذَا كَانَ إِيَّاسُ وَهُوَ غُلَامٌ يُخَافُ عَلَى جَمَاعَةِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِ وَقَدْ كَبُرَتْ سُنَّتُهُ ، وَعَاضَ عَلَى نَاجِيَتِهِ .

- وجملة القول في إِيَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ مِنْ مَفَاخِرِ مُضَرَ ، وَمِنْ مُقَدِّمِي الْقَضَاةِ ، وَكَانَ فَقِيهَ الْبَلَدِ <sup>(٤)</sup> ، دَقِيقَ الْمَسَلِكِ فِي الْفِطَنِ ، وَكَانَ صَادِقَ الْحَدِيثِ نِقَابًا <sup>(٥)</sup> ، وَكَانَ عَجِيبَ الْفِرَاسَةِ مُلْهَمًا ، وَكَانَ عَفِيفَ الطَّعْمِ <sup>(٦)</sup> ، كَرِيمَ الْمَدَائِلِ وَالشَّيْمِ ، وَجِبَاهًا عِنْدَ الْخُلَفَاءِ ، مُقَدِّمًا عِنْدَ الْأَكْفَاءِ . وَفِي مُزَيْنَةِ خَيْرٍ كَثِيرٍ .

(١) أَي هَذِهِ الْحَالَةُ أَجْدَرُ الْحَالَتَيْنِ بِإِقْصَائِي عَنْ الْوِلَايَةِ . ل : « فَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَمَا يَجْلُ لَكَ أَنْ تَوَلِّيَنِي ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَمَا يَجْلُ لَكَ أَنْ تَوَلِّيَنِي » .

(٢) الْحَبُّ ، بِالْفَتْحِ وَبِكَسْرِ : الْخِلَاعُ . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الَّتِي قَبْلَهَا فِي لِقَاطِ : وَلَيْسَتْ فِي الْحَيَوَانَ (٢ : ٢٧٩) .

(٣) التَّكَلُّمَةُ مِنْ هـ .

(٤) فِي هَامِشِ هـ : « أَي كَأَنَّ يَدَهُ مَطْبُوعٌ عَلَى الْفَقْهِ لِلْكَاتِبِ وَلِغَوْضِهِ فِيمَا أَشْكَلَ مِنْهُ أَوْ غَضِ » . وَانْظُرْ بِهَذِهِ الْبُحْثِ فِي تَرْجُمَةِ بَشَرِ بْنِ الْمُفَضَّلِ .

(٥) الْحَدِيثُ ، بِالْفَتْحِ : الْقِنَ وَالْتَحْمِينَ . وَالتَّقَابُ . كَكِتَابِ : الرَّجُلِ الْعَلَامَةُ الْقَطَنِ . قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

نَجِيجٌ جَوْدُ أُخْرٍ مَأْقُطٌ      تَقَابٌ يَحْدِثُ بِالْفَقَابِ

(٦) فِي حَوَاشِي هـ : أَي إِنَّهُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ حَلَالٍ هـ . مَاعِدَا هـ : « الْمَطْعَمُ » .

ثم رجعنا إلى القول الأول .

ومنهم ربيعة الرأي <sup>(١)</sup> ، وكان لا يكاد يسكت . قالوا : وتكلم يوماً  
فاكثر وأعجب بالذي كان منه ، فالتفت إلى أعرابي كان عنده فقال :  
يا أعرابي : ما تعلمون العي فيكم ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم .  
وكان يقول : السآكت بين التأم والأخرس .

٥

- ومنهم عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي <sup>(٢)</sup> . ومحمد بن حفص هو  
ابن عائشة ؛ ثم قيل لعبيد الله ابنه : ابن عائشة . وكان كثير العلم والسمع ،  
متصرفاً في الخير والأثر . وكان من أجواد قريش <sup>(٣)</sup> ، وكان لا يكاد يسكت ،  
وهو في ذلك كثير الفوائد . وكان أبوه محمد بن حفص عظيم الشأن ، كثير  
العلم ، بعث إليه يتخاب <sup>(٤)</sup> خليفته في بعض الأمر ، فأثابه في خلفته في  
المسجد ، فقال له في بعض كلامه : أبو من أصلحك الله ، فقال له : هلاً  
عرفت هذا قبل مجيئك ! وإن كان لابد لك منه فاعترض من شئت فسله .  
فقال له : إني أريد أن تخليني . قال : أفي حاجة لك أم في حاجة لي ؟  
قال : بل في حاجة لي . قال : فالتفتي في المنزل . قال : فإن الحاجة لك .  
قال : ما دون إخواني ميت .  
ومنهم محمد بن مسعر العقيلي ، وكان كريماً كريم المجالسة ، يذهب مذهب

١٥

(١) ويقال له ربيعة صاحب الرأي . انظر الكلام على أصحاب الرأي في المعارف لابن قتيبة ٢١٦ —  
٢١٩ وهو أبو عثمان ربيعة بن فروخ مول آل المنذر التميمي ، وكان أبو العباس السفاح قد قدمه للقضاء فلم  
يفعل . ومات بالأندلس سنة ٢٣٦ . انظر للمطرف ٢١٧ وتذيب التذيب وصفة الصغرة ( ٢ : ٨٣ — ٨١ ) .

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن مسعر التيمي ، يقال له  
ابن عائشة والمعاشر ، والمعشى : نسبة إلى عائشة بنت طلحة ؛ لأنه من ذريتها . توفي بالبصرة سنة ٢٨٨ .  
انظر المعارف لابن قتيبة ٢٢٨ ، وتذيب التذيب ، والأنساب ٣٧٩ والحيلان ( ٢ : ١٢ ) .

(٣) الأجواد : جمع جواد . فيما عدل . هـ : هـ من أجود قريش .

(٤) ل : بعث إليه نهد يتخاب . وكلمة : نهد : مقحمة . هـ : يتخاب . ل : يلل

٢٥ يتخاب . حضيض : يتخاب . هـ هو ماقى ل . ولى سائر التسخ : هـ ميخاب .

النسك ، وكان جواداً . مرَّ صديقٌ له من بنى هاشم بقصر له وبُستانٍ نقيس ، فبلغه أنه استحسنته ، فوهبه له .

ومنها أحمد بن المُعَدَّل بن غِيلَانَ <sup>(١)</sup> ، كان يذهب مذهب مالك رحمه الله ، وكان ذا بيانٍ وتبحُّرٍ في المعاني ، وتصرُّفٍ في الألفاظ .

ومن كان يُكثر الكلام جداً: الفضل بن سهل ، ثم الحسن بن سهل <sup>(٢)</sup> في أيامه .

- وحدثني محمد بن الجهم ودُّوَاد بن أبي دُوَاد قالوا : جلس الحسن بن سهل في مصلى الجماعة ، لتعيم بن خازم <sup>(٣)</sup> ، فأقبلُ تعيمٌ حافياً حاسراً وهو يقول : ذُنْبِي أعظم من السماء ، ذُنْبِي أعظم من الهواء ، ذُنْبِي أعظم من الماء ! قالوا : فقال له الحسن بن سهل : على رِسْلِكَ ، تقدَّمت منك طاعة ، وكان آخرُ أمرك إلى توبة ، وليس للذنب بينهما مكان ، وليس ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو .

ومن هؤلاء على بن هشام ، وكان لا يسكت ، ولا أدرى كيف كان كلامه .

قال : وحدثني مهديُّ بن ميمون ، قال : حدثنا غِيلَان بن جرير ، قال :

كان مطرّف بن عبد الله <sup>(٤)</sup> يقول : « لا تُطعم طعامك مَنْ لا يشتهيهِ » . يقول :

١٥ (١) هو أخو الشاعر المشهور عبد الصمد بن المعدل بن غيلان ، كلاهما من شعراء الدولة العباسية . قال أبو الفرج في أثناء ترجمة عبد الصمد : « وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً إلا أنه كان عفيفاً ذا مروعة و دين وتقدم في المصلحة » . الأغاني ( ١٣ : ٥٤ ) والوفيات ( ١ : ٣٥٣ ) .

(٢) استوزر المأمون الفضل بن سهل ، ثم أخاه الحسن بن سهل . قتل الفضل سنة ٢٠٢هـ أما الحسن فقد توفي سنة ٢٣٦ . وهو والد برون زوج المأمون ، التي فيها يقول الباهلي :

٢٠ بلوك الله للحسن ولبروان في الحزن  
يا ابن هارون قد ظفرت ولكن يبت من

(٣) فيما عدل ، ه : « ابن خازم » بالحاء المهملة .

(٤) هو أبو عبد الله مطرّف بن عبد الله بن الشخير ، أحد التابعين ، وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم ، وكان لأبيه صحة . وكان يقص في مكان أبيه بمسجد البصرة . توفي سنة ٩٥ . الإصابة

٢٥ ٨٣١٨ والمعارف ١٩٣ وصفة الصفوة ( ٣ : ١٤٤ ) وتذيب التهذيب .

لَا تُقْبَلُ بِحَدِيثِكَ عَلَى مَنْ لَا يَقْبَلُ عَلَيْهِ بَوَاحُهُ .

وقال عبد الله بن مسعود : « حَدَّثَ النَّاسَ مَا حَدَّثُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ ،  
وَأَذِنُوا لَكَ بِأَسْمَاعِهِمْ ، [ ولحظوك بأبصارهم <sup>(١)</sup> ] ، وإذا رأيت منهم فترةً  
فَأَمْسِكْ » .

قال : وجعل ابن السَّمَاك <sup>(٢)</sup> يوماً يتكلم ، وجارية له حيث تسمع  
كلامه ، فلما انصرف إليها قال لها : كيف سمعت كلامي ؟ قالت :  
ما أحسنه ، لولا أنك تكثر ترداده . قال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه . ٦٦  
قالت : إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد مله من فهمه <sup>(٣)</sup> .

عَبَادُ بْنُ الْعَوَّامِ ، عن شعبة عن قتادة قال : مكتوب في التوراة :  
١٠ « لَا يَعَادُ الْحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ <sup>(٤)</sup> » .

سفيان بن عيينة <sup>(٥)</sup> ، عن الزُّهْرِيِّ قال : « إِعَادَةُ الْحَدِيثِ أَشَدُّ مِنْ  
نَقْلِ الصَّخْرِ <sup>(٦)</sup> » .

(١) هذه مما عدل ل .

(٢) هو أبو العباس محمد بن صالح مولى بنى عجل ، المعروف بابن السماك ، سمع هشام بن  
١٥ عروة ، والعمام بن حوشب ، وسفيان الثوري ، وروى عنه الحسين الجبلي ، وأحمد بن حنبل . وهو كوفي  
قدم بغداد زمن هارون الرشيد ، وكان يكي هارون من قوة موعظته . ومكث ببغداد مدة ثم رجع إلى  
الكوفة فمات بها سنة ١٨٢ . تاريخ بغداد ٢٨٩٥ وصفة الصفوة ( ٣ : ١٥٠ ) ولسان الميزان ( ٥ : ٢٠٤ ) .

(٣) ل : « يفهمه » . وانظر الخبر في عيون الأخبار ( ٢ : ١٧٨ ) .

(٤) ل فقط : « لا يعد » ، وأثبت ما في سائر النسخ وعين الأخبار ( ٢ : ١٧٩ ) .

(٥) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي ، الكوفي ثم المكي ، ثقة حافظ . سمع الزهري وعبد الله  
٢٠ ابن دينار وغيرهما ، وحديث عنه الأعمش وابن جريج وشعبة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم . وفيه  
يقول الشافعي : « لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز » . وكان يحدث في موسم الحج ، وقد حج  
سبعين سنة . ولد سنة ١٠٧ وتوفي سنة ١٩٨ . تذكرة الحفاظ ( ١ : ٢٤٢ ) وتذويب التهذيب .

(٦) في عيون الأخبار ( ٢ : ١٧٩ ) : « من وقع الصخر صواب هذه : « من رفع الصخر » .



وقال بعض الحكماء : « من لم يتشبط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك » .

وجملة القول في الترداد ، أنه ليس فيه حد ينتهي إليه ، ولا يؤتى على وصفه <sup>(١)</sup> . وإنما ذلك على قدر المستمعين ، ومن يحضره من العوام والخواص . وقد رأينا الله عز وجل ردّد ذكر قصة موسى وهود ، وهارون وشعيب ، وإبراهيم ولوط ، وعاد وثمود . وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة ؛ لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم ، وأكثرهم غيبي غافل <sup>(٢)</sup> ، أو مُعاند مشغول الفكر ساهى القلب .

وأما أحاديث القصص والرقّة فإني لم أر أحدا يعيب ذلك .

وما سمعنا بأحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ وترداد المعاني عيبا ، إلا ما كان من التّخار بن أوس العُذري ؛ فإنه كان إذا تكلم في الحملات <sup>(٣)</sup> وفي الصّفح والاحتفال وصلاح ذات البين ، وتخويف الفريقين من التفاني والبوار - كان رُبما ردّد الكلام على طريق التهويل والتّخويف ، وربما حمى فنحر .

وقال ثمامة بن أشرس <sup>(٤)</sup> : كان جعفر بن يحيى <sup>(٥)</sup> أنطق الناس ، قد جمّع

(١) فيما عدل ، ه : « يؤتى إلى وصفه » تحريف .

(٢) ل : « عى غافل » .

(٣) الحملة ، كسحابة : الذي يحملها قوم عن قوم . ل : « الجهالات » تحريف .

(٤) ثمامة بن أشرس الحميري مولى بني غمر ، كان زعيم القدرية في زمان المأمون والمتصم والواثق . وهو

الذي دعا المأمون إلى الاعتزال . انظر الفرق بين الفرق ١٥٧ . وروى عنه قصص تشير إلى استخفافه بالدين ، من ذلك أنه رأى الناس يوم جمعة يمتدّون إلى المسجد الجامع لحرفهم من فوات الصلاة ، فقال لرفيق له : انظر إلى هؤلاء الحمير والبقر ! ثم قال : ما صنع ذلك العرق بالناس . تأويل يختلف الحديث ٦٠ . قتل ثمامة في زمان الواثق الذي تولى الخلافة من ٢٢٧ - ٢٣٢ . وقيل مات في ٢٣٣ انظر الفرق ١٥٩ ولسان الميزان ( ٢ : ٨٤ ) وتاريخ بغداد ( ٧ : ١٤٥ - ١٤٨ ) ، وكلنا معجم الفرق الإسلامية ( رسم الثامية ) .

(٥) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، من كبار الباطنية الذين قتلهم الرشيد .

الهُدوءَ والتَّهْمَلُ ، والجزالة والحلاوة ، وإفهاماً يُغْنِيهِ عن الإعادة . ولو كان في الأرض ناطقٌ يَسْتغْنِي بِمَنْطِقِهِ عن الإشارة ، لاسْتَغْنَى جَعْفَرٌ عن الإشارة ، كما اسْتَغْنَى عن الإعادة .

وقال مرّةً : ما رأيتُ أحداً كان لا يَتَحَبَّسُ ولا يَتَوَقَّفُ ، ولا يَتَلَجَّجُ ولا يَتَحَنَّجُ ، ولا يَرْتَقِبُ لفظاً قد استدعاه من بُعد ، ولا يَلْتَمِسُ التخلُّصَ إلى معنى قد نَعَصَّى عليه طلبه ، أشدَّ اقتداراً ، ولا أَقَلَّ تكلفاً ، من جعفر بن يحيى .

وقال ثُمَامَةُ : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسمُ يحيط بِمَعْنَاكَ ، ويَجْلِي عن مَفْزَاكَ ، ويُخْرِجُهُ عن الشُّرْكَ ، ولا تستعين عليه بالفِكْرَةِ . والذي لا بُدَّ له منه ، أن يكون سليماً من التكلُّف ، بعيداً من الصَّنْعة ، بريئاً من التعقُّد ، غنياً عن التأويل <sup>(١)</sup> .

وهذا هو تأويل قول الأصمعي : « البليغُ مَنْ طَبَّقَ الْمَفْصِلَ » <sup>(٢)</sup> ، ٦٧ وأغْتَناكَ عن المُفسِّرِ » .

وَتَحَبَّرَنِي جَعْفَرُ بْنُ سَعِيدٍ <sup>(٣)</sup> ، رَضِيَ عَنْهُ أَبُو بَنْدٍ جَعْفَرُ وَحَاجِبُهُ <sup>(٤)</sup> ، قال :  
 ١٥ ذُكِرَتْ لَعَمْرُو بْنُ مَسْعُودَةَ <sup>(٥)</sup> ، تَوَقَّعَاتُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، فَقَالَ : قَدْ قَرَأْتُ

(١) كلام جعفر هنا في عين الأخبار ( ٢ : ١٧٣ ) .

(٢) طبق المفصل : أصابه إصابة محكمة فأبان العضو من العضو ، ثم جبل لحسن الإصابة بالقول . وانظر عين الأخبار ( ٢ : ٢٧٤ ) .

(٣) جعفر بن سعيد هذا ، أحد البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ في كتابه ٨٨ ، ١٠٩ . وانظر الحيون ( ٣ : ٤٦٩ ) .

(٤) هو أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي ، كان من أعلم الناس بقرش وبالدولة ورجال الدعوة ، وكان أول أمره على مذهب أبي هريرة ، ثم انتقل من قوله إلى قول إبراهيم بن سيار النظام ، كما سيأتي .

(٥) هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول ، أحد الكتاب في زمان المأمون ، ذكر الخطيب في تلويح بغداد ( ١٢ : ٣٠٢ ) أنه ابن عم إبراهيم بن العباس الصولي الشاعر . وكان إبراهيم قد ضاقت به حاله

٢٥ فبعث إليه عمرو مالا ، فكتب إليه إبراهيم :

لأم جعفر توقيعات في حواشي الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصاراً ،  
وأجمع للمعاني .

قال : ووصف أعرابياً أعرابياً بالإيجاز والإصابة فقال : « كان والله  
يضع الهناء مواضع الثقب <sup>(١)</sup> » . يظنون أنه نقل قول دريد بن الصمة <sup>(٢)</sup> ،  
في الحنساء بنت عمرو بن الشريد ، إلى ذلك الموضع ، وكان دريد قال فيها <sup>(٣)</sup> :  
• ما إن رأيت ولا سمعت به في الناس طالتي أثقي جرب  
متبذلاً تبلو محاسنه بضع الهناء مواضع الثقب  
ويقولون في إصابة عين المعنى بالكلام الموجز : « فلان يقل المحزر ،  
ويصيب المفصل » . وأخذوا ذلك من صفة الجزار الحاذق ، فجعلوه مثلاً  
للمصيب الموجز .

وأنشدني أبو فعلن الغنوي ، وهو الذي يقال له شهيد الكرم <sup>(٤)</sup> ، وكان  
أبين من رأيت من أهل البلو والحضر :

= في غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النمل زلت  
رأى خلفي من حيث يخفي مكانها فكانت قلبي عينه حتى تجلت  
وسعدة ، يفتح الميم والعين ، كما ضبطه ابن خلكان . توفي سنة ٢١٧ . وبعض الناس يعلوه في  
الوزراء . انظر التنبيه والإشراف ٣٠٤ .

(١) الهناء ، بالكسر : ضرب من القطران تطل به الإبل : والثقب ، يسكون القاف وضمها :  
جمع ثقبه ، بالضم ، وهي أول ما يبلو من الجرب .

(٢) دريد بن الصمة كان سيد بني جشم وقرسهم وقتلهم ، غزا مائة غزاة ما أخفق في واحدة منها .

وأدرك الإسلام فلم يسلم ، وخرج يوم حنين مطاهراً للمشركين ، وقتل على شركه . الأغاني ( ٩ : ٢ ) .

(٣) كان دريد بن الصمة قد خطبها فودته ، وكان رأها تهاً بعيراً فقال :

حيوا تخاضر ولربما صحبى وقتوا فإن قروفيكم حسبي

أخناس قد هلم القويك بكم وأصابه تيل من الحب

وبعدما البيتان التاليان انظر الأغاني ( ١٣ : ١٣٠ ) .

(٤) روى الجاحظ عنه أيضاً في الحيوان ( ٣ : ٩٤ ) . والشعر التالي من روايته وليس له ، بل

هو لشقران مولى بني سلامان بن سعد بن هذيم ، كما في الحماسة ( ٢ : ٢٧٤ ) .

فلو كنت مولى قيس عيلان لم تجد على مخلوق من الناس درهما  
ولكننى مولى قضاة كلها فليست أبالى أن أدين وتقرأ  
أولئك قوم بارك الله فيهم على كل حال ماعف وأكرما  
جفاة المحز لا يصيون مفصلاً ولا يأكلون اللحم إلا تخذماً<sup>(١)</sup>

يقول : هم ملوك وأشباه الملوك ، ولهم كفاة فهم لا يحسبون إصابة المفصل .  
وأنشدني أبو عبيدة في مثل ذلك :

وصلح الرعوس عظام البطون جفاة المحز غلاظ القصر<sup>(٢)</sup>  
ولذلك قال الراجز<sup>(٣)</sup> :

ليس براعى إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضنم  
وقال الآخر ، وهو ابن الزبيرى<sup>(٤)</sup> :

وفيان صديق حسان الوجو لا يجنون لشيء آلم  
من أكل المغيرة لا يشهدو ن عند المجازر لحم الوضن  
وقال الراعى في المعنى الأول :

فطبقن عرض القف ثم جزعته كما طبقت في العظم مذبة جازر<sup>(٥)</sup>

١٥ (١) قال التيهزى في شرح الحماسة : « أى لا يتأقنون في فصل اللحم كعمل الجزار ، لأنهم ليسوا بجزارين ، ولا ذلك من علامتهم . والحزم : سرعة القطع ، وفي التحم زيادة تكلف . يقول : إذا أكلوا اللحم على مواتلهم لم يتلوه إلا قطعاً بالسكاكين لانشأ بالأسنان » .

(٢) القصر : جمع قصرة ، بالتحريك ، وهى أصل العنق ، وقرئ : ( ترمى بشر كالقصر ) .

(٣) هو رشيد بن رمض المزرى . انظر اللسان ( حطم ) . ورشيد هذا من أدرك الإسلام .

٢٠ انظر الإصابة ٢٧٢٣ .

(٤) هو عبد الله بن الزبيرى ، كان من أشعر قريش ، وكان شديداً على المسلمين ، ثم أسلم في الفتح سنة ثمان ، واعتذر عن إيذاء المسلمين والرسول . الإصابة ٦٤٧٠ والمؤتلف ١٣٢ .

(٥) عرض القف ، بضم العين : وسطه ومعظمه . جزعته : قطعه . فيما عدا ل : حتى

لقيه ، لكن فى ه : حين لقيه .

وَأُنْشِدِ الْأَصْمَعِي :

وَكَفْتُ فَتًى لَمْ يَعْرِفِ السَّلْخَ قَبْلَهَا تَجُورُ يَدَاهُ فِي الْأَدِيمِ وَتَجْرَحُ

وَأُنْشِدِ الْأَصْمَعِي :

لَا يُمْسِكُ الْعَرْفَ إِلَّا رَيْثُ يُرْسَلُهُ وَلَا يُلَاطِمُ عِنْدَ اللَّحْمِ فِي السُّوقِ (١)

وقد فسر ذلك أبيد بن ربيعة ، وبينه وضرب به المثل ، حيث قال في الحكم •  
بين عامر بن الطفيل ، وعلقمة بن علاثة (٢) :

يَا هَرِمَ بْنَ الْأَكْرَمِينَ مَنْصِبًا (٣) إِنَّكَ قَدْ أُوتِيتَ حُكْمًا مُعْجِبًا

• فَطَبَّقَ الْمَفْصِلَ وَاعْتَمَ طَبَّيَا •

يقول : احكم بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة بكلمة فصل ، وبأمر

قاطع ، فتفصل بها بين الحق والباطل ، كما يفصل الجزائر الخاذق مفصل العظمين . ١٠  
وقد قال الشاعر في هريم :

قَضَى هَرِمٌ يَوْمَ الْمُتَرَةِ بَيْنَهُمْ قَضَاءَ امْرِئٍ بِالْأَوَّلَةِ عَالِمِ (٤)

قَضَى ثُمَّ وَلَّى الْحُكْمَ مَنْ كَانَ أَهْلُهُ وَلَيْسَ ذُنَائِي الرِّيشَ مِثْلَ الْقَوَادِمِ (٥)

ويقال في الفحل إذا لم يُحْصِن الضَّرَابُ : جمل عَيَايَاء ، وجمل طَبَّاقَاء .

وقالت امرأة في الجاهلية تشكو زوجها : زوجي عَيَايَاءُ طَبَّاقَاءُ ، وكل دَاءٍ لَهُ دَاءٌ (٦) • ١٥

(١) ل : • • إلا ريث يحته • •

(٢) انظر لمخافة عامر وعلقمة ، الأغاني ( ١٥ : ٥٠ - ٥٥ ) .

(٣) هرم هنا ، هو هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري ، أحد حكام العرب . وهو غير هرم ابن سنان بن أبي حنيفة المري ، ممدوح زهير . انظر الأغاني والاشتقاق ١٧٢ .

(٤) الألفية : مفاتيح الآباء . قال ذو الرمة : ٢٠

وما فخر من ليست له أولية تعد إذا عد القديم ولا ذكر

(٥) ذنابي الريش : ريشات أربع في جناحه بعد الخواقي . والخواقي : ريشات أربع بعد القوادم .

(٦) ما عدا هـ : • له دواء • تحريف . انظر اللسان ( طبخ ، عيسى ، دوا ) . أي كل عيب

يكون في الرجال فهو فيه . وهذا الكلام من حديث أم زرع . انظر بلاغات النساء لابن طيفور ٧٩ -

٨٧ والمزهر ( ٢ : ٥٣٢ - ٥٣٥ ) . ٢٥

حَتَّى جَعَلُوا ذَلِكَ مَثَلًا لِلْعَبِيِّ الْفَقِيمِ ، وَالَّذِي لَا يَتَّجِعُ لِلْحُجَّةِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ (١) :

طَبَاقَاءَ لَمْ يَشْهَدْ خُصُوصًا وَلَمْ يَقْدِرْ كَابًا إِلَى أَكْوَارِهَا حِينَ تُعْكَفُ (٢)

وَذَكَرَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ الْخَطْلُ فَعَابَهُ فَقَالَ : ٦٩

وَذَى خَطْلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فَمَا يَلِمُ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ (٣)

عَبَأْتُ لَهُ حِلْمًا وَأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ

وَقَالَ غَيْرُهُ (٤) :

شَمْسٌ إِذَا خَطَلَ الْحَدِيثَ لَوَانَسَ يَرْقُبَنَّ كُلُّ مَجَنِّزٍ تَنَبَّالٍ  
الشَّمْسُ ، مَاخُودٌ مِنَ الْحَيْلِ ، وَهِيَ الْحَيْلُ الْمَرْحَةُ الضَّارِبَةُ بِأَذْنَابِهَا مِنَ  
النَّشَاطِ . وَالْمَجَنِّزُ : الْقَصِيرُ . وَالتَّنَبَّالُ : الْقَصِيرُ اللَّذِي .

وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤْلِيُّ ، وَكَانَ مِنَ الْمُقَدِّمِينَ فِي الْعِلْمِ ، وَاسْمُ أَبِي ١٠

الْأَسْوَدِ ظَالِمُ بْنُ عَمْرٍو :

وَشَاعِرٍ سَوِّءٍ يَهْضِبُ الْقَوْلَ ظَالِمًا كَمَا اقْتَمَّ أَعْشَى مُظْلِمُ اللَّيْلِ حَاطِبٌ

يَهْضِبُ : يُكْثِرُ . وَالْأَهَاضِيبُ : الْمَطَرُ الْكَثِيرُ . اقْتَمَّ : اقْتَعَلَ مِنْ  
الْقِمَامَةِ . وَأَنْشَدَ :

أَعُوذُ بِاللَّهِ الْأَعَزِّ الْأَكْرَمِ مِنْ قَوْلِي الشَّيْءَ الَّذِي لَمْ أَعْلَمْ (٥) ١٥

تَخْبِطُ الْأَعْمَى الضَّرِيرَ الْأَيْهَمَ (٦) .

(١) هُوَ جَبِلُ بْنُ مَعْمَرٍ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ وَمَقَابِيسِ اللُّغَةِ ( طَبَق ) .

(٢) الْكَوْرُ ، بِالضَّمِّ : الرَّجُلُ بِأَدْنَاهُ . تَعْكَفُ : تَحْسِبُ .

(٣) مَا يَلِمُ بِهِ ، أَيْ مَا يَخْصُو . وَهَذِهِ الرَّوَايَةُ تَطَابُقُ رَوَايَةَ الدَّبْلَوْنَ ١٣٩ . وَكَتَبَ فِي لِ فَوْقَ

٢٠ . يَلِمُ : « يَحْمَدُ » ، وَلَعَلَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى رَوَايَةٍ ، وَلَمْ أَجِدْهَا عِنْدَ ثَعْلَبٍ وَالشَّيْخِ الْمُسْتَمْرِي .

(٤) نَسَبَ فِي ص ٢٧٩ إِلَى الْأَخْطَلِ .

(٥) قَوْلُ « كَتَبَ فَوْقَهَا فِي ل : « قَوْلُ » ، إِشَارَةٌ إِلَى رَوَايَةٍ أُخْرَى . وَالْقُرُوفُ : التَّبَعُ .

(٦) الْأَيْهَمُ : الْأَعْمَى ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا فَهْمَ . وَفِي هَامِشِ هـ : « فِي الْعَيْنِ : الْأَيْهَمُ مِنْ الرِّجَالِ : الْأَعْمَى » .

وقال إبراهيم بن هرمة <sup>(١)</sup> ، في تطبيق المفصل - وتلحق هذه المعاني بأخواتها قبل <sup>(٢)</sup> :

وعَمِيمةٌ قد سَقَتْ فيها عاتراً غَفْلاً ومنها عاترٌ مَوْسُومٌ <sup>(٣)</sup>  
طَبَّقَتْ مَفْصِلَها بغير حديدٍ فرأى العَدُوَّ غَنائى حيث أقوم <sup>(٤)</sup>

\*\*\*

وهذه الصفات التي ذكرها ثمامة بن أشرس ، فوصف بها جعفر بن يحيى <sup>(٥)</sup> ، كان ثمامة بن أشرس قد انتظمها لنفسه ، واستولى عليها دون جميع أهل عصره. وما علمت أنه كان في زمانه قَرَوًى ولا بَلَدِيٌّ، كان بَلَعٌ من حُسْن الإِفْهَام مع قَلَّةِ عدد الحروف ، ولا من سُهولة المَخْرَج مع السلامة من التكلُّف ، ما كان بَلَعُهُ . وكان لفظُهُ في وزن إشارته ، ومعناه في طَبَقَةِ لَفْظِهِ ، ١٠ ولم يكن لفظُهُ إلى سمعك بأسرَع من معناه إلى قلبك .

قال بعضُ الكتاب : معاني ثمامة الظاهرة في ألفاظه ، الواضحة في مخرج كلامه ، كما وصف الخُرَيْمِيُّ شِعَرَ نفسه في مدح أي دُلْف ، حيث يقول :

له كَلِمٌ فيك معقولةٌ إزاء القلوب كركب وقوفٍ <sup>(٦)</sup>

١٥ (١) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة القهري ، كان من الشعراء المعاصرين لجربروكان الأصمعي يقول : « ختم الشعر بابن هرمة ، وحكم الحضري ، وابن ميادة ، وطليل الكثاني ، وذكين العنزي » . وفي الأغاني ( ٤ : ١١٣ ) : « ولد ابن هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها :

إن القواني قد أعرضن مقلية لا رعى هدف الحسين ميلادي

ثم عبر بعدها مدة طويلة . وقد ذكر ابن جني في المجهج ٥٥ اشتقاق اسمه من الحرم ، بالفتح ، وهو ضرب من التبت .

(٢) انظر ما سبق في ص ١٠٧ — ١٠٩ هـ : « وتلحق هذه بمعاني أخواتها قبل » .

(٣) عمية ، أراد بها الخطبة الطويلة . والسهم العاتر : الذي لا يدري من رماه .

(٤) أراد أنه أصاب مفصلات المعاني بكلامه الصائب ، غير بذلك الأعداء .

(٥) يشير إلى ما سبق في ص ١٠٥ — ١٠٦ .

(٦) روى البيت في زهر الأدب ( ٤ : ٤٩ ) محرفاً .

وأول هذه القصيدة قوله :

أبا ذَلِيفَ ذَلَفْتُ حاجتي إليك وما خَلَّتْها بالدُّلُوفِ (١)

ويظنون أن الحُرُمِيَّ إنما احتذى في هذا البيت على كلام أيوب بن القُرَيْبَةِ (٢) حين قال له بعضُ السلاطين (٣) : ما أعددتَ لهذا الموقف ؟ قال : « ثلاثة حروف (٤) كأنهن ركبٌ وقوف : دنيا ، وآخرة ، ومعروف (٥) » .

وحذثنى صالح بن خاقان ، قال : قال شبيب بن شيبه (٦) : « الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء ، ومدح صاحبه ، وأنا موكل بتفضيل جودة القطع ، ومدح صاحبه . وحطُّ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة ، أرفع من حفظ سائر البيت » . ثم قال شبيب : « فإن ابتليت بمقام لأبد لك فيه من الإطالة ، فقدّم إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطأ ، قبل التقدم في إحكام البلوغ في شرف التجويد . وإياك أن تعدل بالسلامة شيئاً ، فإن قليلاً كافياً خيرٌ من كثيرٍ غير شاف » .

ويقال إنهم لم يروا خطيباً قطً بلدياً إلا وهو في أول تكلفه لتلك المقامات كان مُستَعْلَماً مستصفاً أيامَ رياضته كلها ، إلى أن يتوقع وتستجيب له المعاني ،

(١) بدل هذا البيت في ل :

ألا من دعاني ومن دلتني على رائدى ورسولى خروفي

(٢) سبقت ترجمته في ص ٢٠ - ٢١ .

(٣) هو الحاجب بن يوسف ، وكان قد أسو فمين أسر من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث . انظر زهر الآداب ( ٤ : ٤٩ ) وابن خلكان ( ١ : ٨٣ ) .

(٤) ل : « صروف » . وفي هامش ل : « الصرف : الحيلة » . والمراد بالحروف هنا الكلمات .  
(٥) زاد في زهر الآداب : « وقال له الحاجب : بسما منيت به نفسك يا ابن القرية . أتراقى ممن تحدهه بكلامك وخطبك ، وإفقه لأنت أقرب إلى الآخرة من موضع نعل هذا . قال : أقلنى عني ، وأسأنى ربي ؟ فإنه لا بد للجنود من كبره ، والسيف من نبوه ، والحليم من صبره . قال : أنت إلى القبر أقرب منك إلى الغفر » .

(٦) سبقت ترجمته في ص ٢٤ .



ويتمكّن من الألفاظ ، إلا شبيب بن شيبه ؛ فإنه كان قد ابتدأ بجلالة ورشاقة ، وسهولة وعذوبة ؛ فلم يزل يزداد منها حتى صار في كل موقف يطلع بقليل الكلام مالا يبلّغه الخطباء المصارع بكثيره .

قالوا : ولما مات شبيب بن شيبه أتاهم صالح المري<sup>(١)</sup> ، في بعض من أتاهم للتعزية ، فقال : « رحمة الله على أديب الملوك ، وجليس الفقراء ، وأخي المساكين » .  
وقال الرّاجز<sup>(٢)</sup> :

إذا غَدَتْ سعدٌ على شبيبها      على فتاها وعلى خطيبها  
من مطلع الشمس إلى مغيبها      عَجِبْتُ مَنْ كَثَرَتْهَا وطيبها  
حدثني صديق لي قال : قلت للعتّائي : ما البلاغة ؟ قال : كلُّ مَنْ  
أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ ، فإن أردت  
اللسان الذي يروق الألسنة<sup>(٣)</sup> ، ويفوق كلَّ خطيب ، فإظهار ما غمض من  
الحق ، وتصوير الباطل في صورة الحق . قال : فقلت له : قد عرفت الإعادة  
والحُبسة ، فما الاستعانة ؟ قال : أما تراه إذا تحدّث قال عند مقاطع كلامه :  
يا هتاه ، ويا هذا ، وياهي ، واسمع مني واسمع إلي ، وافهم عني ، أولست  
تفهم ، أولست تعقل . فهذا كله وما أشبه عي وفساد .

(١) هو صالح بن بشر بن وادع المري ، أبو بشر البصري ، القاضي البغدادي ، أحد رواة الحديث  
الصلابة البلاء ، كان مملوكاً لامرأة من بني مرة بن الحارث فأعتقه . توفي سنة ١٧٢ أو ١٧٦ . تهذيب  
التهذيب وصفة الصفة ( ٣ : ٢٦٥ ) .

(٢) هو أبو نخيلة الرّاجز ، كما في الحيوان ( ٥ : ٥٩٢ ) والأغانى ( ١٨ : ١٣٩ ) . ويرى أبو  
الفرج من سبب الرّجز أن أبا نخيلة رأى على شبيب حلة فأعجبه ، فسأله إياها فوعده فمطله ، فقال فيه :

يا قوم لا تسودوا شيئا      الخائن ابن الخائن الكنهي

هل تلد الذئبة إلا الذئبا

قال : فبلغه ذلك فبعث إليه بها ، فمدحه بهذا الرّجز .

(٣) راق عليه : زاد عليه فضلا . وقد عداه هنا بغير الحرف . وأتشد في اللسان :

ولقت على البيض الحسا      ن بحسنا وبهاها

قال عبد الكريم بن رَوْح الْفَقَارَى ، حدثني عُمَرُ الشُّمَيْرِيُّ ، قال : قيل لعمرو بن عُبيد <sup>(١)</sup> : ما البلاغة ؟ قال : ما بَلَغَ بك الجنة ، وعدَلْ بك عن النار ، وما بصَّرَكَ مواقعَ رُشْدِكَ وعواقبَ غَيِّكَ . قال السائل : ليس هذا أريد . قال : مَنْ لم يُحَسِّنْ أَنْ يَسْكُتْ لم يُحَسِّنْ أَنْ يَسْتَمِعْ ، وَمَنْ لم يُحَسِّنِ الاستماعَ لم يُحَسِّنِ القول . قال : ليس هذا أريد . قال : قال النبي ﷺ : « إِنَّا مَعَشَرُ الْأَنْبِيَاءِ بِكَاءٌ » أى قليلو الكلام . ومنه قيل رجل بَكِيٌّ . وكانوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ . قال : قال السائل : ليس هذا أريد . قال : كانوا يخافون مِنْ فِتْنَةِ القول ، ومن سَقَطَاتِ الكلام ، ما لا يخافون من فِتْنَةِ السكوت ومن سَقَطَاتِ الصمت . قال السائل : ليس هذا أريد . ١٠ قال عمرو : فكأنَّكَ إِنَّمَا تريد تَحْيِيرَ اللَّفْظِ <sup>(٢)</sup> ، في حسن الإِفْهَام ، قال : نعم . قال : إِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَ تَقْرِيرَ حُجَّةِ اللَّهِ فِي عَقُولِ الْمُكَلَّفِينَ <sup>(٣)</sup> ، وَتَخْفِيفَ الْمَوَازِينِ عَلَى الْمُسْتَمْعِينَ ، وَتَرْبِيعَ تِلْكَ الْمَعَانِي فِي قُلُوبِ الْمُرِيدِينَ ، بِالْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسَنَةِ فِي الْأَذَانِ ، الْمَقْبُولَةِ عِنْدَ الْأَذْهَانِ ، رَغِيَةً فِي سُرْعَةِ اسْتِجَابَتِهِمْ ، وَنَفْيِ الشَّوَاغِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ فَصْلَ الْخِطَابِ ، وَاسْتَوْجِبْتَ <sup>(٤)</sup> عَلَى اللَّهِ جَزِيلَ الثَّوَابِ . قلت لعبد الكريم: مَنْ هذا الَّذِي صَبَرَ لَهُ عَمْرُوٌ هَذَا الصَّبْرُ ؟ قال : قد سألت عن ذلك أبا حفص فقال : ومن كَانَ يَجْرِى عَلَيْهِ هَذِهِ الْجُرْأَةُ إِلَّا حَفْصُ بْنُ سَالِمٍ .

قال عُمَرُ الشُّمَيْرِيُّ : كَانَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ لَا يَكَادُ يَتَكَلَّمُ ، فَإِذَا تَكَلَّمَ لَمْ يَكُنْ ٧٢

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٣ . وانظر كلام عمرو بن عبيد هذا في عيون الأخبار ( ٢ : ١٧٠ ) .

(٢) فيما عدل ، هـ : « تغيير اللفظ » .

(٣) في الأصول : « التكلمين » ، صوابه من عيون الأخبار ( ٢ : ١٧١ ) .

(٤) وكذا في عيون الأخبار : « واستوجب » . وفي ل : « واستحققت » .

يُطِيل . وكان يقول : لا خير في المتكلم إذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه وإذا طال الكلام عرّضت للمتكلم أسباب التكلف ، ولا خير في شيء يأتيك به التكلف .

وقال بعضهم - وهو من أحسن ما اجتنيته وذوّته - لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى سمك أسبق من معناه إلى قلبك .

وكان مويّس بن عمران <sup>(١)</sup> يقول : لم أر أنطلق من أيوب بن جعفر ، ويحيى بن خالد .

وكان ثمامة يقول : لم أر أنطلق من جعفر بن يحيى بن خالد .

وكان سهل بن هارون يقول : لم أر أنطلق من المأمون أمير المؤمنين .

وقال ثمامة : سمعت جعفر بن يحيى يقول لكتابه : « إن استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا » .

وسمعت أبا العتاهية يقول : « لو شئت أن يكون حديثي كله شعراً موزوناً لكان » .

وقال إسحاق بن حسان بن قوهي <sup>(٢)</sup> : لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع

أحد قط . سئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة .

(١) مويّس بن عمران : معاصر للجاحظ ، كان من بخلاء الناس ، ومن أصحاب النظام . سئل عنه أبو شبيب القلال فرغم أنه لم ير قط أشح منه على الطعام . قيل : وكيف ؟ قال : يملك على ذلك أنه يصنعه صنعة ، ويبيته ببيتة من لا يريد أن يمسي . انظر البخلاء ٥٨ . وفي القاموس : ومويّس ، كأهيس ، ابن عمران : متكلم . وانظر الحيوان ( ٥ : ٤٦٨ ) .

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الحرّبي ، قال الخطيب في تاريخ بغداد ٣٣٦٩ : وأصله من خراسان من بلاد السغد ، وكان متصلاً بخزيم بن عامر المري وآله ، فنسب إليه . وقيل : كان اتصاله بثمان بن خريم .. وأبوه خزيم الموصوف بالناعمة . ثم قال : وله مناليج في محمد بن منصور بن زياد ويحيى بن خالد وغيرهما . وما سرّويه الجاحظ من كلام ابن المقفع ، أوردته المسكوي في الصباغتين ١٤ وفسره تفسيراً .

- فمنها ما يكون في السُّكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سَجْعاً وخطباً ، ومنها ما يكون رسائل . فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها ، والإشارة إلى المعنى <sup>(١)</sup> ، والإيجاز ، هو البلاغة . فأما الخطب بين السَّمَاطَيْن ، وفي إصلاح ذابِ التين ، فالإكتار في غير خطل ، والإطالة في غير إملال . وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير آيات الشعر البيت الذي إذا سِغَتْ صدره عَرَفَتْ قافيته كأنه يقول : فَرَّقْ بَيْنَ صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد ، وخطبة الصُّلح وخطبة التَّوَاهُبِ <sup>(٢)</sup> ، حتى يكون لكلِّ فنٍّ من ذلك صدرٌ يدلُّ على عَجْزِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي كَلَامٍ لَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَاكَ ، وَلَا يَشِيرُ إِلَى مَعْرَاكَ ، وَإِلَى الْعُمُودِ الَّذِي إِلَيْهِ قَصَدْتَ ، والغرض الذي إِلَيْهِ نَزَعْتَ . قال : فقل له : فَإِنْ مَلَّ السَّامِعُ الْإِطَالََةَ الَّتِي ذَكَرْتَ أَنَّهَا حَقُّ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ ؟ قال : إِذَا أُعْطِيتَ كُلُّ مَقَامٍ حَقَّهُ ، وَقُمْتَ بِالَّذِي يَجِبُ ٧٣ من سياسة ذلك المقام ، وَأَرْضِيتَ من يعرف حقوقَ الكلام ، فلا تهتمُّ لما فائتكَ من رضا الحاسد والعلو ؛ فَإِنَّهُ لَا يَرْضِيهِمَا شَيْءٌ . وَأَمَّا الْجَاهِلُ فَلَسْتَ منه وليس منك . ورضا جميع الناسِ شيءٌ لَا تَنَالُهُ . وقد كان يُقال : « رضا الناسِ شيءٌ لَا يُنَالُ » .

- قال : والسُّنَّةُ فِي خطبة النكاح أن يطيل الخطابُ ويقصر المُجِيبُ .  
أَلَا تَرَى أَنَّ قَيْسَ بْنَ خَارِجَةَ بْنَ سَيْنَانَ <sup>(٣)</sup> ، لما ضرب بصفيحة سيفه مؤخرَ راحلتي الحامِئَيْنِ فِي شَأْنِ حَمَّالَةِ داحسٍ والغبراء <sup>(٤)</sup> ، وقال : مَالِي فِيهَا أَيُّهَا ٢٠

(١) في الصناعتين : « والإشارة إلى المعنى أبلغ » .

(٢) فيما عدا ل : « الموهب » .

(٣) ضرب الجاحظ في الحيوان ( ٦ : ١٦١ ) بخطبة ستان المثل في الطول .

(٤) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم . وانظر لحرب داحس والغبراء =

التَّسْتِمَتَانِ <sup>(١)</sup> ؟ قَالَا لَهُ : بَلْ مَا عِنْدَكَ ؟ قَالَ : عِنْدِي قِرَى كُلُّ نَازِلٍ ، وَرِضَا كُلُّ سَاحِطٍ ، وَخُطْبَةٌ مِنْ لَدُنْ تَطْلُعِ الشَّمْسِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ ، أَمْرٌ فِيهَا بِالتَّوَاصُلِ وَأَنْتَهَى فِيهَا عَنِ التَّقَاطُعِ . قَالُوا : فَخُطِبَ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ فَمَا أَعَادَ فِيهَا كَلِمَةً وَلَا مَعْنًى ، فَقِيلَ لِأَيِّ يَعْقُوبَ <sup>(٢)</sup> : هَلَّا اكْتَفَى بِالْأَمْرِ بِالتَّوَاصُلِ عَنِ التَّهْنِئَةِ عَنِ التَّقَاطُعِ ؟ أَوْ لَيْسَ الْأَمْرُ بِالصَّلَاةِ هُوَ التَّهْنِئَةُ عَنِ الْقَطِيعَةِ ؟ قَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتُ . أَنَّ الْكِنَايَةَ وَالتَّعْرِيزَ لَا يَعْمَلَانِ فِي الْعُقُولِ عَمَلُ الْإِفْصَاحِ وَالتَّكْشِفِ <sup>(٣)</sup> .

قَالَ : وَسُئِلَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ عَنْ قَوْلِ عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ : « مَا يَتَصَعَّدُنِي كَلَامٌ كَمَا تَتَصَعَّدُنِي خُطْبَةُ النِّكَاحِ » <sup>(٤)</sup> . قَالَ : مَا أَعْرِفُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ قُرْبَ الْوُجُوهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، وَنَظَرَ الْجِدَاقَ مِنْ قُرْبٍ فِي أَجْوَافِ الْجِدَاقِ . وَلَئِنْ إِذَا كَانَ جَالِسًا مَعَهُمْ كَانُوا كَأَنَّهُمْ نُظَرَاءُ وَأَكْفَاءُ ، فَإِذَا عَلَا الْمِنْبَرَ صَارُوا سُوقَةً وَرَعِيَّةً .

وَقَدْ ذَهَبَ ذَاهِبُونَ إِلَى أَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِ عُمَرَ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ الْخُطْبَةَ لَا يَجِدُ بُدْأً مِنْ تَرْكِيزِ الْخَاطِبِ ، فَلَعَلَّهُ كَرِهَ أَنْ يَمْدَحَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، فَيَكُونُ قَدْ قَالَ زُورًا وَغَرَّ الْقَوْمَ مِنْ صَاحِبِهِ . وَلَعُمْرِي إِنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ لَيَجُوزُ إِذَا كَانَ الْخُطْبَةُ مَوْقُوفًا عَلَى الْخُطَابَةِ . فَأَمَّا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَأَشْبَاهُهُ مِنَ الْأُمَمَةِ ١٥ الرَّاشِدِينَ ، فَلَمْ يَكُونُوا لِيَتَكَلَّفُوا ذَلِكَ إِلَّا فِيمَنْ يَسْتَحَقُّ الْمَدْحَ .

= الْأَغْنَى ( ٧ : ١٤٣ ) وَالْمَقَدِّ ( ٣ : ٣١٣ ) ، وَكَامِلُ ابْنِ الْأَثِيرِ ( ١ : ٣٤٣ ) ، وَأَسْثَالُ الْمِيثَاقِ ( ١ : ٣٥٩ / ٢ : ٥١ ) .

(١) العشمة ، بالتحريك : الشيخ الحرم الذي تقارب خطوه وانحنى ظهره .

(٢) هو إسحاق بن حسان بن قوهي ، الذي سبقت ترجمته في ص ١١٥ .

(٣) فيما عدل : « والتكشف » .

(٤) تصعده الأمر تصعداً : شق عليه ، كصاعد به . وانظر ص ١٣٤ .

وروى أبو مِخْنَفٍ <sup>(١)</sup> ، عن الحارث الأعور <sup>(٢)</sup> ، قال : « والله لقد رأيتُ عليّاً وإنه ليخطبُ قاعداً كقائم ، ومحارِباً كُمُسلم » . يريد بقوله : قاعداً ، خطبة النكاح .

وقال الهيثم بن عديّ : لم تكن الخطباءُ تخطبُ قعوداً إلا في خطبة النكاح . ٧٤

\*\*\*

وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطبِ يومَ الحَفَلِ ، وفي الكلام يومَ الجَمْعِ آى من القرآن ؛ فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار ، والرقّة ، وسَلَسَ الموقع <sup>(٣)</sup> .

قال الهيثم بن عديّ : قال عمران بن حِطّان : إنّ أوّلَ خطبةٍ خطبُها ، عند زياد - أو عند ابن زياد <sup>(٤)</sup> - فأعجِبَ بها الناس ، وشهدوا عَمّى وأبى . ثم إني مررتُ ببعض المجالس ، فسمعتُ رجلاً يقولُ لبعضهم : هذا الفتى أخطبُ العربَ لو كان في خطبته شيءٌ من القرآن .

وأكثرُ الخطباءِ لا يتمثلون في خطبتهم الطّوالَ بشيءٍ من الشعر ولا يكرهونه في الرسائل ، إلا أن تكون إلى الخلفاء .

وسمعتُ مؤملاً بنَ خاقانَ ، وذكر في خطبته تميمَ بن مُرّ ، فقال : « إنّ

(١) هو أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدى القامدي . شيخ من أصحاب الأخبار بالكوفة . روى عن الصّحق بن زهير ، وجابر الجعفي ، ومجالد . روى عنه المدائني ، وعبد الرحمن ابن مغراء . ومات قبل السبعين ومائة . انتهى المقال ٢٤٨ ولسان الميزان وابن النديم ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) كان الحارث الأعور من رجال علي في حرب صفين ، وكان جهور الصوت . انظر وقعة

٢٠ صفين ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) فيما عدا ل : « وحسن الموقع » .

(٤) فيما عدا ل : « لو قال عند ابن زياد » .

تحيماً لها الشرف العود<sup>(١)</sup> ، والعز الأقس ، والعد الهيصل<sup>(٢)</sup> . وهي في الجاهلية القدم ، والدروة والسنام . وقد قال الشاعر :

فقلت له وأتكر بعض شأني ألم تعرف رقاب بني تميم  
وكان المؤمل وأهله يخالفون جمهور بني سعيد في المقالة ، فليدة تحذبه  
على سعيد وشقيقته عليهم ، كان يناضل عند السلطان كل من سعى  
على أهل مقاتلهم ، وإن كان قوله خلاف قولهم ؛ حذبا عليهم .  
وكان صالح المرى ، القاص العابد ، البليغ ، كثيراً ما ينشد في قصصه  
وفي مواعظه ، هذا البيت :

فبات يُرَوَّى أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل<sup>(٣)</sup>

وأنشد الحسن في مجلسه ، وفي قصصه وفي مواعظه :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء<sup>(٤)</sup>

وأنشد عبد الصمد بن الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي ، الخطيب  
القاص السجاع ، إمّا في قصصه ، وإمّا في خطبة من خطبه ، رحمه الله :

أرض تحيرها لطيب مقيليها كعب بن مامة وابن أم دؤاد<sup>(٥)</sup>

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد<sup>(٦)</sup>

فأرى النعيم وكل ما يلهى به يوماً يصير إلى بلى ونقاد<sup>(٧)</sup>

(١) في هامش ه : ح : العد . والشرف العود ، يفتح العين : القديم . قال الطرمح :

هل المجد إلا السجود العود والندى ورأب التأوى والصبر عند المواطن

(٢) المز الأقس : الثابت المنج . والعد الهيصل : الكثير .

(٣) انظر الحيوان ( ٦ : ٥٠٨ ) .

(٤) البيت لعدي بن الرعلاء الفسافي ، كما في الخزانة ( ٤ : ١٨٧ ) وحاشية ابن السجري . ٥١

وانظر الحيوان ( ٦ : ٥٠٨ ) .

(٥) الأبيات للأسود بن يعفر من قصيدة في المفضليات ( ٢ : ١٦ - ٢٠ ) . والثاني والأخير

منها ليس في ل .

(٦) الرواية المعروفة كما في المفضليات : « فإذا النعم » .

وقال أبو الحسن : خطب عبيد الله بن الحسن <sup>(١)</sup> على منبر البصرة في ٧٥ العيد وأُشيد في خطبته :

أَيْنَ الْمُلُوكِ الَّتِي عَنْ حَظِّهَا غَفَلْتُ      حَتَّى سَقَاها بِكَأْسِ الْمَوْتِ سَاقِها  
تِلْكَ الْمَدَائِنُ بِالْأَفَاقِ خَالِيَةً      أُمِسْتُ خَلَاءً وَذَاقَ الْمَوْتَ بَازِها

٥. قال : وكان مالك بن دينار <sup>(٢)</sup> يقول في قصصه : « ما أَشَدَّ فِطَامِ الكَبِيرِ » وهو كما قال القائل :

وَرَوْضُ عِرْسِكَ بَعْدَما هَرِمْتَ      وَمِنَ الْعَنَاءِ رِياضَةُ الْهَرَمِ <sup>(٣)</sup>

ومثله أيضاً قول صالح بن عبد القدوس :

وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ      حَتَّى يُوَارِيَ فِي ثَرَى رَمْسِهِ <sup>(٤)</sup>  
إِذَا ارْعَوَى عَادَ إِلَى جَهْلِهِ      كَذَى الضُّنَى عَادَ إِلَى نُكْسِهِ

وقال كلثوم بن عمرو العتّابي :

وَكُنْتُ أَمْرًا لَوْ شِئْتُ أَنْ تَبْلُغَ الْمَدَى      بَلَّغْتُ بِأَدْنَى نَعْمَةٍ تَسْتَدِيمُها  
وَلَكِنْ فِطَامُ النَّفْسِ أَثْقَلَ مَحْمَلًا      مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ حِينَ تُرَوِّمُها

• • •

١٥. وكانوا يمدحون الجَهِيرَ الصَّوْتِ ، ويُدْمُون الضَّعِيلَ الصَّوْتِ ؛ ولذلك تشادقوا

(١) هو عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن أبي الحر العنبري البصري ، كان من قضاة البصرة وقضاة العالمين بالحديث . توفى بالبصرة سنة ١٦٨ . وتهذيب التهذيب والسماعان ٤٠٠ . وسيأتي في قول المجاحظ ص ٢٩٤ : « وروى منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاة أمراء : بلال بن أبي بردة ، وسولر ، وعبيد الله ، وأحمد بن أبي رباح » . فيما عدا ل ، هـ : « عبد الله بن الحسن » تحريف (٢) هو أبو يحيى مالك بن دينار ، كان مولى لأميرة من بني سامة بن لؤي ، وكان من كبار الزهاد والعاطف ، وكان يكتب المصاحف . روى عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين كالحسن وابن سبيح . وتوفى نحو سنة ١٣٠ . انظر تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة ( ٣ : ١٩٧ — ٢٠٩ ) حيث روى ابن الجوزي كثيراً من أقواله .

(٣) انظر الحيران ( ١ : ٤١ / ١٠٢٣ ) .

(٤) انظر الحيران ( ٣ : ١٠٢ ) .



في الكلام ، ومدحوا سعة الفم ، وذموا صغر الفم .

قال : وحلثني محمد بن يسير الشاعر قال : قيل لأعرابي :  
ما الجمال ؟ قال : طول القامة وضيق الهامة ، ورُحْب الشدق ، ويُعَد الصوت .

وسأل جعفر بن سليمان أبا الميخش عن ابنه الميخش ، وكان جَزِع  
عليه جزعاً شديداً ، فقال : صِف لي الميخش . فقال : كان أشدق  
حُرطمانياً <sup>(١)</sup> ، سائلاً لعابه ، كأنما ينظر من قَلَتَيْن <sup>(٢)</sup> ، وكأنَّ تَرْقُوتَهُ بُوَانٌ  
أو خَالِفَةٌ <sup>(٣)</sup> ، وكان مَنَكِبَهُ كَزَكْرَةٍ جَمَلٍ تَقَالِ <sup>(٤)</sup> . فقأ الله عينيه إن كنتُ  
رَأَيْتُ قَبْلَهُ أو بَعَثَهُ بِمِثْلِهِ <sup>(٥)</sup> .

قال : وقلت لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : « غُور العينين ، وإشراف

الحاجبين ، ورُحْب الشدقين » .

وقال دَعْفَل بن حنظلة النسابة ، والخطيب العلامة ، حين سَأَلَهُ معاوية  
عن قبائل قريش ، فلما انتهى إلى بني مخزوم قال : « مِعْرَى مَطِيوَةٌ <sup>(٦)</sup> ، عُلَّتْهَا  
قُشْعَرِيَّةٌ ، إلا بني المُغيرة ، فإن فيهم تشادقُ الكلام ، ومصاهرةُ الكرام <sup>(٧)</sup> » .

وقال الشاعر في عمرو بن سعيد الأشدق :

تشادقَ حتى مال بالقول شِدْقُهُ      وكلُّ خطيبٍ لا أبالك أَشْدَقُ  
وأنشد أبو عبيدة :

(١) الحُرطمانى ، بضم الحاء والطاء : الكبير الأنف .

(٢) القلت ، بالفتح : الفتحة في الجبل تحس الماء .

(٣) الترقوة : مقدم الحلق في أعلى الصدر . واليونان بالضم والكسر : عمود في الحياء في مقدمه .

والخالفة : عمود من أعمدة البيت في مؤخره .

(٤) الكركرة : صدر كل ذى عطف . والثفال ، كسحاب : البطيء .

(٥) الخير في الكامل ١٣٦ ليسك وأمالى تطلب ٦١٦ . وسجده الجاهظ في ( ٢ : ٢٧١ ) .

(٦) المعرى توث وتذكر ، فيها التنوين وعنده . مطوية : قد أصابها المطر .

(٧) الخير في الحديث ( ٦ : ٤٦٠ ) .

وضلع الزُّرُوس عِظام البُطُون رِحاب الشُّدّاق غلاظ القَصْر<sup>(١)</sup>  
 قال : وتكلّم يوماً عند معاوية الخطباء فأحسنوا ، فقال : والله لأرْمينهم  
 بالخطيب الأشدق ! قم يا يزيد فكلّم .  
 وهذا القول وغيره من الأخبار والأشعار ، حُجّة لمن زعم أنّ عمرو بن  
 سعيد لم يُسمّ الأشدق للفَقَم ولا للقَوّه .

وقال يحيى بن نوفل ، في خالد بن عبد الله القسريّ<sup>(٢)</sup> :  
 بَلَّ السَّروايلَ مِن خَوْفٍ وَمِنْ وَهْلٍ      وَاسْتَطْعَمَ الْمَاءَ لَمَّا جَدَّ فِي الْهَرَبِ  
 وَأَلْحَنَ النَّاسَ كُلَّ النَّاسِ قَاطِبَةً      وَكَانَ يُوَلِّعُ بِالشَّدِيقِ فِي الْخُطْبِ  
 ويدلّك على تفضيلهم سعة الأشدق ، وهجائهم ضيق الأفواه ، قول الشاعر :  
 ١٠      لَحَى اللَّهُ أَفْوَاهَ الدُّنْيَى مِنْ قَبِيلَةٍ      إِذَا ذُكِرَتْ فِي النَّائِبَاتِ أُمُورُهَا  
 وقال آخر :

وَأَفْوَاهَ الدُّنْيَى حَامِئًا قَلِيلًا      وَلَيْسَ أَخُو الْجِمَامَةِ كَالضُّجُورِ  
 وَإِنَّمَا شَبَّهَ أَفْوَاهَهُمْ بِأَفْوَاهِ الدُّنْيَى ، لصغر أفواههم وضيقها .  
 وعلى ذلك المعنى هجا عبدة بن الطيب<sup>(٣)</sup> حُيَّ بن هَزَالٍ وابنته ، فقال :  
 ١٥      تَدْعُو بُنْيَيْكَ عِبَادًا وَجَدِيمَةً      فَافَارَةَ شَجَّهَا فِي الْجُحْرِ مَحْفَارُ<sup>(٤)</sup>

(١) القصر ، بالتحريك : أصول الأعناق ، واحدها قصرة . هـ : طوال القصر هـ .  
 (٢) كان خالد القسري قد خرج عليه المغيرة بن سعيد العجلي صاحب المغيرة ، ففرج  
 لذلك . و يروى الجاحظ في الحيوان ( ٢ : ٢٦٧ / ٦ : ٢٩٠ ) أنه اضطرب وقال : « أطعموني ماء هـ  
 لشدة ذهوله . وانظر ما سيأتى في ( ٢ : ٢٦٦ ) .  
 (٣) عبدة ، بسكون الباء ، وهو عبدة بن الطيب - واسم الطيب يزيد - بن عمرو بن وعلّة بن  
 أنس بن عبد الله بن عبد نهم بن جشم بن عبد شمس . شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم ، وشهد مع النبي  
 ابن حنظلة قتال هرمز سنة ١٣ . وكان في جيش النعمان بن مقرن الذي حارب الفرس بالمداين .  
 (٤) انظر هذا البيت في أبيات رواها في الحيوان ( ٥ : ٢٦٣ - ٢٦٤ ) : شجها ، أى شج  
 الفأرة : كسر رأسها . والمحفار والمخفر واليمخفرة : المسحاة ونحوها مما يحضر به .

وقد كان العباس بن عبد المطلب [ جهوراً <sup>(١)</sup> ] جهير الصوت . وقد مدح بذلك ؛ وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حنين ، حين ذهب الناس عن رسول الله ﷺ ، فنادى العباس : يا أصحاب سورة البقرة <sup>(٢)</sup> ، هذا رسول الله . فتراجع القوم . وأنزل الله عز وجل النص <sup>(٣)</sup> وأتى بالفتح .

- ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : كان قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف ، يمشو حول البيت ، فيسمع ذلك من جراء . قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ ، فالتصدي : التصفيق . والمكاء : الصفيق أو شبيه بالصفيق . ولذلك قال عترة :  
 وحليل غانية تركت مجذلاً      تمكو فريصته كشيق الأعليم  
 وقال العجيز السلولي <sup>(٥)</sup> في شدة الصوت :

١٠. ومنهن قرعى كل باب كأنما      به القوم يرجون الأذين نسور <sup>(٦)</sup>  
 فجت وخصمي يصيرون أيوبهم      كما قصبت بين الشفار جزور <sup>(٧)</sup>  
 لدى كل موثوق به عند مثلها      له قدم في الناطقين خطير  
 جهير ومتمد العنان متاقل      بصير بغورات الكلام خبير <sup>(٨)</sup>

١٥. (١) الجهور : ذو المنظر والهيئة الحسنة : وهذه التكملة مما عدل .  
 (٢) كنا . والمعروف « يا أصحاب السرة » . والسرة هي الشجرة التي تمت عندها يعة الرضوان . انظر ( غزوة حنين ) في كتب التاريخ والسيرة .  
 (٣) فيما عدل ، هـ : « النص » .  
 (٤) قيس بن عزمة : أحد الصحابة . وكان من المؤلفة قلوبهم . ولد عام الفيل عام ولد الرسول الكريم . الإصابة ٧٢٢٩ .  
 (٥) المعجر ، ويقال أيضاً « المعجر » بفتح العين : شاعر من شعراء الدولة الأموية مقل . وقد عدله ابن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام . انظر الخزنة ( ٢ : ٢٩٨ ) والأغاني ( ١١ : ١٤٦ - ١٥٤ ) .  
 (٦) الأذين والأذن : الحاجب صاحب الإذن . وانظر الأبيات في الحيوان ( ٤ : ٢٩١ ) ، وأسأل ثعلب والأغاني ( ١١ : ١٤٦ - ١٥٤ ) .  
 (٧) الخضم يقال للموحد والجمع . صرف نايه : حرفه فسبح له صوتا . قصبت : قطعت .  
 (٨) المناقلة : تبادل الحديث .

فَظَلَّ رِدَاءُ الْعَصَبِ مُلْقَى كَأَنَّهُ سَلَى فَرَسٍ تَحْتَ الرِّجَالِ عَقِيرٌ <sup>(١)</sup>  
 لَوْ أَنَّ الصُّخُورَ الصَّمَّ يَسْمَعَنَّ صَلَاتَنَا لَرُحْنَ فِي أَعْرَاضِهِنَّ فُطُورٌ <sup>(٢)</sup>  
 الصَّلَاتُ : شدة الصوت . وفُطُورٌ : شقوق .

وقال مُهْلَهْل :

٥ . وَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ أَهْلَ حَجَرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقَرِّعُ بِالذُّكُورِ <sup>(٣)</sup>  
 والصَّرِيفُ : صوت احتكاك الأنياب ، والصَّلِيلُ : صوت الحديد هاهنا . وفي  
 شَيْدَةِ الصَّوْتِ قال الأعشى <sup>(٤)</sup> في وصف الخطيب بذلك :  
 فِيهِمُ الْخِصْبُ وَالسَّمَاحَةُ وَالنَّجْدُ لَدَّةٌ جَمْعاً وَالْخَاطِبُ الصَّلَاقُ <sup>(٥)</sup>

وقال بشار بن برد في ذلك يهجو بعض الخطباء :

٧٨ ١٠ . وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنَّ قَمَتَ نَاطِقاً وَأَنْتَ ضَيْلُ الصَّوْتِ مَتَفَخِ السَّحْرِ  
 ووقع بين قتي من الثَّصَارِي وَيْنِ ابْنِ فِهْرِيزِ الْبَطْرَانِ كَلَامٌ ، فقال له الفتى :  
 مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ وَاحِدٌ أَجْهَلُ مِنْكَ ! وَكَانَ ابْنُ فِهْرِيزِ <sup>(٦)</sup> فِي نَفْسِهِ  
 أَكْثَرَ النَّاسِ عِلْماً وَأَدَباً ، وَكَانَ حَرِيصاً عَلَى الْجَلْقَةِ . فقال للفتى : وكيف

(١) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . والسلي : الجملة التي يكون فيها الولد . وفي البيت إقواء .

(٢) الأعراض : الجوانب والتواحي .

١٥

(٣) حجر ، بالفتح : قصبة الجملة . والبيض بالكسر : السيوف ، جمع أبيض . وبالفتح جمع بيضة الحديد التي تقي الرأس . وانظر نقد الشعر لقدامة ٨٤ والموشح ٧٤ ومعجم الرزائي ٣٣١ والحويان ( ٦ : ٤١٨ ) والعمدة ( ٢ : ٥٠ ) والأغانى ( ٤ : ١٤٦ ) . فيما عدا ، هـ : أهل نجد . وقد أشير إلى هذه الرواية في هامش ل .  
 (٤) فيما عدا ن : يقول الأعشى .

(٥) الصلاق : الشده الصوت . ويروى : المصلاق ، و السلاق ، و المسلاق . انظر  
 اللسان ( سلق ، صلق ) ودويان الأعشى ١٤٤ .

٢٠

(٦) ابن فهيرز ، أو ابن هيرز ، اسمه عبد يشوع ، كان يَطْران حِراَن ثم صار مطران الموصل ، وله رسائل وكُتب ذهب فيها إلى إبطال وحدة القنوم التي يقول بها الباقية والملكية ، وكانت له حكمة قريبة من حكمة الإسلام . وقد نقل من كتب المنطق والفلسفة شيئاً كثيراً . انظر ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٣٢٩ ليسك والحويان ( ١ : ٧٦ ) مع الاستراكات الملحقه بالجزء السابع منه .

٢٥

حَلَلْتُ عِنْدَكَ هَذَا الْمَحْلُ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّا لَا نَتَّخِذُ الْجَائِلِيَّ <sup>(١)</sup> إِلَّا مَدِيدَ الْقَامَةِ ، وَأَنْتَ قَصِيرُ الْقَامَةِ ؛ وَلَا نَتَّخِذُهُ إِلَّا جَهِيرَ الصَّوْتِ جِدَّ الْحَقِّ ، وَأَنْتَ دَقِيقُ الصَّوْتِ رَدَىءُ الْحَقِّ <sup>(٢)</sup> ؛ وَلَا نَتَّخِذُهُ إِلَّا وَافِرَ اللَّحْيَةِ عَظِيمُهَا وَأَنْتَ خَفِيفُ اللَّحْيَةِ صَغِيرُهَا ؛ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّا لَا نَخْتَارُ لِلْمَجْتَلِقَةِ إِلَّا رَجُلًا زَاهِدًا فِي الرِّيَاسَةِ ، وَأَنْتَ أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْهَا كَلْبًا ، وَأَظْهَرُهُمْ لَهَا طَلِبًا . فَكَيْفَ لَا تَكُونُ أَجْهَلُ النَّاسِ وَخِصَالُكَ هَذِهِ كُلُّهَا تَمْنَعُ مِنَ الْمَجْتَلِقَةِ ، وَأَنْتَ قَدْ شَغَلْتَ فِي طَلِبِهَا بِأَلَاكَ ، وَأَسْهَرْتَ فِيهَا كَيْلَكَ .

وَقَالَ أَبُو الْحَجَنَاءُ <sup>(٣)</sup> فِي شِدَّةِ الصَّوْتِ :

إِنِّي إِذَا مَازَيْتُ الْأَشْدَاقَ <sup>(٤)</sup> وَالتَّجَّ حَوْلِي النَّعْ وَالْقَلَّاقُ <sup>(٥)</sup>

١٠ \* ثَبَتُ الْجَنَانِي مِرْجَمٌ وَدَّاقُ \* .

الْمِرْجَمُ : الْحَازِقُ بِالْمِرَاجِمَةِ <sup>(٦)</sup> بِالْحَجَارَةِ . وَالْوَدَّاقُ : الَّذِي يُسِيلُ الْحَجَارَةَ كَالْوَدَقِ مِنَ الْمَطَرِ .

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « مَنْ وَقَى شَرَّ لَقْلِقِهِ وَقَبْقَبِهِ وَذَبَذَبَهُ وَقَى الشَّرَّ » .  
يَعْنِي لِسَانَهُ وَبَطْنَهُ وَفَرْجَهُ .

١٥ وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي بَوَاكِي خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ [بِالْمَعْرِفَةِ <sup>(٧)</sup>] : « وَمَا عَلَيْهِنَّ »

(١) فِي هَامِشِهِ هـ : « الْجَائِلِيُّ عِنْدَهُمْ : الْقَبْسِيُّ الْأَكْبَرُ الَّذِي لَا يَقْطَعُ الْأَمْرَ دُونَهُ وَالْمَطْرَانُ دُونَ ذَلِكَ » .

(٢) فِي النِّسْخِ : « الْحَقُّ » بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، تَصْغِيرٌ . وَفِي الْحَيَوَانِ ( ٣ : ٤٣٥ ) :

« وَفِي السَّنَدِ حُلُوقٌ جَيَادٌ » . وَفِي رَسَائِلِ الْجَلِيزِ ١١٨ : « وَمِنْ مَفَاخِرِ الزَّرْخِ حَسَنُ الْحَقِّ وَجُودَةُ الصَّوْتِ » .

(٣) أَبُو الْحَجَنَاءِ ، هُوَ نَصِيبُ الْأَصْفَرِ ، مَوْلَى الْمُهَدِي ، وَكَانَتْ لَهُ بِنْتُ تَسْمَى « حَجَنَاءُ » .

٢٠ وَهُوَ الْقَاتِلُ فِي الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى :

مَا لَقِينَا مِنْ جُودِ فَضْلِ بْنِ يَحْيَى تَرَكَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شِعْرَاءَ

الْأَغَانِي ( ٢٠ : ٢٥ — ٣٤ ) .

(٤) زَيْبُ الْأَشْدَاقِ : ظَهَرَ عَلَيْهَا الزَّيْدُ . وَالزَّجَزُ فِي اللِّسَانِ ( زَيْبٌ ، لَقَقٌ ) .

(٥) الْقَلَّاقُ وَالْقَلْقَةُ : الصَّوْتُ وَالْجَلْبَةُ .

٢٥ (٦) ل : « بِالْمُوَاجَهَةِ » صَوَابُهُ فِي سَائِرِ النِّسْخِ .

(٧) هَذَا مِمَّا عَمِلَ ل .

أَنْ يُرْفَعَ مِنْ دُمُوعِهِ عَلَى أُنَى سُلَيْمَانَ مَا لَمْ يَكُنْ تَقَعُ أَوْ لَقَلَقَةً <sup>(١)</sup> .

وجاء في الأثر : « ليس منا مَنْ خَلَقَ أَوْ صَلَقَ ، أَوْ سَلَقَ ، أَوْ شَقَّ <sup>(٢)</sup> » .

وَمَا مَدَحَ بِهِ الْعُمَانِيُّ هَارُونَ الرَّشِيدَ ، بِالْقَصِيدِ دُونَ الرَّجَزِ ، قَوْلُهُ :

جَهْرُ الْعُطَّاسِ شَدِيدُ النَّيَاطِ جَهْرُ الرُّوَاءِ جَهْرُ النَّعَمِ

وَيَخْطُو عَلَى الْأَيْنِ خَطْوُ الظَّلِيمِ وَيَعْلُو الرِّجَالُ بِجَسَمِ عَمَمٍ

النَّيَاطُ : معاليق القلب . وَالْأَيْنُ : الإعياء . وَالظَّلِيمُ : ذكر النعام . ٧٩

وَيَقَالُ إِنَّهُ لَعَمَمُ الْجَسَمِ ، وَإِنْ جَسَمَهُ لَعَمَمٌ ، إِذَا كَانَ تَأَمُّمًا . وَمِنْهُ قِيلَ نَبْتُ عَمَمٍ .

وَأَعْتَمُ النَّبْتُ ، إِذَا تَمَّ .

وَكَانَ الرَّشِيدُ إِذَا طَافَ بِالْبَيْتِ جَعَلَ لِإِزَارِهِ ذَنْبَيْنِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، ثُمَّ

طَافَ بِأَوْسَعِ مِنْ خَطْوِ الظَّلِيمِ ، وَأَسْرَعَ مِنْ رَجْعِ يَدِ الذَّنْبِ . ١٠

وَقَدْ أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ السُّنْدِيِّ بِمَحْصُولِ ذَرْعِ ذَلِكَ الْخَطْوِ ، إِلَّا أُنَى

أَحْسَبِيهِ فَرَأَسَخَ فِيمَا رَأَيْتُهُ يَذْهَبُ إِلَيْهِ .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : وَنَظَرَ إِلَيْهِ أَعْرَاقِي فِي تِلْكَ الْحَالِ [ وَالْهَيْئَةِ <sup>(٣)</sup> ] فَقَالَ :

« خَطْوُ الظَّلِيمِ رِيعٌ مُنْسَى فَإِنْ شَمَرَ . »

رِيعٌ : فُرْعٌ . مُنْسَى : حِينَ الْمَسَاءِ . انْشَمَرَ : جَدَّ فِي الْمَرْبِ . ١٥

وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ السُّنْدِيِّ قَالَ : لَمَّا أَتَى عَبْدَ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ وَقَدْ رَوَّمُ

وَهُوَ فِي بِلَادِهِمْ <sup>(٤)</sup> ، أَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ رِجَالًا فِي السَّمَاطِينَ هُمْ قَعَصَرٌ وَهَامٌ ، وَمَنَاكِبُ

وَأَجْسَامٌ ، وَشَوَارِبُ وَشَعُورٌ ، فَبَيْنَاهُمْ قِيَامٌ يَكْلُمُونَهُ وَمِنْهُمْ رَجُلٌ وَجْهُهُ فِي قَفَا

(١) فسر « النقع » في اللسان ( ١٠ : ٢٤١ ) بأنه رفع الصوت ، أو أصوات الخلود إذا ضربت ؛

أو وضعهن النقع ، وهو الفبار ، على رءوسهن ؛ أو شق الجيوب . وفي حواشي هـ : « ليس في الحديث

أو سلق بالسين ، وإنما جاء به ليعلم أنهما لفتان بمعنى »

(٢) الصلوق : الصياح والولولة . والصلوق مثله ، أو تحمش الوجه عند المصيبة .

(٣) هذه مما عدل لـ .

(٤) فيما عدل لـ : « في البلاد » .

البَطْرِيق إِذْ عَطَسَ عَطَسَةً ضَمِيلَةً ، فلاحظه عَبْدُ الْمَلِكِ ، فلم يدرِ أَى شَيْءٍ أَنْكَرَ مِنْهُ ، فلما مضى الْوَفْدُ قَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ، هَلَا إِذْ كُنْتَ ضَيْقَ الْمُنْخَرِ كَرُّ الْخَيْشُومِ ، أَتَبَعْتَهَا بِصِيحَةٍ تَخْلَعُ بِهَا قَلْبُ الْيَلْعِ ؟ ١٩

وَفِي تَفْضِيلِ الْجَهَارَةِ فِي الْخُطْبِ يَقُولُ شُبَّةُ بْنُ عَقَّالٍ <sup>(١)</sup> بِعَقَبِ خُطْبَتِهِ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ :

أَلَا لَيْتَ أُمَّ الْجَهْمِ وَاللَّهِ سَامِعٌ تَرَى ، حَيْثُ كَانَتْ بِالْعِرَاقِ ، مَقَامِي عَشِيَّةَ بَدَأَ النَّاسَ جَهْرِي وَمَنْطَقِي وَبَدَأَ كَلَامَ النَّاطِقِينَ كَلَامِي

وَقَالَ طَحْلَاءُ يَمْدَحُ مَعَاوِيَةَ بِالْجَهَارَةِ وَبِجُودَةِ الْخُطْبَةِ :

رَكُوبُ الْمَنَابِرِ وَثَابُهَا مَعْنُ بِخُطْبَتِهِ مِجْهَرُ

١٠ تَرْجِعُ إِلَيْهِ هَوَادِي الْكَلَامِ إِذَا ضَلَّ خُطْبَتَهُ الْمِهْزَرُ

مَعْنُ : تَعَيَّنَ لَهُ الْخُطْبَةُ فَيَخْطُبُهَا مَقْتَضِيًا لَهَا . تَرْجِعُ : تَرْجِعُ إِلَيْهِ . هَوَادِي الْكَلَامِ : أَوَائِلُهُ . فَأَرَادَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ يَخْطُبُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَذْهَبُ كَلَامُ الْمِهْزَرِ ٨٠ فِيهِ . وَالْمِهْزَرُ : الْمِكْنَارُ .

وَزَعَمُوا أَنَّ أَبَا عَطِيَّةَ غَفِيْفًا النَّصْرِيَّ ، فِي الْحَرْبِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ ثَقِيفٍ

١٥ وَبَيْنَ بَنِي نَصْرٍ ، لَمَّا رَأَى الْخَيْلَ بِعَقْوَتِهِ يَوْمُئِذٍ دَوَائِسَ <sup>(٢)</sup> نَادَى : يَا صَبَاحَاهُ ! أُتَيْتُمْ يَا بَنِي نَصْرٍ . فَأَلْقَتْ الْخَبَالِيُّ أَوْلَادَهَا مِنْ شِدَّةِ صَوْتِهِ . قَالُوا : فَقَالَ رُبِيعَةُ ابْنُ مَسْعُودٍ <sup>(٣)</sup> يَصِفُ تِلْكَ الْحَرْبَ وَصَوْتَ غَفِيْفٍ <sup>(٤)</sup> :

(١) هُوَ شُبَّةُ بْنُ عَقَّالٍ الْمَجَاشِعِيُّ ، مِنْ مَجَاشِعِ رَهْطِ الْفَرَزْدَقِ ، وَهُوَ زَوْجُ جِشْنَ أَسْتِ الْفَرَزْدَقِ ،

كَأَنَّ الْقَائِلَ ٨٥٥ . وَرَوَى ابْنُ سَلَامٍ ١٥٩ أَنَّهُ بَعَثَ بِدِرَاهِمٍ وَحُلَاقٍ وَكِسْفَةٍ وَخَمَرَ إِلَى الْأَخْطَلِ ، وَذَلِكَ لِيُقْضَى الْفَرَزْدَقُ عَلَى جَهْرٍ وَهَسَبٍ .

(٢) الْعُقُورَةُ : مَا بَيْنَ الدَّارِ وَالْخَلَّةِ . دَوَائِسُ : جَمْعُ دَائِسٍ . فِيمَا عَدَلَ ، هـ : « وَأَيْسَ » .

(٣) فِي نَهَائِمِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ كَامِلِ ابْنِ الْأَثِيرِ : « رُبِيعَةُ بْنُ سَفْيَانَ » .

(٤) بِضَمِّ الْمِيمِ وَقَعَ الْفَاءُ ، كَمَا ضَمَّ ابْنُ الْأَثِيرِ . وَضَمُّهُ فِي هـ يَفْتَحُ الْعَيْنَ .

- عَقَاماً ضَرْوساً بَيْنَ عُرْفٍ وَمَالِكٍ شَدِيداً لَفَّاهَا تَرَكَ الطُّفْلُ أَشْيَا  
وَكَانَتْ جُعِيلٌ يَوْمَ عَمْرٍو أَرَاكِهَ أَسْوَدَ الْغَضَى غَاذِرْنَ لَحْماً مُتْرَباً (١)  
وَيَوْمَ بِمَكْرُونَاءَ شَلْتُ مُعْتَبٌ بِغَارَاتِهَا قَدْ كَانَ يَوْمًا عَصَبَصَبَا (٢)  
فَأَسْقَطَ أَحْبَالُ النِّسَاءِ بِصَوْتِهِ عَفِيفٌ وَقَدْ نَادَى بِنَصْرِ فَطْرِبَا (٣)
- وكان أبو عروة ، الذى يقال له أبو عُرْوَةَ السَّبَاع (٤) ، يصيح بالسَّيِّعِ  
وقد احتمل الشَّاةُ ، فيخْلِيا ويذهبُ هاربا على وجهه (٥) . فغضب به الشاعرُ  
المكَلُّ - وهو النابغة الجعدي - فقال :
- وَأَزْجُرُ الْكَاشِحَ الْعَدُوَّ إِذَا غَدَا خَاتَبَكَ عِنْدَى زَجْرًا عَلَى أَصَمِّ (٦)  
زَجَرَ إِلَى عُرْوَةَ السَّبَاعِ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَبَسْنَ بِالْعَنَمِ
١٠. وأنشد أبو عمرو الشَّيْبَانِيُّ لرجلٍ من الخوارج يصف صبيحة شبيب بن  
يزيد بن نعيم (٧) . قال أبو عبيدة وأبو الحسن (٨) : كان شبيبٌ يصيحُ في جَنَابَاتِ

(١) عمرو وأراكة : موضحان .

(٢) مكروءاء ، بفتح أوله : موضع . والعصيب : الشديد .

(٣) الأحبال : جمع حبل ، بالتحريك ، وهو حمل المرأة : هـ : « لدن نادى » .

(٤) كنا ولم أجد من ذكر هذا غيو . وفي التيمورية فقط : « السباح » . ١٥

(٥) في اللسان : « وأبو عروة رجل زعموا كان يصيح بالسَّيِّعِ فيموت ، ويَزْجُرُ الذئبُ فيموت مكانه ، فيشق بطنه فيوجد قلبه قد زال عن موضعه ويخرج من غشائه ! » .

(٦) الأَصَمُّ : الغضب . وفي اللسان ( ١٩ : ٢٨٠ ) : « على وضئ » تحريف .

(٧) شبيب بن يزيد بن نعيم الحارثي ، خرج بالموصل وبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحداً بعد واحد . وفي إحدى حروبهم قهر به فرسه على نهر دجيل - دجيل الأهواز لادجيل ببغداد - ففرق فيه . وكانت تشترك معه زوجته غزالة وكذا أمه جهيزة في مقاومة الحجاج . ولما دخل هو وزوجته غزالة على الحجاج في الكوفة تحصن الحجاج منها وأغلق عليه قصره ، فكذب إليه عمران بن حطان - وكان الحجاج قد لحق في طلبه - :

أَسَدَ عَلَى وَفَى الْحُرُوبِ نَعَامَةً رِبْدَاءَ تَهْبِلُ مِنْ صَغِيرِ الصَّافِرِ

هَلَا يَمُوتُ إِلَى غَزَالَةٍ فِي الْوَجْهِ بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحَيْ طَائِرِ

٢٥

ولد شبيب سنة ٢٦ وتوفي سنة ٧٧ . المعارف ١٨٠ . والأغاني ( ١٦ : ١٤٩ / ٢١ : ٨ ) ووفيات الأعيان .

(٨) هو أبو الحسن علي بن محمد الملقب بالأخيارى .



الجيش إذا أتاه ، فلا يلوى أحدٌ على أحد . وقال الشاعر فيه :  
 إن صاح يوماً حسيبت الصخر منجليراً والريح عاصفةً والموج يلتطم  
 قال أبو العاصي : أنشدني أبو محرز خلف بن حيّان ، وهو خلف  
 الأحمر <sup>(١)</sup> مولى الأشعرين ، في عيب التشادق :

له خنجرٌ رَحْبٌ وقول منقَحٌ وفصلٌ خطابٍ ليس فيه تشادقُ <sup>(٢)</sup>  
 إذا كان صوتُ المرءِ خلفَ لهاتِهِ وأُنحى بأشداقٍ لهُنَّ شقاشقُ  
 وقبَّعَ يحكي مُقَرَّماً في هبابِهِ فليس بمسوقٍ ولا هو سابقُ <sup>(٣)</sup>  
 وقال الفرزدق :

• شقاشقُ بين أشداقٍ وهام <sup>(٤)</sup> .

وأنشد خلفٌ :

وما في يديه غيرُ شديقٍ يُميله وشِقشِقَةٌ خرساءٍ ليس لها نَعْبُ  
 متى رامَ قولاً خالفته سجيّةٌ وضيّرس كَقَعْبِ القَيْنِ تَلَمَّه الشَّعْبُ  
 وأنشد أبو عمرو وابن الأعرابي :  
 وجاءت قريشُ قريشُ البطّاح هي العُصْبُ الأوّلُ الدّاخِلَة

١٥ (١) هو أبو محرز خلف بن حيّان ، المعروف بالأحمر البصري ، مولى أبي بودة بلال بن أبي موسى الأشعري ، وهو معلم الأسمعي وأهل البصرة ، وأستاذ أبي نواس . توفي في حدود ١٨٠ . إنباه الرواة وإرشاد الأئمة ( ١١ : ٦٦ ) .

(٢) الخنجر : جمع خنجر ، وهي رأس الفلصمة .

(٣) المقرم : الفحل المكرم . والمباب ، بالكسر : النشاط .

(٤) عجز بيت له من أبيات في ديوانه ٨٤٨ مدح بها مالك بن النضر بن الجارود ، وهي :

نمك قروم أولاد الملل وأبناء المسامعة الكرم  
 تحمط في ربيعة بين بكر وعبد القيس في الحسب اللهم  
 إذا سمحت القروم لهم عليهم شفاق بين أشداق وهام

يَقُودُهُمُ الْفَيْلُ وَالزَّنْدِيلُ وَذُو الضَّرْسِ وَالشَّعْفَةُ الْمَاتِلَةُ (١)

ذو الضرس وذو الشفة ، هو خالد بن سلمة المخزومي الخطيب . الفيل والزنديل : أبان والحكم ابنا عبيد الملك بن بشر بن مروان . يعنى دُخُولَهُمْ عَلَى ابن هبيرة . والزنديل : الأتني من الفيلة ، فيما ذكر أبو اليقظان سحيم بن حفص . وقال غيره : هو الذكر . فلم يَقُفُوا من ذلك على شئ .

وقال الشاعر في خالد بن سلمة المخزومي :  
فَمَا كَانَ قَاتِلَهُمْ دَغَغْلٌ وَلَا الْحَيْقُطَانُ وَلَا ذُو الشَّعْفَةِ  
قوله : دَغَغْلٌ : يريد دَغَغْلُ بن يزيد بن حنظلة الخطيب الثاسب .  
وَالْحَيْقُطَانُ : عبيد أسود ، وكان خطيباً لا يُجَارَى .

وَأُنْشِدَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا (٢) :

وَقَافِيَةٍ لَجُلُجَتْهَا فَرَدَدَتْهَا لَذَى الضَّرْسِ لَوْ أُرْسَلَتْهَا قَطَرَتْ دَمًا  
وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعرُ العرب ، ولربما كان نزعُ ضيرسٍ  
أيسرَ علىَّ من أن أقول بيت شعر .

قال : وَأُنْشِدْنَا مَنِيعَ :

فَجِئْتُ وَوَهَبٌ كَالْحَلَاةِ يَضُمُّهَا إِلَى الشَّدَقِ أَنْيَابٌ لَهَنَ صَرِيفٌ (٣)  
فَقَعَقَعْتُ لَحْيِي خَالِدٍ وَاهْتَضَمَّتْهُ بِحُجَّةٍ تَخْصِمُ بِالْخَصُومِ عَنِيْفٌ  
أبو يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير ، قال : مثل [الحارث] بن أبي ربيعة (٤)

(١) البيتان لخلف بن خليفة الأضلع ، يذكر الأشراف الذين يدخلون على ابن هبيرة . انظر الحيوان ( ٧ : ٨١ ) .

(٢) هـ : « وَأُنْشِدَ أَصْحَابُنَا » .

(٣) الحلاة : واحدة الخلل ، وهو الرطب من الثبات . والصريف : الصوت .

(٤) كلمة « الحارث » ، مما عمدا ل . وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، وكان يلقب بالقباق ، وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، كان رجلاً صالحاً ديناً من سروات قريش ، وكان حاول أن يصد أخاه عن قول الشعر فلم يفلح . انظر الأغاني ( ١ : ٤٧ ) .

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : كم كان له ماشئت من ضروب قاطع في العلم يكتب الله ، والفقه في السنة ، والهجرة إلى الله ورسوله ، والبسطة في العشرة ، والتجدة في الحرب ، والبذل للماعون .

وقال الآخر :

- ولم تُلَفِّنِي فَهَأْ وَلَمْ تُلَفِّ حُجَّتِي      ملججةً أبغى لها مَنْ يُقِيمُهَا <sup>(١)</sup>  
ولا بَتْ أَرْجِيهَا قَضِيئاً وَتَلْتَوِي      أَرْوُغُهَا طَوْرًا وَطَوْرًا أَضِيئُهَا <sup>(٢)</sup>  
وَأُنْشِدُنِي أَبُو الرَّدِينِ الْعُكْلِي :  
فَتَى كَانَ يعلو مَفْرِقَ الْحَقِّ قَوْلُهُ      إِذَا الْخُطْبَاءُ الصَّيْدَ عَضَّلَ قِيلُهَا <sup>(٣)</sup>

وقال الخُرَيْمِيُّ في تشادق علي بن الهيثم :

- ١٠ يا عليُّ بَنَ هَيْثِمٍ يَا سُمَاقًا      قَدْ مَلَأْتَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا نِفَاقًا <sup>(٤)</sup>  
خَلَّ لَحْيَيْكَ يَسْكُنَانِ وَلَا تَضُدَّ      رَبَّ عَلَى تَغْلِبِ بَلْحَيْتِكَ طَاقًا <sup>(٥)</sup>  
لَا تَشَادِقْ إِذَا تَكَلَّمْتَ وَاعْلَمْ      أَنَّ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ أَشْدَاقًا

وكان علي بن الهيثم جواداً ، بليغ اللسان والقلم .

وقال لي أبو يعقوب الخُرَيْمِيُّ <sup>(٦)</sup> : ما رأيت كثلاثة رجالٍ يأكلون

- ١٥ الناس أكلًا حتَّى إِذَا رَأَوْا ثَلَاثَةَ رِجَالٍ ذَابُوا كَمَا يَذُوبُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ ، وَالرَّصَاصُ فِي النَّارِ : كان هشام بن محمد <sup>(٧)</sup> علامةً نسابةً ، وروايةً للمثالب عيابةً ، فإذا رأى

(١) الفه : العى الذى لا بين . والملاججة : المضطربة المختلطة . وانظر اللسان ( قرن ) .

(٢) أَرْجِيهَا : أسوقها . والقضيب : المقتضية ليس لها حسن . أضيئها : أنقصها .

(٣) الصيد : جمع أصيد ، وهو الذى يرفع رأسه كثيراً . عضل ، هو من قولهم : عضلت الحامل ، إذا

صعب خروج ولدها . وكتب فوقها في هـ : هـ : رواية أخرى .

(٤) سُمَاق : لقب علي بن الهيثم ، كما في حواشى هـ . فيما عدل ، هـ : هـ : علينا بققا هـ .

(٥) الطلاق : ما عطف من الأبنية .

(٦) الخمر في الأغاني ( ٢١ : ١٥٧ ) منقولاً عن الجاحظ .

(٧) فيما عدل ، وكذا في الأغاني : هـ هشام بن الكلبي هـ .

المهيثم بن عديّ ذاب كما يذوب الرصاص في النار . وكان على بن الهيثم <sup>(١)</sup> مَقْفَعَانِيًّا <sup>(٢)</sup> صاحب تفقيع وتقعير ، ويستولى على كلام أهل المجلس ، لا يحفل بشاعر ولا بخطيب ، فإذا رأى موسى الضبيّ ذاب كما يذوب الرصاص عند النار . وكان غلّويه المغنّي <sup>(٣)</sup> واجد الناس في الرواية وفي الحكاية ، وفي صنعة الغناء وجودة الضرب ، وفي الإطراب وحسن الخلق ، فإذا رأى مخارقاً <sup>(٤)</sup> ذاب كما يذوب الرصاص عند النار .

\*\*\*

ثم رجع بنا القول إلى ذكر التشديق ويُعد الصوت .

قال أبو عبيدة : كان عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، رديفاً للملوك <sup>(٥)</sup> ، ورخالاً إليهم ، وكان يقال له عروة الرّحال ، فكان يوم أُقْبِلَ مع ابن الجوّن ، يريد بنى عامر ، فلما انتهى إلى واديّ مع الصُّبح <sup>(٦)</sup> ، قال له عروة : إنك

(١) في الأصول : الهيثم بن عديّ صوابه من الأغاني . ولأجل « على بن الهيثم » ساق الجاحظ الخير .

(٢) كذا وردت مضبوطة في ل . وضبطت في هـ بفتح الميم ، ولعلها من لغة أهل البصرة ، مأخوذة من التفقيع ، وهو التشديق . وزاد قبل هذه الكلمة في الأغاني : « حريقاً » .

(٣) هو يوسف بن عبد الله بن يوسف ، وكان جده من السفد الذين سباهم عثمان بن الوليد زمن عثمان بن عفان ، واشتهر بعلويه ، وكنيته أبو الحسن . كان مغنياً حاذقاً ، ومؤدياً محسناً ، وضارباً متقدماً ، وكان إبراهيم علمه وخرجه وعنى به جداً فبرع ، وغنى للأمين وعاش إلى أيام المتوكل ، ومات بعد إسحاق الموصلي بمدينة بسية ، الأغاني ( ١٠ : ١١٥ - ١٢٥ ) .

(٤) هو مخارق بن يحيى بن نونس الجزائر ، مولى الرشيد ، وكان قبله لعاتكة بنت شهدة ، وهي من المغنيات المحسنات المتقدمات في الضرب ، ونشأ في المدينة ، وقيل بل كان منشوئاً بالكوفة . وكان أبوه جزائراً مملوكاً ، وكان مخارق وهو صبي ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم ، فلما بان طيب صوته علمته مولاته طروقاً من الغناء ثم أوردت بيعه فاشتره إبراهيم الموصلي منها ، وأهداه إلى الفضل بن يحيى فأخذته الرشيد منه ثم أعقبه . الأغاني ( ٢١ : ١٤٣ ) .

(٥) المعروف في هذا « الدوف » بالكسر ، واحد الأدواف ، وهم الذين يختلفون الملوك في القيام بأمر المملكة ، بمنزلة الوزراء في الإسلام . وأما الرديف فهو الراكب خلف صاحبه . وعروة الرّحال قتله البراض بن قيس . الحيوان ( ١ : ١٦٦ ) .

(٦) واديّات ، قال ياقوت : موضع عن يسار طريق مكة وأنت قاصدها .

قد عَرَفْتُ طَوْلَ صَحْبَتِي لَكَ ، وَنَصِيحَتِي إِيَّاكَ ، فَأَتَذِّنُ لِي فَأَهْتِفَ بِقَوْمِي هَتَفَةً . قال : نعم ، وثلاثاً . فقام فنادى : يا صَبَاحَاهُ ! ثلاثَ مَرَّاتٍ . قال : فسمِعْنَا شَيْوَحْنَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَسْمَعَ أَهْلَ الشَّعْبِ ، فَتَلَبَّيُوا لِلْحَرْبِ ، وَبَعُوثُوا الرُّبَايَا <sup>(١)</sup> ، يَنْظُرُونَ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي الْقَوْمُ .

قال : وتقول الرُّومُ : لولا ضَجَّةُ أَهْلِ رُومِيَّةٍ وَأَصْوَاتُهُمْ ، لَسَمِعَ النَّاسُ جَمِيعاً صَوْتَ وَجُوبِ الْقُرْصِ فِي الْمَغْرِبِ <sup>(٢)</sup> .

وَأُعْيِبُ عَنْهُمْ مِنْ دَقَّةِ الصَّوْتِ وَضِيقِ مَخْرَجِهِ وَضَعْفِ قُوَّتِهِ ، أَنْ يَعْتَرِيَ الْخَطِيبَ الْبُهْرُ وَالْإِزْتِعَاشُ ، وَالرُّعْدَةُ وَالْعَرَقُ .

قال أبو الحسن : قال سفيان بن عُيَيْنَةَ : تَكَلَّمَ صَعْصَعَةٌ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ

فَعَرِقَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : بَهْرَكَ الْقَوْلُ ! فَقَالَ صَعْصَعَةٌ : « إِنَّ الْجِيَادَ نَضَّاحَةٌ بِالْمَاءِ » .  
والفرس إذا كان سريع العرق ، وكان هَشًّا ، كان ذلك عَيْباً . وكذلك هو في الكتوة ، فإذا أبطأ ذلك وكان قليلاً قيل : قد كبا ؛ وهو فرس كَاب . وذلك عيب أيضاً .

وَأُنَشِدُنِي ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ ، لِأَيِّ مِسْمَارِ الْعَكَلِيِّ ، فِي شَبِيهِ بِذَلِكَ قَوْلُهُ :

لِللَّهِ دَرٌّ عَامِرٍ إِذَا نَطَقَ فِي حَفْلِ إِمْلَاكَ وَفِي تِلْكَ الْحِلَقِ <sup>(٣)</sup>

ليس كَقَوْمٍ يُعْرِفُونَ بِالسَّرْقِ <sup>(٤)</sup> مِنْ حُطْبِ النَّاسِ وَمِمَّا فِي الْوَرَقِ

يُلْفِقُونَ الْقَوْلَ تَلْفِيقَ الْخَلْقِ <sup>(٥)</sup> مِنْ كُلِّ نَضَّاحِ الدُّفَارِيِّ بِالْعَرَقِ

• إِذَا رَمَتْهُ الْخَطِيبُ بِالْحَدَقِ •

(١) الربايا : جمع ربيعة ، وهو العين والطليعة وهذا ما في ل . وفي هـ : « وعبوا » . وفي سائر

النسخ : « وعسوا » . وهذه محرفة .

(٢) وجب قرص الشمس : وقع واختفى في مكان الغروب وانظر اللسان ( سفر ٣٦ ) .

(٣) الإملاك : الترويع وعقد النكاح . وحلقة القوم ، يقال بالفتح ، وبالتحريك ، وبالكسر ؛

وجمعها خلق ، بالتحريك ، وبكسر ففتح .

(٤) السرقة ، بالتحريك ، وفتح فكسر ، هو السرقة فيما عدل ، هـ : « بالشلق » تحريف .

(٥) ل : « الحرق » .

[ والدَّفَارَى هنا : يعنى بدن الخطيب . والدَّفَارَيْنِ للبعير ، وما اللُّحْمَتَانِ فى قفاه (١) ] .

وإنما ذكر خطب الإملاك لأنهم يذكرون أنه يعرض للخطيب فيها من ٨٤  
الحَصَرُ أَكْثَرُ مِمَّا يَعْرِضُ لِمُصَاحِبِ الْمُنْبِرِ . ولذلك قال عمرُ بن الخطاب رحمه  
الله : « ما يتصَعَّلُنِي كَلَامٌ كَمَا تَتَصَعَّلُنِي خُطْبَةُ النِّكَاحِ » (٢) .

وقال العُمَانِيُّ :

لَا ذَفِيرَ هَشٍّ وَلَا بَكَائِي وَلَا بِلْجَلَايَ وَلَا هَيَّابِ

الهَشُّ : الذى يَجُودُ بعرقه سريعاً ؛ وذلك غَيْبٌ . والدَّفِيرُ : الكثير العرق .  
والكَايِي : الذى لا يكاد يعرق ، كالثَّرْدُ الكَايِي الذى لا يكاد يُورِي . فجعل له  
العُمَانِيُّ حالاً بين حالين إذا خُطِبَ ، وخَبَّرَ أنه رابطُ الجأشِ ، معاودٌ لتلك المقامات . ١٠  
وقال الكميت بن زيد - وكان خطيباً - : « إِنَّ لِلْخُطْبَةِ صَعْدَاءَ » (٣) ،  
وهى على ذى اللَّبِّ أَرْمَى .

وقولهم : أَرْمَى وَأَرْمَى سَوَاءٌ ، يقال : فلان قد أَرْمَى على المائة وَأَرْمَى .

ولم أرَ الكميَّةَ أَفْصَحَ عن هذا المعنى ولا تُخَلِّصُ إلى خاصَّته . وإنما  
يَجْتَرِي على الخطبة العَرَّ (٤) الجاهل الماضى ، الذى لا يَتَنَبَّهُ شَيْءٌ ، أو المطبوع  
الحاذق ، الواثقُ بِعَزَازَتِهِ واقتداره ، فالثَّقَّةُ تنفى عن قلبه كلَّ خاطِرٍ يُورِثُ  
اللُّجْلُجَةَ والنحنحة ، والانقطاعَ والبُهِرَ والعَرَقَ .

وقال عُبيد الله بن زياد ، وكان خطيباً ، على لُكْنَةٍ كانت فيه : « نِعَمَ الشَّيْءِ

(١) هذه التكملة لما علل .

(٢) تصدده الأمر وتساعد به : شق عليه . وانظر ما سبق فى ص ١١٧ .

(٣) الصعداء ، بالفتح : المشقة . وأما الصعداء بفتح فضم ، فالتنفس الممدود .

(٤) فيما علل : « القمر » .

الإمارة ، لولا قَعْقعة البُرْد (١) ، والتشريقُ للخطب (٢) .

وقيل لعبد الملك بن مروان : عَجِّلْ عليك الشيبُ يا أمير المؤمنين !  
قال : « وكيف لا يعَجِّلْ عليّ وأنا أعرضُ عقلي على الناس في كلِّ جُمُعة مرّةً  
أو مرتين » . يعني خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الأمور .

وقال بعض الكلييين (٣) :

فإذا خطبت على الرجال فلا تكن      تحيّل الكلام تقوله مُختالا (٤)  
واعلم بأن من السكوت إبانة      ومن التكلم ما يكون حَبالا (٥)

### كلام بشر بن المعتمر

مرّ بِبشر بن المعتمر (٦) بإبراهيم (٧) بن جبلة بن مَعْرُمة السكونيّ  
الخطيب ، وهو يعلمُ فتيانهم الخطابة ، فوقف بِبشر فظنَّ إبراهيمُ أنه إنما وقفَ  
ليستفيد أو ليكونَ رجلاً من النظار ، فقال بِبشر : اضربوا عما قالَ صَفْحاً واطُوروا  
عنه كَشْحاً . ثم دَفَعَ إليهم صحيفةً من تحبيره وتنميقه ، وكان أولُ ذلك الكلام :  
تُحَذُّ من نفسك ساعةً نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فإن قليل  
تلك الساعةِ أَكْرَمُ جوهرًا ، وأشرفَ حسابًا ، وأحسنَ في الأسماع ، وأحلى في  
الصدور ، وأسلمُ من فاحش الخطاءِ ، وأجلبُ لكلِّ عينٍ وعُمرَةٍ ، من لفظِ

(١) البُرْد : جمع برید ، وأصل البُرْد : الدابة ، ثم جعل للرجل . وفي هامش ل : « غ : البُرْد » إشارة  
إلى ما في نسخة أخرى . وفي هامش التيمورية ، ه : « وإنما قال هذا لأن الوالد لا يدري بما يأتيه من خير  
أو شر ، فهو يجزع لرؤيته ويتخاف » .

(٢) التشريق : التأنيب والتهوُّ والاستعداد . والخير في نهاية ( شون ) في اللسان .

(٣) ب والتيمورية : « الكلييين » ح : « الكلايين » .

(٤) ل : « الرجال » بالحاء المهملة .

(٥) ل ، ه : « التكلف » وكتب لإزاعها : « غ : التكلم » . وهي رواية سائر النسخ .

(٦) سبقت ترجمته في ص ٤١ . وسدحا في ب والتيمورية : « حين مر » .

(٧) ح : « لإبراهيم » .

شريف ومعنى بديع . وأَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى عَلَيْكَ مِمَّا يُعْطِيكَ يَوْمَكَ  
الْأَطْوَلَ ، بِالْكَدِّ وَالْمُطَاوَلَةِ <sup>(١)</sup> وَالْمُجَاهَدَةِ ، وَبِالتَّكْلُفِ وَالْمُعَاوَدَةِ . وَمَهْمَا أَخْطَأْتَ  
لَمْ يُخْطِئَكَ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولاً قَصْداً ، وَخَفِيفاً عَلَى اللِّسَانِ سَهْلاً ؛ وَكَأَخْرَجٍ مِنْ  
يَنْبُوعِهِ وَنَجَمٍ مِنْ مَعْدِنِهِ . وَإِيَّاكَ وَالتَّوَعُّرَ ، فَإِنَّ التَّوَعُّرَ يُسَلِّجُكَ إِلَى التَّعْقِيدِ ،  
وَالْتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ ، وَيَشِينُ أَلْفَاظَكَ . وَمَنْ أَرَاغَ مَعْنَى كَرِيماً ٥  
فَلْيَتَمَسَّ لَهُ لَفْظاً كَرِيماً ؛ فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ اللَّفْظُ الشَّرِيفُ ، وَمَنْ  
حَقَّقَهَا أَنْ تَصُونَهَا عَمَّا يَفْسُدُهَا وَيُهَيِّجُنَهَا ، وَعَمَّا تَعُودُ مِنْ أَجْلِهِ أَنْ تَكُونَ  
أَسْوأَ حَالاً مِنْكَ قَبْلَ أَنْ تَلْتَمِسَ إِظْهَارَهَا ، وَتَرْتَهِنَ نَفْسَكَ بِمَلَابَسَتِهَا وَقَضَاءِ  
حَقِّهَا . فَكُنْ فِي ثَلَاثِ مَنَازِلَ ؛ فَإِنَّ أَوْلَى الثَّلَاثِ أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ رَشِيقاً ١٠  
عَذْباً ، وَفَتْحاً سَهْلاً ، وَيَكُونَ مَعْنَاكَ ظَاهِراً مَكْشُوفاً ، وَقَرِيباً مَعْرُوفاً ، إِذَا عِنْدَ  
الْخَاصَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْخَاصَّةِ قَصَدْتَ ، وَإِذَا عِنْدَ الْعَامَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْعَامَّةِ أَرَدْتَ .  
وَالْمَعْنَى لَيْسَ يَشْرَفُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْخَاصَّةِ ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ يَتَضَعُ بِأَنْ يَكُونَ  
مِنْ مَعَانِي الْعَامَّةِ . وَإِنَّمَا مَدْلَرُ الشَّرَفِ عَلَى الصَّوَابِ وَإِحْرَازِ الْمُنْفَعَةِ ، مَعَ مَوَافَقَةِ  
الْحَالِ ، وَمَا يَجِبُ لِكُلِّ مَقَامٍ مِنَ الْمَقَالِ . وَكَذَلِكَ اللَّفْظُ الْعَامِّيُّ وَالْخَاصِّيُّ . فَإِنْ ١٥  
أَمَكَّنَكَ أَنْ تَبْلُغَ مِنْ بَيَانِ لِسَانِكَ ، وَبِلَاغَةِ قَلَمِكَ ، وَلُطْفِ مَدَاحِكَ ، وَاقْتِدَارِكَ  
عَلَى نَفْسِكَ ، إِلَى أَنْ تُفْهَمَ الْعَامَّةُ مَعَانِي الْخَاصَّةِ ، وَتَكْسُوَهَا الْأَلْفَاظُ الْوَاسِطَةُ <sup>(٢)</sup>  
الَّتِي لَا تَلْطُفُ عَنِ الدُّقْمَاءِ ، وَلَا تُجْفُو عَنِ الْأَكْثَاءِ ، فَأَنْتَ الْبَلِيعُ النَّامُ <sup>(٣)</sup> .

قال بشر : فلما قُرِئَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ قَالَ لِي : أَنَا أَحْوَجُ إِلَى هَذَا مِنْ  
هَؤُلَاءِ الْفَتَيَانِ .

(١) ل : • وَالْمُكَايَةِ • .

(٢) ل : • الْمِبْسُوطَةُ • .

(٣) وقع في سائر النسخ اضطراب في صحيفة بشر . فقيما عدل ل ، هـ قد وردت الصحيفة متتابعة لا يفصل بين قترها شيء مما على . ولا إدخال ذلك إلا من عمل قارئ أو ناسخ .



قال أبو عثمان : أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب ؛

٨٦ فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً سوقياً .

وإذا سمعتموني أذكر العوام فأني لست أعنى الفلاحين والحشوة <sup>(١)</sup> والصناع

والباعة ، ولست أعنى أيضاً الأكراد في الجبال ، وسكان الجزائر في البحار ،

ولست أعنى من الأمم مثل البير <sup>(٢)</sup> والطليسان <sup>(٣)</sup> ، ومثل موقان وجيلان <sup>(٤)</sup> .

ومثل الزنج وأشبه الزنج . وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب ،

وفارس ، والهند ، والروم . والباقون همج وأشبه الهمج . وأما العوام من أهل ملتنا

ودعوتنا ، ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا ، فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم

ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا . على أن الخاصة تتفاضل في طبقات أيضاً <sup>(٥)</sup> .

ثم رجع بنا القول إلى بقية كلام بشر بن المعتمر ، وإلى ما ذكر من

الأقسام <sup>(٦)</sup>

قال بشر : فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعثريك ولا تسمح <sup>(٧)</sup>

(١) الحشوة بالضم والكسر : رجال الناس وأسقاطهم

(٢) ل : « البير » مع عدم نقط الحرف الثاني . وجاء في تاريخ الطبري ( ٥ : ٤٥ ) : « فأغار

١٥ على أهل موقان والبير والطليسان » . وضبطت في هـ بفتح أولها وكسره معا .

(٣) الطليسان : إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزر ، اقتضه الوليد بن

عقبة في سنة ٣٤ . معجم البلدان .

(٤) قال ابن الكلبي : موقان وجيلان ، وهما أهل طبرستان ، ابنا كاشع بن بافت بن نوح . قال

ياقوت في موقان : « ولاية فيها قرى وروج كثيرة تحيطها التران للرعى ، فأكثر أهلها منهم » . وقال في

٢٠ جيلان : « اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان .. وليس في جيلان مدينة كبيرة ، إنما هي قرى في مروج

بين جبال » .

(٥) الكلام من « قال بشر : فلما قرئت » إلى هنا ، موضعه فيما عدل ، هـ قبل : « وقال :

وينبغي للمتكلم أن يعرف » . وبذلك يخطط كلام بشر بكلام الجاحظ . وما أثبت من النسختين هو الصحيح .

(٦) هذه العبارة من ل ، هـ فقط .

(٧) فيما عدل : « تسمح » .

لك عند أول نظرك وفي أول تكلفك ، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم نصير إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ، ولم تتصل بشكلها ، وكانت قلقة في مكانها ، نافرة من موضعها ، فلا تُكرِّفها على اغتصاب الأماكن ، والنزول في غير أوطانها ؛ فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المشور ، لم يعبك بترك ذلك أحد .  
 ٥ فإن أنت تكلفتها (١) ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا مُحَكِّماً لسانك (٢) ، بصيراً بما عليك ومالك ، عابك من أنت أقل عيباً منه ، ورأى من هو دونك أنه فوقك .  
 فإن ابتليت بأن تتكلف القول ، وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة (٣) ، وتعاصى عليك بعد إجمالة الفكرة ، فلا تعجل ولا تضجر ، ودعه يياض يومك وسواد ليلتك ، وعادته عند نشاطك وفراغ بالك ؛ فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة ، إن كانت هناك طبيعة ، أو جرئت من الصناعة على عرق .  
 فإن تمتع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ، ومن غير طول إهمال ، فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك ، وأخفها عليك ؛ فإنك لم تشتبه ولم تنازع إليه إلا وبينكما نسب ، والشئ لا يجرؤ إلا إلى ما يشاكله ، وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات ؛ لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ، ولا تُسمع بمخزونها مع الرغبة ، كما تجود به مع الشهوة والمحبة . فهذا هنا .

وقال : ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل

(١) فيما عدل : « وإن أنت تكلفتها » .

(٢) ما عدل : « لسانك » .

(٣) الطباع ، يكون مفرداً كالطبيعة ، ويكون جمع طبع أيضاً ، وهو في القول بإفراجه يذكر ويؤث . وفي اللسان : « والطباع كالطبيعة مؤنثة . وقال أبو القاسم الزجاجي : الطباع واحد مذكر ، كالتحاس - بكسر التين فهما - قال الأزمري : ويجمع طبع الإنسان طباعاً » .

- حالة من ذلك مقاماً ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات . فإن كان الخطيب متكلماً تجنب ألفاظ المتكلمين ، كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفاً أو مجيئاً أو سائلاً ، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين إذ كانوا لتلك العبارات أفهم ، وإلى تلك الألفاظ أميل ، وإليها أحنّ وبها أشغف ؛ ولأن كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء ، وأبلغ من كثير من البلغاء . وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم ، فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف ، وقُدوة لكل تابع . ولذلك قالوا: العَرَضُ والجَوْهر ، وأيس وليس ، وفرقوا بين البُطلان والتلاشي ، وذكروا الهدية والهوية <sup>(١)</sup> وأشبه ذلك . وكما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقاباً لم تكن العرب تتعارف تلك الأعارض بتلك الألقاب ، وتلك الأوزان بتلك الأسماء ، كما ذكر الطويل ، والبسيط والمديد ، والوافر ، والكمال ، وأشبه ذلك ، وكما ذكر الأوتاد والأسباب ، والخرم والزحاف . وقد ذكرت العرب في أشعارها السناد والإقواء والإكفاء ، ولم أسمع بالإيطاء . وقالوا في القصيد والرجز والسجع والخطب ، وذكروا حروف الروى والقوافي ، وقالوا: هذا بيت وهذا مصراع . وقد قال جندل الطهوي <sup>(٢)</sup> حين مدح شعره :
- \* لم أقوِ فيهن ولم أسانِدِ \*

وقال ذو الرمة :

- ٨٨ شعري قد أرقئت له غريب أجنبه المسائد والمُحالا <sup>(٣)</sup> ٢٠

(١) نسبة إلى هنا ، وهو ، وما هو .

(٢) هو جندل بن المتي الطهوي .

(٣) ديوان ذي الرمة - ٢٤٠ . فيما عدل : \* أجانبه . \*

وقال أبو حزم المَكَلِّي (١) :

يوتاً نصبتا لتقومها جُنُولَ الرِّبِيِّينَ فِي الْمَرْبَاهِ  
يوتاً عَلَى الْهَاهُنَا سَجَّةٌ بِغَيْرِ السُّنَادِ وَلَا الْمَكْفَاهِ

وكما سَمَّى النَحْوِيُّونَ ، فَذَكَرُوا الْحَالَ وَالظُّرُوفَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَضَعُوا هَذِهِ الْعَلَامَاتِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا تَعْرِيفَ الْقُرُوبَيْنِ وَأَبْنَاءِ الْبَلَدَيْنِ عِلْمَ الْعُرُوضِ وَالنَحْوِ . وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ الْحِسَابِ قَدْ اجْتَلَبُوا أَسْمَاءً جَعَلُوهَا عِلَامَاتٍ لِلتَّفَاهُمِ .

قَالُوا : وَقَبِيحٌ بِالْخَطِّيبِ أَنْ يَقُومَ بِخُطْبَةِ الْعِيدِ أَوْ يَوْمِ السُّمَاطِينَ ، أَوْ عَلَى مَنِيرِ جَمَاعَةٍ ، أَوْ فِي سُنْدَةِ دَارِ الْخِلَافَةِ ، أَوْ فِي يَوْمِ جَمْعٍ وَحْفٍ ، إِمَّا فِي إِصْلَاحِ بَيْنِ الْعَشَائِرِ ، وَاحْتِمَالِ دِمَاءِ الْقِبَائِلِ ، وَاسْتِلَالِ تِلْكَ الضَّعَائِنِ وَالسَّخَامِ ، فَيَقُولُ (٢) كَمَا قَالَ بَعْضُ مَنْ خَطَبَ عَلَى مَنِيرٍ ضَخِيمِ الشَّانِ ، رَفِيعِ الْمَكَانِ : « ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ أَنْ أَنْشَأَ الْخَلْقَ وَسَوَّاهُمْ وَمَكَّنَ لَهُمْ ، لِأَشَاهِمِ فِتْلَاشَتُوا (٣) » . وَلَوْلَا أَنَّ التَّكَلُّمَ اخْتَصَرَ إِلَى أَنْ يَلْفِظَ بِالثَّلَاثِ لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُؤَخَّذَ فَوْقَ يَدِهِ . وَخَطَبَ آخَرُ فِي وَسْطِ دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : « وَأَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ بَابِ اللَّيْسِيَّةِ ، فَأَدْخَلَهُ فِي بَابِ الْإِيْسِيَّةِ (٤) » .

وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى فِي خُطْبَةٍ لَهُ : « هَذَا فَرْقٌ مَا بَيْنَ السَّارِّ وَالضَّارِّ ، وَالنَّفَاعِ وَالنَّفَاعِ » .

وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى : فَدَلَّ سَاتِرَهُ عَلَى غَامِرِهِ ، وَدَلَّ غَامِرَهُ عَلَى مَنْحَلِّهِ » .

(١) أَبُو حَزْمِ الْمَكَلِّي ، اسْمُهُ غَالِبُ بْنُ الْحَارِثِ ، كَانَ أَعْرَابِيًّا فَصِيحاً يَهْدَى عَلَى أَيْ عِيْدِ اللَّهِ وَزَيْدِ الْمُهَلِّدِ . قَالَ الْخَوَارِزْمِيُّ : « وَشِعْرُهُ عَرِيضٌ ؛ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ قَبِيهِ مِنَ الْعَرَبِ فَلَا يَقِفُ عَلَيْهِ إِلَّا الْعُلَمَاءُ ، وَكَانَ يُؤَخَّذُ عَنْهُ اللَّفْظُ ، أَدْرَكَهُ الْكِسَافُ وَاسْتَشْهَدَ بِبَعْضِ شِعْرِهِ . انْظُرْ شُرُوحَ سَقَطِ الزَّيْدِ ١٤٦٥ - ١٤٦٧ .

(٢) بَدَلَهَا فِي ل : « أَنْ يَكُونَ » .

(٣) يُرَادُ بِاللَّامِ الشَّانِ الْإِفْعَاءُ ، كَأَنَّهُ جَمَلُهُمْ كَلَامٌ شَيْءٌ .

(٤) نِسْبَةٌ إِلَى لَيْسٍ وَلَيْسَ . وَفِي اللَّسَانِ : « أَيْسٌ وَلَيْسٌ ، أَيْ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَلَيْسَ هُوَ » .

فكاد إبراهيم بن السندی<sup>(١)</sup> يطير شيقاً<sup>(٢)</sup>، ويتقد غيظاً<sup>(٣)</sup>. هذا وإبراهيم من المتكلمين ، والخطيب لم يكن من المتكلمين .

وإنما جازت هذه الألفاظ في صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع المعاني . وقد تحسن أيضاً ألفاظ المتكلمين في مثل شعر أبي نواس وفي كل ما قالوه على وجه التظرف والجلج ، كقول أبي نواس :

وذات خدٍ مُورِدٍ قُوْهِيَّةُ الْمُتَجَرِّدِ<sup>(٤)</sup>  
تأملُ العَيْنُ منها محاسناً ليس تنفد  
فبعضها قد تَنَاهَى وبعضها يتولّد  
والحسنُ في كلِّ عضوٍ منها مُعَادٌ مُرَدّدٌ

٨٩

وكقوله<sup>(٥)</sup> :

يا عاقِدَ القلبِ مِنِّي هَلَا تَذَكَّرْتَ هَلَا  
تركت مِنِّي قليلاً من القليل أَقْلاً  
يكاد لا يتجزأ أَقْلٌ في اللفظِ مِن لا

وقد يتملح الأعرابي بأن يُدْخِلَ في شعره شيئاً من كلام الفارسيّة ،

كقول العُمانيّ للرّشيد ، في قصيدته التي مدحه فيها :

(١) هو إبراهيم بن السندی بن شامك ، يروي الجاحظ عنه كثيراً . وأبوه السندی بن شامك ، كان بلّ الجسر بن بحداد للرّشيد . انظر الجهشيارى ٢٢٦ - ٢٣٧ وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » الرسائل ٤٧ ساسى .

(٢) هذه عبارة عن المبالغة في الغضب . وفي حديث عائشة : « فطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض » . هو مبالغة في الغضب والغيظ ، كما في اللسان . ب ، ح : « شقاً » ل : « شقاً » صوابهما ما أثبت في التيمورية .

(٣) يتقد : يشق . ل : « ويتقد غيظاً » بمعنى يشعل .

(٤) الأبيات يقولها في نعت « جتان » جارية آل عبد الوهاب الثقفى . انظر ديوانه ٣٧١ وأخبار أبي نواس لابن منظور ١٣ . قوهية ، أراد يضاء ، والقوهى : ضرب من الثياب يبيض ، منسوبة إلى قوهستان . وفي الديوان : « خاتمة المتجد » .

(٥) أخبر أبى نواس ١٣ . ونظر فيه أشعراً أخرى فيها دليل معرفته بألفاظ المتكلمين .

مَنْ يَلْقَهُ مِنْ بَطْلٍ مُسَرَّيدٍ <sup>(١)</sup> فِي رَغْفَةٍ مُحْكَمَةٍ بِالسَّرْدِ <sup>(٢)</sup>

• تجول بين رأسه و • الكَرْدِ <sup>(٣)</sup> •

يعنى العُنُق . وفيها يقول أيضاً <sup>(٤)</sup> .

لَمَّا هَوَى بَيْنَ غِيَاضِ الْأُسْدِ وَصَارَ فِي كَفِّ الْهَزِيرِ الْوَرْدِ

• أَلَى يَلُوقُ الدُّعْرَ آبِ سَرْدِ <sup>(٥)</sup> •

وكقول الآخر :

وَذَلَّهْنِي وَقَعُ الْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا وَكَافِرُكُوبَاتٍ لَهَا عُجْرٌ قَفْدُ <sup>(٦)</sup>

بَأَيْدِي رَجَالٍ مَا كَلَامِي كَلَامُهُمْ يَسُومُونَنِي مَرْدًا وَمَا أَنَا وَالْمَرْدُ <sup>(٧)</sup>

ومثل هذا موجود في شعر [ أبى ] العُدَّافِرِ الكِنْدِيِّ <sup>(٨)</sup> وغيره ، ويكون أيضاً  
١. أن يكون الشعر مثل شعر بحرٍ وشاذ <sup>(٩)</sup> ، وأسود بن أبى كريمة . وكما قال يزيد

(١) المسرئدى : الذى يطلب يهطل .

(٢) الرغفة : الدرع اللينة الواسعة المحكمة . والسرد : لقم الزرد .

(٣) أصله في الفارسية « كُردن » كما في المغرب ٢٧٩ ومعجم استنجاس ١٠٨٠ . وأقدم من

قول العماني هنا قول الفرزدق :

وَكُنَّا إِذَا الْقَيْسِ نَبَّ عَوْدِهِ ضَرْبَانَهُ دُونَ الْأَثْنَيْنِ عَلَى الْكَرْدِ ١٥

(٤) فيما عدل : • ويقول فيه أيضا • .

(٥) آب سرد : ماء بارد . آب : ماء ، ويكسر آخر الموصوف المتقدم على صفته في الفارسية . وسرد : بارد .

(٦) المذلة : السامى القلب الغائب العقل . فيما عدل ، ه : • وولنى • . والوله : الحزن ،

وذهاب العقل حزناً . وفي هامش ل : • كافر كُوب هى المقرعة • . والعجر : جمع عجرة ، وهى العقدة

٢٠ في الخشبة ونحوها . والقفد : جمع أقفد ، وهو في أصله الغليظ المتق .

(٧) سامه الشئ : كلفه إياه وجهه وألوده عليه . ورد ، بالفتح : رجل ، بالفارسية . ومن

معانيه في الفارسية البطل ، والشجاع . استنجاس ١٢١١ . وفي هامش ل : المرد الرجل ، بالفارسية .

(٨) ذكره المرتضى في معجمه في ذكر من غلبت كنيته على اسمه من الشعراء المجهولين والأعراب

المغمومين . وفي الأصول : • العُدَّافِر الكِنْدِيُّ • .

(٩) هنا ما في هـ . وفي ل : • بحر وشار • وصائر النسخ : • الحر وشاذ • .

ابن ربيعة بن مُفَرَّغ<sup>(١)</sup> :

أَب امْتُ تَبِيدَ امْتُ عَصَارَاتِ زَيْبِ امْتُ

٩٠

\* سُمِّيَ رُوسَيْدَ امْتُ<sup>(٢)</sup> \*

وقال أسود بن أبي كَيْعَمَةَ :

لَرِمَ الْعُرَامُ ثَوْبِي بُكْرَةً فِي يَوْمِ سَبْتِ<sup>(٣)</sup>

فَتَابِلْتُ عَلَيْهِمْ مِثْلَ زَنْكِي بِمَسْنِي<sup>(٤)</sup>

قَدْ حَسَا الدَّاذِي صِرْفًا أَوْ عَقَارًا بَايَحْسَتِ<sup>(٥)</sup>

(١) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري : شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، وكان مولعا بهجاء بني زناد ، وتعدى ذلك إلى أبي سفيان فقتله بالزنا ، وأمر يزيد بن معاوية بطلبه فقتل ينتقل من بلد إلى بلد ويستجير حتى وقع في يد عبيد الله بن زياد فأمر به فسقى نبيذاً حلواً قد خلط معه الشراب ، فأسهل بطنه وطيف به وهو في تلك الحال ، وقرن بهرة وخنزيرة فجعل يسلح والصبيان يتعنونه ويصيحون « ابن جيسن » لما يسيل منه . أي هذا ماذا ؟ وهو يجيبهم بالأبيات التالية . انظر الأغاني ( ١٧ : ٥١ - ٧٣ ) والخزانة ( ٢ - ٢١٠ - ٢١٦ ) والاشتقاق ٣٠٩ - ٣١٠ والشعراء لابن قتيبة ، وتاريخ الطبري ( ٦ : ١٧٧ ) .

(٢) آب : ماء . واست : فعل من أفعال الكينونة في الفارسية . أراد أن التبيد ما هو إلا ماء ، هو عصارات الزبيب . سمية هي أم زياد بن أبيه ، أو ابن أبي سفيان . انظر الإصابة ٦١١ من قسم النساء . وروسيد ، أي مشهورة ، . رو ، هو الوجه بالفارسية ؛ ويقال له أيضاً : « روى » . وسيد ، بفتح السين ، أي أبيض . في حواشي هـ : « روسيد : زانية » .

(٣) الغرام : جمع غريم ، وهو المطلب بالدين ، وهو جمع عزيز ، لأن فعلا لا يجمع على قتال . وأجلز ابن سيدة أن يكون جمع غلام على النسب ، أي ذو إغرام أو تغريم . انظر اللسان ( ١٥ : ٣٣٢ ) .

(٤) ل . عليه مثل زنكي « تحريف . والزنكي : الزنجي ، بالفارسية . مستى ، بالفارسية ، أي

السكر وإدمان الشراب .

(٥) الداذي : نبت له اعتقد مستطيل وجهه على شكل حب الشعير ، يوضع منه مقدار رطل في الفرق فتصق رائحته ويجود إسكلره . هنا ما في اللسان . وفي القاموس : « الداذي شراب للفسق » .

والعقار بالضم : الخمر . بايحت ، كتب إزاعها في هامش هـ ، حـ : « بايحت الشراب على الرقيق بالفارسية » . وكتب المحقق الفاضل الدكتور إبراهيم أمين في مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية ( ديسمبر

٢٥ سنة ١٩٣٦ ) : بايحت أو باي عحت ، بمعنى موطوءة بالأقدام » .

- ثم كَفْتُم دُور باد وبحكم أن نَحَرَ كَفْتِ (١)  
 إِنَّ جِلْدِي دَبَّعْتَهُ أَهْلُ صَنْعَاءَ بَجَفْتِ (٢)  
 وَأَبُو عَمْرٍة عِنْدِي أَنَّ كُورَيْدَ تَمَسَّتِ (٣)  
 جَالِسَ أَنْدَر مَكَتَادَ أَيَا عَمَدَ يَهْشَتِ (٤)

\* \* \*

وكا لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ، وساقطاً سَوْقِيَا ، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً ؛ إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً ؛ فإن الوحشِيَّ من الكلام يفهمه الوحشِيَّ من الناس ، كما يفهم السَّوْقِيَّ رِطَانَةَ السَّوْقِيَّ . وكلامُ النَّاسِ في طبقات كما أنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ في طبقات . فمن الكلام الجَزْلُ والسَّخِيفُ ، والمَلِيحُ والحسن ، والقبيح والسَّمْعُجُ ، والخفيف والثقل ؛ وكلُّه عَرَبِيٌّ ، وبكُلِّ قد تكلموا ، وبكُلِّ قد تَمَادَحُوا وتعايوا . فَإِنَّ زَعَمَ زَاعَمَ أَنَّهُ لم يكن في كلامهم تفاضُلٌ ، ولا بينهم في ذلك تَفَاوُتٌ ، فَلِمَ ذَكَرُوا الْعَمِيَّ وَالْبَكِيَّ ، وَالْحَصِيرَ وَالْمُفْعَمَ ، وَالْمُخْطِلَ وَالْمُسَهَّبَ (٥) ، وَالْمُتَشَلِّقَ ، وَالْمُتَفِيهِقَ ، وَالْيَهْمَارَ ، وَالزُّنْثَارَ (٦) ، وَالْمُكْتَثَرَ وَالْهَمَارَ (٧) ، وَلِمَ ذَكَرُوا الْهَجَرَ وَالْهَنْزَرَ ، وَالْهَذْيَانَ ، وَالتَّخْلِيضَ

- ١٥ (١) كَفْتُم ، أَي قُلْتُ . دُور باد أَي مَعَاذَ اللَّهِ ، وَفِي ل : « دُونِ بَاد » .. أَنَّ : اسم إشارة معناه ذلك . وَنَحَرَ ، معناه الحمار ، أَو الْبَلِيدُ ، أَو الْأَحْمَقُ . وَكَفْتِ ، بِمَعْنَى قَالَ .  
 (٢) معجم استيعاج ٣٦٥ : جَفَتِ بِلَوَطٍ ، أَي ثَمَرَةُ الْبِلَوَطِ .  
 (٣) أَبُو عَمْرٍة : كَتَبَ الْجُرُوحَ . كُورٍ ، أَي أَعْمَى أَوْ أَعْوَرٍ . بَدَ أَوْ يَدُ بِمَعْنَى كَانَ ، تَمَسَّتْ ، أَي لَهِسَ ثَمَلًا ، فَمَعْنَاهُ كَانَ أَعْمَى وَلَيْسَ ثَمَلًا .  
 ٢٠ (٤) هَذَا الْبَيْتُ لَمْ يَدُ فِي ل . فِي هـ : « حَابِسَ آخِرَ مَكَتَادَ أَيَا عَمَدَ » . وَقَالَ الذَّكُورُ إِبْرَاهِيمَ أَمِينَ : « هَذَا الْبَيْتُ مُضْطَرَبٌ ، وَهُوَ تَحْرِيفُ الْكَلِمَاتِ الْفَارْسِيَةِ الَّتِي بِهِ هِيَ أَنْدَرُ بِمَعْنَى قِيٍّ وَمَكَتَادَ بِمَعْنَى لَا تَجْعَلُ . يَهْشَتِ ، أَي فِي الْجَنَّةِ » .  
 (٥) الْمُخْطَلُ : ذُو الْخَطَلِ ، وَهُوَ الْكَلَامُ الْفَاسِدُ الْكَثِيرُ . وَالْمُسَهَّبُ ، بِضَمِّ الْمِيمِ وَكسْرُ الْهَاءِ وَضَحْهَا : الْكَثِيرُ الْكَلَامِ .  
 ٢٥ (٦) رَجُلٌ مَهْمَارٌ : كَثِيرُ الْكَلَامِ ، كَمَا فِي اللَّسَانِ ( هـ ر ) . وَفِي مَا عِنْدَ هـ : « الْمَهْمَارُ » تَحْرِيفُ . يُقَالُ رَجُلٌ هَمَارٌ وَهَمَارٌ وَهَمَرٌ ، أَي مُكْتَثِرٌ لِلْكَلَامِ .  
 (٧) فِي مَا عِنْدَ هـ : « الْمَهْمَارُ » . وَانْظُرِ التَّيْبَةَ السَّابِقَةَ .



وقالوا : رَجُلٌ تَلْقَاةٌ <sup>(١)</sup> ، وفلان يتلهنع في خطبته <sup>(٢)</sup> . وقالوا : فلان يُخطئ في جوابه ، ويُحيل في كلامه ، ويناقض في خبره . ولولا أن هذه الأمور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سُمي ذلك البعض البعض الآخر بهذه الأسماء .

وأنا أقول : إنه ليس في الأرض كلامٌ هو أمتع ولا أنق ، ولا ألد في

٩١ الأسماع ، ولا أشد اتصالاً بالعقول السليمة ، ولا أفتق للسان ، ولا أجود تقويماً .

لليان ، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء ، والعلماء البلغاء .

وقد أصاب القدم في عامة ما وصفوا ، إلا أنني أزعّم أن سخيْف الألفاظ مشاكل

لسخيْف المعاني . وقد يُحتاج إلى السَّخِيف في بعض المواضع ، وربما أمتع بأكثر

من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ ، والشرِيف الكريم من المعاني . كما أن

١٠ النادرة الباردة جداً قد تكون أطيَب من النادرة الحارة جداً . وإِنما الكَرَبُ الذي

يَحْتِمُ على القلوب <sup>(٣)</sup> ، ويأخذُ بالأنفاس ، النادرة الفاترة التي لا هي حارة ولا باردة ،

وكذلك الشَّعر الوسط ، والغناء الوسط ؛ وإِنما الشَّان في الحار جداً والبارد جداً .

وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول : والله لفلان أثقل من مُغنٍ

وسط ، وأبغض من ظريف وسط .

١٥ ومتى سمعت - حفظك الله - بنادرة من كلام الأعراب ، فيأياك أن

تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها ؛ فإنك إن غيرتها بأن تلحنَ في إعرابها

وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين ، خرجت من تلك الحكاية وعليك

(١) التلقاة والتلقاع ، بكسر التاء واللام وتشديد القاف : الكثير الكلام .

(٢) تلهيع في كلامه : أفرط فيه .

(٣) الحُم على القلب : أن لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء ، كأنه قد طبع . فيما عدل ، هـ : ٢٠

فضلٌ كبير . وكذلك إذا سَمِعْتَ بِنَادِرَةٍ من نواذرِ العوامِ ، ومُلْحَةٍ من مُلَحِ الحُشْوَةِ والطَّعامِ ، فَإِيَّاكَ وَأَنْ تَسْتَعْمِلَ فِيهَا الإِعْرَابَ ، أَوْ تَخَيَّرَ لَهَا لَفْظًا حَسَنًا ، أَوْ تَجْعَلَ لَهَا مِنْ فَيْكِ مَخْرَجًا سَرِيًّا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَفْسِدُ الإِمْتِنَاعَ بِهَا ، وَيُخْرِجُهَا مِنْ صَوَرَتِهَا ، وَمِنْ الَّذِي أُرِيدَتْ لَهُ ، وَيُذْهِبُ اسْتَطَابَتَهُمْ إِيَّاهَا وَاسْتِمْلَاحَهُمْ لَهَا <sup>(١)</sup> .

ثمَّ اعْلَمْ أَنَّ أَقْبَحَ اللَّحْنِ لَحْنُ أَصْحَابِ التَّعْمِيرِ والتَّعْقِيبِ ، والتَّشْدِيدِ والتَّمْطِيطِ والجَهْوَةِ والتَّضْخِيمِ <sup>(٢)</sup> . وَأَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ لَحْنُ الْأَعْرَابِ النَّازِلِينَ عَلَى طُرُقِ السَّابِلَةِ ، وَيَقْرُبُ مَجَامِعِ الْأَسْوَاقِ .

ولأهل المدينة أَلْسَنُ ذَلِيقَةً ، وَأَلْفَاطٌ حَسَنَةٌ ، وَعِبَارَةٌ جَيِّدَةٌ . وَاللَّحْنُ فِي عَوَامِهِمْ فَاشِرٌ ، وَعَلَى مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي النَّحْوِ مِنْهُمْ غَالِبٌ .

وَاللَّحْنُ مِنَ الْجَوَارِي الطَّرَافِ ، وَمِنْ الْكَوَاعِبِ التَّوَاهِدِ ، وَمِنْ الشُّوَابِّ الْمِلَاحِ ، وَمِنْ ذَوَاتِ الْخُلُودِ الْغَرَائِرِ ، أَيْسَرٌ . وَرَبَّمَا اسْتَمْلَحَ الرَّجُلُ ذَلِكَ مِنْهُمْ مَا لَمْ تَكُنِ الْجَارِيَةُ صَاحِبَةً تَكْلُفٌ ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ اللَّحْنُ عَلَى سَجِيَّةِ سُكَّانِ الْبِلَدِ . وَكَأَيَّاسْتَمْلَحُونَ اللَّفْظَ إِذَا كَانَتْ حَدِيثَةَ الْهِنِ ، وَمَقْدُودَةً مَجْمُولَةً ، فَإِذَا أَسْنَتْ وَاكْتَهَلَتْ تَغَيَّرَ ذَلِكَ الْاسْتِمْلَاحُ .

وَرَبَّمَا كَانَ اسْمُ الْجَارِيَةِ عَلِيمٌ أَوْ صَبِيَّةٌ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَإِذَا صَارَتْ كَهَلَةً جَزَلَةً ، وَعَجُوزًا شَهْلَةً ، وَحَمَلَتْ اللَّحْمَ وَتَرَكَتْ عَلَيْهَا الشَّحْمَ ، وَصَارَ بَنُوها رِجَالًا وَبَنَاتُها نِسَاءً ، فَمَا أَقْبَحَ حَيْثُذُ أَنْ يُقَالَ لَهَا : يَا عَلِيمُ كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ وَيَا صَبِيَّةُ كَيْفَ أُمْسِيَتْ .

وَلَا تُرَى مَا كُنْتُ الْعَرَبُ الْبَنَاتِ فَقَالُوا : فَعَلْتُ أُمُّ الْفَضْلِ ، وَقَالَتْ أُمُّ عَمْرٍو

(١) انظر هذا الرأي أيضاً في الحيوان ( ١ : ٢٨٢ ) .

(٢) الجَهْوَةُ : مَصْرُ جَهْوَرٍ : رَفَعَ الصَّوْتَ وَأَعْلَنَهُ . ل : « وَالْجَهْوَةُ » .

وذهبت أم حكيم . نعم حتى دعائهم ذلك إلى التقدّم في تلك الكنى . وقد  
فسرنا ذلك كله في كتاب الأسماء والكنى ، والألقاب والأنبا .

وقد قال مالك بن أسماء<sup>(١)</sup> في استملاح اللحن من بعض نِسائه<sup>(٢)</sup>:

أُمُقْطِي مِنِّي عَلَى بَصْرَى لَدَى حُبِّ أُمِّ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنًا  
وَحَدِيثُ أَلَذِّهُ هُوَ مِنَّمَا يَنْعَثُ النَّاعِثُونَ يُورُونَ وَزْنًا<sup>(٣)</sup> .  
مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نَا وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

وهم يمدحون الجذق والرّفق ، والتخلص إلى حَبَاتِ القلوب ، وإلى إصابة  
عيون المعاني . ويقولون : أصاب الهدف ، إذا أصاب الحقُّ في الجملة . ويقولون :  
قَرُطَسَ فلان ، وأصاب القِرطاس ، إذا كان أجود إصابةً من الأول . فإن قالوا :

رمى فأصاب القِرّة ، وأصاب عينَ القِرطاس ، فهو الذى ليس فوقه أحد .  
ومن ذلك قولهم : فلان يَفُلُّ الحَزْرُ ، ويصيب المَفْصِل ، ويضع الهناء  
مواضع الثَقَبِ<sup>(٤)</sup> .

وقال زُرَّارَةُ بن جَزْءٍ<sup>(٥)</sup> ، حين أتى عُمرَ بن الخطاب رحمه الله فتكلم  
عنده ، ورَفَعَ حاجته إليه :

أَتَيْتُ أَبَا حَفْصٍ وَلَا يَسْتَطِيعُهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا كَالسَّنَانِ طَرِيرُ<sup>(٦)</sup>

(١) مالك بن أسماء الفزارى : شاعر إسلامي غزل ، وأخته هند بنت أسماء زوج الحجاج . وهو ممن  
عرف بالجمال في العرب . الأعشى ( ١٦ : ٤٠ - ٤٦ ) .

(٢) كنا فهم الجاحظ في شعر مالك أنه أراد باللحن الخطأ في الكلام . وقد رجع عن هذا  
الرأى بعد أن سار كتاب البيان والتبيين في الآفاق ، وفسر اللحن بأنه التمهض والتورية . انظر تاريخ  
بغداد ( ١٢ : ٢١٤ ) ومعجم الأدباء ( ٦ : ٦٥ ) مرجليوث .

(٣) في هامش ل : ه خ : تشبيه النفوس .

(٤) انظر ما سبق في ١٠٨ .

(٥) زُرَّارَةُ بن جَزْءٍ بن عمرو بن عوف بن كعب الكلابي : صحابي جليل عاش إلى خلافة مروان

ابن الحكم . انظر الإصابة ٢٧٨٨ حيث نقل ابن حجر نص الجاحظ هنا .

(٦) الطير ، هو في الأسته : المهدد ، وفي الناس : ذو الروء والمنظر .

فوقَفْنِي الرَّحْمَنُ لَمَّا لَقِيْتَهُ      وَلِلْبَابِ مِنْ دُونِ الْخَصْمِ صَرِيرُ  
قُرُومٍ غَيَارَى عِنْدَ بَابٍ مُنْتَعٍ      تُتَارِجُ مَلَكَاً يَهْتَدِي وَيَجُورُ <sup>(١)</sup>  
قُفِلَتْ لَهُ قَوْلًا أَصَابَ قَوَادَهُ      وَبَعْضُ كَلَامِ النَّاطِقِينَ غُرُورُ ٩٣

وفي شبيهه بذلك يقول عبد الرحمن بن حسان حيث يقول :  
رجالٌ أصْحَاءُ الْجُلُودِ مِنَ الْحَنَاءِ      وَاللَّسَنَةُ مَعْرُوفَةٌ أَيْنَ تَذْهَبُ <sup>(٢)</sup>  
وفي إصابة فَصَّ الشَّيْءِ وعينه ، يقول ذو الرُّمَّة في مدح بلال بن أبي  
بردة الأشعري :

تُنَاجِي عِنْدَ خَيْرٍ فَتَى يَمَانٍ      إِذَا التَّكْبَاءُ عَارَضَتْ الشَّمَالَا <sup>(٣)</sup>  
وَحَيْرُهُمْ مَا تَرَى أَهْلَ بَيْتٍ      وَأَكْرَمُهُمْ وَإِنْ كَرَّمُوا فَعَالَا  
وَأَبْعِدُهُمْ مَسَافَةً غَوْرٍ عَقِلٍ      إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الشُّبُهَاتِ عَالَا <sup>(٤)</sup>  
وَلَيْسَ بَيْنَ أَقْوَامٍ فَكُلٌّ      أَعَدَّ لَهُ الشَّعَاظِبُ وَالْمَحَالَا <sup>(٥)</sup>  
وَكُلَّهُمْ أَلَدٌ لَهُ كِطَاطٌ      أَعَدَّ لِكُلِّ حَالٍ الْقَوْمِ حَالَا <sup>(٦)</sup>  
فَصَلَّتْ بِحِكْمَةٍ فَأَصْبَتْ مِنْهَا      فَصُورُ الْحَقِّ فَانْفَصَلَ انْفِصَالَا  
وكان أبو سعيد الرَّايزي ، وهو شريشير المدني <sup>(٧)</sup> يعيب أبا حنيفة ، فقال الشاعر :

(١) الفيلري ، يفتح الفين وضمها جمع غيور . يجوز ، في هامش ل : هـ خ : أي هو من البشر  
يجوز أن يجوز على الفلظ . فيما عدا ل : هـ ونجور ، أي القروم . وهذا البيت لم يروه ابن حجر .  
(٢) أي قد صحت وبرت من الحناء .

(٣) انظر ديوان ذي الرمة ٤٤٢ - ٤٤٣ ثم ٤٤٥ والتكباء : كل ريح تهب بين يمين .

(٤) عال : عظم وتعالى . ل : هـ غال ، وفيما عدا ل : هـ غالا ، صوابها من الديوان .

(٥) الشعازيب : جمع شخرية وشخري ، وهو ضرب من الحيلة في الصراع . والحال ، بالكسر : الحيلة .

(٦) الألد : الشديد العلوة . والكطاط : تجاوز الحد في العلوة .

(٧) كنا ورد اسمه مضبوطاً في الأصل . ولم أعر له على ترجمة .

عِنْدِي مَسَائِلُ لَا شِرْشِيرُ يُحْسِنُهَا      عِنْدَ السُّؤَالِ وَلَا أَصْحَابُ شِرْشِيرٍ  
وَلَا يُصِيبُ فَصُوصَ الْحَقِّ نَعْلُهُ      إِلَّا حَنِيفَةً كَوْفِيَّةُ الدُّورِ (١)  
وَمَا قَالُوا فِي الْإِيجَازِ ، وَبُلُوغِ الْمَعَانِي بِالْأَلْفَاظِ الْيَسِيرَةِ ، قَوْلٌ ثَابِتٌ  
قَطْلَةٌ (٢) :

مَا زِلْتُ بَعْدَكَ فِي هَمٍّ يَجِيشُ بِهِ      صَلَرِي وَفِي نَصَبٍ قَدْ كَادَ يَتَلِينِي (٣)  
لَا أَكْثُرُ الْقَوْلَ فِيمَا يَهْضُبُونَ بِهِ      مِنَ الْكَلَامِ ، قَلِيلٌ مِنْهُ يَكْفِينِي (٤)  
إِنِّي تَذَكَّرْتُ قَتْلَى لَوْ شَهِدْتُهُمْ      فِي غَمْرَةِ الْمَوْتِ لَمْ يَصَلَوْا بِهَا دُونِي  
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ طَيِّ وَمَدَحَ كَلَامَ رَجُلٍ [ فَقَالَ (٥) ] : « هَذَا كَلَامٌ يُكْتَفَى  
بِأَوَّلِهِ ، وَيُسْتَقَى بِآخِرِهِ » .

وَقَالَ أَبُو وَجْزَةَ السَّعْدِيُّ (٦) ، مِنْ سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، يَصِفُ كَلَامَ رَجُلٍ :  
يَكْفِي قَلِيلٌ كَلَامِهِ وَكَثِيرُهُ      ثَبَتَ إِذَا طَالَ التَّنْصَالُ مُصِيبُ  
وَمِنْ كَلَامِهِمُ الْمَوْجَزُ فِي أَشْعَارِهِمْ قَوْلُ الْعُكْلَى ، فِي صِفَةِ قَوْسٍ :

(١) تعلمه ، جملة حالية ، أو تعلمه أي أحد تعلمه ، حذف الموصوف كما في قوله :

• يرمى يكفى كان من أرمى البشر •

فيما عدل : « تعلمه » . حنيفة ، أي جماعة منسوبة إلى أي حنيفة . وفي معجم المصنف ( ٢ : ١٩٥ ) :  
« وقاس الكمال أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري ، الحنيفي ، في النسبة إلى مذهب أي حنيفة ، فراقبته  
وبين المنسوب إلى قبيلة بني حنيفة حيث يقال فيه حنفي » .

(٢) هو أبو العلاء ثابت بن كعب ، شاعر فارس شجاع ، من شعراء الدولة الأموية وكان في صحابة  
يزيد بن المهلب ، ولقب « قطة » لأن سهماً أصابه في عينه في بعض حروب الترك ، فكان يحمل عليها قطة

انظر الأغاني ( ١٣ : ٤٧ — ٥٤ ) والخزانة ( ٤ : ١٨٥ ) والشعراء ٦١٢ والطبري ( ٨ : ١٨٥ )

(٣) الأبيات في الأغاني ( ١٣ : ٥١ — ٥٢ ) ، وهي في رثاء المفضل بن المهلب .

(٤) يهضبون في الحديث : يخوضون فيه دفعة دفعة مع ارتفاع صوت .

(٥) هذه مما عدل .

(٦) أبو وجزة هو يزيد بن عبيد ، من بني سعد بن بكر من هذيل ، أطار النسي <sup>عنه</sup> . وكان أبو وجزة

من التابعين ، روى عن جماعة من الصحابة ، وهو أحد من شُبه بمجوز: انظر الأغاني ( ١١ : ٧٥ — ٨١ )

وتنزيب التهذيب ، والشعراء لابن قتيبة .

فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مُنَوَّعٌ مُؤَثَّقَةٌ صَابِرَةٌ جَزُوعٌ <sup>(١)</sup>

وقال الآخر ، ووصف سَهْمٌ رَامٌ أَصَابَ حِمَارًا ، فقال :

• حَتَّى نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وَمَا نَجَا <sup>(٢)</sup> •

• وقال الآخر [ وهو <sup>(٣)</sup> ] يَصِفُ ذَنْبًا :

أَطْلَسَ يَخْفَى شَخْصَهُ غُبَارُهُ <sup>(٤)</sup> فِي شِدْقِهِ شَقْرُهُ وَنَارُهُ <sup>(٥)</sup>

• هُوَ الْحَيْثُ عَيْنُهُ فَرَارُهُ <sup>(٦)</sup> بِهِمْ بَنَى مُحَارِبٌ مُزْدَارُهُ <sup>(٧)</sup>

ووصف الآخر ناقة فقال :

• خَرَقَاءُ إِلَّا أَنَّهَا صِتَاعٌ <sup>(٨)</sup> •

يَصِفُ سُرْعَةَ نَقْلِ يَدَيْهَا وَرَجْلَيْهَا ، أَنَّهَا تَشْبهُ الْمَرْأَةَ الْخَرَقَاءَ ، وَهِيَ الْخَرَقَاءُ فِي

أَمْرِهَا الطَّيَّاشَةُ <sup>(٩)</sup> . وقال الآخر ووصف سَهْمًا صَابِرًا <sup>(١٠)</sup> ، فقال :

• أَلْقَى عَلَى مَفْطُوحِهَا مَفْطُوحًا <sup>(١١)</sup> غَاذَرَ دَاءً وَنَجَا صَحِيحًا

(١) يقول : إنها تسهل على بابها مرة وتصعب أخرى . ويعنى يجزعها رنينا وصوتها عند الإنباض . انظر الحيوان ( ٣ : ٧٢ ) .

(٢) وكذا في الحيوان ( ٣ : ٧٥ ) : • من جوفه • ، أى نجا السهم من جوف الحمار ولم ينج الحمار من الملاك . وفي ل : • من شخصه • .

(٣) هذه مم عدل . وانظر الرجز في الكامل ٢٠٨ وجهزة المسكوى ١٩ وديوان المعاني ( ٢ : ١٣٤ ) ومحاسن البيهقي ( ٢ : ١٣٤ ) والحيوان ( ٦ : ٤٣٨ ) .

(٤) الأطلس : مالونه الطلسة ، وهى غيرة إلى سواد . وأراد أنه يسرع العدو فيثير من الغبار ما يخفى شخصه .

(٥) الشفرة : السكين العريضة العظيمة . عني أنه قد استغنى بأنياه عن معالجة مطعمه بالشفرة ثم بالنار .

(٦) هذا البيت وتاليه ليس في ل . والفرار ، مثلية الفاء : أن يمر عن أستان الدابة ليعلم سته .

٢٠ أى تعرف خبيثه في عينه إذا أبصرته . يضرب مثلا لمن يدل ظاهرو على باطنه .

(٧) مزداره : موضع نهلته وسطوه .

(٨) الحيوان ( ٣ : ٧٢ ) والعمدة ( ١ : ١٦٨ ) .

(٩) هذا التفسير ساقط مم عدل ل .

(١٠) الصلاد : التناقد المصيب ، وهو المتطرق أيضا . والمزاد الأول .

(١١) انظر العمدة ( ١ : ١٦٨ ) واللسان ( ضلع ) . وفيه : • على ضلحاتها • . قال :

• وعنى بالفتحاء الموضع المبسط منها ، كالفرصة • .

[المفطوح الأول للقوس، وهو العريض، وهو هاهنا موضع مقبض القوس. والمفطوح الثاني: السهم العريض. يعنى أنه ألقى على مقبض القوس سهما عريضاً<sup>(١)</sup>].  
وقال الآخر:

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ لَا تُفْلِحُ      اللَّيْلُ أَخْفَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ<sup>(٢)</sup>  
وقالوا في المثل: « اللَّيْلُ أَخْفَى لِلزَّوِيلِ » . وقال رؤبة يصف حمارة<sup>(٣)</sup>:  
حَشْرَجَ فِي الْجُوفِ سَحِيلًا وَشَهَقَ      حَتَّى يُقَالَ نَاهَقٌ وَمَا نَهَقُ  
الحشرجة: صوت الصدر. والسجيل: صوت الحمار إذا مدّه.  
والشهيق: أن يقطع الصوت.

وقال بعضُ ولدِ العباس بن مرداس السُّلَمي، في فرس أبي الأعور السُّلَمي<sup>(٤)</sup>:  
جاءَ كَلْمُجُ البرقِ جاشٌ ناظِرُه<sup>(٥)</sup>      يَسْبَحُ أَوْلَاهُ وَيَطْفُو آخِرُه  
٩٥ . فما يَمْسُ الأرضُ منه حافِرُه .  
قوله: جاش ناظره، أي جاش بمائه. وناظر البرق: سحابه. يسبح،  
يعنى يمد ضبغيه، فإذا مدّهما علا كفّله. وقال الآخر:  
. إِنْ سَرَّكَ الْأَهْوَنُ فَايْدَأْ بِالْأَشَدِّ .

وقال العجاج:  
يَمَكُنُ السَّيْفُ إِذَا السَّيْفُ أَنْاطَرَ<sup>(٦)</sup>      مِنْ هَامَةِ اللَّيْلِ إِذَا مَا اللَّيْلُ هَرَّ<sup>(٧)</sup>  
١٥

(١) هذه مما عدل.

(٢) أنشد الجاحظ البيت الأول في الحيوان (١: ٢٨٥) والثاني في (٣: ٧٢).

(٣) ديوان رؤبة ١٠٦.

(٤) أبو الأعور السلمي مشهور بكنيته. واسمه عمرو بن سفيان بن عيد شمس. وهو صحابي قائد، غزا قبرص سنة ٢٦ وكانت له مواقف بصفين مع معاوية. الإصابة ٥٨٤٦.

(٥) كتب في ل: ملطوه، فوق: ناظره.

(٦) أناطر: انمطط وانتنى. وانظر ديوان العجاج ١٨.

(٧) هر: زلزل. فيما عدل، ه: إذا الليث هتر: تخيف.

كَجَمَلِ الْبَحْرِ إِذَا خَاصَ جَسْرٌ غَوْلِبُ الْيَمِّ إِذَا الْيَمُّ هَذَرُ <sup>(١)</sup>  
 • حَتَّى يُقَالَ حَاسِرٌ وَمَا حَسَرَ <sup>(٢)</sup> •

قالوا : جمل البحر سمكةً طولها ثلاثون ذراعاً . يقول : هذا الرجل يبعد كما  
 تبعد هذه السمكة بمسافة ، لا يردُّها شيء ، حَتَّى يُقَالَ كاشفٌ وما انكشف  
 البحر . يقال : البحر حاسرٌ وجازرٌ . يقول : حَتَّى يحسب الناسُ من ضيخم  
 ما يبدو من هذا الجمل ، أَنَّ الماءَ قد نَضَبَ عنه ، وَأَنَّ البحرَ حاسرٌ . وقال آخرُ :  
 يَا دَارُ قَدْ غَيَّرَهَا بِلَاقَا كَأَنَّمَا بَقَلِمَ مَحَاها <sup>(٣)</sup>

أَخْرَبَهَا عُمَرَانُ مَن بَنَاهَا وَكَرَّ مُمَسَاها عَلَى مَفْنَاهَا <sup>(٤)</sup>  
 وَطَفِقَتْ سَحَابَةٌ تَغْشَاهَا تُبْكِي عَلَى عِرَاصِها عَيْنَاهَا

قوله : أَخْرَبَهَا عُمَرَانُ مَن بَنَاهَا ، يقول : عَمَرُها بالخراب . وأصل العُمران  
 مأخوذ من العَمَر ، وهو البقاء ، فإذا بقى الرَّجُلُ في داره فقد عَمَرها . فيقول : إِنَّ  
 مُدَّةَ بَقَائِهِ فيها أَبْلَتْ منها ؛ لِأَنَّ الْأَيَّامَ مُؤَثَّرَةٌ فِي الْأَشْيَاءِ بِالنَّقْصِ وَالْبَلَى ، فلما بقى  
 الخرابُ فيها وقام مقام العُمران في غيرها ، سُمِّيَ بالعُمران . وقال الشاعر <sup>(٥)</sup> :

يَا عَجَلُ الرَّحْمَنِ بِالْعَذَابِ لِعَامِرَاتِ الْبَيْتِ بِالْخَرَابِ

يعنى الفار . يقول : هذا عُمَرَانُها ، كما يقول الرَّجُلُ : « ما تَرى من خَيْرِك » ٩٦

(١) غولِبُ اليم : أعالي موجه .

(٢) فيما عدل : « جاسر وما جسر » . ورويا في هـ بالحاء والجيم معا .

(٣) هذا التفسير كتب في هامش التيمورية ، وأشير إلى أنه في نسخة . في صلب سائر النسخ

بدل هذا التفسير تفسير آخر ، وهو « اليم : معظم الماء . وغولِبُ اليم : معظمه . جسر : قطع ، ومنه  
 قيل للجسر جسر لأن الناس يقطعون عليه . وقوله حتى يقال جاسر وما جسر ، أى قطع الأمر وهو بعد  
 فيه ، لا يرون من مضائه فيه وقدرته عليه » .

(٤) ل قطع : « مفناها » ، وهو الوجه الذى نرتضيه في رواية البيت ، لكن التفسير الذى سيؤيد

فيما بعد يثبت ما أثبت من سائر النسخ .

(٥) هو أعرابى دخل البصرة فاشتري خبزاً فأكله الفار . انظر ديوان المعاني ( ٢ : ١٠ ) لميوان



ورفدك ، إلا ما يبلغنا من خطبك علينا <sup>(١)</sup> ، وقتك في أعضادنا .

وقال الله عز وجل : ﴿ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ . والعذاب لا يكون نزلاً ، ولكن لما قام العذاب لهم في موضع التعيم لغورهم ، سُمي باسمه .  
وقال الآخر :

• قفلت أطعمني عُمَيْرَ ثَمْرًا فكان ثَمْرِي كَهَرَّةَ زَيْرٍ <sup>(٢)</sup> .

والثمر لا يكون كَهَرَّةَ ولا زَيْراً ، ولكنه على ذا . وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ، وليس في الجنة بُكْرَةٌ ولا عَشْيٌ ، ولكن على مقدار البُكْرِ والعَشْيَاتِ . وعلى هذا قول الله عز وجل : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزْنَةِ جَهَنَّمَ ﴾ . والخَزْنَةُ : الحَقْظَةُ . وجهنم لا يضيع منها شيء فيحفظ ولا يختار دخولها إنسان فيمنع منها ، ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الحازن سُميت به .

قوله : مُنْسَاهَا ، يعنى مَسَاءَهَا . ومقناها : موضعها الذى أقيم فيه .  
والمعاني : المنازل التى كان بها أهلؤها . وطَفِقَتْ ، يعنى ظَلَّتْ . تبكى على عراصها عَيْنَاهَا ، عيناها هاهنا للسحاب . وجعل المطر بكاءً من السحاب على طريق الاستعارة ، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه . ويقال لكل جَوْنَةٍ مُنْفَتِقَةٍ ليس فيها بناءٌ : عَرَصَةٌ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : اجتمع ثلاثة من الرواة فقال لهم قائل : أى نصيف بيت شعر أحكم وأوجز ؟ فقال أحدهم : قول حُميد بن ثور الهلالي :

(١) ما يبلغنا ، أى ما يصل إلينا . وفي اللسان : وحطب فلان بفلان : سعى به . ل .

• خطبتك فينا . فيما عدا ل : من خطبك علينا والصواب ما أثبت من هـ .

(٢) الكهرة : الانتهاز . والزير : الزجر والمنع . وانظر للخلاف في رواية الرجز الحيوان ( ٤ :

٢٧٤ / ٥ : ٢٣ ) والمخصص ( ٢ : ١٣٤ ) .

• وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصْحَ وَتَسْلَمَا <sup>(١)</sup> •

ولعلَّ حُميداً أَنْ يَكُونَ أَخَذَهُ عَنِ الثَّمَرِ بْنِ تَوَلَّبَ ، فَإِنَّ الثَّمَرَ قَالَ <sup>(٢)</sup> :  
يُحِبُّ الْفَتَى طَوْلَ السَّلَامَةِ وَالْغِنَى فَكَيْفَ تَرَى طَوْلَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ <sup>(٣)</sup>  
وقال أبو العتاهية :

• أَسْرَعَ فِي نَقْصِ امْرِئٍ ثَمَامُهُ <sup>(٤)</sup> •

ذهب إلى كلام الأول : • كُلُّ مَا أَقَامَ شَخْصٌ ، وَكُلُّ مَا أَزْدَادَ نَقْصٌ ،  
ولو كَانَ النَّاسُ يُمِيتُهُمُ الدَّاءُ ، إِذَا لَأَعَاشَهُمُ الدَّوَاءُ <sup>(٥)</sup> •

وقال الثاني من الرواة الثلاثة : [ بل <sup>(٦)</sup> ] قَوْلُ أَبِي خِرَاشٍ الْهَظْلِيُّ <sup>(٧)</sup> : ٩٧

• نُوَكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضَى <sup>(٨)</sup> •

وقال الثالث من الرواة : بل قَوْلُ أَبِي ذُوَيْبٍ الْهَظْلِيُّ :

• وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ <sup>(٩)</sup> •

(١) صدره كما في ديوان حميد ٧ والحيوان ( ٦ : ٥٠٣ ) :

• أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتِي بِعَدِّ صَحَّةِ •

(٢) يدل هذه العبارة فيما عدل : • قَالَ الثَّمَرُ • فَقَطْ .

(٣) انظر الحيوان ( ٦ : ٥٠٣ ) وَالْأَعْنَى ( ١٩ : ١٥٩ ) وَالْمَعْمَرِينَ ٦٣ .

(٤) ما عدل هـ : • نَقْصٌ • ، بِالضَّادِ الْمَجْمُوعَةِ ، وَكُنَّا وَرَدَ فِي الْهَيَوَانِ ( ٦ : ٥٠٢ ) لَكِنْ فِي

الْهَيَوَانِ ( ٣ : ٤٧٩ ) وَعَيْنُ الْأَخْبَارِ ( ٢ : ٣٢٢ ) : • نَقْصٌ • ، وَهُوَ الْأَنْثَلُ .

(٥) انظر الحيوان ( ٦ : ٥٠٢ ) .

(٦) هذه مما عدل ل .

(٧) أَبُو خِرَاشٍ الْهَظْلِيُّ : هُوَ عَوِيلَدُ بْنُ مَرَّةٍ ، مَخْضَرٌ أَدْرَكَ زَمَانَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهَاجَرَ إِلَيْهِ ،

وَعُزَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَاتَ فِي زَمَانِ عُمَرَ . الْإِسَابَةُ ٢٤١ وَالْأَعْنَى ( ٢١ : ٣٨ - ٤٨ ) وَالْخَزَانَةُ ( ١ : ١١٢ ) وَالشَّعْرَاءُ لَأَيْنَ قَتِيَّةِ .

(٨) عَجَزَ بَيْتٌ مِنْ مَرْثِيَةٍ لَهُ رَوَاهَا أَبُو تَمَامٍ فِي الْحِمَاسَةِ ( ١ : ٣٢٦ ) يَرُثِي بِهَا أَخَاهُ عَمْرَةَ بِنَ مَرَّةٍ

الشاعر الهذلي ، أَحَدُ إِخْوَتِهِ الشَّعْرَاءَ الْعَشَقَ . وَصَدْرُهُ :

• عَلَيَّ أَنَّهَا تَطَوَّرَ الْكَلَامُ وَإِنَّمَا •

وَالْقَصِيدَةُ بِتَامِهَا فِي نَسْخَةِ الشَّعْبِيَّاتِ مِنْ دِيَوَانِ الْهَظْلِيِّينَ .

(٩) مِنْ مَرْثِيَةِ الْمَشْهُورَةِ ، فِي أَوَّلِ دِيَوَانِهِ وَلِلْقَصِيدَاتِ ( ٢ : ٢٢١ - ٢٢٩ ) . وَصَدْرُهُ :

• وَالنَّفْسُ رَاقِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا •

فقال قائل : هذا من مفاخر هُذَيْل : أن يكون ثلاثة من الرّواة لم يصيبوا في جميع أشعار العرب إلّا ثلاثة أنصاف ، اثنان منها لهذيل وحدها . فقليل لهذا القائل : إنما كان الشرط أن يأتوا بثلاثة أنصافٍ مستغنياتٍ بأنفسها ، والنّصف الذي لأبي ذؤيب لا يستغنى بنفسه ، ولا يفهم السامعُ معنى هذا النّصف حتّى يكون موصولاً بالنّصف الأوّل ؛ [ لأنك إذا أنشدت رجلاً لم يسمع بالنّصف الأوّل <sup>(١)</sup> ] وسمع :

• وإذا تُرِدُ إلى قليلٍ تَقْنَعُ •

قال : من هذه التي تُرَدُّ إلى قليلٍ فتقنع . وليس المُضْمَنُ <sup>(٢)</sup> كالماطِلق وليس هذا النّصف مما رواه هذا العالم ، وإنما الرّواية قوله :

• والدَّهْرُ ليس بمُعْتَبٍ مَنْ يَجْزُعُ <sup>(٣)</sup> •

• • •

ومما مدحوا به الإيجاز والكلام الذي هو كاللوحى والإشارة ، قول أبي دؤاد بن حَيزم الإيادي <sup>(٤)</sup> :

يُرْمُونُ بِالْحُطْبِ الطُّوَالِ وَتَارَةً وَخَى الْمَلَا حِظَ خَيْفَةِ الرُّبَاءِ

فمدح كما ترى الإطالة في موضعها ، والحذف في موضعه .

ومما يدل على شغفهم وكلفهم ، وشيئة حبهم للفهم والإفهام ، قول الأسدى في صفة كلام رجلٍ تفت له موضعاً من تلك السباسب التي لا أماراة فيها ، بأقلّ اللفظ وأوجزه ، فوصف إيجاز الناعت ، وسرعة فهم المنعوت له ، فقال :

(١) هذه مما علّا ل .

(٢) ل : « المضمّن » .

(٣) هو عجز مطلع مرثية . صدره :

• أمن المتن وبها ترجع •

(٤) في الأصل : « بن حيزم الإيادي » . وانظر ما سبق في ٤٢ ، ٤٤ .

بِضَرِيَّةٍ نَعَيْتَ لَمْ تُعَدِّ غَيْرَ أَتَنَى عَقُولُ لَأَوْصَافِ الرِّجَالِ ذَكَوْرُهَا (١)  
وهذا كقولهم لابن عباس : أتنى لك هذا العلم ؟ قال : « قلب عَقُولُ ،  
ولسان سَوُول (٢) » .

وقال الزجاج (٣) .

وَمَهْمَهَيْنِ فَلَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ (٤) جُبْتُهُمَا بِالتَّعْتِ لَا بِالتَّعْتَيْنِ (٥)  
ظَهَرَا مِثْلَ ظُهُورِ التُّرْسَيْنِ (٦) قَطَعَتْهُ بِالْأَمِّ لَا بِالسَّمْتَيْنِ (٧)

\*\*\*

وقالوا في التحذير من ميسم الشعر ، ومن شدة وقع اللسان ، ومن بقاء أثره  
على المملوح والمهجور ، قال امرؤ القيس بن حُجر :  
وَلَوْ عَنْ نَكَا غَيْرِهِ جَاءَنِي وَجَرَحُ اللِّسَانِ كَجَرَحِ الْيَدِ (٨)  
وقال طرفة بن العبد :

بِحُسَامِ سَيْفِكَ أَوْ لِسَانِكَ وَالْكَ لِمِ الْأَصِيلِ كَأَرْغَبِ الْكَلِمِ (٩)

(١) ل قطع : « بنت » تحذف . على أنه قد كتب في هامشها « خ : نعت » .

(٢) انظر ما سبق من الكلام على الخلاف في نسبة هذا القول ص ٨٤ - ٨٥ .

(٣) هو خطام الجاشسي ، أو هيمان بن قحافة . انظر الخزانة ( ٣ : ٢٧٤ - ٢٧٦ ) ، وكتاب  
سيرته ( ١ : ٢٤١ / ٢ : ٢٠٢ ) .

(٤) المهمه : الفقر الخفيف . والقذف ، بالتحريك : البعيد . فيما عدل : « فخذلين » . وقد  
نه المعنى على هذه الرواية . والموت ، بالفتح : المتي لا ماء فيها ولا نيات .

(٥) وصف نفسه بالحنق والمهارة . والمرب يفخرون بمعرفة الطرق .

(٦) يستشهد به النحويون على الجمع بين لفتى التثنية والجمع في المضاف إلى المثنى إذا كان  
بعض ما أضيف إليه . وهذا البيت وما بعده في ل قطع .

(٧) الرواية المروقة : « بالسمت لا بالسمتين » .

(٨) الشا ، بتقديم النون : ما أعجبت به عن الرجل من حسن أو سيء . وبعده في الديوان ١٨٦ :

قللت من القول ما لا يلا ل يؤثر عني يد السند

(٩) حسام السيف : طرفه الذي يضرب به . والكلم ، بفتح فكسر : جمع كلمة . أرغب :

أوسع . والكلم : الجرح . ل : « والكلم الرقيب » صوابه في سائر النسخ وديوان طرفة ٦١ .

قال : وأنشدني محمد بن زياد <sup>(١)</sup> :

لَحَيْثُ شَمَاساً كَمَا تُلْحَى الْعَصَى      سَبَّأُ لَوْ أَنَّ السَّبَّ يُدْمِي لِلدَّمَى  
مِنْ نَفَرٍ كُلُّهُمْ نَكْسٌ ذَنْبِي      مَحَامِدُ الرُّذُلِ مِثَالُ السَّرِي <sup>(٢)</sup>  
مَخَابِطُ الْعُكْمِ مَوَادِيحُ الْمَعْلَى <sup>(٣)</sup>      مَتَارِكُ الرُّفِيقِ بِالْخَرْقِ التَّوْطَى <sup>(٤)</sup>

وأنشد محمد بن زياد :

تَمَّتْ أَبُو الْعَفَّاقِ عِنْدِي هَجْمَةٌ      تُسَهِّلُ مَاوِي لَيْلَهَا بِالْكَلا كُل <sup>(٥)</sup>  
وَلَا عَقْلٌ عِنْدِي غَيْرُ طَعْنٍ نَوَافِدٍ      وَضَرْبٍ كَأَشْدَاقِ الْفِصَالِ الْهَوَادِلِ  
وَسِبَّ يَوْمُ الْمَرْءِ لَوْ مَاتَ قَبْلَهُ      كَصَدْعِ الصَّمَا فَلَقَّتْهُ بِالْمَعَاوِلِ <sup>(٦)</sup>

الْهَجْمَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الثُّوبِ فِيهَا فَحْلٌ . وَالْكُلْكُلُ : الصُّدْرُ . وَالْفِصَالُ :

- ١٠ جمع فَصِيلٍ ، وهو ولد الثَّاقَةِ إِذَا فُصِّلَ عَنْهَا . وَالْهَوَادِلُ : الْعِظَامُ الْمَشَافِرُ . وَالْعَقْلُ  
هَـ هَـا الدَّيْءُ . وَالْعَاقِلَةُ : أَهْلُ الْقَاتِلِ الْأَدْنَوْنَ وَالْأَبْعَلُونَ . وَالصَّمَا : جَمْعُ صَفَاءٍ وَهِيَ  
الصَّخْرَةُ . وَقَالَ طَرَفَةُ :

- (١) هو أبو عبد الله محمد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابي ، الكوفي ، كان روية لأشعار القبائل  
ناسبا ، وأحد العاملين باللغة المشهورين بمعرفة ، أعز عن المفضل والكسائي ، وأخذ عنه ثعلب وابن  
السكيت . ولد ليلة وفاة أبي حنيفة سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٣١ . وفيات الأعيان وفتحة الوعاة . انظر مثل  
البيت الأول في اللسان ( قيس ٩٢ ) .

- (٢) القياس في مفرد حماد ، محمد بالكسر ، وفي مفرد مشاتم مشتات . ولم أجد هـا في معجم .  
(٣) الحكم ، بالكسر : العدل مادام فيه المتاع . وانهاط ، من انحط وهو طلب المعروف . هـ :  
« غنايط » : ينجيهم عكسهم . مواديع المعلى ، أى مطيهم مودعة لا يجهلونها .  
(٤) المحرق ، بالفتح : القفر ، والأرض الواسعة تصخر فيها الرياح . والتطلى بالعبد وهذا البيت لم يرد في ل .  
(٥) أبو العفَّاق ، لهله أُرَادَ به الذئب ؛ لأنه يفتق ؛ أى يسرع في العدو . وفي الحيوان ( ٦ :  
٤١٣ ) وحواشي هـ عن نسخة : « أبو القيطان » ، وهى كنية للذئب أيضاً ؛ لأنه :  
ينام بإحدى مقلتيه وهى بأخرى النائم فهو يظن نائم

ولم أجد هاتين الكنيتين فيما لدى من المراجع . وفي القاموس أن أبا القيطان اسم للدب .

(٦) في الحيوان : « كوقع المضاب صدعت بالمعول » .

رَأَيْتُ الْقَوَافِي يَتَلَجَّن مَوَالِجًا      تَضَائِقُ عَنْهَا أَنْ تَوَلَّجَهَا الْإِبْرُ (١)  
وقال الأخطل :

حَتَّى أَقْرُوا وَهَم مَنَى عَلَى مَضَضٍ      وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تُنْفِذُ الْإِبْرُ (٢)  
وقال العُمَانِيُّ :

إِذْ هُنَّ فِي الرِّبْطِ وَفِي الْمَوَادِعِ      تُرْمَى إِلَيْهِنَّ كَبَلَرِ الزَّرَارِعِ (٣)  
الرِّبْطُ : الثَّيَابُ ، وَاحِدُهَا رِبْطَةٌ ؛ وَالرِّبْطَةُ : كُلُّ مَلَاعَةٍ لَمْ تَكُنْ لِفَقِيرٍ . وَالْحَلَّةُ  
لَا تَكُونُ إِلَّا ثَوْبَيْنِ . وَالْمَوَادِعُ : الثَّيَابُ الَّتِي تُصَوَّنُ غَيْرَهَا ، وَاحِدُهَا مِيدَعَةٌ .

وَقَالُوا : « الْحَرْبُ أَوَّلُهَا شَكْوَى ، وَأَوَسَطُهَا نَجْوَى ، وَآخِرُهَا بَلْوَى » .

وَكُتِبَ نَصْرُ بَنِ سَيَّارٍ ، إِلَى ابْنِ هَيْوَةَ (٤) أَيَّامَ تَحَرُّكِ أَمْرِ السُّوْدِ  
بِخُرَاسَانَ (٥) :

أَرَى خَلَّلَ الرَّمَادَ وَمِضَّ جَمْرٍ      فَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ اضْطِرَامٌ (٦)  
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكَّى      وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ (٧)  
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ : لَيْتَ شِعْرِي      أَلَّا يَقَاطُ أُمِيَّةٌ أَمْ نِيَامٌ (٨)

(١) القوافي : القصائد . يتلجن ؛ يدخلن ، أصله يتولجن من الولوج . والبيت في ديوان طرفة ٤ .

(٢) في ديوان الأخطل ١٠٥ : « حتى استكانوا وهم منى على مضض » .

(٣) هـ : مرمي » .

(٤) كان نصر بن سيار عامل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية على خراسان ، وكان ابن  
هيوطة - وهو يزيد بن عمر بن هيوطة - عامله على العراق . وفي تاريخ الطبري ( ٩ : ٩٢ ) أنه كتب  
بالشعر إلى مروان بن محمد . وانظر كتاب البغال ٢٧١ والعقد ( ٤ : ٢١ ، ٤٧٧ ) .

(٥) السواد : شعار العباسيين ، وقول من أظهر السواد أبو مسلم الخراساني ، داعي الدولة  
العباسية في خراسان .

(٦) الطبري : « بين الرماد » . ل : « لها ضرام » . وفي الطبري : « فأحجج بأن يكون له ضرام »  
أحجج : أجبر . وانظر العقد ( ١ : ٩٤ و ٤ : ٢١٠ ، ٤٧٨ ) وعيون الأخبار ( ١ : ١٢٨ ) .

(٧) فيما عدل : « أولها كلام » . الطبري : « مبدؤها الكلام » .

(٨) ل : « أقول » .

فَإِنْ كَانُوا لِجَنَّتِهِمْ نِيَامًا      قُلْ قَوْمُوا فَقَدْ طَالَ النَّمَامُ <sup>(١)</sup>  
وقال بعض المولدين :

إِذَا نَلْتُ الْعَطِيَّةَ بَعْدَ مَطْلٍ      فَلَا كَانَتْ ، وَإِنْ كَانَتْ جَزِيلَةً  
فَسَقِيًّا لِلْعَطِيَّةِ ثُمَّ سَقِيًّا      إِذَا سَهَلَتْ ، وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً  
وَلِلشُّعْرَاءِ أَلْسِنَةً جِدَادًا      عَلَى الْعَوْرَاتِ مُوفِيَّةً دَلِيلَةً  
وَمِنْ عَقْلِ الْكَرِيمِ إِذَا اتَّقَاهُمْ      وَدَارَاهُمْ مُدَارَةً بَجِيلَةً <sup>(٢)</sup>  
إِذَا وَضَعُوا مَكَائِدَهُمْ عَلَيْهِ ،      وَإِنْ كَذَبُوا ، فَلَيْسَ لَهُنَّ حِيلَةٌ <sup>(٣)</sup>

وقالوا : « مذاكرة الرجال تلقح لألبابها » .

وَمَا قَالُوا فِي صِفَةِ اللِّسَانِ قَوْلَ الْأَسَدِيِّ <sup>(٤)</sup> ، أَنَشِدْنِيهَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

وَأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلتَّائِبِ      بَ عِرْضًا بِرِيقًا وَعَظْمًا صَقِيلًا <sup>(٥)</sup>  
وَوَقَعَ لِسَانُ كَحْدٍ السَّنَا      بِنْ وَرُحْمًا طَوِيلَ الْقِنَاةِ عَسُولًا <sup>(٦)</sup>

وقال الأعشى :

وَأَذْفَعُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ وَأُعِيرُكُمْ      لِسَانًا كَمَقْرَاضِ الْخَفَاجِيِّ مُلْحَبًا <sup>(٧)</sup>  
[ الْمِلْحَبُ : الْقَاطِعُ <sup>(٨)</sup> ] .

١٠٠

(١) فيما عدا ل : « حان القيام » . وهذا البيت لم يروه الطبري . وزاد الطبري في الخبر : ١٥  
« فكتب إليه : الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فاحسم التَّوَلُّولَ قبلك . فقال نصر : أما صاحبكم فقد  
أعلتكم ألا نصر عنده » .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) المكاوي : جمع مكاولة . أراد لولاذع الهجاء . أي ليس لتلك المكاولة من حيلة وإن كانت كذبا .

(٤) هو عبد قيس بن خفاف البرجمي . والبرجم من أسد بن ربيعة . انظر المفضليات ( ٢ ) : ٢٠ .

( ١٨٦ ) حيث القصيدة ، والاشتقاق ١٩٧ .

(٥) المضرب : السيف القاطع .

(٦) المصول : المضطرب للينه .

(٧) وكذا في الديوان ٩٠ . لكن فيما عدا ل : « أذافع » . وروى في هـ : « كمقرض » .

و « كمقرض » . وفي حواشيا : « المقرض : حديدية يقطع بها الحديد والفضة » .

(٨) هذا الشرح ليس في ل .

الخفاجي : رجل إسكاف منسوب إلى خفاجة <sup>(١)</sup>.

وقال ابن هرمة :

قل للذي ظلّ ذا لوتين يأكلني      لقد خلوت بلحم عديم البشم <sup>(٢)</sup>  
إياك لا الزمن لحيتك من لجمي      نكلاً يتكل فراصاً من اللجم <sup>(٣)</sup>  
إني امرؤ لأصوغ الحلّى ثعلمه      كفّاي ، لكن لساني صائغ الكليم

وقال الآخر :

إني بعيت الشعر وابتغاني      حتى وجدت الشعر في مكاني

• في عيّبة مفتاحها لسانى •

وأشدد :

١٠. إني وإن كان ردائي خلقاً <sup>(٤)</sup>      وبرنكاني سبيلاً قد أخلقاً <sup>(٥)</sup>

• قد جعل الله لساني مطلقاً •

(١) هذا الشرح ساقط مما عدل . وفي شرح الديوان : « نسبة إلى خفاجة بن معاوية بن عقيل » .

(٢) ذكر أبو الفرج في الأغاني ( ٤ : ٦ ) من سبب هذا الشعر أن المسور بن عبد الملك

الخرزومي كان يحب شعر ابن هرمة ، وكان المسور هذا عالماً بالشعر والنسب ، فقال ابن هرمة فيه ما قال .  
١٥. عدم البشم ، أي لا يشم من أكله ، وذلك لمجره عن مضغه . هـ : « علم » . والمعلم : الشديد  
لا يطلق . أي يشم من طعمه ولا يطيق هضمه .

(٣) النكل ، بالكسر : اللجام أو حديثه . فراصاً : قطعاً ، القمص : القطع .

(٤) فيما عدل : « لزرى » . والآيات في اللسان ( برنك ) .

(٥) البرنكان ، كزعران : قال ابن منظور : كساء من صوف له علمان . وفي القاموس :

٢٠. ويقال للكساء الأسود البركان والبركاني - بتشديد الراء فيها - والبرنكان كزعران والبرنكاني . وفي  
المعرب ٦٩ : « والبرنكان يقال كساء برنكاني ، وليس هو بعري ، والجمع برنك ، وقد تكلمت به  
المعرب » . لكن فيه ٥٦ : « ابن دريد : والبرنكان بالفارسية وهو الكساء » . على أن نص ابن دريد في  
الجمهرة ( ٣ : ٣٠٨ ) : « والبرنكان أيضاً ، كساء برنكاني . ليس بعري » . فالنص الأخير من المعرب  
غريب .



### بسم الله الرحمن الرحيم<sup>(١)</sup>

قال أبو عثمان : والعناني حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ<sup>(٢)</sup> لم يعني أن كل من أفهمنا من معاصر المؤلدين والبلديين قصده ومعناه ، بالكلام الملحون ، والمعلول عن جهته ، والمصروف عن حقه ، أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان ، بعد أن قد فهمنا<sup>(٣)</sup> معنى كلام التبطي الذي قيل له : لم اشتريت هذه الأتان ؟ قال : « أركبها وتلد لي<sup>(٤)</sup> » . وقد علمنا أن معناه كان صحيحاً .

وقد فهمنا قول الشيخ الفارسي حين قال لأهل مجلسه : « ما من شر من ذئب » وأنه قال حين قيل له : ولم ذلك يا أبا فلان ؟ قال : « من جرى يتعلقون<sup>(٥)</sup> » . وما نشك أنه قد ذهب مذهباً ، وأنه كما قال .

وقد فهمنا<sup>(٦)</sup> معنى قول أبي الجهمير الخراساني النحاس ، حين قال له الحجاج : أتبيع اللوالب المعينة من جند السلطان ؟ قال : « شريكنا<sup>(٧)</sup> في هوازها ، وشريكنا<sup>(٨)</sup> في مداينها . وكما تحيي نكون<sup>(٩)</sup> » . قال الحجاج : ما تقول ،

(١) هذه مما عدل ل .

(٢) انظر ما سبق في ص ١١٣ س ٩ - ١٠ .

(٣) جملة « ونحن قد فهمنا » ، ساقطة مما عدل ل .

(٤) انظر ما سبق في ص ٧٤ س ٥ - ٧ . ل فقط : « وتولد لي » .

(٥) من جرأة ، أي من أجله . وفي اللسان ( جرر ) : « وربما قالوا من جررك غير مشدد ، ومن

جراتك بالمد من المحل » . وكتب إزاعها في التيمومية : « أي من أجل » . أراد من جرى الدائنين الذين يتعلقون بمدنهم » .

(٦) هاتان من ل ، هـ فقط .

(٧) جمع لفظ « شريك » على الطريقة الفارسية بزيادة الألف والنون ، كما يقولون في جمع مرد ،

بمعنى رجل : مردان . فيما عدل ل : « شريكنا » .

(٨) فيما عدل ل : « نكون » ، بالتاء .

ويلك ! فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطباء وكلام العلوج بالعريّة حتى ١٠١  
صار يفهم مثل ذلك : يقول : شركاؤنا بالأهواز وبالمدائن ، يعيشون إلينا بهذه  
الدواب ، فنحن نبيعها على وجوهها .

- وقلت لحاديم لى : فى أى صناعة أسلموا هذا الغلام ؟ قال : « فى  
أصحاب سيند نعال » يريد : فى أصحاب الثعال السندية . وكذلك قول  
الكاتب المغلاق للكاتب الذى دونه : « اكتب لى قل خطّون <sup>(١)</sup> » وريحنى منه .
- فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل ، جعل  
الفصاحة واللكنة ، والخطأ والصواب ، والإغلاق والإبانة ، والملحون والمُعرب ،  
كله سواء ، وكله بياناً . وكيف يكون ذلك كله بياناً ، ولولا طول مخالطة  
السامع للعجم وسماعه للفساد من الكلام ، لما عرّفه . ونحن لم نفهم عنه إلا  
للتقص الذى فىنا . وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معانى  
هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رطانة الرومى والصقلى ، وإن كان هذا الاسم  
إنما يستحقونه بأننا نفهم عنهم كثيراً من حوائجهم . فنحن قد نفهم  
بحمّة القرس كثيراً من حاجاته ، ونفهم بضغاء السنور كثيراً من إراداته <sup>(٢)</sup> .
- وكذلك الكلب ، والحمار ، والصبي الرضيع .

ولئما عنى العتاي إفهامك العرب حاجتك على مجارى كلام العرب  
القصحاء . وأصحاب هذه اللغة لا يفقهون قول القائل ميتاً : « مكروأخاك لا بطل » .  
و : « إذا عزأخاك فهن <sup>(٣)</sup> » . ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم : ذهب إلى أبو زيد ،  
ورأيت أبى عمرو <sup>(٤)</sup> . ومتى وجد النحويون أعرابيا يفهم هذا وأشباهه بهزجوه ولم

(١) فيما عدل ، هـ : « خطّون » .

(٢) ب ، هـ : « إرادته » . وانظر الحيوان ( ١ : ٣٣ ) .

(٣) جاء هذا المثل وساقه على لغة من يعرب الأب والأخ إعراب المقصور مطلقاً .

(٤) هذا على الحكاية . انظر مع المراجع ( ٣ : ١٥٤ ) .

يسمعوا منه <sup>(١)</sup> ؛ لأنّ ذلك يدلّ على طول إقامته في الدار التي تُفسد اللُغة وتنقُص البيان . لأنّ تلك اللُغة إنّما انقادت واستوت ، واطردت وتكاملت ، بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة [ وفي تلك الجبوة <sup>(٢)</sup> ] ، ولقد قد الخطاء من جميع الأمم .

- ولقد كان بين زيد بن كَثُوة <sup>(٣)</sup> يومَ قَدِم علينا البصرة ، وبينه يوم مات بَوْنٌ بعيد . على أنّه قد كان وضع منزله في آخر موضع الفصاحة وأوّل موضع العُجّة ، وكان لا ينقلُّ من رِوَاةٍ ومُذَاكِرين .

وزعم أصحابنا البصريُّون عن أبي عمرو بن العلاء أنّه قال : لم أرَ قرويينَ أفصحَ من الحسن والحجاج ، وكان - زعموا - لا يبرّئهما من اللّحن .

- ١٠٢ وزعم أبو العاصي أنّه لم يرَ قروياً قط لا يلحن في حديثه ، وفيما يجري بينه وبين الناس ، إلّا ما تفقّده من أبي زيد النحويّ ، ومن أبي سعيد المُعلّم . وقد رَوَى أصحابنا أنّ رجلاً من البلديّين قال لأعرابيّ : « كيف أَهْلِكَ » قالها بكسر اللام . قال الأعرابيّ : صَليّاً . لأنّه أجابه على فهمه ، ولم يعلم أنّه أراد المسألة عن أهله وعياله .

- ١٥ وسمعت ابن بَشِير <sup>(٤)</sup> وقال له أبو الفضل العنبريّ <sup>(٥)</sup> : إني عَثَرْتُ البارحةَ بكتابٍ ، وقد التقطته ، وهو عندى ، وقد ذكروا أنّ فيه شعراً ، فإنّ أردتَه

(١) ل : « ولم يسمعوا كلامه » .

(٢) هذه مما عدل ل .

(٣) فيما عدل ل : « زيد بن كَثُوة » تحريف ، جاء على الصواب ، في مواضع متعددة من الحيوان . وفي

اللسان ( ٢٠ : ٧٩ ) : « الجوهري : وكَثُوة ، بالفتح : اسم أمّ شاعر وهو زيد بن كَثُوة ، وهو القائل :

ألا إن قومي لا تلط قدورهم  
ولكننا يوقدن بالمغبرات »

(٤) هو علي بن بشير ، كما سيأتي في ( ٢ : ٢٢١ ) .

(٥) أبو الفضل العنبريّ ، يبدو أنّه أحد الأعراب الذين كانوا يودون إلى البصرة ويمروى عنهم

العلماء . ل : « أبو الفضل » .

وهبته لك . قال ابن بشير <sup>(١)</sup> : أريده إن كان مقيداً . قال : والله ما أدرى أمقيداً هو أم مغلول <sup>(٢)</sup> . ولو عرف التقييد لم يلتفت إلى روايته .

وحكى الكسائي أنه قال لغلام بالبادية : من خَطَلَك ؟ وجزم القاف ، فلم يتر ما قال ، ولم يجبه ، فردَّ عليه السؤال فقال الغلام : لعلك تريد من خَطَلَك . وكان بعض الأعراب إذا سمع رجلاً يقول نعم في الجواب ، قال : « نَعَمْ وشاء ؟ » ؛ لأنَّ لغته نَعَمْ <sup>(٣)</sup> . وقيل لعمر بن لجأ <sup>(٤)</sup> : قُلْ « إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَقِيمِينَ » . قال : « إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَقِيمُونَ » .

وأنشد الكسائي كلاماً دار بينه وبين بعض فتيان البادية فقال :  
عَجَبَ مَا عَجَبَ أَعْجِبَنِي مِنْ غُلَامٍ حَكِيمٍ أَصْلًا <sup>(٥)</sup>  
قلت هل أحسست ركباً نَزَلُوا حَضَنًا ما دُونَهُ قَالَ هَلَا <sup>(٦)</sup>  
قلت بَيْنَ مَا هَلَا هل نَزَلُوا قَالَ حَوِيًّا ثُمَّ وَلَّى عَجَلًا <sup>(٧)</sup>  
لَسْتُ أَدْرِي عِنْدَهَا مَا قَالَ لِي أَنْعَمَ مَا قَالَ لِي أَمْ قَالَ لَا  
تلك منه لغةٌ تعجبني زادت القلب خيالاً خيالاً

\*\*\*

١٥ (١) ل : « ابن يسير » .

(٢) فيما عدا ل : « أكان مقيداً أو مغلولاً » .

(٣) نعم ، بكسر العين : لغة في نعم . وبها قرئ .

(٤) هو عمر بن لجأ بن حدير ، شاعر راجز فصيح إسلامي ، وقعت المهاجاة بينه وبين جرير ، وكان جرير أسن منه ، وكان عروفاً بمطالب القبائل . انظر الأغاني ( ١٩ : ٢٢ ) والنقائض ٤٨٧ - ٤٩١ ،

٢٠ ٩٠٧ والجمعي ١٥٠ - ١٥٣ والمرزبان ٤٧٨ والموشح ١٢٧ - ١٢٩ والشعراء .

(٥) حكيمى : نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة . أصلاً ، أى وقت الأصيل ، وهو جمع الأصيل بمعنى العشي . وتقرأ أيضاً : « أصلاً » ككريم . أصل : صار ذا أصل .

(٦) حضن ، بالتحريك : جبل بنجد .

(٧) في حواشي هـ : « هلا هنا بمعنى نعم ، كأن أجعل تكون بمعنى نعم ، فلم يفهم الكسائي معناها » .

٢٥ وفي هامش ل : « هلا معناه تحرك لتتركهم » . وحوب بالفتح : زجر للبحر ليضفى .

قال أبو الحسن : قال مولى زياد : أهتوا لنا هِمَارَ وَهْش . قال : أى شئ تقول ويملك ؟ قال : « أهتوا لنا أيراً » ، يريد : أهتوا لنا عيراً . قال زياد : ويملك ، الأولُ خَيْر (١) .

وقال الشاعر يذكر جارية له لکناء :

- ١٠٣ أَكْثَرُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا بِالسَّخَرِ (٢) تَذَكِيرُهَا الْأُنْثَى وَتَأْنِيثُ الذَّكَرِ  
• وَالسُّوَاءُ السُّوَاءُ فِي ذِكْرِ الْقَمَرِ •

فزياد قد فهم عن مولاه ، والشاعر قد فهم عن جاريته (٣) ولكنهما لم يفهما عنهما من جهة إفهامهما لهما ، ولكنهما لما طال مقامهما في الموضع الذى يكثر فيه سماعهما لهذا الضرب ، صارا يفهمان هذا الضرب من الكلام .

\*\*\*

(١) سبق الخبر في ص ٧٢ .

(٢) فيما عدل ه في السحر . والرجز مضى في ص ٧٢ .

(٣) فيما عدل ه : ه : وصاحب الجليظة قد فهم عن جليته .

## ذكر ما قالوا في مدح اللسان

بالشعر الموزون واللفظ المنشور ، وما جاء في الأثر وصح به الخبر

قال الشاعر :

أرى الناس في الأخلاق أهلَ تَخْلُقِ      وأخبارهم شتى فَعُرِفَ وَمُنْكَرُ <sup>(١)</sup>  
 قريباً تدانِيهِمْ إذا ما رَأَيْتَهُمْ      ومختلفاً ما بينهم حين تُخْبِرُ  
 فلا تَحْمَدَنَّ الذَّهَرَ ظَاهِرَ صَفْحَةٍ ،      من المرء ما لم تُبْلِ ما ليس يَظْهَرُ  
 فما المرءُ إلا الأصغرَانِ : لسانه      ومَعْقُولُهُ ، والجسم تَخْلُقُ مُصَوِّرُ  
 وما الزَّيْنُ في ثوب تراه وإِنَّمَا      يَزِينُ الفتى مَجْمُورُهُ حين يُخْبِرُ  
 فَإِنْ طَرَفَ رَأَيْتَكَ مِنْهُ فَرُبَّمَا      أَمْرٌ مَذَاقُ العُودِ والعُودُ أَخْضَرُ <sup>(٢)</sup>

وقال سويد بن أبي كاهل <sup>(٣)</sup> في ذلك :

وَدَعَنْتِي بِرِقَاحِهَا إِنَّمَا      تُنْزِلُ الأعصمَ من رأسِ اليَقَعِ <sup>(٤)</sup>  
 تُسْمِعُ الحَدَثَ قولاً حسناً      لو أرادوا مثله لم يُسْتَطَعِ <sup>(٥)</sup>

(١) التخلق : أن يظهر من خلقه خلاف ما يتطوى عليه . قال سالم بن وابصة :

عليك بالقصد فيما أنت فاعله      إن التخلق يأتي دونه الخلق

(٢) فيما عدل : راقك منهم . أمر : صار مُراً .

١٥

(٣) سويد بن أبي كاهل الشكري ، نسبة إلى يشكر بن بكر بن وائل ، شاعر مخضرم عاش في الجاهلية دهرًا ، وعمر في الإسلام عمراً طويلاً : عاش إلى ما بعد سنة ٦٠ من الهجرة . الإصابة ٣٧١٦ والأغانى ( ١١ : ١٦٥ - ١٦٧ ) . وقصيدته هذه العينية مفضلية . انظر المفضليات ( ١ : ١٨٨ ) . وكانت العرب تسميها التيمة لما اشتملت عليه من الأمثال ، كما في الإصابة .

(٤) جعل حديثها كالرقية في قوة أثرها . والأعصم : الوعل الذي في يديه يياض . واليقع واليفاع : المرتفع من الأرض .

(٥) في المفضليات : « لو أرادوا غيو لم يستمع » .

ولساناً صَيِّرِيًّا صارماً      كَذُّبَابِ السَّيْفِ مَا مَسَّ قَطَعَ (١)

وقال جرير :

وليس لِسَيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ      وَلِلسَّيْفِ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا (٢)

وقال آخر :

١٠٤

وَجَرَحُ السَّيْفِ ثَلْمُهُ قَبِيرًا      وَيَقِي الدَّهْرَ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ (٣)

وقال آخر :

أَبَا ضُبَيْعَةَ لَا تُعْجَلْ بِسَيِّئَةٍ      إِلَى ابْنِ عَمِكَ وَادْكُرْهُ بِإِحْسَانٍ

إِنَّمَا تَرَانِي وَأَتَوَانِي مُقَارِبَةً      لَيْسَتْ بِخَيْرٍ وَلَا مِنْ خُرٍّ كَثَّانٍ (٤)

فَإِنْ فِي الْمَجْدِ هِمَاتِي وَفِي لُغَتِي      عَلَوِيَّةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ لَحْنَانٍ

وفيما مدحوا به الأعراضي إذا كان أديباً ، أنشدني ابن أبي كريمة ، أو ابن

كريمة ، واسمه أسود (٥) :

أَلَا زَعَمْتَ عَفْرَاءَ بِالشَّامِ أَنَّنِي      غُلَامٌ جَوَارِي لَا غِلَامٌ حُرُوبٌ

وَأَنِّي لِأَهْدِي بِالْأَوْنَسِ كَالذَّمِّي      وَإِنِّي بِأَطْرَافِ الْقَنَا لَلْعُوبِ (٦)

(١) لا رابطة بين هذا البيت وسابقه ، فإن الأولين في التشبيب ، وفي الفخر ، وبينهما في القصيدة أكثر من ثمانين بيتاً . وقبل هذا البيت :

١٥

ورأى منى مقاماً صادقاً ثابت الموطن كظم الوجع

ذباب السيف : حده . وفي المفضليات وسائر النسخ : « كحسام السيف » ، وهو حده .

(٢) أي سيفي مع قوته ، هو أشوى وقعة من لساني ، أي لساني أشد منه فتكا . وأشوى من الشوى ، وهو إخطاء المقتل . فيما عدل : « ولا السيف » صوابه ما أثبت من ل والديوان ٦٠٦ .

(٣) البيت في اللسان ( دمل ) . وفي هـ : « وجرح » موضع « ويقى » .

(٤) المقارب ، بكسر الراء : الرخيصة ؛ أو الوسط بين الجيد والردى .

(٥) انظر ما سبق في ص ١٤٣ .

(٦) هدى به : ذكره في هنائه ، وهو الهذيان . فيما عدل ، هـ : « لأهدى » .

ورأى على ما كان من غنجي  
وقال ابن هرمة (٢).

لله ذررك من فتى فبجعت به  
هش إذا نزل الوفود بيايه  
فإذا رأيت شقيقه وصديقه  
وقال كعب بن سعد الغنوي (٣):

حبيب إلى الزوار غشيان بيته  
إذا ما تراعا الرجال تحفظوا  
وقال الخارقي:

وتعلم أنني ماجد وثروتها  
وقال الآخر:

وإن أمراً في الناس يعطى ظلامه  
ألوت يحشى أتكّل الله أمه  
ويطعم ما لم يندفع في مريته  
وإن العقول فاعلمن أسنة  
ويقولون: « كأن لسانه ثور ».

(١) اللثة ، بالفتح والضم : الحمة . والأديب : ذو الأدب ، وهو الظرف .

(٢) الأبيات التالية نسبت في الحماسة ( ١ : ٣٣٤ ) إلى محمد بن يسير الخارجي .

(٣) كعب بن سعد الغنوي شاعر إسلامي ، الظاهر أنه تابعي . انظر المزياني ٣٤١ والخزانة

٢٠ ( ٣ : ٦٢١ ) ومط اللال ٧٧١ والتيجان ٢٦٠ .

(٤) البيت من قصيدة في الأسميات ٩٤ طبع المعارف . والمروء : الكلمة القبيحة .

(٥) ل : « وإن أمراً يعطى عليه » . والنصف ، بالكسر : الإنصاف . وأنشد للفرزدق :

ولكن نصفاً لو سببت وسبني  
هو عهد خمس من متاف وهاشم

والواضع : التميمي ؛ وضع : لزم ، وزنا ومنى .

(٦) المواقع : جمع مقعة : وهي المسن الطويل .



وحدثني مَنْ سَمِعَ أَعْرَابِيًّا يمدح رجلاً بِرَقَّةِ اللسان فقال : « كَانَ وَاللَّهِ لِسَانَهُ أَرْقُ مِنْ وَرَقَةٍ ، وَأَلْيَنَ مِنْ سَرَفَةٍ » (١) .

وقال النبی ﷺ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ : مَا بَقِيَ مِنْ لِسَانِكَ ؟ فَأَخْرَجَ لِسَانَهُ حَتَّى ضَرَبَ بِطَرْفِهِ أَرْبَعَةَ . ثُمَّ قَالَ : « وَاللَّهِ مَا يَسْرُنِي بِهِ مَقُولٌ مِنْ مَعَدٍّ ، وَاللَّهِ أَنْ لَوْ وَضَعْتُهُ عَلَى حَجَرٍ (٢) لَفَلَقَهُ ، أَوْ عَلَى شَعْرِ لَحَلَقَهُ » .

قال : وسمعتُ أَعْرَابِيًّا يَصِفُ لِسَانَ رَجُلٍ ، فَقَالَ : « كَانَ يَشُولُ بِلِسَانِهِ شَوْلَانَ الْبُرُوقِ ، وَيَتَخَلَّلُ بِهِ تَخَلَّلَ الْحَيَّةِ » . وَأَظَنَّ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ أَبَا الْوَجِيهِ الْعُكْلِيَّ .

[ يشول : يرفع . البروق : الناقة إذا طلبت الفحل فإنها حينئذ ترفع ذنبها .

- وإنما سُمِّيَ شَوْلٌ شَوْلًا لِأَنَّ الثَّوْقَ شَالَتْ بِأَذْنَابِهَا فِيهِ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ :  
 ١٠ قد يتفق أن يكون شَوْلٌ فِي وَقْتٍ لَا تَشُولُ النَّاقَةُ بِذَنْبِهَا فِيهِ ، فَلَمْ يَبْقَ هَذَا الْأَسْمُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ يَنْتَقِلُ مَالُهُ لَزِمَ عَنْهُ ؟ قِيلَ لَهُ : إِنَّمَا جَعَلَ هَذَا الْأَسْمُ لَهُ سَمَةً حَيْثُ اتَّفَقَ أَنْ شَالَتْ الثَّوْقُ بِأَذْنَابِهَا فِيهِ ، فَبَقِيَ عَلَيْهِ كَالسَّمَةِ ، وَكَذَلِكَ رَمْضَانٌ إِنَّمَا سُمِّيَ لِرَمَضِ الْمَاءِ فِيهِ وَهُوَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ ، فَبَقِيَ عَلَيْهِ فِي الْبَرْدِ . وَكَذَلِكَ رَبِيعٌ ، إِنَّمَا سُمِّيَ لِرَبْعِهِمُ الرَّبِيعَ فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَتَّفَقُ هَذَا الْأَسْمُ فِي وَقْتِ الْبَرْدِ وَالْحَرِّ (٣) ] .  
 ١٥ قال : وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : أَتَيْنَاهُ فَأَخْرَجَ لِسَانَهُ كَأَنَّهُ مِخْرَاقٌ لَاعِبٌ (٤) .

(١) السرق ، بالتحريك : شقائق من جيد الخمر أو أبيضه ؛ مغرب من الفارسية « سو » . انظر

اللسان والمغرب ١٨٢ ، ومعجم استنجاس ٦٨٠ .

(٢) فيما عدل : « على صخر » .

(٣) هذه العبارة جميعها ليست في ل .

(٤) المخرق : مندبل أو غموه يلوى فيضرب به ، أو يلف فيغزع به .

قال وقال العباس بن عبد المطلب للنبي ﷺ : يا رسول الله ، فيم الجمال ؟ قال : في اللسان .

قال : وكان مجاشع بن دهم <sup>(١)</sup> خطيباً سليطاً ، وكان نهشل <sup>(٢)</sup> بكياً متزوراً <sup>(٣)</sup> ، فلما خرجنا من عند بعض الملوك عدله مجاشع في تركه الكلام ، فقال له نهشل : إني والله لا أحسن تكذابك ولا ثأثامك ، نشول بلسانك شولان البروق ، ونحلل تحلل الباقرة .

وقالوا : أعلى جميع الخلق مرتبة الملائكة ، ثم الإنس ، ثم الجن . وإنما صار هؤلاء المرتبة على جميع الخلق بالعقل ، وبلاستطاعة على التصرف ، وبالنطق . قال : وقال خالد بن صفوان : ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة ، أو بهيمة مهملة . ١٠

قال : وقال رجل لخالد بن صفوان : مالي إذا رأيتمكم تتذاكرون الأخبار وتندرسون الآثار ، وتتاشدون الأشعار ، وقع على الثوم ؟ قال : لأنك حمار في مسلاح إنسان <sup>(٤)</sup>

وقال صاحب المنطق : حد الإنسان الحي الناطق المبين <sup>(٥)</sup> .

وقال الأعور الشنئ <sup>(٦)</sup> : ١٥

(١) هو مجاشع بن دهم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن نعيم بن مر . للمعارف ٣٥  
كان غالب بن صعصعة والد الفريزدق سيد بني مجاشع . الاشتقاق ١٤٧ .

(٢) نهشل : أخو مجاشع . للمعارف ٣٧ والاشتقاق ١٩٣ .

(٣) المنزور : القليل الكلام ، لا يتكلم حتى ينزر ، أى يلع عليه .

(٤) المسلاح : الجلد .

(٥) انظر ما سبق في ص ٧٧ ص ٥ .

(٦) الأعور الشنئ ، هو بشر بن منفذ ، أحد بني شن بن أنصى بن عبد القيس بن أنصى بن دهمي بن جديلة بن أسد . قال صاحب المؤلف ٣٨ : شاعر خبيث ، وكان مع علي رضي الله عنه يوم الجمل . والبيتان التاليان ليسا له ، بل هما نزهير في معلقته .

١٠٦ وكائن ترى من صامت لك مُعجِب زهاده أو نقصه في التكلّم  
لسان الفتى نصف ونصف قواذه فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

\*\*\*

ولما دخل ضَمْرَة بن ضَمْرَة <sup>(١)</sup> ، على النعمان بن المنذر ، زَرَى عليه ،  
للذى رأى من دَمَامته وقَصَرِهِ وَقَلْتِهِ . فقال النعمان <sup>(٢)</sup> : « نَسَمْعُ بِالْمُعِيدِ » .  
لا أن تراه <sup>(٣)</sup> . فقال : أَيْتَ اللَّعْنِ ! إِنَّ الرِّجَالَ لَا تُكَالُ بِالْقَفْزَانِ <sup>(٤)</sup> ،  
ولا تُوزَنُ بِالْمِيزَانِ ، وليست بِمُسُوكٍ يُسْتَقَى بِهَا ، وإِثْمَا المرءُ بِأَصْغَرِهِ : بقلبه  
ولسانه ، إن صالَ صالَ بِجَنَانٍ ، وإن قال قال بِبَيَانٍ .  
والبَاجِيَّةُ تجعل هذا للصَّقْعَبِ النَهْدِيِّ <sup>(٥)</sup> . فَإِنَّ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ  
أَقْرُوا بِأَنْ نَهْدًا مِنْ مَعْدٍ .

وكان يقال : « عَقْلُ الرَّجُلِ مَدْفُونٌ تَحْتَ لِسَانِهِ » .

(١) قال ابن دُهِدٍ في الاشتقاق ١٤٩ في ذكر رجال مجاشع : « ومن رجالهم ضَمْرَة بن ضَمْرَة ،  
وكان من رجال بني تميم في الجاهلية لسانا وحيانا ، وكان اسمه شق بن ضَمْرَة فسماه بعض ملوك الحيرة  
ضَمْرَة . وفي أمثال الميقاتي ( ١ : ١١٨ ) أن اسمه كان « شقة » ، وهو الصواب إذ ورد فيه من الشعر :

صوت إخلة شقة يوم غيل وإخوته فلا حلت حلال

وانظر الفاعل ٦٥ وأمالى الزجاجي ٢٠٠ واللسان ( معد ٤١٤ ) .

(٢) في أمثال الميقاتي أن صاحب الخير ، هو المنذر بن ماء السماء ، لا النعمان .

(٣) المعيدى تصغير رجل منسوب إلى معد . وكان الكسائي يرى التشديد في النال . انظر  
اللسان ( معد ) . وهروي : « لأن تسمع بالمعيدى خير » و : « أن تسمع » .

(٤) القفزان : جمع قفيز ، وهو مكبال قدوة ثمانية مكابيك عند أهل العراق

(٥) من بني نهد . قال ابن دُهِدٍ في الاشتقاق ٣٢٠ : « ومن رجالهم الصَّقْعَب ، الوافد إلى  
النعمان . واسم الصَّقْعَبِ خيثم بن عمرو ، وكان سيد بني نهد قد أخذ مرياعهم دهرًا ، وله حديث في  
دخوله إلى النعمان . وقال قوم : بل اسمه الياء بن عمرو » .

### وباب آخر في ذكر اللسان

أبو الحسن : قال : قال الحسن : « لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام تفكر ، فإن كان له قال ، وإن كان عليه سكت . وقلب الجاهل من وراء لسانه ، فإن هم بالكلام تكلم به له أو عليه » .

قال أبو عبيدة : قال أبو الرجيه : حدثني الفرزدق قال : كنا في ضيافة معاوية بن أبي سفيان ، ومعنا كعب بن جُعيل التغلبي ، فقال له يزيد : [ ابن حسان - يزيد <sup>(١)</sup> ] عبد الرحمن بن حسان - قد فضحتنا فاهج الأنصار . قال : أرأيت أنت إلى الإشراك بعد الإيمان <sup>(٢)</sup> ، لا أهجو قوماً نصرُوا رسول الله ﷺ ، ولكنني أدلك على غلام مِنّا نصراني كأن لسانه لسان ثور . يعني الأخطل .

وقال سعد بن أبي وقاص ، لعمر ابنه <sup>(٣)</sup> حين نطق مع القوم فيدُهم ، وقد كانوا كلّموه في الرضا عنه . قال : هذا الذي أغضبتني عليه ، أئني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون قوم يأكلون الدنيا بالسيتيم ، كما تُلحس الأرض البقرة بلسانها » .

قال : وقال معاوية لعمر بن العاصي : « يا عمر ، إن أهل العراق قد أكرهوا علياً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون بك ، وقد ضم إليك رجل طویل اللسان ، قصير الرأي ، فأجد الحز ، وطبق المفصل ، ولا تلقه » .  
برأيك كله .

(١) هذه ما عدل .

(٢) فيما عدل : « الإسلام » .

(٣) عمر بن سعد بن أبي وقاص ، تابعي ثقة ، وهو الذي قتل الحسين ، ولد في عصر النبي ﷺ وقل سنة ٦٧ . انظر تهذيب التهذيب .

- والعجب من قول ابن الزبير للأعراب : « سلاحكم رث » ، وحديثكم غث . وكيف يكون هذا وقد ذكروا أنه كان من أحسن الناس حديثاً ، وأن أبا نضرة <sup>(١)</sup> وعبيد الله بن أبي بكر <sup>(٢)</sup> إنما كانا يحكيانه . فلا أدري إلا أن يكون حسن حديثه هو الذي ألقى الحسد بينه وبين كل حسن الحديث .
- وقد ذكروا أن خالد بن صفوان تكلم في بعض الأمر ، فأجابه رجل من أهل المدينة بكلام لم يظن خالد أن ذلك الكلام كان عنده ، فلما طال بهما المجلس كأن خالد <sup>(٣)</sup> عرض له ببعض الأمر ، فقال المدني : « يا أبا صفوان ، مالي من ذنب إلا أنفاق الصناعتين » . ذكر ذلك الأصمعي .
- قال فضال الأزرق : قال رجل من بنى منقر : تكلم خالد بن صفوان في صلح بكلام لم يسمع الناس قبله مثله ، فإذا أعراي في بَيْت <sup>(٤)</sup> ، ما في رجليه حذاء ، فأجابه بكلام وددت والله أنني كنت مُتُّ وأن ذلك لم يكن ، فلما رأى خالد ما نزل لي قال : يا أبا منقر ، كيف تُجارهم وإنما نحكيهم ، وكيف تُسابقهم وإنما تُجري على ماسبق إلينا من أعراقهم ؛ فليفرخ روغك فإنه من مُقاعيس ، ومُقاعيس لك . فقلت : يا أبا صفوان ، والله ما ألوئك على الأولى ، ولا أدعُ حَمَلَك على الأخيرة .

(١) أبو نضرة ، هو المنذر بن مالك بن قطعة العبدي . تابعي روى عن علي وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم ، وروى عنه قتادة وسعيد بن أبي عروبة ، وكان من فصحاء الناس . توفي سنة ١٠٩ . تهذيب التهذيب . وقطعة بضم ففتح كما في التقريب .

(٢) أبو بكر ، اسمه ضيع بن الحارث بن كلفة ، أسلم ومات في خلافة عمر ، وكان تدل إلى النبي ﷺ من حسن الطائف بكرة ، فاشتهر بأبي بكر . الإصابة ٨٨٩٤ . وقد توفي عن أربعين ولداً من بين ذكر وأُنثى ، أعقب فيهم سبعة : عبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد العزيز ، ومسلم ، ورواد ، وعتبة . فكان عبيد الله من أجهل الناس وأشجعهم . ولله الحجاج سجستان سنة ٨٧ فترا بلاد العدو فهلك هناك في جماعة المعارف ١٢٥ - ١٢٦ . ب : « بن أبي بكر » تحريف .

(٣) كلما وردت العبارة مضبوطة في ل ، هـ . وفي سائر النسخ : « كان خالد عرض » .

(٤) البَيْت ، بالفتح : كساء غليظ مربع .

قال أبو اليقظان : قال عمر بن عبد العزيز : « ما كلمنى رجل من بنى أسد إلا تممت أن يمّد له في حُجَّتِهِ حتّى يكثُر كلامه فأسمعه » .

وقال يونس بن حبيب<sup>(١)</sup> : ليس في بنى أسد إلا خطيبٌ ، أو شاعر ، أو قائف ، أو زاجر ، أو كاهن ، أو فارس . قال : وليس في هذيل إلا شاعر أو رام ، أو شديد العُدو .

الترجمان بن هرثمة بن عدى بن أبى طحمة<sup>(٢)</sup> قال : دُعِيَ رَقَبَةُ بْنُ مَصْقَلَةَ ، أو كَرِبَ بن رَقَبَةَ<sup>(٣)</sup> إلى مجلس ليتكلّم فيه ، فرأى مكانَ أعرأى في

شَمْلَةٍ<sup>(٤)</sup> ، فأذكر موضعه ، فسأل الذى عن يمينه عنه فخبّره أنّه الذى أعلّوه لجوابه ، فنهض مسرعاً لا يَلْوِى على شيء ؛ كراهةً أن يُجمَعَ بين الدُّيَاجَتَيْنِ

فَيُضْعَع عند الجميع .

وقال خَلَّاد بن يَزِيد : لم يكن أحدٌ بعد أبى نَضْرَةَ أحسنَ حديثاً من

سَلَم بن قُتَيْبَةَ<sup>(٥)</sup> . قال : وكان يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ يقول : احذروا الحديث كما يحذِّفه سَلَم بن قُتَيْبَةَ .

١٠٨

(١) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي ، إمام نخلة البصرة في عصوره . أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه سيويه وروى عنه في كتابه . وعنه أخذ الكسائى والفراء وأبو عبيدة وأبو زيد . ولد سنة ٨٠ ومات سنة ١٨٢ . مصمم الأدباء وابن خلكان .

(٢) الترجمان بن هرم ، قال ابن قتيبة في الملوّف ١٨٤ : إنه كان على الأهواز ، وعلى بنى حنظلة في فتنة ابن سهل . وأبو هرم بن أبى طحمة كان شجاعاً كيساً ، وكان مع المهلب في قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة في قتال يزيد بن المهلب ، وكره هرم فحول اسمه في أعوان الديوان ليوقع عنه الغزو ، فقيل له : إنك لا تحسن أن تكذب ! فقال : إلا أكذب فإن أعور الصحف ! وفي القاموس : « وأبو طحمة عدى بن حارثة من الشفاء » .

(٣) ل : « كوز بن رَقَبَةَ » . وفي الملوّف ١٧٧ من يسمي « كرب بن مصقلة بن رَقَبَةَ » ، وأنه كان خطيباً ، وله خطبة يقال لها المعجوز .

(٤) الشملة ، بالفتح : كساء دون القطيفة يشتمل به .

(٥) سلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين الباهلي ، كان أبوه والى خراسان أيام الحجاج . وأما سلم فولد أيام هشام بن عبد الملك ، وولاه المنصور البصرة ، وروى عنه الأصمعي ، وخلّاد بن يزيد الأرطس ، وأبو عاصم النبيل وغيرهم . مات سنة ١٥٩ وصلّى عليه المهدي . تمجيب التهذيب وجمهرة ابن حزم ٢٤٦ . معادل ل ، هـ : « مسلم بن قتيبة » تمجيب .

١٠

١٥

٢٠

٢٥

ويزعمون أنهم لم يَرَوْا محدثاً قطُ صاحب آثارٍ كان أجودَ خُذفاً وأحسنَ  
اختصاراً للحديث من سفيانَ بن عُيينة <sup>(١)</sup> . سألوهُ مرَّةً عن قول طلوس <sup>(٢)</sup>  
في ذكاة الجراد ، فقال : ابنته عنه <sup>(٣)</sup> : « ذكَّاه صَيِّدُهُ » <sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

- 
- ٥ (١) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الحلال الكوفي ، وكان محدثاً كثير الرواية ثقة .  
توفي سنة ١٩٧ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة ( ٢ : ١٣٠ ) .
- (٢) هو طلوس بن كيسان البجلي الجندى ، وقيل اسمه ذكيان ، وطلوس لقب له ، مولى من أبناء  
الفرس . روى عن العبدلة الأربعة ، وأبي هريرة وعائشة ، وروى عنه ابنه عبد الملك وعمر بن دينار وغيرهم .  
وكان من عباد أهل اليمن وسادات التابعين توفي سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ( ٢ : ١٦٠ ) .
- (٣) يزيد « حدثني ابن طلوس عن طلوس » وابنه الذي يتيه هو عبد الله بن طلوس ، روى عن  
أبيه وعطاء ووهب بن منبه وغيرهم ، وروى عنه ابنه : طلوس ومحمد ، وعمر بن دينار ، والسفيانان .  
توفي سنة ١٣٢ . تهذيب التهذيب .
- (٤) فيما عدل : « أخاه » . والمراد بالذكاة : الذبح ، ومثلها الذكاة والتكزية فيما عدل ، ه :  
« ذكاة » و « ذكاته » بالواو ، تعريف . والخبر في عين الأخبار ( ٢ : ٢١٠ ) .

### وباب آخر

وكانوا يمدحون شيلة العارضة ، وقوة المنة ، وظهور الحجة ، وثبات الجنان ، وكثرة الرقيق ، والمعلو على الخصم ؛ ويهجون بخلاف ذلك . قال الشاعر :  
 طباقاء لم يشهد تحصوماً ولم يعيش حيداً ولم يشهد جلالاً ولا عطرًا <sup>(١)</sup>  
 وقال أبو زيد الطائي :

وخطيب إذا تمعرت الأروجُهُ يوماً في مَاقِطٍ مشهود <sup>(٢)</sup>

طباقاء ، يقال للبعير إذا لم يُحسِن الضراب : جعل عيائاً ، وجعل طباقاً وهو هاهنا للرُّجل الذي لا يتجه للحجة . الحلال : الجماعات ؛ ويقال حتى حلال إذا كانوا متجاورين مقيمين <sup>(٣)</sup> . والعطر هنا : العرس <sup>(٤)</sup> . المأقط : الموضع الضيق ، والمأقط : الموضع الذي يُقتل فيه . وقال نافع بن خليفة الغنوي :  
 وخصم لَدَى بابِ الأمرِ كأنهم قُرُومٌ قَشَا فِيهَا الزَّوَائِرُ وَالْهَلُرُ  
 دَلَقْتُ لَهُم دُونَ الْمُنَى بِلَمَةٍ مِنَ اللُّرَى أَعْقَابَ جَوْهَرِهَا شَدْرُ <sup>(٥)</sup>  
 إذا القومُ قالوا أَدْنِ مِنْهَا وَجَدْتُهَا مُطَبَّقَةً يِهْمَاءَ لَيْسَ لَهَا خَصَرُ  
 القُرُومُ : الجمالُ المصاعب . الزوائر : الذين يزثرون <sup>(٦)</sup> . والهلر : صوته عند هيجه ، ويقال له الهلدير . دلقت ، أى نهضت نهوضاً رؤيداً . والدليف :

(١) أنشده في اللسان ( طبع ٨٣ ) . وقد سبق نظمو في ١١٠ م ٢ .

(٢) البيت من قصيدة طويلة في جهة أشعار العرب ١٢٨ - ١٤١ . تمتد بالعين المهملة . تنويت وعلتها صفة .

(٣) حلال : جمع حلة ؛ بالكسر ، وهم القوم التزول وفيهم كثرة .

(٤) فيما عدل ، هـ : الحرس ؛ تحريف .

(٥) عنى باللمة : القصيدة أو الخطبة .

(٦) فيما عدل ، هـ : يزثرون ، وكلاماً صواب ، يقال زُر يزثرون .



المنشئ الرُّبْد (١) . قوله أذِنَ منها ، أى قلَّها واختصرها . وجدَّتها مُطَبَّقة ، أى قد طَبَّقْتَهُم بِالْحُجَّة . واليهما : الأرض التى لا يُهْتَدَى فيها لطريق . وبهاء ١٠٩ هاهنا ، يعنى التى لا يُهْتَدَى إليها ويضلَّ الخصومُ عندها ؛ [ والأيهِم من الرجال : الحائِز الذى لا يهْتَدَى لشيء . وأَرْضُ بهاء ، إذا لم يكن فيها علامة (٢) ] .

وقال الأسنُّع بن قِصاف الطُّهَوَى (٣) :

فِدَاءَ لِقَوْمِي كُلِّ مَعْشَرٍ جَارِمٍ طَرِيدٍ وَمُخْلُولٍ بِمَا جَرَّ مُسْلِمٌ (٤)  
هُمْ أَفْحَمُوا الْخَصْمَ الَّذِي يَسْتَقِيدُنِي وَهُمْ قَصَمُوا جِلْدِي وَهُمْ حَقَنُوا دَمِي (٥)  
بَأْيِدٍ يُفَرِّجْنَ الْمَضْيِقَ وَالسِّنَّ سِلَاحٍ وَجَمْعَ ذِي زُهَاءٍ عَرْمَرَمٍ  
إِذَا شِئْتَ لَمْ تَعْلَمْ لَدَى الْبَابِ مِنْهُمْ جَمِيلَ الْمُحْيَا وَاضِحاً غَيْرَ تَوَامٍ

الزُّهَاء : الكثرة ، هاهنا . والعَرْمَرَم من العرامة ، وهى الشَّرَامة والشَّدة (٦) .  
التَّوَامان : الأخوان المولودان فى بطن .

وقال النخعيُّ فى ذلك :

أما رأيت الألسنَ السُّلاطاً إن التَّدَى حيث ترى الضُّعَاطاً (٧)

• والجلاء والإقدام والنشاطاً •

- ١٥ (١) بدل هذه العبارة فيما عدل : « قلت : دنوت » .  
(٢) هذه بما عدل .  
(٣) فى الأصل : « الأسنُّع بن قُطاف » . صوابه من المُتَلف ٤٤ ونوادى أى زيد ١٩٩ .  
وقصاف ، ككتاب ، من أسماءهم .  
(٤) جر ، أى جنى جناة . والمسلم : الذى أسلمه قومه .  
(٥) يستقيده : يطلب القود منه . قصموا : كسروا . فيما عدل : « قصموا » بالقاف .  
وحجلاً القيد : حلقتاه .  
٢٠ (٦) فى اللسان : « جيش عرمرم : كثير ، وقيل هو الكثير من كل شيء . والعرموم : الشديد » .  
(٧) التدى : الكرم . الضغاط ، بالكسر : الزحام ، وهو من القلب ، أراد : إن الزحام حيث ترى الكرم . والبيت روله الجاحظ فى البخلاء ٢٠٣ والحيران ( ٤٤٥ : ٥ ) .

ذهب في البيت الأخير إلى قول الشاعر (١):

يسقط الطور حيث ينتثر الحـبُ وتُغشى منازل الكرماء  
وللى قول الآخر :

يرفضُ عن بيت الفقير ضيوفهُ وترى الغنى يَهْدِي لك الزوارا  
وأنشئوا في المعنى الأول :

وخطيب قوم قدّموه أمامهم ثقةً به مُتَحَمِّطٌ نِجَاح  
جاوِثٌ حُطِبَتْه فظُلَّ كَأَنَّهُ لَمَّا حُطِبْتُ مَمْلُحٌ بِمِلَاح (٢)

المتحَمِّطُ : المتكبر مع غَضَبٍ والنِجَاح : المَيْتِجُ الذي يَعْرِضُ في كلِّ شيءٍ  
ويدخل فيما لا يعنيه وقوله مَمْلُحٌ بِمِلَاح ، أى متقبّض كأنه مُلَحٌ من المالح وأنشد أيضاً :

أرقتُ لِضَوْءِ بَرَقٍ في نِشَاصٍ تَلَأْلَأُ في مُمْلَأةٍ غِصَاصٍ (٣) ١١٠

النشاص : السحاب الأبيض المرتفع بعضه فوق بعض ، وليس بمنبسط  
تَلَأْلَأُ ، التَلَأْلَأُ : التَّبَرَّقُ (٤) في سُرْعَةٍ . مَمْلَأةٌ بالماءِ . غِصَاصٌ : قد غُصَّتْ بالماءِ  
لواقِحٌ دُلُجٌ بالماءِ سُحْمٌ تَمِجُ العَيْثُ من خَلَلِ الحِصَاصِ .

اللواقِح : التي قد لقحت من الرِّيح . والدُّلُجُ : الدانية الظاهرة الثقيلة بالماء .  
سُحْمٌ : سود . والحِصَاصُ ، هاهنا : خَلَلُ السحاب (٥) . ١٥

(١) هو بشار بن برد . والبيت في الحيلون ( ٥ : ٤٤٥ ) ، وهو من قصيدة يمدح فيها عقبة بن  
سلم . وقيل البيت ، كما في الأغاني ( ٣ : ٤٣ ) :

إنما لفة الجلود ابن سلم في عطاء وركب لقاء  
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو في ولكن يلد طعم العطاء

(٢) الملاح ، بالكسر : جمع ملح .

(٣) البيت مع تاليه في اللسان ( نضج ) .

(٤) ل : الظهور للبرق .

(٥) ورد هذا التفسير في ل بعد نهاية هذه الآيات .

سَلِ الْخُطَبَاءَ هَلْ سَبَّحُوا كَسْبَحِي      بِحُورِ الْقَوْلِ أَوْ غَاصُوا مَغَاصِي  
 لِسَانِي بِالنَّثِيرِ وَبِالْقَوَافِي      وَبِالْأَسْجَاعِ أَمْهَرُ فِي الْغَوَاصِي <sup>(١)</sup>  
 [ النثير : الكلام المشور . القوافي : خواتم أبيات الشعر . الأسجاع :  
 الكلام المزدوج على غير وزن <sup>(٢)</sup> ] .

٥      مِنْ الْحُوتِ الَّذِي فِي لُجٍّ بِحَرٍّ      مُجِيدِ الْعَوْصِ فِي لُجَجِ الْمَغَاصِ  
 لِعَمْرِكَ إِنِّي لِأَعِفُّ نَفْسِي      وَأُسْتَرُّ بِالتَّكْرُمِ مِنْ خُصَاصِي <sup>(٣)</sup>

وَأُنْشِدُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي نَاشِبٍ بِنِ سَلَامَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :

لَنَا قَمَرُ السَّمَاءِ وَكُلُّ نَجْمٍ      يُضِيءُ لَنَا إِذَا الْقَمَرَانِ غَارَا <sup>(٤)</sup>

وَمَنْ يَفْخَرُ بغيرِ ابْنِي زِيَارٍ      فَلَيْسَ بِأَوَّلِ الْخُطَبَاءِ جَارَا <sup>(٥)</sup>

١٠      وَأُنْشِدُ لِلْأَقْرَعِ <sup>(٦)</sup> :

إِنِّي أَمْرٌ لَا أَقْبِلُ الْخِصَمَ عَثْرَتُهُ      عِنْدَ الْأَمِيرِ إِذَا مَا خَصَمُهُ ظَلَمَا

يُنِيرُ وَجْهِي إِذَا جَدُّ الْخِصَامِ بَنَا      وَوَجْهُ خَصَمِي تَرَاهُ الدَّهْرُ مُلْتَمَعَا <sup>(٧)</sup>

وَأُنْشِدُ :

تَرَاهُ بِنَصْرِي فِي الْخَفِيزَةِ وَاثْقَا      وَإِنْ صَدَّ عَنِ الْعَيْنِ مِنْهُ وَحَاجِبُهُ <sup>(٨)</sup>

١٥      وَإِنْ خَطَرَتْ أَيْدِي الْكُمَاةِ وَجَدْنِي      نَصُورًا إِذَا مَا اسْتَيْسَسَ الرَّهَقُ عَاصِبُهُ

(١) لم أجد هذا المصدر ، وفيه شذوذ تصريفي . وقد ذكر في القاموس : « الغياص » .

(٢) هذا التفسير مما عدا ل .

(٣) الخصاص هنا بمعنى الفقر وسوء الحالة والحاجة .

(٤) القمران : الشمس والقمر ، على التثنية .

(٥) ابننا زيار : ربيعة ومضر . فيما عدا ل : « ألى زيار » . جار : ظلم .

(٦) الأقرع القشيري ، وهو الأشيم بن معاذ بن سنان ، وقيل هو معاذ بن كليب بن حزن . كان

يناقض جعفر بن عتبة الحارثي اللص ، وكان في أيام هشام بن عبد الملك . المرتزقي ٣٨ .

(٧) الجمع لونه ، بالبناء للمفعول : ذهب وتغير . وفي هامش ل : « خ : متقما » يقال انتقم لونه بالبناء

للمفعول : تغير .

(٨) البيتان لأشرس بن يشامة الحنظلي . انظر نوادر أبي زيد ٢٠ واللسان ( عصب ٩٨ ) .

عاصبه : يابسه ، يعتصم به <sup>(١)</sup> حَتَّى يَتَمَّ كَلَامَهُ . الكَمَاة : جمع كَمَى ؛  
والكَمَى الرجل المتكَمَّى بالسلاح ، يعنى المتكفّر به المتستّر . ويقال كَمَى الرَّجُلُ ١١١  
شهادته يَكْمِيهَا ، إِذَا كَتَمَهَا وَسْتَرَهَا . وقال ابنُ أَحْمَرَ وَذَكَرَ الرِّقَّ وَالْإِعْتَصَامَ بِهِ :  
هَذَا الثَّنَاءُ وَأَجْدَرُ أَنْ أَصَاحِبَهُ وَقَدْ يُنَوِّمُ رِقَى الطَّلَامِعِ الْأَمْلُ <sup>(٢)</sup>  
وقال الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَهُوَ يُرْقِصُ عُرْوَةَ ابْنَتِهِ :  
أَيْضُ مِنْ آلِ أَبِي عَتِيقٍ مَبَارَكٌ مِنْ وَلَدِ الصُّدَيْقِ  
• اللَّهُ كَمَا أَلَدَ رِيقِي •

وقالت امرأة من بنى أسد <sup>(٣)</sup> :  
أَلَا يَكْرُ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدٍ بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ <sup>(٤)</sup>  
فَمَنْ كَانَ يَغْيَا بِالْجَوَابِ فَإِنَّهُ أَبُو مَقْلٍ لَا حَجَرَ عَنْهُ وَلَا صَدَدَ ١٠  
أَنَارُوا بِصَحْرَاءِ الثَّوِيَّةِ قَبْرَهُ وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَنَائَى بِهِ الْبَلَدُ  
[ تَنَائَى : تَبَعُدُ <sup>(٥)</sup> ] . وَالثَّوِيَّةُ : مَوْضِعٌ بِنَاحِيَةِ الْكُوفَةِ <sup>(٦)</sup> . وَمَنْ قَالَ  
الثَّوِيَّةُ فَهِيَ تَصْغِيرُ الثَّوِيَّةِ .

وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ فِي فَضَالَةِ بْنِ كَلْدَةَ :  
أَبَا دُلَيْجَةَ مَنْ يُوصَى بِأَرْمَلَةٍ أُمُّ مَنْ لَأَشَعْتُ ذِي طِمْرَيْنِ طِمْلَالٍ <sup>(٧)</sup> ١٥  
أَمْ مَنْ يَكُونُ خَطِيبَ الْقَوْمِ إِنْ حَفَلُوا لَذَى الْمُلُوكِ أُولَى كَيْدٍ وَأَقْوَالٍ <sup>(٨)</sup>

(١) ل : • طالبه ليعتصم به • تحريف .

(٢) انظر الحيوان ( ١ : ٣٢١ / ٣ : ٤٧ ) .

(٣) هي هند بنت مبدد بن نضلة ، ترى عمرو بن مسعود وخاله بن نضلة . معجم البكري ٩٩٦ .

(٤) رواه في الخصص ( ١٧ : ١٥٢ ) : • بخوي بنى أسد • . وفي ( ١٢ : ٣٠١ ) ذكر أن هذه ٢٠

الرواية الأخيرة هي رواية أبي عمرو . وهي رواية اللسان ( صمد ) . وانظر شروح سقط الزند ١٧١٦ .

(٥) هذه ما عدا ل .

(٦) فيما عدا ل : • موضع يقال له صحراء الثوية • .

(٧) ديوان أوس بن حجر ٢٣ . وفي ل : • من توصى • . وفيما عدا ل : • ذى هدمين • .

(٨) هذا البيت لم يرو في الديوان .

و هدمين<sup>(١)</sup> ، وهما ثوبان خَلَقان<sup>(٢)</sup> . يقال ثوبٌ أَهْدَمٌ ، إذا كان خَلَقًا .  
وَالطَّمْلَالُ : الفقير . وقال أيضاً فيه<sup>(٣)</sup> :

أَلْهَنِي عَلَى حُسْنِ آلائِهِ عَلَى الْجَائِرِ الْحَيِّ وَالْحَارِبِ<sup>(٤)</sup>

وَرَقَّتِهِ حَتَمَاتِ الْمَلِكِ بَيْنَ السَّرَادِقِ وَالْحَاجِبِ<sup>(٥)</sup>

وَيَكْفِي الْمَقَالَةَ أَهْلَ الدُّحَا لِي غَيْرَ مَعِيٍّ وَلَا عَائِبٍ<sup>(٦)</sup>

رَقَّتِهِ ، أى انتظاره إذن الملوك . وجعله بين السَّرَادِقِ والحَاجِبِ لِيُذَلَّ  
على مكاته من الملوك<sup>(٧)</sup> . وأنشد أيضاً :

وَعَصِمَ غَضَابُ يُنْفِضُونَ رِعَاسَهُمْ أُولَى قَلَمٍ فِي الشُّعْبِ صُهَيْبٌ سَيَّالُهَا<sup>(٨)</sup>

ضُرِبَتْ لَهُمْ إِبْطُ الشَّمَالِ فَأَصْبَحَتْ يَرُدُّ غَوَاةً آخِرِينَ نَكَاها ١١٢

إِبْطُ الشَّمَالِ ، يعنى الفؤاد ؛ لأنه لا يكون إلا فى تلك الناحية<sup>(٩)</sup> . وقال ١٠  
شَتِيمُ بْنُ مَخْلُودٍ<sup>(١٠)</sup> :

وَقُلْتُ لِسَيِّدِنَا يَا حَلِيءَ سَمُ إِنَّكَ لَمْ تَأْسُ أَسْوَأَ رَفِيقًا<sup>(١١)</sup>

(١) أى هدمين . ذى هدمين .

(٢) فيما عدل : هدمين : ثوبين خَلَقَيْنِ .

(٣) فيما عدل : هدمين : ثوبين خَلَقَيْنِ . ١٥

(٤) وهذه الأبيات الثلاثة لم ترو فى ديوان أوس . الحارِبُ : الحارِبُ ، أو الذى يحرب للغير ماله ، يسلبه .

(٥) الخِتَاتِ ، لم أجدها إلا هنا ، فإن صحت كانت جمع حِتمَة ، مرة من الحِتم بمعنى القضاء

وإيجابه . ثم وجدت فى حواشى هـ : حِتَاتِ الْمَلِكِ : أفضيتهم التى لا ترد . والحِتم : القاضى .

(٦) الدُّحَا : المروعة والمخادعة . فيما عدل : أهْلُ الرِّحَالِ .

(٧) هـ : من الملك . ٢٠

(٨) يقال نفض رأسه بنفضه ، وأنفضه بنفضه : حركه . والصَّهْبُ السَّيَالُ ، كثرة الأعداء .

وصهبة السبال من خواص الروم . والصَّهْبَةُ : الشِّقْرَةُ والحَمْرَةُ .

(٩) فيما عدل : لأنه يكون فى تلك الناحية .

(١٠) هو شَتِيمُ بْنُ مَخْلُودٍ ، أحد بنى غراب بن فزارة ، شاعر جاهلى ، وهو ببيتة التصغير ، كما

فى الخزانة ( ٤ : ٦٦٤ ) .

(١١) الأبيات فى الحيوان ( ٣ : ٨٢ / ٥ : ٥١٧ ) ومعجم المرتضى ٣٩٢ . والأوّل منها فى

الأضداد لابن الأثير ٢٢٥ والأخير فى المختصر ( ٢ : ٨٩ ) والمبدئى ( ١ : ٥٧ ) والإنباف ١٨٧ ، ٢٥

والخزانة ( ٢ : ٣٥٨ ) واللسان ( ١١ : ٣٨٢ ) .

أَعْنَتْ عِدِيًّا عَلَى شَاوِهَا تُعَادِي قَرِيْقًا وَتُقِي قَرِيْقًا  
زَحَرَتْ بِهَا لَيْلَةٌ كُلُّهَا فَجِئَتْ بِهَا مُؤِيدًا خَنْفَقِيْقًا  
تَأْسُو : تُدَاوِي ، أَسْوَأُ وَأَسَى ، مُصْدِرَان . وَالْأَسَى : الطَّيِّب . وَمُؤِيد :  
دَاهِيَةٌ . خَنْفَقِيْق : دَاهِيَةٌ أَيْضًا . الشَّأُو : الْعَلَوَةُ لِرُكُضِ الْفَرَسِ .

وَأَنْشَدَ لَأَدَمَ مَوْلَى بَلْعَنير ، يَقُولُا لِابْنِهِ (١) :

يَا بَأَى أَنْتَ وَيَافُوقَ الْيَقَبِ (٢) يَا بَأَى خُصْيِكَ مِنْ خُصْيِ وَزُبِ (٣)  
أَنْتَ الْحَبِيبُ وَكَذَا قَوْلُ الْحَبِّ (٤) جَنَّبَكَ اللَّهُ مَعَاضِرَ الْوَصَبِ  
حَتَّى تُفِيدَ وَتُلَوِي ذَا الْجَرْبِ (٥) وَذَا الْجُنُونِ مِنْ سُعَالٍ وَكَلْبٍ  
وَالْحَذَبِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ ذُو الْحَذَبِ وَتَعْمَلَ الشَّاعِرُ فِي الْيَوْمِ الْعَصَبِ  
عَلَى مَبَاهِيرِ كَثِيرَاتِ التَّعَبِ (٦) وَإِنْ أَرَادَ جَدِلَ صَعْبٌ أَرَبِ  
خُصُومَةً تَنْقَبُ أَوْسَاطَ الرُّكْبِ (٧) أَضْلَعَتْهُ مِنْ رَنْبٍ إِلَى رَنْبٍ  
حَتَّى تَرَى الْأَبْصَارَ أَمْثَالَ الشُّهُبِ يَرْمِي بِهَا أَشْوُسٌ مِلْحَاحٌ كَلْبِ  
مَجْرَبُ الشَّدَاتِ مِيعُونَ مَذَبِ (٨) .

الْوَصَبُ : الْمَرَضُ . وَالْعَصَبُ : الشَّدِيدُ . يَقَالُ يَوْمٌ عَصِيبٌ وَعَصِيبٌ وَعَصِيبٌ ،  
إِذَا كَانَ شَدِيدًا . مَبَاهِيرُ : مَتَاعِيبُ قَدْ عَلَاهُمْ الْبُهِرُ . أَرَبٌ ، يَقَالُ رَجُلٌ أَرَبٌ ١٥

(١) الرجز الثالث أنشده ابن منظور في اللسان ( ١٨ : ١٠ - ١١ ) وذكر روايته عن الجاحظ في البيان والبيان .

(٢) أى فوق قولك : « بَأَى أَنْتَ » . وهوى : اليب « بالتسهيل .

(٣) فيما عدل ، هـ : « خصيك » . وفي اللسان : « خصيك » .

(٤) في اللسان : « فعل المحب » .

(٥) في حواشي هـ : « تفيد مالا » عن نسخة .

(٦) كذا جاءت الرواية ، وتفسيرها فيما بعد يقتضاها . لكن في اللسان : « على نهائير »  
والنهائير : الأمور الشداد الصعبة ، واحدها نهيرة .

(٧) فيما عدل ، هـ : « خصومة تنقب » . واليت لم يرو في اللسان .

(٨) في اللسان : « مجرب الشككات » .

١١٣ وأرب ، وله إرب ، إذا كان عاقلاً أدياً حازماً . أطلعت<sup>(١)</sup> يقال ظَلَعَ الرجل ، إذا خَمَعَ في مَشْيِهِ . الرَبَّة : واحدة الرُّبِّ والرُّبَات ، وهى اللَّرَج . أى تُخْرِجُهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ . والأشُّوس : الذى ينظر بمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ . وملحاح : مُلِحٌ ، من الإلحاح على الشَّيْء . كَلِبٌ ، أى الذى قد كَلِبَ . مَذْبٌ : أى يَذْبُ عن حريمه وعن نفسه .

وقالت ابنة وَثِيمَةَ ، تَرثِي أَبَاهَا وَثِيمَةَ بن عَثْمَانَ :

الواهب المال التَّلا د ندى ويكفينا العظيمة<sup>(٢)</sup>  
ويكون مِذْرَهْنَا إذا نَزَلَتْ مَجْلَحَةٌ عَظِيمَةٌ  
واخْمَرُ آفاق السَّمَا ء ولم تَقَعْ فى الأَرْضِ دِيمُهُ  
وتَعْتَرُ الآكَالُ ح شئى كَانَ أَحْمَدُهَا الْهَشِيمَةُ  
لا ثَلَّةٌ تُرْعَى ولا إِبِلٌ ولا بَقَرٌ مُسِيمَةٌ  
أَلْفَيْتُهُ مَاوَى الْأَرَا مِلْ والمَدْفَعَةُ الْيَتِيمَةُ  
وَالدَّافِعُ الْخَصِيمُ الْأَلْ لَدِ إِذَا تُقَوِّضُخُ فى الْخُصُومَةِ  
يَلْسَانُ لُقْمَانَ بن عَا د وفصل خُطْبَتِهِ الْحَكِيمَةِ  
أَلْجَمْتُهُمْ بَعْدَ التَّدَا فَع والتَّجَاذُبُ فى الْحُكُومَةِ

١٥ التَّلَادُ<sup>(٣)</sup> : القديم من المال . والطَّارِفُ : المستفاد . والمِئْرَةُ : لسان القوم المتكلم عنهم . مَجْلَحَةٌ ، أى داهية مصممة . اِحْمَرُّ آفَاقُ السَّمَاءِ ، أى اشتدَّ البرد وقَلَّ المطر وكَثُرَ القَحْطُ . وَدِيمَةٌ : واحدة الدَّيْمِ ، وهى الأطوار الدائمة مع سكون . تَعْتَرُ : تَمْنَعُ . الْآكَالُ : جمع أَكَلٍ ، وهو مَا يُؤْكَلُ . وَالْهَشِيمَةُ : مَا تَهْتَمُّ

(١) كذا جاءت بالطاء المعجمة فى التفسير والشعر قبله . ورواية اللسان : « أطلعت » .

(٢) فيما عدل : « لنا ويكفينا » .

(٣) وقع التفسير التالى فيما عدل ، هـ متخللاً للأبيات .

من الشَّجَر ، أى وقع وتكسَّر (١) . الثَّلَّة : الضَّانُ الكَثِيرُ ، ولا يقال لِلْمِعْزَى ثَلَّةٌ ، ولكن حَيْلَةً (٢) ، فإذا اجتمعت الضَّانُ والمِعْزَى قيل لهما: ثَلَّةٌ . مُسِيمَةٌ ، أى صارت فى السَّوْمِ ودخلت فيه ، والسَّوْمُ : الرعى . وسامَتِ تسوم ، أى رعت تَرْعى . ومنه قول الله: ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ (٣) .

وكانت العربُ تُعَظِّمُ شَأْنَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ الْأَكْبَرِ وَالْأَصْغَرِ لُقَيْمِ بْنِ لُقْمَانَ (٤) فى النَّبَاةِ وَالْقَدْرِ ، وفى العلم والحُكْمِ ، وفى اللِّسان والجَلَمِ . وهذان غيرُ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ الْمَذْكُورِ فى الْقُرْآنِ (٥) على ما يقوله المفسِّرون . ولا رِفَاعَ قَدْرُهُ وَعِظَمَ شَأْنِهِ ، قال النَّمْرُ بْنُ تَوَلَّبٍ :

لُقَيْمٌ بْنُ لُقْمَانَ مِنْ أُخْتِهِ فَكَانَ ابْنُ أُخْتٍ لَهُ وَابْنُهَا (٦)

لِيَالِي حَمَقٍ فَاسْتَحْصَنَتْ عَلَيْهِ فَعَرَّ بِهَا مُظْلِمًا (٧)

فَعَرَّ بِهَا رَجُلٌ مُحْكِمٌ فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلًا مُحْكِمًا (٨)

وذلك أَنَّ أُخْتَ لُقْمَانَ قَالَتْ لَامْرَأَةٍ لُقْمَانَ : إِنِّى امْرَأَةٌ مُحْكِمَةٌ ، وَلُقْمَانُ رَجُلٌ مُحْكِمٌ مُنْجِبٌ ، وَأَنَا فى لَيْلَةٍ طَهْرَى ، فَهَبْ لِي لَيْلَتِكَ . ففعلتْ فَبَاتَ

(١) فيما عدا ل : ما يهشم من الشجر ، أى يكسر .

(٢) الحيلة ، بفتح الحاء وسكون الياء المثناة التحتية .

(٣) بدل هذه العبارة الطويلة فيما عدا ل : الثَّلَّة : ما بين الست إلى العشر من الغنم .

مسيمة : راعية .

(٤) فى الأصول : ولقيم بن لقمان ، وقد عمت الولا فى ب فقط . ولقمان بن عاد ، هذا هو

المعمر صاحب حديث النور . انظر أخبار عبيد بن شربة ٣٥٦ - ٣٦٧ . ٢٠ والتيجان ٧٥ - ٧٨

والمعمرين ٣ - ٤ - وقار القلوب ٣٧٦ - ٣٧٧ واللباني ( ١ : ٣٩٣ - ٣٩٤ ) .

(٥) لقمان الحكيم المذكور فى القرآن ، قيل كان عبداً حبشياً لرجل من بنى إسرائيل فأعتقه

وأعطاه مالا ، وكان فى زمن داود . وقيل كان حراً وكان اسمه لقمان بن باعورا ، وقيل هو ابن أخت أيوب

أو ابن خالته . انظر المعارف ٢٥ وتفسير أبى حيان ( ٨ : ١٨٦ ) .

(٦) وكنا فى الحيوان . وفى الأمثال : لِيَالِي حَمَقٍ فما استحقيت .

(٧) الحيوان وحواشي هـ : فأحبها رجل محكم هـ : فأحبها رجل نابه هـ .



في بيت امرأة لقمان ، فوقع عليها فأحبها بلقيس ، فلذلك قال التمر بن تولب ما قال .  
والمرأة إذا ولدت الحَمْقى فهي مُحِمَقَّةٌ ، ولا يعلم ذلك حتى يرى ولَدَ  
رَوْجِها من غيرها أكياساً .

وقالت امرأة ذات بنات :

وما أبالي أَنْ أَكُونَ مُحِمَقَّةً إذا رأيتُ حُصِيَّةً مُعَلَّقَةً (١)  
وقال آخر :

أَزْرَى بِسَعْيِكَ أَنْ كُنْتُ امْرَأً حِمَقاً مِنْ نَسْلِ ضَاوِيَةِ الْأَعْرَاقِ يَحِمَاقِ  
ضاوية الأعراق ، أى ضعيفة الأعراق نحيفتها . يقال رجل ضاو ، وفيه  
ضاويةٌ ، إذا كان نحيفاً قليل الجسم . وجاء في الحديث : « اغتربوا لا تُضَوُّوا » .  
أى لا يتزوج الرجل القراية القرية ، فيجىء ولده ضاوياً . والفعل منه ضَوَّى  
يَضَوِّى ضَوًى . والأعرأق : الأصول . والحماق : التى عادت أن تلد الحَمْقى .

ولبعضهم البنات قالت إحدى القوابل :

أَيَا سَحَابٍ طَرَّقَ بِخَيْرٍ (٢) وَطَرَّقَنِي بِحُصِيَّةٍ وَأَتَيْرِ  
• وَلَا تُهِنَّا طَرَفَ الْبُظَيْرِ •

١١٥

وقال الآخر (٣) في إنجاب الأمهات ، وهو يخاطب بنى إخوته :

عَفَارِتاً عَلَيَّ وَأُخَذَ مَالِي وَعَجَزاً عَنْ أَنَاثِي آخِرِينَ (٤)

١٥

(١) الدرر في الخصص ( ١٦ : ١٢٩ ) .

(٢) طرقت المرأة : نشب ولدها ولم يسهل خروجه ، يقال طرقت ثم خلصت . والرجز وقصته في  
الحيلول ( ٥ : ٥٨١ ) . وانظر شرح المروزقي للحماسة ١٨٥١ .

(٣) هو رافع بن هرم . شاعر قديم أدرك الإسلام وأسلم . انظر الخزانة ( ١ : ٢٧٧ ) .

والآيات الأربعة الأولى منسوبة في اللسان ( كيس ) إليه . وأما البيت الأخير فقد نسب في نواتر أبى  
زيد ١١١ ، ١٩١ واللسان (أخام) إلى عقيل بن علفة .

(٤) فيما عدل : • وحلما عن أناس • . وفي اللسان : • وجبنا عن رجال • .

- فَهَلَّا غَيْرَ عَمَّكُمْ ظَلَمْتُمْ إِذَا مَا كُنْتُمْ مَتَظَلِّمِينَ  
 فلو كُنْتُمْ لَكَيْسَةً أَكَاثَتْ وَكَيْسَ الْأُمِّ أَكَيْسُ لِلْبَيْنَا (١)  
 ولكن أُمُّكُمْ حَمَقَتْ فَجَعْتُمْ غِنَاءًا مَا تَرَى فِيكُمْ سَمِينًا (٢)  
 وَكَانَ لَنَا قَزَازَةٌ عَمَّ سَوِيءٌ وَكَتَبْتُ لَهُ كَثْرَ بَنِي الْأَخِينَا (٣)
٥. وَابْتِغَايَ الْبَنَاتِ هَجَرَ أَبُو حَمْرَةَ الضُّبِّيُّ نَحِيمَةً امْرَأَتِهِ ، وَكَانَ يَقِيلُ وَيَبِيتُ عِنْدَ  
 جِيرَانٍ لَهُ ، حِينَ وَلَدَتْ امْرَأَتَهُ بِنْتًا ، فَمَرَّ يَوْمًا بِخَبَائِثِهَا وَإِذَا هِيَ تَرْقُصُهَا وَقَوْلُ :  
 مَا لِأَيِّ حَمْرَةٍ لَا يَأْتِينَا يَظُلُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا  
 غَضَبَانِ إِلَّا نَلِدُ الْبَيْنِيَا نَأْفَهُ مَا ذَلِكَ فِي أَيْدِينَا  
 وَإِنَّمَا نَأْخُذُ مَا أُعْطِينَا وَنَحْنُ كَالْأَرْضِ لَزْرَاعِينَا  
 ١٠. \* نُبَيِّتُ مَا قَدْ زَرَعُوهُ فِينَا (٤) \*
- قال : فَعَدَا الشَّيْخُ حَتَّى وَلَجَ الْبَيْتَ فَقِيلَ رَأْسَ امْرَأَتِهِ وَابْتِغَايَ .  
 وَهَذَا الْبَابُ يَقَعُ فِي كِتَابِ الْإِنْسَانِ (٥) ، وَفِي فَصْلِ مَا بَيْنَ الذَّكَرِ  
 وَالْأُنْثَى ، تَامًّا ، وَلَيْسَ هَذَا الْبَابُ مِمَّا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْبَيَانِ وَالتَّيْنِينَ (٦) ، وَلَكِنْ  
 قَدْ يَجْرِي السَّبَبُ فَيُجْرَى مَعَهُ بِقَلْبٍ مَا يَكُونُ تَنْشِيطًا لِقَارِئِ الْكِتَابِ ، لِأَنَّ  
 ١٥. خُرُوجَهُ مِنَ الْبَابِ إِذَا طَالَ لِبَعْضِ الْعِلْمِ (٧) كَانَ ذَلِكَ (٨) أَرْوَحَ عَلَى قَلْبِهِ ،  
 وَأَزِيدَ فِي نَشَاطِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) فِي الْحَزَانَةِ : « كَيْسُ لِلْبَيْنَا » . وَفِي اللَّسَانِ : « يَعْرِفُ فِي الْبَيْنَا » .

(٢) هَذَا الْبَيْتُ سَاقِطٌ مِمَّا عَدَا لَ . وَقَدْ رَوَى فِي الْحَزَانَةِ عَنِ الْبَغْدَادِيِّ .

(٣) يَشْتَهَدُ بِهِ عَلَى أَنْ « أَخَا » يَجْمَعُ عَلَى « أَخَيْنِ » جَمْعُ مُدَكَّرٍ سَلَامًا . وَرَوَايَةُ اللَّسَانِ :

وَكَانَ بَنُو قَزَازَةٍ شَرِّ قَوْمٍ وَكَتَبْتُ لَهُمْ كَثْرَ بَنِي الْأَخِينَا

(٤) الْبَيْتُ الرَّابِعُ وَالسَّابِعُ لَيْسَ فِي لَ ، هـ .

(٥) فِيمَا عَدَا لَ : « فِي كِتَابِ الْإِنْسَانِ مِنْ كِتَابِ الْحَيَوَانِ » .

(٦) لَ ، هـ : « التَّيْنِ » مَعَ ضَبْطِهِ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ الْمَضْمُونَةِ .

(٧) فِي لَ : « لِبَعْضِ الْكَلَامِ الْعِلْمِ » .

(٨) كَانَ ذَلِكَ ، سَاقِطٌ مِنْ لَ .

وقد قال الأول <sup>(١)</sup> في تعظيم شأن نُقَيْم بن لقمان :

قومي اصْبَحْنِي فما صَبِغَ الفتى حجراً      لكنْ رَهِيْنَةً أَحْجَارٍ وَأَرْسَاسٍ  
قومي اصْبَحْنِي فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْبٍ      أَفْنَى لُقَيْمًا وَأَفْنَى آلِ هِرْمَاسٍ <sup>(٢)</sup>  
اليَوْمَ خَمْرٌ وَيَلْتَوُ فِي غَيْدِ خَبِرٍ      وَالْدَّهْرُ مِنْ بَيْنِ إِنْعَامٍ وَإِيَّاسٍ

١١٦ فاشْرَبْ عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مَرْتَفِعاً      لَا يَصْحَبُ الْهَمُّ قَرَعَ السَّنِّ بِالْكَاسِ •

وقال أبو الطَّمْحَان <sup>(٣)</sup> القينيّ في ذكر لقمان :

إِنَّ الزَّمَانَ وَلَا تَفْنِي عَجَائِبُهُ فِيهِ      تَقْطَعُ الْأَافِ وَأُقْرَانِ  
أَمْسَتْ بَنُو الْقَيْنِ أَفْرَاقاً مُوزَّعَةً      كَأَنَّهُمْ مِنْ بَقَايَا حَيِّ لُقْمَانٍ <sup>(٤)</sup>

وقد ذكرت العرب هذه الأمم البائدة، والقرون السالفة. ولبعضهم بقايا قليلة،

وهم أشلاء في العرب متفرقون مغمورون، مثل جُرْهُم، وجاسم، ووبار وعِملاق،  
وَأَمِيم، وطَسْم وجديس، ولُقمان والهَرْمَاس، وبنى الناصور، وقيل بن عتير <sup>(٥)</sup>،  
وذى جَدَن. وقد يقال في بنى الناصور إن أصلهم من الرُّوم، فأما ثُمُود فقد  
خبر الله عز وجلّ عنهم فقال : ﴿ وَثُمُوداً فَمَا أَبْقَى <sup>(٦)</sup> ﴾ ، وقال : ﴿ فَهَلْ

(١) في حواشي هـ عن الحشني : « ذكر الحاقمي أنه لبشر » .

(٢) الهرماس ، بالكسر : نهر نصيبين ، مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ ، مسدودة  
بالحجارة والرصاص ، بنتها الروم فلما تفرق هذه المدينة . وبعد هذا البيت فيما عدا ل هذا التفسير :  
« اصْبَحْنِي ، الصبوح : شرب الغلة . والضيق : شرب العشي . الرمس : القير ؛ ويقال رمس الميت  
وأرسمته ، إذا دفته » .

(٣) أبو الطمحنان ، بفتح الطاء والميم : هو حنظلة بن الشرق ، أحد المعمرين ، كان في الجاهلية ندماً  
للزبير بن عبد المطلب ، وأدرك الإسلام وأسلم . الإصابة ٢٠٠٧ والخزانة (٣: ٤٢٦) والمعمرين ٥٧ والموتلف ١٤٩ .  
(٤) بنو القَيْن بن جسر ، قيل أنى الطمحنان . والأفراق : جمع فرق ، بالكسر ، وهو القسم من  
الأقسام . وفي الكتاب : ( فكان كل فرق كالطود العظيم ) .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « وعتر » .

(٦) فيما عدا ل ، هـ : « ثُمُود » يُلَوْنُ تنوين في هذا الموضع والموضعين بعده ، وهي قرابة عاصم  
وحمزة ويعقوب . وقرأ باقي القراء : « وثُوداً » بالثنتين ، كما أثبت من ل ، هـ . انظر إنحاف فضلاء البشر ٤٠٤ .  
وتفسير أبي حيان ( ٨ : ١٦٩ ) . فمن صرفه ذهب به إلى الحَيِّ ، ومن لم يصرفه ذهب به إلى القليلة . اللسان .

تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿١٠﴾ . فَأَنَا أَعْجَبُ مِنْ مُسْلِمٍ يَصْلُقُ بِالْقُرْآنِ ، يَزْعُمُ أَنَّ قِبَائِلَ الْعَرَبِ مِنْ بَقَايَا ثَمُودَ .

وكان أبو عبيدة يتأول قوله : ﴿ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴾ ، أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى الْأَكْثَرِ ، وَعَلَى الْجُمْهُورِ الْأَكْبَرِ . وَهَذَا التَّأْوِيلُ أَخْرَجَهُ مِنْ أُلَى عَبِيدَةَ سُوءِ الرَّأْيِ فِي الْقَوْمِ ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَجِيءَ إِلَى خَيْرٍ عَالِمٍ مَرْسِلٍ غَيْرِ مُقَيَّدٍ ، وَخَيْرٍ مُطْلَقٍ غَيْرِ مُسْتَشْنَى مِنْهُ ، فَيَجْعَلُهُ خَاصًّا كَالْمُسْتَشْنَى مِنْهُ . وَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ لَطَاعِنِ أَوْ مُتَأَوِّلٍ بَعْدَ قَوْلِهِ : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ . فَكَيْفَ يَقُولُ ذَلِكَ إِذَا كُنَّا نَحْنُ قَدْ نَرَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ حَيٍّ بَاقِيَةً ، مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ .

وَرَوَوْا أَنَّ الْحِجَّاجَ قَالَ عَلَى الْمَنْبَرِ يَوْمًا : تَزْعُمُونَ أَنَا مِنْ بَقَايَا ثَمُودَ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴾ .

فَأَمَّا الْأَمُّمُ الْبَائِلَةُ مِنَ الْعَجَمِ ، مِثْلُ كَنْعَانَ وَبُيُوتَانَ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ ، فَكَثِيرٌ ، وَلَكِنَّ الْعَجَمَ لَيْسَ لَهَا عَنَائَةٌ بِمَحْفُظٍ [ شَأْنٌ <sup>(١)</sup> ] الْأَمْوَاتِ وَلَا الْأَحْيَاءِ . وَقَالَ الْمُسَيَّبُ بْنُ عَلَسٍ <sup>(٢)</sup> ، فِي ذِكْرِ لَقْمَانَ :

وإِلَيْكَ أَعْمَلْتُ الْمُطْلَبَةَ مِنْ سَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَنْتَ بِالْفَقْرِ <sup>(٣)</sup>

أَنْتَ الرَّئِيسُ إِذَا هُمْ نَزَلُوا وَتَوَاجَّهُوا كَالْأَسَدِ وَالنَّمْرِ ١١٧  
لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتُ الْمَنْوَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ

(١) هذه مما عدل ل .

(٢) المسيب ، بفتح الياء المشددة . وعلس ، بالتحريك . والمسيب لقب لقب به بيت قاله :

فإن سرى ألا تؤوب لفاحكم غزوا فقولوا للمسيب يا الحق

واسمه زهير بن علس . وهو خال أعشى قيس ، وكان الأعشى راويه ، وكان يعزى شعره ويأخذ منه ، وهو جاهلي لم يدرك الإسلام . انظر الخزانة ( ١ : ٥٤٥ - ٥٤٦ ) والاشتقاق ١٩٢ والموضح ٥١ .

(٣) الأبيات تنسب إلى الأعشى ، وإلى المسيب بن علس . ديوان الأعشى ٣٥١ . والثالث والخامس ينسبان إلى زهير . ديوانه ٨٩ ، ٩٥ . وانظر تعليقات الميمنى على الخزانة ( ٣ : ٢١٦ ) السلفية . وفي حواشي هـ : كذا وقع في النسخ . وفي الجمهرة : القفر : اسم موضع . وأنشد هنا :

سفل العراق وأنت بالفقر . . .

وَأَلْتَأْتُ أَجْوَدَ بِالْعَطَاءِ مِنْ آلِ رِيَّانٍ لَمَّا جَادَ بِالْقَطْرِ (١)  
وَأَلْتَأْتُ أَشْجَعُ مِنْ أَسَامَةِ إِذْ نَقَعَ الصَّرَاخُ وَلَجَّ فِي الدُّعْرِ (٢)  
وَأَلْتَأْتُ أَتَيْنُ جَيْنَ تَنْطِقُ مِنْ لَقَمَانٍ لَمَّا عَمِيَ بِالْأَمْرِ  
وقال لييدُ بن ربيعة الجعفرى :

- وَأَخْلَفَ قُسًا لَيْتَنِي وَلَوْ أَتَيْتُ وَأَعْيَا عَلَى لَقَمَانٍ حُكْمَ التَّدْبِيرِ (٣) .  
فَإِنْ تَسْأَلُنَا كَيْفَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسَحَّرِ (٤)  
السَّحَرُ : الرُّقَّة (٥) . وَالْمُسَحَّرُ : الْمَعْلَلُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . [ وَالْمُسَحَّرُ :  
الْمُخْلَوِعُ (٦) ] ، كَمَا قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :  
أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسَحَّرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ (٧)  
[ أَى نُعَلَّلُ . فَكَأَنَّا نَخْدَعُ وَنُسَحَرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ (٨) ] .

وقال الفرزدق :

- (١) الريان ، عني به السحاب المثلج . ح فقط : « الرباب » .  
(٢) نقع الصراخ : ارتفع . قال لييد :  
فمتى ينقع صراخ صادق يحلبوها ذات جرس وزجل  
(٣) البيتان في ديوان لييد طبع ١٨٨٠ . قس ، هو ابن ساعدة الإيادي . أى أخلف قسا ما عنناه  
بقوله ليتنى ، ولو أتنى . لم يظفر بما عني . وأما لقمان فلم تفن عنه حكمته وتدبيره شيئا . ويرى :  
« وأخلفن قسا » بعد الضمير على « بنات الدهر » في بيت سابق . وهو :  
وأفنى بنات الدهر أربابَ ناعط بمستمع دون السماء ومنظر  
(٤) عصافير ، أى صغار ضعفاء مثلها . انظر الحيوان ( ٥ : ٢٢٩ / ٧ : ٦٣ ) . وقد نسب  
هذا البيت في أمالي المرتضى ( ٣ : ٣٧ ) إلى أمية بن أبي الصلت .  
(٥) في الحيوان عند إنشاء البيت : « وقال قوم : المسحر يعنى كل ذى سحر ، يذهب إلى الرقة » .  
(٦) هذه مما عدل .  
(٧) البيت في ديوان امرؤ القيس ١٣٢ واللسان ( ٦ : ١٢ ) . الإيضاح : ضرب من السير  
السرّيع . وفي الديوان : « لحم غيب » .  
(٨) هذه مما عدل . وقد فسر المسحر في البيت بأنه الغناء ، كما في اللسان وشرح الديوان .

لئن حَوَمَتِي هَابَتْ مَعْدٌ حِيَاضُهَا      لقد كَانَ لِقَمَانُ بْنُ عَادٍ يَهَابُهَا <sup>(١)</sup>  
وقال الآخر <sup>(٢)</sup> :

إذا مَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ      فسِرُّكَ أَنْ يَعِيشَ فِجْجِي بَزَادٍ  
بِجَبْزٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِتَمَرٍ      أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفُفِ فِي الْبِجَادِ <sup>(٣)</sup>  
تَرَاهُ يَطُوفُ الْأَفَاقَ حَرَصاً      لِيَأْكُلَ رَأْسَ لِقَمَانَ بْنِ عَادٍ <sup>(٤)</sup>  
وقال أَفْنُونُ التَّغْلَبِيُّ :

لو أَنَّنِي كُنْتُ مِنْ عَادٍ وَمِنْ لَدِمٍ      رَيِّتُ فِيهِمْ وَلِقَمَانَ وَذِي جَدَنٍ <sup>(٥)</sup>  
وقال الآخر <sup>(٦)</sup> :

مَا لَذَّةُ الْعِيشِ وَالْفَتَى لِلدِّ      لَدُّهُرٍ وَالْدَهْرُ ذُو فَتُونٍ  
أَهْلَكَ طُسُماً وَقَبْلَ طُسْمٍ      أَهْلَكَ عَاداً وَذَا جُدُونٍ ١١٨  
وَأَهْلَ جَاسٍ وَمَأْرِبٍ بَعْدَ      حَيٍّ لِقَمَانَ وَالْقُتُونِ <sup>(٧)</sup>

(١) وكذا جاءت الرواية في الديوان ٦٩ . وفيما عدا ل : « صانت معد » .

(٢) وهو يزيد بن الصق الكلابي كما في معجم المرتزقي ٩٤ وكتابات الجرجاني ٧٣ والاقتضاب ٣٨٨ . أو أبو مهوش الفقمسي ، كما في حواشي الكامل ٩٨ ليسك ولأبيات خير فيما عدا الأول ، وكذا في العقد ( ٢ : ٤٦٢ تأليف ) وأخبار الطراف ٢٤ .

(٣) الشئ الملقف في البجاد ، هو وطب اللبن ، يلف فيه ليحمى ويدرك . والبجاد ، بالكسر : الكساء . انظر اللسان والمقاييس ( مجد ) والحيوان ( ٣ : ٦٧ ) .

(٤) في نمار القلوب للتعالي ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر ، كذلك تصف رأسه بالعظم وتضرب به المثل » . وأنشد البيت . ومثل هذا الكلام لابن السيد في الاقتضاب ٤٩ . وزاد : « كما يقال لمن يزهى بما فضل ، ويخسر بما أدركه : كأنه قد جاء برأس خاقان » .

(٥) سبق البيت في أبيات ص ٩ .

(٦) هو سليمان بن ربيعة بن دباب بن عامر بن ثعلبة ، كما في اللسان ( تن ) . وفي الحماسة ( ٢ : ١٢ ) ومعجم ما استمعجم ( ١ : ٣٥٨ ) أنه « سلمى بن ربيعة » . يختلف في اسمه يقال « سلمان » و « سلمى » يفتح السين والميم ، و « سلمى » يضم السين وسكون اللام ، كالنسب .

(٧) جاس ، وردت بالسين المهملة في ل ، هـ والتميمية . وهو موضع ذكره بقوت ، لكن في معجم ما استمعجم : « جاش » ، قال : « بالعين تلقاء مأرب » . وأنشد البيت =

واليسر للعسر ، والتعنى للفقير ، والحى للمنون <sup>(١)</sup>

\*\*\*

- قال : وهم وإن كانوا يحبون البيان والطلاقة ، والتحير والبلاغة ، والتخلص والرشاقة ، فإنهم كانوا يكرهون السلاطة والمغتر ، والتكلف ، والإسهاب والإكثار ، لما فى ذلك من التزيد والمباهاة ، واتباع الهوى ، والمنافسة فى الغلو <sup>(٢)</sup> .
- وكانوا يكرهون الفضول فى البلاغة ، لأن ذلك يدعو إلى السلاطة ، والسلاطة تدعو إلى البذاء <sup>(٣)</sup> . وكل مرء فى الأرض فأئماً هو من يتاج الفضول .
- ومن حصل كلامه وميزه ، وحاسب نفسه ، وخاف الإثم والذم ، أشفق من الضراوة وسوء العادة ، وخاف ثمرة العجب وهجنة النفع <sup>(٤)</sup> ، وما فى حب السمعة من الفتنة ، وما فى الرأى من مجانية الإخلاص .
- ولقد دعا عبادة بن الصامت <sup>(٥)</sup> بالطعام ، بكلام ترك فيه المحاسنة <sup>(٦)</sup> ، فقال شداد بن أوس <sup>(٧)</sup> : إنه قد ترك فيه المحاسنة <sup>(٨)</sup> ، فاسترجع ثم قال : ما تكلمت

- = وأهل جاش وأهل مأرب وحى لقمان والقصون  
وكذا أنشده أبو تمام : جاش • بدن همز . وروى فى اللسان ( جاش ) قول السليك :
- أمتقل رب المنون ولم أروع  
عصافير ولد بين جاش ومأرب
- وفى سائر النسخ : • جاسم • . وأما القفون ، يضم التاء ، فهم بنو تقي بن عاد ، بكسر التاء ، منهم عمرو بن تقي ، وكعب بن تقي . وبه يضرب المثل : • أوسى من ابن تقي • . هـ : • ومأرب وحى لقمان • .
- (١) التعنى : الغنى ، كالتغنى والاعتناء . المحاسنة واللسان : • والغنى كالمدح • .
- (٢) فيما عدل ل : • فى الغلو والقدر • .
- (٣) ل : • البلاء • .
- (٤) النفع : أن يقصر بما ليس عنده . فيما عدل ل ، هـ : • القبح • تحريف .
- (٥) أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارى الخزرجى ، شهد بدرا ، وكان أحد النقباء بالعقبة ، كان قوياً فى دين الله ، قائماً بالأمر بالمعروف . تولى بالرملة سنة ٣٤ . الإصابة ٤٨٨ هـ وتذهيب التهذيب .
- (٦) فيما عدل ل : • ظن أن ترك فيه المحاسنة • وفيه إقحام وتحريف .
- (٧) فى الأصول : • أوس بن شداد • تحريف ، وفى حواشى هـ للخشنى : • صوابه شداد بن أوس • .
- وهو شداد بن أوس بن ثابت الخزرجى ، ابن أختى حسان . وفيه يقول عبادة بن الصامت : • شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم والحلم • الإصابة ٢٨٤٢ . وقد روى الجاحظ خطبة له فى الجزء الثالث من البيان .
- (٨) فيما عدل ل : • المحاسنة • تحريف .

- بكلمة منذُ بايعتُ رسول الله ﷺ إلا مزمومةً مخطوطةً .
- قال : وروى (١) حمادُ بن سَلَمَة ، عن أبي حمزة (٢) ، عن إبراهيم (٣)
- قال : « إنما يَهْلِكُ النَّاسُ في فَضُولِ الْكَلَامِ ، وَفُضُولِ الْمَالِ » .
- وقال (٤) : « دَعِ الْمَعَاذِرَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَهَا مَفَاجِرُ » . وَإِنَّمَا صَارَتِ الْمَعَاذِرُ
- كَذَلِكَ لِأَنَّهَا دَاعِيَةٌ إِلَى التَّخَلُّصِ بِكُلِّ شَيْءٍ .
- وقال سَلَامٌ بن أبي مطيع (٥) : قال لي أيوب (٦) : « أَيَاكَ وَجِيفُ الْحَدِيثِ » . خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْعُجْبِ .
- وقال إبراهيم النَّخَعِيُّ : « دَعِ الْاِعْتِذَارَ ؛ فَإِنَّهُ يَخَالِطُ الْكُذِبَ » (٧) .
- قَالُوا : وَنَظَرَ شَابٌّ وَهُوَ فِي دَارِ ابْنِ سَيَمِينَ إِلَى فَرَشٍ (٨) فِي دَارِهِ ، فَقَالَ :
- ١٠ مَا بِأَلْ تِلْكَ الْآجِرَةِ أَرْفَعُ مِنَ الْآجِرَةِ الْآخَرَى ؟ فَقَالَ ابْنُ سَيَمِينَ : « يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ فَضُولَ النَّظَرِ تَدْعُو إِلَى فَضُولِ الْقَوْلِ » .

- (١) فيما عدا ل : « ورووا عن » .
- (٢) أبو حمزة هذا ، هو ميمون الأعور القصاب الكوفي ، روى عن سعيد بن المسيب والشعبي وإبراهيم النخعي ، وعنه منصور بن الحنظل والثوري . تهذيب التهذيب وصفه الصفوة ( ٤٨ : ٣ ) في ترجمة إبراهيم النخعي .
- (٣) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي الفقيه ، روى عن مسروق وعلقمة وشريح ، وروى عنه الأعمش ومنصور وحماد بن سليمان ، ولد سنة ٥٠ وتوفي سنة ٩٦ . التهذيب وصفه الصفوة ( ٤٧ : ٣ ) . وفي عين الأخبار ( ١ : ٢٣٠ ) : « وحمل الناس عن إبراهيم النخعي وهو ابن ثمان عشرة سنة » ونحوه في المعارف ٢٠٤ .
- (٤) ل : « وقالوا » .
- (٥) فيما عدا ل : « سلام بن مطيع » .
- (٦) هو أبو بكر أيوب بن أبي نعيمة كيسان السخياتي البصري ، روى عن نافع وعطاء وعكرمة والأعرج وغيرهم ، وروى عنه الأعمش وقادة وخلق كثير ، وكان حجة أهل البصرة ، وله أقوال كثيرة في صفة الصفوة ( ٣ : ٢١٢ - ٢١٧ ) . وانظر تهذيب التهذيب .
- (٧) في عين الأخبار ( ٣ : ١٠١ ) : « اعترف رجل لي إبراهيم فقال له : قد عرفتُك غير محتر من المعاذير يشوبها الكذب » .
- (٨) المراد بالفرش هنا أن قد بلطت الأرض وفرشت . وفي اللسان : « فرش فلان داره ، إذا بلطها . قال أبو منصور : كذلك إذا بسط فيها الآجر والصفيح فقد فرشها . وفرش الدار : تبليطها » .



- وزعم إبراهيم بن السندی قال: أخبرني من سمع عيسى بن علي<sup>(١)</sup> يقول:
- « فضولُ النظر من فضول الخواطر ، وفضول النظر تدعو إلى فضول القول ، وفضول القول تدعو إلى فضول العمل ؛ ومن تعود فضول الكلام ثم تدارك استصلاح لسانه ، خرج إلى استكراه القول ، وإن أبطأ أخرجه إبطاءه إلى أقبح من الفضول .
- قال أبو عمرو بن العلاء : أنكح ضرارُ بن عمرو الضبي ابنته معبد بن رزارة ، فلمَّا أخرجها إليه قال لها : « يا بُنَيَّةُ أُمسِكِي عليك الفضلَيْن » .
- قالت : وما الفضلان ؟ قال : فضلُ العُلَمة ، وفضلُ الكلام .
- وضرارُ بن عمرو ، هو الذي قال : « من سرَّه بنوه ساءت نفسه »<sup>(٢)</sup> .
- وهو الذي لما قال له المنذر : « كيف تخلّصت يوم كذا وكذا ، وما الذي نجّاك ؟ قال : « تأخيرُ الأجل ، وإكراهي نفسي على المُقِّ الطوال » .
- المقاء : المرأة الطويلة . والمقّ : جماعة النساء الطوال . والمقّ أيضاً : الخيل الطوال .
- وكان إخوته قد استشألوه حتّى ركب فرسه ورفع عقيرته بكمّاظ ، فقال :
- « ألا إن خيرَ حائلٍ أمٌّ<sup>(٣)</sup> فزوّجوا الأمّهات » . وذلك أنه صرّح بين القنّا ، فأشبَل عليه إخوته لأُمّه حتّى أنقلوه<sup>(٤)</sup> .

١٥

(١) هو عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس ، عم السفاح والمنصور ، وكان ابن المقفع يكتب له ، وقد أمره بعمل نسخة الأمان لأخيه عبد الله الخارج على المنصور ، وهو الذي أرسل ابن المقفع إلى سفيان بن معاوية فقدر هذا به ، وقطعه عضواً عضواً وألقاه في التور . وكان المنصور يجلب عيسى ويعظمه في مجلسه . انظر الجهشيارى ١٠٣ - ١٠٧ . ومات في خلافة المهدي . المعارف ١٦٣ .

(٢) انظر الحيوان ( ٦ : ٥٠٦ ) . وفي عيون الأخبار ( ٢ : ٣٢٠ ) : « رأى ضرار بن عمرو الضبي له ثلاثة عشر ذكراً قد يلفوا ، فقال ... » .

(٣) الحائل : التي لم تحمل .

(٤) أشبل عليه : عطف عليه وأعاته . ح : « فأنشَل » تحريف . وبعد هذه الكلمة في ل : « أي

عطف » . ب : « وإخوته وأمه » : ل : « فأثقلوه » .

### باب في الصمت

قال : وكان أعرابي يجالس الشعبي<sup>(١)</sup> فيطيل الصمت ، فسئل عن طول صمته فقال : « أسمع فأعلم ، وأسكت فأسلم » .

وقالوا : « لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب » .

وقالوا : مقتل الرجل بين لحيته وفكيه » .

وأخذ أبو بكر الصديق ، رحمه الله ، بطرف لسانه وقال : « هذا الذي أوردني المورّد » .

وقالوا : ليس شيء أحق بطول سجن من لسان .

وقالوا : اللسان سبع عقور .

وقال النبي عليه السلام : « وهل يكبُ الناس على مناخرهم في نار

جَهَنَّمَ إلا حصاد ألسنتهم » .

وقال ابن الأعرابي ، عن بعض أشياخه : تكلم رجل عند النبي عليه السلام

فخطل في كلامه ، فقال النبي عليه السلام : « ما أعطى العبد شراً من طلاقة اللسان » .

وقال العائشي<sup>(٢)</sup> ، وخالد بن خدّاش<sup>(٣)</sup> : حللنا مهدي بن ميمون<sup>(٤)</sup> ، عن

(١) الشعبي ، هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبي الحميري ، ونسبه إلى « شعب » بالفتح :

١٥ بطن بن همدان . كان من كبار الحفاظ ، واستقضىه عمر بن عبد العزيز . ولد بالكوفة سنة ١٩ وتوفي سنة

١٠٣ تذكرة الحفاظ ( ١ : ٧٤ - ٨٢ ) وتهذيب التهذيب ( ٥ : ٦٥ ) وصفة الصغرة ( ٣ : ٤٠ ) .

(٢) هو عبيد الله بن عماد بن حصص ، المعروف بابن عائشة . والعائشي ، قدمت ترجمته في

ص ١٠٢ .

(٣) هو خالد بن خدّاش بن عجلان الأزدی المهلبی البصري ، كان ثقة صدوقاً . توفي سنة

٢٠ ٢٢٤ . تاريخ بغداد ٤٤٠٥ وتهذيب التهذيب .

(٤) هو مهدي بن ميمون الأزدی المروزي أبو يحيى البصري ، أحد الرواة الثقات . توفي سنة

١٧١ . تهذيب التهذيب .

غيلان بن جهر<sup>(١)</sup> ، عن مطرف بن عبد الله بن الشَّحِير ، عن أبيه قال :  
 قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَفْدٍ قَعَلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْتَ سَيِّدُنَا ، وَأَنْتَ  
 ١٢٠ أَطْوَلُنَا عَلَيْنَا طَوْلًا<sup>(٢)</sup> ، وَأَنْتَ الْجَفْنَةُ الْعَرَاءُ<sup>(٣)</sup> . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَيُّهَا  
 النَّاسُ ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَفْزِزْكُمْ الشَّيْطَانُ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » .

قال : وقال خالد بن عبد الله القسري ، لعمر بن عبد العزيز : من كانت  
 الخلافة زانته فقد زينتها ، ومن [ كانت<sup>(٤)</sup> ] شرَّقه فقد شرَّقتها . فأنت كما  
 قال الشاعر :

وَيَزِيدُنِي أَطْيَبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا      أَنْ تَمْسِيَهُ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيُّهَا  
 وَإِذَا اللَّئِيمُ زَانَ حُسْنٍ وَجُورٍ      كَانَ لِللُّرِّ حُسْنٌ وَجْهٌ لِي زَيْنًا

فقال عمر : إِنَّ صَاحِبَكُمْ أُعْطِيَ مَقُولًا ، وَلَمْ يُقَطَّ مَعْقُولًا .

وقال الشاعر :

لَسَأَلْتُكَ مَعْسُولٌ وَتَفْسُكَ شَحَّةٌ      وَثُونُ الثَّرِيَا مِنْ صَدِيقِكَ مَالِكًا<sup>(٥)</sup>

وأخبرنا<sup>(٦)</sup> بإسناد له ، أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِابْنِ عُمَرَ : ادْعُ اللَّهَ لَنَا بِدَعَوَاتِهِ . فَقَالَ :

(١) هو غيلان بن جهر المعزى البصرى ، نسبة إلى « مَعْرَكة » بطن من الأزد . روى عن أنس ومطرف

والشمس ، وروى عنه مهدي بن ميمون وشعبة . توفي سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب وأنساب السمعاني ٥٣٨ .

(٢) الطول ، بالفتح : الفضل .

(٣) في اللسان ( جفن ) : « كَانَتْ الْعَرَبُ تَدْعُو السِّيدَ الْمُطْعَمَ جَفْنَةً ؛ لِأَنَّهُ يَضْعُمُهَا وَيَطْعُمُ

النَّاسَ فِيهَا ، فَسُمِّيَ بِاسْمِهَا . وَالْعَرَاءُ : الْبَيْضَاءُ ، أَيْ إِنَّمَا مَعْلُومَةُ بِالشَّحْمِ وَاللَّحْنِ » .

(٤) التكملة من عيون الأخبار ( ١ : ٩٣ ) حيث الخبر .

(٥) الشحمة ، بفتح الشين : الشحيمة . والبيت في الحيوان ( ٥ : ٤٣٠ ) . وأُنشده في اللسان

( شحج ) مع قهن بده ، وهو :

وَأَنْتَ أَمْرٌ خَلَطَ إِذَا هِيَ أُرْسِلَتْ      يَمِينُكَ شَيْءٌ أَمْسَكَكَ مَهْلَاكَ

(٦) يعنى ابن الأعرابي ، كما في حواشى هـ .

« اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا » . فقالوا : لو زدنا يا أبا عبد الرحمن . قال :  
نعوذ بالله من الإسهاب .

وقال أبو الأسود الدؤلي ، في ذكر الإسهاب ، يقولها في الحارث بن  
عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة <sup>(١)</sup> ، والحارث هو القُبَاع ، وكان خطيباً من  
وُجُوهِ قريش ورجالهم . وإنما سُمِيَ القُبَاعُ لأنه أتى بِمِثْل <sup>(٢)</sup> لأهل المدينة ،  
فقال: إن هذا المِثْلُ لَقُبَاعٌ ! فسُمِيَ به . والقُبَاعُ : الواسع الرأس القصير .  
وقال الفرزدق فيه لجرير <sup>(٣)</sup> :

وَقَبْلَكَ مَا أَعْيَيْتُ كَامِرَ عَيْنِهِ      زِيَاداً قَلِمَ تَقْدِيرُ عَلَى حَيَاتِلِهِ  
فَأَقْسَمْتُ لَا آتِيهِ تِسْعِينَ حِجَّةً      وَلَوْ كُسِرَتْ عُنُقُ الْقُبَاعِ وَكَاهِلُهُ <sup>(٤)</sup>

وقال أبو الأسود :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جُزَيْتَ خَيْرًا      أَرِحْنَا مِنْ قُبَاعِ بَنِي الْمُغِيرَةِ  
بَلُونَاهُ وَلُئْلَاهُ فَأَعْيَا      عَلَيْنَا مَا يُعِيرُ لَنَا مَرِيئُهُ <sup>(٥)</sup>  
عَلَى أَنَّ الْفَتَى نِكَحَ أَكُولٍ      وَمَسْهَابٌ مَنَاهُهُ كَثِيرُهُ

وقال الشاعر <sup>(٦)</sup> :

(١) ويقال فيه أيضاً الحارث بن عياش بن أبي ربيعة ، وأبو ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عذرة .  
وكان الحارث أحد ولادة البصرة ، استعمله عليا ابن الزبير ، روى عن عمر وعائشة وحفصة ولم سلمة ، وروى عنه  
سعيد بن جبير والشعبي والزهري . تهذيب التهذيب ، والإصابة ٢٠٣٩ . وانظر ما سبق في حواشي ١٢٠ .  
(٢) المثل : زنبيل كبير يسع خمسة عشر صاعا .

(٣) هذا الإنشاد هو فيما عدل ل ، ه متأخر عن قول أبي الأسود الثالث .

(٤) في الديوان ٧٣٩ : « سبعين حجة » .

(٥) المروة : الحبل الطويل الدقيق ، وإمرؤ الحبل : إحكام فله . عنى أنه لا يمضي أمرا .

(٦) هو الفضل بن عبد الرحمن القرشي ، يقوله لآبِه القاسم بن الفضل . الحزانة ( ١ : ٤٦٥ ) .

إِيَّاكَ إِيَّاكَ المراءَ فإنه إلى الشر دعاء وللصِّرم جالب<sup>(١)</sup>  
وقال أبو العتاهية :

والصمت أجمل بالفتى من منطقي في غير جينه<sup>(٢)</sup>  
كل امرئ في نفسه أعلى وأشرف من قرينه

وكان سهل بن هارون يقول : « سياسة البلاغة أشد من البلاغة ، كما أن التوفى على اللؤاء أشد من اللؤاء » .

وكانوا يأمرُون بالتَّيِّن والتَّيِّت ، وبالتحرز من زَلَل الكلام ، ومن زَلَل الرأى ، ومن الرأى اللَّذْبَرى . والرأى اللَّذْبَرى هو الذى يَعْرِض من الصَّوَاب بعد مُضَى الرأى الأول وفَوَتْ استدراكه .

وكانوا يأمرُون بالتحلُّم والتعلُّم ، وبالتقلُّم فى ذلك أشد التقلُّم .  
وقال الأحنف : قال عمر بن الخطاب : « تفقَّهوا قبل أن تسودوا » .  
وكان يقول رحمه الله : « السُّودد مع السُّوداد<sup>(٣)</sup> » .  
وأنشدوا لكثير عزة :

وفى الجِلْم والإسلام للمرء وازعٌ وفى ترك طاعات القُوَادِ المتَّيِّمِ  
بصائرٌ رُشِدٌ للفتى مستبينةٌ وأخلاقٌ صِلَقٌ عِلْمُهَا بالتعلُّمِ  
الوازع : الناهى ؛ والورعة : جمع وازع ، وهم الناهون والكافون .  
وقال الأَفْوَى الأَفْوَى :

أَضَحَّتْ قُرَيْنَةٌ قَدْ تُغَيِّرُ بِشْرَهَا وَتُجْهِمُ يَحْيَةَ الْقَوْمِ الْعِدَا

(١) يستشهد به النحويون على حذف الواو قبل « المراء » . انظر الخزانة وسيبويه ( ١ : ١٤١ ) .

ويرى : « إِيَّاكَ » و « للشر جالب » . المراء : المجادلة . الصرم : القطعة .

(٢) ل : « نهن للفتى » . والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٣) فى حواشى هـ : « يمد مع الشلب إذا كان الشعر أسود ، لأنه يمكنه فى ذلك الوقت أن يدرك ما يسود به فى طلب علم أو فروسة ، فإذا جاز حد الشلب لم يمكنه » .

أَلَوْثٌ بِإِصْبَهِهَا وَقَالَتْ إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِمَّا لَا تَرَى مَا قَدْ تَرَى <sup>(١)</sup>  
وَأُنْشَدَ :

أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَاتَّهَمَهَا عَنْ غَيْبِهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ <sup>(٢)</sup>  
فَهَنَّاكَ تُعَذِّرُ إِنْ وَعَظْتَ وَتُقْتَلَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقَبَّلُ التَّعْلِيمُ

قَالُوا : وَكَانَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ أَشَدَّ النَّاسِ سُلْطَانًا عَلَى نَفْسِهِ .

وَقَالُوا : وَكَانَ الْحَسَنُ أَتْرَكَ النَّاسِ لَمَّا نُهِى عَنْهُ . وَقَالَ الْآخَرُ :

لَا تَعْذِرَانِي فِي الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ شِرَارُ الرِّجَالِ مَنْ يُسَمَّى فُيَعْلَمُ <sup>(٣)</sup>

١٢٢

وَقَالَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ :

وَلَمْ يَمَلْ يَمَلْ بَعْدَ زَلَّةٍ لَهُمْ عُدُّوا الْمَعَاذِيرَ إِنَّمَا حَسِبُوا <sup>(٤)</sup>

وَأُنْشَدْنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ ، لِلأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدٍ <sup>(٥)</sup> :

قَامَتْ تَخَاصُرُنِي بِقُتَيْبَتِهَا خَوْذُ تَأْطُرُ غَادَةً بِكَرٍ

كُلُّ بَرٍّ بَرٍّ أَنَّ الشَّبَابَ لَهُ فِي كُلِّ مُبْلَغٍ لَذَّةٌ عَذْرُ

تَخَاصُرُنِي : آخِذُ يَدَيْهَا وَتَأْخُذُ يَدِي . وَالْقَنَةُ : الْمَوْضِعُ الْغَلِيظُ مِنَ الْأَرْضِ

فِي صَلَابَةٍ . وَالْخَوْذُ : الْحَسَنَةُ الْخُلُقِ . تَأْطُرُ : تَتَنَبَّأُ ، وَالغَادَةُ : النَّاعِمَةُ اللَّيْنَةُ .

وَقَالَ جَرِيرٌ فِي فُتُوحِ الرَّأْيِ :

وَلَا يَتَّقُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَذِيرًا <sup>(٦)</sup>

(١) البيتان لم يرويا في ديوانه المخطوط .

(٢) البيتان من قصيدة لأبي الأسود الدؤلي في شرح شواهد المغني ١٩٤ . ومنها :

يَأْتِيَا الرَّجُلَ الْمَلْعَمَ غِيَا هَلَا لَغْوِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ

ويرى بعضها للمتوكل الليثي . انظر حاشية البحري ١٧٣ .

(٣) البيت في الحيوان ( ٣ : ١١١ ، ٤٨٢ : ٧ / ٢٦٠ ) .

(٤) أي عقولهم الصحيحة لا تدعمهم يخطئون ويزلون ، لأنهم يخطئون للأمر قبل وقوعه ، ويصدق

في ذلك ظنهم . انظر الماخصيات ٦٣ والحيوان ( ٣ : ٤٨٢ ) .

(٥) فيما عدل : هـ وأنشد الأحوص بن محمد هـ تحفه .

(٦) في الديوان ٢٤٦ :

قال : ومدح التابعة ناساً بخلاف هذه الصفة ، فقال :  
 ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضرراً لازب  
 لازب ولازم ، واحد ، واللازب في مكان آخر : اليابس . قال الله عز  
 وجل : ﴿ مِنْ طِينِ لَازِبٍ ﴾ . واللّزبات : السُّنُونُ الجَدْبَةُ .  
 وأنشد :

هفا هفوة كانت من المرء بدعة وما مثله من مثلها بسليم  
 فإن يك أخطا في أخيكم فربما أصاب التي فيها صلاح تميم  
 قال : وقال قائل عند يزيد بن عمر بن هبيرة <sup>(١)</sup> : والله ما أئني <sup>(٢)</sup> الحارث  
 ابن شريح يوم خير قط . قال : فقال الترجمان بن هريم : « إلا يكن أئني يوم خير  
 فقد أئني يوم شر » . ذهب الترجمان بن هريم إلى مثل معنى قول الشاعر :  
 وما خلقت بنو زمان إلا أخيراً بعد خلقي الناس طراً <sup>(٣)</sup>  
 وما فعلت بنو زمان خيراً ولا فعلت بنو زمان شراً

\*\*\*

ومن هذا الجنس من الأحاديث ، وهو يدخل في باب المُلْع ، قال الأصمعي :  
 « وصلّت بالعلم ، ونلت بالملع <sup>(٤)</sup> » .

- = لقد كنت يا ابن القين ذا حية بكم وعوف أبو قيس بكم كان أخيراً  
 فلا تقربن الشر حتى يصيبكم ولا تعرفن الأمر إلا تدبرا
- (١) يزيد بن عمر بن هبيرة : قائد من قواد الأمويين ، ولي قسرين للوليد بن يزيد ، ثم جمعت له ولاية  
 المراقين في أيام مروان بن محمد ، ثم لما ظهر أمر العباسيين أرسل السفاح أخاه المنصور لحربه ، فأعياده أمره ، ثم بعث  
 إليه السفاح من قتله بقصر واسطة سنة ٣٢ هـ حين خلعتان . وكان جواداً نبيلاً جميل المرأة عظيم الخطر . الماروف ١٧٩ .
- (٢) فيما عدل ، ه : « أتأني » تحيف . والخير في الحيوان ( ٢ : ٨٧ ) .
- (٣) زمان ، بكسر زايه وتشديد الميم ، اسم لعدة قبائل من العرب : زمان بن مالك بن صعيب بن  
 بكر وائل ، وزمان بن مالك بن جديلة ، وزمان بن تيم الله ، والأولى أعرفهن . انظر الماروف ٤٧ - ٤٨ .  
 ومختلف القبائل ومختلفها ٣٦ - ٣٧ .
- (٤) في حواشي ه : « يزيد وصلت به إلى المراتب عند الملك » .

وقال رجلٌ مرَّةً <sup>(١)</sup> : « أَيْ الذي قاد الجيوش ، وَفَتَحَ الفُتُوحَ ، وَخَرَجَ على ١٣٣ الملوك ، واغتصب المناير . » فقال له رجلٌ من القوم . لا جرم ، لقد أُسِرَ وَقُتِلَ وصُلب ! قال : فقال له المفتخر بأبيه : دغنى من أُسِرَ أُنَى وقته وصَلَبه ، أبوك أنت حدث نفسه بشيءٍ من هذا قط ؟

\*\*\*

قد سَمِعْنَا روايةَ القوم واحتجاجهم ، وَأَنَا أُوصِيكَ أَلَّا تَدْعَ التماسَ البيان والتبيين <sup>(٢)</sup> . إن ظننتَ أن لك فيها طيبةً ، وَأَنْتَها يناسبانك بعضَ المناسبة ، ويشاكِلانك في بعض المشاكلَة ؛ ولا تُهْمِلُ طيبعتك فيستولِي الإهمال على قُوَّةِ القرينة ، ويستبدُّ بها سوءُ العادة . وإن كنتَ ذا بيان وأحسستَ مِن نفسك بالتَّفُؤْذ في الخطابة والبلاغة ، وبِقُوَّةِ المُنَّة يومَ الحفل ، فلا تُقَصِّرْ في التماسِ أعلاها سورة <sup>(٣)</sup> ، وأرفعها في البيان منزلةً . ولا يقطعَنَّكَ تَهَيُّبُ الجُهلاء ، وتخويفُ الجُنَّاء ؛ ولا تصرفَنَّك الرواياتُ المعدولة عن وجوهها ، المتأولة على أقبح مخرجها .

وكيف تُطيعهم بهذه الروايات المعدولة ، والأخبار المدخولة ، وبهذا الرأي الذي ابتدَعوه من قَبْلِ أَنْفُسِهِمْ ، وقد سَمِعْتَ اللهُ تبارك وتعالى ، ذَكَرَ داودَ النَّبِيَّ صلوات اللهُ عليه ، فقال : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ <sup>(٤)</sup> ﴾ إلى قوله : ﴿ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ ﴾ . فجمعَ له بالحكمة البراعة في العقل ، والرَّجَاحَة في الجِلْم ، والأَسَاع في العلم ، والصَّوَاب في الحُكْم ، وجمعَ له بفصل

(١) الخمر في عون الأخبار ( ١ : ٢٣٣ ) .

(٢) ل ، ه ، ه : ١ : والتين .

(٣) السورة ، بالضم : المزلَّة الرقيقة ، جميعها سور ، بالضم .

(٤) تمام ثلاثة الآيات وما بعدها : ( اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيدِ . إنه أَوَّابٌ . إنا مسخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق . والطير محشورة كل له أَوَّابٌ . وشهدنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ) . الآيات ١٧ - ٢٠ من سورة ص .



الخطاب تفصيل المجمل ، وتلخيص الملتبس ، والبصير بالخرز في موضع الخرز ، والحسم في موضع الحسم .

وذكر رسول الله ﷺ شعيباً النبي عليه السلام ، فقال : « كان شعيباً خطيب الأنبياء » . وذلك عند بعض ما حكاه الله في كتابه ، وجلاه لأسماع عباده .

- فكيف نهأب منزلة الخطباء وداؤد عليه السلام سلفك ، وشعيب إمامك ، مع ما تلوناه عليك في صدر هذا الكتاب من القرآن الحكيم ، والآي الكريم . وهذه خطب رسول الله ﷺ مدونة محفوظة ، ومخلدة <sup>(١)</sup> مشهورة ، وهذه خطب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، رضى الله عنهم .

- وقد كان لرسول الله شعراء ينافحون عنه وعن أصحابه بأمره ، وكان ثابت بن قيس بن الشماس الأنصارى <sup>(٢)</sup> خطيب رسول الله ﷺ ، لا يدفع ذلك أحد .
- ١٠ فأما ما ذكرتم من الإسهاب والتكلف ، والخطل والتزيد ، فإنما يخرج إلى الإسهاب المتكلف ، وإلى الخطل المتزيد .

- فأما أرباب الكلام ، ورؤساء أهل البيان ، والمطبوعون المعابدون ، وأصحاب التحصيل والمحاسبة ، والتوفى والشفقة ، والذين يتكلمون في صلاح ذات البين ، وفي إطفاء نائرة ، أو في حمالة <sup>(٣)</sup> ، أو على منبر جماعة ، أو في عقد إملالك بين مسلم ومسلمة - فكيف يكون هؤلاء يدعوا إلى السلاطه والمراء ،
- ١٥

(١) ل ، ب : « مجلدة » بالحيم ، وأثبت ما في هـ ، جـ والتيمورية .

(٢) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير الأنصارى الخزرجى ، أحد الصحابة المبشرين بالجنة ، وقد نفذ أبو بكر وصية له بعد موته أوصى بها رجلا رآه في نومه . الإصابة ٩٠٠ وتذهيب التهذيب ، وصفة الصفوة ( ١ : ٢٥٧ ) .

(٣) النائرة ، بالنون : العداوة والشحناء والفتنة . ل : « نائرة » تحريف . والحمالة كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وإلى التَهَنُّر والبَدَاء ، وإلى التَفْجِج والرَّيَاء . ولو كان هذا كما يقولون لكان على بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس أكثر الناس فيما ذكرتم . فلمْ خطبْ صمصمة ابن صُوحان عند علي بن أبي طالب ، وقد كان ينبغي للحسن البصري أن يكون أحق التابعين بما ذكرتم ؟

قال الأصمعي : قيل لسعيد بن المسيب <sup>(١)</sup> : هاهنا قوم نُسَّاكٌ يَعْبِيون إنشاد الشعر . قال : « نُسَكُوا نُسْكَاً أعجمياً » .

وقد زَعَمَ أن رسول الله ﷺ قال : « شُعْبَتَانِ مِنْ شُعْبِ التَّفَاقِ : الْبَدَاءُ وَالْبَيَان . وَشُعْبَتَانِ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ : الْحَيَاءُ ، وَالْعِيَّ » . ونحن نعوذُ بالله أن يكون القرآن يَحُثُّ على البيان ورسول الله ﷺ يُحَثُّ على العِيَّ ، ونعوذُ بالله أن يجمع رسول الله ﷺ بين البداء والبيان . وإنما وَقَعَ التَّهْنِئُ على كلِّ شيءٍ جَاوَزَ المقْدار ، ووقع اسم العِيَّ على كلِّ شيءٍ قَصُرَ عن المقْدار . فالعِيَّ مذمومٌ والخطْلُ مذمومٌ ، ودينُ الله تبارك وتعالى بين المقْصَرِّ والغَالِي .

وهاهنا روايات كثيرةٌ مدخولة ، [ وأحاديث معلولة <sup>(٢)</sup> ] . رَوَوْا أن رجلاً مدَحَ الحياءَ عند الأحنف ، [ وأن الأحنف ] قال ثُمَّ <sup>(٣)</sup> : يعوذُ ذلك ضَعْفًا . والخير لا يكون سبباً للشر . ولكننا نقول : إنَّ الحياءَ اسمٌ لمقدارٍ من المقادير [ ما زاد على ذلك المقْدار فسَمُّه ما أَحْيَيْت . وكذلك الجود اسمٌ لمقدارٍ من المقادير <sup>(٤)</sup> ] ، فالسَّرْفُ اسمٌ لما فَضَلَ عن ذلك المقْدار . وللحِزْمِ مقدارٌ ، فالجَيْنُ اسمٌ لما فَضَلَ عن ذلك المقْدار . وللإِخْصَادِ مقدارٌ ، فَالْبُخْلُ اسمٌ لما خَرَجَ <sup>(٥)</sup> عن ذلك المقْدار . ١٢٥

(١) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي الخزرجي ، وكان من أئمة التابعين ، وكان يسمى رابوة عمر ،

٢٠ وكان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته ، كما كان من أعمر الناس للزُّهْد . ولد لستين مضتاً من خلافة عمر ، وتوفي سنة ٩٤ . تهذيب التهذيب ، وصفه الصغرة ( ٢ : ٣٤ ) ، والمعارف ١٩٣ . والمسيب ، بكسر الياء وتشديد كافٍ القاموس .

(٢) هذه مما عدا ل . (٣) فيما عدا ل : هـ م .

(٤) هذه مما عدا ل . (٥) ل فقط : هـ لا غفل .

وللشجاعة مقدار ، فالتهور والخدب اسم لما جاوز ذلك المقدار .

- وهذه أحاديث ليست لعانتها أسانيد متصلة ، فإن وجَدَناها متصلة لم نجدها عمودة ، وأكثرها جاءت مطلقة ليس لها حامل محمود ولا مذموم . فإذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحُسْن . فإن أردت أن تتكلف هذه الصناعة ، وتُنسَبَ إلى هذا الأدب ، فقرضت قصيدة ،  
 أو حَبِرت خطبة ، أو ألَفْتَ رسالة ، فأياك أن تدعوك ثقتك بنفسك ، أو يدعوك عُجْبُكَ بشرة عقلك إلى أن تتحلَّه وتدعيه ؛ ولكن اعرضه على العلماء في غرض رسائل أو أشعار أو خطب ؛ فإن رأيَ الأسماع تُصغِي له ، والعيون تُحْدِج إليه ، ورأيَ مَنْ يطلبه ويستحسنه ، فانتحلّه . فإن كان ذلك في ابتداء أمرك ، وفي أوّل تكليفك فلم تر له طالباً ولا مستحسناً ، فلعَلَّه أن يكون ما دام رُضاً قضياً<sup>(١)</sup> ، أن يحلَّ عندهم محلّ المتروك . فإذا عاودت أمثال ذلك مراراً ، فوجدت الأسماع عنه منصرفة ، والقلوب لاهية ، فخذ في غير هذه الصناعة ، واجعل رائدك الذي لا يكذبك حرصهم عليه ، أو زهدهم فيه .
- وقال الشاعر<sup>(٢)</sup> :

١٥      إِنَّ الْحَدِيثَ تَغْرِ الْقَوْمَ خَلُوتُهُ      حَتَّى يَلْجَ بِهِمْ عَيْ وَكَثَارُ<sup>(٣)</sup>

وفي المثل المضروب : « كلُّ مُنْجَرٍ في الخلاءِ مُسَرٌّ<sup>(٤)</sup> » ، ولم يقولوا مسرور . وكلُّ صواب .

(١) الرض : الذي اجتمع في راضته . والقضيب : الذي لم يهر في الرضاة . وأصل هذين اللفظين للحيوان الذي يراض ، كالناقة والفرس . وبعد هذه الكلمة في ب ، ح : « تنفيسا » وفي التيمورية : « تنفيسا » !

(٢) هو ابن هرة كما في الحيوان ( ٢ : ٢٠٧ ) ورسائل الجاحظ ١٧١ ساسي . وانظر الحيوان ( ١ : ٨٨ ) ، وأدب الكتاب للصولي ١٥٧ وأمثال الميداني ( ٢ : ٧٣ ) .

(٣) ب والتيمورية : « حتى يلج » بالخاء .

(٤) في الحيوان ( ١ : ٨٨ / ٢٠٧ : ٤ ) والميداني ( ٢ : ٧٣ ) والقال ( ٢ : ٨٩ ) :

« يسر . وأصله أن الرجل يجري فرسه في المكان الخالي لا مسابق له فيه ، فهو مسرور =

فلا تثق في كلامك برأى نفسك ؛ فإني ربما رأيت الرجل متماسكاً  
وفوق التماسك ، حتى إذا صار إلى رأيه في شعره ، وفي كلامه ، وفي ابنه ،  
رأيتُه مُتَهافتاً وفوق المتهافت .

وكان زهير بن أبي سلمى ، وهو أحد الثلاثة المتقدمين ، يسمى كبار  
قصائده : « الحوليات » .

وقال نوح بن جبر : قال الخطيئة : « خير الشعر الحولى المنقح » .  
قال : وقال البيث الشاعر <sup>(١)</sup> ، وكان أخطب الناس : « إني والله  
ما أرسيل الكلام قضيّاً خشياً <sup>(٢)</sup> ، وما أريد أن أخطب يوم الحفل إلا  
بالبائت المحكك » . وكنت أظن أن قولهم « محكك » كلمة مؤلدة ، حتى  
سمعت قول الصعب بن عليّ الكِنَاني :

١٢٦

أبلغ فزارة أن الذئب آكلها وجائع سغب شر من الذئب  
أزل أطلس ذو نفس محككة قد كان طار زماناً في اليعاسيب <sup>(٣)</sup>  
وتكلم يزيد بن أبان الرقاشي <sup>(٤)</sup> ، ثم تكلم الحسن ، وأعرابيّان حاضران

= بما يرى من فرسه . يضرب مثلاً للرجل تكون فيه الخلطة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما في الناس  
من الفضائل . و « سر » اسم مفعول من « أسو » أى أفرجه ، وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهمه  
القاتل ، كما أنشد للأعر في عكسه :

وبلد يفضى على النعوت يفضى كإغضاء الروى المنيوت  
أراد « الميت » . فحوم « ثبه » . انظر اللسان ( سر ) .

(١) البيث لقب له . واسمه خفاف بن بشر ، من بني مجاشع ، وأمه أصهبانية يقال لها « مرده » .  
وسمى البيث بقوله :

تبعث منى ما تبعث بعد ما اسر خمر فزادى واستمر عزمي  
وكان أخطب نعيم ، وكان عياجى جبراً . الشعراء لابن قتيبة والمتولف ٥٦ .

(٢) الخشب : الذى لم يحكم ولم يجيد ، من السيف الخشب الذى لم يصقل .

(٣) الأزل : السريع ، والخفيف الوريكين . والأطلس : ما لونه الطلسة ، وهى غيرة إلى سواد .  
والمسبوب : أمير النحل . يقول : هو في سرعته مثله .

(٤) هو أبو عمرو : يزيد بن أبان الرقاشى البصرى القاسم الزاهد الواعظ البكاء ، روى =

فقال أحدهما لصاحبه : كيف رأيت الرجلين ؟ فقال : أما الأول فقص<sup>١</sup>  
مُجيدٌ ، وأما الآخر فعزى<sup>٢</sup> مُحَكَّكٌ .

قال : ونظر أعزى<sup>٣</sup> إلى الحسن ، فقال له رجل : كيف تراه ؟ قال : أرى  
خَيْشُومَ خُرٍ .

- قالوا : وأرادوا عبد الله بن وهب الراسي<sup>(١)</sup> على الكلام يوم عقدت له  
الخوارجُ الرئاسة فقال : « وما أنا والرأي الفطير<sup>(٢)</sup> » ، والكلامُ القضيب<sup>(٣)</sup> !  
ولمَّا فرغوا من البيعة له قال : « دُعُوا الرَّأْيَ يَنْبُ » ؛ فَإِنْ غُبُوهُ يَكْشِفُ لَكُمْ  
عَنْ مَخْضِيهِ<sup>(٤)</sup> .

وقيل لابن التوالم الرقاشي<sup>(٥)</sup> : تكلّم . فقال : « ما أشتى الخُبِرَ  
إلا بآئناً<sup>(٦)</sup> » .

١٠

قال : وقال عُبيد الله بن سالم<sup>(٧)</sup> لِرُؤْيَا : مُتْ يا أبا الجحاف إذا شئت .  
قال : وكيف ذاك ؟ قال رأيتُ اليوم عَقَبَةَ بن رُؤْيَا ينشد شعراً له أعجبني . قال :  
فقال رُؤْيَا : نعم [ إِنَّهُ لَيَقُولُ<sup>(٨)</sup> ] ولكن ليس لشعره قِرَانٌ . وقال الشاعر :  
مِهَادِبَةٌ مَنَاجِبَةٌ قِرَانٌ مَنَادِبَةٌ كَأَنَّهُمْ الْأَسْوَدُ

١٥ = عن أبيه وأبى بن مالك والحسن البصري ، وروى عنه ابن أخيه الفضل بن عيسى بن أبيان وقادة والأعمش .  
تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ( ٣ : ٢١٠ : ٢٥٠ ) وحين الأخبار ( ٣ : ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ) .  
(١) عبد الله بن وهب الراسي : نسبة إلى واسم بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد ، وكان  
قد خرج على عليّ في أربعة آلاف . بابه الخولج لمشر خلون من شوال سنة ٣٧ وقتل يوم النهروان سنة  
٣٨ . انظر الطبري ( ٦ : ٤٢ ) والثئيب والإشراف ٢٥٦ وجمهرة ابن حزم ٣٨٦ .

(٢) الفطير : كل ما أعجل عن إدراكه وإنضاجه . ل : « القصير » تحريف .  
٢٠ (٣) ابن التوالم الرقاشي أحد البخلاء ، وقد أثبت له الجاحظ في البخلاء رسالة طويلة . انظر ١٤١  
- ١٦٣ . وروى ابن قتيبة له أخباراً في حين الأخبار ( ١ : ٢٩٩ ، ٣١٣ / ٣ : ١٧٠ ) .  
(٤) سبقت كنيته في ص ٦٨ : « أبو نوقل » . فيما عدل ، هـ : « عبد الله بن سالم » .  
(٥) هذه مما عدل . وقد سبق الخبر في ص ٦٨ .

يريد بقوله « قِرَانٌ » التشابُه والموَاقَعة .

وقال عُمَرُ بن لُجْأَ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك ! قال : وبِمِ ذاك (١) ؟  
قال : لأَنِّي أَقُولُ الْبَيْتَ وَأَخَاهُ ، وَأَنْتَ تَقُولُ الْبَيْتَ وَابْنَ عَمِّهِ .

قال : وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ شِعْرَ التَّابِعةِ الْجَعْدِيِّ ، فَقَالَ : « مُطَرَفٌ بِآلَافٍ ،  
وَخِمَارٌ بِوَافٍ » (٢) . وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يُفَضِّلُهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ . وَكَانَ يَقُولُ :  
« الْحَطِيطَةُ عَبْدٌ لِشِعْرِهِ » . عَابَ شِعْرَهُ حِينَ وَجَدَهُ كُلَّهُ مَتَخَيَّرًا مَتَحَبِّيًا مُسْتَوِيًا ،  
لَمَّا كَانَ الصَّنْعَةُ وَالتَّكْلُفُ ، وَالْقِيَامُ عَلَيْهِ .

وَقَالُوا : لَوْ أَنَّ شِعْرَ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْقُلُوسِ (٣) ، وَسَابِقِ الْبَهْرِيِّ (٤)  
كَانَ مَفْرَقًا فِي أَشْعَارِ كَثِيرَةٍ ، لَصَارَتْ تِلْكَ الْأَشْعَارُ أَرْفَعَ مِمَّا هِيَ عَلَيْهِ  
بِطَبَقَاتٍ وَلِصَارَ شِعْرُهُمَا نَوَادِرَ سَائِرَةٍ فِي الْآفَاقِ . وَلَكِنَّ الْقَصِيدَةَ إِذَا كَانَتْ  
كُلُّهَا أَمْثَالًا لَمْ تُسَيَّرْ ، وَلَمْ تُجَرَّ مَجْرَى النَّوَادِرِ . وَمَتَى لَمْ يَخْرُجِ السَّمَاعُ مِنْ شَيْءٍ  
إِلَى شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لِلذَّكَاءِ عِنْدَهُ مَوْقِعٌ .

قال : وقال بعضُ الشعراءَ لِرَجُلٍ (٥) : أَنَا أَقُولُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ قَصِيدَةً ، ١٢٧

(١) ل : « ولم ذلك » .

(٢) المطرف يضم الميم وكسرهما : واحد المطرف ، وهي أودية من غزير مربع لها أعلام . والوافي : الدرهم الذي يزن مثقالا . ١٥

(٣) هو صالح بن عبد القلوس بن عبد الله بن عبد القلوس ، كان شاعراً حكيماً من المتكلمين ، ومن الرعاعط بالبصرة ، اتهم عند المهدي بالزندقة فقتله ببغداد ، ضربه يده بالسيف فجعله نصفين . وكان أضرَّ آخر عمره . نكت الحميان ١٧١ وفوات الوفيات ( ١ : ٢٤٥ ) وتاريخ بغداد ٤٨٤٤ ولسان الميزان .

(٤) هو أبو سعيد سابق بن عبد الله البهري : له أشعار حسنة في الزهد ، وهو من موالى بني أمية ، سكن الرقة ووفد على عمر بن عبد العزيز . والبهري نسبة إلى بلاد في المغرب ، قيل إنما هو لقب له . خزنة الأدب ( ٤ : ١٦٤ ) ل : « البهلي » ، وفيما عدل : « البهري » صوابهما ما أثبت . ٢٠

(٥) ل : « لبعض » .

وَأَنْتَ تَقْرِضُهَا فِي كُلِّ شَهْرٍ . [ فلم ذلك <sup>(١)</sup> ] ؟ قال : لأَنِّي لَا أَقْبِلُ مِنْ شَيْطَانِي مِثْلَ الَّذِي تَقْبِلُ مِنْ شَيْطَانِكَ .

قال : وَأَنْشُدْ عُبَيْدَ بْنَ رُوَيْةٍ [ أَبَاهُ رُوَيْةٌ <sup>(٢)</sup> ] بِنَ الْعَجَّاجِ شِعْرًا وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَرَاهُ ؟ قال : يَا بَنِيَّ إِنَّ أَبَاكَ لَيَعْرِضُ لَهُ مِثْلُ هَذَا يَمِينًا وَشِمَالًا فَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ .

وقد رَوَوْا مِثْلَ ذَلِكَ فِي زَهِيرٍ وَابْنِهِ كَعْبٍ .

قال : وَقِيلَ لَعُقَيْلِ بْنِ عُقْلَةَ : لِمَ لَا تُطِيلُ الْمَجَاءَ ؟ قال : « يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْمُنْقِ <sup>(٣)</sup> » .

وقيل لأَبِي الْمَهْشُوشِ <sup>(٤)</sup> : لِمَ لَا تُطِيلُ الْمَجَاءَ ؟ قال : لَمْ أَجِدِ الْمِثْلَ النَّادِرَ إِلَّا بَيْتًا وَاحِدًا ، وَلَمْ أَجِدِ الشَّعْرَ السَّائِرَ إِلَّا بَيْتًا وَاحِدًا .

قال : وَقَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِنُصَيْبِ الشَّاعِرِ : وَيَحْكُ يَا أَبَا الْحَجْنَاءِ ، أَمَا تُحَسِّنُ الْمَجَاءَ ؟ قال : أَمَا تَرَانِي أَحْسِنُ مَكَانَ عَافَاكَ اللَّهُ : لَا عَافَاكَ اللَّهُ !

وَلَا مَوَ الْكَمِيَّتِ بْنِ زَيْدٍ عَلَى الْإِطَالَةِ ، فَقَالَ : « أَنَا عَلَى الْقِصَارِ أَقْدَرُ » .

وقيل للعجَّاج : مَالِكُ لَا تُحَسِّنُ الْمَجَاءَ ؟ قال : هَلْ فِي الْأَرْضِ صَانِعٌ

إِلَّا وَهُوَ عَلَى الْإِسْفَادِ أَقْدَرُ .

١٥

وَقَالَ رُوَيْةٌ : « الْهَلْمُ أَسْرَعُ مِنَ الْبِنَاءِ » .

وَهَذِهِ الْحَجَجُ الَّتِي ذَكَرُوهَا عَنْ نُصَيْبٍ وَالْكَمِيَّتِ وَالْعَجَّاجِ وَرُوَيْةٍ ، إِنَّمَا

ذَكَرُوهَا عَلَى وَجْهِ الْاِحْتِجَاجِ لَهُمْ . وَهَذَا مِنْهُمْ جَهْلٌ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) انظر الحيران ( ٩٩ : ٣ ) وأمثال الميداني ( ١٧٩ : ١ ) ونهاية الأرب ( ٢٧ : ٣ )

(٣) أبو المهوش الأمدى : هو حوط بن وثاب ، أو ربيعة بن وثاب ، من المخضرمين الذين أدرَكوا

التي ولم يروه . انظر الإصابة ٢٠١٥ والشراء ٢٢ والخزانة ( ٨٦ : ٣ ) ( ١٤٢ ) والبغلاء للجاحظ :

« لأبي الهوش » ، صوابه بالشين .

صادقة . وقد يكون الرجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام ؛  
وتكون له طبيعة في التجارة <sup>(١)</sup> وليست له طبيعة في الفلاحة ؛ وتكون له طبيعة  
في الحذاء أو في التعبير <sup>(٢)</sup> ، أو في القراءة بالألحان ، وليست له طبيعة في  
الغناء وإن كانت هذه الأنواع كلها ترجع إلى تأليف اللحن . وتكون له  
طبيعة في التآي وليس له طبيعة في السرنائى <sup>(٣)</sup> ؛ وتكون له طبيعة في قصبة  
الرأعى ولا تكون له طبيعة في القصبتين المضمومتين ؛ ويكون له طبع في  
صناعة اللحن ولا يكون له طبع في غيرها ؛ ويكون له طبع في تأليف الرسائل  
والخطب والأسجاع ولا يكون له طبع في قرض بيت شعر . ومثل هذا كثير جداً .

وكان عبد الحميد الأكبر <sup>(٤)</sup> ، وابن المقفع ، مع بلاغة أقلامهما  
والستهما ، لا يستطيعان من الشعر إلا ما لا يذكر مثله . ١٠

وقيل لابن المقفع في ذلك ، فقال : « الذى أرضاه لا يجتنى ، والذى  
يجتنى لا أرضاه » <sup>(٥)</sup> .

وهذا الفرزدق وكان مستهزأاً بالنساء <sup>(٦)</sup> ، وكان زهير غوان ، وهو في ذلك ١٢٨

(١) في نسخة : « التجارة » بالتون ، كما في حواشى هـ .

(٢) قال الأرمي : « وقد سموا ما يطرون فيه من الشعر في ذكر الله تعبيراً ، كأنهم إذا تناشدوها  
بالألحان طربوا فقصوا وأرهبوا ، فسموا مغوة » . ل : « التعبير » ، وفيما عدل : « التعبير » ، صوابهما  
ما أثبت . ١٥

(٣) السرنائى ، بضم السين : كلمة فارسية ، معناها البوق الذى ينفخ فيه ووتر . استنبجاس ٦٧٨ .

(٤) هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، الذى قيل فيه : « فتحت الرسائل بعبد الحميد ،  
وحجتم بابن العميد » ، وهو من أهل الشام ، وكان في أول أمره معلماً صبية ينتقل في البلدان ، وكان  
كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، وقتل معه في ملجئة بوسير المصرية سنة ١٣٢ . وفيات  
الأعيان ، وشرح العمون ( ١ : ٢٥٦ ) . ٢٠

(٥) فيما عدل ، هـ : « يجتنى » في الموضعين .

(٦) ما عدل هـ : « مستهزأ » ، وكلاهما متجه .



ليس له بيتٌ واحدٌ في التسيب المذكور . مع حسده لجري . وجريءٌ عفيفٌ  
لم يعشق امرأةً قط ، وهو مع ذلك أغزلُ الناسِ شعراً .

وفي الشعراء من لا يستطيع مجاوزة القصيد إلى الرجز ، ومنهم من  
لا يستطيع مجاوزة الرجز إلى القصيد ، ومنهم من يجمعهما كجبر وعمر بن لجأ ، وأبى  
النجم ، وحميد الأرقط ، والعماني . وليس الفرزدق في طولِله بأشعر منه في قصاره .  
وفي الشعراء من يخطب وفيهم من لا يستطيع الخطابة ، وكذلك حال  
الخطباء في قريض الشعر . والشاعر نفسه قد تختلف حالته .

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعرُ الناسِ ورُبما مرّت على ساعةٍ  
ونزغُ ضربي أهونُ عليّ من أن أقول بيتاً واحداً .

وقال العجاج : لقد قلت أرجوزتي التي أولها :

بكيتُ والمُحتَرَنُ البكيُّ وإنما يأتي الصبأ الصبيُّ

أطرباً وأنت قنصريُّ (١) والدهرُ بالإنسان دَواريُّ (٢)

وأنا بالرمْل ، في ليلةٍ واحدة (٣) ، فانتألتُ على قوافيها انشياً ، وإنّي لأريد اليوم  
دونها في الأيام الكثيرة ، فما أقدر عليه .

وقال لي أبو يعقوب الحُرَيْمِيُّ : خرجتُ من منزلي أريد الشَّماسِيَّةَ (٤) ،

فابتدأت القول في مرثية لأبي التُّخْتَاخ ، فرجعت والله وما أمكنتني بيتٌ واحد .

وقال الشاعر :

وقد يقرض الشعرَ البكيُّ لسائِه وتُعنى القوافي المرء وهو حَطيْبُ

(١) القنصري : الكبير المسن . وقيل : لم يسمع هذا إلا في بيت العجاج . وفي حواشي هـ عن

ابن دويد : « تنصر الإنسان : شاخ وتقبض . وأنشد . وأنشد أيضاً :

• ونسرتُه أمور فافقأن لها •

(٢) دَواري : يدور بالناس أحوالاً . انظر ديوان العجاج ٦٦ .

(٣) هـ : « وأنا بالرمْل » فقط .

(٤) الشَّماسية : موضع في أعلى بغداد مجاور لدار الريح .

## باب

من القول في المعاني الظاهرة باللفظ الموجز <sup>(١)</sup> ،

من منقطعات كلام الناس <sup>(٢)</sup>

قال بعض الناس : « من التوقى ترك الإفراط في التوقى » .  
 وقال بعضهم : « إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون <sup>(٣)</sup> » .  
 وقال الشاعر :

قدّر الله وادّر حين يُقضى وروده  
 فأرد ما يكون إن لم يكن ماترئيه <sup>(٤)</sup>

وقيل لأعرابي في شكائته : كيف نعلّك ؟ قال : « أجدني أجدا مالا  
 ١٠ أشتى وأشتى ما لا أجد ، وأنا في زمان من جاد لم يجد ، ومن وجد لم يجد <sup>(٥)</sup> » .  
 وقيل لابن المقفع : ألا تقول الشعر ؟ قال : الذي يجيئني لا أرضاه ، ١٢٩  
 والذي أرضاه لا يجيئني <sup>(٦)</sup> .

وقال بعض النساك : « أنا لما لا أرجو أرجى مني لما أرجو » .  
 وقال بعضهم : « أعجب من العجب ، ترك التعجب من العجب » .

١٥ (١) فيما عدل : « في القوافي الظاهرة واللفظ الموجز » تحريف .

(٢) ما عدل ، هـ : « كلام النساك » تحريف .

(٣) هذه الكلمة لأيوب بن أبي غيمية السخيتي الذي سبقت ترجمته في ص ١٩٢ . انظر صفة  
 الصفوة ( ٣ : ٢١٤ ) والحويان ( ٦ : ٨ ) .

(٤) هذان البيتان لم يرويا في ل .

٢٠ (٥) الخبر في الحويان ( ٣ : ١٣٢ / ٦ : ٥٠٣ ) . وقد نسب في حيون الأخبار ( ٣ : ٤٩ )

إلى أبي الدقش . وما بعد كلمة « ما لا أجد » هو ما عدل .

(٦) هذا الخبر من ل ، هـ فقط . ورواية هـ : « الذي أرضاه » . وقد سبق قريبا في ص ٢٠٨ .

قال عمر بن عبد العزيز لعبد بنى مخزوم : « إني أخاف الله فيما تقلدت » .

قال : لست أخاف عليك أن تخاف ، وإنما أخاف عليك ألا تخاف .

وقال الأحنف لمعاوية : أخافك إن صدقتك ، وأخاف الله إن كذبتك .

وقال رجل من التَّسَّاك لصاحب له وهو يَكِيدُ بِنَفْسِهِ <sup>(١)</sup> : أما ذنوبي

فإني أرجو لها مغفرة الله ، ولكنتُ أخافُ على بناتي الضَّيِّعة . فقال له صاحبه :  
فالذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارَّجْه لحفظ بناتك <sup>(٢)</sup> .

وقال رجل من التَّسَّاك لصاحب له : ما لي أراك حزينا ؟ قال : كان

عندى يَتِيمٌ أَرَبِيهِ لأَجْرٍ فيه ، فمات وانقطع عنا أَجْرُهُ ، إذ يَطَّلُ قِيَامُنَا بِمُوتِهِ .

فقال له صاحبه : فاجتَلِبْ يَتِيمًا آخر يَفُومُ لك مَقَامَ الأوَّل . قال : أخاف

ألا أصيبَ يَتِيمًا في سوء خُلُقِهِ ! قال له صاحبه : أما أنا فلو كنت في  
موضعك منه لما ذكرت سوء خُلُقِهِ .

وقال آخر ، وسمعه أبو هريرة النحوي وهو يقول : ما يَنْغُنِي من تعلُّمِ

القرآن إلا أني أخاف أن أضَيِّعَهُ . قال : أما أنت فقد عَجَلْتَ له التَّضْيِيعَ ،

ولعلك إذا تعلَّمْتَهُ لم تَضَيِّعَهُ .

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل : مَنْ سَيِّدُ قومك ؟ قال : أنا . قال : ١٥

لو كنت كذلك لم تَقُلْهُ <sup>(٣)</sup> !

\*\*\*

❦

(١) يَكِيدُ بنفسه : يجود بها عند التزع في حال الموت .

(٢) ب : « تحفظ بناتك » ، ح : « يحفظ » . وأثبت ما في ل ، هـ و التيمورية .

(٣) فيما عدل : « لم تقل » .

## باب آخر

وقالوا في حُسن البيان ، وفي التخلص من الحُصْن بالحق والباطل ، وفي  
تخليص الحق من الباطل ، وفي الإقرار بالحق ، وفي ترك الفخر بالباطل .  
قال أعرابي وذكر حِماس بن ثامل فقال <sup>(١)</sup> :

برئت إلى الرحمن من كلِّ صاحبٍ      أصابجه إلا حِماسَ بنِ ثاملٍ  
وظننتُ به بين السَّماطينَ أنَّه      سَينجو بحقي أو سينجو بباطلي  
وقال المُجير السُّلُوي <sup>(٢)</sup> :

وإنَّ ابنَ زَيْدٍ لابنُ عُمى وإنَّه      لَبَلالٌ أَيْدَى جِلَّةِ الشُّولِ بالثَّمِ  
طَلوعُ الثَّامِيا بالمطايِا وإنَّه      غداةُ المُرادى لِلخطيبِ المُقَدِّمِ <sup>(٣)</sup>  
يسرُّكَ مظلوماً ويرضيك ظالماً      ويكفيك ما حُمَلته حين تُعَرِّمُ <sup>(٤)</sup>  
١٠.

الشُّول : جمع شائلة ، وهي الناقة التي قد جفَّ لبنُها . وإذا شالت بذنبها  
بعد اللِّقاح فهي شائلٌ ، وجمعها شُول . المُرادى : المُصاهم والمُفَارِع ؛ يقال  
رَدَيْتُ الحَجَرَ بِصَخْرَةٍ [ أو بِمَعْوَلٍ <sup>(٥)</sup> ] ، إذا ضَرَبْتَهُ [ بها <sup>(٥)</sup> ] لتَكْسِرَهُ .  
والْمِرْدَاة : الصخرة التي يَكْسُرُ بها الحجارة . وقال ابن رُبَيْع الهَذَلِي <sup>(٦)</sup> :

(١) هذه الكلمة ساقطة مما عدل . وحماس بن ثامل ، أحد شعراء الحماسة ، أنشد له أبو نِعمان :

ومستح في لُح ليل دعوته      بمشوية في رأس صمد مقابيل  
وقلت له : أَهْلُ فَإِنَّكَ راشد      وإن على النار التدى وابن ثامل

(٢) سبقت ترجمته في ١٧٣ .

(٣) بيل أَيْدِيَا بالدم ، أى ينحرها أو يهرقها . والجلَّة : المسان من الإبل ، جمع جليل كصبي وصبية .

(٤) الثاميا : جمع ثنية ، وهي العقب في الجبل .

(٥) هذه مما عدل . والتفسير في هـ متخالف لهذه الأبيات الثلاثة .

(٦) هو عبد مناف بن ربیع الفضل الجری . وربیع ، بكسر الراء . والجری نسبة إلى =

أَعَيْنَ أَلَا فَابِكِي رُقِيَّةَ إِنَّهُ وَصُولٌ لَأَرْحَامٍ وَمِعْطَاءُ سَائِلٍ <sup>(١)</sup>  
 فَأَقْسِمُ لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَحَمِيَّتُهُ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَتْرَكْ مَقَالاً لِقَائِلٍ  
 وَقَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ ، وَهُوَ الرِّبِيعُ بْنُ أَبِي الْحَقِّيقِ <sup>(٢)</sup> مِنْ بَنِي النَّضِيرِ <sup>(٣)</sup> :  
 سَائِلٌ بَنَا خَابِرَ أَكْثَانَا وَالْعِلْمُ قَدْ يُلْقَى لَدَى السَّائِلِ <sup>(٤)</sup>  
 إِنَّا إِذَا مَأَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ •  
 وَاعْتَلَجَ النَّاسُ بِالْبَاهِمِ نَقَضَى بِحُكْمٍ عَادِلٍ فَاصِلِ <sup>(٥)</sup>  
 لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا نُلْطُ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ <sup>(٦)</sup>  
 نَكْرَهُ أَنْ تُسَنَّفَ أَحْلَامُنَا فَتَحْمِلَ الثَّعْرَ مَعَ الْحَامِلِ  
 وَقَالَ آخَرُ وَذَكَرَ جِمَاساً أَيْضاً :

- ١٠ = جريب كقرش ، وهو بطن من هذيل . وعبد مناف شاعر جاهلي . انظر الخزانة ( ٣ : ١٧٤ )  
 وأما قصيدته التي منها البيتان فهي في بقية أشعر المهلهلين ٧ ونسخة الشنقيطي من المهلهلين ٥٢ . وهو  
 يروى بالقصيدة « دية السلمي » . ودية بضم الدال وفتح الباء وتشديد الياء .  
 (١) ل : « أعين » . وفي ديوان المهلهلين : « فنيي أَلَا فَابِكِي دية » .  
 (٢) ذكر أبو الفرج في الأغاني ( ٢١ : ٦١ ) أنه كان أحد الرؤساء في يوم بعثت وكان يوم  
 بعثت آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام .  
 ١٥ (٣) وكنا ذكر ابن سلام في طبقاته ١١٠ . وزعم أبو الفرج أنه من بني قريظة . وجاء فيما عدا  
 ل ثلاثة : « وبث رسول الله ﷺ إلى خير قتلوه » . وفي هذه العبارة خطأ وتحريف ، فإن الذي في  
 كتب السير أن الذي قتل بخير هو سلام بن أبي الحقيق ، وذلك أن الأوس بعد قتلهم لكعب بن  
 الأشرف ، استأذنوا الرسول في قتل سلام بن أبي الحقيق ، فأذن لهم فخرجوا ، وأمرهم عبد الله بن  
 عتيك ، إلى خير قتلوه سلاماً . وفي ذلك يقول حسان :  
 ٢٠ لله در عصاة لاقيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف  
 انظر السيرة ٧١٣ - ٧١٦ جوتجن ، وديوان حسان ٢٧٢ - ٢٧٣ .  
 (٤) الخابر : الذي يخبر ويخبر . والأكباء : جمع كمي ، وهو الشجاع الجري . قال :  
 تركت ابتيكت للمغوية ، وألقنا شلوع والأكباء تشق بالدم  
 وفي الأصول : « أكفأنا » صوليه من ابن سلام ١١٠ حيث أنشد الأبيات . و « يلقي » بالفتح ، كما في ل  
 وابن سلام . وفي سائر النسخ « يلقي » ، سيان .  
 (٥) فيما عدا ل : « واصطرع » . وفي الطبقات : « نرضى بحكم العادل القاضل » .  
 (٦) لظ به وألظ : لثمه .

أَتَانِي جَاسِرٌ بَابِي مَاءٍ يَسُوقُهُ      لِيُبَيِّغَهُ خَيْرًا وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ <sup>(١)</sup>  
لِيُعْطِي عَيْسًا مَائِنًا ، وَصَلَوْنَا      مِنْ الْقَيْظِ تُغِيلُ مِثْلَ غَلِي الْمَرَاجِلِ  
وَقَافِيَةٌ قِيلَتْ لَكُمْ لَمْ أَجِدْ لَهَا      جَوَابًا إِذَا لَمْ تُضَرِّبُوا بِالْمَنَاصِلِ  
فَأَنْطَقَ فِي حَقِّ يَحْقَوِّ وَلَمْ يَكُنْ      لِيُرْحَضَ عَنْكُمْ قَالَةَ الْحَقُّ بَاطِلٌ <sup>(٢)</sup> ١٣١

ليرحض ، أى يغسل . والراحض : الغاسل . والمرحاض : الموضع الذى يُغسل فيه . وقال عمرو بن معد يكرب :

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ      نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَتْ <sup>(٣)</sup>  
الجرار <sup>(٤)</sup> : عودٌ يُعرضُ في فم الفصيل ، أو يُشَقُّ به لسانه ، لئلا يرضع .  
فيقول : قومي لم يَطْعَنُوا بِالرِّمَاحِ فَأَنْتِي عَلَيْهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ قَرُّوا فَأَسْكَتْ <sup>(٥)</sup>  
كالمَجَرِّ الذى في فمه الجرار <sup>(٦)</sup> . ١٠

وقال أبو عبيدة : صاح رُؤْبَةٌ في بعض الحروب التى كانت بين تميم والأزد : يامعشر بنى تميم ، أطلقوا من لسانى <sup>(٧)</sup>

قال : وأبصر رجلاً منهم قد طعن فارساً طعنةً ، فصاح : « لا عِيًّا

(١) ابن ماله ، هنا ما أثبت في هامش ل ، ولهذا العلم اشتقاق في اللغة من قولهم : رجل مابى القلب ،

أى جبان كأن قلبه في ماء . وفى هو صلب ل : « بابين مابى » . وفيما عدل ل : « بابين مابى » . ١٥

(٢) فيما عدل ل : « قالة الخرى » .

(٣) البيت من قصيدة له في الأصمعيات ١٧ - ١٨ . وأبيات منها في الحماسة ( ١ : ٤٣ ) .  
وانظر اللسان .

(٤) لم أجده هذا اللفظ في المعاجم المتداولة . والمعروف « الخلال » انظر المعاجم في مادة ( خلل )

واخصص ( ٧ : ٣٢ ) . كما أن المعروف في المصدر « الجر » و « والإجير » . ٢٠

(٥) أسكت الرجل إسكاتاً : انقطع كلامه فلم يتكلم . هـ : « فأمسكت » .

(٦) ما عدل ل ، هـ : « جرل » .

(٧) انظر قول عبد بن حمزة بن وقاص الخارثي في المفضليات ( ١ : ١٥٥ ) :

أقول وقد شغوا لساني بنسمة      أوعش تيم أطلقوا من لسانيا

ولا شللاً<sup>(١)</sup> ١ . والعرب تقول : « عى أبأس من شلل<sup>(٢)</sup> » . كأن العى فوق كل زمانة .

وقالت الجهنية<sup>(٣)</sup> :

ألا هلك الحلو الحلال الحلاج<sup>(٤)</sup> ومن عنده حلم وعلم ونائل<sup>(٥)</sup>  
وذو خطب يوماً إذا القوم أفرجوا<sup>(٦)</sup> نصيب مرادى قوله ما يحاول  
بصير بعورات الكلام إذا التقى<sup>(٧)</sup> شريخان بين القوم : حق وباطل  
أتى لما يأتى الكرم سيفه<sup>(٨)</sup> وإن أسلمته جنده والقبائل<sup>(٩)</sup>  
وليس بمعطاء الظلامة عن يد<sup>(١٠)</sup> ولا دون أعلى سورة المجد قابل<sup>(١١)</sup>  
الحلاج : السيد . شريخان : جنسان مختلفان من كل شيء<sup>(١٢)</sup> .

وأنشد أبو عبيدة في الخطيب يطول كلامه ، ويكون ذكوراً لأول<sup>(١٣)</sup>  
خطبته وللذى بتى عليه أمره ، وإن شغب شارب قطع عليه كلامه ،  
أو حدث عند ذلك حدث يحتاج فيه إلى تدبير آخر ، وصل الثانى من  
كلامه بالأول ، حتى لا يكون أحد كلاميه أجود من الآخر ، فأنشد :  
وإن أحدثوا شغباً يقطع نظمها فإنك وصال<sup>(١٤)</sup> لما قطع الشغب  
ولو كنت نساجاً سددت خصاصها بقولي كطعم الشهد مازجه العذب<sup>(١٥)</sup> (أ)

(١) في اللسان : « ويقال لمن أجاد الرى أو الطمن : لا شللا ولا عى » .

(٢) ل : « أبس من شلل » .

(٣) ب فقط : « الجهنسية » .

(٤) الحلال : الذى لا رية فيه . والحلاج : السيد الشجاع الزكى في مجلسه .

(٥) هـ عن نسخة : « والقابل » ، وهى الطوائف من الناس .

(٦) عن يد : عن قهر وذل واستسلام . وفى هامش ل : « نازل » رواية في « قابل » .

(٧) فيما عدل : « شريخان : جنسان . يقال : الناس شرجان وشريخان ، أى فرقان . ومنه حديث النبى ﷺ ، أنه لما بلغ الكديد أمر الناس بالقطر فأصبح الناس شرجين ، أى بعضهم صائماً وبعضهم مفطراً .

(٨) الحصص بالفتح : خلل الشيء . ل : « نساء » تحريف . وفيما عدل ، هـ : « سدت »

تحريف أيضاً ؛ إنما يقال سدئ الثوب بسديه ، يأتى . فيما عدل : « بالبرد العذب » وفيه الإقواء . وفى حواشى هـ : « وفى رواية البرد العذب . خ : شيب به العذب » .

وقال نُصَيْبٌ :

وما اجتذلتُ اجتذالَ التوبِ ودُكُم  
وعائدتُ خَلَقاً ما كان يُتَنَدَّلُ  
وعِلْمُكَ الشَّيْءَ تَهْوَى أَنْ تَبَيَّنَهُ  
أَشْفَى لِقَلْبِكَ مِنْ أَخْبَارٍ مَنْ تَسَلُّ (١)

وقال آخر :

لعمرك ما وُدُّ اللسانِ بِنافعٍ  
إذا لم يكن أصلُ المؤدَّةِ في الصُّدْرِ

وقال آخر (٢) :

تعلَّمْ فليس المرءُ يُولدُ عالماً  
وليس أخو عِلْمٍ كَمَنْ هو جاهلُ  
وَأَنْ كَبِيرَ القومِ لا عِلْمَ عنده  
صغيرٌ إذا التَفَّتْ عليه المحافلُ (٣)

وقال آخر :

١٠ قَتَى مَثَلُ صَفْوِ المَاءِ لَيْسَ بِبَاخِلٍ      عَلَيْكَ وَلَا مُهَيِّدٌ مَلَاماً لِبَاخِلٍ  
وَلَا قَائِلٌ عَوْرَاءَ تَوَذَّى جَلِيسِهِ      وَلَا رَافِعٌ رَأْساً بِعَوْرَاءِ قَائِلٍ (٤)  
وَلَا مُسْلِمٌ مَوْلَى لِأَمْرِ يُصْبِيهِ      وَلَا خَالِطٌ حَقّاً مَصِيباً بِبَاطِلٍ  
وَلَا رَافِعٌ أَحَدَوْتَهُ السَّوْءِ مُعْجِياً      بَهَا بَيْنَ أَيْدِي المَجْلِسِ المُتَقَابِلِ  
يُرَى أَهْلُهُ فِي نَعْمَةٍ وَهُوَ شَاخِبٌ      طَوَى البَطْنِ مَخْمَاصُ الضُّحَى والأَصَابِلِ (٥)

وقالت أخت يزيد بن الطُّثَيَّة (٦) :

١٥

(١) يقال : سألت أسألاً ، وسلت أسلاً ، كما في اللسان . ل : « يسأل » .

(٢) هو رجل من قيس ، كما في لباب الأدب لأشعة بن منقذ ٢٢٨ .

(٣) بعده :

وَلَا تَرْضَ مِنْ عَيْشِ بَدُونٍ وَلَا يَكُنْ      نَصِيكَ لِثِ قَدَمَتِهِ الْأَوْتَلِ

(٤) العوراء : الكلمة التيحكة . فيما عدا ل : « تَوَذَّى رَفِيقَهُ » .

(٥) طوى البطن ، غل ورنَ فعل ، أى ضامو . وانغمص : الجائع .

٢٠

(٦) هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر . والطثوية

أُمهُ ، وَهِيَ مِنَ الطَّائِفَةِ ، بِالْفَتْحِ ، حَتَّى مِنَ الْيَمَنِ ، قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ : « الطَّائِفَةُ بِفَتْحِ الطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ

الْثَاءِ الْمُثَلَّثَةِ » وَضَبَطَهَا صَاحِبُ الْقَامُوسِ بِالتَّحْرِيكِ . وَكَانَ يَزِيدٌ جَمِيلاً وَسِيماً شَرِيفاً مُتَلَفِّحاً . تَوَفَّى سَنَةَ

١٢٦ - انظر تحقيق ذلك في حواشي الحيوان ( ٦ : ١٣٧ ) . وَاسْمُ أُخْتِ يَزِيدَ زَيْنَبٌ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ

٢٥ ( ١٣ : ٤٣ ) وَحَمَامَةُ أُمِّي تَمَامُ ( ١ : ٤١٧ ) وَابْنُ بَرَكِيَّةٍ ٤٣٣ .



أَرَى الْأَثْلَ مِنْ بَطْنِ الْعَقِيقِ مُجَاوِرِي      قَرِيباً وَقَدْ غَالَتْ يَبِيدُ غَوَائِلُهُ  
 فَتَى قَدْ قَدْ السَّيْفُ لَا مَتَضَائِلُ      وَلَا رَهْلَ كِبَاثِهِ وَيَادِلُهُ (١)  
 فَتَى لَا يُرَى خَرَقُ الْقَمِيصِ بِخَصْرِهِ      وَلَكِنَّمَا تُوْهِى الْقَمِيصَ كَوَاهِلُهُ (٢)  
 إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَدَوْرًا      عَلَى الْحَى حَتَّى تُسْتَقِلَ مَرَاجِلُهُ (٣)  
 مَضَى وَوَرِثَاهُ دَرِيَسَ مُفَاضَةٍ      وَأَبْيَضَ هَنْدِيًّا طَوِيلًا حَمَائِلُهُ (٤)  
 يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيُضْرِيكَ ظَالِمًا      وَكُلُّ الذِّى حَمَلَتْهُ فَهُوَ حَامِلُهُ  
 أَخُو الْجِدِّ إِنْ جَدَّ الرِّجَالُ وَشَمَّرُوا      وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شَعَتْ أَلْهَاكُ بَاطِلُهُ (٥)

يَصِيرُ هَذَا الشَّعْرُ وَمَا شَبَّهَ مَا وَقَعَ فِي هَذَا الْبَابِ ، إِلَى الشَّعْرِ الذِّى فِي أَوَّلِ  
 الْفَصْلِ .

\*\*\*

- 
- (١) اللَّبَّةُ وَاللِّب : المنحر . والبَادِلَةُ : اللحم بين الإبط والتدو . وفي حَمَاةِ أَيْ غَمَامَ : « وَأَبَا جِلْه » .  
 (٢) لَا يَخْرُقُ قَمِيصَهُ بِخَصْرِهِ لَضَمَرِهِ ، وَيَخْرُقُ قَمِيصَهُ بِكَاهِلِهِ لَكُتُوِّ حَمَلِهِ نَجَادِ السَّيْفِ .  
 (٣) الْعَدَوْرُ : السَّيْفُ الْخَلْقُ . تُسْتَقِلُ : تَحْمِلُ وَتَرْقِعُ . يَقُولُ : إِنَّهُ يَسُوءُ خَلْقَهُ عَلَى أَهْلِهِ عِنْدَ نَزُولِ  
 الضَّيْفِ ، حَتَّى يَطْمَعْنَ إِلَى إِمْكَانِ قَوْلِهِ . وَعِنْدَ الْبَحْرِيِّ : « حَتَّى تُسْتَقِرَّ » .  
 (٤) الْمَفَاضَةُ : الدَّرْعُ الرَّاسِمَةُ . وَالدَّرْعُ الدَّرِيَسُ : الْخَلْقُ . أَضَافَ الصِّفَةَ إِلَى الْمَوْصُوفِ .  
 (٥) انْظُرْ مَا سَأَقِي فِي ٤ : ٧٥ .

## باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل في باب الخطب

قال الشاعر :

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يَعْيُونَ مُحَاطَتِي      وما منهم في موقفٍ بخطيبٍ

وقال آخر (١) :

٥      إِنَّ الْكَلَامَ مِنَ الْفَوَادِ وَإِنَّمَا      جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا (٢)

لَا يُعْجِبُكَ مِنْ خَطِيبٍ قَوْلُهُ      حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْبَيَانِ أَصِيلًا (٣)

وَأُنْشِدَ آخِر :

أَبْرَ فَمَا يَزِدَادُ إِلَّا حِمَاقَةً      وَتَوَكَّأَ وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرًا مَخَارِجُهُ (٤)

وقد يكون رديءُ العقل جيّدَ اللسان .

وقال أبو العباس الأعمى (٥) :

١٠

إِذَا وَصَفَ الْإِسْلَامَ أَحْسَنَ وَصْفُهُ      فِيهِ ، وَيَأْنِي قَلْبُهُ وَهَاجَرُهُ (٦)

وَإِنْ قَامَ قَالَ الْحَقُّ مَا دَامَ قَائِمًا      تَقَىُّ اللِّسَانِ كَافِرٌ بَعْدَ سَائِرِهِ (٧)

وقال قيس بن عاصم المِنَقَرِيُّ (٨) يَذْكُرُ مَا فِي بَنِي مَنَقَرٍ مِنَ الْخُطَابَةِ :

(١) هو الأخطل كما نص ابن هشام في شرح شعور الذهب ٢٧ .

(٢) الرواية المعروفة : « لقي الفؤاد » . والبيتان ليسا في الديوان .

١٥

(٣) عند ابن هشام : « خطيب خطبة » . وفيما عدل : « مع اللسان » .

(٤) أبر : غلب . والتوكأ ، بالضم والفتح : الحق .

(٥) أبو العباس الأعمى ، هو السائب بن فروخ ، مولى جذيمة بن علي بن الدئل بن بكر بن

عبد مناة ، وكان من شعراء بني أمية المملودين المتقدمين في مدحهم والتشجيع لهم ، روى الحديث عن

صلى من الصحابة ، وروى عنه عطاء وعمرو بن دينار . توفي بعد ١٢٦ . الأغاني ( ١٥ : ٥٧ -

٢٠

٦١ ) ونكت الحميان ١٥٣ - ١٥٥ وتلخيص التهذيب .

(٦) جاء بعد هذا البيت فيما عدل : « يقول أنه يتيه عن قوله وبأباه وهجره ويقول بحق علي

منبو بلسانه وسائره كافر » .

(٧) هلمش ل : « خ : وإن قال قل الحق ملغام قاتلا » .

(٨) هو أبو علي قيس بن عاصم بن ستان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاسم =

٢٥

إلى امرؤ لا يعترى خُلُقِي دَنَسٌ يُقْنَدُهُ وَلَا أَفْرُنُ (١)  
 من مَنَقَرٍ في بيت مَكْرُمَةٍ والأصلُ يَنْبِتُ حَوْلَهُ الْعَصْنُ (٢)  
 خطاباً حينَ يَقُومُ قَاتِلُهُمْ يَبِضُ الْوُجُوهَ مَصَاقِعُ لُسُنُ (٣)  
 لَا يَقْطُنُونَ لَعِيبَ جَارِهِمْ وَهُمْ لِحَفْظِ جِوَارِهِمْ قَطُنُ (٤)

ومن هذا الباب وليس منه في الجملة ، قول الآخر :

١٣٤ أشارت بطَرْفِ الْعَيْنِ خِيفَةً أَهْلَهَا إِشَارَةً مَذْعُورٍ وَلَمْ تُتَكَلِّمْ  
 فَأَيَّتُ أَنْ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَباً وَأَهلاً وَسَهلاً بِالْحَبِيبِ الْمُسْلِمِ (٥)  
 وقال نُصَيْبٌ ، مولى عبد العزيز بن مروان (٦) :

يقول فَيُحْسِنُ الْقَوْلَ ابْنُ لَيْلَى وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ (٧)

= واسم مقاس الحارث - بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعر فطرس شجاع ، وكان سيداً في الجاهلية والإسلام ، صاحب النسي في حياته وعاش بعده زماناً ، وهو أحد من ولد بناته في الجاهلية ، بل يزعمون أنه أول من وأد . وفيه يقول الأخنف : ما تعلمت الحلم إلا من تيمس بن عاصم . الإصابة ٧١٨٨ والأغانى ( ١٢ : ١٤٣ - ١٥١ ) . وروى ابن كتيبة في عيون الأخبار ( ١ : ٢٨٦ ) أنه أنشد الشعر التالي ، حينما علم بأن أخيه قد قتل ابنه .

(١) ضده : لانه وضعف رأيه . والأفمن : ضعف الرأي والعقل . وفي أمالي القتال ( ١ : ٢٣٩ ) : لا يعترى حسي .

(٢) في الحماسة ( ٢ : ٢٦٣ ) وعيون الأخبار : « والعصن يَنْبِتُ حَوْلَهُ » . وفي الأمالي : « والفرع » .

(٣) في الأمالي وعيون الأخبار : « حين يقول » .

(٤) هـ : « لحسن جواره » . وفي الحماسة والأمالي وعيون الأخبار : « لحفظ جواره » ، وفطن : جمع قَطُن .

٢٠

(٥) سبق البيان في ص ٧٨ . وروى هناك كما ورد في هـ : « بالحبيب المنيح » .

(٦) نصيب هذا هو نصيب الأكبر ، وقد سبق ترجمة الأصغر في ١٢٥ . وهذا هو نصيب بن رباح ، وكان ابن نوبين ، اشتراه عبد العزيز بن مروان ، وكان شاعراً فحلاً فصيحاً ، وله شعر كثير في الاحتجاج للسواد . انظر الأغاني : ( ١٢٥ - ١٤٥ ) . وكتيبته أبو عجن ، وجاء في ( ١ : ١٣٥ ) أنه كان يكتنأ أبا المجنأ ، وهي كنية مشتركة بينه وبين نصيب الأصغر . انظر ما سبق في ص ٢٠٧ .

٢٥

(٧) البيت من أبيات في الأغاني ( ١ : ١٣٥ ) . ويعنه :

فِي لَا يَرُؤُا الْخِلَانَ إِلَّا مَدِينَهُمْ بِرِزْقِ الْخَلِيلِ  
 فَبَشَّرَ أَهْلَ مِصْرَ قَدْ أَتَاهُمْ مَعَ النَّيْلِ الَّذِي فِي مِصْرَ نَيْلِ

وقال آخر :

أَلَا رَبُّنَا خَصِمٌ ذِي فُنُونٍ عَلَوْتَهُ      وَإِنْ كَانَ الْوَرَى يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ (١)  
فهذا هو معنى قول العتّائي : « البلاغة إظهار ما غمض من الحق ،  
وتصوير الباطل في صورة الحق » (٢) . وقال الشاعر (٣) ، وهو كما قال :  
عَجِبْتُ لِإِدْلالِ الْعَيْسَى بِنَفْسِهِ      وَصَمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْقَوْلِ أَعْلَمًا (٤)  
وَفِي الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْعَيْسَى وَإِنَّمَا      صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ  
وموضع « الصحيفة » من هذا البيت ، موضع ذكر « العنوان » في  
شعره (٥) الذي رثى عثمان بن عفّان ، رحمه الله ، به حيث يقول :  
ضَحَحُوا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ      يَقْطَعُ اللَّيْلُ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا (٥)  
وَأُنْشِدُ أَيْضًا :

تَرَى الْفَتَيَانَ كَالْتَحُلِّ      وَمَا يُلْهِكُ مَا الدَّخْلُ (٦)  
وَكُلٌّ فِي الْمَوَى كَيْتٌ      وَفِيهَا نَابَهُ فَسْلٌ  
وَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الْوَصْلِ      وَلَكِنْ أَنْ يُرَى الْفَصْلُ (٧)

(١) الألوى : الشديد الحصوة الجدل السليط .

(٢) انظر ما سبق في ص ١١٣ س ١١ - ١٢ .

(٣) هو الخطفي جد جهر ، واسمه عوف ، انظر اللسان (خطف) حيث أنشد البيت ، وكذا  
عين الأخبار ( ٢ : ٢٧٥ ) . والبيان بدون نسبة في تاريخ بغداد ( ١٤ : ٢٤٨ ) .

(٤) في اللسان وتاريخ بغداد : « لإزراء العيسى » . وفي عين الأخبار : « قد كان بالحق » .

(٥) أى في شعر الشاعر ، ولم يقصد به معينا . والبيت التالي لحسان بن ثابت في ديوانه ٤١٠

واللسان ( عن ١٦٨ ) . وسيأتى في ( ٣ : ٢٦٢ ) .

(٦) الشعر لأبنة الحسى ، كما في اللسان ( ١٨ : ١٧٩ - ١٨٠ ) . وقيل

قالت قالة أختي وحجوها لها عقل

وقد ضمنت ابنة الحسى هذا المثل في شعرها ، وأما المثل « ترى الفتيان » الخ : فقائله هو عثمة

بنت مطرود الجيلية . انظر أمثال الميداني ( ١ : ٢٢٣ ) .

(٧) فيما عدل : « الفضل » بالضاد المعجمة .

وقال كِسرى أنوشيروان ، لَبِزْجِمَهْر (١) . أَيُّ الأشياءِ خير للمرءِ  
الْعَمَى (٢) ؟ قال : عقل يعيش به . قال : فَإِنْ لم يكن له عقلٌ ؟ قال : فَإِخْوَانٌ  
يَسْتَرُونَ عليه . قال : فَإِنْ لم يكن له إِخْوَانٌ ؟ قال : فَمَالٌ يَتَحَبَّبُ به إلى  
الناس . قال : فَإِنْ لم يكن له مالٌ ؟ قال : فَعَيْ صَامِتٌ . قال : فَإِنْ لم يكن  
له (٣) ؟ قال : فَمَوْتٌ مُرِج .

وقال موسى بن يحيى بن خالد : قال أبو علي (٤) : « رسائل المرء في  
كُتبه أَذَلُّ على مِقْدَار عقله ، وَأَصْدَقُ شاهداً على غيبه لك (٥) ، ومعناه فيك ،  
١٣٥ مِنْ أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة » .

★ ★ ★

- 
- ١٠ (١) سبقت ترجمته في ص ٧ ، حيث ورد الخبر التالي ببعض اختلاف .  
(٢) هذا ما في ب ، وهو يطابق ما سبق . وفيما عليها : « العمى » .  
(٣) فيما عدل : « ذلك » بدل « له » .  
(٤) هذه إحدى كُتبي العتاق ، وكتيبته المشهورة أبو عمرو . وجاء في عيون الأخبار ( ١ ) :  
٣٩٠ ( ٣٩٠ ) « قال يحيى بن خالد العتاق في لباسه ، وكان لا يزال ما ليس - يا أبا علي ، أخزى الله أمراً رضى  
أن يرضه هيبته من جماله وماله » والعتاق هو كلثوم بن عمرو بن أيوب ، وجده السابع هو عمرو بن  
١٥ كلثوم صاحب الملقبة . والعتاق شاعر مترسل بليغ مطبوع ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان متقطعا  
إلى البرامكة فوصفوه للرشد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ . انظر الأعاني ( ١٢ : ٢ : ٩ ) وتاريخ  
بغداد ١٩٦١ ومصميم الأدباء ( ١٧ : ٢٦ ) .  
٢٠ (٥) فيما عدل : « وأصدق شاهد على غيبه لك » .

### وياب منه آخر

ووصفوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود العصب ، وكالحل  
والمعاطف ، والدجاج والوشى ، وأشباه ذلك .

وأنشدني أبو الجماهر جندب بن مدرك الهلالي :

لا يُشْتَرَى الحمدُ أُمْنِيَّةٌ      ولا يُشْتَرَى الحمدُ بالمَقْصِرِ <sup>(١)</sup>  
ولكنَّما يُشْتَرَى غالباً      فمن يُعْطِ قيمته يَشْتَرِ  
ومن يعِطْفه على مِزْرِ      فيعم الرِّداءُ على المِزْرِ  
وأنشدني لابن ميادة <sup>(٢)</sup> :

نعم إنني مُهدٍ ثناءً ومِدْحَةً      كبرِّدِ الجمانى يُربِّحُ البيعُ تاجه  
وأنشد : <sup>١٠</sup>

فإنَّ أَهْلَكَ فقد أَبَقَيْتُ بعدى      قوافي تُعْجِبُ الْمُتَمَثِّلِينَ <sup>(٣)</sup>  
لذيذاتِ المقاطعِ مُحْكَماتٍ      لو أَنَّ الشَّعْرَ يُبْلِسُ لَارْتَدَيْنَا

وقال أبو قُرْدُودَةَ ، يريُّ ابنَ عمارٍ <sup>(٤)</sup> قَتِيلَ الثُّعْمَانِ ونَدِيمَهُ <sup>(٥)</sup> ،  
ووصف كلامه ، و [ قد <sup>(٦)</sup> ] كان نِهاه عن منادمته ؟

١٥ (١) المقصر ، بفتح الصاد وكسرها : الشيء الدون اليسير اللسان ( ٦ : ٤٠٩ ، ٤١٥ ) .

(٢) ابن ميادة ، هو الرماح بن أبرد . وميادة أمه ، وهو شاعر مخضرم من شعراء الدولتين ، وكان  
من مدح التصور ، ومات في صدر خلافة . الأغاني ( ٢ : ٨٥ - ١١٦ ) .

(٣) البيتان لابن ميادة ، كما في حاشية ابن السجى ٢٣٧ - ٢٣٨ . وانظر ديوان المعاني ( ١ :  
٨ ) ودلائل الإعجاز ٣٦٨ .

٢٠ (٤) هو عمرو بن عمار الطائي ، كان شاعراً عطيفاً ، فبلغ الثعمان حديثه فحمله على منادمته .

وكان الثعمان أحمر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد المهنة قتالاً للثعناء ، فنهاه أبو قردودة عن  
منادمته ، فلما قتله الثعمان رثاه بالشعر التالي . انظر الحيران ( ٤ : ٢٤٣ / ٥ : ٢٣٢ ) . ومعجم

المرزباني ٢٣٦ ومحاضرات الراغب ( ١ : ٩٢ ) .

(٥) هذه الكلمة في ل فقط .

(٦) هذه ما عدل .

إِنِّي نَهَيْتُ ابْنَ عَمَارٍ وَقُلْتُ لَهُ      لَا تَأْمَنْ أَحْمَرَ الْعَيْنِينَ وَالشَّعْرَةَ  
 إِنَّ الْمَلُوكَ مَتَى تَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمْ      تَطِيرُ بِنَارِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَرَهُ  
 يَا جَفْنَةً كَأَزَاءِ الْحَوْضِ قَدْ هَدَمُوا      وَمِنْطَقًا مِثْلَ وَشَى الْيَمْنَةِ الْجَبَرَةِ (١)  
 وقال الشاعر (٢) في مدح أحمد بن أبي دؤاد :

وعويص من الأمور بهيم      غامض الشخص مظلم مستور (٣)  
 قد تسهلت ما توغر منه      بلسان يزينه التحجير (٤)  
 مثل وشي البرود هلعله النسب      سح وعند الحجاج ذر تثير  
 حسن الصمت والمقاطع إما      نطق القوم والحديث يدور (٥)  
 ثم من بعد لحظة ثورث إليه      سر وعرض مهذب موفور

١٣٦

وما يضمن إلى هذا المعنى وليس منه ، قول جميل بن معمر :  
 نمت في الروابي من معدي وأفلجت      على الخففات العر وهي وليد  
 أناة على نيزين أضحى لذاتها      يلين بلاء الريط وهي جديد (٦)  
 نمت : شئت . الروابي من معدي : البيوت الشريفة . وأصل الراية والريادة :  
 ما ارتفع من الأرض . أفلجت : أظهرت (٧) . والخففات : الحيات . الأناة:  
 المرأة التي فيها فتور عند القيام . وقوله على نيزين ، وصفها بالقوة ، كالثوب الذي

(١) إزاء الحوض : مصب النهر فيه .

(٢) هو المجاحظ ، كما ورد في ترجمة ياقوت له في معجم الأدباء ( ١٦ : ٨٠ - ٨١ ) .

(٣) في البيت إقراء . لكن روى في هـ يرفع « عويص » وما بعده .

(٤) في معجم الأدباء : « قد تسمنت » . وهي رواية إحدى النسخ كما في حواشي هـ . وفي

حواشيها أيضا : « يقال تسنم الرجل المجاحظ ، إذا علاه من عرض » .

(٥) فيما عدل : « أتصمت القوم » . وفي معجم الأدباء : « نصت » ، وهي صحيحة يقال :

نصت وأنصت ، والأخيرة أعلى .

(٦) في المختص ( ٣ : ١٥٦ ) :

ضناك على نيزين أضحى لذاتها      بلين على الروطات وهي جديد

(٧) فيما عدل : « أظلمت : ظهرت وقهرت » . وقرأ بالبناء للفاعل .

يَنْسَجُ عَلَى نِيَّينَ ، وَهُوَ الثُّوبُ الَّذِي لَهُ سَدَيَانِ ، كَالَّذِي يَجُوعُ وَمَا أَشْبَهَهُ . أَضْحَى  
لِدَأْتِهَا ، اللَّذَّةُ : الْقَرِينَةُ فِي الْمَوْلَدِ وَالْمَنْشَأُ . فَيَقُولُ : إِنَّ أَقْرَانَهَا قَدْ بَلَيْنَ ، وَهِيَ  
جَدِيدٌ لِحُسْنِ غِذَائِهَا وَدَوَامِ نَعْمَتِهَا .

وَمِنْ هَذَا الشَّكْلِ وَلَيْسَ مِنْهُ بَعِينُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

٥ . عَلَى كُلِّ ذِي نِيَّينَ زَيْدٌ مَحَالُهُ مَحَالًا وَفِي أَضْلَاعِهِ زَيْدٌ أَضْلَعًا  
الْمَحَالُ : مَحَالُ الظَّهْرِ ، وَهِيَ قَعَارُهُ ، وَاحِدُهَا مَحَالَةٌ .

وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ الْخَرَكِيُّ الْأَعْوَرُ : أَوَّلُ شَعْرِ قَلْبِهِ هَذَانِ الْبَيْتَانِ :  
بِقَلْبِي سَقَامٌ لَسْتُ أَحْسِنُ وَصْفَهُ عَلَى أَنَّهُ مَا كَانَ فَهُوَ شَدِيدٌ  
تَمَرُّ بِهِ الْأَيَّامُ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا قَتَبَلَى بِهِ الْأَيَّامُ وَهُوَ جَدِيدٌ  
وَقَالَ الْآخَرُ (١) :

أَنِ الْقَلْبُ إِلَّا أَمَّ عَمْرٍو وَحَبَّهَا عَجُوزًا وَمَنْ يُحِبُّ عَجُوزًا يَفْتَدِ  
كَبُرَ الْبَيِّنِ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ وَرُقُوعُهُ مَا شَفَتْ فِي الْعَيْنِ وَالْيَدِ  
وَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ :

١٥ . إِنَّ الْأَدِيمَ الَّذِي أَصْبَحَتْ تَعْرُكُهُ جَهْلًا لَنُو ثَقُلَ بِأَدِ ذُو حَلَمٍ (٢)  
وَلَنْ يَخْطُ بِأَيْدِي الْحَاكِلِينَ وَلَا أَيْدِي الْخَوَالِقِ إِلَّا جَيْدُ الْأَدَمِ (٣)

١٣٧ . وَفِي غَيْرِ هَذَا الْبَابِ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ ذُو الرُّمَّةِ :  
وَفِي قَصْرِ حَجَرٍ مِنْ ذُوَابَةِ عَامِرٍ إِمَامٌ هَدَى مُسْتَبْصِرُ الْحُكْمِ عَادِلُهُ (٤)

(١) فِيمَا عُنَا ل ، هـ : « وَقَالَ آخَرُ ، هُوَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّقَلِ » . وَالْبَيْتَانِ فِي الْحَمَاسَةِ ( ٢ ) :

( ١٢٨ ) مَنَسُوبَانِ إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ . وَفِي حَوَاشِي هـ : « هُوَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّقَلِيُّ » .

( ٢ ) النُّغْلُ : فَسَادُ الْأَدِيمِ . وَالْحَلَمُ ، بِالتَّحْرِيكِ : فَسَادُهُ وَوُقُوعُ الدُّوْدِ فِيهِ .

( ٣ ) يَخْطُ : يَصُوتُ . وَالْخَالِقُ : الَّذِي يَخْلُقُ الْأَدِيمَ ، يَقْدِرُهُ وَيَقْبِضُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْطَعَهُ . وَالْأَدَمُ

بِالتَّحْرِيكِ : اسْمُ جَمْعٍ لِلأَدِيمِ ، وَهُوَ الْجِلْدُ الْمَدْيُوعُ . وَيَقْرَأُ أَيْضًا « الْأَدَمُ » بِضَمَّتَيْنِ جَمْعِ أَدِيمٍ .

( ٤ ) الْبَيْتَانِ فِي دِيوَانِ ذِي الرُّمَّةِ ٤٧٤ : وَفِي شَرْحِ الدِّيَوَانِ : « الْحَجَرُ سَوْقُ الْإِمَامَةِ وَتَقْصِبَتِهَا » .

ب : « قَصْرُ حَجَرٍ » : « قَصْرُ قَهْرٍ » مَحْزُونٍ . وَفِي هـ : « مُسْتَبْصِرُ الْحُكْمِ » .



كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ مَاءً مُذْهَبٍ إِذَا سَمَلُ السَّرْبَالِ طَارَتْ رَعَابُهُ  
الرَّعَابِلُ : الْقِطْع . وَشَوَاءٌ مُرْعِبٌ : مَقْطَع . وَرَعِبَلْتُ الشَّيْءَ أَيْ قَطَعْتَهُ .  
وَيُقَالُ ثَوْبٌ سَمَلٌ وَأَسْمَالٌ . وَيُقَالُ سَمَلُ الثَّوْبِ وَأَسْمَلُ ، إِذَا خَلِقَ <sup>(١)</sup> .  
وهو الذى يقول :

حوراءُ فى دَعَجٍ صفراءُ فى نَعِيجٍ كأنها فضةٌ قد مَسَّها ذهبُ  
الحور : شدةُ بياضِ العين . والدَّعِجُ : شدةُ سوادِ الخدقة . والنَّعِجُ :  
اللَّين . قالوا : لأنَّ المرأةَ الرقيقةَ اللونَ يكون بياضُها بالغداة يَضْرِبُ إلى الحمرة ،  
وبالعشي يَضْرِبُ إلى الصفرة . ولذلك قال الأعشى :  
بيضاء ضَحَوْنَهَا وصفً — راء العَشِيَّةِ كالْعَرَارِ <sup>(٢)</sup>  
وقال آخر :

١٠ قد علمتُ بيضاءَ صَفْرَاءُ الْأَصْلِ <sup>(٣)</sup> لأَغْنِيَنَّ اليومَ ما أغْنَى رَجُلٌ  
وقال بشار بن برد :

وحِذَى مَلَابِسَ زِينَةٍ وَمُصْبِغَاتِ فَهَى أَفْعَرٍ  
وَإِذَا دَخَلْتُ تَقْنَعِي بِالْحُمْرِ إِنَّ الْحُسْنَ أَحْمَرُ <sup>(٤)</sup>

وهذان أعميان <sup>(٥)</sup> قد اهتمدَا من حقائق هذا الأمر إلى مالا يبلغه تمييز  
البصير <sup>(٦)</sup> . ولِبَشَارٍ خاصَّةٌ فى هذا الباب ما ليس لأحد ، ولولا أَنَّهُ فى كتاب  
الرَّجُلِ والمرأةِ وفى باب القول فى الإنسان من كتاب الحيوان ، أَلَيَقُ وَأَزْكَى <sup>(٧)</sup>  
لذكرناه فى هذا الموضع .

(١) هـ : أخلق .

٢٠ (٢) ديوان الأعشى ١١١ واللسان ( عرر ) .

(٣) الأصل : جمع أصيل ، وهو آخر النهار .

(٤) فى حواشى هـ : أبو على : يقال فى مثل للعرب : الحسن أحمر ، أى من أراد الحسن صبر

على أشياء يكرهها . وفى اللسان : يلقى منه المشقة والشدة كما يلقى من القتال .

(٥) فى حواشى هـ : عثنى : كان الأعشى قد عمى ، فلذلك قال : أعميان .

٢٥ ل : البصر .

(٧) أزكى : أصلح . فيما عدل ، هـ : أذكى : تعرف .

وبما ذكروا فيه الوزن قوله :

زنى القوم حتى تعرف عند وزنهم إذا رفع الميزان كيف أميل <sup>(١)</sup>

وقال ابن الزبير الأسدي ، واسمه عبد الله <sup>(٢)</sup> :

أعاذل غصني بعض لؤمك إثنى أرى الموت لا يرضى بدين ولا زهن ١٣٨  
وإني أرى دهرأ تغير صرفه ودنيا أراها لا تقوم على وزن

\*\*\*

(١) ل : « حتى تعرف عند وزنه » . وكلمة « واسمه عبد الله » ساقطة من هـ .

(٢) الزبير ، هذا ، يفتح الزى . وهو عبد الله بن الزبير بن الأشج بن الأعشى بن بكرة بن نسيب إلى أسد بن خزيمة ، وهو شاعر كوفي المنشأ والمزحل ، من شعراء الدولة الأموية ومن شيعتهم والمتعصبين لهم ، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيراً ، فمِنَ عليه ووصله ، فمدحه وأكثر من مدحه وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قتل وعُمي بعد ذلك ، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان .  
١٠ . وكان أحد المجائنين يخاف الناس شوا . الأغاني ( ١٣ : ٣١ - ٤٧ ) والخزانة ( ١ : ٢٤٥ ) ومساعد التنخيص ( ١ : ٢٠ ) . ولم يتكره الصفدي في نكت المهيان .

## وباب آخر

ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ، ويفضّلون إصابة المقادير ،  
ويذمّون الخروج من التعديل <sup>(١)</sup> .

- قال جعفر بن سليمان : ليس طيبُ الطعام بكثرة الإنفاق وجودة  
التوابل ، وإنما الشّأن في إصابة القدر . وقال طارق بن أثال الطائي <sup>(٢)</sup> :
- ما إن يزأل ببغداد يزاحمنا      على البراذين أشباه البراذين  
أعطاهم الله أموالاً ومنزلةً      من الملوك بلا عقل ولا دين  
ما شئت من بغلة سفواء ناجية      ومن أثاث وقول غير موزون <sup>(٣)</sup>  
وأنشدني بعض الشعراء <sup>(٤)</sup> .
- رأت رجلاً أودى السفار بجسمه      فلم يبق إلا منطلق وجناجن <sup>(٥)</sup>
- [ الجناجن : عظام الصّدر <sup>(٦)</sup> ] .
- إذا حُسرَتْ عنه العمامة راعها      ججِيلُ الحفوف أغفلته التواهن <sup>(٧)</sup>  
فإن أكّ معروق العظام فإتني      إذا ما وزّئت القوم بالقوم وازن <sup>(٨)</sup>
- وقال مالك بن أسماء في بعض نسائه ، وكانت تصيب الكلام كثيراً ،  
وربما لحنت :

١٥

(١) فيما عدل : « التحويل » عوف . وكلمة : « من التعديل » ليست في هـ .

(٢) فيما عدل : « وقال الشاعر وهو طارق بن أثال الطائي » .

(٣) سفواء : خفيفة سريعة . فيما عدل : « سفواء : ناجية سريعة » .

(٤) الشعر التالي لكثير عزة ، كما في الأغاني ( ١٤ : ٥٧ ) .

(٥) السفارة : مصدر سفر ، كالمسافرة .

(٦) هذه ما عدل . والفرد جناجن ، بكسر الجيمين وقصهما .

(٧) الحفوف : الثمت وبعد المهدي بالدهن . فيما عدل : « الحفوف » تحريف .

(٨) معروق العظام : قليل اللحم .

٢٠

أَمَقَطَى مَنَى عَلَى بَصَرِيَّ لِلْحُبِّ أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنًا <sup>(١)</sup>  
 وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مِمَّا يَنْتَعُ النَّاسُ يُورَنُ وَزَنَا  
 مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلَحَّنَ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحَنًا  
 وَقَالَ طَرَفَةُ فِي الْمَقْدَارِ وَإِصَابَتِهِ :

١٣٩

٥. فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوَّبَ الرِّبْعَ وَدِيمَةً تَهْجِي <sup>(٢)</sup>  
 طَلَبَ الْغَيْثَ عَلَى قَنْدَرِ الْحَاجَةِ ، لِأَنَّ الْفَاضِلَ ضَارَّ . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي  
 دَعَائِهِ <sup>(٣)</sup> : « اللَّهُمَّ اسْقِنَا سَقِيًّا نَافِعًا » . لِأَنَّ الْمَطَرَ رَيْمًا جَاءَ فِي غَيْرِ إِبَانِ  
 الزَّرْعَاتِ ، وَرَيْمًا جَاءَ وَالتَّمَرُ فِي الْجُرْنِ ، وَالطَّعَامُ فِي الْيَادِرِ ، وَرَيْمًا كَانَ فِي  
 الْكِبَرَةِ مَجَاوِزًا لِمَقْدَارِ الْحَاجَةِ . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا <sup>(٤)</sup> » .  
 ١٠. وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ لِصَاحِبِهِ : أَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ . قَالَ : وَلِمَ قَالَ : لِأَنِّي  
 أَقُولُ الْبَيْتَ وَأَخَاهُ ، وَأَنْتَ تَقُولُ الْبَيْتَ وَابْنَ عَمِّهِ .  
 وَعَابَ رُؤْيَةَ شَعْرِ ابْنِهِ فَقَالَ : « لَيْسَ لَشَعْرِهِ قِرَانٌ <sup>(٥)</sup> » . وَجَعَلَ الْبَيْتَ أَخَا  
 الْبَيْتِ إِذَا أَشْبَهَهُ وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يُوضَعَ إِلَى جَنْبِهِ . وَعَلَى ذَلِكَ التَّأْوِيلِ قَالَ الْأَعْمَشُ :  
 أَبَا مَسْمُوحٍ أَقْصَرُ فَإِنْ قَصِيدَةٌ مَتَى تَأْتِكُمْ تَلَحُّقُ بِهَا أَخَوَاتُهَا  
 ١٥. وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ .  
 وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرِبَ :  
 وَكُلُّ أَخٍ مَفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَيْكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ <sup>(٦)</sup>

(١) سَبَقَتِ الْآيَاتُ وَالْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي ص ١٤٧ . وَانْتَظِرْ كَذَلِكَ أَمَالِ ثَلَاثِ ٥٩٩ . وَالْقَائِلُ ( ١ : ٥٠ )  
 وَالْمُرْتَضَى ( ١ : ١٠ ) .

(٢) دِيَّانُ طَرَفَةُ ٦٢ وَمَعَاهِدُ التَّصْيِصِ ( ١ : ١٢٢ ) مِنْ قَصِيدَةِ يَمْلَحُ بِهَا قِتَادَةُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْحَنْفِيُّ .

(٣) الْكَلَامُ مِنْ هُنَا إِلَى نَهَايَةِ قَوْلِهِ : « ﷺ » مِنْ ب ، ه ، قَطَط .

(٤) الْكَلِمَةُ الْأُولَى مِنَ الْحَدِيثِ سَاقِطَةٌ مِنْ ل ، ه .

(٥) انْتَظِرْ مَا سَبَقَ فِي ص ٦٨ .

(٦) انْتَظِرِ الْحِزْنَ ( ٢ : ٥٢ ) وَالْكَامِلَ ٧٦٠ وَسَيُورِي ( ١ : ٣٧١ ) . وَالْبَيْتُ يَنْسَبُ أَيْضًا إِلَى

٢٥ حَضَرِيٍّ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْمُزَنَفِ ٨٥ .

وقالوا فيما هو أبعد معنى وأقل لفظاً . قال الهذلي (١) :  
أعامرُ لا آلوك إلا مهتداً وجلد أوى عجل وثيق القبائل (٢)  
ويعنى بأوى عجل الثور .

وقالوا فيما هو أبعد من هذا . قال ابن عسلة الشيباني ، واسمه عبد المسيح (٣) :

وسمّاع مُدَجِّنة تعللنا حتى ننام تناوُم العُجم (٤)  
فصحوت والنمرُ يحسبها عمّ السّماك وخالّة النجم (٥)  
النجم واحدٌ وجمع (٦) . والنجم : الثريا في كلام العرب . مدجنة ، أى  
سحابة دائمة .

وقال أبو النجم فيما هو أبعد من هذا ، ووصف العَيْرَ والمعْبُوراء ، وهو

الموضع الذى يكون فيه الأعيار (٧) :

- (١) أبو غرashed الهذلي . انظر نسخة الشنقيطي من الهذليين ٧١ .  
(٢) في ديوان الهذليين : « أولقد » . ولحقص ( ١٣ : ١٧٤ ) :  
أولقد لا آلوك إلا مهتداً وجلد أوى العجل الشديد القبائل  
قال : « يعنى ترسا عمل من جلد ثور مسن شديد قبائل الرأس » .  
(٣) هو عبد المسيح بن حكيم بن عفير . وعسلة أمه نسب إليها ، وهى عسلة بنت عامر بن  
شراكة الغساني . انظر المؤلف ١٥٧ - ١٥٨ والمرزبانى ٣٨٥ وكتاب من نسب إلى أمه من الشعراء .  
وقد نشرته محققاً بمجلة المقتطف مايو سنة ١٩٤٥ ونوادر المخطوطات ١ : ٨١ - ٩٦ ) وقصيدة اليتيم  
في المضليات ( ٢ : ٧٩ ) .  
(٤) المدجنة : القينة تغنى في يوم الدجن ، يفتح الدال ، وهو تكلف الهم . تعللنا : تلويحنا بصوتها .  
قال الأحمسي : « كانت الأعاجم إذا نامت لم يجترأ عليها أن تنبه . ولكن يهرق حولها ويضرب حتى تنبه » .  
والآمدى يرويه : « تناوُم العجم » . قال : « تناوُم من التجم ، أى تتكلم بما لا يفهم » .  
(٥) النمرى ، هو كعب ، أحد بني النمر بن قاسط . أى يحسب القينة فى عظيم قدرها عما  
للسماك ، وخالّة للثريا . ولحقص النسخ : « فصحوت » . وكلنا في الحيوان ( ١ : ٢١٢ ، ٢٨٦ ) .  
وصواب روايته : « لصحوت » . لأن البيت جواب ليت سابق ، وهو :  
يا كعب إنك لو قصرت على حسن الندام وقلة الجرم  
(٦) هذا الكلام بما عدل . وقد ورد أيضاً في الحيوان ( ١ : ٢٨٦ ) ،  
(٧) ل : « الذى يكون فيه » . على أن المعروف أن « المعْبُوراء » جمع من جموع العير .

• وظلُّ يُوقِي الأَكَمَّ ابْنُ خَالِهَا •

فهذا مما يدلُّ على توسُّعهم في الكلام ، وحَمَلِ بعضه على بعض ،  
واشتقاق بعضه من بعض (١)

وقال النبي ﷺ : « نِعِمَّتِ الْعَمَّةُ لَكُمْ النَّحْلَةُ » ، حين كان بينها وبين  
الناس تشابهٌ وتشاكل ونسبٌ من وجوه . وقد ذكرنا ذلك في كتاب الزُّرع  
والنَّحْل .

وفي مثل ذلك قال بعض الفصحاء :

شَهِدْتُ بِأَنَّ الْحَمْرَ بِالزَّيْدِ طَيِّبٌ وَأَنَّ الْحُبَارَى خَالَةَ الْكَرَوَانِ (٢)  
لأنَّ الحُبَارَى ، وإن كانت أعظمَ بدنًا من الكَرَوَانِ ، فَإِنَّ اللَّوْنَ وَعُمُودَ الصُّورَةِ  
واحد ، فلذلك جعلها خالته ، ورأى أَنَّ ذلك قرابةٌ تستحقُّ بها هذا القول .

\*\*\*

(١) هذه الجملة مما عدل لـ .

(٢) في الحيوان ( ٦ : ٣٧٢ ) ومحاضرات الرغبة ( ٢ : ٢٩٩ ) : « ألم تر أن الزيد ، .

باب آخر من الشعر مما قالوا في الخطب  
واللّسن والامتداح به والمدح عليه

قال كعب الأشقرى (١) :

إِلَّا أَكُنْ فِي الْأَرْضِ أَحَطَبُ قَائِمًا      فَإِنِّي عَلَى ظَهْرِ الْكُمَيْتِ خَطِيبُ  
وقال ثابت قُطَيْتَةُ :

فَإِلَّا أَكُنْ فِيهِمْ خَطِيبًا فَإِنِّي      بَسْمَرُ الْقَنَا وَالسَّيْفِ جَدُّ خَطِيبُ (٢)  
وقالت ليلي الأبحليّة :

حَتَّى إِذَا رُفِعَ اللَّوَاءُ رَأَيْتَهُ      تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيمًا (٣)  
وقال آخر :

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يَعْيُونَ خُطْبَتِي      وَمَا مِنْهُمْ فِي مَاقِطٍ بِخَطِيبِ (٤)  
وهؤلاء يفخرون بِخُطْبَتِهِمُ الَّتِي عَلَيْهَا يَعْتَمِدُونَ ، بِالسُّيُوفِ وَالرِّمَاحِ (٥) ،  
وإن كانوا خطباء . وقال ذُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ (٦) :

أَبْلَغُ نُعَيْمًا وَأَوْفَى إِنْ لَقَيْتَهُمَا      إِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي سَمْعِيهِمَا صَمٌّ  
فَلَا يَزَالُ شَهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ      يَهْلِي الْمَقَانِبَ مَا لَمْ تَهْلِكِ الصَّمَمُ (٧)

(١) هو كعب بن سعدان الأشقرى ، شاعر قرط خُطِيب ، من أصحاب المهلب ، متكرر في  
حروب الأزارقة . الأعاني ( ١٣ : ٥٤ - ٦٦ ) ومعجم المرزبانى ٣٤٦ .

(٢) فيما عدل : « أَكُنْ فِيكُمْ » و « جَدُّ لَعُوبٍ » .

(٣) من مقطوعة لما رواها أبو تمام في الحماسة ( ٢ : ٢٧٦ - ٢٧٧ ) . وقوله :

وخرق عنه القميص تحاله      وسط البيوت من الحياء سقيما

(٤) ل : « فِي مَوْقِفٍ » . وكتب في هامشها « خ : مَاقِطٌ » . وانظر ص ٢١٨ .

(٥) ل : « بَأَنَّ خُطْبَتَهُمُ الَّتِي عَلَيْهَا يَعْتَمِدُونَ السُّيُوفَ وَالرِّمَاحَ » تحريف .

(٦) الأبيات التالية يرى بها أخاه عبد بنوث بن الصمة . الأعاني ( ٩ : ٨ ) .

(٧) في الأعاني : « فَلَا يَزَالُ شَهَابٌ » . وبين هنا وسابقه في الأعاني :

فَمَا أَعْنَى بِأَعْنَى سَوْءٍ فَيَنْقُصُهُ      إِذَا تَقَارَبَ بَيْنَ الصَّادِرِ الْقَسَمِ

والصمم : جمع صمة ، بكسر الصاد وتشديد الميم : وهو الشجاع : في الأعاني : « الْأَنْمُ » .

- عارى الأشاجع معصوبٌ بلمته أمرُ الرُعامة في عِرْزِنه شَمَمُ  
 المقاب : جمع مقَبٍ ؛ والمقَب : الجماعة من الخيل ليست بالكثيرة . والأشاجع :  
 عروُقُ ظاهرِ الكف ، وهى مغرِز الأصابع . واللَّمة : الشعرة التى أُلْتُت بالمنكب . ١٤١  
 وزَعِم القوم : رأسُهم وسيدهم الذى يتكلَّم عنهم . والرُعامة : مصدر الرَعِم الذى  
 يسود قومه . وقوله « معصوبٌ بلمته » أى يُعصَب برأسه كلُّ أمر . عِرْزِنه : أنفه .  
 وقال أبو العباس الأعمى <sup>(١)</sup> ، مولى بنى بكر بن عبد مناة فى بنى عبد شمس :  
 ليت شعرى أفاح رائحة المسك وما إن أخال بالخيِّف إنسى <sup>(٢)</sup>  
 حين غابت بنو أمية عنه والبهاليل من بنى عبد شمس  
 خطباء على المنابر فرسا ن عليها وقالته غير خُرس  
 لا يُعابون صامتين وإن قا لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس  
 بملوح إذا الخلوم استخفَّت ووجوه مثل الدنانير مُلس <sup>(٣)</sup>  
 وقال العجاج :  
 وحاصن من حاصنات مُلس من الأذى ومن قِرافِ الوقس <sup>(٤)</sup>  
 المحصنة : ذوات الزوج . والحاصن : العفيف . والوقس : العيب <sup>(٥)</sup> . ١٥  
 وقال امرؤ القيس :  
 وبازب يوم قد أروح مُرجلاً حبیباً إلى البيض الكواعب أملسا <sup>(٦)</sup>

(١) سبق ترجمته فى ص ٢١٨ . والآيات التالية فى مروج الذهب ( ٣ : ٢٩٥ ) والأغانى ( ١٥ : ٥٧ ) ونكت الميمان للصنفى ١٥٤ . وقد ذكر فيها قصة الشعر .  
 (٢) الخيف : موضع فى الحجر . وفى حواشى ه : أراد أنسيا فخفف باء النسب ضرورة فى الشعر .

(٣) فى الأغاني : « إذا الخلوم تقضت » . قال : « ويرى مكان تقضت : اضمحلت » .  
 (٤) وكنا جاءت نسبهما فى اللسان ( وقس ) . وجانا فى ( حصن ) بدون نسبة . وليس فى ديوان العجاج ولا ملحقاته .

(٥) فيما علل : « العففة » . والحاصن يقال للمذكر والمؤنث . ٢٥

(٦) فيما علل : « الجرب » .

(٧) ديوان امرئ القيس ١٤١ .



وقال أبو العباس الأعمى :

ولم أرَ حَيًّا مِثْلَ حَيٍّ تَحْمَلُوا  
أَعَزُّ وَأَمْضَى حِينَ تَشْتَجِرُ الْقَنَا  
وَأَرْفَقُ بِالْدُّنْيَا بِأَوْلَى سِيَاسَةٍ  
إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ سَيِّدٌ  
وقال آخر :

لَا يُغَسَّلُ الْعِرْضُ مِنْ تَدْنِيهِ  
وَزَلَّةُ الرَّجُلِ تُسْتَقَالُ وَلَا  
وقال آخر في الزَّلَلِ :

أَلْهَى إِذْ عَصَيْتُ أَبَا يَزِيدَ  
وَكَانَتْ هَفْوَةٌ مِنْ غَيْرِ رِيحٍ  
وقال آخر (١) :

فَإِنَّكَ لَمْ يَنْذِرْكَ أَمْرًا تَخَافُهُ  
وقال ابن وابصة [ اسمه سالم (٢) ] ، في مقام قام فيه مع ناسٍ من الخطباء :

يَأْيَا الْمُتَحَلِّيَ غَيْرَ شِمِيمَتِهِ  
اعْمِدْ إِلَى الْقَصْدِ فِيمَا أَنْتَ رَاكِبُهُ  
صَدَّتْ هُنَيْدَةٌ لَمَّا جِثَّتْ زَائِرُهَا  
وَرَاعَهَا الشَّيْبُ فِي رَأْسِي فَقُلْتُ لَهَا  
وَمَنْ سَجِيَّتِهِ الْإِكْتَارُ وَالْمَلَقُ  
إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ  
عَنِّي بِمَطْرُوقَةٍ إِنْسَانُهَا عَرِقُ  
كَذَاكَ يَصْفُرُّ بَعْدَ الْخُضْرَةِ الْوَرَقُ

(١) في حواشي هـ : هـ هو جريان العمود .

(٢) هذه مما عدل . ونسبة الشعر إلى سالم بن وابصة هي كذلك في الحماسة ( ١ : ٢٩٥ )  
ونوادير أبي زيد ١٩١ والمؤتلف ١٩٧ . ونسب في الحيوان ( ٣ : ١٢٧ ) والقدح ( ٢ : ٢٤ ) وزهر  
الآداب ( ١ : ٧٧ ) والشعراء ١٢٨ إلى المرجى ، وفي حماسة البحري ٣٥٨ إلى ذي الإصبع ، ورد  
بهذه نسبة في أمال ثعلب ٣٠٠ . وسالم بن وابصة ، شاعر فارس من شعراء عبد الملك بن مروان .  
انظر المؤلف وشرح شواهد المعنى للسيوطي ١٤٣ .

بَلْ مَوْفِقٌ مِثْلُ حَدِّ السِّيفِ قَمَتْ بِهِ أَحْيَى الدُّمَارِ وَتَرَمِينِي بِهِ الْحَدَقُ <sup>(١)</sup>  
فَمَا زَلْتُ وَلَا أَلْفَيْتُ ذَا حَطَلٍ إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهَا زَلُّوا  
قال : وَأَنْشَدَنِي لِأَعْرَابِيٍّ مِنْ بَاهِلَةِ :

سَأُعْمِلُ نَصْرَ الْعَيْسِ حَتَّى يَكْفُنِي غِنَى الْمَالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الْحَدَثَانِ <sup>(٢)</sup>  
فَلَمَمْتُ خَيْرَ مَنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا عَلَى الْحَرِّ بِالْإِقْلَالِ وَسَمُّ هَوَانٍ  
مَتَى يَتَكَلَّمُ يُلْنُ حَسَنُ حَدِيثِهِ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا: عَدِيمٌ بَيَانٍ <sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّ الْغِنَى عَنْ أَهْلِهِ ، بُورِكَ الْغِنَى ، بَغِيرٍ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانٍ <sup>(٤)</sup>

١٤٣

وفي مثلها في بعض الوجوه قال عروة بن الورد <sup>(٥)</sup> :

ذَرَيْنِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَأَنْتَى رَأَيْتُ النَّاسَ شُرْهُمُ الْفَقِيرُ  
وَأَهْوَتْهُمْ وَأَحْقَرَهُمُ لِلدَّيَمِ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ كَرَمٌ وَخَيْرٌ <sup>(٦)</sup>  
وَيُقْصَى فِي النَّدَى وَتَرْدِيهِ حَلِيشُهُ وَيَنْهَرُ الصَّغِيرُ <sup>(٧)</sup>  
وَتَلْقَى ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ يَكَادُ فَرَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ <sup>(٨)</sup>  
قَلِيلٌ ذُبُّهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ وَلَكِنَّ الْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ <sup>(٩)</sup>

١٠

(١) بل ، هنا ، بمعنى رب ، تعمل عملها ، كما في قوله :

• بل يجوز تباه كظهور المحجفت •

١٥

(٢) الأبيات في عيون الأخبار ( ١ : ٢٣٩ ) . العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ، جمع أعيس وعيساء . ونصها : تحريكها حتى تستخرج أقصى ما عندها من الجري . والحديثان : الحوادث .  
(٣) هـ : • حكم كلامه • . وأشير في حاشيتها إلى رواية : • مقالة • .

(٤) أي ناطق بلسان أهله . فيما عدل : • في أهله • . وما أثبت من ل أجود ، وهو المطابق لما في

٢٠

عيون الأخبار .

(٥) الأبيات مما لم يرو في ديوان عروة . وقد رويت له في عيون الأخبار ( ١ : ٢٤٢ ) .

(٦) الحير ، بالكسر : الشرف والأصل . فيما عدل : • نسب وخير • .

(٧) الندى : مجلس القوم ، كالنادى والندى . التيمومة : • ويغنى في الندى • .

(٨) فيما عدل : • وملتقى ذو الغنى • .

(٩) كذا في ل ، هـ والتيمومة . وفي ب ، جـ : • ولكن للغنى • . وأنشدته المرتضى في أماليه ( ١ :

٢٥

٢٨ ) : • ولكن الغنى • ، وقال : • أولاد غنى رب غفور • .

وقال ابن عباس رحمه الله : « الهوى إله معبود » . وتلا قول الله عز وجل : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ .

وقال أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (١) :

- تلك عرسائٍ تنطلقان على عَمْدٍ لىَّ اليومَ قولُ زُورٍ وهنَّ (٢)  
 سالتانِ الطَّلَاقَ أنْ رأتا ما لىَّ قليلاً قد جتتاني بَنُكْرٍ (٣)  
 فلعلنى أن يكثر المألُ عندى ويعرئ من المَعَارِمِ ظهري  
 وتُرى أعبدُ لنا ولوأقٍ ومناصيفُ من خوادِمَ عَشْرِ (٤)  
 ونجُرُ الأذيالَ فى نعمةِ زَوْ لىَّ تقولان: ضَعِ عصاكَ لَدَهْرِ (٥)  
 ونىَّ كأنَّ مَنْ يَكُنْ له نَشَبٌ يُحسِبُ ومن يفتقرُ يَعرِشُ عَيْشٍ ضَرَّ (٦)  
 ويُجَنَّبُ سِرَّ النَجِىِّ ولكَ سَنَ أخا المَالِ مُخَضَّرٌ كُلُّ سِرٍّ ١٠  
 المناصيف : الحُكْمُ واجدهم مُنْصَفٌ وناصيفٌ ، وقد نَصَفَ القومَ يَنْصِفُهُمْ نَصَافَةً ،

(١) أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، أحد المشقة المبشرين ، وهو أحد الصحابة الذين أسلموا قديماً . وفى بيته أسلم عمر بن الخطاب ، لأنه كان زوج أخته فاطمة . توفى سنة ٥٠ . الإصابة ٣٢٥٤ وتذهب التهذيب . وأبو زيد بن عمرو أحد الصحابة الذين آمنوا بالرسول قبل أن يبعث . الإصابة ٢٩١٧ والحاشية ( ٣ : ٩٩ ) . والأبيات التالية تروى حيناً لسعيد ، وحيناً لوالده . وتروى كذلك لنيه بن الحجاج ، كما فى الحاشية وشرح أبيات الكتاب للشتمرى ( ٢ : ١٧٠ ) . ونسبت لزيد فى عيون الأخبار ( ١ : ٢٤٢ ) .

(٢) الغر ، بالكسر : الكذب والخطأ فى الكلام .

(٣) استشهد به سيويه على إبدال الألف فى « سالتانِ » من الميم . وفى سيويه ( ١ : ٢٩٠ / ٢ : ٣٩٠ ) : « أن رأتاى قل مالى » . وأشير لى هذه الرواية فى حواشى هـ .

(٤) أواق ، فسو البغدادى بأنه جمع أوقية من الذهب أو الفضة . وقال : ويرى بدله : وجباد .  
 (٥) ب فقط : « دع عصاك » تحريف . ضع عصاك ، كتابة عن الإقلمة ؛ لأن المقيم يضعها عن يده ، والمسافر يعملها . لدهر ، أى إلى انقضاء دهر . وفى هامش ل : « ح : مثل قول الشاعر . فألفت عصاهُ واستقر بها النوى » .

(٦) النشب ، بالتحريك : المال الأصيل من الناطق والصلوات . وانظر مجالى تعلب ٣٨٩ . ٢٥

إذا خدّمهم . نعمة زول : حسنة . [ والزول : الخفيف الظريف ، وجمعه أزوال <sup>(١)</sup> ] .

وقال عبيد بن الأبرص في نحو هذا وليس كمثله :

- ١٤٤ تلك عرسي غصبي تريد زبالي ألبين تريد أم لللال <sup>(٢)</sup>  
 إن يكن طُبُّك الفراق فلا أحو خِلْ أن تعطيني صلور الجِمال <sup>(٣)</sup>  
 أو يكن طُبُّك الدلال فلو في سالف الدهر والليالي الخوالي  
 كتبت بيضاء كالمهاة وإذا آ تيك نشوان مُرخياً أذبال  
 فاتركي مطّ حاجيلك وعيشي معنا بالرجاء والتأمال  
 زعمت أنني كبرت وأنتي قل مالي وضنّ عني الموال  
 وصحا باطلي وأصبحتُ شيخاً لا يؤتني أمثالها أمثال  
 إن تبتني تغير الرأس مني وعلا الشيب مفرق وقذال  
 فيما أدخل الخباء على مهضومة الكشح طفلة كالغزال  
 فتعاطيت جديها ثم مالت ميلان الكتيب بين الرمال  
 ثم قالت : فدى لنفسك نفسي وفداءً لمال أهلك مالي  
 الكشح : الحَصْر . وقوله : « مهضومة » ، أراد لطيفة . والطفلة :  
 الرخصة الثاعمة <sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

قال : وخرج عثمان بن عفان - رحمه الله - من داره يوماً ، وقد جاء عامر ابن عبد قيس <sup>(٥)</sup> ، فقعده في دهليزه ، فلما خرج رأى شيخاً دميماً أشعثاً نطّاً ، في عباءة ، فأنكره وأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابي ، أين ربك ؟ فقال : بالبرصاد ! [ والشعثى : تراكب الاسنان واختلافها . نطّ : صغير اللحية <sup>(٦)</sup> ] .

(١) منه ما عدل .

(٢) الأبيات من قصيدة له في مختارات ابن الشجري ١٠٢ . والريال : المفارقة .

(٣) هنا البيت في ل ، هـ و التيمورية فقط . (٤) هذا التفسير من هـ .

(٥) سبقت ترجمته في ص ٨٣ . (٦) هنا ما عدل .

ويقال إن عثمان بن عفان لم يُفجِّحه أحدٌ قط غير عامر بن عبد قيس .

ونظر معاوية إلى النُّخار بن أوس العُلى<sup>(١)</sup> ، الخطيب الناسب ، في عبادة في ناحية من مجلسه ، فأنكره وأنكر مكانه زرايةً منه عليه ، فقال : من هذا ؟ فقال النُّخار : يا أمير المؤمنين ، إن العبادة لا تكلمك ، وإنما يكلمك مَنْ فيها !

قال : ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى هريم بن قُطبة<sup>(٢)</sup> ،

١٤٥ ملتفًا في بَيْتٍ في ناحية المسجد ، ورأى دمامته وقَلته ، وعَرَفَ تقدِيمَ العرب له

في الحُكم والعِلْم ، فأحَبُّ أن يكشفه ويسبر ما عنده ، فقال : أرايت لو

تنافرا إليك اليومَ أيُّهما كنت تنفّر ؟ يعنى غلقمة بن عُلائة ، وعامر بن

الطُّفيل . فقال : يا أمير المؤمنين : لو قلتَ فيهما كلمةً لأعدئها جَذعةً . فقال

عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لهذا العقل تحاكت العربُ إليك . ١٠

ونظر عمر إلى الأحنف وعنده الوُفْدُ<sup>(٣)</sup> والأحنف ملتفٌ في بَيْتٍ له<sup>(٤)</sup> ،

فترك جميع القوم واستنطقه ، فلما تبعق منه ما تبعق ، وتكلم بذلك الكلام

البليغ المصيب ، وذهب ذلك المذهب ، لم يزلَّ عنده في غَلِيَاء ، ثم صار إلى

أن عقد له الرِّئاسة ثابتاً له ذلك<sup>(٥)</sup> ، إلى أن فارَقَ الدنيا .

ونظر الثُّعْمَانُ بن المنذر إلى ضَمْرَةَ بن ضَمْرَةَ<sup>(٦)</sup> ، فلما رأى دمامته

وقَلته قال : « نَسْمَعُ بالمُعِيدِ لَا أَنْ تراه » ، هكذا تقوله العرب . فقال

ضمرة : « أَيْتَ اللَّعْن ، إِنَّ الرجال لَا تُكَالُ بالقَفْران ، وَلَا تُوزَنُ في الميزان<sup>(٧)</sup> ،

وإنما المرءُ بأصغَرَيْهِ : قلبه ولسانه » .

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٥ . (٢) سبقت ترجمته في ص ١٠٩ .

(٣) هم وفد العراق ، أهل البصرة والكوفة . وغير هذا الوفد في العهد ( ١ : ١٩١ ) . ٢٠

(٤) البيت : كساء غليظ مربع .

(٥) ل : « ثابتة له » فقط .

(٦) سبقت ترجمته في ص ١٧١ ، حيث مضى الخبر :

(٧) في حواشي هـ : « وقع في بعض النسخ : « لَا تُكَالُ بالقَفْران ، وَلَا تُوزَنُ بالميزان ، وَلَا تعرف

إلا بعد الامتحان » .

وكان ضَمْرَةٌ خطيباً ، وكان فارساً شاعراً شريفاً سيِّداً .  
 وكان الرُّمَقُ بن زيد <sup>(١)</sup> مدح أبا جُبَيْلَةَ الغَسَّانِي <sup>(٢)</sup> ، وكان الرُّمَقُ دَمِيماً  
 قصيراً ، فلما أنشدته وحاوره ، قال : « عَسَلٌ طَيِّبٌ فِي ظَرْفِ سَوِيٍّ » .  
 قال : وكَلَّمُ عِلْبَاءُ بْنُ الْهَيْثَمِ السُّدُوسِي <sup>(٣)</sup> عَمَرَ بن الخطَّاب ، وكان عِلْبَاءُ  
 أَعْوَرَ دَمِيماً ، فلما رأى براعته وسمع يائه ، أقبل عمر يصعد فيه بصرة ويَحْنُرُهُ ،  
 فلما خرج قال عمر : « لِكُلِّ أَنْاسٍ فِي جُمْلَتِهِمْ يُخَيَّرُ <sup>(٤)</sup> » .

\*\*\*

وقال أبو عثمان : وأنشدتُ سَهْلَ بن هَارُونَ ، قَوْلَ سَلَمَةَ بن الخُرْشَبِ <sup>(٥)</sup>  
 وشعره الذي أرسل به إلى سَيِّعِ التَّغْلَبِي <sup>(٦)</sup> في شأن الرُّهْنِ التي وضعت على  
 يديه في قتال عَبْسٍ وَذِيَّانَ ، فقال سَهْلُ بن هَارُونَ . والله لَكَأَنَّهُ قد سمع رسالة عمر

- 
- (١) في الاشتقاق ٢٧٠: « ومنهم الرُّمَقُ بن زيد بن غنم الشاعر ، جاهل . والرُّمَقُ معروف ، وهو  
 باقي النفس » . وذكر في حواشيه عن العسكري أنه « الدُّمَقُ » واسمه عبيد بن سالم بن مالك . وفي الأغاني  
 ( ١٩ : ٩٦ ) أن الرُّمَقُ لقب له ، واسمه عبيد بن سالم بن مالك .
- (٢) أبو جيلة الغساني ، أحد ملوك الفساسة بالشام . وفي ملوكهم جيلة بن الأيهم الغساني  
 ١٥ آخر ملوك الفساسة . وكان الرُّمَقُ قد مدح أبا جيلة بشعر قال فيه :  
 وَأَبُو جِيلَةَ خَيْرٌ مِنْ يَمَشَى وَلَوْ ظَلَمَ مِمَّنَا  
 وَأَبُوهُ يَرَا وَأَعْبَى لِمَنْ يَسْلُمُ الْأُولِيَا
- وهذا الشعر هو الذي يشر إليه الجاحظ . انظر الأغاني ( ١٩ : ٩٦ ) . ب والتيمورية : « أبا جيلة الغساني » .
- (٣) فيما عدل ، هـ : « وتكلم علباء » . وفي ب فقط بعد كلمة « السدوسي » : « عند » وما في  
 ٢٠ أمثال المياني ( ٢ : ١١٥ ) يطابق ما أثبت من ل ، حـ . وهو علباء بن الهيثم بن جرير ، وأبوه من  
 الرؤساء الذين حاربوا كسرى في وقعة ذي قار . ولُدرك علباء الجاهلية والإسلام ، وشهد الجمل واستشهد  
 بها . الإصابة ٦٤٤٣ . وسيأتي الخير في ( ٣ : ٢٩٩ - ٣٠٠ ) .
- (٤) الجميل : تصغير الجمل . والخير ، بضم الخاء وكسرها : العلم والمعرفة . فيما عدل : « خيرة » ،  
 وهي بضم الخاء وكسرها كالخير . وفي أمثال المياني : « لكل أناس في بهيمهم خير » . وضبط في هـ « خير »  
 ٢٥ بالتحريك . وأنشد التبريزي في شرح الحماسة ١ : ٢٧٤ بيتا في شعر يتحم معه هذا الضبط ، وهو قوله :  
 فَأَلَيْتَ لَا أُشْرَى بِمَيِّرٍ بَيْنَهُ لِكُلِّ أَنْاسٍ فِي بَهِيمِهِمْ خَيْرٌ
- (٥) سلمة بن الخرشب ، أحد شعراء المفضليات ، واسمه سلمة بن عمرو بن نصر ، والخرشب  
 لقب أبيه ، وأصل معناه الطويل السمين .
- (٦) ب فقط : « التغلبي » مع أثر تصحيح .

ابن الخطاب إلى أنى موسى الأشعري في سياسة القضاء وتدبير الحكم<sup>(١)</sup>.  
والقصيدة قوله :

أبلغ سبيماً وأنت سيّدنا      قَدْماً وأوفى رجالنا ذمّاً  
أَنْ بَغِيضاً وَأَنْ إِخْوَتَهَا      ذُبِيانَ قَدْ ضَرَمُوا الَّذِي اضْطَرَمّا  
نُبِيْتُ أَنْ حَكْمُكَ بَيْنَهُمْ      فلا يَقُولُنَّ بِسِ ما حَكَمّا  
إِنْ كُنْتَ ذَا حُجْرَةٍ بِشَأْنِهِمْ      تعرفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمِنْ ظَلَمّا  
وَتُنْزِلُ الْأَمْرَ فِي مَنَازِلِهِ      حُكْماً وَعِلْماً وَتَحْضُرُ الْفَهْمّا<sup>(٢)</sup>  
وَلَا تُبَالِي مِنَ الْمُحِقِّ وَلَا الْمُبِّ      سَطِلَ لَا إِلَهَ وَلَا ذِمّا  
فَاحْكَمْ وَأَنْتَ الْحَكِيمُ بَيْنَهُمْ      لَنْ يَقْدَمُوا الْحُكْمَ ثَابِتاً صَتَمّا  
الصُّتَمُ : الصحيح القوى ؛ يقال رجلٌ صَتَمٌ ، إذا كان شديداً<sup>(٣)</sup>.

واصدّع أديمَ السَّوَاءِ بَيْنَهُمْ      على رضا مَنْ رَضِيَ وَمِنْ رَغَمّا  
إِنْ كَانَ مَالاً فَقَضَ عِدَّتَهُ      مَالاً بِمَالٍ وَإِنْ ذِمّاً قَدْماً<sup>(٤)</sup>  
حتى تُرَى ظَاهِرُ الْحُكُومَةِ      مِثْلَ الصَّبْحِ جَلَى نَهَارِهِ الظُّلَمّا  
هَذَا وَإِنْ لَمْ تُطَقَّ حُكُومَتُهُمْ      فَانِيذْ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَمّا

\*\*\*

وقال العائشي<sup>(٥)</sup> : كان عمر بن الخطاب - رحمه الله - أعلم الناس  
بالشعر ، ولكنه كان إذا أُتِيَ بالحُكْم بين النجاشي والعجلاني<sup>(٦)</sup> ، وبين

(١) متأنق في (٢ : ٤٩ - ٥٠) . وهي في أوائل كامل المجلد ٩ ليسك .

(٢) ل : ٥ وتخصر ، بالصاد المهملة ، وستعاد الأبيات في (٣ : ٣١٤) .

(٣) هذه مما عدل ل .

(٤) فيما عدل هـ ، ب : ٥ فقض عِدَّتَهُ ، والوجه ما أثبت منها .

(٥) هو عبيد الله بن عمير بن حفص ، المخرجم في ص ١٠٢ .

(٦) النجاشي هو قيس بن عمرو ، من بني الحارث بن كعب ، روى أنه شرب الخمر في رمضان فجعله

على مائة سوط ، فلما رآه زاد على الثمانين صباح به : ما هذه الملاوة يا أبا الحسن ؟ =

الخطيئة والزَّيرقان ، كره أن يتعرضَ للشُّعراء ، واستشهد للفريقين رجالاً ، مثل  
حسن بن ثابت وغيو ، ممن تهون عليه سيئاتهم ، فإذا سمع كلامهم حَكَمَ بما  
يعلم ، وكان الذي ظَهَرَ من حُكْمِ ذلك الشاعر مُقْتَبَعاً للفريقين ، ويكون هو  
قد تَخَلَّصَ بِعِرضِهِ سليماً . فلَمَّا رآه مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ يسألُ هذا وهذا ، ظَنَّ أَنَّ  
ذلك لجهله بما يعرف غِيْرُهُ .

وقال : ولقد أنشدوه شعراً زهير - وكان لشعره مقدماً - فلما انتهوا إلى قوله :

وإنَّ الحقَّ مَقْطَعُهُ ثلاثٌ يمينٌ أو نِفَارٌ أو جِلَاءٌ <sup>(١)</sup>

قال عمر كالمعجَّب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ، وإقامته أقسامها :

وإنَّ الحقَّ مقطعه ثلاثٌ يمينٌ أو نِفَارٌ أو جِلَاءٌ

١٤٧

يردُّدُ اليثَّ من التعجُّب .

١٠

وأنشدوه قصيدةً عبَّدةً بن الطَّيِّب <sup>(٢)</sup> الطويلة التي على اللام <sup>(٣)</sup> ،

فلما بلغ المنشد إلى قوله :

والمرء ساع لشيء ليس يدركهُ والعيش شحٌّ وإشفاقٌ وتأميلٌ

قال عمر متعجباً :

١٥ = فقال : لجرايتك على الله في رمضان ! فهرب إلى معاوية وهجا علياً . الإصابة ٧٣٠١ ، ٨٨٥٤ والخزانة ( ١٠٧ : ٢ ) . وفي الإصابة أنه إنما سمى النجاشي لأنَّ لونه كان يشبه لون الحبشة . وحكى ابن الكلبي أن جماعة من بني الحارث بن كعب وفدوا على رسول الله ﷺ فقال : « من هؤلاء الذين كأنهم من الهند » . وأما

المجلائي ؛ فهو تميم بن أبي بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان . أدرك الإسلام فأسلم ، وكان يبيكي أهل الجاهلية ، وعمر مائة وعشرين سنة . الإصابة ٨٥٨ والخزانة ( ١١٣ : ١ ) . وانظر الحكومة بينهما في المرجعين المتقدمين والمعدة ( ٢٧ : ١ ) وأمالى ثعلب ١٨٠ - ١٨١ وزهر الآداب ( ١٩ : ١ ) .

( ١ ) النفار : أن يتناقروا إلى حاكم يحكم بينهم . والجلاء ، بالكسر كما ضبط في أصول الديوان ٧٥ ، وكما نبه عليه الصفاتي . انظر حواشي اللسان ( جلا ١٦٢ ) .

( ٢ ) سبقت ترجمته في ص ١٢٢ .

( ٣ ) هي إحدى المفضليات . انظر ( ١٢٣ : ١ - ١٣٤ ) .

٢٥



• والعيش شح وإشفاق وتأميل •

يعجبهم من حسن ما قسم وما فصل <sup>(١)</sup>.

وأنشدوه قصيدة أوى قيس بن الأسلت التى على العين ، وهو ساكت ،  
فلما انتهى المنشد إلى قوله :

• الكيس والقوة خير من الـ إشفاق والفهة والهاع <sup>(٢)</sup>  
أعاد عمر البيت وقال :

الكيس والقوة خير من الـ إشفاق والفهة والهاع  
[ وجعل عمر يرّد البيت ويتعجب منه <sup>(٣)</sup> ] .

- قال محمد بن سلام ، عن بعض أشياخه قال . كان عمر بن الخطاب  
رضى الله عنه لا يكاد يعرض له أمرٌ إلّا أنشد فيه بيت شعر .  
وقال أبو عمرو بن العلاء : كان الشاعر فى الجاهلية يُقدّم على الخطيب ،  
لفرط حاجتهم إلى الشعر الذى يُقيد عليهم مآثرهم ويفتحهم شأنهم ، ويهول على  
عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ، ويهابهم  
شاعرٌ غيرهم فيراقب شاعرهم . فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر  
مَكْسَبَةً ورحلوا إلى السوق ، وتسرعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيبُ عندهم  
فوق الشاعر . ولذلك قال الأول : « الشعر أدنى مروءة السرى ، وأسرى مروءة الدنى » .  
قال : ولقد وضعت قول الشعر من قدر الثابغة الذيباني ، ولو كان فى  
الذهر الأول ما زاده ذلك إلّا رفعة .

(١) انظر الحيلان ( ٣ : ٤٦ ) .

(٢) البيت من قصيدة مفضلية ( ٢ : ٨٤ - ٨٦ ) . الفهة : المي والسقطة والجهلة . والهاع : شدة

الحرص . ويروى :

الحرج والقوة خير من الـ إدهان والفكة والهاع  
(٣) هذه مما عدل .

وروى مجالد <sup>(١)</sup> عن الشعبي قال : ما رأيت رجلاً مثلي <sup>(٢)</sup> ، وما أشاء أن ألقى رجلاً أعلم مني إلا لقيته .

وقال الحسن البصري : يكون الرجل عابداً ولا يكون عاقلاً ، ويكون عابداً عاقلاً ولا يكون عالماً . وكان مسلم بن يسار <sup>(٣)</sup> عاقلاً عالماً عابداً .

قال : وكان يقال : « فقه الحسن ، وورع ابن سمين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة » .

قال : وذكرت البصرة ، فقليل : شيخها الحسن ، وفتاها بكر بن عبد الله المزني <sup>(٤)</sup> .

قال : والذين بثوا العلم في الدنيا أربعة : قتادة <sup>(٥)</sup> ، والزهرى <sup>(٦)</sup> ، ١٤٨ والأعمش <sup>(٧)</sup> ، والكلبي <sup>(٨)</sup> .

١٠ (١) هو مجالد بن سعيد المملاني ، أبو عمرو الكوفي النسابة ، يروي عن الشعبي ومسروق ، ويرى عنه الهيثم بن عدي . توفي سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب ( ١٠ : ٣٩ - ٤٠ ) والمعارف ٢٣٤ . وفي حواشي هـ عن نسخة : « جناب بن موسى عن مجالد »  
(٢) هـ « ما رأيت مثلي » .

(٣) مسلم بن يسار البصري الأموي المكي ، روى عن أبيه وابن عباس وابن عمر ، وروى عنه ابنه عبد الله وثابت البناني وابن سمين . وكان مفتي أهل البصرة قبل الحسن . توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفة ( ١ : ١٦١ ) .  
(٤) سبق الخبر في ص ١٠١ .

(٥) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، أحد المحدثين العباد الزهاد الثقفات . ولد سنة ٦١ وتوفي سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفة ( ٣ : ١٨٢ ) ، وتذكرة الحفاظ ( ١ : ١١٥ ) وابن خلكان ، ونكت المهيان . ٢٠

(٦) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، نسبة إلى زهرة بن كلاب : حافظ مدني . ولد سنة ٥٠ سنة ١٢٣ . تهذيب التهذيب وصفة الصفة ( ٢ : ٧٧ ) وتذكرة الحفاظ ( ١ : ١٠٢ ) وابن خلكان .  
(٧) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش ، كان قارئاً حافظاً عالماً بالفرائض ، ولد يوم ثقل الحسين ، يوم عاشوراء سنة ٦١ . وتوفي سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب وصفة الصفة ( ٣ : ٦٥ ) وتذكرة الحفاظ ( ١ : ١٤٥ ) وابن خلكان .

(٨) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد العزى الكلبي الكوفي النسابة المفسر ، قالوا : ليس لأحد أطول من تسمو . وتوفي بالكوفة سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب ، وابن خلكان ، وابن النديم ١٣٩ . ٢٥

وجمع سليمان بن عبد الملك بين قَتَادَةَ والزُّهْرِي ، فغلب قَتَادَةُ الزُّهْرِي ،  
فقليل لسليمان في ذلك ، فقال : إِنَّهُ فقيهٌ مليح . فقال القَحْطَمِيُّ <sup>(١)</sup> : لا ،  
ولكنه تعصَّبَ للقرشيَّة ، ولا نقطاعه كان <sup>(٢)</sup> إليهم ، ولروايته فضائلهم .  
وكان الأصمعي يقول : « وَصَلْتُ بالعلم ، ونلتُ بالمُلَاجِ <sup>(٣)</sup> » .

- وكان سهل بن هارون يقول : « اللسان البليغ والشعر الجيّد لا يكادان  
يجتمعان في واحد ؛ وأعسرُّ من ذلك أن تجتمع بلاغةُ الشعر ، وبلاغةُ القلم » .  
والمسجديّون <sup>(٤)</sup> يقولون : من تَمَنَّى رجلاً حَسَنَ العقل ، حَسَنَ البيان ،  
حَسَنَ العلم ، تَمَنَّى شيئاً عسيراً .

\*\*\*

(١) هو أبو عبد الرحمن الوليد بن هشام بن قحطم القحطمي ، ثقة من أهل البصرة ، يروي عن  
جابر بن عثمان ، وعنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ، توفي سنة ٢٢٢ . السمعاني ٤٤٣ ولسان  
الميزان ( ٢٢٧ : ٦ ) .

(٢) كلمة « كان » من هـ .

(٣) سبق هذا القول في ص ١٩٩ . وانظر الميزان ( ٤٦٧ : ٣ ) .

(٤) في حواشي هـ : « للمسجديّون هم الذين يلتزمون مسجد البصرة والكوفة . وانظر الميزان  
( ٦٣ : ٣ ) وما سبّأني في ٤ : ٢٣ .

## باب

وكانوا يعيبون التوك والعبي والحمق ، وأخلاق النساء والصبيان . قال الشاعر :

إذا ما كنت متخذاً خليلاً      فلا تتقن بكل أخى إخاء  
وإن تحيرت بينهم فالصيق      بأهل العقل منهم والحياء  
فإن العقل ليس له إذا ما      تفاضلت الفضائل من كفاء  
وإن التوك للأحساب داءً      وأهون دائه داء العياء  
ومن ترك العواقب مهملات      فأيسر سعيه سعى العناء  
فلا تتقن بالتوكى لشيء      وإن كانوا بنى ماء السماء (١)  
فليسوا قابلي أدب فدعهم      وكن من ذلك منقطع الرجاء

وقال آخر في التضييع والتوك :

ومن ترك العواقب مهملات      فأيسر سعيه أبداً ثياب (٢)  
فعرش في جد أنوك ساعدته      مقادير يخالفها الصواب (٣)  
ذهاب المال في حميد وأجر      ذهاب لا يقال له ذهاب

١٤٩

وقال آخر في مثل ذلك :

أرى زمناً نوكاه أسعد أهله      ولكنما يشقى به كل عاقل (٤)

١٥

(١) هـ : ولو . وفى حواشيا عن نسخة : « فلا تتقن من التوكى بشيء » . وبنو ماء السماء ، هم ملوك الشام ، أبوهم ماء السماء بن حنظلة الأزدى . قال :

أنا ابن منقيا عمرو ، وجدى      أبوهم عامر ماء السماء

يقال أيضاً لملك العراق بنو ماء السماء . وهو لقب أم المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن

ربيعة بن نصر المخزومي . قال زهير :

ولازمت الملوك من آل نصر      ويعدم بنى ماء السماء

(٢) هذا البيت من لقط . والتهاب : الخسران والهلاك .

(٣) فى عيون الأخبار ( ١ : ٣٢٩ ) « خالفته » مقادير يساعدها .

(٤) عيون الأخبار ( ١ : ٣٢٩ ) . وسيأتى فى ٤ : ٢٠ .

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته  
فكَبَ الأعلى بلارتفاع الأسافل  
وقال الآخر :

فلم أر مثل الفقر أَوْضَعَ للفتى  
ولم أر عزاً لامرئٍ كعشيرة  
ولم أر من عُدِمَ أَصْرٌ عَلَى امرئٍ  
وقال آخر :

تخامق مع الحمقى إذا ما لقيتهم  
وخلط إذا لاقيت يوماً مُحَلَّطاً  
فإني رأيتُ المرءَ يشقى بعقله  
وقال آخر (٥) :

وأنزلني طولُ الثوى دارَ غربة  
فحامقته حتى يقال سجيّة  
وقال بشر بن المعتير :

وإذا الغبى رأيته مستغنياً  
وأنشدني آخر :

وللدهر أيامٌ فكُنْ في لباسه  
وكن أكيس الكيسى إذا ما لقيتهم  
وإن كنت في الحمقى فكُن أنت أحمقاً (٦)

(١) الأبيات في عيون الأخبار ( ٣ : ١٩ ) وأملى نطب ٤٨٨ .

(٢) ما أتيت من لفظ رواية نطب . وفيما عدل : « عن الأمل » . وأشير في حاشية هلال رواية « الأصل » .

(٣) فيما عدل : « ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل » .

(٤) هذا البيت في ل قطع .

(٥) البيتان في عيون الأخبار ( ٣ : ٢٤ ) . وسيأتيان في ( ٢ : ٢٣٥ ، ٤ : ٢١ ) .

(٦) البيتان لعقيل بن علفة ، كما في الحماسة ( ٢ : ١٧ ) . ورواهما نطب في مجالسه مع ثالث

منسويين إلى ماجد الأسدي . ص ٥٠٢ .

(٧) في الحماسة وأملى وفيما عدل : « إذا كنت فيهم » .

وأنشدني آخر :

- ولا تفرق يا بنت عمى بوهة  
وإن كان أعطى رأس ستين بكوة  
ألا فاحذري لا تُوردنك هجمة  
وأنشدني آخر (٤) :
- من القوم دقتاً غيباً مفتداً (١)  
وحكماً على حكم وعبداً مولداً (٢)  
طوال الذرى جيساً من القوم قعدداً (٣)

٥

- كسا الله حتى تغلب ابنة وائل  
إذا ارتحلوا عن دار ضيم تعاذلوا  
وأنشدني آخر :
- من اللوم أظفاراً بطيئاً نصولها (٥)  
عليها وردوا وقد هم يستقيها

- وإن عتاء أن تفهم جاهلاً  
وقال جرير :
- ويحسب جهلاً أنه منك أفهم (٦)

١٠

- ولا يعرفون الشر حتى يصيهم  
وقال الأعرج المعنى الطائي (٨) :
- ولا يعرفون الأمر إلا تدبراً (٧)

(١) البوهة : الرجل الضعيف الطائش . والدقتا : الأحق . والمفتد : الضعيف الرأى والجسم .  
(٢) عني بالرأس العيوس .

(٣) الهجمة من الإبل : قبيب من المائة . يقول : لا تنزى بهذا الصداق . الجيس ، بالكسر : الجبان القدم .  
والقعدد ، بضم العين والدال وفتحهما ، وضم القاف وفتح الدال : الجبان القيم القاعد عن الحرب والمكلام .  
(٤) في حواشي هـ للخبثي : « هو عميق بن جميل أخو كعب بن جميل ، فيما ذكر ابن  
قتيبة » . وانظر الشعراء ٦٣٢ .

(٥) حيا تغلب ، الأرجح أنه أراد بهما أحياء تغلب كلها ، فعبر بالمتنى عن الجمع . ويجوز أن  
يكون أراد بهما أوساً وغنا ابني تغلب بن وائل . وفي نهاية الأرب ( ٢ : ٢٣٣ ) : « فالتعب في ثلاثة  
أفخاذ لصلبه : عموان وهم قليل ، ولؤس وغنم وفيه العدد واليت » .

(٦) البيت لصالح بن عبد القيس ، كما سيأتى في ( ٤ : ٧٢ ) .

(٧) سبق البيت والكلام عليه في ١٩٨ .

(٨) هو على بن عمرو بن سويد بن زيان بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن الطائي .

٢٥

شاعر جاهلي إسلامي . وهو القاتل :

تركتم الشعر واستبدلت منه إذا داعى صلاة الصبح قاما

كتب الله ليس له شريك وودعت اللذامة والتناما

انظر الإصابة ٣٧١٣ و ٦٤٠٩ ومعجم المرتزقي ٣٥١ وفي حاشية البحري ٤٧ أن قاتل الشعر الأعرج بن مالك المري .

لقد علم الأقوام أن قد فررتم ولم تبتدعوهم بالمظالم أولًا (١)  
 فكونوا كذاي ككرة بعد قرة ألا رب من قد قر ثمت أقبلا  
 فإن أنتم لم تفعلوا فبدلوا بكل مينان معشر الغوث معزلا (٢)  
 وأعطوهم حكم الصبي بأهله وإني لأرجو أن يقولوا بأن لا (٣)

ويقال : « أظلم من صبي » (٤) و « أكلب من صبي » و « أخرق  
 من صبي » . وأنشد :

ولا تحكما حكم الصبي فإنه كثير على ظهر الطريق مجاهله (٥)

قال : وسئل دغفل بن حنظلة ، عن بني عامر فقال : « أعناق طباء ،  
 وأعجاز نساء » . قيل : فما تقول في أهل اليمن ؟ قال : « سيد وأتوك » (٦) .

\*\*\*

١٠

(١) في جميع النسخ : « أن قد قدرتم » ، صوابه من حماسة البحري .

(٢) الغوث ، هم بنو الغوث بن أدد ، إخوة طيء بن أدد . فيما عدل : « معشر العرب »  
 صوابه في ل و حماسة البحري .

(٣) كتب بعد هذا البياض في ب ، ج : « أصله يياض » .

١٥

(٤) انظر الحيوان ( ٣ : ٤٧١ ) .

(٥) في حواشي : « أي أنه يظهر ما يجب أن يخفى ، ولا يبالى بذلك » .

(٦) الأتوك : الأحمق ، وجهه التركي .

## باب

## في ذكر المعلمين (١)

ومن أمثال العامة : « أحمق من معلم كتاب » . وقد ذكرهم صقلاّب فقال :

وكيف يُرجى الرأى والعقل عند من يُروح على أنثى ويغدو على طفل (٢)

وفي قول بعض الحكماء : « لا تستشيروا معلماً ولا راعى غنم ولا كثير ١٥١  
القعود مع النساء » . وقالوا : « لا تدع أم صبيك تصرّيه ؛ فإنه أعقل منها وإن  
كانت أسن منه » . وقد سمعنا في المثل : « أحمق من راعى ضأن ثمانين (٣) » .  
فأما استحماق رعاة الغنم في الجملة فكيف يكون ذلك صواباً وقد رعى الغنم  
عدة من جلة الأنبياء صلى الله عليهم . ولعمري إن الفدادين من أهل الوبر ورعاة  
الإبل ليتنبئون (٤) على رعاة الغنم ، ويقول أحدهم لصاحبه : « إن كنت كاذباً  
فحلبت قاعدا » . وقال الآخر :

ترى حالب الجعزى إذا صرّ قاعدا وحالبهن القائم المتطاوّل (٥)

(١) كتبت بحثاً عناته « الجاحظ والمعلمون » في عدد أغسطس سنة ١٩٤٦ من مجلة الكتاب .

(٢) ورد البيت بدون نسبة في عيون الأكيكر ( ٢ : ٥٤ ) .

(٣) انظر الحيوان ( ٥ : ٤٨٨ ) . وروى الميداني في ( ١ : ٢٠٥ ) روايتين أخريين عن الجاحظ في  
هذا المثل : « أشقى من راعى ضأن ثمانين » و « أشقى من مرضع بهم ثمانين » . وروى عن الجاحظ في  
اللسان ( ثمن ) : « أشقى من راعى ضأن ثمانين » . ولم أجد هاتين الروايتين فيما بين يدي من كتيبه . وروى  
في اللسان عن ابن خالويه : « أحمق من طالب ضأن ثمانين » . وذكر أصل المثل . وهذه الرواية الأخيرة رويت  
في الميداني عن أبي عبيد ، وذكر لها أصلاً غير أصل ابن خالويه .

(٤) ب ، ج : « ليتلون » ، التيمورية « ليتلون » صوابهما ما أثبت من ل ، هـ .

(٥) الصر : أن يشد الضرع بالصرار لكلا يرضعها ولدها . وفي النسخ : « إذا صر » وليس له وجه .



وقال امرأة من غامد ، في هزيمة ربيعة بن مكرم <sup>(١)</sup> ، لجمع غامد وحده :  
 ألا هل أتاهما على نأبيها بما فضحت قومها غامد  
 تمنيتسُم مائتسُ فارس قردكم فارس واحد <sup>(٢)</sup>  
 فليت لنا بارتباط الحيو ل ضاناً لها حالب قاعد

\*\*\*

وقد سمعنا قول بعضهم : الحمق في الحكاة والمعلمين والغزاليين . قال :  
 والحكمة أقل وأسقط من أن يقال لها حمقى . وكذلك الغزاليون ؛ لأن الأحمق  
 هو الذى يتكلم بالصواب الجيد ثم يجيئ بخطأ فاحش ، والحائك ليس عنده  
 صواب جيد فى فعال ولا مقال ، إلا أن يجعل جودة الحياكة من هذا الباب ،  
 وليس هو من هذا فى شئ .

١٠

\*\*\*

(١) ربيعة بن مكرم بن عامر ، أحد فرسان مضر المملودين ، وشجعانهم المشهورين . انظر  
 أخباره فى الأغاني ( ١٤ : ١٢٥ - ١٣٤ ) .

(٢) انظر الرسالة المصرية لأبى العلاء الأندلسى فى نوادر المخطوطات ( ١ : ٣٦ ) وإخبار

العلماء للقفطى ١٤٣ .

### وباب منه آخر (١)

ويقال : فلان أحق . فإذا قالوا مائق ، فليس يريدون ذلك المعنى بعينه ، وكذلك إذا قالوا أتوك . وكذلك إذا قالوا رقيق . ويقولون : فلان سليم الصدر ؛ ثم يقولون عيسى ، ثم يقولون أبله . وكذلك إذا قالوا معتوه ومسلسوس وأشباه ذلك . ١٥٢

قال أبو عبيدة : يقال للفارس شجاع ، فإذا تقمّم [ في (٢) ] ذلك قيل بطل ، فإذا تقمّم شيئاً قيل بهمة ، فإذا صار إلى الغاية قيل آيس . وقال العجاج :  
\* آيس عن حوبائه سخي (٣) \*

وهذا المأخذ يجري في الطبقات كلها : من جود وبخل ، وصلاح وفساد ، ونقصان ورجحان . ومازلت أسمع هذا القول في المعلمين .

١٠ والمعلمون عندى على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة . فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل على بن حمزة الكسائي ، ومحمد بن المستنير الذى يقال له قطرب (٤) ، وأشباه هؤلاء يقال لهم حنفى ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التى دونهم . فإن ذهبوا إلى معلّمى

(١) هـ : وهذا باب آخر .

(٢) ليست فى جميع النسخ .

(٣) ديوان العجاج ٧٦ واللسان ( ليس ) . والحواش : النفس .

(٤) سمى قطرباً لأنه كان يكرى إلى سيوفه للأخذ عنه ، فإذا خرج سيوفه سحراً رآه على بابه ، فقال له يوما : ما أنت إلا قطرب ليل . والقطرب : دوية تدب ولا تفر . وأخذ عن النظم مذهب الاعترال ، ولا صنف كتابه فى الضمير أراد أن يقرأه فى الجامع فخاف من العامة وإنكسرهم عليه ؛ لأنه ذكر فيه مذهب أهل الاعترال ، فاستعان بجماعة من أصحاب السلطان ليتمكن من قراءته فى الجامع . وأخذ عنه ابن السكيت . وهو أول من ألف فى المثلثات . توفى ببغداد سنة ٢٠٦ . معجم الأدباء ، وبغية الرعاة ، ووفيات الأعيان ، وتاريخ بغداد ١٣٨٦ .

كتاتيب القرى فإن لكل قوم حاشية وسفلة ، فما هم في ذلك إلا كغيرهم . وكيف تقول مثل ذلك في هؤلاء وفيهم الفقهاء والشعراء والخطباء ، مثل الكميت ابن زيد ، وعبد الحميد الكاتب ، وقيس بن سعد <sup>(١)</sup> ، وعطاء بن أبي رباح <sup>(٢)</sup> ، ومثل عبد الكريم أبي أمية <sup>(٣)</sup> ، وحسين المعلم <sup>(٤)</sup> ، وأبي سعيد المعلم .

- ومن المعلمين : الضحّاك بن مزاحم <sup>(٥)</sup> . وأما معبد الجهنى <sup>(٦)</sup> وعامر الشعبي <sup>(٧)</sup> ، فكان يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان . وكان معبد يعلم سعيداً <sup>(٨)</sup> . ومنهم

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حلقة الأنصاري ، كان من النبي ﷺ وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمور ، وكان من دهاة العرب ، حارب في صفين مع علي ، ثم هرب من معاوية ، وتوفى في ولاية عبد الملك بن مروان . الإصابة ٧١٧١ وتهذيب التهذيب .

(٢) هو عطاء بن أبي رباح - واسمه أسلم - القرشي المكي . أدرك مائتين من الصحابة . وكان معلم كتاب فقيها ثقة . ولد سنة ٣٧ وتوفى سنة ١١٤ . تهذيب التهذيب ونكت الهميان ١٩٩ وابن خلكان .

(٣) هو عبد الكريم بن أبي الخارق - واسمه قيس ويقال طارق - أبو أمية المعلم البصري ، روى عن أنس وطولوس ونافع ، وعنه عطاء وبجاهد وأبو حنيفة . توفى سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب . وفي الأصول : « عبد الكريم بن أبي أمية » تحريف . انظر أيضاً المعارف ٢٣٨ .

(٤) هو الحسين بن ذكوان المعلم المعزى البصري . ترجم له ابن حجر في تهذيب التهذيب وأرجح وفاته سنة ١٤٥ . وانظر المعارف ٢٣٨ ، والسماعى ٥٤٠ ب .

(٥) هو أبو القاسم الضحّاك بن مزاحم الحلالى الخراساني ، روى عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم ، وكان معلم كتاب ، ذكر ابن قتيبة أنه كان لا يأخذ أجراً ، واشتهر بالتفسير . وهو ممن ولد وهو ابن ثلاثة عشر شهراً . توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٣٨ ، ٢٠١ ، ٢٥٧ والمقدّم ٢٣٤ .

(٦) هو معبد بن خالد - أو ابن عبد الله بن حكيم ، أو ابن عبد الله بن عمر - الجهنى القدرى . كان يجالس الحسن البصري ، وهو أول من تكلم بالبصرة في القدر فسلك أهل البصرة مسلكه . قتله الحجاج ابن يوسف صبراً . وذلك في سنة ٨٠ . تهذيب التهذيب . ( ١٠ - ٢٢٥ ) والسماعى ١٤٥ والمعارف ١٩٥ - ٢٣٨ ، ٢٦٨ .

(٧) سبق ترجمته في ج ١٩٤ .

(٨) سعيد بن عبد الملك بن مروان ، كان يلقب بسعيد الخير ، وإليه ينسب نهر سعيد ، وهو دون الرقة من ديار مصر ، وكان موضعه غيبة ذات سباع أقطعه لإيها الوليد أخوه ، فحفر النهر وعمر ما هناك ، المعارف ١٥٧ ، ومعجم البلدان .

أبو سعيد المؤدب<sup>(١)</sup> ، وهو غير أئى سعيد المعلم ، وكان يحدث عن هشام بن عروة<sup>(٢)</sup> وغيرهم . ومنهم: عبد الصمد بن عبد الأعلى<sup>(٣)</sup> ، وكان معلم ولد عتبة بن أئى سفيان . وكان إسماعيل بن علي<sup>(٤)</sup> ألزم بعض بني عبد الله بن المقفع ليعلمه . وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلما . ومنهم: محمد بن السكن<sup>(٥)</sup> . ]

وما كان عندنا بالبصرة رجلا نأرى لصنوف العلم ، ولا أحسن بيانا ، من أئى الوزير وأئى عدنان المعلمين ، وحالهما من أول ما أذكر من أيام الصبا وقد قال الناس في أئى البيداء<sup>(٦)</sup> ، وفي أئى عبد الله الكاتب<sup>(٧)</sup> ، وفي الحجاج ابن يوسف وأبيه ما قالوا . وقد أنشدوا مع هذا الخير شاهدا من الشعر على أن الحجاج وأباه كانا معلمين بالطائف<sup>(٨)</sup>

\*\*\*

(١) اسمه محمد بن مسلم بن أئى الوضاح ، أبو سعيد المؤدب الجزرى نزيل بغداد . ضمه المنصور إلى المهدي ، ثم ضم بعده إليه سفيان بن حسين ، وكان كذلك معلم موسى الهادي الخليفة قبل أن يستخلف . ومات في خلافته . تاريخ بغداد ١٣٤٦ وتهذيب التهذيب والمعارف ٢٣٩ .

(٢) هو أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي<sup>٩</sup> ، ولد هو والأعمش سنة مقتل الحسين ٦١ وتوفي سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب .

(٣) عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني ، كان يتهم بالزندقة ، وكان يؤدب أيضا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويقال إنه هو الذى أسفده ، ذكر ذلك الطبري في تاريخه . لسان الميزان (٤: ٢١) والطبري (٨: ٢٨٨) .

(٤) هو إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس ، وهو عم السفاح والمنصور . ولى أئى جعفر فارس والبصرة . المعارف ١٦٣ .

(٥) محمد بن السكن مؤذن مسجد بني شقرة ، من ضعاف المحدثين . لسان الميزان (٥: ١٨١) - (١٨٢) . هنا ، وإن هذه التكملة التى بدأت في ص ٢٥١ ص ٥ لم ترد في ل ، وهى ثابتة في سائر النسخ .

(٦) أبو البيداء الرهاى ، سبقت ترجمته في ص ٦٦ .

(٧) ذكره ابن قتيبة في أسماء المعلمين ، في المعارف ٢٣٨ ، بلقب « كاتب الرسائل » .

(٨) روى هذا الشعر في المعارف ٢٣٨ - ٢٣٩ والشراء (١: ٣١٤) طبع الحلي ، والكامل

٢٥٠ - قال مالك بن الرب :

فلما عسى الحجاج يبلغ جهده      إذا نحن جاوزنا حقير زهاده  
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف      كما كان عبدا من عبيد إيلاد =

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول .

قالوا : أحقُّ الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكمُ جاهل .

قال : وكتب الحجاج إلى المهلب يُعجله في حرب الأزارقة  
ويُسَمِّعه <sup>(١)</sup> ، فكتب إليه المهلب : « إن البلاء كلُّ البلاء أن يكون الرَّأْيُ لمن  
يَمْلِكُه دون من يُصِرُّه » .

\*\*\*

= زمان هو العبد المقر بهله يولوح غلمان القرى ويغادى  
وقال آخر فيه :

أنهى كليب زمان الخزال وتعلمه سورة الكونشر  
رغيف له فلانة ما ترى وآخر كالقمر الأزهر

(١) التسميع : أن يتد به ويشهره ويفضحه ويسمعه القبيح .

### وباب آخر

وقال بعض الرائيين <sup>(١)</sup> من الأدباء ، وأهل المعرفة من البلغاء ممن يكره التشاؤم والتعق ، ويغض الإغراق في القول ، والتكلف والاجتلاب <sup>(٢)</sup> ، ويعرف أكثر أدواء الكلام ودوائه ، وما يعترى المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول ، ١٥٣ وما يعرض للسامع من الاقتان بما يسمع ، والذي يورث الاقتدار من التهكم والتسلط ، والذي يمكن الحاذق والمطبوع من التهميه للمعاني ، والحلاية وحسن المنطق ، فقال في بعض مواعظه : « أنزلكم حسن الألفاظ ، وحلاوة مخارج الكلام ؛ فإن المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً ، ومنحه المتكلم دلاً متعشقا ، صار في قلبك أحلى ، ولصدرك أملاً . والمعاني إذا كسيبت الألفاظ الكريمة ، وألبست <sup>(٣)</sup> الأوصاف الرفيعة ، تحولت في العيون عن مقادير صورها ، وأزيت على حقائق أقدارها ، بقدر ما زينت ، وحسب ما زخرفت . فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض <sup>(٤)</sup> وصارت المعاني في معاني الجوارى والقلب ضعيفاً ، وسلطان الهوى قوى ، ومدخل الخلد للشيطان خفي » .

فاذكر هذا الباب ولا تنسه ، ولا تفرط فيه ؛ فإن عمر بن الخطاب رحمه الله لم يقل للأحنف بن قيس - بعد أن احتبسه خولاً مجرمًا <sup>(٥)</sup> ؛ ليستكثر منه ، وليبالغ في تصفح حاله والتتقير عن شأنه - : « إن رسول الله ﷺ قد كان خوفاً كل منافق عليم ، وقد خفت أن تكون منهم » إلا لما كان

(١) الرائي : العالم الراسخ في العلم ، أو العالم العامل المعلم . ل ، هـ : « الديانين » . والديان : الحاكم والقاضي . حـ : « التيمورية » : « الرائيين » تحريف . والصواب ما أثبت من ب .

(٢) الاجتلاب : أن يجلب معاني سواء لغوه في معانيه . ل : « الاجتلاب » .

(٣) ل : « وأكسبت » .

(٤) المعارض : جمع معرض ، وهو كمنبر ، ثوب تحل فيه المجانية .

(٥) حول مجرم : تام كامل .

راعه من حُسن منطقه ، ومال إليه لما رأى من رِقته وقلة تكلفه ؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ : « إنَّ من البيان لسحرا » . وقال عمر بن عبد العزيز لرجل أحسن في طلب حاجة وتأتى لها بكلام وجيز ، ومنطق حسن : « هذا والله السحرُ الحلال » . وقال رسول الله ﷺ : « لا خِلابة <sup>(١)</sup> » .

- فالقصد في ذلك أن تجتنب السوقى والوحشى ، ولا تجمل همك في تهذيب الألفاظ ، وشغلك في التخلص إلى غرائب المعاني . وفي الاقتصاد بلاغ ، وفي التوسط مجانبة للوعورة ، وخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه . وقد قال الشاعر :

عليك بأوساط الأمور فإثها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صغبا

وقال الآخر :

- ١٠ لا تذهبن في الأمور فرطاً <sup>(٢)</sup> لا تسألن إن سألت شططاً

وكن من الناس جميعاً وسطاً

وليكن كلامك ما بين المُقَصِّر والغالى ؛ فإنك تسلم من المهنة <sup>(٣)</sup> عند العلماء ، ومن فتنة الشيطان .

- وقال أعرابيٌ للحسن : عَلَّمْنِي ديناً وَسُوطاً ، لا ذاهباً شَطُوطاً ، ولا هابطاً هَبُوطاً . فقال له الحسن : لئن قلتَ ذاكَ إنَّ خيرَ الأمور أوسطُها . ١٥ وجاء في الحديث : « خالطوا النَّاسَ وزايلوهم » .

(١) الخِلابة ، بالكسر : الخداعة ، وقيل الخديعة باللسان . وفي الحديث أنه قال لرجل كان يمدح في يمينه : « إذا بايحت قتل لا خِلابة » .

(٢) الفُروط ، بالتحريك : المتقدم ، رجل فُروط ، وقوم فُوط .

(٣) فيما عدل ل : « المهنة » .

وقال علي بن أبي طالب رحمه الله : « كن في الناس وَسَطاً وَاَمْشِ جَانِباً » .  
 وقال عبد الله بن مسعود في خطبته : « وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ، وَمَا قُلٌّ  
 وَكَفَى خَيْرٌ مِّمَّا كَثُرَ وَالْهَى . نَفْسٌ تُنْجِيهَا ، خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُخْصِيهَا » .  
 وكانوا يقولون : اكره الغلو كما تكره التقصير .

° وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : « قولوا بقولكم ولا يستخوذن  
 عليكم الشيطان » . وكان يقول : « وهل يكُبُّ الناسَ على مَنَاحِرِهِمْ فِي نَارِ  
 جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » .

...



## باب

من الخطب القصار من خطب السلف ، ومواعظ من مواظ  
التسائك ، وتأديب من تأديب العلماء

قال رجل لأبي هريرة النحوى : أريد أن أتعلّم العلم وأخاف أن أضيعه .  
فقال : « كفى بترك العلم إضاعة » .

وسمع الأحنف رجلاً يقول : « التعلّم فى الصغر كالنقش فى الحجر » ،  
فقال الأحنف : « الكبير أكبر عقلاً ، ولكنه أشغل قلباً » .

وقال أبو الدرداء : مالى أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون .

وقال رسول الله ﷺ : « إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ،

١٥٥ ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتّخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا  
فأفتوا بغير علم ، فضلّوا وأضلّوا » .

قالوا : ولذلك قال عبد الله بن عباس رحمه الله ، حين دلى زيد بن

ثابت فى القبر ، رحمه الله : « من سرّه أن يرى كيف ذهاب العلم فلينظر ،  
فهكذا ذهابه <sup>(١)</sup> » .

١٥ وقال بعض الشعراء فى بعض العلماء :

أبعثت من يومك الفرار فما جاوزت حيث انتهى بك القدر <sup>(٢)</sup>  
لو كان يُنجى من الردى حنرٌ نجاك ممّا أصابك الحنرُ  
يرحمك الله من أخى ثقة لم يك فى صفو ودّه كثرُ  
فهكذا يفسد الزمان ويفتّى الـ حلمُ منه ويترسُّ الأثر <sup>(٣)</sup>

(١) ل : « ذهابه » .

(٢) الأبيات اختطها أبو تمام فى الحماسة ( ١ : ٤٣٧ ) ونسبها لرجل من بنى أسد ونسبت فى

وفيات الأعيان ( ١ : ١٦٥ ) لى أبى يحيى محمد بن كرامة . وانظر ابن النديم ١٣٥ .

(٣) فى الحماسة : « فهكذا يذهب الزمان » .

قال : وقال قتادة : لو كان أحد مكفياً من العلم لا كُتِبَ نبيُّ الله موسى عليه السلام ، إذ قال للعبد الصالح : ﴿ هَلْ أُبْعِدُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ .

أبو العباس التميمي قال : قال طائوس : « الكلمة الصالحة صلقة » .  
وقال ثمامة بن عبد الله بن أنس <sup>(١)</sup> ، عن أبيه ، [ عن جدّه <sup>(٢)</sup> ] ،  
عن رسول الله ﷺ أنه قال : « فضلُ لسانِكَ يُعَبِّرُ به عن أخيك الذي لا لِسَانَ له صلقة <sup>(٣)</sup> » .

وقال الخليل : « تكثّر من العلم لتعرف ، وتقلل منه لتحفظ » .  
وقال الفضيل <sup>(٤)</sup> : « نعت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقاها إلى أخيه » .

وكان يقال : يكتب الرجل أحسن ما يسمع ، ويحفظ أحسن ما يكتب .  
وكان يقال : اجعل ما في كتبك بيت مال ، وما في قلبك للثقة .  
وقال أعرابي : حَرَفٌ في قلبك خير من عشرة في طومارك <sup>(٥)</sup> .  
وقال عمر بن عبد العزيز : « ما قَرِنَ شيء إلى شيء أفضل من جُلِمَ إلى علم ، ومن عَفُو إلى قُلْدرة » .

(١) ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري البصري القاضي ، روى عن جده أنس وأبي هريرة . تهذيب التهذيب . وفي الأصل : « عبد الله بن ثمامة بن أنس » تعرف .  
وجاء الحديث بسنده في ( ٢ : ٣٩ ) . وقلته هناك « ثمامة بن أنس » ، نسبة إلى جده .  
(٢) الكلمة مما سيأتى في ( ٢ : ٣٩ ) .

(٣) كلمة « الذي لا لسان له » ليست في ل . وستأتى في ( ٢ : ٣٩ ) .  
(٤) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ، الزاهد الخراساني ، ولد بخراسان وقدم الكوفة وهو كبير ، ثم انتقل إلى مكة ، ومات بها سنة ١٨٧ ، وكان في أول أمره شاطرا ، ثم صار إلى الزهد والمباذلة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ( ٢ : ١٣٤ ) .  
(٥) الطومار : الصحيفة ، قال ابن سيده : « أراده عريها محضا ، لأن سبويه قد اعتد به في الأبيية » .

وكان ميمون بن مبياه <sup>(١)</sup> ، إذا جلس إلى قوم قال : إِنَّا قَوْمٌ مُنْقَطِعُونَ ، فحدثونا أحاديث نتجمل بها .

قال : وقهر سليم مولى زياد ، بزياد عند معاوية ، فقال معاوية : اسكت ، ١٥٦ فوالله ما أدرك صاحبك شيئاً بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني .

- وضرب الحجاج أعناق أسرى ، فلما قدموا إليه رجلاً لتضرب عنقه قال : والله لئن كُنَّا أسأنا في الذنب فما أحسنت في العفو ! فقال الحجاج : أف لهذه الجيف ، أما كان فيها أحد يحسن مثل هذا الكلام ! وأمسك عن القتل . وقال بشير الرجال <sup>(٢)</sup> : « إني لأجد في قلبي حراً لا يُذهبه إلا برد العدل أو حرُّ السنن » .

- ١٠ قال : وقدموا رجلاً من الخوارج إلى عبد الملك بن مروان لتضرب عنقه ، ودخل على عبد الملك ابن له صغير قد ضربته المعلم ، وهو يكي ، فهمم عبد الملك بالمعلم ، فقال له الخارجي : دَعُوهُ يكي فإنه أفتح لجِرمه <sup>(٣)</sup> ، وأصحُّ لبصره ، وأذهب لصورته . قال له عبد الملك : أنا يشعلك ما أنت فيه عن هذا ؟ قال الخارجي : ما ينبغي لمسلم أن يشعله عن [قول <sup>(٤)</sup>] الحق شيء ! فأمر بتخليه سبيله .
- ١٥ قال : وقال زياد على المنبر : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يقطع بها ذنبٌ عنزي مصور <sup>(٥)</sup> ، لو بلغت إمامه سفكٌ بها دمه <sup>(٦)</sup> » .

(١) سياه ، بكسر السين وفتح الياء المخففة ، كما في التقريب . وميمون بصرى ، كنيته أبو بحر ، روى عن أنس والحسن ، وكان يقال إنه سيد القراء . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة ( ٣ : ١٥٤ ) .

(٢) فيما عدل : « الرجال » بالخاء المعجمة .

(٣) الجرم ، بالكسر : الخلق . والخير في البخلاء ٦ معزى إلى بعض الحكماء

(٤) هذه مما عدل له .

(٥) المصور : التي انقطع لبنها ، والمصر ، بالفتح : قلة اللبن .

(٦) وكذا جاء الخير في اللسان ( ٧ : ٣٣ ) . ل : « سفك دمه » . وهذا الخير في هـ ورد بعد

بيت الشعر التالي .

قال : وقال إبراهيم بن أدهم <sup>(١)</sup> : « أعرينا كلامنا فما نلحن <sup>(٢)</sup> ،  
ولحنّا في أعمالنا فما نُعرب حرفاً » . وأنشد :

نرُقع دُنْيَانَا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرُقع <sup>(٣)</sup>

قال : وعزّل عمرُ زياداً عن كتابية أبي موسى الأشعري ، في بعض  
قَدَمَاتِهِ ، فقال له زياد : أعن عجز أم عن خيانة ؟ قال : لا عن واحدةٍ منهما ،  
ولكنّي أكره أن أُحْمَلَ على العامة <sup>(٤)</sup> فَصَلَّ عَقْلِكَ .

قال : وبلغ الحجاجُ موثُ أسماءَ بنِ خارجة فقال : هل سَمِعْتُم بالذي  
عاشَ ما شاء ومات حين شاء !

قال : وكان يقال « كَثُرَ الجماعةُ خيراً من صَفْوِ الفرقة » .

قال أبو الحسن : مرَّ عمر بن ذر <sup>(٥)</sup> ، بعبد الله بن عَيَّاش  
المتوف <sup>(٦)</sup> ، وقد كان سَبَقَهُ عليه فَأَعْرَضَ عنه ، ففعلَ بشبهه ثم قال له :  
« يا هَنَاءُ ، إنا لم نجدْ لك أَنَّ عَصِيَّتَ اللهَ فينا خيراً من أن نطيعَ اللهَ فيكَ » .  
وهذا كلامُ أَخْذِهِ عُمَرُ بنَ ذَرٍّ ، عن عمر بن الخطاب رحمه الله . قال عمر :

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور المجلد البلخي الزاهد ، وكان ذا ثروة عريضة ، ثم  
رضى الدنيا وصر إلى الزهد . توفي في بلاد الروم سنة ١٦١ . تهذيب التهذيب وصفه الصفوة ( ٤ : ١٢٧ ) .

(٢) في جميع النسخ : « فما نلحن حرفاً » . وكلمة « حرفاً » مقحمة ، لم ترد في رواية ابن  
الجوزي ( ٤ : ١٣١ ) ولا فيما سيأتى في ( ٢ : ٢٢٠ ) .

(٣) البيت منسوب إلى ابن أدهم في العقد ( ٢ : ١١٥ ) وعين الأخبار ( ٢ : ٣٣٠ ) . وانظر  
عائن البقي ( ٢ : ٤٧ ) والمحيط ( ٦ : ٥٠٦ ) .

(٤) هـ عن نسخة : « الرعية » .  
(٥) هو أبو ذر عمر بن ذر بن عبد الله بن زروة الممثلة الكوفي ، كان رأساً في الإرجاء ،  
اختلف في توثيقه . توفي سنة ١٥٣ . تهذيب التهذيب .

(٦) هو أبو الجراح عبد الله بن عَيَّاش بن عبد الله الممثلة الكوفي ، المعروف بالمتوف ، روى  
عن الشعبي وغيره ، وروى عنه الهيثم بن عدي ، وكان راوية للأخبار والآداب ، وكان يتألم المنصور  
ويضحكه . لسان الميزان ( ٣ : ٣٢٢ ) .

« إني والله ما أدع حقاً لله لشكايه تظهر ، ولا لضبٍ يُحتمل <sup>(١)</sup> ، ولا لمحاباة بشرٍ ، وإني والله ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تُطيع الله فيه » .

قال : وكب عمر بن الخطاب إلى سعد أبي وقاص <sup>(٢)</sup> : « يا سعد ١٥٧

سعد بني أهيب <sup>(٣)</sup> ، إن الله إذا أحب عبداً حبه إلى خلقه ، فاعتبر منزلتك

من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أن مالك عند الله مثل ما لله عندك » .

قال : ومات ابن لعمر بن ذر فقال : « أي بُني ، شغلني الحزن لك ،

عن الحزن عليك » .

وقال رجلٌ من بني مُجاشع : جاء الحسنُ في دمٍ كان فينا ،

فخطب <sup>(٤)</sup> فأجابهُ رجلٌ فقال : قد تركتُ ذلك لله ولوجهكم . فقال

الحسن : لا تقل هكذا ، بل قل : لله ثم لوجهكم . وأجرك الله . ١٠

وقال : ومَرَّ رجلٌ بأبي بكرٍ معه ثوبٌ ، فقال : أتبيع الثوب ؟ فقال :

لا عافاك الله . فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه : لقد علّمت <sup>(٥)</sup> لو كنتم تعلمون .

قل : لا ، وعافاك الله .

قال : وسأل عمرُ بنُ الخطاب رجلاً عن شيءٍ فقال : الله أعلم . فقال

عمر : لقد شقينا إن كنّا لا نعلم أن الله أعلم . إذا سئِلَ أحلكم عن شيءٍ ١٥

لا يعلمه فليقل : لا أدري <sup>(٦)</sup> .

(١) الضب ، بالفتح والكسر : الغيظ والحقد . فيما عدل : « لضب » . وأشهر في حواشي هـ

إلى رواية « لضب » عن نسخة .

(٢) هو سعد بن مالك بن أهيب - ويقال وهيب - بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي

الزهري ، أحد العشرة وآخرهم موتاً ، وهو كذلك أحد الستة أهل الشورى . ولده عمر الكوفة ثم ولده عثمان ، ٢٠

ثم عزله بالوليد بن عقبة . توفي بالمدينة سنة ٥٥ الإصابة ٣١٨٧ .

(٣) ل ، هـ : وهيب ، والحير في رسائل الجاحظ ( ١ : ٢٩٥ ) .

(٤) فيما عدل : « جاء الحسن يخطب في دم فينا » . لكن في هـ : « كان الحسن » .

(٥) ل : « فقال قد علمته » .

(٦) فيما عدل : « لا علم لي » .

وكان أبو الدرداء يقول : أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى أَنْ أَظْلِمَهُ مَنْ لَا يَسْتَعِينُ عَلَى بَاحِدٍ إِلَّا بِاللَّهِ .

وذكر ابن ذَرٍّ <sup>(١)</sup> الدُّنْيَا قَال : كَأَنَّكُمْ زَادَكُمْ <sup>(٢)</sup> فِي حِرْصِكُمْ عَلَيْنَا ذَمُّ اللَّهِ لَهَا .  
وَنَظَرَ أَعْرَأَى إِلَى مَالٍ لَهُ كَثِيرٌ ، مِنْ الْمَاشِيَةِ وَغَيْرِهَا ، فَقَالَ : « يَتَعَمَّ ،  
• وَلِكُلِّ يَتَعَمَّ اسْتَحْشَافٌ <sup>(٣)</sup> » . فَبَاعَ مَا هُنَاكَ مِنْ مَالِهِ ، ثُمَّ يَتَمَّ <sup>(٤)</sup> نَغْرًا عَنْ  
نَعُورِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْمَوْتُ <sup>(٥)</sup> .  
قَالَ : وَتَمَنَّى قَوْمٌ عِنْدَ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ <sup>(٦)</sup> ، فَقَالَ : أَتَمْنَى كَمَا تَمَنَّى ؟ قَالُوا :  
تَمَنَّى . قَالَ : « لَيْتَنَا لَمْ نُخْلَقْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ خُلِقْنَا لَمْ نَعْصِ ، وَلَيْتَنَا إِذْ عَصَيْنَا لَمْ  
نَمُتْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ مِتْنَا لَمْ نُبْعَثْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ بَعَثْنَا لَمْ نُحَاسَبْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ حُوسِبْنَا لَمْ  
نُعَذَّبْ ، ، وَلَيْتَنَا إِذْ عَذِّبْنَا لَمْ نُخْلَدْ » . ١٠

وقال الحجاج : « لَيْتَ اللَّهِ إِذْ خَلَقْنَا لِلْآخِرَةِ كَفَانَا أَمَرَ الدُّنْيَا ، فَرَفَعَ عَنَّا  
الْهَمَّ بِالْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَنْكَحِ . أَوْ لَيْتَهُ إِذْ أَوْقَعْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَفَانَا  
أَمَرَ الْآخِرَةِ ، فَرَفَعَ عَنَّا الْإِهْتِمَامَ بِمَا يَنْجِي مِنْ عَذَابِهِ » .  
فَبَلَغَ كِلَاهُمَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ حَسَنٍ بْنُ حَسَنِ ، أَوْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ،  
١٥ فَقَالَ : مَا عَلِمَا <sup>(٧)</sup> فِي التَّمَنَّى شَيْئًا ، مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ فَهُوَ خَيْرٌ <sup>(٨)</sup> .

وقال أبو الدرداء : مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا ، ١٥٨  
وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا .

(١) هو عمر بن ذر ، المترجم في ص ٢٦٠ .

(٢) هذا ما في هـ . وفي ل : « كَأَنَّهُ زَادَ » وفي سائر النسخ : « كَأَنَّمَا زَادَكُمْ » .

(٣) الاستحشاف : اليبس والتقيض . ل : « استحفاف » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « لَوَمَ » .

(٥) فيما عدا ل : « حَتَّى مَاتَ فِيهِ » .

(٦) سبقت ترجمته في ص ٢٠٤ .

(٧) ل : « مَا عَمِلَا » .

(٨) كلمة « فَهُوَ » بما عدا ل .

قال شريح <sup>(١)</sup> : « الحِدَّة كناية عن الجهل » .

وقال أبو عُبَيْدَة : « العارضة كناية عن البَدَاء » (٢) .

قال : وإذا قالوا فلانٌ مقتصدٌ فذلك كناية عن البخل ، وإذا قالوا للعامل مستقص فذلك كناية عن الجور .

وقال الشاعر <sup>(١)</sup> ، أبو تمام الطائي :

وَمَنْ لَهُ نَسَبٌ عَنْهُ لِهُ أَدَبٌ  
فِيكُمْ، وَفِي عَجَبٍ مِنْ زَهْرِكُمْ عَجَبٌ  
إِلَّا لِمَا جِئْتُمْ فِي أَلْفِكُمْ عَرَبٌ  
وَقِيلَ لِأَعْرَابِيَّةٍ مَاتَ ابْنُهَا : مَا أَحْسَنَ عَزَائِكَ عَنْ ابْنِكَ ؟ قَالَتْ : إِنَّ

١٠ مصيبة أمشي من المصائب بعده

قال : وقال سعيد بن عثمان بن عفان رحمه الله لطاوس المصنف (٤) : أينا أسنُّ أنا أم أنت يا طاوس (٥) ؟ قال : « بأبي أنت وأمي » ، لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب (٦) . فانظر إلى حذقه وإلى معرفته بمخارج الكلام ،

1. What is the main purpose of the document?

(١) هو أبو أمة شرع بن الحارث بن قيس الكندي الكوفي القباضي، كان من أولاد القمصر الذي كانوا ياجن، استنضاه عمر على الكوفة، ثم عثمان، وأقره على، وكان يقول له: أنت أفضى العرب، وولد زياد نضاه البصرة. توفي سنة ٧٢. الإصابة ٣٨٧٥، وتهذيب التهذيب، وصفة الصفة ٣: ٢٢٠-٢٢١ والمعارف

[illegible]

(۱۷) وقل القلوب ۱۱۲ رخصت کاف رخصت کاف  
 (۵) فیما عدا لوز طوس : وقل القلوب : : وكان یسعی طولیا فطما تحتم سی بطوس : ۲۵

(٦) انظر الخبر في الجواب (٢٨٤: ٩٨) :  $P_1 - P_2 = 33$  ربحاً في بعض الحالات (٥)

( ١٩ - البيان - أول )

كيف لم يقل : زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك . وهكذا كان وجهه الكلام قَلْبُ المعنى .

قال : وقال رجلٌ من أهل الشام : كنت في حلقة أوى مُسهر<sup>(١)</sup> ، في مسجد دمشق ، فذكرنا الكلامَ وبَراعته ، والصَّمْتَ ونِباله ، فقال : كَلَّا إن النُّجْم ليس كالقمر ، إنك تصِفُ الصَّمْتَ بالكلام ، ولا تصفُ الكلامَ بالصَّمْت . وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيباً : يا بني إذا قُلْتَ من الكلام أكثر من الصَّواب ، وإذا أَكثرت من الكلام أَقللت من الصَّواب . قال : يا أبه ، فإن أَكثرت وأكثرت ؟ - يعنى كلاماً وصواباً - قال : يا بُنَيَّ ، ما رأيتُ موعوظاً أَحَقُّ بأن يكون واعظاً منك !

قال : وقال ابن عباس : « لولا الوسواسُ ، ما بالَيْتُ ألا أكلُم الناس » . قال : وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « ما تستيقوه<sup>(٢)</sup> من الدنيا تجلوه في الآخرة » . وقال رجلٌ للحسن : إني أكره الموت . قال : ذاك أَنتُك أَتُحَرِّتُ مَالَك ، ولو قَدِمته لَسُرَّكَ أن تُلْحَقَ به .

قال : وقال عامر بن الظرب العلوي<sup>(٣)</sup> « الرأى نائمٌ ، والهوى يقظان ؛ فمن هُناك يغلِبُ الهوى الرأى<sup>(٤)</sup> » .

(١) هو أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى الدمشقي الضال ، وهو أحد من أشخص من دمشق إلى الأمويين فامتنعته في خلق القرآن ، فلما دعي له بالسيف قال : مخلوق ! فأمر بإشخاصه إلى بغداد فحبس بها ومات سنة ٢١٨ . ومولده سنة ١٤٠ . بهذيب التهذيب ، وتذكره الحفاظ ( ١ : ٢٤٣ ) وتاريخ بغداد : ٥٧٥ .

(٢) قِيَمًا عَمَلًا : « ما تستيقوه » . والاستيقاء : ترك البقية .

(٣) عامر بن الظرب العلوي ، أحد حكام العرب في الجاهلية ، قالوا : عمر مائتي سنة ، وفيه يقول ذو الإصبع العلوي :

وما حكم يقضى فلا يقضى ما يقضى

انظر المقيمين ٤٤ - « وأمثال الميثاق في : « إن المصاقرعت للذي الحلم » .

(٤) انظر الخمر في المعجمين ٤٨ - ٤٩ . ههنا قيل هُناك .



وقال : مكتوب في الحكمة : « اشكّر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكر لك » .

وقال بعضهم <sup>(١)</sup> : « أيها الناس ، لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا » .

وقال عبدُ الملك على المنبر : « ألا تُنصفوننا يا معشر الرعية ؟ تهلون منا سيرةً أبى بكر وعمر ولم تسيروا في أنفسكم ولا فينا بسيرة رعية أبى بكر وعمر ، أسأل الله أن يعين كلاً على كل » .

وقال رجلٌ من العرب : « أربع لا يشبهن من أربعة : أنثى من ذكر ، وعينٌ من نظر ، وأرضٌ من مطر ، وأذنٌ من خير » .

قال : وقال موسى ﷺ لأهله : ﴿ امْكُتُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ ، فقال بعضُ المعترضين : فقد قال : ﴿ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ . فقال أبو عقيل <sup>(٢)</sup> : « لم يعرف موقع التار من أبناء السبيل ، ومن الجائع المقرر »

وقال لبيد بن ربيعة :

ومقام ضيقي قرّجته بيان ولسانٍ وجَدَلٌ <sup>(٣)</sup>  
لو يقوم الغيلُ أو فيّالُه زَلَّ عن مثلي مقامي وزَحَلُ  
ولَدَى النعمانِ مِنّي موطنٌ بينَ فائورٍ أفاقٍ فالُدَحَلُ <sup>(٤)</sup>

(١) فيما عدا ل زيادة « وهو أبو الدرداء » .

(٢) الراجح أنه أبو عقيل السوقي . انظر الحيوان ( ٤ : ٧/٢٠٤ ) .

(٣) الأبيات من قصيدة طويلة في ديوانه ١١ - ١٧ طبع ١٨٨١ .

(٤) فائور : موضع أو وادٍ يتجدد . وأفاق : بالضم : موضع في بلاد بني يربوع . وأشد ياقوت البيت في الموضحين . والدحل : ماء بجيد . هـ : « فالُدَحَل » .

إِذْ دَعَنْتَنِي عَامراً أَنْصَرُّهَا فَاتَّقَى الْأَسْنُ كَالثَّيْلِ الدَّوْلُ (١)  
 فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رَشْقاً صَاتِياً لَيْسَ بِالْعَصْلِ وَلَا بِالْمَقْتَعِلِ (٢)  
 فَانْتَضَلْنَا وَابْنُ سَلَمَى قَاعِدٌ كَعَتَقِ الطَّيْرِ يُغْضِي وَيُجَلِّ (٣)  
 وَقِيلَ مِنْ لُكْنِي شَاهِدٌ رَهْطٌ مَرْجُومٌ، وَرَهْطُ ابْنِ الْمُعَلِّ (٤)  
 وَقَالَ لَيْدٌ أَيْضاً (٥)

وَأَبْيَضُ يَجْتَابُ الْحُرُوقَ عَلَى الرَّجَى خَطِئاً إِذَا تَفَّ الْجَمَاعُ فَاصِلاً (٦)

يجتاب : يفتعل من الجَوْب ، وهو أن يجوب البلاد ، أى يدخل فيها  
 ويقطعها . والحُرُوق : جمع خَرِقٍ ، والخَرِق : الفَلَاةُ الواسعة . والرجى : الحَفَا ، ١٦٠  
 مقصور كما ترى ؛ وأنه ليتوَجَّى في مشيته ، وهو وَج . وقال رؤبة :  
 • به الرِّذَايا من وَجٍ وَمُسْقَط (٧) • ١٠

(١) الثيل : السهام . والدول ، بالتحريك : المتداول .

(٢) الرشق : أن يرمى الرامي بالسهم كلها . أى ليس رمى بالعصل من السهام ، وهى  
 الموجهة . والمقتعل من السهام : الذى لم يربحاً جيداً . والييت في اللسان ( عصل ، قتل ) برواية :  
 • المقتعل • ، وفى ( قتل ) برواية البيان .

(٣) ابن سلمى هو النعمان بن المنذر . جاء في الحيوان ( ٤ : ٣٧٧ ) : • وَمُ النعمان سلمى  
 بنت الصائغ ، يهودى من أنباط الشام • . وجلى يصبو تحلية ، إذا رمى به كما ينظر الصقر إلى الشريد .  
 انظر اللسان ( ٢٠ : ١٦٤ ) والحيوان ( ٧ : ٤٧ ) .

(٤) لكيز بن أقصى بن عبد القيس . ومرجوم ، بالحيم ، اسمه شهاب بن عبد القيس . قال ابن دريد :  
 • وإنا سمى مرجوماً لأنه نافر رجلاً إلى النعمان فقال له النعمان : قد رجحتك بالشرف . فسعى مرجوماً • .  
 الاشتقاق ٢٠١ . وابن المعل ، وهو الجارود بن المعل ، كان سيد عبد القيس ، قدم على الرسول في وفد عبد القيس  
 الأخير سنة عشر ، وأسلم وحسن إسلامه الإصابة ١٠٣٨ والحيوان ( ١ : ٣٢٧ ) . والييت لم يرو في ديوان ليد .

(٥) ب : • وقال • فقط . ح والتمييزية : • وقال ليد • .

(٦) ديوان ليد ٢٦ طبع ١٨٨١ . ل : • فيصلاً • تحريف . التيميوية والديوان : • فاضلاً •  
 بالمعجمة . والوجه ما أثبت من ب ، ج . وقيل الييت :

وَلَنْ يَمْنَحُوا فِي الْحَرْبِ لَيْثاً مَجْزِئاً وَفَا ثَرْبٌ غَدَا الرِّهَّةَ بِأَفْلا

(٧) التفسير بعد الييت السابق إلى كلمة « الواسعة » من ل . وما بعدها إلى هنا من ل فقط .  
 والييت من أرجوزة رولها أبو عمرو والأصمعي لرقة ، ورولها ابن الأعرابي للمعانيج . ديوان رؤبة ٨٣ .

وقال أيضاً لييد (١) :

لو كان حي في الحياة مخلداً في الدهر أدركه أبو يكسوم (٢)  
والخارثان كلاهما وعرق فدعى الملامة وبغ غيرك إته  
ولقد بلوثك وابتليت تحليقتي ولقد كفالك معلبي تعليمي  
وله أيضاً :

ذهب الذين يعاش في أكتافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر  
يتأكلون مقالة وخيانة وعقاب قاتلهم وإن لم يشعب  
والخلف : البقية الصالحة من ولد الرجل وأهله . والخلف ضد هذا (٤) .

وقال زهد بن جندب ، في ذكر الشعب :  
ما كان أغنى رجالاً ضلّ سعيهم عن الجدال وأغناهم عن الشعب (٥)  
وقال آخر (٦) في الشعب :  
إني إذا عاقبت ذو عقاب وإن تشاغبتني فلو شغاب

(١) فيما عدل : هـ وقال لييد ٨٣ - ٨٤ طبع ١٨٨٠ .

(٢) أبو اليكسوم : كنية أبرهة ، الملك الحبشي صاحب القيل الذي وجه لحم الكمية . وفي  
السيرة ٤١ جوتنجن : ولما هلك أبرهة ملك الحبشة ملك ابنه يكسوم بن أبرهة . وبه كان يكنى هـ .  
وانظر الخويان ( ٧ : ١٠١ ) . وفي شرح الديوان : أدركه ، الهاء للتخيل هـ .  
(٣) الخارثان ، هما الخارث الأكبر والخارث الأصغر ، ملكان من ملوك الضمسانية بحرق ، هو عمرو بن  
هند ملك الحيرة ، لأنه حرق بني تميم . وهو كذلك لقب للخارث الأكبر الضمساني . انظر القاموس والمعجم  
( ٢ : ١٧٩ ) . وفي شرح الديوان أنه ملك من ملوك اليمن . وفارس اليموم ، هو النعمان بن المنذر .  
واليحوم : فرسه . انظر المعجم ( ٢ : ١٨٢ ) والخيل لابن الكلبي ٣١ ونهاية الأوب ( ١٠ : ٤٥ ) .  
وبدل هذا البيت وتاليه فيما عدل :

بكتائب بحري تنقذ كبشها تطح الكباش شبيهة بنجم

(٤) هذا التفسير في ل قبض .

(٥) انظر ما سبق من ٤٢ . ل : هـ قبل شخيم هـ ل : هـ . عن المختلبي هـ .

(٦) هو لقيط بن زبيل ، كما سيأتي ، في ( ٢ : ٢٧٦ ) .

وقال ابن أحرر بن العَمَرَد (١) :

وَكَمْ حَلَّهَا مِنْ ثِيحَانٍ سَمِيدِعٍ مُصَافِي التَّنْدَى سَاقِي يَهْمَاءٍ مُطْعِمٍ (٢)

- الثَّيْحَانُ : الذئب يعرض في كل شيء لِيُغْنَى فيه . وَالسَّمِيدِعُ :

الكَرِيمُ . وَالتَّنْدَى : السَّخَاءُ . وَالْيَهْمَاءُ : الْأَرْضُ الَّتِي لَا يُهْتَدَى فِيهَا لَطَرِيقٍ (٣) -

طَوَى الْبَطْنُ مِثْلَافٍ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا عَلَى الْأَمْرِ غَوَاصِي وَفِي الْحَيِّ شَيْظِيمٍ (٤)

وقال (٥) :

هَلْ لَأَمْنِي قَوْمٌ لِمَوْقِفِ سَائِلٍ أَوْ فِي مَخَاصِمَةِ اللَّجُوجِ الْأَصِيدِ

الْأَصِيدُ : السَّيِّدُ الرَّافِعُ رَأْسَهُ ، الشَّامِخُ بَأَنَفِهِ (٦) .

: ٦٦

وقال في التطبيق :

فَلَمَّا أَنْ بَدَأَ الْقَمَقَاعُ لَجَّثَ عَلَى شَرِّكَ تَنَاقُلَهُ يَقَالَا (٧)

١٠

تَعَاوَزَنَّ الْحَدِيثَ وَطَبَقَتْهُ كَمَا طَبَقَتْ بِالْأَثَلِ الْمِثَالَا

قال : وهذا التطبيق غير التطبيق الأول . وقال آخر (٨) :

لَوْ كُنْتُ ذَا عِلْمٍ عَلِمْتُ وَكَيْفَ لِي بِالْعِلْمِ بَعْدَ تَذُبُّرِ الْأَمْرِ

(١) هو ابن أحرر الباهلي ، واسمه عمرو بن أحرر بن العمرد بن عامر بن عمرو بن عبد بن فواص .

١٥ من شعراء الجاهلية الذين أدركوا الإسلام ، أسلم وغزا مغزى في الروم ، ونزل الشام ، وتوفى على عهد

عثمان . الإصابة ٦٤٦٠ والخزانة ( ٣ : ٢٨ ) والمؤلف ٣٧ .

(٢) الثيحان ، يفتح التاء وتشديد الياء المفتوحة والمكسورة . وكان سيوفه ينكر لغة الكسر .

(٣) هذا التفسير جميعه من ل فقط .

(٤) رجل طو : خال البطن جالغ . والشَيْظِيمُ : الطلق الوجه المش .

(٥) ل : وقال آخر : تمرف ، فإن البيت لابن أحرر ، كما سبق صرحا في ( ٢ : ١٧١ ) .

٢٠

(٦) هذا التفسير من ل فقط .

(٧) القمقاع : طريق يأخذ من البصرة إلى البحرين ، كان في الجاهلية . والشرك : الطرق التي

تخفى عليك ولا تستجمع لك ، فأنت تزلها وربما انقطعت ، غير أنها لا تخفى عليك وللتأخلة : سرعة نقل

الشيء . وضمر : تناقله ، لاهل ، كما في : وفاق أعذبه عنابا .

(٨) هو ابن أحرر الباهلي ، كما سبق في من ٥٠ .

٢٥

يعنى إِدْبَارُ الأَمْرِ (١) .

وقال المعترضُ على أصحابِ الخطابة والبلاغة :

قال لقمان لابنه : « أَيْ بُنَى ، إِيّى قد ندمْتُ على الكلام ، ولم أُنْكَمْ

على السُّكُوتِ » . وقال الشَّاعر :

• ما أنْ ندمْتُ على سكوتي مرَّةً ولقد ندمْتُ على الكلام مرارًا

وقال الآخر (٢) :

خَلُّ جَنَبِكَ لِرَأْمٍ وَاَمْضِ عَنْهُ بِسَلامٍ

مُتَّ بَدَاءُ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الكَلَامِ

إِنَّمَا المُسْلِمُ مَنْ أَلَّ جَحْمَ قَاهُ بِلِجَامٍ (٣)

• وقال الآخر (٤) في الاحتِراسِ والتَّحذِيرِ :

اخْفِضِ الصَّوْتُ إِن نَطَقْتَ بَلِيلٌ وَالتَفَتِ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الكَلَامِ

وقال آخر في مثل ذلك :

لا أَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي ضَمَائِهِمْ مَا فِي الضُّمِيرِ لَهُمْ مِنْ ذَاكَ يَكْفِينِي (٥)

وقال حمزة بن يَعض (٦) :

• لم يَكُنْ عَنِ جَنَائِي لِجَفَّتْنِي لا يَسَارَى ولا يَمِينِي جَشْنِي

بل جَنَاهَا أَخٌ عَلَيَّ كَرِيمٌ وَعَلَى أَهْلِهَا يَرِاقِشُ تَجْنِي

(١) هذا الشرح من ل. فقط .

(٢) هو أبو نواس ، كما في عيون الأخبار ( ٢ : ١٧٧ ) .

(٣) في عيون الأخبار : « إِنَّمَا السَّامِ » . والبيت ساقط من هـ .

(٤) هو أبان اللاحقى ، كما في الحيوان ( ٥ : ٢٤١ ) .

(٥) فيما عدل : « ما في ضميرى لهم منى سيكفينى » . وأشير في هـ إلى رواية « من ذاك » .

(٦) حمزة بن يعض الحنفى ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كوفى خليف ماجن . وكان

منقطعاً إلى المهلب بن أبى صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبى بردة ، واكتسب بشموه مالا

عظيماً بلغ ألف ألف درهم . الأغاني ( ١٥ : ١٤ - ٢٥ ) والمؤتلف ١٠٠ . و « يعض » بكسر الباء .

انظر تحقيق ذلك في شرح الحيوان ( ٥ : ٤٥٤ ) .





وقال آخر (١) :

فإن أنا لم آمر ولم أئه عنكما ضحكك له حتى يلج ويستشري  
وكيف يكون الصمت أنفع ، والإيثار له أفضل (٢) ، ونفعه لا يكاد  
يجاوز رأس صاحبه ، ونفع الكلام يعم ويخص ، والرواة لم ترو (٣) سكوت  
الضامتين ، كما روث كلام التاطقين ، وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت ،  
ومواضع الصمت المحمودة قليلة ، ومواضع الكلام المحمودة كثيرة ، وطول  
الصمت يفسد اللسان (٤) .

وقال بكر بن عبد الله المزني (٥) : « طول الصمت خبسة » كما قال  
عمر بن الخطاب رحمه الله : « ترك الحركة عقلة » .  
وإذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره ، وتبلدت نفسه ، وفسد جسده .  
وكانوا يروون صبيانهم الأرجاز ، ويعلمونهم المتأكلات ، ويأمرونهم برفع  
الصوت وتحقيق الإعراب ؛ لأن ذلك يفتق اللهاة ، ويفتح الجرم (٦) .  
واللسان إذا أكثر تقليبه رق ولان ، وإذا أقللت تقليبه وأطلت إساكنه  
جسماً وغلظ (٧) .

وقال غباية الجعفي (٨) : « لولا الذرية وسوء العادة لأمرت فتياننا (٩) أن  
يماري بعضهم بعضاً » .

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . انظر الحيوان ( ١ : ١٤ ) وأمال المرتضى  
( ٢ : ٦٠ ) وشطب ١٧ .

(٢) ل : « ولا يقال له أفضل » ، تحريف .

(٣) فيما علما التيمورية : « لم يروا » .

(٤) فيما علما ل : « البيان » .

(٥) نقلت ترجمته في ص ١٠٠ .

(٦) الجرم ، بالكسر : الخلق .

(٧) ل : « إساكنه » : بالناء . جسماً : يس وصلب .

(٨) لورد في الحيوان ( ٥ : ١٩٠ ) : « ما سرتني بتصبي من المنى حمر النعم » .

(٩) ل : « خياني » .



وأية جارحةٍ منعناها الحركة ، ولم نمرّنها على الاعتال ، أصابها من التعقّد على حسب ذلك المنع . ولم قال رسول الله ﷺ للتأبغة الجعدي : « لا يَفْضُضُ اللهُ فاك » ؟ ولم قال لكعب بن مالك : « ما نَسِيَ اللهَ لك مقالك ذلك <sup>(١)</sup> » ؟ ولم قال لهيذان بن شيخ <sup>(٢)</sup> : « رَبُّ خطيبٍ من عَبَسَ » ؟ ولم قال لحسان : « هَيَّجَ الغطاريف على بني عبد مناف <sup>(٣)</sup> » ، والله لَشِعْرُكَ أَشَدُّ عليهم من وَقَعِ السَّهَامِ ، في عَبَسَ الظَّلَام <sup>(٤)</sup> » ؟ وما نَشَكُّ أَنَّهُ عليه السلام قد نَهَى عن المِرَاءِ ، وعن التَزْيِدِ والتَكْلُفِ ، وعن كُلِّ ما ضَارَعَ الرِّياءَ والسُّمعةَ ، والتَّنْفِجَ والبَذْخَ <sup>(٥)</sup> ، وعن التَّهَاتُرِ والتَّشَاغِبِ ، وعن المماننة والمغالبة <sup>(٦)</sup> . فَأَمَّا نَفْسُ البَيَانِ ، فكيف يَنْهَى عنه .

وَأَيِّنَ الكلامِ كلامُ الله ، وهو الذي مَدَحَ الثَّبِينِ وأهلَ التَّفْصِيلِ <sup>(٧)</sup> وفي ١٠ هذا كفايةٌ إِنْ شاء الله .

وقال دَغَلُ بن حنظلة : إِنْ للعلم أربعة <sup>(٨)</sup> : آفة ، ونكدٌ ، وإضاعة ، واستجاعة . فأفقه النُّسيان ، ونكده الكَذِبُ ، وإضاعته وَضْعُهُ في غير موضعه ، واستجاعته أَنك لا تشيع منه .

وإنما عاب الاستجاعة لسوء تدبير أكثر العلماء ، ولخُرْقِ سياسة أكثر ١٥ الرُّواة ؛ لِأَنَّ الرُّواة إِذَا شَغَلُوا عقولهم بالازدياد والجمع ، عن تحْفُظِ ما قد حَصَّلوه ،

(١) الكلمة الأخيرة ليست في ل .

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة ٩٠٢٧ يرسم « هيذان بن منبج العبسي » . وأورد له هذا الخبر الذي رواه الجاحظ ثم قال : « ولم يتحرر لي ضبط والده » .

(٣) الغطاريف : أصله السيد الشريف . في الأصول ما عدا هـ : « من بنى » . وما أثبت من هـ يطابق ما في العناية للجاحظ ٢٤ . وانظر ما كتبت في حواشيا من تحقيق .

(٤) الغيش : شدة الظلمة . ل والعملة : « غلب الظلام » . وهي ظلمة آخر الليل .

(٥) التفج ، بالفتح ، والبخ بالتحرّك ، هما بمعنى الكبير .

(٦) المماننة : المعارضة في الجدل والخصومة .

(٧) فيما عدا ل : « التفضيل » ، بالضاد المعجمة ، تصحيف .

(٨) فيما عدا ل : « أربعا » . وانظر الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٣٦ .

وتدبر ماقد دونه ، كان ذلك الازدياد داعياً إلى التقصان ، وذلك الرّيح سبباً  
للخسران . وجاء في الحديث : « منهومان لا يشبعان : منهم في العلم ، ومنهم  
في المال » .

وقالوا : علّم علمك ، وتعلم علم غيرك ، فإذا أنت قد علمت ما جهلت ،  
وحفظت ما علمت .

وقال الخليل بن أحمد : اجعل تعلمك دراسة لعلمك ، واجعل مناظرة  
المتعلم تنبهاً على ما ليس عندك .

وقال بعضهم - وأظنه بكر بن عبد الله المزني - : لا تكثروا هذه  
القلوب ولا تهملوها ؛ فخير الفكر ما كان عقب الجّام <sup>(١)</sup> ، ومن أكره  
بصره عشي . وعابذوا الفكرة <sup>(٢)</sup> عند تبوّات القلوب ، واشخلّوها بالذاكرة ،  
ولا تياسوا من إصابة الحكمة إذا امتحنتم ببعض الاستغلاق ؛ فإن من أدام  
قرع الباب ولج .

وقال الشاعر :

إذا المرء أعيته السيادة ناشئاً فمطلبها كهلاً عليه شديد <sup>(٣)</sup>  
وقال الأحنف : « السؤدد مع السواد » . ويقول الحكماء : « من لم  
ينطق بالحكمة قبل الأربعين لم يبلغ فيها » . وأنشد <sup>(٤)</sup> :

ودون الندى في كل قلب نية لها مصعد حزن ومنحدر سهل <sup>(٥)</sup>  
وودّ الفتى في كل نيل ينيله إذا ما انقبض ، لو أن ناله جزل

(١) فيما عدل ، هـ : هـ فخر الكلام . والجسام ، كسحاب : الراحة .

(٢) فيما عدل : هـ : الفكر .

(٣) فيما عدل : هـ : أعيته المروءة .

(٤) ل : هـ : وأنشد قول الشاعر . وهو إسحاق الجهمي كما في الشعراء ٨٣٣ وزهر الآداب ( ٤ ) :

( ٢٠١ ) وما سيأتي في ( ٢ : ٣٥٢ ) . وانظر الحيوان ( ٢ : ٩٥ ) .

( ٥ ) ل : هـ : ودون العمل ، وما أثبت من سائر النسخ يطابق رواية الحيوان .

وقال المذلل<sup>(١)</sup> :

وإن سيادة الأقوام فاعلم لها صعداء مطلبها طويل<sup>(٢)</sup>  
أترجو أن تسود ولا تُعنى وكيف يسود ذو الدعة البخیل<sup>(٣)</sup>

١٦٥

صالح بن سليمان ، عن عتبة بن عُمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : « ما رأيت عقول الناس إلا وقد كاذ يتقارب بعضها من بعض<sup>(٤)</sup> ، إلا ما كان من الحجاج وإياس بن معاوية ، فإن عقولهما كانت تُرجح على عقول الناس » .

أبو الحسن قال : سمعت أبا الصغدي<sup>(٥)</sup> الحارثي يقول : كان الحجاج أحق ، بنى مدينة واسط في بادية التبت ثم حماهم دخولها<sup>(٦)</sup> . فلما مات دلفوا إليها من قريب .

١٠

وسمعت قحطبة الحنسي<sup>(٧)</sup> يقول : كان أهل البصرة لا يشكون أنه لم يكن بالبصرة رجل أعقل من عبيد الله بن الحسن<sup>(٨)</sup> ، وعبيد الله بن سالم .

وقال معاوية لعمرو بن العاصي : إن أهل العراق قد قرئوا بك رجلاً طويلاً اللسان ، قصير الرأي ، فأجيد الحز وطبق المفضل ، وإياك أن تلقاه برأيك كله .

(١) هو حبيب بن عبد الله المذل ، المعروف بالأعلم . انظر ديوان المذللين ٦٠ - ٦١ نسخة الشنيطي ، وشرح المذللين السكري ٦٣ - ٦٤ .

(٢) وكلنا روى في شعر المذللين وحيون الأخبار ( ١ : ٢٢٦ ) . ورواه في الحيران ( ٢ : ٩٥ ) برواية : « وإن سياسة » ، وكلنا في اللسان ( صحت ) . والصلحاء : الأكمة يشتد صعودها على الرق .

(٣) فيما عدل : « ولن تعنى » ، تحريف : وهذا البيت لم يرد في ديوان المذللين .

(٤) فيما عدل : « إلا قريبا بعضها من بعض » وهو ما سبق في ص ١٠٠ .

(٥) ب والتميمية : « الصغري » ج : « الصغري » وأثبت ما في ل ، ه وسعيد الجاسط هذا الخبر

في ( ٤ : ١٨ ) .

(٦) سياقي : « ثم قال لهم لا تدخلوها » وهو رواية ما عدل هنا .

(٧) الحنسي : نسبة إلى خنسين بن عمر بن مرة بن تغلب . فيما عدل : « الجشمي » .

(٨) نقلت ترجمته في ص ١٢٠ . ل : « عبيد الله » تحريف .

باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن  
الموجز المحدث ، القليل الفضول

قال الشاعر (١) :

لها بشرٌ مثل الحرير ومنطقٌ رقيق الحواشي لا هراء ولا نثر (٢)

وقال ابن أحر :

نضج الحديث على مواضعه وكلامها من بعده نثر

وقال الآخر :

حديث كطعم الشهيد حلو صدوره وأعجازه الخطبان دون المحارم (٣)

وقال بشر بن برد :

١٠ أنس غرائر ما هممن برية كطباء مكة صيهن حرام  
يحببن من أنس الحديث زوانياً ويصلهن عن الحنا الإسلام

ولبشار أيضاً :

فنعمن والعين حى كمنيت بحديث كنشوة الخندريس

ولبشار أيضاً :

١٥ وكان رفص حديثها قطع الرياض كسين زفرا (٤)

وتخال ما جمعت عليه ثيابها ذهباً وعطرا

وكان ثحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا ١٦٦

(١) هو ذو الرمة . ديوانه ٢١٢ وأمل القائل ( ١ : ١٥٤ ) واللسان ( هراً ) .

(٢) فى الديوان : « دقيق الحواشى » . وفى الأمل وما عدل : « رقيم الحواشى » .

(٣) الخطبان ، بالضم : نبت شديد المذاقة .

(٤) أنشده فى اللسان ( رفص ) على أن الرفض . بمعنى الجانب . وفى أمل القائل ( ١ : ٨٤ ) :

« وكان رصف » .

ولبشار العَقِيلِ :

وفتاة صَبَّ الجمالُ عليها      بحديث كلَّدة النشوان

وقال الأخطل :

فأسرَّين خمساً ثم أصبحن غُدوةً      يُخَيَّرْنَ أخباراً الذَّ من الخمر<sup>(١)</sup>

وقال بشار :

وبكر كُتُورِ الرِّياض حديثها      تُرُوقُ بوجهٍ واضحٍ وقوام

وقال بشار :

وحديث كأنه قَطَعُ الروض      وفيه الصَّفراءُ والحمراءُ

وأخبرنا عامر بن صالح أنَّ عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز<sup>(٢)</sup> كتب

إلى امرأته ، وعنده إخوان له ، بهذه الأبيات :

إِنَّ عِنْدِي أَبقاكِ رُبَّكَ ضيفاً      واجباً حَقَّهُمْ كُهولاً ومُرَدّاً

طَرُقُوا جَارَكَ الَّذِي كَانَ قِدماً      لَا يَرَى مِنْ كِرامَةِ الضَّيفِ بُلاً

فَلَدِيهِ أَضْيافُهُ قَدْ قَرَأَهُمْ      وَهُمْ يَشْتَهُونَ ثَمَراً وَرُثْلاً

فلهذا جرى الحديث ولكن قد جعلنا بعضَ الفكاهة جِداً<sup>(٣)</sup>

وأنشد الهذلي :

كُتُّوا الأحاديث عن ليلي إذا بَعُدَتْ      إِنَّ الأحاديثَ عن ليلي كَلْهِنِي

وقال الهذلي أيضاً<sup>(٤)</sup> :

(١) ديوان الأخطل ١٣٥ .

(٢) هو ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، كان أمير مكة والمدينة ، توفي سنة ١٤٤ .

تهذيب التهذيب .

(٣) فيما عدل : « الملاحظة » ، وأشير إلى هذه الرواية في هامش ه ، وهذه ضبطت بالضم في

القاموس ، وبالفتح في المصباح .

(٤) فيما عدل : « وقال الهذلي في حلاوة الحديث » . والهذلي هنا هو أبو ذؤيب - انظر ديوانه

١٤٠ واللسان ( طفل ) .

وإن حديثاً منك لو تبدلته جنى النحل أو ألبان عود مطافيل  
مطافيل أبكار حديث نناجها تُشَاب بماء مثل ماء المفاصيل

العود : جمع عائذ ، وهى الناقة إذا وضعت ، فإذا مشى ولدها فهى مُرْشِعٌ <sup>(١)</sup>  
فإذا تبعها فهى مُتْبِية ، لأنه يتلوها . وهى فى هذا كله مُطْفِل . فإن كان أوّل ولد <sup>(٢)</sup>  
ولدته فهى بِكْر . ماء المفاصيل فيه قولان : أحدهما أنّ المفاصل ما بين الجبلين  
واحدها مفصل ، وإنّما أراد صفاء الماء ؛ لأنه ينحدر عن الجبال ، لا يمرّ بطين  
ولا تُراب . ويقال إنّها مفاصيل البعير . وذكروا أنّ فيها ماءً له صفاء وعذوبة <sup>(٣)</sup>.

وفى الكلام الموزون يقول [عبد الله بن] معاوية بن عبد الله بن

جعفر <sup>(٤)</sup> :

الزم الصمت إنّ فى الصمت حُكماً وإذا أنت قلت قولاً فزته

وقال أبو ذؤيب :

وسيرب يطلى بالعير كأنه دماء ظباءٍ بالتحور ذبيح <sup>(٥)</sup>  
بذلت لمن القول إنك واجد لما شئت من حلو الكلام ، مليح <sup>(٦)</sup>

(١) يقال راسح ، ومرشع ، ومرشح بالتشديد أيضاً .

(٢) فيما عدل ، هـ : أوّل ولدها .

(٣) انظر مثيل هذا الكلام فى الحيوان ( ٢ : ٣٥٠ - ٣٥١ ) .

(٤) التكملة لما عدل . وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، كان من  
ضيان بنى هاشم وأجدادهم وشعرانهم ، وكان يرمى بالزندقة ، خرج بالكوفة فى آخر أيام مروان بن  
محمد ، ثم انتقل عنها إلى الجبل ثم خراسان ، فأخذته أبو مسلم قتلته ، الأعشى ( ١١ : ٦٣ - ٧٤ ) .

(٥) أنشده فى اللسان ( ذبيح ) وقال : ذبيح وصف للدماء . وفيه شيطان : أحدهما وصف  
للدّم بأنه ذبيح وإنما الذبيح صاحب الدّم لا الدّم . والآخر أنه وصف الجماعة بالواحد . فأما وصفه  
الدّم بالذبيح فإنه على حذف المضاف ، أى كأنه دماء ظباء بالتحور ذبيح ظبائه ، ثم حذف المضاف وهو  
الظباء ، فارتفع الضمير الذى كان مجزّواً ، لوقوعه موقع المرفوع المحذوف لما استتر فى ذبيح . وأما وصفه الدماء  
وهى جماعة بالواحد فالن فميلة يوصف به المذكر والمؤنث والواحد وما فوقه على صورة واحدة .

(٦) ل : لم القول أى واجد ، صوابه من سائر النسخ والديوان ١١٧ و : مليح : صفة  
واجد . عنى أنه يجد ما يشاء من حلو الكلام ، وأنه مليح أيضاً .

السَّربُ : الجماعة من النساء والبقر والطيور والظباء . ويقال فلان آمن السَّرب ، يفتح السين ، أى آمن للمسلك . ويقال فلان واسع السرب <sup>(١)</sup> وخلى السرب <sup>(٢)</sup> ، أى المسالك والمذاهب . وإنما هو مثل مضروب للصُّبر والقلب . وعن الأصمعي : فلان واسع السَّرب ، مكسور ، أى واسع الصدر ، بطلى الغضب <sup>(٣)</sup> .

وأنشد للحكم بن زحمان ، من بنى عمرو بن كلاب :  
يا أَجْدَلُ النَّاسِ إِنْ جَادَتْهُ جَدَلًا      وَأَكْثَرُ النَّاسِ إِنْ عَاتَبَتْهُ عِلَلًا  
كَأَنَّمَا عَسَلُ رُجْعَانُ مَنَظِّقَهَا      إِنْ كَانَ رَجُوعُ كَلَامٍ يَشْبَهُ الْعَسَلًا <sup>(٤)</sup>  
وقال القطامي <sup>(٥)</sup> :

وفى الخدور غماماتٌ بَرَقْنَ لَنَا      حَتَّى تَصِيدَنَّا مِنْ كُلِّ مُصْطَادٍ  
يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ      مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكُونُهُ بَادِي <sup>(٦)</sup>  
فَهَنْ يَنْبِذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبُ بِهِ      مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغَلَّةِ الصَّادِي  
يَنْبِذَنَّ يُلْقِينَ . الْغَلَّةُ وَالْغَلِيلُ : العطش [ الشديد ] <sup>(٧)</sup> . وَالصَّادِي :  
العطشان أيضاً ؛ وَالْأَسْمُ الصُّدَى . وَأَنْشَدَ لِلْأَخْطَلِ :  
شُمْسٌ إِذَا خَطِلَ الْحَدِيثُ أَوَّانِسٌ      يَرْقُبَنَّ كُلُّ مُجَنَّرٍ نِيبَالِ <sup>(٨)</sup>  
أَنْفٌ كَأَنَّ حَدِيثَهُنَّ تَنَادَمَ      بِالْكَأْسِ كُلِّ عَقِيلَةٍ مِكْسَالِ <sup>(٩)</sup>

(١) الكلام من « السرب » إلى هنا ساقط مما عدل ل ه .

(٢) فيما عدل ل : « وخلى السرب وواسع السرب » .

(٣) فيما عدل ل : « بطلى التأنيب » .

(٤) الرجعان ، بالضم : مصدر لرجع ، كالرجع والرجوع والرجعى .

(٥) ديوان القطامي ٨ .

(٦) هذا البيت فى ل فقط ، وهو ساقط من سائر النسخ . وفى الديوان : « ولا مكتوبه » .

(٧) هذه مما عدل ل .

(٨) البيتان لم يرويا فى ديوان الأخطل . ه ، ب ، ج : « كل مرقب » . وفى التيمورية : « كل

مجدل » ، كلاهما محرف ، صوابهما فى ل .

الشَّمْسُ : التَّوَابُرُ <sup>(١)</sup> . والتَّيَال : القصير <sup>(٢)</sup> . والأَنْف : جمع أَنْفَةٍ ،

وهي الْمُتَكِرَّة لِلشَّيْءِ غَيْرِ رَاضِيَةٍ <sup>(٣)</sup> . الْعَقِيلَة : المصونة في أهلها . [ وعقيلة ١٨٦ كل شيء : خَيْرُهُ <sup>(٤)</sup> ] . والمِمْكَسَال : ذات الكسَل عن الحركة .

وقال أبو العَمَيْل عبد الله بن حُلَيْد <sup>(٥)</sup> :

لَقِيتُ ابْنَةَ السَّهْمِيِّ زَيْنَبَ عَنْ عُفْرِ وَنَحْنُ حَرَامٌ مُسْنَى عَاشِرَةَ الْعَشْرِ <sup>(٦)</sup>  
وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَحَتَمٌ مَبِيتُنَا جَمِيعاً ، وَسَرَانَا مُغَذٌّ وَذُو فَتْرٍ <sup>(٧)</sup>  
فَكَلَمْتُهَا نِيتَيْنِ : كَالْتَلَجِ مِنْهُمَا عَلَى اللَّوْحِ وَالْأُخْرَى أَحَرُّ مِنَ الْجَمْرِ

يقال : مَا يَلْقَانَا إِلَّا عَنْ عُفْرِ <sup>(٨)</sup> ، أَي يَعْدُ مَدَّةً . مُسْنَى : أَي وَقْتُ الْمَسَاءِ . يقال أَغَذَّ السَّيْرَ ، إِذَا جَدَّ فِيهِ وَأَسْرَعَ . وَاللَّوْحُ بِالْفَتْحِ <sup>(٩)</sup> : الْعَطَشُ ، يقال لَاحَ الرَّجُلُ يُلَوِّحُ لَوْحاً ، وَالتَّاحُ يَلْتَاخُ التَّيَاحُ ، إِذَا عَطَشَ . وَاللَّوْحُ بِالْفَتْحِ أَيضاً : الَّذِي يَكْتَبُ فِيهِ . وَاللَّوْحُ بِالضَّمِّ : الْهَوَاءُ ، يقال : « لَا أَفْعَلْ ذَلِكَ وَلَوْ نَزَوْتُ فِي اللَّوْحِ » ، أَوْ « حَتَّى تَنْزُوَ فِي اللَّوْحِ » .

وَأُنْشِد :

(١) يقال هَمْسٌ ، بِضَمَّةٍ وَيَضْمَتَيْنِ أَيْضاً ، مَفْرُودٌ هَمُوسٌ ، بِالْفَتْحِ .

(٢) فيما عدل : « التَّيَالُ الْقَصِيرُ . وَالْمَجْدَرُ مِثْلُهُ . وَالشَّمْسُ : التَّوَابُرُ » . ١٥

(٣) فيما عدل : « غَيْرِ رَاضِيَةٍ عَنْهُ » . (٤) هذه ١٨٦ عدل .

(٥) فيما عدل : « وَقَالَ أَبُو الْعَمَيْلِ : قَطْ . وَهُوَ أَبُو الْعَمَيْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُلَيْدٍ ، مَوْلَى جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ . وَكَانَ كَاتِبَ طَاهِرٍ وَوَلَدَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ، وَكَانَ مَكْتَباً مِنْ نَقْلِ اللُّغَةِ عِلَاقاً بِهَا شَاعِراً جَمِيذاً . تَوَفَّى سَنَةَ ٢٤٠ . ابْنُ النَّدِيمِ ٧٢ - ٧٣ وَابْنُ خُلَيْكَانَ . وَفِي أُمَالِ الْقَالِي ( ١ : ٩٨ ) حَيْثُ أُنْشِدَ الشَّعْرُ : « عَبْدِ اللَّهِ بْنُ خُلَيْدٍ » . تَحْرِيفٌ .

(٦) ج : « مِنْ عُفْرِ » ب وَ التَّيْمُونَةُ « غَفَر » كَلَامُهَا بِحَرْفِ عَمَّا أُثْبِتَ مِنْ ل ، هـ وَ الْأُمَالِ . حَرَامٌ : أَيْ حَرَمُونَ . مَسْنَى عَاشِرَةُ الْعَشْرِ ، أَي عَشِيَّةُ عَرَقَةٍ ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الْعَاشِرَةُ لِلْبَيْعِ الْعَاشِرِ .

(٧) فِي الْأُمَالِ : « وَسِرَانَا » بَدَلُ « وَسَرَانَا » وَفِي الْأُمَالِ : « وَسِرَانَا ، أَيْ سِيرَى أَنَا مُغَذٌّ ، أَيْ مَسْرُوعٌ ، وَسِرَاهُ ذُو فَتْرٍ أَيْ ذُو فَتْوَرٍ وَسَكُونٍ » لِأَنَّهَا يَرْفُقُ بِهَا » .

(٨) فيما عدل : « نَقُولُ مَا يَلْقَانَا فَلَانِ » . (٩) يقال أَيْضاً بِالضَّمِّ . ٢٥



وإنا لشجرى بيننا حين فلتقى حديثاً له وشئ كجبر المطارف<sup>(١)</sup>  
 حديث كطعم القطر في المخيل يشتقى به من جوى في داخل القلب لألف  
 المخيل : الجذب ، وسنة محول . وأعمل البلد فهو ماحل وممجل ،  
 وزمان ماحل وممجل . الجوى ها هنا : شلة الحب حتى يمرض صاحبه .  
 لألف : لطيف<sup>(٢)</sup> . وأنشد للشماخ<sup>(٣)</sup> بن ضرار الثعلبي<sup>(٤)</sup> :  
 يقر بعيني أن أثباً أنها وإن لم أثلها أيم لم تزوج<sup>(٥)</sup>  
 وكنت إذا لاقيتها كان سرنا وما بيننا مثل الشواء الملهوج  
 يريد أنهما كانا على عجلة من خوف الرقباء . والملهوج : المعجل  
 الذى لم ينتظر به التضع .

- ١٠ وقال جرّان الصود :  
 فلنا سقاطاً من حديث كأنه جنى النحل أو أبكار كرم يقطف  
 حديثاً لو أن البقل يؤلى بمثله زها البقل واخضر العضاء المصنّف<sup>(٦)</sup>

(١) الحبر ، بالكسر : الوشى ، عن ابن الأعرابي . وفيما عدل : « كوشى » . والمطارف : جمع مطرف ، كمنبر ومصحف ، وهو ثوب من خز له أعلام .

(٢) هذا التفسير في ل قطع .

(٣) فيما عدل : « وقال الشماخ » . وهو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن صيفي بن إياس بن عبد بن عثمان ابن جحاش بن بجالة بن ملون بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . الأغاني ( ٨ : ٩٧ ) والإصابة ٣٩١٣ والخزانة ( ١ : ٥٢٦ ) وابن سلام ٤٧ والشعر والشعراء .

(٤) الثعلبي : نسبة إلى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، كما في ترجمته . وفي جميع النسخ : الثعلبي . تحريف . لكن في ل : « وقال الشماخ بن ضرار » قطع .

(٥) أقر الله عينه وبينه ، أى أبوها بما يفرح صاحبها ، أو أسكنها فلا تلمح إلى غير ما نال صاحبها من خير كثير . والبيتان من قصيدة له في ديوانه ١٧ - ١٨ .

(٦) البيت في ديوانه ٢١ ، والذي قبله لم يرو في الديوان . وبدله فيه :  
 ينزعتنا لنا رخيما كأنه عوائر من قطر حداهن صيف

والفرزدق :

إذا هن ساقطن الحديث كأنه جنى النحل أو أبكار كرم تقطف  
 المصنف : الذى خرج ورقه واخضر ، وقال السكري : « الذى قد جف بعضه وبقي بعضه » . ل :  
 « المصيف » ، وفيما عدل : « المصيف » صوليها من الديوان ..

زها : بدا زهره . العِضَاءُ : جمع عِضَةٍ ، وهى كل شجرة ذات شوك ، ١٦٩  
إلا القنادة فإنها لا تسمى عِضَةً .

وقال الكميت بن زيد :

وحديثهن إذا التقى سن تهائف البيض الغرائر

وإذا ضجكن عن العذا ب لنا المُسَقَّاتِ التَّوَاغِرِ <sup>(١)</sup>

كان التهلل بالتيس سم لا القهاقه بالقرقر

التهائف : تضاحك في هُزُو . الغرائر : جمع غريرة ، وهى المرأة القليلة  
الخبرة ، العُمرَة <sup>(٢)</sup> . والعذاب ، يريد الثغر . والمُسَقَّات : اللثات التى قد  
أسيقت بالكحل أو بالتورور ، وذلك أن تُغرَزَ بالإبرة ويُذَرَّ عليها الكحل فيعلوها  
حُوءٌ . والتهلل ، يقال تهلل وجهه ، إذا أشرق وأسفر . وقال الآخر <sup>(٣)</sup> :

ولما تلافينا جرى من غيرنا دموع كففنا غربها بالأصابع <sup>(٤)</sup>  
ونلنا سقاطاً من حديث كانه جنى التحل ممزوجاً بماء الوقائع  
سقاط الحديث : ما يُبَذَّ منه ولُفِظَ به . يقال ساقطت فلانا الحديث  
سقاطاً . الوقائع والوقيع : منافع الماء في مُتُون الصُّخُور ، الواحدة وقية .

وقال أشعث بن سُمَيَّ <sup>(٥)</sup> :

هل تعرف المبدأ إلى السنام <sup>(٦)</sup> ناط به سواحر الكلام

كلامها يشفى من السقام <sup>(٧)</sup>

(١) لم أجد هذه الكلمة ولا تفسيرها في المعاجم المتدولة . والأبيات لم ترو في المصاحبات .

(٢) الغمر ، بثلاث الفين ، وبالتحريك : من لم يجرب الأمور .

(٣) هو ذو الرمة . ديوانه ٣٥٨ .

(٤) الغرب : كل قبضة من الدمع . وفي الديوان : « جرت من .. ماءها بالأصابع » .

(٥) فيما عدا ل : « الأثمت بن سمي » . لكن في هـ « أشعث بن سمي » .

(٦) لم أجد « المبدأ » . وأما السنام فذكره ياقوت ، وذكر في القاموس أيضاً ، وهو جبل مشرف

على البصرة ، وجبل بالحجاز بين ملون والريثة .

(٧) فيما عدا ل : « كلامهن يبرئ ذى السقام » ..

المبدأ وسنام : موضعان . ناطق به : أى صار إليه <sup>(١)</sup> .

وقال الراجز ووصف عيونَ الطُّبَّاءِ بالسَّحَرِ وذكر قوساً <sup>(٢)</sup> فقال :

صَفَرَاءُ فَرَعٍ خَطَمُوهَا بَوْتَرٌ <sup>(٣)</sup> لَأَمَّ مُمَرِّ مِثْلِ خُلُقُومِ الثَّنَرِ

خَدَّتْ ظُبَابِ أَسْهُمٍ مِثْلَ الشَّرَرِ فَصَرَعَتْهُنَّ بِأَكْنَافِ الحُفَرِ <sup>(٤)</sup>

حُورُ العَيُونِ بِأَبْلِيَّاتِ النَّظَرِ <sup>(٥)</sup> يَحْسِبُهَا النَّاطِرُ مِنْ وَحْشِ الْبِشْرِ <sup>(٦)</sup> .

١٧٠ . اللَّامُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : الشديد . والمُمَرُّ : المخكم القتل ، وحبلٌ مُمَرٌّ مثله .

الثَّنَرُ : البليل . والطُّبَّاءُ : جمع ظَلِيَّةٍ ، وهى حُدُّ السَّيْفِ والسَّانِ وغيرهما .

وقال آخر <sup>(٧)</sup> :

وَحْدَيْتُهَا كَالْقَطْرِ يَسْمَعُهُ رَاعِي سَيْنٍ تَتَابَعَتْ جَذْبًا

فَأَصَاحَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ حَيًّا وَيَقُولُ مِنْ طَمَعٍ : هَيَّا رَبَّنَا <sup>(٨)</sup> .

\*\*\*

(١) أصل معنى النوط التعليق . وهذا التفسير جميعه من ل فقط .

(٢) فيما عدل : قوسا صفراء .

(٣) فرع : عملت من رأس القضيبي وطرفه . خطم القوس : علق عليها الوتر .

(٤) أى خدت القوس ظلمات هذه الأسهم وقذفها فصرعت هذه الوحوش .

(٥) أى ذلت عيون سواحر ، وبابل ينسب إليها السحر .

(٦) بعد هذه الكلمة فيما عدل : ويروى اليقر ، وأزاهما إقحاماً . كما أن التفسير التالى والبيتين

بعده ساقطان كما عدل .

(٧) البيتان التاليان ، رواهما القالى فى أماليه ( ١ : ٨٤ ) منسويين لأعرابى .

(٨) فى الأمالى : من فرح .

### باب آخر من الأسجاع في الكلام

قال عُمر بن ذَرٍّ ، رحمه الله : « الله المستعان على السنة تصيف ، وقلوب تعرف ، وأعمال تُخلف »

ولما مدح عتيبة بن مرداس عبد الله بن عباس قال : لا أعطى من يعصى الرحمن ، ويُطيع الشيطان ، ويقول البهتان .

وفي الحديث المأثور ، قال : « يقول العبد مالى مالى ، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنت ، وأعطيت فأمضيت ، أو لبست فألبيت » .

وقال الثمر بن ثوب (١) :

أعاذل إن يصبح صدائى بقفرة بعيداً نانى صاحبي وقريبى  
١٠ تَرَى أَنْ ما أبقيت لم أك ربه وأن الذى أمضيت كان نصيبى (٢)

الصدى هاهنا : طائر يخرج من هامة الميت (٣) إذا بلى ، فينعى إليه ضعف وليه وعجزه عن طلب طائلته ، وهذا كانت تقوله الجاهلية (٤) ، وهو هنا مستعار أى إن أصبحت أنا .

ووصف أعرابي رجلاً فقال : « صغير القدر ، قصير الشبر ، ضيق الصدر ، لثيم التنجر ، عظيم الكبر ، كثير الفخر » .

الشبر : قدر القامة ، تقول : كم شبر قميصك ، أى كم عدد أشباره (٥). والتنجر : الطباع .

(١) انظر الأغاني ( ١٩ : ١٦١ ) وابن سلام ٦٠ .

(٢) هذه رواية لـ وابن سلام . وفي الأغاني وسائر النسخ : « الذى أفقت » .

(٣) فيما عدل : « من قبر الميت » .

(٤) فيما عدل : « كانت العرب تقوله الجاهلية » .

(٥) فيما عدل : « الشبر : القامة » لا غير .

ووصف بعضُ الخطباء رجلاً فقال : « ما رأيتُ أضربَ لمثلٍ ،  
ولا أركبَ لجملٍ ، ولا أصعدُ في قُلُبٍ منه » .

وسأل بعضُ الأعراب رسولاً قَليم من أهل السُّند : كيف رأيتمُ  
البلاد ؟ قال : « ماؤها وَشَلٌّ ، ولصُّها بَطَلٌ ، وَثَمَرُها دَقْلٌ <sup>(١)</sup> . إنْ كَثُرَ الجندُ  
بها جاعوا ، وإنْ قَلُّوا بها ضاعوا <sup>(٢)</sup> » .

١٧١ وقيل لصمصعة بن معاوية : من أين أقبلت ؟ قال : من الفجِّ العميق .  
قيل : فأين تريد ؟ قال : البيث العتيق . قالوا : هل كان من مطر ؟ قال :  
نعم ، حتَّى عَفَى الأثرُ ، وأنضَرَ الشجرُ ، ودَهَلَى الحجر <sup>(٣)</sup> .

وامستجار غون بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، بمحمد بن مروان  
بنصيبين ، وتزوَّج بها امرأة ، فقال محمد : كيف ترى نصيبين ؟ قال : « كثيرةُ  
العقارب <sup>(٤)</sup> قليلةُ الأقارب » . يريد بقوله « قليلة » كقول القائل : فلان قليلُ  
الحياء ، ليس يريد أن هناك <sup>(٥)</sup> حياء وإن قلَّ . يضعون قليلاً في موضع ليس .  
ووليَّ العلاء الكلاني <sup>(٦)</sup> عملاً خسيماً <sup>(٧)</sup> ، بعد أن كان على عمل  
جسيم ، فقال : « العُنُقُ بعد النُق <sup>(٨)</sup> » .

- 
- ١٥ (١) البقل ، بالتحريك : أرْدأ أنواعِ الحمَر .  
(٢) هذا التفسير من ل فقط .  
(٣) أنضرو : صبو ناضرا . ويقال دهلت الحجر ودهلته ، أى دحرجته وقذفه من أعلى إلى  
أسفل . وهو تصوير لارتفاع السيل . فيما عدل ، ه : « ودهله » .  
(٤) انظر الحيوان ( ٤ : ٢٢٦ / ٥ : ٣٦٠ ) .  
(٥) ب والتيمورية : « هنالك » .  
(٦) ل : « وولى العلاء » فقط . وفي الحيوان ( ٥ : ٤٦٢ ) : « وقال الكلاني » .  
(٧) ل : « حسناً » صوابه من سائر النسخ .  
(٨) العنق ، بالضم : جمع عناق بالفتح ، وهو الأنثى من ولد المعزى إذا أتت عليها سنة . وهذا  
جمع نادر ، ويجمع أيضاً على أعنق وعنق . والنق : جمع ناقة . أى كتبت صاحب نرق فصرت صاحب  
عنق . انظر الحيوان والمياني ( ١ : ٤٢٠ ) واللسان ( ١٢ : ١٤٨ ) .
- ٢٥

قال : ونظر رجلٌ من العباد إلى بابِ بعض الملوك فقال : « بابٌ جديد ، وموتٌ عتيق (١) ونزعٌ شديد ، وسفرٌ بعيد » .  
 وقيل لبعض العرب (٢) : « أيُّ شيءٍ تَمَتَّى ، وأيُّ شيءٍ أحبُّ إليك ؟ »  
 فقال : لواءٌ منشور ، والجلوسُ على السرير ، والسلامُ عليك أيُّها الأمير .  
 وقيل لآخر ، وصلى ركعتين فأطالَ فيهما ، وقد كان أمرُ بقتله :  
 « أَجَزِعْتَ من الموت ؟ فقال : إن أَجَزَعَ فقد أَرَى كَفَنًا منشورًا ، وسيفًا مشهورًا ، وقبرًا محفورًا » .

ويقال أن هذا الكلام تكلم به حُجْر بن عدي الكندي عند قتله (٣).  
 وقال عبدُ الملك بن مروان لأعرابي : ما أطيبُ الطعام ؟ فقال : « بكرةٌ سَئِمةٌ ، معبَّطةٌ غير ضَئِمة ، في قدور رَذِمة ، بشفار خِذْمة ، في غداة شَئِمة » .  
 فقال عبد الملك : وأيّك لقد أطِيت (٤) .

مَعْبُطَةٌ : منحورة من غير داءٍ ؛ يقال اغْتَبِطَ الإِبِلُ والغنمُ ، إذا ذُبَحَتْ من غير داءٍ . ولهذا قيل للدم الخالص غَبِيط . والغَبِيطُ : ما ذُبِحَ من غير عِلَّة . غير ضَئِمة : غير مريضة . رَذِمة : سائلة من امتلائها . بِشْفَارٍ خِذْمة : قاطعة . غداة

(١) عتيق : معد حاضر .

(٢) هو ضرار بن الحصين ، كما في ( ٢ : ١٧٥ ) .

(٣) هذه العبارة من لقط . وحجر بن عدي بن معلية الكندي ، صحابي جليل ، وفد على الرسول الكريم ، وشهد القلادسة والجمل وصفين ، وصحب علياً فكان من شيعته . قتل بأمر معلية سنة ٥١ أو ٥٣ . الإصابة ١٦٢٤ . وكان يعرف بحجر الخير . وأما حجر الشر فهو حجر بن عدي بن سلمة الكندي ، وفد على الرسول ، وكان مع علي يوم الجمل ، ثم اتصل بمعاوية فاستعمله على لوزينة . الإصابة ١٦٢٦ ، وروضة صفين ٢٧٤ .

(٤) يقال أطاب الشيء : وجده طيباً ؛ وأطاب : قدم طامناً طيباً . وقد وردت هذه الكلمة « أطيت » على أصلها بدون إعلال . على أن هذه المادة قد ورد فيها بعض ما ترك على أصله ، حكى سيبويه « استطيعه » لغة في استطابه . وأنشد في اللسان :

« فكأنها قفاحة مطوية »

وسيلح الخير في ص ٢٩٩ من هذا الجزء .

شبهة : باردة <sup>(١)</sup> . والشيم : اليد .

وقالوا : « لا تغتر بمناصحة الأمير ، إذا غشك الوزير » .

[ وقالوا : « من صادق الكتاب أغتوه ، ومن عاداهم أقفروه » . وقالوا :

« اجعل قول الكذاب رجحاً ، تكن مستريحاً <sup>(٢)</sup> » ] .

- وقيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي : لِمَ تؤثر السجع على  
المنثور ، وتلزم نفسك القوافي <sup>(٣)</sup> وإقامة الوزن ؟ قال : إن كلامي لو كنت  
١٧٢ لا أمل فيه إلا سماع الشاهد لقل خلقي عليك ، ولكني أريد الغائب والحاضر ،  
والراهن والغابر ؛ فالحفظ إليه أسرع ، والأذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالقييد  
وبقلة الثقل <sup>(٤)</sup> . وما تكلمت به العرب من جيد المنثور ، أكثر مما تكلمت به  
من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشرو ، ولا ضاع من الموزون عشرو .

قالوا : فقد قيل للذي قال : يا رسول الله ، أ رأيت من لا شرب  
ولا أكل ، ولا صباح واستهل ، أليس مثل ذلك يطل <sup>(٥)</sup> . فقال رسول الله  
ﷺ : « أستجع كسجع الجاهلية » .

قال عبد الصمد : لو أن هذا المتكلم لم يرد إلا الإقامة لهذا الوزن ، لما  
كان عليه بأس ، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطال حتى <sup>(٦)</sup> فشاذق في الكلام .

وقال غير عبد الصمد : وجدنا الشعر : من القصيد والرجز ، قد سمعه  
النبي ﷺ فاستحسنه وأمر به شعراء ، وعامة أصحاب رسول الله ﷺ

فروا به ، ورواه غيره ، ورواه غيره ، ورواه غيره .

(١) التصور من مبدئه إلى هنا ساقط مما عدل ، هـ . وفي حواشي هـ : « هذا التصور ثبت في الأم » .

(٢) هذه التكملة مما عدل .

(٣) ل : « القول » ، « صوابه في سائر النسخ » .

(٤) ل : « التلبي » ، « صوابه من سائر النسخ » .

(٥) يطل ، أي غير دونه . « صوابه ل : « يطل » ، « صوابه » .

(٦) فيما عدل : « إبطالا حتى » . « صوابه » : « رأيت فيه بعد » .

قد قالوا شعراً ، قليلاً كان ذلك أم كثيراً ، واستمعوا واستنشدوا . فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز ، فكيف يحل ما هو أكثر ويحرم ما هو أقل<sup>(١)</sup> . وقال غيرهما : إذا لم يطل ذلك القول ، ولم تكن القوافي مطلوبةً مجتلبةً ، أو ملتصمةً متكلفةً ، وكان ذلك كقول الأعرابي لعامل الماء : « حُلْتُ رَكَابِي »<sup>(٢)</sup> ، وخرقت ثيابي<sup>(٣)</sup> ، وضربت صبحاي<sup>(٤)</sup> - حُلْتُ رَكَابِي ، أَيْ<sup>(٥)</sup> مُنِعْتُ إِبِلِي مِنَ الْمَاءِ وَالْكَلَاءِ . وَالرَّكَابُ : مَا رَكِبَ مِنَ الْإِبِلِ - قَالَ : « أَوْ سَجَعٌ أَيْضاً ؟ » . قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : فَكَيْفَ أَقُولُ ؟ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ حُلْتُ<sup>(٦)</sup> إِبِلِي لَوْ جَمَالِي أَوْ نُوقِي أَوْ بُعْرَانِي أَوْ صِرْمَتِي ، لَكَانَ لَمْ يَعْبُرَ عَنْ حَقِّ مَعْنَاهُ ، وَإِنَّمَا حُلْتُ رَكَابَهُ ، فَكَيْفَ يَدْعُ الرَّكَابَ إِلَى غَيْرِ الرَّكَابِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : وَخَرَقْتُ ثِيَابِي<sup>(٧)</sup> ، وَضَرَبْتُ صَبْحَايَ . لِأَنَّ الْكَلَامَ إِذَا قُلَّ وَقَعَ وَقَوْعاً لَا يَجُوزُ تَغْيِيرُهُ ، وَإِذَا طَالَ الْكَلَامُ وَجَدَتْ فِي الْقَوَافِي مَا يَكُونُ مَجْتَلِباً ، وَمَطْلُوباً مُسْتَكْرَهاً .

وَيُدْخَلُ<sup>(٨)</sup> عَلَى مَنْ طَعَنَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ . وَزَعَمَ أَنَّهُ شِعْرٌ ؛ لِأَنَّهُ فِي تَقْدِيرِ مُسْتَفْعِلِنِ مَفَاعِلِنِ ، وَطَعَنَ فِي قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ : « هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيمٌ ؟ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَتْ »<sup>(٩)</sup> - فَيَقَالُ لَهُ : أَعْلَمُ أَنَّكَ لَوْ اعْتَرَضَتْ أَحَادِيثُ النَّاسِ وَخَطَبُهُمْ وَرِسَالَتُهُمْ . لَوْ جَدَّتْ فِيهَا مِثْلُ مُسْتَفْعِلِنِ مُسْتَفْعِلِنِ<sup>(١٠)</sup> ١٧٣

(١) ل : « أصغر » .

(٢) فيما عدل : « حليت » تحريف .

(٣) ب ، ج : « وخرقت » صوابه في ل ، هـ والتيمورية .

(٤) هذه الكلمات الثلاث في ل والتيمورية فقط .

(٥) ب ، ج : « حليت » تحريف .

(٦) ب : « خرفت » ج : « عرفت » ، صوابها في ل ، هـ والتيمورية .

(٧) فيما عدل : « وفي الحديث المأثور ويدخل » وفيه إقحام .

(٨) انظر المصلة ( ١ : ١٢٢ ) في باب الرجز والقصيد .

(٩) بدلها فيما عدل : « مفاعلن » .



كثيراً ، ومستفعلن مفاعِلُنْ<sup>(١)</sup> . وليس أحدٌ في الأرض يجعلُ ذلك المقدارَ شعراً .  
ولو أنَّ رجلاً من الباعة صاح : مَنْ يشتري باذنجان ؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولات . وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصد إلى الشعر ؟  
ومثل هذا المقدار من الوزن قد تهيأ في جميع الكلام . وإذا جاء المقدار الذي يُعلم أنه من إنتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها ، كان ذلك شعراً . وهذا قريبٌ ، والجواب سهلٌ بحمد الله<sup>(٢)</sup> .

وسمعتُ غلاماً لصديق لي ، وكان قد سقى بطئه<sup>(٣)</sup> ، وهو يقول  
لغلمان مولاة : « اذهبوا لي إلى الطبيب وقولوا قد اُكْتَوِيَ » . وهذا الكلام يخرج وزنه على خروج<sup>(٤)</sup> فاعلاتن مفاعِلُنْ ، فاعلاتن مفاعِلُنْ مرتين . وقد علمتُ  
أن هذا الغلام لم يُخَطِّرْ على باله<sup>(٥)</sup> قطُّ أن يقول بيتَ شعرٍ أبداً . ومثل هذا كثيرٌ، ولو تتبعته في كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته .

وكان الذي كَرِهَ الأسجاعَ بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة ، أنَّ كُتُهَانَ العرب الذين كان أكثرُ الجاهلية يتحاكمون إليهم ، وكانوا يدعون الكِهانةَ وأنَّ مع كلِّ واحدٍ منهم رَكِيماً من الجن<sup>(٦)</sup> مثل حازي جُهينة<sup>(٧)</sup> ،

١٥ (١) هاتان الكلمتان في ل فقط .

(٢) ما عدا هـ : والحمد لله .

(٣) يقال سقى بطئه ، بالبناء للفاعل ، وسقى بطئه ، بالبناء للمفعول ، أي اجتمع فيه ماء أصفر .

(٤) هاتان الكلمتان من ل فقط .

(٥) فيما عدا ل : لم يُخَطِّرْ بياله . وما سوان .

٢٠ (٦) الرُّقَى ، بفتح الراء وكسرهما مع كسر الميم وتشديد الياء : هو الذي يعتاد الإنسان من الجن

يُجِبُهُ وَيُؤَلِّفُهُ .

(٧) الحازي : الكاهن وفي الحيوان ( ٦ : ٢٠٤ ) : « حارثة جهينة » و « جارية جهينة » وفي

مروج الذهب ( ١ : ٣٣٧ ) : « حارثة بنت جهينة » . وفي غرر القلوب ٨١ : « أخيليرة جهينة » .

ومثل شيقٍ وسطيح<sup>(١)</sup> ، وعزى سَلَمَة<sup>(٢)</sup> وأشباههم ، كانوا يتكهنون  
ويحكمون بالأسجاع ؛ كقوله : « الأرض والسَّماء ، والعقاب الصَّقعاء<sup>(٣)</sup> ،  
واقعةٌ يبقعاء<sup>(٤)</sup> » ، لقد نَفَر المجد بنى العُشراء<sup>(٥)</sup> ، للمجد والسَّناء<sup>(٦)</sup> .  
وهذا الباب كثير . ألا ترى أن ضَمَرَة بن ضَمَرَة ، وهَرَم بن قُطَيْبة ،  
والأقرع بن حابس ، ونُقيل بن عبد العزى كانوا يحكمون وينفرون بالأسجاع  
وكذلك ربيعة بن حُذَار<sup>(٧)</sup> .

قالوا : فوقع التَّهْيُ في ذلك الدهر لُقُرب عهدهم بالجاهليَّة ، ولِبقِيَّتِها  
فيهم وفي صدور كثير منهم<sup>(٨)</sup> ، فلما زالت العلَّة زال التحريم .  
وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين ، فيكون في تلك  
الخطب أسجاع كثيرة ، فلا ينهاهونهم<sup>(٩)</sup> .  
وكان الفضل بن عيسى الرقاشي<sup>(١٠)</sup> سجّاعاً في قصصه . وكان عمرو بن

- 
- (١) شق بن أنمار بن نزار ، زعموا أنه كان شق إنسان له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين واحدة . انظر بلوغ الأرب ( ٣ : ٢٧٨ - ٢٨١ ) وعجائب المخلوقات ٣١٠ . وسطيح هو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب . انظر السيرة ٤٧ جوتنجن .  
١٥ (٢) سيال في ص ٣٥٨ أن اسمه سلمة بن أبي حية . وانظر الحيوان ( ٦ : ٢٠٤ ، والميداني في : « إلا ده فلا ده » ورسائل الجاحظ ١٣٠ .  
(٣) الصقعاء : التي في وسط رأسها يلخس .  
(٤) البقعاء : هي من الأرض المراء ذات الحصى الصغير .  
(٥) نفروهم : حكم لهم بالقبلة على غيرهم . وبنى العشراء ، من بنى مازن بن فزارة بن ذبيان . المعارف ٣٧ والاشتقاق ١٧٢ .  
٢٠ (٦) وقعت كل هذه الكلمات الممنوعة فيما عدل ، ه مقصورة .  
(٧) حذار ، يضم الماء وكسرها . وكان ربيعة حكم بنى أسد بن خزيمة ، وقاضيا من قضاة العرب في الجاهلية . وفيه يقول الأعشى ، كما في اللسان :  
وإذا طلبت المجد أين محله  
فانمذ ليبت ربيعة بن حذار  
(٨) ل : « ولقيتها في صدور كثير منهم » .  
(٩) فيما عدل ، ه : « فلم ينهوا منهم أحدا » .  
٢٥ (١٠) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي الواعظ الهجري ، أحد القدرية المعتزلة . تهذيب التهذيب والحيوان ( ٧ : ٢٠٤ ) .

عبيد<sup>(١)</sup> ، وهشام بن حسان<sup>(٢)</sup> ، وأبان بن أبي عيَّاش<sup>(٣)</sup> ، يأتون مجلسه .  
 ١٧٤ وقال له داود بن أبي هند<sup>(٤)</sup> : لولا أنك تفسر القرآن برأيك لأتيناك في  
 مجلسك . قال : فهل تراني أحرم حلالاً<sup>(٥)</sup> ، أو أحل حراماً ؟ وإنما كان يتلو  
 الآية التي فيها ذكر الجنة والنار ، والموت والحشر ، وأشبه ذلك .

- وقد كان عبد الصمد بن الفضل ، وأبو العباس القاسم بن يحيى ،  
 وعامة قضاة البصرة ، وهم أخطب من الخطباء ، يجلس إليهم عامة الفقهاء .  
 وقد كان النهي ظاهراً عن مريئة أمية بن أبي الصلت لقتل أهل بدر<sup>(٦)</sup> ، كقوله :  
 ماذا يبدر بالعقنث نفل من مرزبة جحاجح<sup>(٧)</sup>  
 هلاً بكيت على الكرا في بني الكرام أولى الممادخ  
 وروى ناسٌ شبيهاً بذلك في هجاء الأعشى لعلقمة بن علاثة . فلما  
 زالت العلة زال النهي .

وقال وثالة بن خليفة ، في عبد الملك بن المهلب<sup>(٨)</sup> :

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٣ .

(٢) هو أبو عبد الله هشام بن حسان الأزدي القردوسي - بالقاف والذال المضمومتين -

البصري ، كان من كبار الحفاظ وأعلم الناس بحديث الحسن البصري . توفي سنة ١٤٦ . تهذيب  
 ١٥ التهذيب وتذكرة الحفاظ ( ١ : ١٥٤ ) وصفة الصفوة ( ٣ : ٢٣٢ ) والقاموس ( قردس ) .

(٣) هو أبو إسماعيل أبان بن أبي عيَّاش فيروز البصري ، روى عن أنس وسعيد بن جبير . توفي  
 سنة ١٣٨ . تهذيب التهذيب .

(٤) هو أبو بكر داود بن أبي هند - واسم أبي هند دينار - القشيري البصري . روى عن أنس

وعكرمة والشعي ، وعنه : شعبة والثوري ، وكان ثقة كثير الحديث . توفي سنة ١٤٠ . تهذيب التهذيب  
 ٢٠ وتذكرة الحفاظ ( ١ : ١٣٨ ) وصفة الصفوة ( ٣ : ٢٢١ ) .

(٥) ل : « فهل أتى أحرم حلالاً » ، تحريف .

(٦) المريئة رواها ابن هشام في السيرة ٥٢٦ - ٥٣٢ ، وقال : « تركنا منها بيتين نال فيهما من

أصحاب رسول الله » . (٧) هذا البيت ساقط من هـ . ويرى : « فالفقتل » .

(٨) هـ : « وقال أبو وثالة بن خليفة » . تحريف . وعبد الملك بن المهلب ، من نسل المهلب بن أبي

صفرة الأزدي . وفي كتاب المعارف ١٧٥ : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد » . وقد  
 أورد أبو الفرج لعبد الملك بن المهلب خبراً مع الأخطل ، في الأغاني ( ٧ : ١٦٩ ) . والآيات التالية سيعيد =

لقد صبرت للذُّلِّ أَعْوَادُ مِنِيرٍ      تقوم عليها ، في يديك قضيبُ  
بكى الجنير الغرى إذ قمّت فوقه      وكاذت مساميرُ الحديد تنوبُ  
رأيتك لما شئت أدركك الذى      يُصيب سرّاة الأسد حين تشيبُ (١)  
سفاهة أحلامٍ ومخلٌ بنائيل      وفيك لمن عاب المَزُون عيوب (٢)

\*\*\*

قال : وخطب الوليدُ بن عبد الملك فقال : « إِنَّ أمير المؤمنين كان يقول : إِنَّ  
الحجَّاجَ جِلَّةٌ ما بين عَيْنَيَّ ، أَلَّا وإِنَّه جِلْدَةٌ وجهى كُلُّه » .

وخطب الوليد أيضاً فذكر استعماله يزيد بن أبى مسلم بعد الحجَّاج ، فقال :  
« كُنْتُ (٣) كمن سقط منه درهمٌ فأصابَ ديناراً » .

شبيب بن شيبَةَ قال : حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ قَالَ : خَطَبَنَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ  
بِوَاسِطٍ فَقَالَ : « إِنِّي قَدْ أَسْمَعُ قَوْلَ الرُّعَاعِ : قَدْ جَاءَ مَسْلَمَةُ ، وَقَدْ جَاءَ الْعَبَّاسُ (٤) ،  
وَقَدْ جَاءَ أَهْلُ الشَّامِ . وَمَا أَهْلُ الشَّامِ إِلَّا تِسْعَةُ أَسْيَافٍ ، سَبْعَةٌ مِنْهَا مَعِي ، وَاثْنَانِ مِنْهَا  
عَلَيَّ . وَأَمَّا مَسْلَمَةُ فَجَرَادَةٌ صَفْرَاءُ . وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَسَطْلُوسُ بْنُ نَسْطُوسٍ (٥) ، أَتَاكُمْ فِي ١٧٥

= الملاحظ إنشادهما في ( ٢ : ٣١٣ - ٣١٤ / ٣ : ٧٨ ) .

(١) الأسد : لغة في الأسد ، وهم قبيل للمهلب : فيما عدل : « الأسد » .  
(٢) المزون ، بالفتح والضم : اسم لأرض عمان وأهلها من الأسد ، وهم للمهلب بن أبى صفرة ؛ وذلك أن  
جدهم الأعلى مزون بن الأسد . انظر اللسان ( مزن ) ومعجم البلدان ( المزون ) والحيوان ( ٦ : ١٥٧ ) .  
(٣) فيما عدل : « وخطب الوليد بعد وفاة الحجَّاج وتولية يزيد بن أبى مسلم فقال : « إنما مثل ومثل يزيد  
ابن مسلم بعد الحجَّاج » .

(٤) مسلمة ، هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، القائد العربى الأموى ، قال ابن قتيبة في المعرف  
١٥٧ : « وَأَمَّا مَسْلَمَةُ فَكَانَ يَكْنَى أَبَا سَعِيدٍ ، وَيَلْقَبُ الْجَرَادَةَ الصَّفْرَاءَ ، لَصَفَرَةِ كَانَتْ تَلْعَوُهَا ، وَكَانَ شَجَاعاً  
وافتتح قنوجا كثيرة في الروم ، منها طلوتة . وولى العراق أشهراً ، وله عقب كثير » . وأما العباس فهو العباس بن  
الوليد بن عبد الملك ، كان يسمى فارس بنى مروان ، وكانت أمه نصرانية . انظر المعارف ١٥٧ .  
(٥) إشارة إلى أن أمه كانت رومية نصرانية . وفي هامش ب والفيومية : « أى طيب بن طيب » وليس بشئ .

برابرة وصفالبة، وجرامة وجرامة<sup>(١)</sup>، وأقباط وأنباط، وأخلاق [ من الناس<sup>(٢)</sup> ] .  
 إنما أقبل إليكم الفلاحون الأوباش<sup>(٣)</sup> كأشلاء اللجم<sup>(٤)</sup> . والله ما لقوا قوماً قط  
 كحدكم وحديدكم ، وعدكم وعديكم . أعيروني سواعذك ساعة [ من نهار<sup>(٥)</sup> ]  
 تصفقون بها خراطيمهم<sup>(٦)</sup> ، فإنما هي غلوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا وبين  
 القوم الفاسقين<sup>(٧)</sup> .

ثم دعا بفرسي ، فأثني بأبلى<sup>(٨)</sup> ، فقال : تخليط رب الكعبة ! ثم ركب  
 فقاتل فكثرة الناس<sup>(٩)</sup> فانهم عنه أصحابه ، حتى بقي في إخوته وأهله ، فقتل  
 وانهم باقى أصحابه . وفي ذلك يقول الشاعر<sup>(١٠)</sup> :

كل القبائل بايعوك على الذى      تدعو إليه طامعين وساروا<sup>(١١)</sup>  
 حتى إذا حجب الوغى وجعلتهم      نصب الأسد أسلموك وطاروا<sup>(١٢)</sup>  
 إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن      عاراً عليك وبعض قتل عار<sup>(١٣)</sup>

(١) في القاموس ( جرجم ) انهم قوم من العجم بالجزيرة ، أو نبط الشام .

(٢) هذه مما عدل .

(٣) ل : « الفلاحون الأوباش » . وهم الأخلاق وسفلة الناس .

(٤) اللجم : جمع لجم . وأشلاء اللجم : حداثته بلا سبور . قال كثير :

رأيت كأشلاء اللجم وبطلها      من القوم أبزى منحن متطلعين

هـ ، ب ، ج : « اللحم » ، التيمومة : « اللحم » صوابها في ل .

(٥) هذه مما عدل .

(٦) الصفق : الضرب ؛ صفقه بالسيف إذا ضربه . واخرطوم : الأنف ، أو مقدمه .

(٧) ما بعد هذه الكلمة إلى نهاية الشعر التل ساقط مما عدل .

(٨) البلى من الخيل مسبوقة متخلفة . الخيلان ( ١ : ١٠٤ / ٥ : ١٦٦ ) .

(٩) كبو الناس : تكاثروا عليه .

(١٠) هو ثابت قطنة . والروعة التى قُتل فيها هى يوم العقر . انظر الأغاني ( ١٣ : ٦٣ ) وشرح

شواهد المغنى ٣٣ - ٣٤ .

(١١) في الأغاني : « تابعوك على الذى • تدعو إليه وبايعوك » .

(١٢) في الأغاني : « جنس الوغى » .

(١٣) في شواهد المغنى ومعجم المعاني ( ٤ : ٢٤ ) : « عاراً • قتل عار » .

وملح الشاعر بشار ، عَمَرَ هَزَارِ مَرَدٍ <sup>(١)</sup> الْعَتَكِيُّ ، بالخطب وركوبه المناير ،  
بل رثاه وأبته فقال <sup>(٢)</sup> :

ما بال عينك دمعها مسكوبٌ      خُرِبَتْ فَأَنْتَ بِنَوْمِهَا مَحْرُوبٌ <sup>(٣)</sup>  
وكذلك مَنْ صَحِبَ الحَوَادِثَ لَمْ يَزَلْ      تَأْتِي عَلَيْهِ سَلَامَةٌ وَنُكُوبٌ  
يا أَرْضُ وَيَحِلِّكَ أَكْرَمِيهِ فَإِنَّهُ      لَمْ يَتَّقِ لِلْعَتَكِيِّ فِيكَ ضَرْبٌ  
أبَى عَلَى خَشَبِ الْمَنَائِرِ قَائِمًا      يَوْمًا وَأَحْزَمُ إِذْ تُثْبِتُ جَرْبُ

.....

وقال : كان سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ <sup>(٤)</sup> ، أَوَّلَ تَحِيصِيٍّ يَخْطُبُ عَلَى مَنْرِ الْبَصْرِ .

ثم خطب مُعَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ <sup>(٥)</sup> .

وَوَلَّى مَنْرَ الْبَصْرِ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْقَضَاةِ فَكَانُوا قِضَاةَ أُمَرَاءَ بِلَالٍ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ  
ابْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، وَسَوَّارَ ، وَمُعَيْدُ اللَّهِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي رَاحٍ <sup>(٦)</sup> ، فَكَانَ بِلَالٌ  
قَاضِيًا ابْنَ قَاضِي ابْنِ قَاضٍ .

وقال رُوَيْدَةُ بْنُ ثَعْلَبَةَ <sup>(٧)</sup> : قُتِلَ بِلَالٌ بِبَصْرَةَ فِي رَجَبِ سَنَةِ ١٠١ هـ .

فَأَنْتَ يَا ابْنَ الْقَاضِيَيْنِ قَاضِيٌ <sup>(٨)</sup> مُعْتَرِضٌ عَلَى الطَّرِيقِ قَاضِيٌ <sup>(٩)</sup>

.....

.....

(١) هو عَمْرُو بْنُ عَفْصَانَ بْنِ أَبِي صَفْوَةَ الْمُهَلَّبِيِّ ، وَكَانَتْ أَسْمَى تَسْمِيَةً وَهَزَارِ مَرَدٍ أَي أَلْفُ  
رَجُلٍ ، إِذَا كَانَ مَشْهُورًا بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِكْلَامِ ، وَلَى أَلْفَةً تَلْدَةً فِي أَلْفٍ مِنَ النَّصَرَةِ ، ثُمَّ رُجِعَ أَمْرًا عَلَى إِمْرَةٍ  
فَدَخَلَ الْقُرْبَانَ سَنَةَ ١٠١ هـ وَفُتِيَ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِ الْفِتْنَةِ فِيهَا ، وَلَكِنَّهُمْ تَحَمَّلُوا وَكَتَبُوا عَلَيْهِ وَعَلَى جَنْدِهِ ،  
فَقَاتَلَهُمْ زَنَاتُهُمْ كُلُّهُ <sup>(١٠)</sup> ( ٢٦٩ : ٢٧٠ ) وَالْأَعْلَى ( ١٨٠ : ١٨١ ) وَفُتِيَ عَلَيْهِ سَنَةَ ١٠١ هـ .

(٢) الْأَنْبِيَاءُ سَعِيدُ الْجَاهِلِيَّةِ ( ٢٠٦ : ٢٠٧ ) قَاتَلَ عَلَيْهِ سَنَةَ ١٠١ هـ .

(٣) حُرِبَتْ : تَلَبَّثَتْ ، أَكْثَرُهَا حُرِبَتْ النَّجْمُ وَنَجْمُهُ لَعْنَةُ عَفْصَانَ : لَعْنَةُ عَفْصَانَ .

(٤) سَبَقَتْ تَرْجُمَةُ فِي ص ١٠٠ .

(٥) سَبَقَتْ تَرْجُمَةُ فِي ص ١٠٠ .

(٦) ب ، ج : أَحْمَدُ بْنُ رَاحٍ ، وَالتَّيْمُورِيَّةُ أَحْمَدُ بْنُ رَاحٍ . وَفِي سَوَّارٍ هَذَا وَزَادَ أَبُو الْفَتْحِ

الْمِيدَ عَمَلًا وَهُوَ عَدَى بْنُ أَرْطَاةَ وَهُوَ جَدُّ رَدْمَانَ بْنِ تَلْحَمَةَ : رَدْمَانَ ع .

(٧) ل : بِلَالٌ يَا ابْنَ صَوَابٍ إِنْشَادَهُ فِي الدِّيَّانِ : بِلَالٌ وَسَوَّارُ التَّخَنُّشِ : بِلَالٌ ع .

(٨) فِيمَا عَدَى لِي يَدِهِ وَفِيهِ عَمَلُهُ : قَاتَلَ عَلَيْهِ سَنَةَ ١٠١ هـ .

قال أبو الحسن المدائني : كان عُبيد الله بن الحسن حيث وَقَدَّ عَلَى المهدى معزياً ومهتأ<sup>(١)</sup> ، أعد له كلاماً ، فبلغه أَنَّ النَّاسَ قد أعجبهم كلامه ، فقال لشبيب بن شيبه : إني والله ما أَلْتَفِتْ إلى هؤلاء ، ولكن سل لي أبا عبيد الله الكاتب عنه . فسأله فقال : ما أَحْسَنَ ما تَكَلَّم به ! عَلَى أَنَّهُ أَخَذَ مواعظَ الْحَسَنِ ، ورسائل غيلان<sup>(٢)</sup> ، فلقح بينهما كلاماً . فأخبره بذلك شبيب ، فقال عُبيد الله : لا والله إن أخطأ حرفاً واحداً .

وكان محمد بن سليمان<sup>(٣)</sup> له خطبة لا يغيرها ، وكان يقول : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ » ، فكان يرفع الملائكة ، فقيل له في ذلك ، فقال : خَرَّجُوا لها وجهاً . ولم يكن يدعُ الرقع .

قال : وصلى بنا خزيمة يوم النحر ، فخطب ، فلم يُسْمَع من كلامه إلا ذِكْرُ أمير المؤمنين الرشيد ، وَوَلَّى عهده محمد .

قال : وكان إسحاق بن شيمر<sup>(٤)</sup> يُدَارُّ به إذا قَرَعَ المنبر<sup>(٥)</sup> . قال الشاعر :

(١) هذه الكلمة من ل فقط .

(٢) هو غيلان الدمشقي أبو مروان . قالوا : أول من تكلم في القدر معبد الجهني ، ثم غيلان بعده .

أخذه هشام بن عبد الملك فصلبه بباب دمشق . الملووف ٢١٢ . وذكر ابن حجر في لسان الميزان ( ٤ ) : ٤٢٤ ) أن اسمه غيلان بن مسلم ، وأنه كان من بلغاء الكتب ، وأنه آمن بنوّة الخارث الكذاب ، فأقتى الأوزاعي يقتله . وقال ابن النديم في الفهرست ١٧١ : « وقد استقصيت خبره في مقالة المتكلمين في أخبار المرجة ، ورسائله مجموع نحو ألفي ورقة » . وانظر آراءه في الفرق بين الفرق ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣) هو محمد بن سليمان بن علي العباسي ، ولله المنصور البصرة ثم عزله عنها ولله الكوفة ، ثم ولّه المهدى ثم عزله ، ثم أعاده المهدى وأقرب الرشيد ، وكان الرشيد في أول أمره يكرمه ويؤوي بما لا ير به أحداً ، ثم نقم عليه واستصفى أمواله ، وكانت نيفا وخمسين ألف ألف درهم ، وتولى سنة ١٧٣ في اليوم الذي مات فيه الخيزران . لسان الميزان ( ٥ : ١٨٨ ) وتاريخ بغداد ٢٧٩٥ وجهوه بن حزم ٢٢ ، ١٤٦ ، ٢١٦ ، ٣١٦ . ولحقه في مجالس العلماء للرجاجي ٥٤ وإنباه الرولة ( ٢ : ٤٣ ) .

(٤) فيما عدل : « زهر بن محمد الضبي » . والشعر يقتضى ما أثبت من ل .

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نَشْكُو      وَإِنْ كُنَّا نَقُولُ بِغَيْرِ عُدْرٍ (١)  
 غَفَرْتَ ذُنُوبَنَا وَعَفَوْتَ عَنَّا      وَلَيْسَتْ مِنْكَ أَنْ تَعْفُو بِنُكْرٍ  
 فَإِنَّ الْمَنْبَرَ الْبَصْرِيُّ يَشْكُو      عَلَى الْعِلَالِ إِسْحَاقُ بْنُ شِمْرِ  
 أَضْيَى عَلَى خَشَبَاتِ مَلِكٍ      كَمُرْكَبٍ ثَعْلَبٍ ظَهَرَ الْهَزْبِ

وقال بعضُ شعراءِ العسكر (٢) ، يهجو رجلاً من أهل العسكر :

مَا زِلْتُ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمٍ      حَتَّى اجْتَرَأْتَ عَلَى رُكُوبِ الْيَنْبِرِ  
 مَا زَالَ مِنْبِرُكَ الَّذِي دُئِسَتْهُ      بِالْأَمْسِ مِنْكَ كَحَائِضٍ لَمْ تُطْهِرِ  
 فَلَا نَظَرَكَ إِلَى الْمَنَابِرِ كُلِّهَا      وَلِىَ الْأَمِيرَةَ بِاحْتِقَارِ الْمُنْظَرِ (٣)

١٧٧

وقال آخر :

فَمَا مِنْبِرٌ دُئِسَتْهُ يَا بَنَ أَفْكَلٍ      يَزَاكِ وَلَوْ طَهَّرْتَهُ يَا بَنَ طَاهِرٍ (٤)

١٠

\*\*\*

(١) فيما عدل : « وَإِنْ كُنَّا نَقُولُ » و « إِنْ » هنا هي النافية .

(٢) هو أبو الأسد ، يقوله في هجاء الحسن بن رضاء . انظر الحماسة ص ١٥٠٠ بشرح المرزوقي . وأبو الأسد هو نباتة بن عبد الله الحماني ، شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الديور ، وكان طيها مليح النواذر ملاحاً يحيى الهجاء . الأغانى ( ١٢ : ١٦٧ ) .

(٣) هذا البيت في ل فقط . والأمر : جمع سريو .

١٥

(٤) أفكل : علم من أعلامهم ، ومنه الأفكل ، اسم الأقوة الأودى . فيما عدل : « بَاسْتِ

أفكل » . وفي حواشى ه مع علامة التصحيح : « بَاسْتِ أَنْوَالِ » . والواكى : الطاهر .



## باب أسجاع

عبد الله بن المبارك ، عن بعض أشيائه ، عن الشعبي قال : قال عيسى  
ابن مريم عليه السلام : « البرُّ ثلاثة : المنطق ، والنظر <sup>(١)</sup> ، والصمت . فمن  
كان منطقهُ في غير ذكرٍ فقد لغا ، ومن كان نظرُهُ في غير اعتبار فقد سها ،  
ومن كان صمته في غير فكرٍ فقد لها » .

وقال علي بن أبي طالب : « أفضل العبادة الصمت ، وانتظار الفرج » .  
وقال يزيد بن المهلب ، وهو في الحبس : « والمفاه على طليّة <sup>(٢)</sup> بمائة  
ألف ، وفرّج في جبهة أسد <sup>(٣)</sup> » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « استغزوا الثمور بالتذكر <sup>(٤)</sup> » .

وقال الشاعر :

• ولا يبعثُ الأحرانَ مثلُ التذكّرِ <sup>(٥)</sup> •

حفص بن ميمون <sup>(٦)</sup> قال : سمعت عيسى بن عمر <sup>(٧)</sup> يقول : سمعنا  
الحسن يقول : « اقدّعوا هذه النفوس فإنها طلعةٌ ، واعصوها ؛ فإنكم إن أطعتموها

(١) فيما عدل ، هـ : « والنظر » تحريف . وانظر رسائل الجاحظ ( ١ : ١٦٨ ) .

(٢) الطليّة : الفرس ، أو الكأس المطلية . ما عدل ، هـ : « طليّة » بالياء ، تحريف . وورد الخبر في  
١٥ عيون الأخبار ( ١ : ٨٢ ) عرفاً . وانظر الاستدراكات في نهاية الجزء الرابع حيث نجد تحقيقاً مسهباً .

(٣) في عيون الأخبار : « وفرح » . وفيما عدل ، هـ : « جبهة الأسد » .

(٤) ل : « لا تستغزوا الثمور إلا بالتذكر » .

(٥) سيأتي البيت بتمامه في الصفحة التالية .

(٦) فيما عدل ، هـ : « حفص » فقط .

(٧) هو أبو عمر عيسى بن عمر البصري الثقفى النحوى ، أحد من روى عن الحسن البصرى ، وكان  
أحد القراء ، إلا أن الغريب والشعر أغلب عليه . وهو شيخ سيويه ، ويؤمنون أن سيويه أخذ كتابه « الجامع »  
وسطه ، وحشى عليه من كلام الخليل وغيره ، وذكر سيويه أنه صنف نيفاً وسبعين مصنفاً في النحو . وكان  
صاحب تقدير في كلامه . توفي سنة ١٤٩ . ابن خلكان ، وهاقوت ، وبنية الوعاة ، وتهذيب التهذيب .

تنزع بكم إلى شر غاية . وحادثوها بالذكر ، فإنها سريعة الذنور <sup>(١)</sup> .  
 اقدعوا : انتهوا <sup>(٢)</sup> . طلعة : أى تطلع إلى كل شيء . حادثوا ، أى اجلوا  
 واشحنوا . والذنور : الثوروس . يقال : دثر أثر فلان ، إذا ذهب ، كما يقال درس وعفا .  
 قال : فحدثت بهذا الحديث أبا عمرو بن العلاء ، فتعجب من كلامه .  
 وقال الشاعر <sup>(٣)</sup> :

سمعن بهيجاً أوجفت فذكرته ولا يبعث الأحران مثل التذكر  
 الوجيف : سير شديد ؛ يقال : وجف الفرس والبعر وأوجفته . ومثله  
 الإيضاع ، وهو الإسراع . أراد : بهيجا أقبلت مسرعة .  
 ومن الأسجاع قول أيوب بن القريّة <sup>(٤)</sup> ، وقد كان دعى للكلام  
 واحتبس القول عليه ؛ فقال : « قد طال السهر » <sup>(٥)</sup> ، وسقط القمر ، واشتد  
 المطر ، فما ينتظر . فأجابه فتى من عبد القيس فقال : « قد طال الأرق ،  
 وسقط الشفق ، وكثر اللثى ، فلينطق من نطق » .  
 اللثى : التذى والوحل .

وقال أعرابي <sup>(٦)</sup> لرجل : « نحن والله آكل منكم للمأدوم ، وأكسب ١٧٨  
 منكم للمعلوم ، وأعطى منكم للمحروم » .  
 ووصف أعرابي رجلا فقال : « إن رفلك لنجيج » <sup>(٧)</sup> ، وإن تحريك  
 لسريح ، وإن منعك لسريح .

(١) سيأتي القول في ( ٣ : ١٣٨ ) منسوبا إلى عمر بن الخطاب .

(٢) بلغا فيما عدل : « كفوا » .

(٣) هو لبي الأخرية ، من قصيدة في الأغاني ( ١٠ : ٧٢ ) . وانظر ( ٣ : ١٤٨ ) .

(٤) سبق ترجمته في ص ٢٠ .

(٥) فيما عدل : « السمر » ، وما أثبت من ل يوافق ما سيأتي : « قد طال الأرق » .

(٦) بهذه الكلمة انتهى المجلد الأول من القسم الأول من نسخة كويريل المرموز إليها بالرمز « ل » .

(٧) الرشد : المطاء . والنجيج : السريع الوشيك . وسيأتي الخبر في ( ٢ : ٢٠٠ ) .

- سَرِيحٌ : عَجِلٌ . و مَرِيحٌ : أى مُرِيحٌ من كَذِّ الطَّلَبِ .
- وقال عبد الملك لأعرابي : ما أطيبُ الطعام ؟ فقال : « بَكْرَةٌ سَيِّمَةٌ ، في قُدُورٍ رَذِيمةٍ ، بشفايرِ خِدْمَةٍ ، في غِداةٍ شَيِّمَةٍ » . فقال عبد الملك : وأيّك لقد أَطْيَيْتَ <sup>(١)</sup> .
- وسئل أعرابي <sup>(٢)</sup> فقيل له : ما أشدُّ البرد ؟ فقال : « رِيحٌ جَرِيَاءٌ » <sup>(٣)</sup> ، في ظِلِّ عَمَاءٍ <sup>(٤)</sup> ، في غَيْبِ سَمَاءٍ <sup>(٥)</sup> .
- ودعا أعرابيٌّ فقال : « اللهم إني أسألك البقاء والنماء ، وطيبَ الإثناء ، وَحَطَّ الأعداءِ ، ورفعَ الأولياءِ » . الإثناء : الرُّزْقُ .
- قال : وقال إبراهيم النَّخَعِيُّ <sup>(٦)</sup> لمنصور بن المعتمر <sup>(٧)</sup> : « سَلِّ مسألةَ الحَمَقِي ، واحفظ حفظَ الكَيِّسِي » <sup>(٨)</sup> .
- ووصفت عَمَّةُ حَاجِزِ اللَّصِّ <sup>(٩)</sup> حَاجِزاً ، ففضَّلته وقالت : « كان حَاجِزٌ

(١) فيما عدل ، هـ : « أطيت » . وقد سبق الخبر في ص ٢٨٦ .

(٢) في اللسان ( جرب ٢٥٥ ) أن المستول هو ابنة الحس . وفي ( عمى ٢٣٤ ) : « والعرب تقول » .

(٣) الجرياء : ريح تهب بين الجنوب والصحيا ، وقيل هي الشمال الباردة .

(٤) في اللسان ( ١٩ : ٢٣٤ ) : « تحت ظل عماء » . والعماء : جمع عماءة ، وهي السحابة الكثيفة المطبقة .

(٥) في غيب سماء ، أى بعد أن تنقطع يوماً . والسماء : المطر .

(٦) هو إبراهيم بن يزيد النخعي المترجم في ص ١٩٢ .

(٧) هو أبو غيث منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة السلمى الكوفي . روى عن إبراهيم النخعي ، والحسن البصري ، ومجاهد وغيرهم ، وروى عنه الأعمش ، والثوري ، وشعبة وغيرهم ، وكان أثبت أهل الكوفة في الحديث . توفي سنة ١٣٢ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ( ٢ : ٦٢ ) .

(٨) الكيسى : جمع كيس ، ويجمع الكيس أيضاً على أكياس ، وإنما جمع على كيسي إجراء له مجرى ضده ، وهو أحمق وحمقى .

(٩) هو حاجز بن عوف بن الحلوث ، من بني سلامان بن مفرج . شاعر جاهل مقل ، وهو أحد مصاعيك العرب المغيين ، ممن كانوا يسبقون الحيل عدواً على أرجلهم . انظر أخباره في الأغاني ( ١٢ ) : ٢٥ .

لا يَشَبَعُ لَيْلَةً يُصَاف ، ولا ينام لَيْلَةً يَخَاف .

ووصف بعضهم فرساً فقال : « أَقْبَلَ بِزُرَّةِ الْأَسَد ، وَأَدْبَرَ بِعُجْزِ الذَّنَب » .  
الزُّرَّة : مَغْرِزُ الْعُنُق ، ويقال للشَّعْر الذي بين كَتِفَيْهِ . وَصَفَهُ بِأَنَّهُ  
مَحْطُوط الْكَفَل <sup>(١)</sup> .

قال : وَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ ، وَقَامَتِ الْخَطَبَاءُ لِبَيْعَةِ يَزِيدَ ، وَأَظْهَرَ قَوْمُ الْكِرَاهَةِ  
قَامَ رَجُلٌ مِنْ عَذْرَةِ <sup>(٢)</sup> يُقَالُ لَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُقْتَعِ ، فَاخْتَرَطَ مِنْ سَيْفِهِ شَيْئاً ثُمَّ قَالَ :  
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ - فَإِنْ مَاتَ فَهَذَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى يَزِيدَ -  
- فَمَنْ أَتَى فَهَذَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى سَيْفِهِ . فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَنْتَ سَيِّدُ الْخَطَبَاءِ .  
قَالُوا : وَلَمَّا قَامَتِ خَطَبَاءُ نَزَلَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَذَهَبَتْ فِي الْخُطْبِ كُلِّ  
مَذْهَبٍ ، قَامَ صَبْرَةُ بْنُ شَيْمَانَ <sup>(٣)</sup> ، فَقَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا حَيٌّ  
فَعَالٍ ، وَلَسْنَا حَيٌّ مَقَالٍ ؛ وَنَحْنُ نَبْلُغُ بِفَعَالِنَا أَكْثَرَ مِنْ مَقَالِ غَيْرِنَا <sup>(٤)</sup> » .

قال : وَلَمَّا وَقَدَّ الْأَحْنَفُ فِي وَجْهِهِ أَهْلَ الْبَصْرَةِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، تَكَلَّمَ أَبُو  
حَاضِرِ الْأَسَدِيِّ <sup>(٥)</sup> وَكَانَ خَطِيباً جَمِيلاً ، فَقَالَ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ : اسْكُتْ ، فَوَاللَّهِ  
لَوْ دِدْتُ أَنَّ لِي بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، صَرَفَ الدِّينَارَ ١٧٩  
بِالدَّرْهِمِ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ لَنَا وَلَكَ مِثْلًا ، أَتَأْذَنُ فِي ذِكْرِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ .  
قال : مِثْلُنَا وَمِثْلُكَ وَمِثْلُ أَهْلِ الشَّامِ ، كَقَوْلِ الْأَعَشَى حَيْثُ يَقُولُ :

(١) الْكَفَل : الْمَجْر - كَفَلْ مَحْطُوط : مَحْدُودٌ لَا مَأْكَمَةَ لَهُ .

(٢) مِنْ عَذْرَةٍ ، فِي ل ، ه ، قَطَط .

(٣) هُوَ صَبْرَةُ بْنُ شَيْمَانَ بْنِ عَكْبَةَ بْنِ كَعْبِ الْأَزْدِيِّ ، كَانَ رَئِيسَ الْأَزْدِ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَكَفَا فِي

٢٠ حَرْبِ صَفِيْن - انْظُرِ الْأَشْتِقَاقَ ٢٩٩ وَرَقْمَةَ صَفِيْنِ لِنَصْرِ بْنِ مَرْوَانَ ١٣١ .

(٤) انْظُرِ الْحَوَارِ بِرَوَايَةِ أُخْرَى فِي الْكَامِلِ ٥٧ لَيْسَك .

(٥) الْأَسَدِيُّ ، بَضَمَ الْمَعْرَةَ وَضَعَّ السِّينَ وَتَشَدَّدَ الْيَاءَ : نَسَبَهُ إِلَى أَسِيدِ بْنِ عَمْرِو . وَأَسِيدُ ،

بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ تَصْغِيرُ أَسَدٍ . قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي الْأَشْتِقَاقِ ١٢٧ : « وَمِنْ رَجَالِهِمْ أَبُو حَاضِرٍ ، وَاسْمُهُ صَبِيحُ

ابْنِ جَبْرِ . » وَفِي الْقَاضِئِ ٧٤٩ أَنَّ اسْمَهُ « صَبِيحُ بْنُ شَرِيْسٍ » .

عَلَّقْتُهَا عَرْضاً وَعُلَّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ  
أَحَبَّكَ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، وَأَحْبَبْتَ أَهْلَ الشَّامِ ، وَأَحَبَّ أَهْلَ الشَّامِ  
عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ .

عَلَى بْنِ مُجَاهِدٍ <sup>(١)</sup> ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ أَبِي الْبَحْتَرِيِّ <sup>(٢)</sup> قَالَ : ذَكَرَ مُعَاوِيَةُ  
لَاِبْنَ الزُّبَيْرِ بَيْعَةَ يَزِيدَ ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : إِنِّي أَنَادِيكَ وَلَا أَنُاجِيكَ ، إِنَّ أَخَاكَ مِنْ  
صَدِّقِكَ ، فَانْظُرْ قَبْلَ أَنْ تَقْلُمَ ، وَتَفَكَّرْ قَبْلَ أَنْ تَنْدُمَ ؛ فَإِنَّ التَّنْظِرَ قَبْلَ التَّقْلُمِ ،  
وَالْتَفَكُّرَ قَبْلَ التَّنْدِمِ . فَضَحِكَ مُعَاوِيَةُ ثُمَّ قَالَ : تَعَلَّمْتُ أَبَا بَكْرٍ السُّجَاعَةَ <sup>(٣)</sup>  
عِنْدَ الْكَبِيرِ ، إِنَّ فِي دُونِ مَا سَجَعْتَ بِهِ عَلَى أَخِيكَ مَا يَكْفِيكَ . ثُمَّ أَخَذَ يَدَهُ  
فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ .

أَخْبَرَنَا ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ ، قَالَ : لَمَّا صَرَفَتِ الْيَمَانِيَّةُ مِنْ أَهْلِ مِرْزَةِ <sup>(٤)</sup> ،  
الْمَاءِ عَنْ أَهْلِ دِمَشْقَ ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى الصَّحَارَى ، كَتَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْهَيْذَامِ : « إِلَى  
بَنِي اسْتَبْهَا أَهْلُ مِرْزَةِ ، لَيْسَ بَيْنِي وَالْمَاءَ أَوْ لَتَصْبِحَتْكُمْ الْخَيْلُ » . قَالَ : فَوَافَاهُمْ  
الْمَاءَ قَبْلَ أَنْ يَقْتَمُوا <sup>(٥)</sup> . فَقَالَ أَبُو الْهَيْذَامِ : « الصَّدْقُ يُتْبَى عَنْكَ لَا الْوَعْدُ » .  
وَحَدَّثَنِي ثُمَامَةُ عَنْ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ <sup>(٦)</sup> قَالَ : لَمَّا بَايَعَ النَّاسُ  
يَزِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَأَتَاهُ الْخَبِيرُ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بِيَعُضِ التَّلَكُّوْرِ وَالتَّحْبَسِ ، كَتَبَ إِلَيْهِ : ١٥

(١) أَبُو مُجَاهِدٍ عَلَى بْنِ مُجَاهِدٍ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ رُفَيْعِ الْكَائِلِ الرَّازِي الْعَبْدِيُّ ، الْقَاضِي ، رَوَى عَنْ ابْنِ  
إِسْحَاقَ وَالثَّوْرِيَّ وَهَاجَةَ ، وَرَوَى عَنْهُ جَبْرِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَوَاهُ . وَفِي تَهْذِيبِ  
التَّهْذِيبِ : « كَأَنَّهُ مَاتَ سِتَّةَ بَعْضِ ثَلَاثِينَ » أَيْ وَمَاتَ .

(٢) فِيمَا عَدَا ل ، هـ : « الْبَحْتَرِيُّ » . انْظُرْ عَيْنَ الْأَخْبَارِ ( ٢ : ٥٩ ) .

(٣) هَذَا الْمَصْدَرُ مِنَ السَّجْعِ لَمْ أَجِدْهُ فِي الْمَعَاجِمِ الْمُتَنَلِّوَةِ ، وَكَأَنَّهُ نَظْمٌ الْكِهَانَةِ وَالْعِرَاقَةِ . وَضَبَطَ ٢٠  
فِي هـ بِفَتْحِ السِّينِ .

(٤) الْمِرْزَةُ ، بِالْكَسْرِ : قَهْرٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِمَشْقَ نَصْفُ فَرْسَخٍ .

(٥) بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِيمَا عَدَا ل : « أَيْ يَصِيرُونَ فِي وَقْتِ عَتَمَةِ اللَّيْلِ . وَحَمَتُهُ : ظِلَالُهُ .

يُقَالُ عَمَ اللَّيْلِ يَوْمٌ ، إِذَا أَظْلَمَ . وَأَعَمَّ النَّاسَ : صَلُّوْا فِي وَقْتِ الْعَتَمَةِ » .

(٦) فِيمَا عَدَا ل : « الشَّامُ » .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُزَيْدَ بْنِ الْوَلِيدِ ،  
إِلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ . أَمَّا بَعْدُ فَأَنَا أُرَاكَ تَقْلَمُ رَجُلًا وَتَوُخِّرُ أُخْرَى ، فَإِذَا أَنْتَاكَ  
كَتَابِي هَذَا فَاعْتَمِدْ عَلَى أُيْهِمَا <sup>(١)</sup> شَعْتَ . وَالسَّلَامُ » .

وهاهنا مذاهبٌ تدلُّ على أصالة الرأى ، ومذاهبٌ تدلُّ على تمام  
النفس <sup>(٢)</sup> ، وعلى الصِّلاح والكمال ، لا أرى كثيراً من النَّاسِ يَقْفُونَ عَلَيْهَا .

واستعمل عبدُ الملك بن مروان نافعَ بنَ علقمة بن نضلة بن صفوان بن  
مُحَرِّثَ خَالَ مَرْوَانَ ، عَلَى مَكَّةَ ، فَخَطَبَ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَبَانَ بْنِ عَثَانَ بِحِذَاءِ الْغِنِيِّ ، ١٨٠  
فَشَمَّ طَلْحَةَ وَالزَّيْزِرَ ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ لِأَبَانَ : أَرْضَيْتَكَ مِنَ الْمُذْهَبَيْنِ فِي أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ <sup>(٣)</sup> ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ وَلَكِنْ سَوَّيْتَنِي ، حَسْبِي أَنْ يَكُونَا شَرِكَا فِي أَمْرِهِ .

فَمَا أَدْرَى أُيْهِمَا أَحْسَنُ كَلَاماً : أَبَانَ بْنُ عَثَانَ هَذَا ، أَمْ إِسْحَاقُ بْنُ  
عِيسَى ، فَإِنَّهُ قَالَ : « أَعِيزُ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ قَتْلُ عَثَانَ ، وَأَعِيزُ عَثَانَ بِاللَّهِ أَنْ يَقْتُلَهُ عَلِيٌّ » .  
فمدح علياً بكلامٍ سديدٍ غير نافر ، ومقبولٍ غير وحشٍ ، وذهب إلى معنى  
الحديث في قول رسول الله ﷺ : « أَشَدُّ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ  
نَبِيٌّ » . يقول : لَا يَتَّفِقُ أَنْ يَقْتُلَهُ نَبِيٌّ بِنَفْسِهِ إِلَّا وَهُوَ أَشَدُّ خُلُقِ اللَّهِ مُعَانِدَةً  
وَأَجْرُهُمْ عَلَى مَعْصِيَةٍ . وَقَالَ هَذَا : لَا يَجُوزُ أَنْ يَقْتُلَهُ عَلِيٌّ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَحَقٌّ لِلْقَتْلِ . ١٥

### ✓ خطبة من خطب رسول الله ﷺ

قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْشَرَ كَلِمَاتٍ : حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،  
ثُمَّ قَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ فَاتَتْهُوا إِلَى مَعَالِكُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ نَهَايَةَ فَاتَتْهُوا

(١) إِذَا أُضِيفَتْ « أَيْ » لِمُضْمِرِ الْمُؤْتِ جَازَ تَأْنِيْهَا وَتَكْوِينُهَا . هـ : « أُيْهِمَا » .

(٢) ل : « وَتَدُلُّ عَلَى تَمَامِ النَّفْسِ » .

(٣) عَنِ الْمَذْهَبَيْنِ طَلْحَةَ وَالزَّيْزِرَ . كَانَا يَطْلُبَانِ الْمَطَالِبَةَ بِدَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَثَانَ . وَالْإِدْهَانُ : الْمَصَانَعَةُ  
وَالْفَشُّ وَالنَّفَاقُ .

إلى نهايتكم . إنَّ المؤمنَ بينَ غفّتين : بينَ عاجِلٍ قد مَضَى لا يدرى ما الله صانعٌ به ، وبينَ أَجَلٍ قد بَقِيَ لا يدرى ما الله قاضٍ فيه . فليأخذ العبدُ من نفسه لنفسه ، ومن دُنياه لآخرته ، ومن الشَّيْبَةِ قبلَ الكِبَرَةِ <sup>(١)</sup> ، ومن الحياة قبلَ الموتِ <sup>(٢)</sup> ، فوالذى نفسُ مُحَمَّدٍ بيده ، ما بَعْدَ الموتِ من مُسْتَعْتَبٍ ، ولا بَعْدَ الدُّنْيَا من دارٍ ، إِلَّا الجَنَّةُ أو النارُ .

• • •

أبو الحسن المَدائِنِي قال : تكلَّم عُمَار بنُ ياسرَ يوماً فَأَوْجَزَ ، فقليلٌ له : لو زِدْتُنَا . فقال : أَمَرَنَا رسولُ الله ﷺ بِإِطَالَةِ الصَّلَاةِ وَقَصْرِ الخُطْبِ <sup>(٣)</sup> .

- محمد بن إسحاق <sup>(٤)</sup> ، عن يعقوب بن عُتْبَةَ <sup>(٥)</sup> ، عن شيخٍ من الأنصارِ من بني زُرَيْقٍ <sup>(٦)</sup> ، أن عمرَ بنَ الخطابِ رحمه الله لما أَتَى بِسَيْفِ الثُّعْمَانِ بنِ النُّفَرِ ، دعا جُبَيْرَ بنَ مُطْعِمٍ <sup>(٧)</sup> فسَلَّحَهُ إِيَّاهُ ، ثم قال : يا جُبَيْرُ ، مَعَنَ كانَ النُّعْمَانُ ؟ قال : من أَشَلَاءِ قَتَصَ بنِ مَعَدٍّ <sup>(٨)</sup> . وكانَ جُبَيْرُ أُنْسَبَ العربِ ، وكانَ أَخَذَ التَّنَسُّبَ عن أبي بكرٍ الصَّدِّيقِ رحمه الله وعن جُبَيْرٍ أَخَذَ سعيدُ بنُ المسيَّبِ <sup>(٩)</sup>

(١) الكِبَرَةُ ، بالفتح : الكَثَرَةُ . ل فقط : الكَثِيرُ .

(٢) ل : قبلَ المِلاَمَاتِ .

(٣) هـ : الخُطْبَةُ .

(٤) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار اللدني الملقب ، صاحب السيرة والمغازي ، وأحد الرواة عن يعقوب بن عتبة . توفي سنة ١٥٢ . تهذيب التهذيب ، وثلاثة الحفاظ ( ١ : ١٦٤ ) وابن النديم ١٣٦ .

(٥) يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي اللدني ، روى عن عمر بن عبد العزيز ، وأبان بن عثمان ، وعروة بن الزبير وغيرهم . وروى عنه محمد بن إسحاق ، وكان له علم بالسيرة . توفي سنة ١٢٨ . تهذيب التهذيب .

(٦) بنو زريق : بطن من الخزرج ، منهم أبو جيلة : الملك النخعي . الاشتقاق ٢٧٢ .

(٧) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي ، صحابي جليل عارف بالنسب .

توفي سنة ٧٥ . الإصابة ١٠٨٧ .

(٨) أورد الخبير في اللسان ( شلل ) ، وقال : « لولد أنه من بقايا أولاده » .

(٩) سبقت ترجمته في ٢٠٢ وفي القاموس ( سيب ) : « وكمحدث : والد سعيد ، ويفتح » .

وروى عن إسحاق بن يحيى بن طلحة <sup>(١)</sup> قال : قلت لسعيد بن ١٨١  
المسيب : علمنى النسب . قال : أنت رجل تريد أن تُسأَب الناس .

قال : وثلاثة فى نسقٍ واحدٍ كانوا أصحابَ نسب : عمر بن الخطاب  
رحمه الله ، أخذ ذلك عن الخطّاب ، وكان كثيراً ما يقول : سمعتُ ذلك من  
الخطّاب ، ولم أسمع ذلك من الخطّاب ، والخطّابُ بنُ ثعلبة ، وثعلبة بنُ  
عبد العزى ، تنافَر إلى عبد المطلب وخرب بن أمية ؛ فنَفَرَ عبد المطلب ، أى  
حكم لعبد المطلب والمنافرة : المحاكمة .

قال : والنسأَب أربعة : دَعْفَل بن حنظلة <sup>(٢)</sup> ، وعُمَيْرُ أبو  
ضَمْضَم <sup>(٣)</sup> ، وصَبَّح الحَنْفَى <sup>(٤)</sup> وابن الكَيْس التمرى <sup>(٥)</sup> .

قال الأصمعى : دَعْفَل بن حنظلة ، والنسأَب البكرى <sup>(٦)</sup> ، وكان  
نصرانياً . ولم يُسَمَّه . ١٠

### ذكر كلمات خطب بن سليمان بن عبد الملك

قال : « اتَّخِذُوا كِتَابَ اللَّهِ إِمَاماً ، وَارْضَوْا بِهِ حَكْماً ، واجعلوه قائداً ؛  
فإنه ناسخٌ لما قبله ، ولم ينسخه كتابٌ بعده » .

١٥ (١) فيما عدل : « عن بعض ولد طلحة » . وهو إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبد الله  
التميمي . روى عن عمه إسحاق وموسى ابني طلحة ، والزهري ، ومجاهد ، وروى عنه وكيع وابن المبارك  
وغيرهما . توفى سنة ١٦٤ . تهذيب التهذيب .

(٢) هو دَعْفَل بن حنظلة بن زهد الشيباني الدهل النساب ، أدرك الرسول ولم يسمع منه . غرق  
في يوم دواب في قتال الخوارج سنة سبعين . الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٢١ والميداني ( ٢ : ٢٧٣ )  
والمعارف ٢٣٢ ، والأشفاق ٢١١ وتاريخ الإسلام ( ٢ : ٢٨٧ ) . ٢٠

(٣) فيما عدل ، هـ : « عمير أبو ضمضم » ، وفي المعارف ٢٢٢ : « عمير بن ضمضم » .

(٤) في الحيوان ( ٣ : ٢١٠ ) : « صبح الطائي » . وفي المعارف ٢٢٢ وابن النديم ١٢٣ : « صالح الحنفى » .

(٥) هو زيد بن الكيس الهجري ، كما في الحيوان ( ٣ : ٢١٠ ) .

(٦) ذكر في الفهرست ١٢١ ، المعارف ٢٢٣ . وذكر أن رؤية المعاج روى عنه أنه قال : « إن

للعلم آفة ومحنة ونكلا » . انظر أيضاً ما سبق في ٢٧٣ ص ١٢ . هـ : « والنسأَب البكرى » . ٢٥



قال : وكان أول كلام بارع سمعوه منه : « الكلام فيما يعينك خير من السكوت عما يضرك ، والسكوت عما لا يعينك خير من الكلام فيما يضرك » .

خالد بن يزيد الأرقط <sup>(١)</sup> قال : سمعت من يخبرنا عن الشعبي قال : ما سمعت مثكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا تمثيت أن يسكت خوفاً من أن يُسيء ، إلا زياداً ؛ فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاماً .

وكان نوفل بن مساحق <sup>(٢)</sup> ، إذا دخل على امرأته صمت ، وإذا خرج من عندها تكلم ، فرأته يوماً كذلك فقالت : أما عندي فشطرق ، وأما عند الناس فتطبق . قال : لأنى أدق عن جليلك ، وتجلين عن دقيقى .

قال أبو الحسن : قاد عيَّاش بن الزبرقان بن بدر ، إلى عبد الملك بن مروان خمسة وعشرين فرساً ، فلما جلس لينظر إليها نسب كل فرس منها إلى جميع آباءه وأمهاته ، وحلف على كل فرس يمين غير اليمين التي حلف بها على الفرس الآخر ، فقال عبد الملك بن مروان : عجبى من اختلاف أيمانهم أشد من عجبى من معرفته بأنساب الخيل .

وقال : كان للزبرقان بن بدر ثلاثة أسماء : القمر ، والزبرقان ، والحصين . ١٨٢

وكانت له ثلاث كنى : أبو شنرة ، وأبو عيَّاش ، وأبو العباس . وكان عيَّاش ابنه خطيباً مارداً ، شديد العارضة شديد الشكيمة ، وجيهاً ؛ وله يقول جرير :  
أعيَّاش قد ذاق القيون مراقي وأوقدت ناري فادُّنْ دونك فاصطَلِ  
فقال عيَّاش : إني إذا لَمَقُور . قالوا : فغلب عليه .

(١) سبقت ترجمته في ص ٥٨ . وسيأتى الخبر في ( ٢ : ٤٠ ) بالنفس آخر .

(٢) هو أبو سعيد نوفل بن مساحق بن عبد الله الأكبر بن حمزة بن عبد المطلب القرشي العامري المدني ، القاضي ، ول قضاة المدينة . توفى سنة ٤٧ . بهذيب التهذيب والإصابة ٨١١٠ والمعارف ١٢٩ في ترجمة معقل بن سنان .

## باب

## ذكر أسماء الخطباء والبلغاء والأئمة وذكر قبائلهم وأنسابهم

كان التدبير في أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن تذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم ، وأسماء أهل الإسلام على منازلهم ، ونجعل لكل قبيلة منهم خطباء ، ونقسم أمورهم باباً باباً على حيلته ، ونقدم من قدمه الله ورسوله عليه السلام في النسب ، وفضلته في الحسب . ولكني لما عجزت عن نظمه وتنظيمه ، تكلفت ذكرهم في الجملة . والله المستعان ، وبه التوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا به (١) .

كان الفضل بن عيسى الرقاشي من أخطب الناس ، وكان متكلماً قاصداً ١٠ مُجيداً ، وكان يجلس إليه عمرو بن عبّيد ، وهشام بن حسان ، وأبان بن أبي عيَّاش (٢) وكثير من الفقهاء . وهو رئيس الفضلية (٣) ، وإليه يُنسبون . وخطب إليه ابنته سودة بنت الفضل ، سليمان بن طرخان التيمي (٤) ، فزوجه

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٩١ .

(٢) سبقت ترجمته في ص ٢٩١ .

(٣) الفضلية : طائفة من المعتزلة ، منسوبة إلى الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي البصري . وهله الطائفة غير طائفة الفضلية في الخوارج ، المنسوبة إلى الفضل بن عبد الله . انظر مفاتيح العلوم ١٩ .

(٤) في القاموس : هـ وطرخان ، بالفتح ، ولا تضم ولا تكسر وإن قلعه المحدثون : اسم للرئيس الشريف ، خراسانية . هـ وسليمان ، هو أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي البصري ، ولم يكن من بني تيم ، وإنما نزل فهم . وهو أحد حفاظ البصرة الثلاثة ، وهم سليمان ، وعاصم الأحول ، وداود بن أبي هند . وكان من العبّاد السالك لا يزال هو وابنه المعتمر يدوران بالليل في المساجد . توفي بالبصرة سنة ١٤٣ . تلوكة الحفاظ ( ١ : ١٤٢ ) وصفة الصفوة ( ٣ : ٢١٨ ) وتلخيص التهذيب . وقد ورد اسمه في المعرف ٢٠٩ : هـ سليمان بن طهمان ، عمرف .

فولدت له المعتير بن سليمان <sup>(١)</sup> . وكان سليمان مهابناً للفضل في المقالة ، فلما ماتت سودة شهيد الجنازة المعتمر وأبوه ، فقدما الفضل .

وكان الفضل لا يركب إلا الحمير ، فقال له عيسى بن حاضر <sup>(٢)</sup> :

إِنَّكَ لَتُؤَثِّرُ الحميرَ على جميع المركوب ، فلمَ ذلك ؟ قال : لما فيها من المرافق

والمنافع . قلت : مثل أي شيء ؟ قال : لا تُستبدل بالمكان على قدر اختلاف

الزمان ، ثم هي أقلها داءً وأيسرها دواءً ، وأسلمُ صريعاً ، وأكثرُ تصريحاً ،

وأسهلُ مرتقى وأخفضُ مهوى ، وأقلُ جماحاً ، وأشهرُ فارهاً ، وأقلُ نظيراً ،

يزهى راكبه وقد تواضعَ بركوبه ، ويكون مقتصدًا وقد أسرفَ في ثمنه .

قال : ونظر يوماً إلى حمارٍ فارٍ تحت سلم بن قتيبة ، فقال <sup>(٣)</sup> :

« قِعْدَةُ نَسِيٍّ وَبَذْلَةُ جَبَّارٍ » .

وقال عيسى بن حاضر : ذهبَ إلى حمارٍ عُزِيرٍ ، وإلى حمارٍ المسيح <sup>(٤)</sup> ،

وإلى حمارٍ بلعم <sup>(٥)</sup> . وكان يقول : لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزل <sup>(٦)</sup> ، أن

(١) هو أبو محمد المعتمر بن سليمان بن طرخان ، روى عن أبيه ، وذلود بن أبي هند ، وعنه الثوري وابن المبارك وغيرهم . ولد سنة ١٠٠ وتوفي سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب وثكرة الحفاظ ( ١ : ٢٤٥ - ٢٤٦ ) .

(٢) سبق ترحمته في ص ٢٥ . وقد ورد الخبر في عيون الأخبار ( ١ : ١٦٠ ) مصدراً بقوله : « قال رجل للفضل الرقاشي » .

(٣) في الحيوان ( ٧ : ٢٠٤ ) : « ولا نظر الفضل بن عيسى الرقاشي إلى سلم بن قتيبة على حمار يريد المسجد قال ... » .

(٤) هو المسيح عيسى بن مريم ، صلوات الله عليه . وفي الحيوان ( ٧ : ٢٠٤ ) : « وأما الحمار

فمركب عيسى بن مريم ، وعزير وبلعم » . فيما عدا ل : « مسيح الدجال » تحريف كما رأيت .

(٥) في هـ رواية عن نسخة : « بلعم » .

(٦) في ثمار القلوب ٢٩٥ : « وأبو سيارة : رجل من عدوان ، واسمه عميلة بن خالد بن أعزل وكان له

حمار أسود أجاز الناس عليه من مزدلفة إلى منى أربعين سنة » . وقال ابن دريد في الاشتقاق ١٦٤ : « وعميلة

تصغير عملة ، والعملة والعملة الناقة الصابرة » وفي السيرة ٧٨ جوتجن : « الإفاضة من مزدلفة كانت في

عدوان فيما حدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد إسحاق ، يتولون ذلك كايلاً عن كابر ، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام عميلة بن الأعزل » .

يدفع بالموسم على فرس عربي ، أو جمل مهربي لفعل ؛ ولكنه ركب غيراً  
أربعين عاماً ؛ لأنه كان يتأله <sup>(١)</sup> . وقد ضرب به المثل فقالوا : « أصبح من غير  
أبي سيارة » .

والفضل هو الذي يقول في قصصه : « سئل الأرض قتل : من شئت  
أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى غمارك ؛ فإن لم تُجِبْكَ حِوَاراً ، أجابتك  
اعتباراً <sup>(٢)</sup> » .

وكان عبد الصمد بن الفضل أغزر من أبيه وأعجب وأمين وأخطب .  
وقال : وحلّنتي أبو جعفر الصوفي القاص قال : تكلم عبد الصمد في  
خلق البعوضة وفي جميع شأنها ثلاثة مجالس تامة .

قال : وكان يزيد بن أبان ، عم الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي ، من  
أصحاب أنس <sup>(٣)</sup> والحسن ، وكان يتكلم في مجلس الحسن ، وكان زاهداً  
عابداً ، عالماً فاضلاً ، وكان خطيباً ، وكان قاصاً مجيداً .

قال أبو عبيدة : كان أبوه خطيباً ، وكذلك جدّهم ، وكانوا خطباء الأكاسرة  
فلما سبوا وولد لهم الأولاد في بلاد الإسلام وفي جزيرة العرب ، تزعمهم ذلك  
العرق ، فقاموا في أهل هذه اللغة كمقامهم في أهل تلك اللغة ، وفيهم شاعر وخطيب ،  
وما زالوا كذلك حتى أصهر إليهم الغزاة ففسد ذلك العرق ودخله الخور .

ومن خطباء إياد قس بن ساعدة ، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ :  
« رأيت به سوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا »

(١) التأله : التنسك والتعبد .

(٢) سبق هذا القول في ص ٨١ .

(٣) هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الأنصاري المدني ، خادم رسول الله ، شهد معه  
الحديبية والفتح وحنينا والطف ، وهو آخر من بقى بالبصرة من الصحابة . توفي سنة ٩٥ . الإصابة  
٢٧٥ وتذويب التهذيب .

واسمعوا <sup>(١)</sup> وسموا . مَنْ عاش مات ، وَمَنْ مَاتَ فَاتٌ ، وكلُّ ما هو آتٍ آتٌ .

وهو القائل في هذه : « آياتٌ محكمات ، مطرٌ ونبات ، وآباءٌ وأمّهات ، وذاهبٌ وآتٌ <sup>(٢)</sup> ، ضوءٌ وظلام ، ويرٌ وأثام <sup>(٣)</sup> ، ولياسٌ ومركبٌ ، ومطعمٌ

ومشرب ، ونعيمٌ ومور <sup>(٤)</sup> ، ومحورٌ لا تغور ، وسقفٌ مرفوع ، ومهادٌ موضوع ،

وليلٌ داج ، وجماء ذات أبراج . مالى أرى الناس يموتون ولا يرجعون ، أرضوا فاقاموا ، أم حُسبوا فناموا .

وهو القائل : « يا معشر إِيَاد ، أينَ تمودُ وعاد ، وأينَ الآباءُ والأجداد .

أينَ المعروفُ الذى لم يُشكر ، والظلم الذى لم ينكر . أقسمَ قسٌّ قسماً بالله ، إنَّ لله أَلَدِيناً هو أرضى له من دينكم هذا .

وأنشدوا له :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ سَنَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ

لَا رَأَيْتُ مَوَادّاً لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ

وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ <sup>(٥)</sup>

لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي وَلَا يَبْقَى مِنَ الْبَاقِينَ غَائِرُ

أَيَقْنَتْ أُنَى لَا مَحَا لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

\*\*\*

ومن الخطباء زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ . وكان خالداً بن عبد الله <sup>(٦)</sup> أقرَّ عَلَى

(١) فيما عدل : « فاسموا » .

(٢) ما بعده هذه الكلمة إلى كلمة « مشرب » سقط مما عدل ، هـ .

(٣) الأثام ، كسحاب : الإثم ، أو جزؤه .

(٤) في اللسان : « وفي حديث قس : ونعيمٌ ومور ، أى تذهب ونحي » . ل : « تغور » ، وأثبت

ما في اللسان وسائر النسخ .

(٥) فيما عدل : « يَمْضِي الْأَكَابِرُ وَالْأَصَاغِرُ » .

(٦) هو خالد بن عبد الله القسري أمير المراق من قتل هشام بن عبد الملك الأموي ، قتل في أيام

الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ . انظر الطبري ( ٩ : ١٧ ) والمعارف ١٧٤ ووفيات الأعيان ( ١ : ١٦٩ - ١٧ ) .

زيد بن عليّ ، ودلود بن عليّ<sup>(١)</sup> ، وأيوب بن سلمة المخزومي ، وعلى محمد بن عمر بن عليّ<sup>(٢)</sup> ، وعلى سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف<sup>(٣)</sup> ؛ فسأل هشام زيدا عن ذلك فقال : أحلف لك . قال : وإذا حلفت أصدّقك ؟ قال زيد : اتق الله . قال : أومتلك يا زيد يأمر بتقوى الله ؟ قال زيد : لا أحد فوق أن يُوصى بتقوى الله ، ولا دون أن يُوصى بتقوى الله<sup>(٤)</sup> . قال هشام : بلغني أنك تُريد الخلافة ، ولا تصلح لها ؛ لأنك ابنُ أمة . قال زيد : فقد كان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ابنُ أمة ، وإسحاق عليه السلام ابنُ حرة ، فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم محمداً عليه السلام . فعندها قال له : قم . قال : إذن لا ترائي إلا حيث تكره ! ولما خرج من الدار قال : « ما أحب أحد الحياة قط إلا ذل » . فقال له سالم مولى هشام : لا يسمعن هذا الكلام منك أحد .

١٠. وقال محمد بن عُمير<sup>(٥)</sup> : إن زيدا لما رأى الأرض قد طبقت<sup>(٦)</sup> جوراً ، ١٨٥ ورأى قلة الأعوان وتخاذل الناس<sup>(٧)</sup> ، كانت الشهادة أحب الميئات إليه<sup>(٨)</sup> وكان زيد كثيراً ما يُنشيد :

(١) هو دلود بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي . وهو زوج أم موسى بنت علي بن الحسين . توفي وهو وال علي المدينة سنة ١٣٣ لاین أخيه السفاح . تهذيب التهذيب والمعارف ٩٥ . ١٥  
(٢) فيما عدل ، هـ : « وعلى بن محمد بن عمر بن علي » ، تحريف . وهو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، روى عن عمه محمد بن الحنفية وابن عمه علي بن الحسين بن علي ، وروى عنه أولاده عبد الله ، وعبيد الله ، وعمر . أدرك أول خلافة بني العباس . تهذيب التهذيب .  
(٣) فيما عدل ، هـ : « وعلى بن سعد » الخ ، تحريف كسابقه ، سببه كلمة « علي » وسعد هذا ، كان قاضياً من قضاة المدينة زمن هشام . توفي سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب والمعارف ١٠٤ وصفة الصفوة ( ٢ : ٨٢ ) .

(٤) انظر ما سيأتي في ص ٣٢٥ .

(٥) ذكر الجاحظ فيما مضى ص ٨٤ أنه كان غالباً من مشايخ الشيعة .

(٦) طبقت ، أي ملئت وسمت وغشيت . طبق السحاب الجو : غشاها .

(٧) فيما عدل ، هـ : « ورأى تخاذل الناس » .

(٨) فيما عدل ، هـ : « جمع منية ، وهي الموت » .

شُرِّدَهُ الخَوْفَ وَأَزْرَى بِهِ      كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الْجِلَادِ (١)  
 مُتَحَرِّقُ الْخُفَيْنِ يَشْكُو الْوَجَى      تَنْكِبُهُ أَطْرَافُ مَرَوْ جِنَادِ (٢)  
 قَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ      وَالْمَوْتُ حَقٌّ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ  
 قال : وكان كثيراً ما يُنشدُ شِعْرَ العَبَسِيِّ في ذلك (٣) :

- إِنَّ الْحَكْمَ مَا لَمْ يَرْتَقِبْ حَسِباً      أَوْ يَرْهَبِ السَّيْفَ أَوْحَدُ الْقَنَا جَنَفَا (٤)  
 مَنْ عَادَ بِالسَّيْفِ لَاقَ فُرْصَةً عَجَباً      مَوْتاً عَلَى عَجَلٍ أَوْ عَاشَ مُتَنَصِّفاً (٥)  
 ولما بعث يوسف بن عمر (٦) برأس زيد (٧) ، ونصر بن خزيمه (٨) ، مع

- (١) الأبيات في زهر الآداب ( ١ : ٧٢ ) . قال : « وقد رويت هذه الأبيات لحمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين » . وقد سرد في زهر الآداب طائفة كثيرة من أقواله . ل . قطط : « فأزرى به » .  
 (٢) الوجي : الحفا . تنكبه : تصيبه وتثله . والأبيات في الطبرى ( ٨ : ٤١ ) .  
 (٣) في ذلك ، من هـ . والبيتان من أبيات عشرة رواها الجاحظ في الحيوان ( ٣ : ٨٧ ) .  
 (٤) في الأصل : « من لم » صوابه من الحيوان . ل : « أو يجعل السيف » . جنتف : مال مع أحد الخصمين ، أو جمل .  
 (٥) في الحيوان : « من لاذ بالسيف » . وفي بعض نسخ الحيوان : « لاق قرضه » . والقرض ، أصله ما يجازى به الناس بينهم .  
 (٦) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي ، ولحقه هشام بن عبد الملك سنة ١٠٦  
 ثم ولده العراق سنة ١٢١ فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وقصد العراق ، قتل خالد القسري أمير العراق قبله ، وأقام بالكوفة إلى أيام يزيد بن الوليد ، فعزله سنة ١٢٦ وقبض عليه وحجسه في دمشق إلى أن قتله يزيد بن خالد القسري بثأر أبيه سنة ١٢٧ . وهو ابن ابن عم الحجاج . وفيات الأعيان .  
 (٧) زيد هذا ، هو زيد بن علي بن الحسين بن علي ، كان قد خرج على هشام بن عبد الملك ،  
 وقتله يوسف بن عمر الثقفي ، وصلبه بالكوفة - موضع بالكوفة - عرانا . وكان زيد يلقب بالبهدي ،  
 فقال شاعر أموي :

صلبنا لكم زيدا على جذع غلظة      ولم نر مهديا على الجذع يصلب

- ويروي الجاحظ أن رأس زيد ربيت في دار يوسف بن عمر ، فجاء ديك فوطىء شعوه وقرو لحمه ليأكله . انظر الحيوان ( ٢ : ٢٥١ ) والكمال ٧١٠ ليسك .  
 (٨) ذكر ابن دهر في الاشتقاق ١٦٩ أنه من أهل الكوفة ، وكان من أشجع الناس ، قتل مع زيد بن علي بن الحسين بن علي ، وصلب معه .

شَيْبَةَ بْنِ عَمَّالٍ ، وَكَثَّفَ آلَ أُنَى طَالِبٍ أَنْ يَبْرُؤُوا مِنْ زَيْدٍ ، وَيَقُومَ خُطْبَاؤُهُمْ  
بِذَلِكَ . فَأَوَّلُ مَنْ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ ، فَأَوْجَزَ فِي كَلَامِهِ ثُمَّ جَلَسَ ، ثُمَّ قَامَ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَأُطْنِبَ فِي كَلَامِهِ ، وَكَانَ شَاعِرًا  
بَيْنَا ، وَخُطْبِيًّا لَسِنَا ، فَانْتَصَرَ النَّاسُ وَهُمْ يَقُولُونَ : ابْنُ الطَّلَاحِ (١) أَخْطَبُ  
النَّاسِ ! فَقِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ ،  
وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مَقَامَ سُرُورٍ . فَأَعْجَبَ النَّاسَ ذَلِكَ مِنْهُ .

وَمِنْ أَهْلِ الدُّهَاءِ وَالتَّكْرَاءِ (٢) ، وَمِنْ أَهْلِ اللِّسَنِ وَاللَّقْنِ ، وَالْجَوَابِ  
الْعَجِيبِ ، وَالْكَلَامِ الْقَصِيحِ ، وَالْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ ، وَالْمَخَارِجِ الْعَجِيبَةِ : هَنْدُ بِنْتُ  
الْحُسَيْنِ (٣) ، وَهِيَ الزَّرْقَاءُ ، وَجُمُعَةُ بِنْتُ حَابِسٍ (٤) . وَيُقَالُ إِنْ حَابِسًا مِنْ إِيَادٍ .  
وَقَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَزَارِيُّ : جُمِعَ بَيْنَ هَنْدٍ وَجُمُعَةَ ، فَقِيلَ لْجُمُعَةَ :  
أَيُّ الرَّجَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَتْ : « الشَّيْقُ الْكَتْدُ » (٥) ، الظَّاهِرُ الْجَلَدُ ،  
الشَّدِيدُ الْجَنْدَبُ بِالْمَسِيدِ . وَقِيلَ لِهَنْدٍ : أَيُّ الرَّجَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ :  
« الْقَرِيبُ الْأَمْدُ ، الْوَاسِعُ الْبَلَدُ » (٦) ، الَّذِي يُوفَدُ إِلَيْهِ وَلَا يَبْدُ .

(١) الطَّلَاحُ ، لَقِبَ جَدُّهُ جَعْفَرٌ وَهُوَ جَعْفَرُ بْنُ أُنَى طَالِبٍ : كَانَ قَدْ حَمَلَ لَوَاءَ الْمُسْلِمِينَ فِي يَوْمِ  
مَوْتِهِ يَمِينَهُ قَطَعَتْ ، ثُمَّ بِشِمَالِهِ قَطَعَتْ ، فَاحْتَضَنَهُ بِعَضْدِهِ فَقَتَلَ وَغَرَّ شَهِيدًا ، فَيَقُولُونَ إِنَّهُ عَرَضَ مِنْ  
يَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ . انْظُرِ الْإِسَابَةَ ١١٦٢ .

(٢) التَّكْرَاءُ : الدُّهَاءُ وَالْقَطَنَةُ .  
(٣) هِيَ هَنْدُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ ، بِضَمِّ الْحَاءِ وَتَشْدِيدِ السِّينِ ، بِنْتُ حَابِسٍ بْنِ قُرَيْطِ الْإِيَادِيَّةِ ، وَكَانَتْ  
ذَاتَ فَصَاحَةٍ وَحِكْمَةٍ وَجَوَابٍ عَجِيبٍ . انْظُرِ جَوَابَهَا عَلَى أَسْئَلَةِ شَيْءٍ فِي أَمْثَالِ الْقَائِلِ ( ١ ) ٢/١٩٩ :  
٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٥٦ ، ٣/٢٥٧ ، ١٠٧ ، ١١٩ ( وَالْمَزْمَرُ ( ٢ : ٥٤٠ - ٥٤٥ ) وَكَانَتْ تَرُدُّ سَوَاقَ  
عَكَاظٍ . عَيُونُ الْأَخْبَارِ ( ٢ : ٢١٤ ) .

(٤) يُقَالُ لَهَا أَيْضًا « حَمَّةٌ » بِالْخَاءِ . وَفِي بَلَاقِيَتِ النِّسَاءِ لَطِيفُورٍ ص ٥٨ أَنَّهَا أَحْتُ هَنْدُ ، وَلَنْ  
الْقَلَمِ الْكَتَابِي سَأَلَهَا فِي سَوَاقِ عَكَاظٍ .

(٥) الشَّقُّ : الطَّلِيلُ . وَالْكَتْدُ ، بِالضَّمِّ وَكَتَفٍ : أَعْلَى الْكَتَفِ . فِيمَا عَدَا لَ : « الشَّقُّ  
الْكَتْدُ » نَحْوُ .

(٦) الْبَلَدُ : الدَّارُ ، بِمِثَالِ .



وقد سئلت هند عن حَرِّ الصيف وبرد الشتاء ، فقالت : « من جعل يُوسَى كَأَذَى <sup>(١)</sup> » وقد ضُربَ بها المثل . فمن ذلك قول ليلي بنتِ النَّضْرِ الشاعرة <sup>(٢)</sup> :  
 وَكَزُّ بَنٍ جُدْعَانٍ دَلَالَةُ أُمِّهِ      وَكَانَتْ كَيْنَتْ الْحُسُّ أَوْ هِيَ أَكْبَرُ  
 وقال ابنُ الأَعرابي : يقال بنت الحُسِّ ، وبنت الحُصِّ ، وبنت الحُصْف <sup>(٣)</sup> وهي الزَّرْقَاء . وقال يونس : لا يقال إِلَّا بنت الأَحْص .  
 وقال أَبُو عمرو بن العلاء : داهيتا نساءِ العرب هند الزَّرْقَاء ، وعنتر الزَّرْقَاء ، وهي زَرْقَاءُ الْيَمَامَةِ .

\* \* \*

- وقال البَقَطَرِيُّ : قيل لعبد الله بن الحسن : ما تقول في المراء ؟ قال :  
 ما عسى أَن أَقُولَ فِي شَيْءٍ يُفْسِدُ الصَّدَاقَةَ الْقَدِيمَةَ ، وَيُحِلُّ <sup>(٤)</sup> الْعَقْدَةَ الْوَثِيقَةَ ، فَإِنَّ  
 أَقْلَ مَا فِيهِ <sup>(٥)</sup> أَن يَكُونَ دُرْبَةً لِلْمَغَالِبَةِ ، وَالْمَغَالِبَةُ مِنْ أَمْتِنِ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ . إِنَّ  
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لما أَنَاهُ السَّائِبَ بنَ صَيْفَى فَقَالَ : أَتَعْرِفُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ :  
 « كَيْفَ لَا أَعْرِفُ شَرِيكِي الَّذِي كَانَ لَا يُشَارِبُنِي وَلَا يَمَارِسُنِي » . قَالَ :  
 فَتَحَوَّلْتُ إِلَى زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ فَقُلْتُ لَهُ : الصَّمْتُ خَيْرٌ أَمْ الْكَلَامُ ؟ قَالَ : أَخْزَى  
 اللَّهُ الْمَسَاكَةَ ، فَمَا أَفْسَدَهَا لِلْبَيَانِ ، وَأَجْلَبَهَا لِلْحَصْرِ . وَاللَّهُ لِلْمُماراةِ أَسْرَعُ فِي  
 هَدْمِ الْعَبِيٍّ مِنَ النَّارِ فِي بَيْسِ الْعَرْفَجِ ، وَمَنْ السَّيْلُ فِي الْحَنْوَرِ .  
 وَقَدْ عَرَفَ زَيْدٌ أَنَّ الْمُماراةَ مَذْمُومَةٌ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : الْمُماراةُ عَلَى مَا فِيهَا أَقْلُ  
 ضَرراً مِنَ الْمَسَاكَةِ الَّتِي تَوْرَثُ الْبُلْدَةَ <sup>(٦)</sup> ، وَتَحُلُّ الْعُقْدَةَ ، وَتُفْسِدُ الْمُتَةَ ، وَتَوْرَثُ

(١) الخمر برواية أخرى في الحيوان ( ٥ : ١٠٥ ) .

(٢) وبنت الحُصْف ، مِنْ ل ، هـ قَطَط .

(٣) فِيمَا عَدَلَ ، هـ : هـ : وَيَحُلُّ ، تَحْرِيف .

(٤) التَّيْمِيمَةُ : هـ : وَإِنْ كَانَ أَقْلُ مَا فِيهِ هـ : ب ، ج ، هـ : وَإِنْ كَانَ أَقْلُ مَا فِيهِ هـ .

(٥) فِي السَّلْسَلَةِ : هـ : وَالْبُلْدَةُ وَالْبَلَدَةُ - أَيْ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ - وَالْبَلَادَةُ : ضِدُّ النِّفَاقِ وَالذِّكَاةِ وَالْمُضَاءِ

فِي الْأُمُورِ .

عللاً ، وتوَلَّد أدواءٌ أيسرُّها العيى . فأبى هذا المعنى ذهب زيد .

\*\*\*

ومن الخطباء : خالد بن سلمة المخزومي من قريش ، وأبو حاضر ،  
وسالم بن أبي حاضر ، وقد تكلم عند الخلفاء .

ومن خطباء بني أسيد : الحكم بن يزيد بن عمير ، وقد رأس . ومن  
أهل اللسان منهم والبيان : الحجاج بن عمر بن يزيد <sup>(١)</sup> .

ومن الخطباء : سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية <sup>(٢)</sup> .  
قال : وقيل لسعيد بن المسيب : مَنْ أبلغ الناس ؟ قال : رسول الله ﷺ .  
فقيل : ليس عن هذا نسألك . قال : معاوية وابنه ، وسعيد وابنه <sup>(٣)</sup> ، وما كان  
ابن الزبير دونهم ، ولكن لم يكن لكلامه طِلَوة . ١٠

فمن العجب أن ابن الزبير قد ملأ دفاتر العلماء كلاماً ، وهم لا يحفظون ١٨٧  
لسعيد بن العاص وابنه من الكلام إلا ما لا بال له .

(١) فيما عدل ، هـ : الحجاج بن عمر بن زيد .

(٢) أبو عثمان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي كان  
من نديه عثمان لكتابة القرآن ، ولى الكوفة وغزا طبرستان وخراسان ، وولى المدينة لمعاوية ، فكان يعاقب بينه وبين  
مروان ، وكان مشهوراً بالكرم حتى إذا سأله السائل وليس له مال حاضر كتب له بما يريد ، فلما توفى كان عليه  
ثمانون ألف دينار فوطأها عنه ولده عمرو الأشدق . توفى في قصره بالعقيق سنة ٥٣ . الإصابة ٣٢٦١ .

(٣) هو أبو أمية عمرو بن سعيد ، المعروف بالأشدق ، الذى مضى ذكره فى ص ١٢١ . وكان  
يلقب بلطم الشيطان ، وهو لقب يقال لمن به لقوة أو شتر . انظر الحيوان ( ٦ : ١٧٨ ) . وهو أحد  
التابعين . وهناك عمرو بن سعيد بن العاص الأكبر ، صحابى قديم . ولى الأشدق المدينة لمعاوية ولزيد ، ثم  
طلب الخلافة وغلب على دمشق ؛ وذلك أنه كان بايع عبد الملك بن مروان ، بشرط أن يكون هو الخليفة بعده .  
فلما أراد عبد الملك خلمه وأن يبايع لأولاده نفر عمرو من ذلك وخرج عليه . وقتله عبد الملك بعد أن أعطاه  
الأمان . وكان ذلك سنة ٧٠ . تهذيب التهذيب وتلخيص الطبرى ( ٧ : ١٧٨ - ١٨١ ) والإصابة ٦٨٤٢ .

وكان سعيداً جواداً ، ولم ينزع قميصه قط ، وكان أسود نحيفاً ، وكان يقال له « عُنْكَه العَسَل »<sup>(١)</sup> . وقال الخطيئة :

سَعِيدٌ فَلَا يَمُرُّكَ قِلَّةٌ لَحْمِهِ تَخَلَّدُ عَنْهُ اللَّحْمُ فَهُوَ صَلِيبٌ<sup>(٢)</sup>  
وكان أول من خَشَّ الإِبِلَ في نفس عَظَمِ الأنف . وكان في تديرو  
اضطراب . وقال قاتل من أهل الكوفة :

يا ويلنا قد ذهب الوليدُ وجاءنا مجوعاً سعيدُ  
ينقص ع الصاع ولا يزيد<sup>(٣)</sup>

- قال : الأمراء تتجَبَّ إلى الرعية بزيادة المكايل<sup>(٤)</sup> ، ولو كان المذهب  
في الزيادة في الأوزان كالمذهب في زيادة المكايل ما قصروا ، كما سأل الأحنف  
عمر بن الخطاب الزيادة في المكايل . ولذلك اختلفت أسماء المكايل ،  
كالتيادي والغالج<sup>(٥)</sup> ، والخالدي . حتى صيرنا إلى هذا المُلْجَم<sup>(٦)</sup> اليوم .  
ثم من الخطباء : عمرو بن سعيد ، وهو الأشدق<sup>(٧)</sup> ، يقال إن ذلك  
إنما قيل لتشادقه في الكلام . وقال آخرون : بل كان أقصم مائل الذَّنْ ، ولذلك  
قال عبيد الله بن زياد حين أهوى إلى عبد الله بن معاوية : يَكْ عَنِّي بِالطِّيمِ  
الشَّيْطَانُ ، وبيا عاصي الرحمن<sup>(٨)</sup> . وقال الشاعر :
- وعمرُو لطيم الجنِّ وابنُ محمَّدٍ بأسوا هذا الأمرِ يلتبسَانِ<sup>(٩)</sup>

(١) العكة ، بالضم : رزق صغير .

(٢) ديوان الخطيئة ٤٢ وسيأتي في ( ٣ : ١١٦ ) . تخلَّد اللحم : هزل وتقص .

(٣) فيما عدل : : ينقص في الصاع .

(٤) ل : : الكيل .

(٥) في اللسان ( ٣ : ١٧٢ ) : والغالج - والفالج - بالكسر - مكيال ضخمة معروف وقيل هو  
القفيز ، وأصله بالسريانية فالغاء ، فرب . ومثله في المعرب للجوالقي ٢٤٩ .

(٦) ل : : الملجم ، تحريف . وانظر الطبري ( ١٠ : ٢٦٦ ) وكتاب بنفاد لابن طيفور ١٩ حيث ذكر صفته .

(٧) مضت ترجمته في الصفحة السابقة .

(٨) انظر الخبر في الحيوان ( ٦ : ١٧٨ ) .

(٩) ل : : قيا سوء ، تحريف .

ذُكر ذلك عن عَوانة <sup>(١)</sup> . وهذا خلاف قول الشاعر :

تَشَادَقَ حَتَّى مَالٍ بِالْقَوْلِ شِدْقُهُ      وَكُلُّ خَطِيبٍ لَا أَبَالِكَ أَشْدَقُ <sup>(٢)</sup>

وقال : وقد كان معاوية قد دَعَا بِهِ فِي غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا اسْتَنْطَقَهُ

قال : « إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ مَرْكَبٍ صَعَبٌ ، وَإِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا » . وقال له : إلى من

أَوْصَى بِكَ أَبُوكَ ؟ قال : إِنَّ أُنَى أَوْصَى إِلَيَّ وَلَمْ يَوْصِ بِي <sup>(٣)</sup> . قال : وبأي شيء

أَوْصَاكَ ؟ قال : بَأَلَّا يَفْقَدَ إِخْوَانُهُ مِنْهُ إِلَّا شَخْصَهُ . قال : فقال معاوية عند

ذلك : إِنَّ ابْنَ سَعِيدٍ هَذَا لِأَشْدَقَ . فَبُذِلَ عَنْهُمْ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا سَمِيَ ١٨٨  
بِالْأَشْدَقِ لِمَكَانِ التَّشَادُقِ .

ثم كان بعد عمرو بن سعيد ، سعيد بن عمرو بن سعيد ، وكان ناسباً

١٠ خطيباً ، وأعظم الناس كبراً . وقيل له عند الموت : إِنَّ الْمَرِيضَ لِيَسْتَرْجِعَ إِلَى

الْأَيْنِ ، وَإِلَى أَنْ يَصِفَ مَا بِهِ إِلَى الطَّيِّبِ . فقال :

أَجَالِيدُ مِنْ رَبِّ الْمُنُونِ فَلَا تُرَى      عَلَى هَالِكٍ عَيْنَا لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ <sup>(٤)</sup>

ودخل على عبد الملك مع خطباء قريش وأشرفهم ، فتكلموا من قيام ،

وتكلم وهو جالس ، فتبسم عبد الملك وقال : لقد رجوتُ عَثْرَتَهُ ، ولقد أَحْسَنَ

١٥ حَتَّى خِفْتُ عَثْرَتَهُ .

فسعيد بن عمرو بن سعيد ، خطيب ابن خطيب ابن خطيب .

(١) عَوانة بفتح العين ، وهو عَوانة بن الحكم بن عَوانة بن عياض ، الكلبي الكوفي الأحمري النسابة . وكان كثير الرواية عن التابعين ، وأكثر المداثي في النقل عنه ، وكان عثامياً يضع الأخبار لبني أمية . توفي سنة ١٥٨ . لسان الميزان ( ٤ : ٣٨٦ ) وابن النديم ١٣٤ ونكت الحميان ٢٢٢ .

(٢) أنشد هذا البيت في ص ١٢١ .

(٣) الخبر في عيون الأخبار ( ١ : ٢٣٥ ) ومآل المرتضى ( ١ : ٢٠٠ ) .

(٤) أجاليد : جمع جمع للجلد ، وهو القوي النفس والجسد .

- ومن الخطباء : سهيل بن عمرو الأعلم<sup>(١)</sup> أحد بني جِسل بن مَعِيص<sup>(٢)</sup> وكان يُكنى أبا يزيد ، وكان عظيم القلر ، شريف النفس ، صحيح الإسلام . وكان عمر قال للنبي ﷺ : يا رسول الله ، انزع ثيبي السفلين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيأ أبداً . فقال رسول الله ﷺ : « لا أمثل فيمثل الله بي وإن كنت نبياً . دعه يا عمر فعسى أن يقوم مقاماً عمله » . فلما هاج أهل مكة عند الذي بلغهم من وفاة رسول الله ﷺ قام خطيباً فقال : « أيها الناس ، إن يكن محمد قد مات فالله حي لم يموت . وقد علمتم أنني أكثركم قنبا في برٍّ ، وجارية في بحر<sup>(٣)</sup> ، فأقروا أميركم وأنا ضامن إن لم يتم الأمر أن أردّها عليكم » ، فسكن الناس . وهو الذي قال يوم خرج آذن عمر ، وهو بالباب وعيينة بن حصن<sup>(٤)</sup> والأقرع بن حابس ، وفلان وفلان ، فقال الآذن : أين بلال ، أين صهيب ، أين سلمان ، أين عمار ؟ فتمعرت وجوه القوم ، فقال سهيل : لِمَ تمعرت وجوهكم ؟! دُعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر ، لَمّا أعد الله لهم في الجنة أكثر .

- ومن الخطباء : عبد الله بن عروة بن الزبير : قالوا : وكان خالد بن صفوان يشبه به . وما علمت أنه كان في الخطباء أحد كان أجود خطيباً من خالد بن صفوان ١٥

(١) سبقت ترجمته في ص ٥٨ . ل : « الأشرم » وما أثبت من سائر النسخ هو المطابق لما في الإصابة ٣٥٦٦ . والأعلم : المشقوق الشفة العليا ، وقد كان كذلك . أما الأشرم فهو المشرع الأنف .

(٢) كنا . والمعروف أن حسلا وميمصا أخوان أبهما عامر بن لؤي . انظر المطرف ٣٢ ومختلف القبائل ومؤلفها لابن حبيب ص ٣١ .

(٣) القتب : رجل صغير على قدر السنام . عنى كقوة إبله وسفته في التجارة . ٢٠

(٤) هو عيينة بن حصن بن حنيفة بن بدر القرظي ، وكان اسمه حنيفة فلقب عيينة ، لأنه كان أصابعه شجة فحفظت عينه . شهد حنيناً والطفائف وعاش إلى خلافة عثمان . الإصابة ٦١٤٦ . ما عدا هـ : « والباب عيينة بن حصن » .

وشيب بن شيبه ، للذى يحفظه الناس ويدور على ألسنتهم من كلامهما . ١٨٩  
وما أعلم أن أحداً ولد لهما حرفاً واحداً .

- ومن النسائيين من بنى العنبر ثم من بنى المنبر : الحنفى بن يزيد <sup>(١)</sup> بن جعونة . وهو الذى تعرض له دغفل بن حنظلة العلامة عند ابن عامر <sup>(٢)</sup> بالبصرة ، فقال له : متى عهدك بسجاج أم صادر <sup>(٣)</sup> ؟ فقال : « مالى بها عهد منذ أضللت أم جلس » ، وهى بعض أمهات دغفل . فقال له : نشدتك بالله ، نحن كنا لكم أكثر غزواً فى الجاهلية أم أنتم لنا ؟ قال : بل أنتم <sup>(٤)</sup> فلم تفلحوا ولم تنجحوا ، غزانا فارسكم وسيدكم وابن سيدكم ، فهزمناه مرة وأسرناه مرة ، وأخذنا فى فدائه بخلر أمه . وغزانا أكثركم غزواً ، وأنبهكم فى ذلك ذكرا ، فأعرجناه ثم أرجلناه . فقال ابن عامر : أسألكما بالله لئلا كففتما . ١٠
- وكان عبد الله بن عامر ، ومصعب بن الزبير ، يُجَيَّان أن يعرفا حالات الناس ، فكانا يُعْرِيان بين الوجوه وبين العلماء ، فلا جرم أنهما كانا إذا سبوا أوجعا . وكان أبو بكر رحمه الله أنسب هذه الأمة ، ثم عمر ، ثم جبير بن مطعم ، ثم سعيد بن المسيب ، ثم محمد بن سعيد بن المسيب . ومحمد هذا هو الذى نفى آل عتكة الخزوميين <sup>(٥)</sup> فرفع ذلك إلى والى المدينة فجلده الحد . وكان ينشد :

(١) فيما عدل : « بن زيد » .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كهمز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، ابن خال عثمان بن عفان . كان شجاعاً جواداً ميموناً ، ولده عثمان البصرة وضم إليه فارس فافتتح خراسان وأطراف فارس وسجستان وغيرها . وولاه معاوية البصرة . توفى سنة ٥٩ قبل وفاة معاوية بسنة . الإصابة ٦١٧٥ والمعارف ١٤٠ والجهازي ١٤٨ . ٢٠

(٣) هى سجاج بنت الحارث الحميرية ، من بنى يربوع ، وكان يقال لها أم صادر ، وتزوجها مسيلة المتنى ، ثم من بعد قتله عادت إلى الإسلام فأسلمت وعاشت إلى خلافة معاوية ، ذكر ذلك صاحب التاريخ المظفرى . المعارف ١٧٨ والإصابة ٦٠٧ من قسم النساء .

(٤) ل : « قال بل أنتم لنا قال » .

(٥) فقام : أى نفى نسبهم إلى مخزوم ، جعل أباهم مرلى لميرة بن أبى وهب . ٢٥

ويروى عن ابن أَرَضٍ وَأَعْتَقَهُ هُبَيْرٌ بَعْدَ حِينٍ (١)

يعنى هُبَيْرٌ بنُ أُمِّ وَهَبٍ الْخَزْرُمِيُّ (٢)

ومن التَّسَايِين العلماء : عتبة بنُ عُمَرَ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكان من ذَوِي الرَّأْيِ وَالذَّهَاءِ ، وكان ذا مَنْزِلَةٍ مِنَ الْحِجَّاجِ بنِ يَوْسَفَ .

وعمرُ بن عبد الرحمن خامسُ خَمْسَةٍ فِي الشَّرَفِ . وكان هو السَّاعِي بين الأَسَدِ (٣) وَتَمِيمٍ فِي الصُّلْحِ .

ومن بنى حُرُوفُصَ : شُعْبَةُ بن القَلْعَمِ ، وكان ذا لِسَانٍ وَجَوَابٍ وَعَارِضَةٍ ، وكان وَصَافًا فَصِيحًا ، وبنوه عبد الله ، وعمر ، وخالد كلُّهم كانوا في هذه الصِّفَةِ ، غير أنَّ خالداً كان قد جمع مع اللِّسَنِ وَالْعِلْمِ ، الْخِلَافَةَ وَالظَّرْفَ (٤) .

وكان الْحِجَّاجُ بنُ يَوْسَفَ لَا يَصْبِرُ عَنْهُ .

ومن بنى أَسَدُ بن عمرو بن تَمِيمٍ (٥) ، أَبُو بَكْرٍ بن الحكم ، كان نَاسِبًا

١٩٠ رواية شاعرا ، وكان أَحَلَّى النَّاسِ لِسَانًا ، وَأَحْسَنَهُمْ مَنْطِقًا ، وَأَكْثَرَهُمْ تَصَرُّفًا . وهو الذي يقول له رُؤْيَةُ :

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ سَاحِرًا رَاوِيَةً مَرًّا وَمَرًّا شَاعِرًا (٦)

١٥ ومنهم مُعَلَّلُ بن خالد ، أَحَدُ بنِي أُمَامَةَ بنِ الْهَجِيمِ ، وكان نَسَابَةً عَلَّامَةً ،

(١) ابن أَرَضٍ ، أَمِي غَرِيبٍ . انظر المقاييس ( ١ : ٨١ ) .

(٢) فِي الْأَشْتَقِاقِ ٩٥ : « مِنْ فَرَسَاتِهِمْ هُبَيْرٌ بنُ أُمِّ وَهَبٍ ، وَكَانَ زَوْجَ أُمِّ هَانِءٍ بِنْتِ أُمِّ طَالِبٍ ، فَأَسْلَمَتْ وَبِئَتْ هُوَ عَلَى الشُّرْكِ » .

(٣) هـ : « الْأَوْدُ » ، وَهِيَ لَتَانٌ .

(٤) فِيمَا عَدَلَ : « مَعَ بِلَاقَةِ اللِّسَانِ الْعِلْمِ وَالْخِلَافَةِ وَالظَّرْفِ » .

(٥) أَسِيدٌ هَذَا : تَصْغِيرُ أَسَدٍ فِي لَفَةِ بَنِي تَمِيمٍ ، وَسَائِرُ الْعَرَبِ يَقُولُونَ فِي تَصْغِيرِهِ : أَسِيدٌ . انظر

الْأَشْتَقَاقِ ١٢٧ .

(٦) لَمَرٌ ، بِالْفَتْحِ : جَمْعُ مَرَةٍ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ :

لَا بَلَّ هُوَ الشُّرُوقُ مِنْ دَارِ تَحْنُونِهَا مَرًّا سَحَابٌ وَمَرًّا بِلَاحِ تَوْبِ

راويةً صلّوفاً مقلداً<sup>(١)</sup> . وذكر للمتّجّع بن ثبهان فقال : كان لا يُجَارَى ولا يمارى .

ومنهم من بنى العنبر ، ثم من بنى عمرو بن جندب : أبو الخنساء عباد بن كسيب<sup>(٢)</sup> ، وكان شاعراً علامة ، وراويةً نسابة ، وكانت له حُرْمَةٌ بأبي جعفر المنصور .  
ومنهم : عمرو بن خُوْلة ، كان ناسباً خطيباً ، وراويةً فصيحاً ، من ولد سعيد بن العاصي . والذي أتى سعيد بن المسيّب ليعلمه النسب هو إسحاق ابن يحيى بن طلحة .

وكان يحيى بن عروة بن الزبير ناسباً عالماً ، ضربه إبراهيم بن هشام المخزومي إلى المدينة حتّى مات ، لبعض القول . وكان مصعب بن ثابت بن عبد الله<sup>(٣)</sup> ناسباً عالماً ، ومن ولده الزُّبَيْرِي<sup>(٤)</sup> عامل الرُّشيد على المدينة واليمن .

ومنهم ثم من قرش : محمد بن حفص<sup>(٥)</sup> ، وهو ابن عائشة ، ويكنى أبا بكر . وابنه عبيد الله ، كان يجرى مجراه ، ويكنى أبا عبد الرحمن .

ومن بنى خُزَاعِيّ بن مازن<sup>(٦)</sup> : أبو عمرو وأبو سفيان ؛ ابنا العلاء بن عمار بن الثريان . فأما أبو عمرو فكان أَعْلَمَ الناس بأموو العرب ، مع صِحَّةِ سماعٍ وصدق

(١) المقلد ، أصله في الخيل : السابق يقلد شيئاً ليعرف أنه قد سبق .

(٢) أبو الخنساء عباد بن كسيب ، من بنى عمرو بن جندب ، ذكره ابن النديم في الفهرست ٢٣ وقال : « وكان راوية للشعر عالماً بأخبار العرب » .

(٣) هو والد الزبيري التالي . وفي الأصول : « مصعب بن عبد الله بن ثابت » . وهذا لا يستقيم مع الكلام التالي ، وانظر لمصعب بن ثابت جمهرة ابن حزم ١٢٢ والأغاني ( ٢٠ : ١٨٠ ) .

(٤) اسمه عبد الله بن مصعب ، كما في تاريخ الطبري ( ١٠ : ١١٢ ) . وتاريخ بغداد ( ١٠ : ١٧٣ ) . وكانت وفاته سنة ١٨٤ .

(٥) فيما عدل ل ، ه : « محمد بن جعفر بن حفص » وكلمة « جعفر » مقحمة . انظر ترجمة ولده عبيد الله فيما مضى ص ١٠٢ .

(٦) هم بنو خُزَاعِيّ بن مازن بن مالك بن عمرو بن نعيم . انظر الاشتقاق ١٢٤ - ١٢٥ . فيما عدل ل « خُزَاعَة » تحريف .



لسان . حدَّثني الأصمعيُّ قال : جلستُ إلى أبي عمرو عشرَ جَجَجٍ ما سمعته يجتجُّ بيتَ إسلامي . قال وقال : مرّة : « لقد كثرَ هذا المحدث وحسنَ حتَّى لقد هممتُ أن أمرَ فتياننا بروايته » . يعني شعرَ جرير والفرزدق وأشباههما . وحدَّثني أبو عبيدة قال : كان أبو عمرو أعلمَ الناسَ بالغريب <sup>(١)</sup> والعريّة ، وبالقرآن <sup>(٢)</sup> والشعر ، وبأيام العرب وأيام الناس . وكانت دارُه خلفَ دارِ جعفرِ بنِ سليمان <sup>(٣)</sup> .  
 قال : وكانت كُتبه التي كَتَبَ عن العرب الفصحاء ، قد ملأتُ بيتاً له إلى قريبٍ من السقف ، ثم إنّه تقرأ <sup>(٤)</sup> فأحرقها كُلُّها ، فلمّا رجعَ بعدُ إلى علمه الأول لم يكن عنده إلّا ما حفظه بقلبه . وكانت عامّةُ أخباره عن أعرابٍ قد أدركوا الجاهلية <sup>(٥)</sup> .

وفى أبي عمرو بن العلاء يقول الفرزدق :

- ١٠ مازلت أفتَحُ أبواباً وأغلقها حتّى أتيتُ أبا عمرو بنَ عمارٍ  
 قال : فإذا كان الفرزدق وهو راويّةُ الناسَ وشاعِرُهُم وصاحبُ أخبارهم ، يقول فيه مثلُ هذا القول ، فهو الذي لا يُشكُّ في خطابته وبلاغته .  
 وقال يونس : لولا شعرُ الفرزدق لذهبَ نصفُ أخبارِ الناسِ .

وقال في أبي عمرو مكيُّ بنِ سَوادة <sup>(٦)</sup> :

- ١٥ الجامعُ العلمِ ننسّاهُ ويحفظُه والصادقُ القولِ إنَّ أُنْدَادَهُ كَذَبُوا  
 وكان أبو سفيانَ بنَ العلاءِ ناسباً ، وكلاهما كُتاهُما أَسْمَاؤُهُما . وكذلك أبو عمرو بنَ العلاءِ بنَ لبيد ، وأبو سفيان بنَ العلاءِ بنَ لبيد التغلبيّ ، خليفة عيسى بن شبيب المازنيّ على شَرطِ البصرة .

(١) فيما عدل : « بالعرب » . (٢) فيما عدل : « وبالقرابة » .

(٣) هو جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ابن عم السفاح والمنصور . انظر المعارف ١٦٤ .

(٤) تقرأ تقرأ ، أي تنسك . وفي ترجمته عند ابن خلكان : « ثم إنه تقرأ ، أي تنسك » .

(٥) ولد أبو عمرو بن العلاء سنة ٧٠ وتوفى سنة أربع أو ست أو سبع أو تسع وخمسين ومائة .

ياقوت وابن خلكان وبغية الوعلة .

وكان عقيل بن أقي طالب ناسباً عالماً بالأمهات ، بين اللسان سديد  
الجواب <sup>(١)</sup> ، لا يقوم له أحد .

وكان أبو الجهم بن حذيفة العدوي <sup>(٢)</sup> ناسباً شديد العارضة ، كثير  
الذكر للأمهات بالمثالب .

ومن رؤساء التسيين : دغفل بن حنظلة ، أحد بني عمرو بن شيان ، لم  
يلدرك الناس مثله لساناً وعلماً وحفظاً . ومن هذه الطبقة زيد بن الكيس التمرى .

ومن نسائي كلب : محمد بن السائب ، وهشام بن محمد بن السائب ،  
وشرقي بن القطامي . وكان أعلاهم في العلم ومن ضرب به المثل ، حماد بن بشر .

وقال سيمك العكرمي <sup>(٤)</sup> :

١٠ فسايل دغفل وأخا هلال وحماداً يئبوك اليقينا <sup>(٥)</sup>

وقد ذكرنا دغفلاً . وأخو هلال هو زيد بن الكيس . وبنو هلال : حتى  
من الثمر بن قاسط .

وقال مسكين بن أنيف الناري <sup>(٦)</sup> في ذلك :

وعند الكيس التمرى علم ولو أمسى بمحرق الشمال

١٥ وقال ثابت قطنة :

فما العضان لو سئلا جميعا أخو بكر وزيد بنى هلال <sup>(٧)</sup> ١٩٢

(١) في جميع النسخ : « شديد الجواب » . وإنما هو من السداد والإصابة .

(٢) أبو الجهم ذكره ابن النديم في الفهرست ١٦٢ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من حـ والتميمية وزيدت في بـ .

(٤) حـ : « المكل » مع أثر تصحيح . بـ والتميمية : « العكرى » .

(٥) لـ : « وأبا هلال » تحريف . يقال فلان أخو القوم ، أي هو منهم .

(٦) مسكين ، لقب له ، واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شرح بن عمرو بن علس بن زيد بن

عبد الله بن دارم . شاعر شجاع من أهل العراق ، كان معاصراً للفرزدق . الخزانة ( ١ : ٤٦٧ ) والأغاني

( ١٨ : ٦٨ - ٧٢ ) .

(٧) العض ، بالكسر : الداهية من الرجال ، ومنه قول القطامي :

أحاديث من أنباء عاد وجرهم يثروها المضان زيد ودغفل

ولا الكلبى حماد بن بشر ولا من قاد في الزمن الخوالى <sup>(١)</sup>  
وقال زياد الأعجم :

بل لو سألت أبا ربيعة دغفلا لوجدت في شيان نسبة دغفل  
إن الأحابن والذين يملونهم شر الأنام ونسل عيد أغرل <sup>(٢)</sup>  
يهجو فيها بنى الحبناء .

ومهم : أبو إياس النصرى <sup>(٣)</sup> . وكان أنسب الناس ، وهو الذى قال :  
كانوا يقولون : أشعر العرب أبو ذؤاد الإيادى ، وعيدى بن زيد العبادى .  
وكان أبو نوفل بن ألى عقرب <sup>(٤)</sup> ، علامة ناسبا خطيبا فصيحاً ، وهو  
رجل من كنانة ، أحد بنى عرج <sup>(٥)</sup> .

ومن بنى كنانة ثم من بنى ليث ، ثم من بنى الشداخ <sup>(٦)</sup> : يزيد بن بكر  
ابن دأب . وكان يزيد عالماً ناسباً ، ورواية شاعراً . وهو القائل :  
الله يعلم فى علمى علمه وكذاك علم الله فى عثمان

(١) قاد يفيد فيدا : هلك .

(٢) الأحابن أراد بهم بنى الحبناء . والأغرل : الأكلف . فيما عدل : عيد الأغرل : تحريف .

(٣) فيما عدل : إياس النصرى .

(٤) ذكره الجاحظ فى الحيوان ( ٥ : ٢١٩ ) بلفظ « ابن ألى العقرب اللبى » . كما ذكره ابن  
قتيبة فى الملوغ ٣١ بنسبة « العريجي » . وفى تهذيب التهذيب : « أبو نوفل بن ألى عقرب البكرى  
الكندى العريجي ، قيل اسمه مسلم بن ألى عقرب ، وقيل عمرو بن مسلم بن ألى عقرب ، وقيل معاوية بن  
ألى عقرب . روى عن أبيه أو جده ألى عقرب ، وعائشة وأسماء بنتى ألى بكر الصديق ، وعمرو بن  
الحامص والمعادلة الأربعة ... وعما شعبة معاوية بن عمرو قال : كنت أتبه أنا وأبو عمرو بن الملاء فأسأله عن  
الفقه ويسأله أبو عمرو عن العرية » . وانظر الإصابة ٧٦٦ من باب الكنى .

(٥) فى الملوغ ٣١ : « ومنهم بنو عرج ، وهم قليل ، وأبو نوفل بن ألى عقرب العريجي منهم » .  
وانظر جمهرة ابن حزم ١٨٤ .

(٦) الشداخ ، بتليث الشين وتشديد الدال ، من ليث بن كنانة ، واسمه يعمر بن عوف بن  
كعب . قالوا : سمى بذلك لأنه أصلح بين قريش ونزاعة فى الحرب التى كانت بينهم فقال : شدخت  
الدماء تحت قدمى . انظر الاشتقاق ١٠٦ والقاموس واللسان ( شدخ ) .

وولد يزيد يحيى وعيسى . فعيسى هو الذى يُعرف فى العامة بابن دأب ، وكان من أحسن الناس حديثاً وبياناً ، وكان شاعراً راوية ، وكان صاحب رسائل وخطب ، وكان يُجيدُهما جيداً (١) .

ومن آل دأب : حذيفة بن دأب ، وكان عالماً ناسياً . وفى آل دأب علم بالتَّسَبُّب والخبر .

وكان أبو الأسود الدؤلى ، واسمه ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان ، خطيباً عالماً ، وكان قد جمع شِدَّةَ العقل وصواب الرأى وجودة اللسان ، وقول الشعر والظرف . وهو يُعدُّ فى هذه الأصناف ، وفى الشيعة ، وفى العُرجان ، وفى المفاليح . وعلى كلِّ شَيْءٍ من هذا شاهدٌ سيقع فى موضعه إن شاء الله تعالى .  
وقال الحُسُّ لابنته هند : أريد شراءً فحلٍ لإبلى . قالت : « إن اشتريته فاشتره أسجَحُ الحدين ، غائر العينين ، أرقب ، أحزم أعكى ، أكوَّم : إن عُصَى عَشَم ، وإن أطيع تُجرِّم » .

وهى التى قالت لما قيل لها : ما حملك على أن زنيبت بعبدك ؟ قالت : ١٩٣  
« طول السَّواد ، وقرب الوساد » .

السَّواد : السَّرار . أسجَحُ : سهَّلُ واسع . يقال : « ملكت فأسجَحُ » .  
أرقب : غليظ الرُّقبة . أحزم : متنفِّح المَحْزِم . أعكى : العُكوة مَغْرِزُ الوركين فى المؤخَّر ، تصفه بشِدَّةِ الوركين . إن عُصَى عَشَم : إن عصته النَّاقَةُ غصبتها نفسها . تجرِّم : أى يبقى ، مأخوذة من الجرثومة ، وهى الطين والتراب يُجَمِّع

(١) وكان عيسى يضع الحديث والشعر وأحاديث السمر ، كان يضع الحديث بالمدينة ، وابن شوكر يضع الحديث بالسند . وفيهما يقول خلف الأحمر :

أحاديث ألفها شوكر وأخرى مؤلفة لابن دأب

وكان صاحب حظوة عند الهادى ، وروى عنه شبابة بن سولر ، ومحمد بن سلام الجمحى . تاريخ بغداد ( ١١ : ١٤٨ ) ولسان الميزان ( ٤ : ٤٠٨ ) .

حول النخلة ؛ ليقويها . تصفه بالصبر والقوة على الضراب . أكرم : عظيم  
السمام . وقال الشاعر (١) :

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُكَلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ سِوَاؤُهَا  
يقال : في لسانه حُكَلَة ، إذا كان شديد الحُبسة مع لئغ .

- قالوا : وعاتب هشام بن عبد الملك زيد بن علي ، فقال له : بلغني عنك  
شيء . قال : يا أمير المؤمنين ، أحلف لك ؟ قال : وإذا حلفت لي أصدقك ؟  
قال : نعم ، إن الله لم يرفع أحداً فوق ألا يرضى به ، ولم يضع أحداً دون ألا  
يرضى منه به (٢) .

- وكان زياد بن طَيَّان التيمي العائشي خطيباً ، فدخل عليه ابنه  
عبيد الله (٣) وهو يَكِيدُ بنفسه ، فقال له : ألا أوصي بك الأمير (٤) . قال :  
لا . قال : ولم ؟ قال : إذا لم يكن للحى إلا وصية الميت فالحى هو الميت .  
وكان عبيد الله أفتك الناس ، وأخطب الناس . وهو الذي أتى باب مالك  
ابن مسنم (٥) ومعه نارٌ ، ليحرق عليه داره ، وقد كان نابه أمر فلم يرسل إليه قبل  
الناس ؛ فأشرف عليه مالك فقال : مهلاً يا أبا مطر ، فوالله إن في كنتاتي

(١) هو الصانع الراجز ، كما في الحيوان ( ٤ : ٢٣ ) . وعبرة الإنشاد والبيت وشرحه ساقطة من ل . ١٥

(٢) سبق الخبر برؤية أخرى في ص ٣١٠ .

(٣) كان عبيد الله بن زياد بن طَيَّان فاتكاً من الشجعان ، وكان مقرباً من عبد الملك بن مروان ، وهو  
الذي قتل مصعب بن الزهر وحمل رأسه إلى عبد الملك . الطبري ( ٧ : ١٨٦ ) وجمهرة ابن حزم ٣١٥ . وذكره  
التنويري في نهاية الأرب ( ٩ : ٢١٦ ) هو وعبيد الله بن زياد بن أبيه . وقال : « وخبرهما يشبه مسائل الدور ، فإن  
عبيد الله بن زياد بن أبيه قتل المختار واختار قتل مصعب ، ومصعب قتل عبيد الله بن زياد بن طَيَّان » .  
(٤) فيما عدل : « الأمير زياد » - وكلمة « زياد » مقحمة . والحبر في الحيوان ( ٢ : ٩٥ -  
٩٦ ) وعيون الأخبار ( ١ : ٢٣٥ ) وأمالى المرتضى ( ١ : ٢٠٠ ) .

(٥) مالك بن مسنم بن شيخان ، من بكر بن وائل . قال رجل لعبد الملك : لو غضب مالك  
لغضب معه مائة ألف لا يسألونه فم غضب . فقال عبد الملك : هذا وأنيك للسود . وهلك في أول  
خلافة عبد الملك بن مروان بالبصرة . الملووف ١٨٤ والإصابة ٨٣٥٣ والحيوان ( ١ : ٢٧٠ ) . ٢٥

سَهْمٌ أَنَا بِهِ أَوْثَقُ مَنِّي بِكَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُنِي فِي كَنَانِكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْ قَعْتُ فِيهَا لَطَلْتُهَا ، وَلَوْ قَعَدْتُ فِيهَا لَحَرَقْتُهَا . قَالَ مَالِكٌ : مَهْلًا ، أَكْثَرَ اللَّهُ فِي الْعَشِيرَةِ مِثْلَكَ ! قَالَ : لَقَدْ سَأَلْتُ اللَّهَ شَطَطًا !

ودخل غبيد الله على عبد الملك بن مروان ، بعد أن أتاه برأس مصعب بن الزبير ، ومعه ناسٌ من وجوه بكر بن وائل ، فأراد أن يقعدَ معه على سريرهِ فقال له عبد الملك : ما بال الناس يزعمون أنك لا تُشبه أباك ؟ قال : والله لأننا أشبهُ بأبي من الليل بالليل ، والغراب بالغراب ، والماء بالماء ، ولكن إن شئت أنبأتك بمن لا يُشبه أباه . قال : ومن ذاك ؟ قال : من لم يولد لتمام ، ولم تُنضِجه الأرحام ، ومن لم يشبه الأخوال والأعمام . قال : ومن ذاك ؟ قال : ابن عمي سُويد بن منجوف <sup>(١)</sup> . قال عبد الملك : أو كذلك أنت يا سُويد ؟ قال : نعم . فلما خرجا من عنده أقبل عليه سُويد فقال : وَرَيْتُ بِكَ زَنَادَى <sup>(٢)</sup> ! والله ما يَسْرُنِي أَنْكَ كُنْتَ نَقَصْتَهُ حَرْفًا وَاحِدًا مِمَّا قُلْتَ لَهُ وَأَنْ لِي حُمْرُ النَّعَمِ <sup>(٣)</sup> . قال : وأنا والله ١٩٤ ما يَسْرُنِي بِحِلْمِكَ الْيَوْمَ عَنِّي سُودُ النَّعَمِ <sup>(٤)</sup> .

قال : وأنى غبيد الله ، عتاب بن ورقاء ، وعتابٌ على أصبهان ، فأعطاه عشرين ألفَ درهم ، فقال : والله ما أحسنتُ فأحمدُكَ ، ولا أسأتُ فأذمُّكَ ، وإنَّكَ لَأَقْرَبُ الْبَعْدَاءِ ، وَأَبْعَدُ الْقُرَبَاءِ .

قال : وقال أشيم بن شقيق بن ثور ، لعبيد الله بن زياد بن ظبيان : ما أنت قاتلُ لُزَيْكٍ وقد حملتُ رأس مصعب بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان ؟ قال :

- (١) سُويد بن منجوف بن ثور السدوسي كان زعيم بكر بن وائل بالبحرة ، وأحد من مهاجم  
٢٠. الأخطل . الحيون ( ٥ : ١٦٢ ) والاشتقاق ٢١٢ والأغالي ( ٧ : ١٧٤ ) .  
(٢) في اللسان : « تقول لمن أتجحد وأعانك : ورت بك زنادة » . ويقال وريت أيضا . والزناد : جمع زند ، وهو ما تورى به النار .  
(٣) العرب تقول : خير الإبل حمرا وصهبيا .  
(٤) انظر لقوة السود من الحيون كتاب الحيون ( ١ : ٢/٢٦٢ : ٧٩ ) .

اسكُت ، فأنت يوم القيامة أخطبُ من صمصمة بن صُوحان إذا تكلمت الخوارج . فما ظنك بـيلاغة رجل عبيدُ الله بن زياد يضرب به المثل !

وإنما أردنا بهذا الحديث خاصة ، الدلالة على تقديم صمصمة بن صُوحان في الخطب . وأدُلُّ (١) من كلِّ دلالة استطاع على بن أبي طالب رضي الله عنه له (٢) .

- وكان عُثمان بن عروة (٣) أخطبَ الناس ، وهو الذي قال : « الشكر وإن قلَّ ، ثمَّ لكلِّ نوالٍ وإن جُلَّ » .

وكان ثابت بن عبد الله بن الزبير ، من أئمة الناس ، ولم يكن خطيبا .

وكان قسامة بن زهير (٤) أحد بني رِزام بن مازن (٥) ، مع نُسكه وزُهده ومنطقه ، من أئمة الناس ، وكان يُعَدُّ بعامر بن عبد قيس (٦) في زُهده

- ومنطقه . وهو الذي قال : رَوَّحُوا هذه القلوب بجمع الذُكْرِ . وهو الذي قال : ١٠ « يا معشرَ الناس ، إنَّ كلامكم أكثرُ من صمتكم ، فاستعينوا على الكلام بالصمت ، وعلى الصواب بالفكر » . وهو الذي كان رسولَ عُمرَ في البحث عن شأن المغيرة وشهادة أبي بكرٍ (٧) .

(١) فيما عدل ، هـ : « وأول » .

١٥ (٢) انظر ما سبق في ص ٢٠٢ .

(٣) هو عثمان بن عروة بن الزبير بن العوام ، كان من خطباء الناس وعلمائهم ، ومن وجوه قريش وساداتهم ، وأمه عمة عبد الملك بن مروان . توفي سنة ١٣٦ . تهذيب التهذيب .

(٤) سبق ترجمته في ص ٤٥ . وكلمته التالية في رسائل الجاحظ ( ١ : ٢٩٠ )

(٥) في هامش ل ، د خ : دلم بن مالك . وقسامة ملزق .

٢٠ (٦) سبق ترجمته في ص ٨٣ .

(٧) أبو بكر ، هو تميم بن الحارث ، أسلم ومات في خلافة عمر . وكان تدلُّ إلى النبي ﷺ من حصن الطائف ببكرة ، ذلك أنه لما طال حصار الطائف قال رسول الله : « أيما عبد تدلُّ إلى فهو حر » . فاشتهر بأبي بكر . الإصابة ٧٨٩٤ وابن خلكان في ترجمته ( يزيد بن ربيعة ) . والمغيرة ، هو الصحابي الجليل المغيرة بن شعبه . وكان قد اتهم بمرارة من بني هلال يقال لها أم جميل ، فشهد عليه أبو بكر ، وشهد بن معبد ، ونافع بن كلفة ونهاد . انظر تاريخ الطبري ( ٤ : ٢٠٦ - ٢٠٨ ) في حوادث سنة ١٧ . ٢٥

وكان خالد بن يزيد بن معاوية ، خطيباً شاعراً ، وفصيحاً جامعاً ، وجيدَ  
الرأي كثير الأدب ، وكان أول من ترجم كتب التَّجْوِيدِ والطَّبِّ والكيمياء .  
ومن خطباء قريش : خالد بن سلمة المخزومي <sup>(١)</sup> وهو ذو الشَّفَةِ . وقال  
الشاعر في ذلك :

• فما كان قائلهم دَغَلَّ ولا الحيقُطانُ ولا ذو الشَّفَةِ

ومن خطباء العرب: عُطَارِدُ بن حاجب بن زُرَّارة ، وهو كان الخطيب  
عند النبي ﷺ ، وقال فيه الفرزدق بن غالب :

١٩٥

ومِنَّا خطيب لا يُعَابُ وحاملٌ أَغْرُ إذا التَفَّتْ عليه المِجَامِعُ <sup>(٢)</sup>

ومن الخطباء : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود <sup>(٣)</sup> ، وكان مع ذلك راوية  
ناسبا شاعراً ، ولما رجع عن قول المُرْجئة <sup>(٤)</sup> إلى قول الشيعة قال :

وأول ما تفارق غير شَكِّ تُفارق ما يقول المرجحونا <sup>(٥)</sup>

وقالوا: مؤمنٌ من أهل جور وليس المؤمنون بجائرينا <sup>(٦)</sup>

(١) خالد بن سلمة المخزومي ، وكان يسمى ذا الضرس ، وذا الشفة . قتل مع يزيد بن عمر بن  
هبة سنة ١٣٢ . انظر الحيوان ( ٧ : ٧١ ) .

(٢) الحامل : الذي يحمل عن المقوم الحملاة ، وهي الدية والغرامة : يعني الفرزدق به أباه غالب  
ابن صحصصة . وفيه يقول :

دعوا غالباً عند الحملاة والقرى وأين ابنه الشافي نعيمًا نقاتله

وكان الفرزدق نفسه حملاً ، قال جرير في وثاقه له ( ديوانه ٥٣٥ ) :

رزنا بحمال الديات ابن غالب وحلى نعيم عرضها والبراجم

(٣) هو أبو عبد الله عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود المثل الكوفي الزاهد . وعتبة هذا ، هو  
أخو عبد الله بن مسعود . قال ابن سعد : إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة رحل إليه عون ، وعمر  
ابن ذر ، وموسى بن أبي كثير . فناظروه في الإرجاء ، فزعموا أنه واقفهم . توفي بين ١١٠ - ١٢٠ .  
تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة ( ٣ : ٥٥ ) والمعارف ١١٠ .

(٤) المُرْجئة : طائفة ترجع العمل عن الإيمان : أي تؤخروه ، وتزى أن الإيمان لا يضر معه معصية . انظر  
المثل ( ١ : ١٨٦ ) وفتاوى الميعاد ٢٠ والموقف ٦٣١ والفرق بين الفرق ١٩٠ وطلبات ابن سعد ( ٧ : ٢١٤ ) .

(٥) في التهذيب حيث روى هذا البيت وحده : « لأول ما تفارق » .

(٦) هـ : من آل جور . وفي المعارف حيث روى الأبيات الثلاثة : « المؤمنون بجائرينا » .



وقالوا : مؤمن دمه حلالٌ وقد حرمت دماء المؤمنين  
 وكان حين هرب إلى محمد بن مروان <sup>(١)</sup> في قل <sup>(٢)</sup> ابن الأشعث <sup>(٣)</sup> أكرمه ابنه  
 يؤذبه ويقومه ، فقال له يوماً : كيف ترى ابن أخيك ؟ قال : « أكرمتني رجلاً  
 إن غبت عنه عتب ، وإن أتته حُجِبَ ، وإن عاتبته غضب » . ثم لزم عمر  
 ابن عبد العزيز ، وكان ذا منزلة منه . قالوا : وله يقول جرير :

يا أيها الرجل المرحى عمامته      هذا زمانك إني قد مضى زمني  
 أبلغ خليفتنا إن كنت لآتيه      ألي لدى الباب كالمصفود في قرن <sup>(٤)</sup>  
 وقد رآك وفود الخافقين معاً      ومذ وليت أمور الناس لم تَرني <sup>(٥)</sup>

\*\*\*

١٠ وكان الجارود بن أبي سبرة <sup>(٦)</sup> ويكنى أبا نوفل ، من أميين الناس وأحسنهم

(١) هو محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان أشد بني مروان ، وهو  
 قتل إبراهيم بن الأشتر ومصعب بن الزبير بدير الجاثليق ، بين الشام والكوفة ، وكان على الجزيرة . وابنه مروان بن  
 محمد آخر من ولي الخلافة من بني أمية . المعارف ١٥٥ .

(٢) الفل : بقية الجيش المنهزم . ل : « لك » ، والصواب ما أثبت من هـ ، ب مع أثر تصحيح في الأخيرة .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، خرج على الحجاج من سجستان إلى العراق سنة ٨١ .  
 ولما دخل البصرة في تلك السنة باهجه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك جميع أهلها من قرأتها وكهولها ، وكان  
 بينه وبين الحجاج وقعت منهات الأهلز ، والزوجة ، ودير الجماجم ، وسكن ، ودجيل . وقد قتل عبد الرحمن  
 نفسه ، بأن ألقى بها من فوق قصر . الطبري ( ٨ : ٢ - ٤٢ ) والمعارف ١٥٦ .

(٤) المصفود : المشدود بالصفا ، وهو ما يؤتى به الأسير من قيد وظل . فيما عدل : « كالمشدود » .

٢٠ ما أثبت من ل مطابق رواية الديوان ٥٨٨ . والقرن : الحبل يقرن به البعير . وقى اللسان ( قرن ) :

أبلغ أبا مسع إن كنت لآتيه      ألي لدى الباب كالمشدود في قرن  
 (٥) الخافقان : الشرق والغرب . وبه في الديوان :

لا تنس حاجتنا لاقيت مخفوة      قد طلل مكى عن أعلى وعن وطني

(٦) هو الجارود بن أبي سبرة سالم بن سلمة الحنظلي البصري ، روى عن أبي ، وطلحة بن عبيد الله ،

وأنس ، وروى عنه قتادة وثابت البناني . توفي سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب .

حديثاً ، وكان رابويةً عَلامَةً ، شاعراً مُفْلِحاً ، وكان من رجال الشيعة . ولما استنطقه الحجاجُ قال : ما ظننتُ أن بالعراق مثلاً هذا . وكان يقول : ما أمكنتني والي قطُّ من إذنه إلا غلبتُ عليه ، ما خلا هذا اليهودي - يعني بلال بن أبي بُردة <sup>(١)</sup> - وكان عليه متحاملاً ، فلما بلغه أنه دُهِقَ حتى دُقَّت ساقه <sup>(٢)</sup> ، وجُعِلَ الوتر في خُصْيَيْهِ ، أنشأ يقول :

لقد قرَّ عيني أن ساقه دُقَّتَا      وأن قوى الأوتار في البيضة اليسرى ١٩٦  
بَخِلْتُ وراجعتُ الخيانةَ والحنا      فیسرک الله المقدسُ للمُسرَى  
فما جَذَعُ سوءِ حربِ السُّوسِ جُوفَه      يُعالجه التجار يُبْرِى كما تُبْرِى  
وإنما ذكر الخُصية اليسرى لأنَّ العائمة تقول : إن الولد منها يكون <sup>(٣)</sup> .

• • •

١٠

ومن الخطباء الذين لا يُضامون ولا يُجارون : عبد الله بن عباس . قالوا : خطبنا بمكة ، وعُنانُ محاصرٍ ، خطبةً لو شهدتها التركُ والدَّيلمُ لأسلمتنا .

قال : وذكره حسَّانُ بن ثابت فقال :

إذا قال لم يترك مقالاً لقاتل      بملقَطَاتٍ لا تَرى بينها فَضْلاً  
كفى وشفى ما في النفوس ولم يَدْعُ      لذي إِرْبَةٍ في القولِ جَدًّا ولا هَرلاً ١٥  
سموتُ إلى العليا بغيرِ مَشَقَّةٍ      فلت ذراها لا دُنياً ولا وَغْلاً

(١) هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، واسم أبي بردة عامر ، واسم أبي موسى عبد الله . كان بلال أمير البصرة وقاضياً ، روى ابن الأثير أنه مات في حبس يوسف بن عمر ، وأنه قُتلَ دهاقته ، قال للسجان : أعلم يوسف أني قدمت ولك ما يفتيك ، فأعلمه فقال : أرتبه ميتاً ، فجاء السجان فألقى عليه شيئاً غمه حتى مات . ترقى سنة نيف وعشرين ومائة . تهذيب التهذيب والمعارف ١٧٤ .

٢٠

(٢) الدهق ، بالتحريك : خشتان يغمز بهما الساق ، وهي ضرب من العذاب ، يقال له بالفارسية « اشكيجِه » . اللسان ومعجم استيعباس ٦٦ .

(٣) انظر الحيوان ( ١ : ١٢٢ ) .

وقال الحسن: كان عبد الله بن عباس أول من عرف<sup>(١)</sup> بالبصرة، صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران، ففسرهما حرفاً حرفاً؛ وكان والله متحدثاً يسيل غريباً<sup>(٢)</sup>، وكان يسمى البحر وخبر قريش. وقال فيه النبي ﷺ: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل». وقال عمر: «غصن غواص». ونظر إليه يتكلم فقال: «شيشنة أعرفها من أخزم».

الشعر لأبي أخزم الطائي، وهو جد أبي حاتم طي، أو جد جدّه، وكان له ابن يقال له أخزم، فمات وترك بنين فتوكلوا يوماً على جدّهم أبي أخزم فأدّموه، فقال: «إني نبيّ رملوني بالدم»<sup>(٣)</sup> شيشنة أعرفها من أخزم أي إنهم أشبهوا أباهم في طبيعته وخلقه. وأحسبه كان به عاقاً. هكذا ذكر ابن الكلبي. والشيشنة مثل الطبيعة والسجية.

فأراد عمر رحمه الله إنني أعرف فيك مشابة من أهلك، في رأيه وعقله. ١٩٧ ويقال إنه لم يكن لقرشي مثل رأي العباس.

ومن خطباء بني هاشم أيضاً: داود بن علي<sup>(٤)</sup>، ويكنى أبا سليمان، وكان أنطق الناس وأجودهم ارتجالاً واقتضاباً للقول، ويقال إنه لم يتقدم في تحمير خطبة قط. وله كلام كثير معروف بحفظ، فمن ذلك خطبته على أهل مكة: ١٥

(١) كنا ضبطت هذه الكلمة في ل، ه، ب والتعريف هنا بمعنى التعليم.

(٢) سبق الخبر في ص ٨٥.

(٣) رمله بالدم: لطلحه وضرمه. حد والتيمورية: «رملوني» تحريف. انظر اللسان (رمل ٣١٤).

وأشير في هامش ه إلى رواية «ضرغوني» عن نسخة. وفي أمثال الميداني: «ضرغوني» قال: «وروي رملوني، وهو مثل ضرغوني». وهذه الرواية الأخيرة هي رواية الحققة والبررة لأبي عبيدة. نولدك المخطوطات ٢٠ (٢: ٣٥٨) حيث نسب إلى عقيل بن علفة.

(٤) هو داود بن علي بن عبد الله بن العباس. قال ابن قتيبة في المعارف ١٦٣ عند ذكر عمومة أبي العباس السفاح: فأما داود فكان خطيباً جميلاً، يكنى أبا سليمان، وولي مكة والمدينة لأبي العباس، وأدرك من دولتهم ثمانية أشهر. ومات سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وله عقب.

« شكرًا شكرًا . أما والله ما خرجنا لنحتقر فيكم نهراً ، ولا لنبنئ فيكم قصراً <sup>(١)</sup> . أظنَّ عبدو الله أن لن نطفر به أن أرخي له في زِمَامِهِ ، حتى عثر في فضل خطايِهِ . فالآن عاد الأمر في نصابه ، وطلعت الشمس من مظلِمْهَا ، والآن أخذ القوسَ باريها ، وعادت الثبلُ إلى التزعة <sup>(٢)</sup> ، ورجع الحقُّ <sup>(٣)</sup> إلى مستقرِّهِ ، في أهل بيت نبيِّكم : أهل بيت الرِّفَّةِ والرحمة » .

ومن خطباء بني هاشم : عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وهو القائل لابنه إبراهيم أو محمد <sup>(٤)</sup> :

« أَيْ بُنَيَّ ، إني مؤدِّ إليك حقُّ الله في تأديكِ ، فإذا لي حقُّ الله في حسن الاستماع . أَيْ بُنَيَّ ، كُفَّ الأَدَى ، وارفض البُذَا ، واستعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك نفسك فيها إلى القول ؛ فَإِنَّ للقول ساعاتٍ يضُرُّ فيها الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب . واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً ، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشياً ، يوشك أن يُورطَكَ بمشورتها ، فيسبق إليك مكرُّ العاقل ، وغرارة الجاهل » .

قال الحسن بن خليل : كان المأمون قد استقل سهل بن هارون ، فدخل عليه سهل يوماً والناس عنده على منازلهم ، فتكلم المأمون بكلامٍ فذهب فيه كلُّ مذهب ، فلما فرغ المأمون من كلامه أقبل سهل بن هارون على ذلك الجمع فقال :

« ما لكم تسمعون ولا تسمعون ، وتشاهدون ولا تفقهون <sup>(٥)</sup> ، وتنتظرون ولا تبصرون . والله إنه ليقعل ويقول في اليوم القصير مثل ما فعل بنو مروان

(١) ل : « ولا نبنئ قصراً » .

(٢) كلمة « والآن » في ل فقط . التزعة : الرماة ، واحدهم تازع .

(٣) هـ : « ورجع الأمر » .

(٤) انظر ما سبَّأ في ( ٢ : ١٧٤ ) .

(٥) يندعا فيما عدا ل : « وتفهمن ولا تصبحن » ولؤلؤها مقنعة .

وقالوا في الدهر الطويل . عَرَّبْكُمْ كعجمهم ، وعجمكُمْ كعبيدكم <sup>(١)</sup> ، ولكن كيف يعرف اللّواء مَنْ لا يشعر باللّواء .

قال : فرجع له المأمون بعد ذلك إلى الرأى الأول .

ومن خطباء بنى هاشم ثم من ولد جعفر بن سليمان <sup>(٢)</sup> : سليمان بن جعفر والى مَكَّة . قال المَكِّي : سمعتُ مشايخنا من أهل مَكَّة يقولون : إنه لم يَرِدْ عليهم أميرٌ منذُ عَقَلُوا الكلامَ إلّا وسليمانُ أَمِينٌ منه قاعداً ، وأخطَبَ منه قائماً .

وكان داودُ بن جعفرٍ إذا خطَبَ استَحَفَّرَ فلم يَرُدَّهُ شيءٌ <sup>(٣)</sup> ، وكان في لسانه شبيهٌ بالرَّثَّةِ <sup>(٤)</sup> . ١٩٨

وكان أيُّوبُ <sup>(٥)</sup> فوقَ داودَ <sup>(٦)</sup> في الكلام والبيان ، ولم تكن له مقاماتُ داودَ في الحُطْبِ .

وقال إسحاق بن عيسى <sup>(٧)</sup> للداودَ بن جعفر : بلغني أَنَّ معاوية قال للنَّخَّارِ بن أوس : ابْنِني محلًّا <sup>(٨)</sup> قال : ومعى يا أمير المؤمنين تُريدُ محلًّا ؟ قال : نعم ، أسترخ منك إليه ، ومنه إليك ، وأنا لا أسترخ إلى غير حديثك ، ولا يكون صمتُك في حالٍ من الحالات أوفَّقَ لى من كلامك .

١٥ (١) ل : « عَرَّبْكُمْ كعجمكم وعجمكُمْ كعبيدكم » .

(٢) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، ويكنى أبا عبد الله . انظر ٣٢١ .

(٣) استحفر الخطيب : اتسع في كلامه ومضى .

(٤) الرثّة ، كقوة : العجمة والحكمة في الكلام .

(٥) هو أيوب بن جعفر ، سبقت ترجمته في ٩١ ، ١٠٦ .

(٦) ل : « قهرن داود » لهاها « فوهرن داود » .

٢٠

(٧) إسحاق بن عيسى بن أبي جعفر المنصور . وقد سبق في ٣٠٢ . ما عدل : « عيسى بن إسحاق » تحريف .

(٨) يقال ابْنِني ، بجهة الوصل من الثلاثي ، أى اطلبه لى ، ومثله ابْنِ لى . ويقال أيضاً « ابْنِني » بالقطع من الرباعي ، أى أعنى على بقله وأطلبه معى .

وكان إسماعيل بن جعفر ، من أرق<sup>(١)</sup> الناس لساناً وأحسنيهم بياناً .

ومن خطباء بنى هاشم : جعفر بن حسن بن الحسن بن علي ، وكان أخذ من ينازع زيداً في الوصية ، فكان الناس يجتمعون ليسمعوا مجاوباتهما فقط .

وجماعة من ولد العباس في عصر واحد ، لم يكن لهم نظراء في أصالة الرأي وفي الكمال والجلالة ، وفي العلم بقريش والتولة ، وبرجال الدعوة ، مع البيان العجيب ، والغور البعيد ، والنفوس الشريفة ، والأقوال الرفيعة ؛ وكانوا فوق الخطباء ، وفوق أصحاب الأخبار ؛ وكانوا يجلون عن هذه الأسماء إلا أن يصف الواصف بعضهم ببعض ذلك .

- منهم عبد الملك بن صالح<sup>(٢)</sup> . قال : وسأله الرشيد وسليمان بن أبي جعفر وعيسى بن جعفر شاهدان ، فقال له : كيف رأيت أرض كذا وكذا ؟
- قال : « مسافحي ربح ، ومنابت شيع » . قال : فأرض كذا وكذا . قال : « هضاب حمر ، وبراث غفر » . قال : حتى أتى على جميع ما أراد . قال : فقال عيسى لسليمان : والله ما ينبغي لنا أن نرضى لأنفسنا بالثون من الكلام .
- الهضبة : الجبل ينسط على الأرض ، وجمعها هضب<sup>(٣)</sup> . والبراث : الأماكن اللينة السهلة ، واحداها برث . وقوله غفر ، أي حمرتها كحمره التراب .
- والظبي الأعفر : الأحمر ؛ لأن حمرته كذلك : والغفر والغفر : التراب ؛ ومنه قيل : ضربه حتى غفره ، أي ألحقه بالتراب .

(١) فيما عدل ، ه : أدق ، بالدال .

(٢) هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس ، ولي الموصل للهادي سنة ١٦٧ ورحله الرشيد ١٧١ ثم ولاه المدينة ، وبلغه أنه يطلب الخلافة ، فحبسه ببغداد سنة ١٨٧ . ولما مات الرشيد أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة سنة ١٩٣ فأقام بالرقعة إلى أن توفي سنة ١٩٦ . فوات الوفيات ( ٢ : ١٢ ) وتاريخ الطبري في السنوات المذكورة .

(٣) فيما عدل : هضاب ، وكلاهما جمع هضبة .

ومن هؤلاء : عبد الله بن صالح ، والعباس بن محمد ، وإسحاق بن عيسى ، وإسحاق بن سليمان ، وأيوب بن جعفر . هؤلاء كانوا أعلمَ بقريش وبالتولة وبرجال الدعوة ، من المعروفين برواية الأخبار .

١٩٩ وكان إبراهيم بن السَّيِّدِيَّ (١) يَحْتَشِي عن هؤلاء بشيء هو خلاف ما في كتب الهيثم بن عدي وابن الكلبي . وإذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المزور (٢) .

وكان عبد الله بن علي ، وداد بن علي يُعْلَنان بأمية من الأمم .

ومن موالهم : إبراهيم ونصر ابنا السَّيِّدِيَّ .

فأما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث ، وكان لا يعلو حديث ابن الكلبي والهيثم بن عدي .

١٠

وأما إبراهيم فإنه كان رجلاً لا نظير له : كان خطيباً ، وكان ناسباً ، وكان فقيراً ، وكان نحوياً غرضياً ، وحافظاً للحديث ، راويةً للشعر شاعراً ، وكان فحماً الألفاظ شريف المعاني ، وكان كاتب القلم كاتب العمل ، وكان يتكلم بكلام رؤية (٣) ، ويعمل في الخراج يعمل زاذانَ قُروخِ الأعور (٤) ، وكان منجماً طيباً ، وكان من رؤساء المتكلمين ، عالماً بالدولة وبرجال الدعوة ؛ ١٥ وكان أحفظ الناس لما سَمِعَ ، وأقلهم نوماً وأصبرهم على السَّهر .

(١) سقت ترجمته في ص ١٤١ .

(٢) زور الكلام : قومه وأتقنه قبل أن يتكلم به .

(٣) ل : « بلسان رؤية » .

(٤) زاذان فروخ ، كان دهقاناً من الدهاقين القاطنين على أمر الخراج في أيام عبيد الله بن زياد حين ولايته البصرة . انظر الطبري ( ٧ : ٢٠٩ ) . ويبدو أنه امتد به الأمر في ذلك إلى زمان المهديج الطبري ( ٧ : ٢٧١ ) ، وانظر كذلك ( ٦ : ٧٦ ) .

ومن خطباء تميم : جَحْدَب <sup>(١)</sup> . وكان خطيباً راوية ، وكان قضى على جرير في بعض مذهبيه ، فقال جرير :

فَبِحِ الْإِلَهِ وَلَا يَقْبَحْ غَيْرَهُ      بَطْرًا تَفَلَّقَ عَنْ مَفَارِقِ جَحْدَبٍ

وهو الذي كان لقيه خالد بن سلمة المخزومي الخطيب المناسب ، فقال :  
 ■ والله ما أنت من حنظلة الأكرمين ، ولا سعد الأكلين ، ولا عمرو الأشدنين ،  
 وما في تميم خيرٌ بعد هؤلاء . فقال له جَحْدَب : والله إنك لمن قريش ، وما أنت من  
 بيتها ولا بُؤتها ، ولا من شؤراها وخلاقتها ، ولا من أهل سيكائيتها وميقاتيتها .

وهو شبيه بما قال خالد بن صفوان ، للعبدري <sup>(٢)</sup> ؛ فإنه قال له :  
 ■ هَسَمْتِكَ هَاشِم ، وَأَمْتِكَ أُمَيَّة ، وخزمتك مخزوم ، وأنت من عبد دارها ،  
 ١٠ ومتبى عارها ، تفتح لها الأبواب إذا أقبلت ، وتغلقها إذا أدبرت .

• • •

وَمِنْ وَلَدِ الْمَنْزَرِ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شُبْرُمَةَ بْنِ طُفَيْلٍ <sup>(٣)</sup> بن هُبَيْرَةَ بْنِ الْمَنْزَرِ .  
 وكان قصباً عالماً قاضياً ، وكان راوية شاعراً ، وكان خطيباً ناسباً ، وكان لاجتماع هذه  
 الخصال فيه يُشَبِّهُ بعامر الشعبي ، وكان يُكْنَى أبا شُبْرُمَةَ . وقال يحيى بن  
 ١٥ نوفل <sup>(٤)</sup> فيه :

(١) جحدب ، ذكره ابن دريد في الاشتقاق ١١٥ . وقال : « وكان لجحدب بالكوفة قدر » ، وذكر  
 أنه كان شاعراً ، هو والتميم السرندى ، وعقبة ، كانوا يجتمعون على هجاء جرير ، فهجأهم هو جميعاً بقوله :

عَضُ السَّرْنَدَى عَلَى تَقْلِيلِ نَاجِيْهِ      مِنْ أَمِّ عَقْبَةٍ يَبْطِرُ أَعْمَ الشَّعْرِ

وَعَضُ عَقْبَةٍ لَا يَأْلُو بِرَعْرَعَةٍ      مِنْ بَطْرِ أُمِّ السَّرْنَدَى وَهُوَ مُتَصَمِّرٌ

(٢) العبدري : رجل منسوب إلى عبد الله بن قصى . ٢٠

(٣) تقلدت ترجمته في ٩٨ وفي نسبه خلاف .

(٤) يحيى بن نوفل : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، ذكره الجاحظ في مواضع كثيرة من الحيوان



لما سألت الناس أين المَكْرَمَةُ والعِزُّ والجُرُومَةُ المَقْدَمَةُ (١)  
 وأين فاروقُ الأمورِ المحْكَمَةُ (٢) تتابَعَ الناسُ على ابنِ شُبْرَمَةَ  
 وابنِ شُبْرَمَةَ الذي يقول في ابنِ أبي ليلى (٣) :

وكيف تُرَجَّى لفصل القضاء ولم تُصِبِ الحُكْمُ في نفسِكا (٤)  
 ونَزَعُمُ أنكَ لابن الجَلَّاحِ وهيهات دَعَاكَ مِن أَصْلَاكَ (٥) .

قال : وقال رجلٌ من فقهاء المدينة : مِن عندنا خَرَجَ العلم . قال :  
 فقال ابن شُبْرَمَةَ : نعم ثم لم يَرْجِعْ إليكم .

قال : وقال عيسى بن موسى (٦) : دُلُونِي على رجلٍ أولِيه مَكَانَ كَذَا وَكَذَا .  
 فقال ابن شُبْرَمَةَ : أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ ، هل لك في رجلٍ إن دَعَوْتَهُ أَجَابَكُمْ ، وإن  
 تَرَكْتُمُوهُ لم يَأْتِكُمْ ؛ ليس بالمُلْحِطِ طَلِباً ، ولا بالمُتَمَعِّنِ هَرَباً (٧) ؟

وسُئِلَ عن رجلٍ ، فقال : إنَّ له شَرَفًا وَبَيْتًا وَقَدَمًا (٨) . فنظروا فإذا هو  
 ساقط من السَّمْلَةِ . فقيل له في ذلك ، فقال : ما كَذِبْتُ ، شَرَفَهُ أَذْنَاهُ ، وَقَدَمُهُ  
 التي يَمْشِي عليها ، ولا بَدٌّ من أن يكون له بَيْتٌ يَأْوِي إليه .

(١) الجرثومة : الأصل . والرجز في الحيوان ( ٣ : ٤٩٤ ) بدون نسبة . ونسب في أمالي الزجاجي  
 ١٠٠ إلى ربيعة بن المجاح .

(٢) الفاروق : الذي يفرق ويفصل . ب فقط : « فاروق » .  
 (٣) ابن أبي ليلى ، هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، واسم أبي ليلى يسار . ولي محمد القضاء لبني  
 أمية ثم لبني العباس ، وكان قهيباً مفتياً بالرأى . انظر أصحاب الرأي في الملوّف ٢١٧ .  
 (٤) البيتان في الملوّف ٢١٦ وفهرست ابن النديم ٢٨٥ .

(٥) ابن الجلاح ، هو أحيحة بن الجلاح . وفي الملوّف : « وهو من ولد أحيحة بن الجلاح » ،  
 وكان ابن شُبْرَمَةَ القاضي وغويو يدفعونه عن ذلك » .

(٦) هو عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس ، أحد ولاة العباسيين وقوادهم . وموسى أبيه  
 هو أخو السفاح والمنصور . انظر الملوّف ١٦٥ .

(٧) ل : « بالممتنع هرباً » ، صوابه في سائر النسخ .

(٨) القدم : التقديم والمنزلة الرقيّة .

قال أبو إسحاق <sup>(١)</sup> : قد لعمرى كَذَب <sup>(٢)</sup> ، إنما هو كقول القائل حين سأله بعض من أراد تزويج حُرْمته عن رجل ، فقال : « هو يبيع الدَّوَابَّ » . فلما نظروا في أمره وجدوه يبيع السنائير ، فلما مثل عن ذلك قال : ما كذبتُ ؛ لأنَّ السُّنَّور دابةٌ .

قال أبو إسحاق : بل لعمرى لقد كذب ، هذا مثل قول القائل حين سئل عن رجل في تزويج امرأة فقال : « رزهن المجلس ، نافذ الطَّعنة » . فحسبوه سيِّداً فارساً ، فنظروا فوجدوه خَيَّاطاً ! فسئل عن ذلك فقال : ما كذبت ؛ إنَّه لَطَوِيلُ الجُلوس ، جيّد الطعن بالإبرة .

قال أبو إسحاق : بل لعمرى لقد كذب ؛ لأنَّه قد غرَّهم منه . وكذلك لو سأله رجل عن رجل يريد أن يُسَلِّفه مالاً عظيماً ، فقال :

« هو يملك مالاً ما كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف » ، فلما بايحه الرجل وجدته ٢٠١ مُعْدِماً ضعيف الحيلة ، فلما قيل له في ذلك قال : ما كذبت ؛ لأنَّه يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه وبديه <sup>(٣)</sup> . حتى عدَّ جميع أعضائه وجوارحه .

ومن قال للمستشير هذا القول فقد غرَّه ، وذلك مالا يحلُّ في دين ، ولا يحسن في الحرِّية <sup>(٤)</sup> . وهذا القول معصية لله ، والمعصية لا تكون صدقاً . وأدنى منازل هذا الخير أن لا يُسمَّى صدقاً ، فأما التسمية له بالكذب فإن فيها كلاماً يطول .

\*\*\*

(١) أبو إسحاق ، هو إبراهيم بن سيار النظم البصري ، شيخ الجاحظ وأحد رموز المعتزلة ، وإليه تنسب الفرقة النظامية . توفى في خلافة المصم ستة بضع وعشرين ومائتين . انظر آراؤه في الملل ( ١ : ١٧ ) والمواقف ٦٦١ والفرق بين الفرق ١١٣ .

(٢) ما عدل : « بل كذبت » موضع : « قد لعمرى كذب » . لكن في هـ : « بل كذب » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة مما عدل .

(٤) ل : « حرية » . والحرية : مصدر صناعي ، أي كون الإنسان حراً .

- ومن الخطباء المشهورين في العوالم ، والمقدمين في الخواص : خالد بن صفوان الأحمسي<sup>(١)</sup> ، زعموا جميعاً أنه كان عند أبي العباس أمير المؤمنين<sup>(٢)</sup> ، وكان من سُمّاره وأهل المنزلة عنده ، فمخّر عليه ناساً من بلحارث بن كعب ، وأكثروا في القول ، فقال أبو العباس : لِمَ لا تتكلّم يا خالد ؟ فقال : أحوال أمير المؤمنين وأهله<sup>(٣)</sup> . قال : فأنتم أعمامُ أمير المؤمنين وعصبته فقلّ<sup>(٤)</sup> . قال خالد : « وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسيج بُردٍ ، ودابغ جلدٍ ، وسائس قردٍ ، وراكب عَرْدٍ<sup>(٥)</sup> ؛ دُلّ عليهم مُهددٌ ، وغرقتهم فأرةٌ ، وملكتهم امرأةٌ . فلكن كان خالد قد فكّر وتدبّر هذا الكلام إنه للرأوية الحافظ ، والمؤلف المُجيد ؛ ولكن كان هذا شيئاً خَصَرَه حين حُرِّك وبُسط فما لَه نظيرٌ في الدنيا . فتأمل هذا الكلام فإنك ستجده مليحاً مقبولا ، وعظيم القدر جليلا . ١٠ ولو خطب الإمامي بلسان سحبانٍ وائل خوّلاً كَرِيماً<sup>(٦)</sup> ، ثم صكّ بهذه الفقرة ما قامت له قائمة .
- وكان أذكّر الناس لأوّل كلامه ، وأحفظهم لكلّ شيء سلف من منطقته . وقال مكّي بن سُوادة<sup>(٧)</sup> في صفته له :

- 
- ١٥ (١) سبق ترجمته في ص ٢٤ . ونسبته إلى جده : « الأهم » .  
 (٢) هو أبو العباس عبد الله بن محمد الملقب بالسفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية ، المتوفى سنة ١٣٦ وله ثلاث وثلاثون سنة . وفي المجلد ١٧٧ في ترجمة خالد بن صفوان أنه عمر إلى أن حادث أبا العباس . وانظر الحيوان ( ٢ : ١٧٠ ) .  
 (٣) ذلك أن أم السفاح ، واسمها ربيعة ، من بني الحارث بن كعب . انظر التنبيه والإشراف ٢٩١ . فيما عدل : « وعصبته » ، تحريف ؛ إذ عَصَبَةُ الرجل بنوه وقرابته لأبيه .  
 (٤) هذه الكلمة ساقطة مما عدل ل .  
 (٥) العرد ، بالفتح : الحمار ، ذكره في القاموس ولم يرد في اللسان . والخير في الحيوان ( ٦ : ١٥٢ ) وذكر فيه أن الخليفة هو المهدي . والمهدي هو ابن أبي جعفر التصوّر أخى السفاح ، وكنية المهدي « أبو عبد الله » . وما في معجم البلدان ( ٨ : ٥٢٤ ) يطابق ما في البيان . وذكر ياقوت أن الإمامي الذي فخر على خالد هو إبراهيم بن حمزة .  
 ٢٥ (٦) حول كريت : تلم .  
 (٧) سبق ترجمته في ص ٣ .

عليه بتسهيل الكلام ملقنٌ ذكورٌ لما سئله أولٌ أولاً<sup>(١)</sup>  
 يئذٌ قرعَ القومَ في كلِّ مخفيلٍ وإن كان سحبان الخطيب ودغفلا<sup>(٢)</sup>  
 ترى خطباء الناس يوم ارتجاله كأنهم الكيرون عاتين أجفلا  
 الكيرون : جمع كرون ، وهو ذكر الحبارى . والأجل : الصقر .

وكان يقارض شبيب بن شيبه<sup>(٣)</sup> ؛ لاجتماعهما على القراءة والمجاورة  
 والصناعة ، فذكر شبيب مرة عنه فقال : « ليس له صديق في السر ، ولا علو في  
 العلانية<sup>(٤)</sup> » . وهذا<sup>(٥)</sup> كلام ليس يعرف قدره إلا الراسخون في هذه الصناعة . ٢٠٢

وكان خالدٌ جميلاً ولم يكن بالطويل ، فقالت له امرأته<sup>(٦)</sup> : إنك لجميلٌ  
 يا أبا صفوان . قال : وكيف تقولين هذا وما في عمود الجمال ولا رداؤه ولا برؤسه .  
 ١٠ فقيل له : ما عمود الجمال ؟ فقال : الطول ، ولست بطويل ؛ وردائه البياض ،  
 ولست بأبيض ؛ وبرنسه سواد الشعر ، وأنا اشعث ؛ ولكن قولي : إنك للمليح ظريف .  
 وخالدٌ يعد في الصلعمان ، ولكلام خالد كتابٌ يدور في أيدي الورّاقين<sup>(٧)</sup> .

• • •

وكان الأزهر بن عبد الحارث بن ضرار بن عمرو الضبي<sup>(٨)</sup> ، عالماً ناسياً .

(١) سئله ، أي نسجه . وفي اللسان : « وإذا نسج إنسان كلاماً أو أمراً بين قوم قبل سئى بينهم » .

(٢) يئذ : يئذ يئذ . والقرع : السيد والرئيس .

(٣) يقارضه : من المقارضة ، وهي التجارى بالخير والخسر .

(٤) العلانية في الحديث ( ٥٩٢ : ٥ ) وعيون الأخبار ( ٧٣ : ٣ ) وسبق في ص ٤٧ .

(٥) ل ، هـ والتمويه : « وما هنا » .

(٦) فيما عدل : « امرأة » . والخير بصورة أخرى في تنقيف اللسان .

(٧) للملأى كتاب في خالد بن صفوان ، ولعبد العزيز الجلودى كتاب في أخبار خالد بن  
 صفوان . انظر ابن النديم ١٥١ - ١٦٧ .

(٨) سبقت ترجمته جده ضرار بن عمرو في ص ٢١ .

ومن خطباء بنى ضَبَّة : حنظلة بن ضِرَار (١) ، وقد أدرك الإسلام وطال  
عُمره حتَّى أدرك يومَ الجمل ، وقيل له : ما بَقِيَ منك ؟ قال : « أذكر القَدِيم  
وَأُنسى الحديث ، وآرَقُ بالليل ، وَأَنَامُ وَسَطَ القوم » .

- ومن خطباء بنى ضبة وعلمائهم : مَشْجُور بن غِيلَان بن خَرْشَة (٢) ،  
وكان مَقْلُماً في المنطق ، وهو الذي كتب إلى الحجاج : « إِنهم قد عَرَضُوا عَلَيَّ  
الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ، فما ترى أَن أَخْذُ ؟ » قال : « أرى أَن تأخذ الذَّهَبَ » .  
فذهب عنه هارباً ثُمَّ قُتِلَ بَعْدُ : وذكره القَلَّاحُ بن حَزَنٍ المِنْفَرِيُّ (٣) فقال :  
أُمَثَالُ مَشْجُورٍ قَلِيلٌ وَمِثْلُهُ فَتَى الصُّدُقِ إِن صَفَّقْتَهُ كُلَّ مَصْفَقٍ (٤)  
وما كُنْتُ أَشْرِيهِ بِدُنْيَا عَرِيضَةٍ وَلَا بَابِنِ خَالٍ بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ (٥)  
إِذَا قَالَ بَذَّ القَاتِلِينَ مَقَالُهُ وَيَأْخُذُ مِنْ أَكْفَائِهِ بِالْمُخَنَّقِ ١٠

\*\*\*

ومن الخطباء الخوارج ، قَطْرِيُّ بْنُ الفُجَاعَةِ (٦) ، وله خطبة طويلة

- (١) ترجم له ابن حجر في الإصابة ٢٠٠٣ ونقل بعض كلام الجاحظ .  
(٢) في القاموس ( تاجر ) : « مشجور بن غيلان مهجو جرير » . انظر ديوان جرير ٢٣٢ . وذكره  
الجاحظ في الحيوان ( ٣ : ٢١٠ ) في العلماء بالنسب . وذكره ابن دريد في الاشتقاق ١٢٠ ، كما ذكر أباه  
١٥ غيلان بن خرشة الذي يقول فيه : « كان سيد بنى ضبة بالبصرة » .  
(٣) في الاشتقاق ١٥٣ : « والقلاخ من القلخ ، وهو أن يردد الفحل صوته في جوفه » . وهو  
القلاخ بن حزن من جناب بن متمر ، وهو مملود من الرجاز . انظر الملتلف ١٦٨ والاشتقاق ١٥٣ .  
(٤) هو من قولهم : صفقت الرمح الشيء وصفقته ، بالتخفيف والتشديد ، إذا قلبته يمينا وجمالا .  
(٥) أشريه ، أى أبعده ، والشراء من الأضداد .  
٢٠ (٦) قطري بن الفجاعة ، واسم الفجاعة جموعة بن ملون المازني . كان قطري زعيما من الخوارج ،  
خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولى المواق نايبة عن أخيه عبد الله بن الزبير . وكانت ولاية مصعب سنة  
٦٦ فبقى قطري عشرين سنة يقتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج يسير إليه جيشا بعد جيش وهو  
يستظهر عليهم . وقطري ليس باسم له ، ولكنه نسبة إلى بلده ، وهو بين البحرين وعمان . وفيات الأعيان .

مشهورة<sup>(١)</sup> ، وكلامٌ كثير محفوظ ، وكانت له كنيستان : كنية في السلم ، وهي أبو محمد ؛ وكنية في الحرب ، وهي أبو نعام .

وكانت كنية عامر بن الطفيل في الحرب غير كنيته في السلم : كان يكنى في الحرب بأبي عقيل ، وفي السلم بأبي علي .

وكان يزيد بن مزيد<sup>(٢)</sup> يُكنى في السلم بأبي خالد ، وفي الحرب بأبي الزبير . وقال مسلم بن الوليد الأنصاري :

لولا سيوف أبي الزبير وخيله نشر الوليد بسيفه الضحكا<sup>(٣)</sup> وفيه يقول :

لولا يزيد وأيام له سلفت عاش الوليد مع العاوين أعواما<sup>(٤)</sup>  
سَلَّ الخليفةُ سيفاً من بني مطرٍ يَمْضِي فيَتَرَقُّ الأجسامَ والهاما<sup>(٥)</sup>  
إذا الخِلافةُ عُدَّتْ كنت أنت لها عِزاً وكان بنو العباس حُكَّاما  
ألا تراه قد ذَكَرَ قَتَلَ الوليد !

وقد كان خالد بن يزيد<sup>(٦)</sup> اكتنى بها في الحرب ، في بعض أيامه بمصر .

(١) سنأق خطته في ( ٢ : ١٢٦ ) .

(٢) يزيد من يزيد بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر الشيباني ، وهو ابن أخي معن بن زائدة . أمير شجاع ، تدبه هارون لقتال الوليد بن طريف الشيباني الشاري الخارجي ، فقتله وعاد إلى أرمينية حيث كان والياً عليها . توفي سنة ١٨٥ . ابن خلكان

(٣) الوليد هو الوليد بن طريف الشاري . خرج على الرشيد سنة ١٧٨ وقتله يزيد بن مزيد سنة ١٧٩ . والضحك ، هنا ، هو الضحك بن قيس الشيباني ، أحد زعماء الخوارج الشجعان ، سار إلى العراق واستول على الكوفة سنة ١٢٧ وبلغ جيشه مائة وعشرين ألفاً وابعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وصليا خلفه . انظر ما سنأق في كلام الجاحظ . وقتل أيام مروان بن محمد سنة ١٢٨ . الطبري ( ٩ : ٧٥ - ٧٧ ) .

(٤) فيما عدل : ومقدار له سبب . وهي رواية ابن خلكان ( ٢ : ٢٨٤ ) . فيما عدل : مع الغلوين ، ولعل صوابهما مع العائين ، كما هو عند ابن خلكان ، فإن الوليد ظل علمين محارباً ، كما سبق القول .

(٥) فيما عدل : يَحْتَرِقُ الأرواح .

(٦) يحيى خالد بن يزيد بن يزيد بن زائدة الشيباني .

وهذا الباب مستقصى مع غيره في أبواب الكنى والأسماء ، وهو واردٌ عليكم إن شاء الله .

ومن خطباء الخوارج : ابن صُدَيْقَة <sup>(١)</sup> ، وهو القاسم بن عبد الرحمن ابن صُدَيْقَة ، وكان صُفْرِيًّا <sup>(٢)</sup> ، وكان خطيباً ناسباً ، ويَشُوب ذلك <sup>(٣)</sup> ببعض الظرف والهزل .

ومن علماء الخوارج : شَيْبِل بن عَزْرَة الصَّبْعِي <sup>(٤)</sup> ، صاحب الغريب . وكان رَويَّةً خطيباً ، وشاعراً ناسباً ، وكان سبعين سنةً رافضياً ثم انتقل خارجياً صُفْرِيًّا .

ومن علماء الخوارج : الضَّحَّاك بن قيس الشَّيْبَانِي ، ويكنى أبا سَعِيد ، وهو الذى مَلَكَ العراق ، وسار فى خمسين ألفاً ، وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام ، وصَلَّى خلفه ، وقال شاعرهم <sup>(٥)</sup> :

ألم تَرَ أَنَّ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَصَلَّتْ قُرَيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ

\*\*\*

(١) كنا ضبط فى ل ، ه .

(٢) الصفية : طائفة من الخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصفر ، ويقال لهم الزنادقة أيضا ، ١٥ وتولم كقول الأزارقة فى أن أصحاب الذنوب مشركون ، غير أن الصفية لا يرون قتل أطفال مخالفين ونسألتهم وهم يرون ذلك . انظر آراهم فى الملل ( ١ : ١٨٣ ) والفرق ٧٠ والسماوى ٣٥٤ والمواقف ٦٣٠ ومفاتيح العلوم ١٩ والكامل ٦٠٤ ليسك .

(٣) فيما عدا ل : ويشوبه .

(٤) قال ابن دويد فى الاشتقاق ١٩٣ : شبل بن عزة العلامة ، كان نصيبا عالما شريفا ، مات بالبصرة ، وأدرك دولة بنى العباس ، وكان يرى رأى الخوارج . وذكره فى الفهرست ٦٨ قال : من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وهو صاحب قصيدة الغريب ، وكان أولاً رافضيا نحو سيعين ، ثم انتقل إلى الشيعة وقال : يرت من الرافض فى القيام وفى دار المقامة والسلام .

وشبل بجملة التصغير ، وعزة بفتح العين . انظر التهذيب وتهرب التهذيب .

(٥) هو شبل بن عزة الضبجى . الطبرى ( ٩ : ٦٤ ) . وانظر ما سأتى فى ( ٣ : ٢٦٥ ) . ٢٥

وكان ابن عطاء الليثي يسامر الرشيد ، وكان صاحب أخبار وأسمار <sup>(١)</sup> وعلم بالأنساب ، وكان أظرف الناس وأحلامهم .

وكان عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز <sup>(٢)</sup> ، رواية ناسبا ، وعالما بالعريّة فصيحاً .

وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر <sup>(٣)</sup> من آيين الناس وأفصحهم .  
وكان مسلمة بن عبد الملك <sup>(٤)</sup> يقول : إني لأُنحى كَوْرَ العِمامة عن أذني لأسمع كلام عبد الأعلى .

وكانوا يقولون : أشبه قروش نَعْمَة وجهارة بعمر بن سعيد <sup>(٥)</sup> ، عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر <sup>(٦)</sup> .

قال : وقال بعضُ الأمراء - وأظنه بلال بن أبي بُردة - لأبي نوفل الجارود بن أبي سبرة <sup>(٧)</sup> : ماذا تصنعون عند عبد الأعلى إذا كنتم عنده ؟ قال : يشاهدنا بأحسن استماع ، وأطيب حديث <sup>(٨)</sup> ، ثم يأتي الطباخ فيمثل بين يديه <sup>(٩)</sup> فيقول : ما عندك ؟ فيقول : عندي لونٌ كذا وجدى كذا ، ودجاجة كذا ، ٢٠٤ ومن الحلواء كذا . قال : ولم يسأل عن ذلك ؟ قال : ليَقْصِرَ كلُّ رجلٍ عما لا يشتهي ، حتّى يأتيه ما يشتهي . ثمّ يأتون بالخِوان فيتضايق وتُتسع ، ويقصّر

١٥ (١) أصل السر الحديث ليلاً ، ولكنه يرد به في مثل هذا الموضع حديث الخرافة ، وقد جعل ابن النديم الخرافة والسر متولدتين في فهرست ( لقالة الثامنة ) . وانظر الحيوان ( ٣ : ٢١٢ ) .  
(٢) سبقت ترجمة والده في ٣٦٨ .

(٣) هو عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، أبو عبد الرحمن البصري . وكان مشهوراً بالجد . تليّز التليّز .

٢٠ (٤) سبقت ترجمته في ص ٢٩٢ .

(٥) مضت ترجمته في ص ٣٦٤ . (٦) هذه الفقرة من ل ، هـ فقط .

(٧) ترجم في ص ٣٢٩ . (٨) فيما عدا ل : هـ وأحسن حديث هـ .

(٩) فيما عدا ل : هـ بين عنيه هـ . وانظر العقد ( ٦ : ٢٩٤ - ٢٩٥ ) .



ونجهد ، فإذا شعبنا نحوى تخوية الظلم <sup>(١)</sup> ، ثم أقبل يأكل أكل الجائع المقرر .  
قال : والجارود هو الذى قال : « سوء الخلق يُفسد العمل ، كما يفسد الخُلُ العسل » . وهو الذى قال : « عليكم بالجرید <sup>(٢)</sup> » ؛ فإنه يطرد الفِكر ، ويجلو البصر ، ويجلب الخبر ، ويجمع بين ربيعة ومضر .

- قال : وصعد عثمان المنبر فأرتج عليه ، فقال : « إن أبا بكر وعمر كانا يُعدّان لهذا المقام مقالا ، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب ، وستأتىكم الخطب <sup>(٣)</sup> على وجهها ، وتعلمون إن شاء الله » .
- قال : وشخص يزيدُ عمرَ بنَ هبيرةَ إلى هشام بن عبد الملك فتكلم ، فقال هشام : ما مات من خلف هذا . فقال الأبرش الكلبي <sup>(٤)</sup> : ليس هناك ، أما تراه يروّج جبينه لضيق صدره ! قال يزيد : ما لذلك رشح ولكن لجلوسك في هذا الموضع .

- وكان الأبرش ثلاثة نسابة ، وكان مصاحبا لهشام بن عبد الملك ، فلما أفضت إليه الخلافة سجد وسجد من كان عنده من جلسائه ، والأبرش شاهد لم يسجد . فقال له : ما منعك أن تسجد يا أبرش ؟ قال : ولم أسجد وأنت اليوم معي ماشيا ، وغدا فوق طائرا . قال : فإن طرت بك معي ؟ قال : أترك فاعلا ؟ قال : نعم . قال : ١٥ فالآن طاب السجود <sup>(٥)</sup> .

قال : ودخل يزيدُ بن عمر <sup>(٦)</sup> على المنصور وهو يومئذ أمير ، فقال : « يا أيها

(١) الظلم : ذكر النعام . والتخوية : أن يخرج ما بين عضديه وجبه . وهى من الطائر أن يرسل جناحيه .

(٢) المرد : سوق من أسواق العرب ، بالقرب من البصرة .

(٣) هـ : الخطبة .

(٤) اسمه الأبرش بن حسان كما سيأتى في ( ٢ : ١٣٩ ) . وكان ذا منزلة عند هشام . يروى أبو

الفرج في ( ٢ : ١١٧ ) أنه حج مع هشام فكان عليه في محمله .

(٥) فيما عدل : فالآن .

(٦) هو يزيد بن عمر بن هبيرة المترجم في ١٩٩ .

الأمير ، إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ لَا يُنْكَثُ ، وَعَقْدُهُ لَا يُحْلُ ، وَإِنْ إِمَارَتُكُمْ بَكَرٌ فَأَذِيقُوا  
النَّاسَ حَلَاوَتُهَا ، وَجَنِّبُوهُمْ مَرَارَتَهَا .

قال سهل بن هارون : دخل قُطْرِبُ النَحْوِيُّ عَلَى الْخَلْوَعِ <sup>(١)</sup> فَقَالَ :  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَتْ عِدَّتُكَ أَرْفَعَ مِنْ جَائِزَتِكَ - وَهُوَ يَتَبَسَّمُ - قَالَ سَهْلُ :  
فَاغْتَاطَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ ، فَقَلَّتْ لَهُ : إِنْ هَذَا مِنَ الْخَصَرِ وَالضَّعْفِ ، وَلَيْسَ  
هَذَا مِنَ الْجَلْدِ وَالْقُوَّةِ . أَمَا تَرَاهُ يَقْتُلُ أَصَابِعَهُ ، وَيُرْشِحُ جَبِينَهُ .

قال : وقال عَبْدُ الْمَلِكِ لِحَالِدِ بْنِ سَلَمَةَ الْخَزَزِيُّ <sup>(٢)</sup> : مَنْ أَخْطَبُ  
النَّاسَ ؟ قَالَ : أَنَا . ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : سَيِّدُ جُدَّامٍ - يَعْنِي رُوحُ بْنُ زَيْنَاعٍ <sup>(٣)</sup> ٢٠٥  
- قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أَخْيَفِشُ ثَقِيفٍ - يَعْنِي الْحَجَّاجُ - قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ :  
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَحَيْكَ ، جَعَلْتَنِي رَابِعَ أَرْبَعَةٍ . قَالَ : نَعَمْ ، هُوَ مَا سَمِعْتَ .

وَمِنْ خُطَبَاءِ الْخَوَارِجِ وَعُلَمَائِهِمْ وَرُؤَسَائِهِمْ فِي الْفَتْيَا ، وَشِعْرَائِهِمْ ،  
وَرُؤَسَاءِ قَعْدِهِمْ <sup>(٤)</sup> : عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ <sup>(٥)</sup> . وَمِنْ عُلَمَائِهِمْ وَشِعْرَائِهِمْ  
وَمُخْطَبَائِهِمْ : حَبِيبُ بْنُ خُلْدَةَ الْمَلَالِيُّ <sup>(٦)</sup> ، وَعَلَدَادَةُ فِي بَنِي شَيْيَانَ .

(١) الْخَلْوَعُ ، هُوَ الْخَلِيفَةُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ بْنُ هَارُونَ . انْظُرْ خَيْرَ خَلْعِهِ فِي حَوَادِثِ ١٩٦ .

١٥ مِنْ الطَّبَرِيِّ وَغَيْرِهِ مِنَ التَّوَلُّجِ .

(٢) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي ٣٢٨ .

(٣) كَانَ أَحَدَ وِلَاةِ فَلَسْطِينَ أَيْلَمَ بَنِيهِ مِنْ مَطْلُوبَةٍ . الْأَخْبَانِ ( ١٧ : ١١١ ) . وَذَكَرَ الْجَاهِظُ فِي  
الْحَيَوَانَ ( ١ : ٢٢٦ ) أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ زَوَّجَهُ أُمَّ جَعْفَرِ بِنْتِ الصَّمَانِ بْنِ بَشِيرٍ .

(٤) الْقَعْدَةُ : الْخَوَارِجُ الَّذِينَ يَرَوْنَ التَّحْكِيمَ حَقًّا غَيْرَ أَنَّهُمْ قَعَدُوا عَنِ الْخُرُوجِ عَلَى النَّاسِ .

٢٠ قَالَ أَبُو نَوَاسٍ فِي الْحَمْرِ :

فَكَأَنِّي وَمَا أَحْتَسِنُ مِنْهَا      قَعْدِي يَنْهِنُ التَّحْكِيمَا  
كَلَّ عَنْ حَمْلِهِ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرْبِ      رَبِّ قُلُومِي الْمَطْلِقِ أَلَا يَقِيمَا

(٥) تَرْجَمَ فِي ص ٤١ .

(٦) ل : ١ : بَنِي جُدَّةٍ ، تَصْحِيفٌ ، صَوَابُهُ بِالْخَاءِ الْمَجْمُوعَةُ الْمُضْمُومَةُ . وَفِي الْقَامُوسِ : وَحَبِيبُ بْنُ

٢٥ خُدْرَةُ تَابِيءِ مُحَمَّدٍ .

ومن كان يرى رأى الخوارج : أبو عبيدة النحوي مَعْمَرُ بنِ المُنْثَى ، مولى  
 تيم بن مُرَّة . ولم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلم منه .  
 ومن كان يرى رأى الخوارج : الهيثم بن عدي الطائي ثم البحتري<sup>(١)</sup> .  
 ومن كان يرى رأى الخوارج : شعيب بن رثاب الحنفي ، أبو بكار ،  
 صاحب أحمد بن أبي خالد ، ومحمد بن حسان السكسكي<sup>(٢)</sup> .

ومن الخوارج من علمائهم ورؤسائهم : مسلم بن كورين<sup>(٣)</sup> ، وكنيته  
 أبو عبيدة وكان إياضياً ، ومن علماء الصُّفْرية .  
 ومن كان مَقْتعاً في الأخبار لأصحاب الخوارج والجماعة جميعاً :  
 مُلَيْل<sup>(٤)</sup> ، وأظنه من بني تغلب<sup>(٥)</sup> . ومن أهل هذه الصفة : أصغر بن  
 عبد الرحمن<sup>(٦)</sup> ، من أحوال طُوق بن مالك .  
 ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم : الْمُقْعِطِل<sup>(٧)</sup> ، قاضي عسكر  
 الأزارقة ، أيام قَطْرَى .

ومن شعرائهم ورؤسائهم وخطبائهم : عبيدة بن هلال اليشكري<sup>(٨)</sup> .

(١) ترجم في ص ٥٦ . وهو الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر بن عدي  
 ابن خالد بن خيثم بن أبي حازمة بن جدى بن ثعلب بن ( بخت ) بن عتود بن عتين بن سلامان بن ثعل  
 ابن عمرو بن العوث بن جلهمة ، وهو طي .

(٢) نسبة إلى سكسك بن أشرس ، وهو أبو السكاسك من اليمن .  
 (٣) فيما عدل : « كورين » تحريف ، وكورين بضم الكاف . انظر تاج المروس ( كور ) .  
 وسيأتي في ( ٣ : ٢٦٥ ) أن مسلم بن كورين كان مولى لمروة بن أذينة .

(٤) هـ : « أصغر » وسيأتي في ( ٣ : ٢٦٥ ) : « ومن علمائهم مليل وأصغر ابنا عبد الرحمن » .

(٥) التيمورية : « تغلب » ب ، ح : « ثعلبة » مع أثر تصحيح فيما .

(٦) انظر الحاشية رقم ٤ هذه الصفحة .

(٧) تقدم ذكره في ص ٣٨ .

(٨) في الفرق بين الفرق ٦٦ : « وكان عبيدة بن هلال اليشكري قد فارق قطرها وانغاز إلى  
 قوس ، فجهه سفيان بن الأبرد وحاصره في حصن قوس إلى أن قتله وقتل أتباعه » . وفي الاشتقاق  
 ١٠٧ : « ومنهم عبيدة بن هلال ، كان مع قطرى بن الفداعة ، ثم ولي بعده أمر الخوارج . وهو الذي  
 يقول في حصارهم لما حاصروهم سفيان بن الأبرد الكلبي بالرى :

إلى الله أشكو ما نرى من جيلنا تسلك هزلى مخن قليل .

وانظر ما مضى في ص ٥٥ .

وكان في بنى السَّمين<sup>(١)</sup> من بنى شيان<sup>(٢)</sup> ، خطباء العرب ، وكان ذلك فيهم فاشياً ، ولذلك قال الأخطل :

فَأَيْنَ السَّمينُ لَا يَقومُ خطيبُها وَأَيْنَ ابنُ ذِي الجَدَّينِ لَا يتكلَّمُ<sup>(٣)</sup>

وقال سُحيم بن حفص<sup>(٤)</sup> : كان يزيد بن عبد الله بن رُؤيم<sup>(٥)</sup> الشَّيبانيّ

• مِن أخطب الناس ، خطب عند يزيد بن الوليد ، فأمر للناس بعتاءين .

ومن الخطباء معبد بن طوق العنبري ، دخل على بعض الأمراء فتكلّم

وهو قائم فأحسن ، فلما جلس تنعّص في كلامه<sup>(٦)</sup> فقال له : ما أظرفك

قائماً ، وأموّك قاعداً ! قال : إني إذا قمت جدّدت ، وإذا قعدت هزّلت .

قال : ما أحسنَ ماخرجتَ منها .

١٠ ومن خطباء عبد القيس : مصقلة بن رَبة ، [ ورقية<sup>(٧)</sup> ] بن مصقلة ، ٢٠٦ وكرب بن ربة .

والعرب تذكر من خطب العرب « العجوز » وهي خطبة لآل رَبة ، ومتى

تكلموا فلا بدّ لهم منها أو من بعضها . و « العذراء » وهي خطبة قيس بن خارجة

لأنه كان أباً عذراً . و « الشَّوها » وهي خطبة سحبان وإثل ، وقيل لما ذلك من

١٥ حسنها ، وذلك أنه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يخطب خطيب .

(١) في القاموس (سمن) : « وأما لقب عبد الله بن عمرو بن ثعلبة ؛ لأنه كان بين أخ وعم وعدد كثير . »

(٢) فيما عدل ، ه : « ومن بنى شيان . »

(٣) ذو الجدين هو قيس بن سعد بن قيس بن خالد الشَّيباني ، سمى بذلك لأنه كان أسيراً له قتلاء كثير ، فقال رجل : إنه لنجد في الأسر ، أي له حظ ! فقال آخر : إنه لنجد جدين . وابنه هو بسطام بن قيس الترمذ في ص ٢٦ . انظر جنى الجنتين ١٥٧ .

(٤) ترجم في ص ٤٠ .

(٥) فيما عدل : « رؤية . »

(٦) تنصع : تردد من حصر ألحى . فيما عدل : « تلحيع » أي أفرط .

(٧) التكملة لما سبق في ص ٩٧ . وكلمة « بن مصقلة » من ل ققط . ورقبة بن مصقلة أخبار

وكان ابن عَمَار الطائِيُّ <sup>(١)</sup> خطيبَ مَدَجَجَ كُلِّهَا ، فبلغَ النعمانَ حَسَنُ حديثه فحمّله على منادته ؛ وكان النعمان أحمر العينين ، أحمر الجِلْد ، أحمر الشَّعر ، وكان شديد العريضة قَتَالاً لِلنِّدْمَاءِ ، فنهاه أَبُو قُرْدُودَةَ الطائِيُّ عن منادته ، فلما قُتِلَ رثاه فقال :

إِنِّي نَهَيْتُ ابْنَ عَمَارٍ وَقُلْتُ لَهُ لَا تَأْمَنْ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّعْرَةَ <sup>(٢)</sup> .  
 إِنَّ الْمَلُوكَ مَتَى تَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمْ تَطُرُ بِنَارِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرُّهُ  
 يَا جَفْنَةً كَأِزَاءِ الْحَوْضِ قَدْ هَدَمُوا وَمِنْطَقاً مِثْلَ وَشَى الْيَمْنَةِ الْجَبَرِ

قال الأصمعيّ : وهو كقولهِ :

وَمِنْطَقِي خُرِقَ بِالْعَوَاسِلِ <sup>(٣)</sup> لَدَى كَوْشَى الْيَمْنَةِ الْمَرَاحِلِ <sup>(٤)</sup>

١٠

\*\*\*

قال <sup>(٥)</sup> : وسأل رسول الله ﷺ عمرو بن الأهتم عن الزُّبُرْقَانِ بن بدر ، فقال : « إِنَّهُ لِمَانِعٌ لِحُوزَتِهِ ، مَطَاعٌ فِي أَذْنَيْهِ » . قال الزُّبُرْقَانُ : إِنَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيَعْلَمُ مِنِّي أَكْثَرَ مِمَّا قَالَ ، وَلَكِنَّهُ حَسَدَنِي شَرَفِي ، فَقَصُرَ بِي . قال عمرو : « هُوَ وَاللَّهِ زَمِرُ الْمَرْوَةِ ، ضَبَقَ الْعَطَنَ ، لَيْمَ الْحَالِ » . فنظر النبي ﷺ في عينيه ، فقال : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَضِيتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ، وَغَضِيتُ فَقُلْتُ أَقْبَحَ مَا عَلِمْتُ ، وَمَا كَذِبْتُ فِي الْأَوَّلِ وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْآخِرَةِ » . فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » .

\*\*\*

(١) هو عمرو بن عمار الطائي المُرْجَم في ٢٢٢ .

٢٠

(٢) الأبيات سبقت في ٢٢٣ .

(٣) منطق ، أي صاحب منطق . والعواسل : الرماح اللينة . وانظر ( ٢ : ٢٩٢ ) .

(٤) المراحل : التي تمش فيها تصاليف الرجال ، جمع مرحل ، بالتشديد .

(٥) سبق الخبر برواية أخرى في ٥٣ .

قال : وتكلم رجلٌ في حاجة عند عمر بن عبد العزيز ، وكانت حاجته في قضائها مشقة ، فتكلم الرجل بكلام رقيق موجز ، وثأني لها ، فقال عمر : والله إن هذا للسحرُ الحلال .

• • •

ومن أصحاب الأخبار والآثار أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة<sup>(١)</sup> ، وكان القاضي قبل أبي يوسف .

ومن أصحاب الأخبار : أبو هنيئة وأبو نعمة ، العَدَوَّان . ٢٠٧

ومن الخطباء : أيوب بن القُرَيْبِ<sup>(٢)</sup> ، وهو الذي لما دخل على الحجاج قال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : « ثلاثة حروف »<sup>(٣)</sup> ، كأنهن ركبٌ وقوف : دُنْيَا وآخرٌ ومعروف ، ثم قال له في بعض القول : « أَقْلَنِي عَنِّي ، وَأَسِغْنِي رِيقِي »<sup>(٤)</sup> ؛ فإنه لا بُدَّ للجواد من كِبْوَة ، وللسيف من ثَبْوَة ، وللحليم من هَفْوَة . قال : كَلَّا والله حتى أوردك نار جهنم . أَلَسْتَ القاتِل بُرْسَقَابَاد<sup>(٥)</sup> : تَعْلَمُوا الجَلْدَى قبل أن يَتَعَشَّأَكُم ؟

قال : ومن خطباء غطفان في الجاهلية : خُوَيْلِد بن عمرو ، والعُشْرَاء<sup>(٦)</sup>

١٥ (١) أبو بكر هذا أحد من سمى بكنيته . وذكر ابن حجر في التذهيب (١٢ : ٢٧) أن اسمه عبد الله ، أو محمد . وجده أبو سبرة صحابي شهد بدرًا . وكان أبو بكر يفتي بالمدينة . ثم كتب إليه يقدم بغداد فولى قضاء موسى الهادي بن المهدي وهو ولي عهد . ومات ببغداد سنة ١٦٢ وهو ابن ستين في خلافة المهدي ، فلما مات استقضى أبو يوسف مكانه . انظر التذهيب والمعارف ٢١٤ ، ٢٥٩ وتاريخ بغداد ٧٦٩٧ .

(٢) ترجمته مضت في ص ٢٠ .

٢٠ (٣) ل ، ب : « صروف » صولبها ما أثبت من ه ، ح والتيمورية . وقد سبق الخبر في ص ١١٢ .

(٤) أسغني ريقى ، أى أمهلنى ولا تعجلنى . ل ، ح : « وأسغنى » تحريف .

(٥) يقال أيضا « رستقاذا » وهى من أرض دستوا بخارس .

(٦) في الاشتقاق ١٧٢ : « ومن بنى ملز بن فزارة بنو العشراء » . ب : « العشراء » ل :

« العشراء » ، وأثبت ما في ه ، ح والتيمورية .

ابن جابر بن عقيل بن هلال بن سُمَيَّ بن مازن بن فزارة . ويحولّد خطيب يوم  
الفجر .

ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب <sup>(١)</sup> وأهل البيان : الوضّاح بن  
نَحِيْمَةَ . ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب والحكم <sup>(٢)</sup> عند أصحاب  
الثُّغُور <sup>(٣)</sup> بنو الكَوّاء ، وإيّاهم يعنى مسكين بن أنيف الدارمي ، حين ذكر  
أهل هذه الطبقة فقال :

كِلَانَا شَاعِرٌ مِنْ حَيٍّ صِدْقٍ وَلَكِنْ الرُّحَى فَوْقَ الثُّغَالِ <sup>(٤)</sup>  
وَحَكْمٌ دَغْفَلًا وَارْحَلْ إِلَيْهِ وَلَا تُرْجِ الْمَطَى مِنَ الْكَلَالِ  
تَعَالَ إِلَى بَنِي الْكَوَّاءِ يَقْضُوا بِعِلْمِهِمْ بِأَنْسَابِ الرُّجَالِ <sup>(٥)</sup>  
هَلُمَّ إِلَى ابْنِ مَذْعُورٍ شِهَابٍ يُنْبِئُ بِالسَّوْفَلِ وَالْعَوَالِي ١٠  
وَعِنْدَ الْكَيْسِ الْهَرَى عِلْمٌ وَلَوْ أَضْحَى بِمَنْخَرِقِ الشَّمَالِ <sup>(٦)</sup>  
ومن الخطباء القدماء : كعب بن لؤي ، وكان يخطب على العرب  
عامة ، ويحضّر كنانة على البر ، فلما مات أكبروا موته ، فلم تزل كنانة تؤرّخ  
بموت كعب بن لؤي إلى عام الفيل .

١٥

\* \* \*

ومن الخطباء العلماء الأثيناء ، الذين جَرَوْا مِنَ الْخِطَابَةِ عَلَى أَغْرَاقٍ قَدِيمَةٍ <sup>(٧)</sup> :  
شبيب بن شيبه ، وهو الذي يقول في صالح بن أبي جعفر المنصور ، وقد كان

(١) كلمة « والنسب » من ل ، هـ . و « الخطب » من هـ .

(٢) فيما عدل : « والحكم » .

(٣) الثغورة : الحكومة . وفي اللسان : « ونافر الرجل متافرة وتقالوا : حاكمه واستعمل منه الثغورة  
كالحكومة » . قال ابن هرويه :

يُوقِنُ فَوْقَ رَوَاقِ أَيْضٍ مَا جِدَ يَدْعَى لِيَوْمِ ثَغُورَةٍ وَمَعَاتِلَ

(٤) الثغال ، بالكسر : ملوحت به الرعى من الأرض .

(٥) فيما عدل : « تعال إلى » .

٢٥

(٦) سبق البيت في ص ٣٢٢ .

(٧) انظر ما سبق في ص ٣٥٥ .

المنصور أقام صالحاً فتكلم ، فقال شبيب : « ما رأيتُ كاليعم أمينَ بيانا ، ولا أجودَ لساناً ، ولا أربطَ جناناً ، ولا أبُلُّ ريقاً ، ولا أحسنَ طريقاً ، ولا أغمضَ عُروقاً <sup>(١)</sup> من صالح . وحقُّ لمن كان أميرُ المؤمنين أباه ، والمهدى أخاه ، أن ٢٠٨ يكون كما قال زهير <sup>(٢)</sup> :

• يطلبُ شأوَ امرأتينِ قَدَمَا حَسَنًا      نالا المُلُوكَ وَيَدًا هَذِهِ السُّوقَا <sup>(٣)</sup>  
هو الجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَاوِهِمَا      على تكاليفه فمِثْلُهُ لَحِقًا <sup>(٤)</sup>  
أو يَسْبِقَاهُ على ما كان من مَهْلٍ      فمِثْلُ ما قَدَمَا مِنْ صالحِ سَبَقًا <sup>(٥)</sup> »

قال : وخرج شبيبٌ من دار الخليفة <sup>(٦)</sup> يوماً فقال له قاتل : كيف رأيتَ الناس ؟ قال : رأيتُ الداخل راجياً والخارج راضياً .

قال : وقال خالد بن صفوان : « اتَّقُوا مَجَانِيقَ <sup>(٧)</sup> الضُّعَفَاءِ » ، يريد الدعاء .  
قال : وقال شبيب بن شيبه : « اطلب الأدب فَإِنَّهُ دَلِيلٌ على المروءة ، وزيادةٌ في العقل ، وصاحبٌ في القرية ، وصِلَةٌ في المجلس » .

وقال شبيبٌ للمهدى يوماً : « أراك والله في يَنِيكَ ما أرى أباك فيكَ ، وأرى الله بنيك فيكَ ما أراك في أبيك » . ١٥

(١) أغمض ، من الغموض ، وهو الغرور .

(٢) في مدح هر . والأبيات في ديوان زهير ٥١ .

(٣) الشأوَ : السبق . بذاً : غلباً . والسوق : جمع سوقة ، وهم أوساط الناس ، أو ما بين الملوك والأوساط .

(٤) في شرح طلب : تكاليفه : شدته ، الواحدة تكلفة . وفي اللسان : « وهي الكلف والتكاليف ، واحدها تكلفة » . وما هو جدير بالذكر أن الكوفيين يطردون زيادة الياء في هذا الجمع وحذفها .

(٥) المهل : التقدم . يقول : هو معلور إن سبقاه لأنهما أخلفا مهلة قبله فتقدماه . والألف في « سبق » للإطلاق ، أي مثل فعلهما سبق .

(٦) في عيون الأخبار ( ١ : ٩١ ) : « دار الخلافة » .

(٧) المجانيق ، جمع منجنيق ، وهي من آلات في القتال . وانظر ( ٣ : ٢٧٤ ) . ٢٥



وقال أبو الحسن : قال زيد بن عليّ بن الحسين : « اطلب ما يعينك وأترك ما لا يعينك ؛ فإنّ في ترك ما لا يعينك ذكراً لما يعينك ، وإنما تقدّم على ما قدّمت ، ولست تقدّم على ما أخرت . فأثّر ما تلقاه غداً ، على ما لا تراه أبداً » .

أبو الحسن ، عن إبراهيم بن سعد قال : قال خالد بن صفوان : « ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة <sup>(١)</sup> ، أو بهيمة مهملة » .

- أبو الحسن قال : كان أبو بكر خطيباً ، وكان عمر خطيباً ، وكان عثمان خطيباً وكان عليّ خطيبهم <sup>(٢)</sup> . وكان من الخطباء : معاوية ، ويزيد ، وعبد الملك ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان ، وسليمان <sup>(٣)</sup> ، ويزيد بن الوليد ، والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز . ومن خطباء بني هاشم : زيد بن عليّ ، وعبد الله بن الحسن ، وعبد الله بن معاوية ، خطباء لا يُجَارُونَ . ومن خطباء النُصَاك والعُباد : الحسن بن ١٠ أبي الحسن البصريّ ، ومطرف بن عبد الله الحرشي <sup>(٤)</sup> ، ومورّق العجلي <sup>(٥)</sup> ويكر بن عبد الله المزنيّ <sup>(٦)</sup> ، ومحمد بن واسع الأزديّ <sup>(٧)</sup> ، ويزيد بن أبان

(١) ل فقط : « مهملة » . وقد سبق الخبر في ١٧٠ .

(٢) فيما عدا ل : « خطيباً » .

(٣) ل : « مروان بن سليمان » . ١٥

(٤) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير البصري ، المترجم في ١٠٣ . وقال السمعاني في الأنساب ١٦٣ : « هذه النسبة إلى الخريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن قيس . وأكثرهم نزل البصرة ، ومنها تفرقت إلى البلاد . وفي الأزد الخريش بن خزيمة بن الحاجر بن عمران . قاله ابن حبيب . والمشهور بهذه النسبة مطرف بن عبد الله الحرشي » .

(٥) هو مورق بضم الميم وفتح اللام وتشديد الراء المكسورة - بن مشمرج - بكسر الراء - بن عبد الله العجلي ، أبو المحترم البصري ، ثقة عابد من كبار الثالثة . مات بعد المائة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ( ٣ : ١٧٣ ) . ويعرف هذا الاسم فيجمل « مورق » بالهمز - انظر القاموس ( ورق ) .

(٦) ترجم في ص ١٠٠ .

(٧) هو أبو بكر أو أبو عبد الله محمد بن واسع بن جابر الأزدي البصري ، روى عن أنس ومطرف والأعمش وغيرهم . وكان أحد النُصَاك المباد الزهاد . توفي هو ومالك بن دينار سنة ١٢٣ . ٢٥ تهذيب التهذيب والمعارف ٢٠٩ وصفة الصفوة ( ٣ : ١٩٠ ) .

الرقاشي<sup>(١)</sup> ومالك بن دينار السامي<sup>(٢)</sup> .

وليس الأمر كما قال ؛ في هؤلاء القاصص المجهدين ، والواعظ البليغ ، وذو المنطق الوجيز . فأما الخطب فإثنا لا نعرف أحدا يتقدم الحسن البصري فيها . وهؤلاء وإن لم يُسمَّوا خطباء فإن الخطيب لم يكن يشقُّ غبارهم .

٥ أبو الحسن قال : حلَّثني أبو سليمان الحميري قال : كان هشام بن عبد الملك يقول : إني لأستصيفُ العمامة الرقيقة تكون على أذن إذا كان عندي عبد الأعلى بن عبد الله<sup>(٣)</sup> ؛ مخافة أن يسقط عني من حديثه شيء .

ومن الخطباء من بنى عبد الله بن غطفان : أبو البلاد<sup>(٤)</sup> ، كان رلوية ناسبا . ومنهم : هاشم بن عبد الأعلى الفزاري . ومن الخطباء : حفص بن معاوية الغلابي<sup>(٥)</sup> وكان خطيباً ، وهو الذي قال حين أشرك سليمان بن علي بينه وبين مولى له على دار القنْب : « أشركت بيني وبين غير الكفَى ، ووليتني غير السنَى » .

ومن بنى هلال بن عامر : زُرعة بن ضمرة ، وهو الذي قيل فيه : « لولا غلو فيه ما كان كلامه إلا الذهب » . وقام عند معاوية بالشام خطيباً فقال معاوية : يا أهل الشام هذا خالي فاثقوني بخالي مثله . وكان ابنه النعمان بن زُرعة ابن ضمرة ، من أخطب الناس ، وهو أحد من كان تخلَّص من الحجاج من قُل

(١) ترجم في ص ٢٠٤ .

(٢) إنما قيل له السامي لأنه كان مولى لأميرة من بنى سامة بن لؤي ، كما سبق في ترجمته ص ١٢٠ .

(٣) انظر ما سبق في ص ٣٤٤ من ٥ - ٧ .

(٤) في المعارف ٢٣٥ : أبو البلاد الكوفي ، كان من أروى أهل الكوفة وأعلمهم . وكان أعمى

٢٠ جيد اللسان ، وهو مولى لعبد الله بن غطفان ، وكان في زمن جبر والفريزق . وأبو البلاد هذا غير أبي

البلاد الطهري ، أحد شعراء بني طهية وهو المعروف أيضا بأبي النور الطهري ، انظر المؤلف ١٦٣

وشرح التهذيب للحماسة ( ١ : ١٤ ) .

(٥) الغلابي : نسبة إلى أهل بيت باليهرة يعرفون ببني غلاب ، وغلاب على وإن فقال مثل

حزام ، من بني نصر بن معاوية . الاشتقاق ١٧٨ .

ابن الأشت (١) بالكلام اللطيف .

وقال سُحيم بن حفص (٢) : ومن الخطباء عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي : تكلم هو وعبد الله بن الأهم ، عند عمر بن هبيرة وعبد الله بن هبيرة ، ففضل عاصماً عليه . قال سحيم : فقال قاتل يومئذ : الخُلُ حامضٌ ما لم يكن ماء .

ومن خطباء بنى تميم : عمرو بن الأهم (٣) ، كان يُدعى « المُكحل » ، لجماله ، وهو الذى قيل فيه : إنما شعره حُلٌّ مُتَشَرَّةٌ بين أيدي الملوك ، تأخذ منه ما شاءت . ولم يكن فى بادية العرب فى زمانه أخطبُ منه .

ومن بنى منقر : عبد الله بن الأهم ، وكان خطيباً ذا مقاماتٍ ووفادات . ومن الخطباء : صفوان بن عبد الله بن الأهم ، وكان خطيباً رئيساً ، وابنه خالد ابن صفوان ، وقد وقَدَ إلى هشام ، وكان من سُمّار أئى العباس .

ومنهم : عبد الله بن عبد الله بن الأهم ، وقد ولى خُرَاسَانَ ووفد على الخلفاء ، وخطب عند الملوك . ومن ولده شبيب بن شيبه بن عبد الله بن عبد الله بن الأهم ، وعبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الأهم ، و خاقان بن الأهم هو عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الأهم .

ومن خطبائهم : محمد الأحول بن خاقان ، وكان خطيبَ بنى تميم ، وقد رأيتُه وصحبت كلامه .

ومن خطبائهم : مَعْمَرُ بن خاقان ، وقد وقَدَ .

ومن خطبائهم : مؤمِلُ بن خاقان . وقال أبو الزبير الثقفى : ما رأيتُ خطيباً من خطباء الأمصار أشبهَ بخطباء البادية ، من المؤمِلُ بن خاقان .

ومن خطبائهم : خاقان بن المؤمل بن خاقان . وكان صَبَاح بن خاقان <sup>(١)</sup> ، ذا علم وبيان ومعرفة ، وشدة عارضة ، وكثرة رواية ، مع سخاء واحتشالٍ وصبر على الحق ، ونصرة للصديق ، وقيام بحق الجار .

ومن بنى منقر : الحكم بن النضر ، وهو أبو العلاء الجَنْقَرِيُّ ؛ وكان يصرف لسانه حيث شاء ، بجهرارة واقتدار .

ومن خطباء بنى صريم بن الحارث : الخَزْرَجُ بن الصَّدْي .

ومن خطباء بنى تميم ثم من مُقَاعِس : عُمارة بن أبي سليمان . ومن ولد مالك بن سعد <sup>(٢)</sup> : عبد الله وجير <sup>(٣)</sup> ابنا حبيب <sup>(٤)</sup> ، كانا ناسيين عالمين أدبيين دينيين . ومن ولد مالك بن سعد <sup>(٥)</sup> : عبد الله والعباس ابنا رؤية ، وكان العباس علامة عالما ، ناسبا راوية ، وكان عبد الله أرجز الناس وأفصحهم ، وكان يكنى أبا الشعثاء ، وهو العجاج <sup>(٦)</sup> .

ومن أصحاب الأخبار والنسب : أبو بكر الصديق ، رحمة الله عليه ، ثم جبير بن مطعم ، ثم سعيد بن المسيب ، ثم قتادة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة المسعودي <sup>(٧)</sup> .

(١) في القاموس ( صبح ) : « وكسحاب ابن الهذيل أخو زفر الفقيه ، وابن خاقان ، كريم » .

(٢) هو مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وفي ب : « سعيد » تحريف .

(٣) فيما عدل ، ه : « بن عبد الله » وكذلك « خير » . وقد صححت في ح وجعلت « جير » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من التيمورية .

(٥) فيما عدل ، ه : « بن سعيد » تحريف .

(٦) العجاج هذا ولد رؤية بن العجاج ، كلاهما راجز مجيد عارف باللفظ وحشيا وغريبا . وكان رؤية

أكثر شعراً من أبيه العجاج بن رؤية وأفصح منه . خزائن الأدب ( ١ : ٤٣ ) والمؤتلف ، والشعر والشعراء .

(٧) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أبو عبد الله الهذلي المدني ، أحد الفقهاء

السبعة بالمدينة ، روى عن أبيه ، وأُرسِلَ عن عم أبيه عبد الله بن مسعود وجماعة من الصحابة ، وعنه :

أخوه عبد الزمري وأبو الزناد وغيرهم . وهو معلم عمر بن عبد العزيز . وكان عالماً ناسكاً ، وأضرّ رحمه الله

بأخوه . توفي سنة ٩٨ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة ( ٢ : ٥٧ ) ونكت المياني ١٩٧ - ١٩٨

والأغاني ( ٨ : ٩٤ - ٩٥ ) .

الذى قال فى كلمة له فى عمر بن عبد العزيز ، وعبد الله بن عمرو بن عثمان  
ابن عفان (١) :

مُسَا ثَرَابَ الْأَرْضِ مِنْهُ خَلَقْتُمَا      وفيه المعادُ والمصيرُ إلى الحشرِ (٢)  
ولا تأنفَا أنْ ترجعَا فُتسلَّمَا      فما حُشِيَ الإنسانُ شرًّا من الكِبَرِ  
فلو شعثُ أدلَى فيكما غيرُ واحدٍ      غَلَابِيَّةٌ أَوْ قَالَ عَنْدَى فِي سِرِّ  
فإن أنا لم أَمُرْ ولم أنه عنكما      ضحكْتُ له حتَّى يَلجُ وَيَسْتَشْرِى (٣)  
وهو الذى قيل له كيف تقول الشعر مع التَّسْك والفقهِ ؟ فقال : « إنَّ  
المصدورَ لا يملك أن ينفثَ » (٤) .

٢١١

وقد ذكر المصدور أبو زبيد الطائيّ فى صفة الأسد فقال :

لِلصَّيْدِ مِنْهُ عَوِيلٌ فِيهِ حَشْرَجَةٌ      كأنَّما هو من أحشاء مَصْدُورٍ ١٠  
ومن خطباء هذيل : أبو المليلح الهذليّ أسامة بن عمير (٥) ، ومنهم : أبو بكر  
الهذليّ (٦) ، كان خطيباً قاصّاً ، وعالمًا بَيِّنًا ، وعالمًا بالأخبار والآثار . وهو  
الذى لما فآخر أهل الكوفة قال : « لنا السَّجَّ والعَاج ، والدَّيْبَاج والخَرَاج ،  
والنَّهْرُ العَجَّاج » (٧) .

(١) انظر القصة فى أمالي ثعلب ١٧ والمرضى ( ٢ : ٦٠ ) وجمع الجواهر للحصرى ص ٣ ١٥  
والنهر لابن حبيب ٢٩٧ .

(٢) كنّا بالخمر فى أوله فى ل . وفيما عداها « فَمَسَا » . وانظر الحيوان ( ١ : ١٤ : ١٥ ) .

(٣) ذكر فى الأغاني ( ١٣ : ١٠ ) أن العتي سرق هذا المعنى فى قوله :

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموا بالحق وبالباطل

(٤) ويرى : « لا بد للمصدور أن ينفث » . نكت الحميان .

(٥) ذكره فى التهذيب ( ١٢ : ٢٤٦ ) فى باب الكنى وقال : اسمه عامر أو زهد بن أسامة .

(٦) ذكره الجاحظ فيما سبأى ض ٣٦٨ . وقال : « وهو عبد الله بن سلمى » . وذكره فى

التهذيب ( ١٢ : ٤٥ ) فى باب الكنى ، وأن اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى ، أو روح . روى عن

الحسن وابن سبهن وأبى المليلح الهذلي وغيرهم ، وعنه : ابن جرير وابن عثاش . وكان من العلماء بأيام الناس . ٢٥  
توفى سنة ١٧٧ .

(٧) انظر ( ٢ : ٩٤ ) .

## ياب

## من أسماء الكهّان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان

قالوا : أَكْهَنُ العرب وأَسْجَمُهُمْ سَلَمَةُ بن أَيْ حَيَّة ، وهو الذى يقال له  
عَزَى سَلَمَةُ <sup>(١)</sup> . ومنهم من خطباء عُمَانَ : مُرَّة بن فَهْم التَّلِيد ، وهو  
الخطيب الذى أوفده المهلب إلى الحجاج .

ومن العتيك : بِشْر <sup>(٢)</sup> بن المغيرة بن أَيْ صُفْرَة ، وهو الذى قال لبنى  
المهلب : يَا بَنِي عُمَى ، إِنِّى وَاللّهِ قَدْ قَصَّرْتُ عَنْ شِكَاةِ الْعَاتِبِ ، وَجَاوَزْتُ شِكَاةَ  
الْمُسْتَعْتَبِ ، حَتَّى كَأَنَّى لَسْتُ مُوصُولًا وَلَا مَحْرُومًا ، فَعَلُّونِى أَمْرًا خَفِمَ لِسَانُهُ ،  
أَوْ رَجُومَ شُكْرِهِ . وَإِنِّى وَإِنْ قُلْتُ هَذَا فَلَمَّا أَبْلَانِى اللّهُ بِكُمْ أَعْظَمُ مِمَّا أَبْلَاكُمْ بى .

ومن خطباء اليمن ثم من حِمَيْر : الصَّبَّاح بن شَفَى الحميرى ، كان  
أخطب العرب . ومنهم ثم من الأنصار : قيس بن شَمَّاس <sup>(٣)</sup> . ومنهم : ثابت  
ابن قيس بن شَمَّاس خطيبُ النّبى ﷺ . ومنهم : رَوْح بن زِنْبَاع <sup>(٤)</sup> ، وهو  
الذى لما هَمَّ بِهِ معاوية قال : « لَا تُشْمِتُنِى عِلْوًا أَنْتَ وَقَمَتُهُ <sup>(٥)</sup> » ، وَلَا تَسْوَعَنَّ  
فِى <sup>(٦)</sup> صَدِيقًا أَنْتَ سِرَّتَهُ ، وَلَا تُهْدِمَنَّ مَتْنِى رُكْنًا أَنْتَ بَنَيْتَهُ . هَلَّا أَقْبَلَ حِلْمُكَ  
وَإِحْسَانُكَ عَلَى جَهْلِ وَإِسَاءَتِى .

(١) كذا ورد بخطه فى ل . وفى هـ بفتح اللام . وفى ب واليمومية : « عَزَى سلمة » .

(٢) فى ل : « بِسْر » بضم الباء بعدما سبى مهمله .

(٣) فيما عدا ل : « الشماس » .

(٤) سبق ترجمته فى ص ٣٤٦ وكلمته فى أسأل الزجاجى بتحقيقنا ص ٧ .

(٥) الرقم : الإقتال والقهر والرد أنجح الرد .

(٦) هـ : « فى » .

ومن خطيائهم: الأسود بن كعب ، الكذاب العنسي<sup>(١)</sup> . وكان  
طليحة<sup>(٢)</sup> خطيباً وشاعراً، وسجاعاً كاهناً ناسباً . وكان مُسيلمة الكذاب<sup>(٣)</sup>  
بعيداً من ذلك كله .

٢١٢

وثابت بن قيس بن شماس هو الذي قال لعامر<sup>(٤)</sup> ، حين قال : أما والله  
لئن تعرضت لعنّي<sup>(٥)</sup> وفنّي ، وذكاء ميّني<sup>(٦)</sup> ، لتولّين عني ، فقال له ثابت :  
« أما والله لئن تعرضت لسيّاني ، وشبّا أنياني<sup>(٧)</sup> وسرعة جواني ، لتكرهنّ

- (١) هو الأسود بن كعب بن غوث ، من بني عنس بن مالك . تنبأ باليمن . الاشتقاق ٢٤٨ . وذكر  
المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٤٠ أن الأسود لقب له ، واسمه عيلة بن كعب بن الحارث بن عمرو بن  
عبد الله بن سعد بن عنس بن مذحج ، وأنه كان يدعى « ذا الحمار » لحمار كان معه قد راضه وعلمه ، يقول له  
اجث ، فيجثو . قتله قيس بن مكشوح المرادي سنة ١١ من الهجرة . وانظر الطبري ( ٣ : ٢١٣ - ٢٢٠ ) .
- (٢) هو طليحة بن خويلد الأسدي ، تنبأ في خلافة أبي بكر في بني أسد بن خزيمه . وعاضده عيينة  
بن حصن الفزاري ، فوجه أبو بكر إليه خالد بن الوليد ، فهزمه وفض جموعه وأسر عيينة . وذلك في سنة ١١  
من الهجرة . وقد أسلم طليحة بعد ذلك ، واستشهد بنهلوند سنة ٢١ . الإصابة ٤٢٨٣ والتنبيه والإشراف .
- (٣) هو أبو ثمامة مسيلمة بن حبيب الحنفى ، من أهل البصرة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع  
أسجاعاً ، عارض فيها القرآن بزعمه . منها قوله : « والشمس وضحاها ، في ضوءها وجلاها ، والليل إذا  
عداها ، يطلبها ليقتاها ، فأدركها حتى أتاها ، وأطفا نورها وبهاها » . وقوله : « يا ضفدع نقي نقي كم تتقين ،  
لا الماء تكدرين ، ولا الشرب تمنعين » . وكان قد قرأ أمره في الإمامة وظهر جفاً بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو  
بكر إليه خالد بن الوليد في جيش لمقارحته ، فكان له النصر على بني حنيفة في يوم الإمامة . وقتل مسيلمة وكثير  
من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل . انظر المعارف ١٧٨ والطبري ( ٣ : ٢٤٣ - ٢٥١ )
- (٤) هو عامر بن عبد قيس ، المترجم في ٨٣ ، الذي قال : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في  
القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » . وانظر ٢٣٧ س ١ ، ٣٢٧ س ١٠ ، ٣٦٣ س ٣ .
- (٥) هـ : « للضي » . تحريف .
- (٦) ذكاء السن : تمامه بانتفاء الشباب ، ومنه قول الحجاج : « فرت عن ذكاء » .
- (٧) شيا الأنياب : حمها .

٢٥

- جَنَانِي . قال : فقال النبي ﷺ : يكفيك الله وأبنا قيلة <sup>(١)</sup> .
- لَعَنِي : أي لما يعزُّ لي ويعرض . فتى : مذهبي في الفن <sup>(٢)</sup> .
- وأخذت هذا الحديث من رجل يضع الأخبار فأنا أنهمم <sup>(٣)</sup> .
- ومن خطباء الأنصار : بشر بن عمرو بن مخصن ، وهو أبو عمرة الخطيب .
- ومن خطباء الأنصار : سعد بن الربيع <sup>(٤)</sup> ، وهو الذي اعترضت
- ابنته <sup>(٥)</sup> النبي ﷺ ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : ابنة الخطيب الثقيب
- الشهيد : سعد بن الربيع . ومنهم خال حسان بن ثابت ، وفيه يقول حسان :
- إن خالي خطيبُ جابيةِ الجَوْءِ لأن عند الثُّعْمان حين يقوم <sup>(٦)</sup>
- ولياه يعني حسان بقوله :
- رُبَّ خَالٍ لِي لو أَبْصَرْتُهِ سَبَطَ المِشْيَةَ في اليومِ الخَصِيرِ <sup>(٧)</sup>
- ومنهم من الرواة والتساين والعلماء : شَرِّقُ بن القطامي <sup>(٨)</sup> الكلبي ، ومحمد

(١) في هامش التيمورية : « ابنا قيلة هما الأوس والخزرج ، وهم الأنصار ، وكانوا أشجع الناس . قال عبد الله بن عباس : ماسلت السيوف ولا زحفت الزحوف ولا أقيمت الصفوف حتى أسلم ابنا قيلة » . وفي اللسان : « اسم أم لهم قديعة ، وهي قيلة بنت كاهل » .

(٢) هذا التفسير ساقط من هـ .

(٣) في هامش التيمورية : « يشير إلى أن الراوي لهذا الحديث غير موثق به لا سيما في عطف

ابنا قيلة على لفظة الجلالة ما لا يخفى » . هـ : « من رجل يصنع الكلام » .

(٤) هو سعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري الخزرجي ، أخى الرسول بينه وبين عبد الرحمن بن

عوف ، واستشهد يوم أحد . الإصابة ٣١٤٧ .

(٥) هي أم سعد بنت سعد . انظر الإصابة ١٢٨٧ قسم النساء .

(٦) جابية الجولان ، من أعمال دمشق .

(٧) رواية الديوان ٢٠٤ : « سبط الكفين » . وقيله :

سألت حسان من أخواله إنما يسأل بالشيء القمر

قلت : أخوال بنو كعب إنما أسلم الأبطال عورات الدبر

(٨) الشرق لقب له ، واسمه الوليد بن الحصين ، كان وافر الأدب ، أقدمه المنصور بغداد ، وضم

إليه المهدي لأخذ من أدبه . تاريخ بغداد ٤٨٣٨ وابن النديم ١٣٢ ولسان الميزان ( ٣ : ١٤٢ - ١٤٣ ) .

والقطامي لقب أبيه ، واسمه الحصين بن حمال ، يقال يفتح القاف وضحها ، مأخوذ من القطامي يفتح

القاف وضحها ، وهو الصقر . والقطامي شاعر ذكره صاحب المؤتلف ١٦٦ - ١٦٧ . وهو غير

القطامي التليي ، للشاعر المشهور ، واسمه عمر بن شليم .



ابن السائب الكلبي<sup>(١)</sup> ، وعبد الله غياش الهمداني<sup>(٢)</sup> ، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي<sup>(٣)</sup> . والهيثم بن عدي الطائي<sup>(٤)</sup> ، وأبو روق الهمداني واسمه عطية بن الحارث<sup>(٥)</sup> ؛ وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي<sup>(٦)</sup> ، ومحمد بن عمر الأسلمي الواقدي<sup>(٧)</sup> ، وعوادة الكلبي<sup>(٨)</sup> ، وابن أبي عيينة المهدي<sup>(٩)</sup> ، والخليل بن أحمد الفراهيدي<sup>(١٠)</sup> ، وخلف بن حيان الأحمر الأشعري<sup>(١١)</sup> .  
قالوا : ومنا في الجاهلية عبيد بن شربة<sup>(١٢)</sup> ، ومنا شق بن الصعب ، ومنا ربيع بن ربيعة السطحي الذبي<sup>(١٣)</sup> .

(١) ترجم في ٢٤٢ .

(٢) ترجم في ٢٦٠ .

(٣) ذكره ابن النديم في الفهرست وساق ثبت مصنفاته الكثيرة في ١٤٠ - ١٤٣ وهو صاحب الجهورية في النسب ، وذكر ابن خلكان أنه توفي سنة ٢٠٤ . وانظر تاريخ بغداد ٧٣٨٦ .

(٤) ترجم في ص ٦ .

(٥) أبو روق عطية بن الحارث الهمداني الكوفي ، روى عن أنس وعكرمة والشامي ، وروى عنه الثوري وعمارة . تهذيب التهذيب .

(٦) أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي التاملي ، شيخ من أصحاب الأخبار بالكوفة . روى عن الصنع بن زهر ، وجابر الجعفي ، ومجالد . وروى عنه المدائني وعبد الرحمن بن مغراء ، ومات قبل السبعين ومائة . انتهى المقال ٢٤٨ ولسان الميزان ( ٤ : ٢٩٢ ) وابن النديم ١٣٦ .

(٧) ترجم في ٣٧ ل : ومحمد بن عمرو . تحريف . انظر أيضاً تهذيب التهذيب ( ٩ : ٣٦٣ ) .

(٨) ترجم في ٣١٦ .

(٩) ترجم في ٥٠ .

(١٠) الفراهيدي : نسبة إلى فرهود ، بالضم ، وهم حمى من محمد ، وهم بطن من الأزدي .

(١١) ترجم في ١٢٩ .

(١٢) عبيد ، بيشة التصغير ، كما ضبط في ل ، هـ ، وكما يفهم من سياق ابن حجر في الإصابة

٦٣٩١ . وشربة قال ابن حجر : بمجمة ووق عطية . وضبط في هـ بفتح الشين وسكون الراء . وقال

٢٥ ياقوت في إرشاد الأريب ( ١٢ : ٧٢ ) : عبيد بن شربة ، ويقال ابن سارية ، ويقال ابن شربة . وهو أحد معمرى العرب ، أدرك الإسلام فأسلم وقدم على معاوية وجرى بينهما حديث طويل طريف ، أورده ياقوت والسجستاني في المعجمين ٣٩ . وهو أول من نسب إليه كتاب في التاريخ من المسلمين . الفهرست ١٣٢ .

(١٣) سبق ترجمة شق وسطيح في ص ٢٩٠ .

ومنا المأمور الحارثي<sup>(١)</sup> ، والدنيان بن عبد المدان ، الشرفان الكاهنان

ومهم : عمرو بن حنظلة بن نهد الحَكَم ، وله يقول القائل :

عمرو بن حنظلة بن نهد من خير ناسي في معد

ومهم : أبو السطاح اللخمي<sup>(٢)</sup> ، وجمع معاوية بينه وبين دغفل بن

حنظلة البكري . ومنهم أبو الكباس الكندي<sup>(٣)</sup> ومنهم أظفر بن مَخُوس ٢١٣

الكندي<sup>(٤)</sup> . وكانا ناسيين عالمين .

ومن أصحاب الأخبار والآثار: عبد الله بن عقبة بن لهيعة<sup>(٥)</sup> ويكنى أبا

عبد الرحمن .

ومن القدماء في الحكمة والرياسة والخطابة عُثيد بن شربة الجرهمي ، وأُسْقُف

نجران ، وأكَيْلُر صاحب دومة الجندل ، وأقيعي نجران ، وذُرب بن حوط ، وعَلِيم ١٠

ابن جناب<sup>(٦)</sup> وعمرو بن ربيعة - وهو لَحِي<sup>(٧)</sup> - بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِيَاء .

وجذبة بن مالك الأبرش<sup>(٨)</sup> ، وهو أول من أسرج الشمع ورعى بالمشجق .

(١) المأمور الحارثي ، اختلف في اسمه ، قيل هو الحارث بن معاوية ، قال ابن دريد في الاشتقاق

٢٦٩ : وكان من فرسان مذحج ، وكانت في أمه تقدم وتتأخر . وقيل هو معاوية بن الحارث .

الأمل ( ٣ : ١٤٩ ) . وقيل هو المأمور بن ترواء . معجم المزياني ٤٧٢ . أو هو المأمور بن نهد . القائل ١٥

( ٣ : ١٤٩ ) . ونسبته إلى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ، كما في

التفاض ٦٠٠ . وله خبر في يوم الكلاب الثاني . الأغاني ( ١٥ : ٧٠ ) والتفاض ١٤٩ .

(٢) فيما عدل ، هـ : « أبو السطاح » بالشين المعجمة . وانظر الحيون ( ١ : ٣٦٥ و ٣ : ٢٠٩ ) .

(٣) فيما عدل : « الكباس » .

(٤) هذا ما في ل . وفي هـ : « ومنهم ابن غوس الكندي » . وفي سائر النسخ : « ابن غوس » . ٢٠

(٥) كذا في ل ، هـ ، وفيما عدلما : « عبد الله بن عتبة بن لهيعة » . وكلاهما خطأ ، وصواب

اسمه « عبد الله بن لهيعة بن عقبة » . وابن لهيعة محدث جليل ، وقاض فقيه ، روى عن الأعرج وعطاء

وابن المنكسر وغيرهم ، وروى عنه الثوري وشعبة والأوزاعي . تهذيب التهذيب .

(٦) هو علي بن يحيى التصغير ، ابن جناب بن هبل ، الاشتقاق ٣١٦ .

(٧) لحي هو لقب ربيعة ، كما في الاشتقاق ٢٧٦ . وقال : « ومن بني عمرو بن لحي تفرقت ٢٥

خزاعة » . وفي العرب عمرو بن لحي آخر ، هو عمرو بن لحي بن قحمة بن الياس بن مضر . انظر

السوق ٥٠ - ٥١ . وفي هذا الأخير ورد حديث : « رأيت عمرو بن لحي يمر قصبه في النار » .

(٨) هو جذبة بن مالك بن فهم بن عمرو بن درس بن الأزد ، ملك الحيرة . والأبرش لقب

جذبة . ويقال له أيضا « الوضاح » . العملة ( ٢ : ١٧٨ ) .

## باب

## ذكر النساك والزهاد من أهل البیان

- عامر بن عبد قيس <sup>(١)</sup> ، وصيلة بن أشيم <sup>(٢)</sup> ، وعثمان بن أدهم ،  
وصفوان بن مِحْرَز <sup>(٣)</sup> والأسود بن كلثوم <sup>(٤)</sup> ، والربيع بن خُثَيْم <sup>(٥)</sup> ، وعَمْرُو  
ابن عُتْبَةَ بن فرقد <sup>(٦)</sup> ، وهَرِيْءُ بن حَيَّان <sup>(٧)</sup> ، ومُورِقُ العجلی ، ويكر بن عبد الله  
المُزَنِّي ، ومُطَرَفُ بن عبد الله بن الشَّحِير الحَرَشِي <sup>(٨)</sup> .

(١) ترجم في ٨٢ .

- (٢) هو أبو الصهباء صلة بن أشيم العلوي الناسك ، زوج معاذة العلوية الناسكة ، لقي جماعة  
من الصحابة ، وأسد عن ابن عباس وغيره ، وقتل شهيداً في غزوة ، في أول إمرة الحجاج على العراق سنة  
٧٥ . واجتمعت النساء عند معاذة للتنزية فقالت : مرحباً ، إن كنتن جنتن لتهنتي فمرحباً بكن ، وإن  
كنتن جنتن لغير ذلك فارجمن . صفة الصفوة ( ٣ : ١٣٩ ) والإصابة ٤١٢٧ .
- (٣) صفوان بن محرز بن زياد الملقب ، أسد عن ابن عمر ، وأبي موسى ، وابن مسعود . وعنه عاصم وقادة  
وغيرهم . توفي بالبصرة سنة ٧٤ في ولاية بشر بن مروان . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ( ٣ : ١٤٩ ) .
- (٤) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ( ٣ : ٢١٢ ) في الطبقة الثالثة من أهل البصرة .
- (٥) هو الربيع بن خثيم ، بتقديم التاء على الباء ، ابن عاتق بن عبد الثوري الكوفي ثقة عابد من  
كبار التابعين . قال له ابن مسعود : « لو رأيك رسول الله ﷺ لأحبك » . توفي سنة إحدى وقيل ثلاث  
وستين . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ( ٣ : ٣١ ) وابن النديم ٢٦٠ .
- (٦) فيما عدل : « عمر » تحريف . وهو عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي الكوفي . روى عن ابن مسعود  
وسبعة الأسلمية كتابة . قتل في تستر في خلافة عثمان . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ( ٣ : ٣٧ ) .
- (٧) هرم بن حيان العبدي ، أحد عمال عمر ، وعنه عثمان بن أبي المصاح إلى قلعة بَحْرَة فاقطعها  
هزوة سنة ٢٦ . الإصابة ٤٩٤٧ وصفة الصفوة ( ٣ : ١٣٧ ) .
- (٨) ترجم مورق في ص ٣٥٣ ، ويكر في ص ١٠٠ ، ومطرف في ص ١٠٣ .

وبعد هؤلاء : مالك بن دينار <sup>(١)</sup> ، وحبيب أبو محمد <sup>(٢)</sup> ، ويزيد  
الرقاشي ، وصالح المرقى <sup>(٣)</sup> ، وأبو حازم الأعرج <sup>(٤)</sup> ، وزيد مولى عياش بن أبي  
ربيعة <sup>(٥)</sup> ، وعبد الواحد بن زيد <sup>(٦)</sup> ، وحيان أبو الأسود ، ودعهم أبو العلاء .  
ومن النساء : ربيعة القيسية <sup>(٧)</sup> ، ومعاذة العلوية <sup>(٨)</sup> امرأة صيلة بن أشيم ،

(١) ترجم في ١٢٠ .

(٢) هو أبو محمد حبيب بن محمد المجبى ، أو الفارسي ، البصري ، أحد الزهاد المشهورين ،  
روى عن الحسن وابن سيرين ويكر بن عبد الله ، وعنه سليمان التيمي وحماد بن سلمة . قال المعتمر عن  
أبيه سليمان : « ما رأيت أحداً قط أزهد من مالك بن دينار ، ولا رأيت أحداً قط أعشع من محمد بن واسع ،  
ولا رأيت أحداً قط أصليق يقينا من حبيب أبي محمد » . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ( ٣ : ٢٣٦ ) .  
وقد ذكر خطأ في الفهرست ٢٦٠ باسم « محمد بن حبيب الفارسي » .

(٣) ترجم يزيد بن أبيان الرقاشي في ٢٠٤ ، وصالح بن بشر المري في ١١٣ .

(٤) هو أبو حازم سلمة بن دينار ، الأعرج الأفرع الحمار المدني القاصي ، مولى الأسود بن سفيان  
الخرزومي ، وكان ثقة كثير الحديث . توفي بعد سنة ١٤٠ في خلافة المتصور . تهذيب التهذيب وصفة  
الصفوة ( ٢ : ٨٨ ) .

(٥) الصواب أنه مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة القرشي . وزيد ، هو زيد بن أبي زياد  
ميسرة ، وكان عبداً ، وكان عمر بن عبد العزيز يستزيه ويكرمه ، وبعث إلى مولاه ليعيه إياه فأبى وأعتقه .  
توفي سنة ١٣٥ . صفه الصفوة ( ٢ : ٥٩ ) وتهذيب التهذيب .

(٦) كان عبد الواحد بن زيد من الزهاد البكائيين ، وكان يحضر مجلس مالك بن دينار ، قال ابن  
الجزري : أسند عن الحسن البصري وأسلم الكوفي . صفه الصفوة ( ٣ : ٢٤٠ ) . وفي لسان الميزان ( ٤ :  
٨٠ ) أنه كان متعماً في حفظه كثير الوهم . وقد ذكره ابن النديم في الفهرست ٢٦٠ في جماعة العباد والزهاد .

(٧) هي أم الخير ربيعة بنت إسماعيل العلوية القيسية البصرية ، وهي تعد أشهر الزاهدات  
المصليات ، كانت تقول إذا وثبت من مرقدها : « يا نفس كم تامين ، وإلى كم تامين . يوشك أن تنامي  
نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور » . انظر لسائر أقوالها صفه الصفوة ( ٤ : ١٢ ) . وذكر ابن  
خلكان أن رفاتها كانت في سنة ١٣٥ ، ويقومها بظاهر القدس ، على رأس جبل يسمى جبل الطور .

(٨) هي أم الصهباء معاذة بنت عبد الله العلوية البصرية ، زوج صيلة بن أشيم المترجم في  
٣٦٣ . روت عن عائشة زوجي ، وعنها ثعلبة والحسن وأيوب وعاصم الأحول وغيرهم . يقال إنها لم تتوسد  
فراشاً بعد أبي الصهباء حتى ماتت . وكانت تقول : « عجبت لمن تنام وقد عرف طول الرقاد في ظلم  
القبور » . تهذيب التهذيب ( ٢ : ٤٥٢ ) وصفه الصفوة ( ٤ : ١٣ ) .

وَأُمُّ الدَّرْدَاءِ <sup>(١)</sup>

ومن نساء الخوارج: البُلجاء <sup>(٢)</sup>، وَغَزَالَة <sup>(٣)</sup>، وَقَطَامٌ، وَجَمَادَة <sup>(٤)</sup>، وَكَحِيلَة.

ومن نساء الغالية: لَيْلَى النَاعِظِيَّة <sup>(٥)</sup>: وَالصُّلُوفُ، وَهِنْدُ.

وَمَنْ كَانَ مِنَ النَّسَاكِ مَنْ أَدْرَكَتْهُ: أَبُو الْوَلِيدِ، وَهُوَ الْحَكَمُ الْكِنْدِيُّ،

وَعَمْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَمْرَوِيُّ <sup>(٦)</sup>.

وَمِنَ الْقَدَمَاءِ مَنْ كَانَ يُدْرِكُ بِالْقَلْبِ وَالرَّيَاسَةِ، وَالْبَيَانِ وَالْخُطَابَةِ،

وَالْحِكْمَةِ وَالذَّهَاءِ وَالتَّكْرَارِ: لَقْمَانُ بْنُ عَادٍ، وَلَقِيمُ بْنُ لَقْمَانَ، وَمَجَاشِعُ بْنُ

دَارِمٍ، وَسَلِيطٌ <sup>(٧)</sup> بَنِي كَعْبٍ بْنِ يَرْبُوعٍ، سَمُّهُ بِذَلِكَ لِسُلَاطَةِ لِسَانِهِ. وَقَالَ جَرِيرٌ:

• إِنَّ سَلِيطًا كَأَسْمِهِ سَلِيطٌ •

وَلَوْثَى بْنُ غَالِبٍ، وَقُسَّ بْنُ سَاعِدَةَ، وَقُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ.

وَمِنَ الْخُطَبَاءِ الْبُلْغَاءِ وَالْحُكَّامِ الرُّؤَسَاءِ: أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ، وَرَبِيعَةُ بْنُ

حُذَارٍ، وَهَرَمٍ بْنُ قُطَيْبَةَ، وَعَامِرُ بْنُ الظَّرِيبِ، وَلَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَكَانَ مِنَ الشُّعْرَاءِ.

(١) أُمُّ الدَّرْدَاءِ، هِيَ زَوْجُ أَبِي الدَّرْدَاءِ الصَّحَابِيِّ، وَاخْتَلَفَ عُلَمَاءُ التَّرَاثُومِ فِي أُمِّ الدَّرْدَاءِ، فَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهَا شَخْصَيْنِ: أُمُّ الدَّرْدَاءِ الْكُبْرَى، وَأُمُّ الدَّرْدَاءِ الصَّغْرَى، وَكِلَاهُمَا زَوْجٌ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ.

وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: هُمَا وَاحِدَةٌ. وَيَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافًا. انْظُرِ الْإِصَابَةَ ٣٨٤ مِنْ قِسْمِ النِّسَاءِ وَتَهْذِيبِ (١٥) التَّهْذِيبِ (١٢ : ٤٦٥) وَصِفَةُ الصَّفْوَةِ (٤ : ٢٦٦) حَيْثُ يَرْجِعُ ابْنُ الْجُرُزِيِّ أَنَّ الْعَابِدَةَ هِيَ الصَّغْرَى، وَأَسْمُهَا هَجِيمَةُ بِنْتُ حَيٍّ، وَأَسْمُ الْكُبْرَى خَبِيزَةُ بِنْتُ أَبِي حَذْرَدٍ.

(٢) لَعَلَّهَا «الشُّجَاءُ». انْظُرِ الْحَيَوَانَ (٥ : ٥٨٨ - ٥٨٩).

(٣) هِيَ غَزَالَةُ الشَّيْثَانِيَّةِ، زَوْجُ شَيْبِ بْنِ يَزِيدٍ الْخَارِجِيِّ الشَّيْثَانِيِّ، وَكَانَتْ مِنَ الشُّجَاعَةِ وَالْفُرْسَةِ بِالْمَوْضِعِ الْعَظِيمِ. وَكَانَ الْحَاجِبُ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ قَدْ هَرَبَ مِنْهَا، فَمِيزَ أَسَامَةً بِنَ سَفِيَانٍ الْبَجَلِيَّ يَقُولُ:

أَسَدٌ عَلَى وَفَى الْحَرْبِ نَمْلَةٌ رِيَاءٌ تَنْفَرُ مِنْ صَغِيرِ الصَّافِرِ  
هَلَا بَرَزَتْ لِي غَزَالَةُ فِي الضَّحَى بَلْ كَانَتْ قَلْبِكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ

تَقَدَّمَتْ تَرْجَمَةُ يَزِيدٍ فِي ص ١٢٨. وَفِي الْحَيَوَانَ (٥ : ٥٩٠) أَنَّ خَالِدَ بْنَ عَتَابٍ قَتَلَهَا.

(٤) هِيَ حَمَادَةُ الصَّفِيَّةِ، ذَكَرَهَا الْجَاهِظُ فِي الْحَيَوَانَ (٥ : ٢٩٠).

(٥) تَرْجَمَتْ فِي ص ٣٠. فِي الْأَصُولِ: «النَّاعِظِيَّةُ»، بِالْعَاءِ الْمُهْمَلَةِ، تَحْرُفُ.

(٦) فِيمَا عَلَا: «الْحَمْرَوِيُّ». (٧) فِي الدِّيَوَانِ ٣٣٢: وَقَالَ لَبْنِيُّ سَلِيطَ:

إِنَّ سَلِيطًا كَأَسْمِهِ سَلِيطٌ - لَوْلَا بَنُو عَمْرٍو وَعَمْرُو عَيْطٍ

قُلْتُ دِيَاثِينَ أَوْ تَيْطَ

## وأسماء الصوفية من النسك من كان يجيد الكلام

كِلَاب<sup>(١)</sup> ، وَكَلِيب ، وهاشم الأوقص ، وأبو هاشم الصوفي<sup>(٢)</sup> ،  
وصالح بن عبد الجليل .

ومن القلماء العلماء بالنسب وبالعرب<sup>(٣)</sup> : الخَطَفَى وهو<sup>(٤)</sup> جد  
جرير بن عطية بن الخَطَفَى ، وهو حُذَيْفَة بن بدر بن سلمة بن عوف بن  
كليب بن يربوع . وإنما سُمِّي الخَطَفَى لأَيَاتِ قَالَهَا ، وهى :

يَرَفَعْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أَسَدَا أَعْنَاقَ جَنَانٍ وَهَاماً رُجُفَا

وَعَنَقاً بَاقِ الرَّسِيمِ خَيْطَفَا

الْعَنَقُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ ، وهو الْمُسَبَّطَرُ ؛ فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنِ الْعُنُقِ قَلِيلًا  
فَهُوَ التَّزِيدُ ، فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ الذَّمِيلُ . وَالرَّسِيمُ فَوْقَ الذَّمِيلِ .  
وَالْخَيْطَفُ : السَّرِيعُ ، أَيْ يَخْطِفُ كَمَا يَخْطِفُ الْبِقُ . وَيَخْطِفُ مِنَ الْخَطْفِ ،  
وَالْيَاءُ فِي خَيْطَفٍ زَائِلَةٌ ، كَمَا قَالُوا رَجُلٌ صَتِيفٌ مِنَ الصَّرَفِ ، وَرَجُلٌ جَيْدَرٌ مِنَ  
الْجَدَرِ وَهُوَ الْقَصَرُ<sup>(٥)</sup> . وَأَصْلُ الْخَطْفِ الْأَخْذُ فِي سُرْعَةٍ<sup>(٦)</sup> ثُمَّ اسْتَعِيرَ لِكُلِّ  
سَرِيعٍ .

\*\*\*

١٥

(١) هو كلاب بن جري . ذكر في صفة الصفوة ( ٣ : ٢٨٩ ) .

(٢) أبو هاشم الصوفي الزاهد ، من قلماء زهاد بغداد ، جلس إليه مغيان الثوري . صفة  
الصفوة ( ٢ : ١٧٢ ) .

(٣) في هامش هـ : « والغريب » عن نسخة .

(٤) هذه الكلمة من هـ .

(٥) فيما عدل : « القصير » .

(٦) ل : « بسرعة » .

## ذكر القصص

قصّ الأسودُ بنُ سريع ، وهو الذي قال :

فإن تنج منها تنج من ذى عزيمة وإلا فإني لا أخالك ناجيا

وقصّ الحسن وسعيدُ ابنا أبي الحسن <sup>(١)</sup> . وكان جعفرُ بنُ الحسن أولَّ

- من اتخذ في مسجد البصرة حلقةً وأقرأ القرآن في مسجد البصرة . وقصّ إبراهيم التيمي <sup>(٢)</sup> . وقصّ عبيد بن عمير الليثي <sup>(٣)</sup> وجلس إليه عبد الله بن عمر . حدثني بذلك عمرو بن فائد بإسناد له .

ومن القصص : أبو بكر الهذلي وهو عبد الله بن سلمى <sup>(٤)</sup> ، وكان يئياً

خطيباً صاحب أخبار وآثار . وقصّ مطرف بن عبد الله بن الشخير <sup>(٥)</sup> في مكان أبيه .

- ومن كبار القصص ثم من هذيل : مسلم بن جندب <sup>(٦)</sup> وكان قاصصاً مسجد النبي .

(١) أبو الحسن : كنية والدهما يسار . أما الحسن فهو أبو سعيد الحسن ابن أبي الحسن يسار البصري ، مولى الأنصار ، ولد لستين بنتاً من خلافة عمر ، وتوفى سنة ١١٠ . وأخوه سعيد بن يسار أكبر منه ، توفى قبله سنة ١٠٠ . تهذيب التهذيب . فيما عدل : « ابن أبي الحسن » ، تحريف .

- (٢) هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي ، تيم الهباب ، الكوفي ، كان من العباد ، روى عن أنس وعمر بن ميمون ، وأُرسِلَ عن عائشة . قال الأعمش : كان إبراهيم إذا سجد نحيّ الصفاير فتفر ظهوره . توفى في حبس الحجاج سنة ٩٢ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ( ٣ : ٥٠ ) .

(٣) فيما عدل : « عبيد الله بن عمر » ، لكن في « عبد الله » ، كلاهما تحريف . وهو عبد ابن عمير بن قتادة بن سعيد بن عامر بن جندب بن ليث الليثي ، أبو عاصم المكي ، قاضي أهل مكة . روى عن أبيه وعمر وعطى وأبي هريرة وغيرهم ، وذكر العوام بن حوشب أنه رأى عبد الله بن عمر في حلقة

- عبيد بن عمير يكي . توفى سنة ٦٨ . التهذيب وصفة الصفوة ( ٢ : ١١٦ ) .

(٤) سبقت ترجمته في ٣٥٧ . فيما عدل : « بن أبي سليمان » .

(٥) سبقت ترجمة مطرف في ١٠٣ . ل : « وقص ابن مطرف » . وفيما عدل : « وقص ابنه

مطرف » وكلاهما خطأ .

(٦) هو أبو عبد الله مسلم بن جندب الهذلي القاضي ، كان من فضلاء الناس ، وكان معلماً

- عمر بن عبد العزيز ، وكان يقضي بغير رزق . توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب .

عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمدينة ، وكان إمامهم وقارئهم ، وفيه يقول عمر بن عبد العزيز : « مَنْ ٢١٥  
سَرَّهُ أَنْ يَسْمَعَ الْقُرْآنَ غَضًّا فَلْيَسْمَعْ قِرَاءَةَ مُسْلِمٍ بِنِ جَنْدَبٍ » .

ومن القصص : عبد الله بن عرادة بن عبد الله بن الوضين ، وله  
مسجد في بني شيان .

• ومن القصص : موسى بن سيار الأسواري <sup>(١)</sup> ، وكان من أعاجيب  
الدنيا ، كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في  
مجلسه المشهور به ، فتعبد العرب عن يمينه ، والفُرس عن يساره ، فيقرأ الآية  
من كتاب الله ويفسرُها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفُرس فيفسرُها لهم  
بالفارسية ، فلا يُدري بأى لسان هو آئِنُ . واللُّغَتَانِ إِذَا تَقَعَتَا فِي اللِّسَانِ  
الواحد أدخلت كلُّ واحدةٍ منهما الضميمة على صاحبها ، إلا ما ذكرنا <sup>(٢)</sup> من  
لسان موسى بن سيار الأسواري .

ولم يكن في هذه الأمة بعد أئى موسى الأشعري أقرأ في محراب من موسى بن  
سيار ثم عثمان بن سعيد بن أسعد ، ثم يونس النحوي ، ثم المعلّى . ثم قص في مسجده <sup>(٣)</sup>  
أبو علي الأسواري ، وهو عمرو بن فائد <sup>(٤)</sup> ، شتاً وثلاثين سنة ، فابتدأ لهم في تفسير  
سورة البقرة ، فما ختم القرآن حتى مات ، لأنه كان حافظاً للسير ، ولوجوه  
التأويلات فكان ربما فسر آية واحدة في علة أسابيع ، كأن الآية ذُكر فيها يوم بدر ،  
وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق في ذلك من الأحاديث كثيراً <sup>(٥)</sup> . وكان يقصُّ

(١) ترجم له في لسان الميزان (٦ : ١٣٠) وذكر أنه كان قدراً . وذكره السمعاني في الأنساب ٣٧ .

(٢) فيما عدل : هـ ما ذكرنا .

(٣) أئى المسجد الذى كان يقص فيه موسى بن سيار .

(٤) عمرو بن فائد الأسواري ، قال القلي : كان يذهب إلى القدر والاعتزال ، وكان منقطعاً إلى  
محمد بن سليمان أمير البصرة ، وأخذ عن عمرو بن عبيد ، وله معه مناظرات ومات بعد المائتين يسير . لسان  
الميزان ( ٤ : ٣٧٢ - ٣٧٣ ) . ونسبه إلى نهر الأسورة بالبصرة . انظر الحيوان ( ٦ : ١٩١ ) .

(٥) هـ : الكوفة .



في فنون من القصص ، ويجعل للقرآن نصيباً من ذلك . وكان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ، ويحتج به . وخصاله المحمودة كثيرة .

ثم قصر من بعده القاسم بن يحيى ، وهو أبو العباس الضير ، لم يدرك في القصص مثله . وكان يقصّ معها وبعدها مالك بن عبد الحميد المكفوف ، ويزعمون أن أبا علي لم تسمع منه كلمة غيبة قط ، ولا عارض أحداً قط من المخالفين والحساد والبغاة بشيء من المكافاة .

فأما صالح المري ، فكان يكنى أبا بشر<sup>(١)</sup> ، وكان صحيح الكلام رقيق المجلس . فذكر أصحابنا أن سفيان بن حبيب<sup>(٢)</sup> ، لما دخل البصرة وتوارى عند مرحوم العطار<sup>(٣)</sup> قال له مرحوم : هل لك أن تأتي قاصاً عندنا هاهنا ، تفترج

٢١٦ بالخروج والنظر إلى الناس ، والاستماع منه ؟ فأناه على تكرره ، كأنه ظنه كبعض من يبلغه شأنه ، فلما أناه وسمع منطقته ، وسمع تلاوته للقرآن ، وسمعه يقول حدثنا شعبة عن قتادة<sup>(٤)</sup> ، وحدثنا قتادة عن الحسن ، رأى بياناً لم يحميه ، ومذهباً لم يكن يظنه<sup>(٥)</sup> ، فأقبل سفيان على مرحوم فقال : ليس هذا قاصاً ، هذا نذير !

(١) فيما عدل : « فإنه كان » . وترجمة صالح في ١١٣ .

(٢) هو أبو محمد سفيان بن حبيب البصري ، أحد المحدثين الثقات . توفي سنة ١٨٣ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو محمد مرحوم بن عبد العزيز بن مهراز العطار الأموي البصري . كان من الثقات المبادر . توفي سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب .

(٤) ترجمة قتادة في ٢٤٢ . وأما شعبة ، فهو فيما عدل : « سعيد » وكلاهما محتمل ؛ إذ أن

٢٠ قتادة روى عنه شعبة ، وسعيد . وشعبة هو أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد التميمي الأودي الواسطي البصري ، محدث كثير الرواية ، كان الشعي يقول فيه : شعبة أمر المؤمنين في الحديث . ويقولون إنه أول من تكلم في الرجال . ولد سنة ٨٢ وتوفي سنة ١٦٠ . تهذيب التهذيب . وأما سعيد فهو سعيد بن أبي عروبة العلوي البصري ، قال ابن أبي خيثمة . أثبت الناس في قتادة سعيد بن أبي عروبة وهشام الدستوائي . توفي سنة ١٥٦ . تهذيب التهذيب .

## باب

## ما قيل في المحاصر والعصى وغيرهما

كانت العرب تحطّب بالمحاصر <sup>(١)</sup> ، وتعتمد على الأرض بالقسيّ ،  
وتشير بالعصى والقنا . نعم حتى كانت المحاصر لا تفارق أيدي الملوك في  
مجالسها ، ولذلك قال الشاعر <sup>(٢)</sup> :

في كفّه خيزرانٌ يهّجه عبقُ      بكفّ أروع في عرينه شممُ  
يُغضى حياءً ويُغضى من مهابة      فما يكلم إلا حين يتسم  
إن قال قال بما يهوى جميعهم      وإن تكلم يوماً ساحتِ الكلامُ  
يكاد يُمسكه عرقانٌ راحته      ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلِمُ <sup>(٣)</sup>

وقال الشاعر قولاً فسر فيه ما قلنا . قال :

مجالسهم تحفّض الحديث وقولهم      إذا ما قُضتْ في الأمر وحى المَخاصِرِ  
وقال الكميّ بن زيد :

(١) المحاصر : جمع محصرة ، وهي ما يختصرو الإنسان فيمسكه بيده ، من عصا أو مقرة أو عنزة أو عكازة أو قضيب .

(٢) هو الفرزدق يقول في هشام بن عبد الملك ، كما في أمالي المرتضى ( ١ : ٤٨ ) وزهر الآداب ١٥ ( ١ : ٦٠ ) . أو الخزيم الكندي في عبد الملك بن مروان كما في ديوان الحماسة ( ٢ : ٢٨٤ ) . أو الفرزدق في علي بن الحسين كما في العمدة ( ٢ : ١١٠ ) وأمالي المرتضى . أو للعين المقرئ فيه ، كما في العمدة . أو لكثير بن كثير السهمي في محمد بن علي بن الحسين ، المولف ١٦٩ . أو لداود بن سلم في قثم بن العباس ، كما في العمدة . وهذا مثل المبلغ اختلاف الرواة في نسبة الشعر . انظر الحيوان ( ٣ : ٢٠ ) وعيون الأخبار ( ١ : ٢/٢٩٤ : ١٩٦ ) .

(٣) البيتان الأوّلان في ( ٣ : ٤١ - ٤٢ ) . وثالث ساقط من هـ . زيد بعد هذا البيت فيما عدل :

كم هاتف لك من دواعٍ وداعة      يدعون يا قثم الخيول يا قثم

وَنَزَوُرُ مَسْلَمَةَ الْمَهْدِ      بَ بِالْمُؤَنِّدَةِ السَّوَاتِرِ (١)  
 بِالْمُذْهَبَاتِ الْمُعْجَبَا      بَ لِمُفْحِمٍ مَنَا وَشَاعِرِ (٢)  
 أَهْلُ التَّجَاوِبِ فِي الْحَا      قِلْ وَالْمَقَاوِلِ بِالْمَخَاصِرِ (٣)  
 فَهُمْ كَذَلِكَ فِي الْحَا      لِسِي وَالْحَافِلِ وَالْمَشَاعِرِ (٤)

٢١٧ وكما قال الأنصارى في المجامع حيث يقول :

وسارت بنا سَيَّارَةٌ ذَاتُ سَوْرَةٍ      بِكُومِ الْمَطَايَا وَالْخَيُولِ الْجَمَاهِرِ (٥)  
 يُؤْمِنُونَ مُلْكَ الشَّامِ حَتَّى تَمَكَّنُوا      مَلُوكًا بِأَرْضِ الشَّامِ فَوْقَ الْمَنَابِرِ  
 يُصَيِّبُونَ فَصْلَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ خَطِيئَةٍ      إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُمْ بِالْمَخَاصِرِ  
 وَفِي الْمَخَاصِرِ وَالْعَصَى      وَفِي خَذِّ وَجْهِ الْأَرْضِ بِالْعَصَى ، قَالَ الْحَطِيشَةُ :

أَمْ مِنْ لَخْصِمٍ مُضْجِعِينَ قَسِيَهُمْ      صَعْرٍ تُخَدِّدُهُمْ عِظَامُ الْمَفْخِرِ ١٠  
 وَقَالَ كَلِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ فِي الْإِشَارَةِ :

غُلِبَ تَشْدُرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا      جُنُ الْيَدَى رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا (٦)  
 وَقَالَ فِي خَذِّ وَجْهِ الْأَرْضِ بِالْعَصَى وَالْقَسَى :

نَشِينُ صَحَاحَ الْيَدِ كُلِّ عَشِيَةٍ      بِعُوجِ السَّرَاءِ عِنْدَ بَابِ مُحَجِّبِ (٧)

(١) مسلمة ، هو مسلمة بن عبد الملك . انظر ٢٩٢ . المؤنِّدَة : التي يبقى ذكرها على الأبد .  
 عنى بها القصائد والمَدَح . ل : بالْمُهْنِدَةِ ، وفي هامشها : « خ : بِالْمُهْنِدَةِ » .

(٢) في اللسان : « والمفحم . الذي لا يقول الشعر » .

(٣) المقاول : جمع مقول ، وهو البين الظريف اللسان .

(٤) المشاعر : مواضع المناك . والأبيات الثلاثة الأولى في ( ٣ : ١١٧ ) .

(٥) الكوم : جمع أكرم وكوماء ، وهو ما علا سنامه . وانظر ( ٣ : ١١٦ - ١١٧ ) .

(٦) القلب : الغلاظ الأعناق . تشدُر : يوعد بعضهم بعضا برفع اليد . والذحول : جمع ذحل ، وهو المحقد والتأر . واليدى : موضع ، أو هو البداية . والبيت من معلقته .

(٧) في شرح ديوانه ٤٥ : « نشين صحاح اليد ، يقول : نخط بأطراف قسنا ، كلما ذكرنا يوما نقول : وهذا ! ... بعوج السراء ، يعنى بهذه القسَى . عند باب عجيب ، يعنى باب الملك . قال :

وعند باب الملوك يتلاق الناس فيتخاضرون ويخطون بقسيهم فيؤثرون في الأرض ، فذلك نشينهم صحاح  
 اليد . ل : « بعود السراء » .

عوج : جمع عوجاء ، وهى هاهنا القوس . السَّراء : شجر تعمل منه القسي .  
وفى مثله يقول الشاعر :

إذا اقتسم الناسَ فضلَ الفَخَّارِ      أطلنا على الأرضِ مِثْلَ العصا  
وقال الآخر :

كَبِثَ لنا فى الأرضِ يومَ محرقِ      أيامنا فى الأرضِ يوماً قِصَلاً <sup>(١)</sup>  
وقال ليبد بن ربيعة فى ذكر القسي :

ما إنْ أَهَابَ إذا السُّرَادِقُ غَمَّهُ      قَرَعَ القِسىُّ وأُرْعِشَ الرُّعْدُيْدُ <sup>(٢)</sup>  
وقال مَعْنُ بن أوسِ المَوْزِى <sup>(٣)</sup> :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي رسولاً      عُبَيْدَ اللهِ إذْ عَجَلَ الرُّسَالا <sup>(٤)</sup>  
ثُعَالِقِلْ دُونَنَا أبنَاءُ ثورِ      ونَحْنُ الأَكْثَرُونَ حَصَى ومالا <sup>(٥)</sup>

إذا اجتمع القبائلُ جثَ رِذفا      ورَاءَ الماسحينَ لك السَّبَّالا <sup>(٦)</sup>  
فلا تُعْطَى عَصَا الخُطْبَاءِ فيهم      وقد تُكْفَى المَقَادَةَ والمَقَالا <sup>(٧)</sup>

فإنكم وتروكُ بنى أَيْيَكم      وأسروكم تجرونُ الجِبَالا <sup>(٨)</sup>

(١) انظر محرق ما مضى فى حواشى ٢٦٧ .

(٢) السرداق ، أى سرادق الملك . غمه : علاه وسره ، أى كثر فيه . ل : عمة ، وما أثبت  
من سائر النسخ يطابق رواية الديوان ٢٧ طبع ١٨٨٠ .

(٣) مَعْنُ بن أوس : شاعر فحل من غنضرى الجماعية والإسلام ، له مدائح فى جماعة من  
الصحابة . وعمر إلى زمان ابن الزبير . وهو الذى قال له : « لمن الله ناقة حملتى إليك » . فقال : « إن

وراكها » . وكفى فى آخر عمره . الأغاني ( ١٠ : ١٥٦ ) والإصابة ٨٤٤٥ ونكت المهيان ٣٩٤  
والخزانة ( ٣ : ٢٥٨ ) . ونسب القول إلى عبد الله بن فضالة فى الأغاني ونكت المهيان ٣٩٤ والخزانة

( ٣ : ٢٥٨ ) . ونسب القول إلى عبد الله بن فضالة فى الأغاني ( ١٠ : ١٦٢ ) . وإلى عبد الله بن  
الزبير الأندلسى فى الخزانة ( ٢ : ١٠٠ ) وزهر الآداب ( ٢ : ١٦٤ ) .

(٤) عجله : سبقه . وفى الكتاب : « أعجلتم أمر ربكم » .

(٥) تماثل : من العقل ، وهو الدية . حصى ، أى عددا .

(٦) السبال : جمع سبلة ، وهو مقدم اللحية . وسبح للحى كتابة عن التهديد والتوعد ، أو هو  
تأهب للكلام . انظر تفسير البغدادى فى الخزانة ( ١ : ٥٢٥ ) لقول الشماخ :

أكتنى سليم قضها يقضيضها      تمسح حولى باليقين سبالا

فيما عدنا ل : « أمام الماسحين » ، تحريف .

(٧) يقول : لست برئيس ولا خطيب . ل : « فلا يعطى عطا » صوابه فى سائر النسخ .

(٨) هذا البيت وما بعده فى ل فقط . وانظر ( ٣ : ٩ ) .

وَوَدَّكَ الْعِدَى مِّنْ سِوَاكُمْ لَكَالْحَيَّانِ يَقِيعُ الضَّلَالَا  
وَمَا قَالُوا فِي حَمَلِ الْقَنَاءِ قَوْلُهُ :

إِلَى امْرِئٍ لَا تُحْطَاهُ الرِّفَاقُ ، وَلَا جَذِبَ الْحَيَّانُ إِذَا مَا اسْتَشْيَى الرِّقُ (١)  
صَلَبُ الْحَيَّانِ لَا هَنْزُ الْكَلَامِ إِذَا هَزَّ الْقَنَاءَ وَلَا مُسْتَمَجِلٌ زَهَقُ (٢)  
وَمَا قَالَ جَرِيرُ بْنُ الْخَطَفِيِّ (٣) :

مَنْ لِلْقَنَاءِ إِذَا مَا عَى قَاتِلَهَا أُمُّ لِلْأَعْنَةِ يَأْسِبُ بَيْنَ عَمَارٍ (٤)  
وَقَالَ : ومثل هذا قول أبي الجحيب الرُّبَيْعِيِّ (٥) : « مَا تَزَالُ تَحْفَظُ أَخَاكَ  
حَتَّى يَأْخُذَ الْقَنَاءَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَفْضَحُكَ أَوْ يَحْمِلُكَ » . يَقُولُ : إِذَا قَامَ يَخْطُبُ .  
وَفِي كِتَابِ جَبَلِ بْنِ يَزِيدٍ (٦) : « أَحْفَظُ أَخَاكَ إِلَّا مِنْ نَفْسِهِ » .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رُوَيْبَةَ (٧) : سَأَلَ رَجُلٌ رُوَيْبَةَ عَنْ أَخْطَبِ بَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالَ :

(١) لَا تَحْطَاهُ الرِّفَاقُ : لَا يَخْطُونُهُ ، يَقُولُ : هُوَ أَبَدًا أَمَامَهُمْ . فِيمَا عَدَا لَ : « الرِّقَابُ » يَقُولُ :  
هُوَ كَثِيرُ الطَّلَامِ عَلَى الْحَيَّانِ . الْإِسْتِشَاءُ وَالْإِسْتِشَاقُ بِمَعْنَى . يَقُولُ : هُوَ فِي وَقْتِ الْأُتْمَةِ وَالسَّنَةِ حِينَ  
يَتَشَبَّهُ النَّاسُ الطَّلَامَ مَخْصَبُ ذُو يَسَرٍ وَكَم . فِيمَا عَدَا لَ ، هـ : « الْعِرَاقُ » تَحْرِيفٌ .  
(٢) الْحَيَّانُ : مَا اسْتَلْزَلَ بِالظَّهْرِ وَالْبَطْنِ . هَزَّ الْقَنَاءَ ، أَيْ الرَّحْمَ حِينَ الْخَطِيئَةِ . فِي اللِّسَانِ  
« وَفَلَانٌ زَهَقَ ، أَيْ تَزَقَّ » .

(٣) فِيمَا عَدَا لَ : « وَقَالَ جَرِيرُ الْخَطَفِيِّ » ، وَهُوَ خَطَأٌ ، إِذْ أَنَّ الْخَطَفِيَّ لَقِبَ جَدَّهُ عَوْفٌ وَهُوَ  
جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةَ بْنِ عَوْفِ الْخَطَفِيِّ .

(٤) كَذَا فِي لَ ، هـ . وَفِيمَا عَدَاهُمَا : « شَيْبُ بْنُ عَمَلٍ » وَكَلَامُهُمَا خَطَأٌ فِي الرُّوَايَةِ ؛ إِذْ أَنَّ الْبَيْتَ  
مِنْ أَيْتَاتٍ فِي دِيْوَانِ جَرِيرٍ ٢٣٦ - ٢٣٧ يَقِي بِهَا عَفِيَّةُ بْنُ عَمَلٍ ، أَوْفَا :

يَا عَقِبُ لَا عَقِبَ لِي فِي الْبَيْتِ أَمْسَعُهُ مِنْ الْأَرْوَاحِ وَالْأَصْيَافِ وَالْجَارِ  
أَمْ مِنْ لِبَابٍ إِذَا مَا اشْتَدَّ حَاجَتُهُ أَمْ مِنْ لِحْصَمٍ يَحِيدُ السَّؤْءَ عَطَلُ  
أَمْ مِنْ يَقَعُ بِغُلُوقٍ إِذَا اخْتَلَفَتْ غِبَاطِلُ الشُّكِّ مِنْ وَرْدٍ وَاصْدَارِ  
أَمْ لِلْقَنَاءِ إِذَا مَا عَى قَاتِلَهَا أَمْ لِلْأَعْنَةِ يَا عَقِبُ بْنُ عَمَلٍ

(٥) أَبُو الْجَحِيْبِ الرُّبَيْعِيُّ : أَحَدُ فَصَحَاءِ الْعَرَبِ الَّذِينَ رَوَى عَنْهُمْ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ، انْظُرْ ابْنَ التَّنْدِيمِ ١٠٣ .

(٦) جَبَلُ بْنُ يَزِيدٍ : كَاتِبُ عَمَلَةٍ بِنِ حِمْرَةٍ ، وَكَانَ مُتَرَجِّمًا مِنْ مَعْلُودِيِّ الْبَلْعَاءِ وَالْبَعَاءِ . وَعَمَلَةٌ  
ابْنِ حِمْرَةٍ ، كَانَ مَوْلَى لَأَبِي جَسْفَرٍ الْمَنْصُورِ وَكَاتِبًا لَهُ . انْظُرْ ابْنَ التَّنْدِيمِ ١٧١ .  
(٧) هُوَ الْعِجَاجُ ، وَالِدُ رُوَيْبَةَ . وَالْعِجَاجُ لَقِبُهُ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الشَّعْثَاءِ .

« خلدش بن لبید بن بَيْتة » يعنى البَيْت (١) . وإِنَّمَا قِيلَ لَهُ الْبَيْتُ لِقَوْلِهِ :  
تَبَعْتُ مَنْى مَا تَبَعْتُ بَعْدَ مَا أَمَرْتُ جِبَالِي كُلَّ مِرْعَا شُرْزَا (٢)  
وزعم سُحَيْمُ بْنُ حَفْصٍ أَنَّهُ كَانَ يَقَالُ : أَخْطَبُ بَنِي تَعِيمِ الْبَيْتِ إِذَا أَخَذَ الْفَتَاةَ .  
وَقَالَ يُونُسُ : لَعَمْرِي لَنْ كَانَ مَغْلَبًا فِي الشَّعْرِ لَقَدْ كَانَ غُلَبٌ فِي الْحُطْبِ (٣) .

\*\*\*

وَمِنَ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَقْلُبُ شَيْءٌ قَالَهُ فِي شِعْرِهِ ، عَلَى اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ ، فَيَسْمَى  
بِهِ بِشَرٍّ كَثِيرٍ (٤) . فَمِنْهُمْ التَّبَعِيُّ هَذَا . وَمِنْهُمْ عَوْفُ بْنُ حِصْنٍ (٥) بْنُ خُذَيْفَةَ  
ابْنِ بَلَرٍ ، غَلَبَ عَلَيْهِ عُيُوفُ الْقَوَافِي لِقَوْلِهِ :

سَأُكْذِبُ مَنْ قَدْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّي إِذَا قُلْتُ شِعْرًا لَا أَجِيدُ الْقَوَافِي  
فَسَمَى عُيُوفُ الْقَوَافِي لِذَلِكَ .

١٠

وَمِنْهُمْ : يَزِيدُ بْنُ ضِرَارٍ التَّغْلِبِيُّ ، غَلَبَ عَلَى اسْمِهِ الْمَزْدُ ؛ لِقَوْلِهِ :

قُلْتُ تَزَرَّدُهَا عُيُودٌ فَإِنِّي لِلزُّرْدِ الْمَوَالِي فِي السَّنِينَ مُزْرُدٌ (٦)  
فَسَمَى الْمَزْدُ (٧) .

٢١٩

وَمِنْهُمْ : عَمْرُو بْنُ سَعْدٍ بْنُ مَالِكٍ ، غَلَبَ عَلَيْهِ مُرْقَشٌ (٨) ؛ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ :

(١) ترجم في ٢٠٤ . ونسبه في المؤلف ٥٦ : خلدش بن بشر بن خالد بن بَيْتة .

(٢) أمرت شرزا : أحكم قتلها عن اليسار . وقيل سمى البيت لقوله :

تبعْتُ مَنْى مَا تَبَعْتُ بَعْدَ مَا أَمَرْتُ شِعْرَ قَوْلِي وَاسْتَمَرَّ عَنِّي

(٣) انظر ما سيأتي في ( ٤ : ٨٤ ) .

(٤) انظر ذكر من لقب بيت شعر قاله ، في المزهج ( ٢ : ٤٣٤ - ٤٤٣ ) ، والمعلقة ( ١ : ٢٣ - ٢٤ ) .

(٥) فيما عدل ، هـ : حـ حصين ، تحريف . انظر الاشتقاق : ١٧٣ . ونسبه في الأغاني

٢٠

( ١٧ : ١٠٥ ) : عيوف بن معاوية بن عتبة بن حصن - أو ابن عتبة بن عينة بن حصن - بن  
خديفة بن بدر . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية من ساكني الكوفة .

(٦) الزرد : جمع أورد وورداء ، وهو الذي ذهب أسنانه . في السنين : في الجلب وكلمة « تزرد »

و « مزرد » لم يرد لهما تفسير في المعاجم ، وهما من الزرد بمعنى الابتلاع والبيت في صفة زبدة ، كما في المؤلف ١٩٠ .

(٧) وهو آخر الشملخ بن ضرار الشاعر المعروف .

٢٥

(٨) فيما عدل : هـ : الموقش . ما عدل هـ : عمرو بن سعيد ، تحريف .

الدَّارِ قَعْرُ والرَّسُومِ كَمَا رَقَشَ فِي ظَهْرِ الْأَدِيمِ قَلَمٌ <sup>(١)</sup>  
 فَسَمَى مَرْقُشًا . وَمِنْهُمْ : شَأْسُ <sup>(٢)</sup> بِنُ نَهَارٍ الْعَبْدَى ، غَلَبَ عَلَيْهِ الْمَرْقُ <sup>(٣)</sup> لِقَوْلِهِ :  
 فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَلَا فَأَدِرْكُنِي وَلَمَّا أَمَرَقُ <sup>(٤)</sup>  
 فَسَمَى الْمَرْقُ . وَمِنْهُمْ : جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ الصُّبُعِي ، غَلَبَ عَلَيْهِ الْمُتَلَمَّسُ لِقَوْلِهِ :  
 فَهَذَا أَوَّانُ الْعَرَضِ حَتَّى ذَبَابُهُ زَنَائِرُهُ وَالْأَزْرُقُ الْمُتَلَمَّسُ <sup>(٥)</sup>  
 وَمِنْهُمْ : عَمْرُو بْنُ رِيَّاحِ السُّلَمِيُّ <sup>(٦)</sup> ، أَبُو خُنْسَاءِ ابْنَةِ عَمْرُو ، وَغَلَبَ الشَّرِيدُ  
 عَلَى اسْمِهِ لِقَوْلِهِ <sup>(٧)</sup> :

تَوَلَّى إِخْوَتِي وَيَقِيتُ فَرْدًا وَحِيدًا فِي دِيَارِهِمْ شَرِيدًا  
 فَسَمَى الشَّرِيدَ . وَهَذَا كَثِيرٌ .

١٠

\*\*\*

(١) من قصيدة له في المفضليات ( ٢ : ٣٧ - ٤١ ) .

(٢) في الأصول : « سالم » تحريف صوابه في ابن سلام ١٠٨ والأشتاق ١٩٩ والمهر ( ٢ : ٤٣٥ )  
 والمعدة ( ١ : ٢٣ ) وزهر الآداب ( ١ : ٣٦ ) والقاموس واللسان ( مرقي ) والمؤتلف ١٨٥ ومعجم الرزياني  
 ٤٩٥ . وفي الأخير : « وقيل اسمه يزيد بن نهار » .

(٣) المرق ، يفتح الراء المشددة وكسرهما . وهو شاعر جاهل من بني عبد القيس .  
 (٤) البيت من قصيدة له في الأصمعيات ٤٧ ليسك ، يقولها لعمر بن هند حين هم بغزو  
 عبد القيس ، فلما بلغته القصيدة انصرف عن غزوه . انظر المؤتلف . وهذا البيت تمثل عثمان في رسالة  
 بعث بها إلى علي بن أبي طالب ، وذلك حين أحبط به ، قال : « أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزرق ، وبلغ  
 الحزام الطيين ، وتجاوز الأمر في قدره ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه ، ولم يصجرك كتيم ، ولم يغلبك  
 كغلب . فأقبل لي ، معي كنت أو على ، على أي أمرتك أحييت :  
 فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَلَا فَأَدِرْكُنِي وَلَا أَمَرَقُ »  
 المعدة ( ١ : ١٧١ ) وابن سلام ١٠٨ وزهر الآداب ( ١ : ٣٦ ) .

(٥) العرض : ولد باليمامة . حى ذبابه ، من الحيلة ، ولما هذا الاتكماش . ويروي : « جن ذبابه » .  
 وفيما عدل : « ملن ذبابه » . والأزرق : ضرب من الذباب .  
 (٦) ب قطع : « رياح » بالياء الموحدة ، والمعروف في نسب الخنساء أنها بنت عمرو بن الشريد  
 ابن رياح . الإصابة ٣٥٣ من قسم النساء والخواتم ( ١ : ٢٠٨ ) . وفي الأغاني ( ١٣ : ١٢٩ ) أنها  
 بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح .  
 (٧) فيما عدل : « غلب عليه الشريد لقوله » .

قال : ودخل رجلٌ من قيسِ عيلانٍ على عبد الملك بن مروان ، فقال  
زُبَيْرٌ عُمَيْرِيٌّ <sup>(١)</sup> والله لا يحُبُّك قلبي أبداً ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما  
يبرز من قعدان الحب المرأة ، ولكن عدلٌ وإنصافٌ <sup>(٢)</sup> .

وقال عمر لأبي مريم الحنفى <sup>(٣)</sup> ، قاتل زيد بن الخطاب : « لا يحُبُّك قلبي  
أبداً حَتَّى تحبَّ الأرضُ الدَّم المسفوح » . وهذا مثل قول الحجاج : « والله  
لأقلعنك قلع الصُّمعة » . لأنَّ الصُّمعة اليابسة إذا قُرِفَتْ <sup>(٤)</sup> عن الشجرة  
انقلعت انقلاع الجُلبة <sup>(٥)</sup> . والأرض لا تُتَشَفُّ الدَّم المسفوح ولا تمصُّه ،  
فمتى جفَّ الدَّم وتجلَّب <sup>(٦)</sup> لم ترو أخذ من الأرض شيئاً .

\*\*\*

ومن الخطباء : الغضبان بن القُبَيْرِي <sup>(٧)</sup> ، وكان محبوباً في سجن الحجاج ، ١٠

(١) ل : « عمرى » . وسيعاد الخبر في ( ٢ : ٨٩ ) .

(٢) الخبر في عيون الأخبار ( ٣ : ١١ ) مع إيجاز .

(٣) هذا الصواب في ل . وفيما عدل : الحنفى السلولى ، وهو غلط في النسب . وفي الكامل  
٣٤٦ ليسك أنه السلولى . وفي حواشيه : « وهم أبو العباس رحمه الله في قوله أبو مريم السلولى ، إنما هو  
أبو مريم الحنفى ، وكان سبب بغضه إياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب ، وكان أبو مريم صاحب مسيلة ١٥  
الكذاب ، واسم أبي مريم لباس بن صبيح ، فقه كوفي . واسم أبي مريم السلولى مالك بن ربيعة ، من  
الصحابه ، روى عنه ابنه يزيد وغويو . والخبر أيضاً في عيون الأخبار ( ٣ : ١٣ ) والحيلون ( ٣ : ١٢٦ )  
/ ( ٤ : ٢٠١ ) .

(٤) قرفت : قشرت وقلعت . ما عدا هـ : « قرفت » تعريف . وفي اللسان : وقولهم تركته على مثل  
٢٠ مقرف الصمعة ، وهو موضع القرف ، أى مقشر الصمعة .

(٥) الجلبة بالضم : القشرة تملأ الجرح عند اليؤ . وانظر ( ٣ : ٦٠ ) .

(٦) المعروف فيه جلب وأجلب ، أى يسـلـ . « تجلب » ولا وجه له .

(٧) القُبَيْرِي ، مفتحات بينها سكنون العين ، أصل معناه الجبل العظيم الضخم . والغضبان هذا  
رجل شيباني ، وكان من زعماء مروانية أهل المراق الذين كان عبد الملك يرعى جانبهم . انظر الطبري  
٢٥ ( ٧ : ١٨٤ ) . وقد أوفده الحجاج بكتاب إلى قطرى بن الفضالة ، نصه في الكامل ٢١٤ ليسك .



فدعا به يوماً ، فلما رآه قال : إنك لَسَمِين ! قال : القَيْدُ والرَّثْمَةُ <sup>(١)</sup> ، وَمَنْ  
يَكُن ضَيْفًا لِلْأَمِيرِ يَسْمَن .

- وقال يزيد بن عياض <sup>(٢)</sup> : لما نَقِمَ النَّاسُ عَلَى عَثْمَانَ ، خَرَجَ يَتَوَكَّأُ عَلَى  
٢٢٠ مروان <sup>(٣)</sup> ، وهو يقول : « لِكُلِّ أُمَةٍ آفَةٌ ، وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ عَاقِبَةٌ ، وَإِنَّ آفَةَ هَذِهِ  
الْأُمَةِ عَيَّابُونَ طُعَّانُونَ ، يُظْهِرُونَ لَكُمْ مَا تَحِبُّونَ ، وَيُخْفُونَ مَا تَكْرَهُونَ ، طَعَامٌ  
مِثْلُ الثُّغَامِ ، يَتَّبِعُونَ أَوَّلَ نَاعِقٍ ، لَقَدْ تَقَمَّوْا عَلَى مَا نَقَمُوهُ عَلَى عُمَرَ ، وَلَكِنْ  
قَمَعَهُمْ عُمَرُ وَوَقَمَهُمْ . وَاللَّهِ إِنِّي لَأَقْرَبُ نَاصِرًا وَأَعَزَّ نَفَرًا . فَضَلَّ فَضْلًا مِنْ  
مَالِي ، فَمَا لِي لَا أَفْعَلُ فِي الْفَضْلِ مَا أَشَاءُ . »

- قال : ورَأَيْتُ النَّاسَ يَتَدَاوِلُونَ رِسَالَةً بِحِجْيِ بْنِ يَعْمَرَ <sup>(٤)</sup> ، عَلَى لِسَانِ يَزِيدَ  
ابْنِ الْمُهَلَّبِ <sup>(٥)</sup> : « إِنَّا لَيَقِينَا الْعُدُوَّ فَقَتَلْنَا طَائِفَةً وَأَسْرَيْنَا طَائِفَةً ، وَلَحَقَتْ طَائِفَةٌ

(١) الرِّثْمَةُ ، بِالْفَتْحِ وَالتَّحْكِيمِ : الْإِنْسَاعُ فِي الْحَصْبِ . وَالْحَرُّ فِي اللِّسَانِ ( رَتَعَ ) بِلَفْظِ :  
« الْخَفْضِ وَالِدَعَةِ ، وَالْقَيْدِ وَالرَّثْمَةِ ، وَقِلَّةِ التَّحِيَّةِ » . وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ « الْقَيْدُ وَالرَّثْمَةُ » هُوَ عُمَرُ بْنُ الْصَّقَقِ ،  
وكَانَتْ شَاكِرٌ مِنْ مَهْدَنَ قَدْ أَسْرَوْهُ ، فَأَحْسَنُوا إِلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ يَوْمَ فَلَاحَ قَوْمُهُ نَحِيفًا ، فَهَرَبَ مِنْ شَاكِرٍ فَلَمَّا  
وَصَلَ إِلَى قَوْمِهِ قَالُوا : أَيُّ عُمَرُو ، خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِنَا نَحِيفًا وَأَنْتَ الْيَوْمَ بِلَدِنَا ! فَقَالَ : الْقَيْدُ وَالرَّثْمَةُ . انْظُرْ  
اللِّسَانَ وَالْمِهْدَنِي ( ٢ : ٤١ ) .

١٥ (٢) هُوَ أَبُو الْحَكَمِ يَزِيدُ بْنُ عِيَاضٍ بْنِ جَعْدَةَ اللَّيْثِيِّ الْمَدَنِيِّ ، مِنْ ضَعَّافِ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، تَوَفَّى  
بِالْبَصْرَةِ فِي خِلَافَةِ الْمُهَلَّبِيِّ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ .

(٣) مَرْوَانَ هَذَا ، هُوَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَالِدُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلَدَ لَسْتَيْنِ خَلَّتَا مِنَ الْمُهْجَةِ ، وَتَقَبَضَ  
رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَوَلَّى لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ رَسَاتِقًا مِنْ أَوْشُوحِ عَرَبِهِ ، ثُمَّ وَلَّى الْبَحْرَيْنِ لِمُطَوِّبَةِ ثَمَّ  
الْمَدِينَةِ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ بَوَّعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ ، فَوَلَّيَهَا عَشْرَةَ أَشْهُرٍ ، وَمَاتَ بِالشَّامِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ .

٢٠ (٤) بِحِجْيِ بْنِ يَعْمَرَ التَّاهِمِيِّ ، أَدِيبٌ نَحْوِي تَقِيَّةٌ ، كَانَ مِنْ فَضَحَاءِ أَهْلِ زَمَانَةِ وَأَكْبَاهِمُ عُلَمَاءُ  
بِاللُّغَةِ ، سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ وَجَابِرًا وَأَبَا هُرَيْرَةَ ، وَأَخَذَ النَّحْوَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ . وَلَا تَقِيَّةٌ بِنَ مَسْلَمٍ قَضَاءُ خُرَاسَانَ  
وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٩ . بَنِيَّةُ الرَّعَاةِ ، وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ، وَابْنُ الْأَثَرِ .

(٥) وَجْهُ الرِّسَالَةِ إِلَى الْحِجَااجِ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ ( ٦ : ٢٣٥ ) وَمَا بَعْضُهُمْ مِنَ السِّيَاقِ . وَيَزِيدُ هُوَ يَزِيدُ بْنُ  
المُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ ، مِنْ أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَيَّةِ وَقَوْلُهَا ، وَكَانَ الْحِجَااجَ زَوْجَ أُخْتِهِ هِنْدَ بِنْتِ الْمُهَلَّبِ ، وَكَانَ يَكْرَهُهُ  
لنَجَابَتِهِ ، فَأَشَارَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِهَزْلِهِ ، فَهَزَلَهُ ثُمَّ حَسَبَهُ الْحِجَااجَ وَعَذَبَهُ ، فَهَرَبَ إِلَى سَلِيمَانَ بِالشَّامِ فَأَوَّلَهُ ، وَحَسِبَهُ  
عمر بن عبد العزيز فهرب أيضا ولما ولَّى يزيد بن عبد الملك خطمه فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله . وَفَاتِ الْأَعْيَانِ .

بَعْرَاعِرِ الْأُودِيَةِ وَأَهْضَامِ الْغَيْطَانِ ، وَبِتِنَا بُرْعُرَةِ الْجَبَلِ ، وَبَاتِ الْعَتُوِّ بِحَضِيضِهِ ؛  
 قَالَ : فَقَالَ الْحَجَّاجُ : مَا يَزِيدُ بِأَيِّ غُنَرٍ هَذَا الْكَلَامُ <sup>(١)</sup> . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ مَعَهُ  
 يَحْيَى بْنَ يَعْمَرَ ! فَأَمَرَ بِأَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ <sup>(٢)</sup> فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ : أَيْنَ وُلِدْتَ ؟ قَالَ :  
 بِالْأَهْوَازِ . قَالَ : فَأَتَى لَكَ هَذِهِ الْفَصَاحَةُ ؟ قَالَ : أَخَذْتُهَا عَنْ أَبِي .

• عَرَاعِرِ الْأُودِيَةِ : أَسَافِلُهَا . وَعَرَاعِرِ الْجَبَالِ : أَعَالِيهَا . وَأَهْضَامِ الْغَيْطَانِ :  
 مَدَاحِلُهَا . وَالْغَيْطَانُ : جَمْعُ غَائِطٍ ، وَهُوَ الْحَائِطُ ذُو الشَّجَرِ .

وَرَأَيْتُهُمْ يَدِيرُونَ <sup>(٣)</sup> فِي كَتَبِهِمْ أَنَّ امْرَأَةً خَاصِمَتْ زَوْجَهَا إِلَى يَحْيَى بْنِ  
 يَعْمَرَ فَاتَّبَعَهَا مَرَارًا ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ : « أَأَنْ سَأَلْتُكَ ثَمَنَ شُكْرُهَا  
 وَشُبْرُكَ ، أَنْشَأْتَ تَطَلُّهَا وَتَضَهَّلُهَا <sup>(٤)</sup> » .

١٠. قَالُوا : الضَّهْلُ : التَّقْلِيلُ . وَالشُّكْرُ : الْفَرْجُ <sup>(٥)</sup> وَالشُّبْرُ : التَّنَاقُحُ <sup>(٦)</sup> .  
 وَتَطَلُّهَا : تَذَهَّبَ بِحَقِّهَا ؛ يُقَالُ دَمٌ مَطْلُولٌ . وَيُقَالُ بَشْرٌ ضَهْلٌ ، أَيْ قَلِيلَةُ الْمَاءِ .  
 قَالَ : فَإِنْ كَانُوا إِثْمًا رَوَوْا هَذَا الْكَلَامَ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى فَصَاحَةٍ فَقَدْ بَاعَدَهُ  
 اللَّهُ مِنْ صِفَةِ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ . وَإِنْ كَانُوا إِثْمًا دُونَهُ فِي الْكُتُبِ ، وَتَذَاكُرُوهُ  
 فِي الْمَجَالِسِ لِأَنَّهُ غَرِيبٌ ، فَأَيَّاتٌ مِنْ شَعْرِ الْعَجَّاجِ وَشَعْرِ الطَّرْمَاحِ وَأَشْعَارِ  
 ١٥. هُذَيْلٍ ، تَأْتِي لَهُمْ مَعَ حُسْنِ الرُّصْفِ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ <sup>(٧)</sup> . وَلَوْ خَاطَبَ  
 بِقَوْلِهِ « أَأَنْ سَأَلْتُكَ ثَمَنَ شُكْرُهَا وَشُبْرُكَ أَنْشَأْتَ تَطَلُّهَا وَتَضَهَّلُهَا » الْأَصْمَعِيُّ ،

(١) يُقَالُ هُوَ أَبُو عَنَرٍ هَذَا الْكَلَامَ وَعَلَوْتُهُ أَيْضًا ، أَيْ أَوَّلُ مِنْ قَالَهُ ، كَأَنَّهُ اخْضَعُ أَوَّلًا . فِيمَا عَدَا  
 لَ : « بَأَيِّ عِلْوَةٍ » .

(٢) يَدُلُّهَا فِيمَا عَدَا لَ : « فَحْمَلُ إِلَيْهِ » .

(٣) لَ : « يَزِيدُونَ » تَحْرِيفٌ .

(٤) الْخَيْرُ فِي اللِّسَانِ ( شُكْرٌ ، شَرٌّ ، طَالٌ ، ضَهْلٌ ) ، وَالصَّنَاعَتَيْنِ ٣٠ .

(٥) فِيمَا عَدَا لَ : « الْجَمَاعُ » وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ مِنْ لَ .

(٦) فِيمَا عَدَا لَ : « الْبَضْعُ » كَلَامًا صَحِيحًا .

(٧) فِيمَا عَدَا لَ : « مَا ذَكَرُوا » . وَمَا أَثْبَتَ مِنْ لَ يَطَائِقُ مَا فِي الصَّنَاعَتَيْنِ .

لظننتُ أنه سيجعل بعض ذلك . وهذا ليس من أخلاق الكتاب ولا من آدابهم .

قال أبو الحسن : كان غلامٌ يَقْعُرُ في كلامه ، فَأَتَى أَبَا الْأَسْوَدَ الْكَلْبِيَّ <sup>(١)</sup> يَلْتَمِسُ بَعْضَ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْأَسْوَدَ : مَا فَعَلَ أَبُوكَ ؟ قَالَ : « أَخَذْتَهُ الْحُمَّى فَطَبِخْتَهُ طَبِخًا ، وَفَنَخْتَهُ فَنَخًا ، وَفَضَخْتَهُ فَضَخًا ، فَتَرَكْتَهُ فَرَخًا » .

٥ فَنَخْتَهُ : أضعفته . والفنيخ : الرخو الضعيف . وفَضَخْتَهُ : دَقَّته .

فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدَ : « فَمَا فَعَلْتَ أَمْرًا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ أَنَّهَا تَنْهَارُ وَتَشَارُ <sup>(٢)</sup> ، وَتَجَارُ <sup>(٣)</sup> وَتَزَارُ » ؟ قَالَ : « طَلَقْتُهَا فَتَزَوَّجْتُ غَيْرَهُ ، فَضَيَّتُ وَحَظَيْتُ وَبَظَيْتُ » .

٢٢١ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدَ : قَدْ عَرَفْنَا رَضِيْتَ وَحَظَيْتُ ، فَمَا بَظَيْتُ ؟ قَالَ : حَرَفَ مِنَ الْغَرِيبِ لَمْ يَلْعَلْ . قَالَ أَبُو الْأَسْوَدَ : يَا بُنَيَّ كُلُّ كَلِمَةٍ لَا يَعْرِفُهَا عَمَلُكَ فَاسْتَرْهَا كَمَا تَسْتَرُ السُّنُورُ جَعْفَرًا <sup>(٤)</sup> .

١٠

تَزَارُهُ : تَعَاشُهُ . وَالزَّرُّ : الْعَضُّ . وَحَظَيْتُ : مِنَ الْحُظُولَةِ . وَبَظَيْتُ : إِتْبَاعُ الْحَظِيَّتِ .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : مَرَّ أَبُو عَلْقَمَةَ النَّحْوِيُّ <sup>(٥)</sup> بِبَعْضِ طُرُقِ الْبَصْرَةِ ، وَهَاجَتْ بِهِ مِرَّةٌ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنْهُمْ فَأَقْبَلُوا يَعْصُونَ إِيَّاهُ وَيُؤْذِنُونَ فِي أُذُنِهِ ، فَأَقْلَبَتْ مِنْهُمْ <sup>(٦)</sup> فَقَالَ : « مَا لَكُمْ تَتَكَاكُونَ عَلِيًّا كَمَا تُكَاكُونَ عَلِيَّ ذِي جَنَّةٍ <sup>(٧)</sup> ، أَفَرْتَقِعُوا

١٥

(١) فيما عدل : « الدليل » . ويقال في النسبة إلى « دتل » : « دتلى » و « دتلى » .

(٢) تشار : تهرق في وجهه كما يهر الكلب . وتشار : تعاديه وتخاصمه . فيما عدل : « تشاره وتجاره » .

(٣) تجار : تلحق به الجورة .

(٤) فيما عدل : « خربها » .

(٥) أبو علقة النحوي الجعري . قال : يلقب : أراه من أهل واسط . وقال القفطي : قديم العهد يعرف اللغة ، كان يتقر في كلامه ويتمد الحوشي من الكلام والغريب . بغية الرعاة ٣٢٥ .

وإرشاد الأريب ( ١٢ : ٢٠٥ - ٢١٥ ) .

(٦) فيما عدل : « من أبلهم » . وانظر الخبر في الصنائع ٢٧ .

(٧) اللجنة : الجنون . فيما عدل : « كأنكم تتكأكون » .

- عَنِّي <sup>(١)</sup> . قال : دَعُوهُ فَإِنَّ شَيْطَانَهُ يَتَكَلَّمُ بِالْمُتَنَدِّيةِ .
- قال أبو الحسن : وهَجَّ بِأَبِي عَلْقَمَةَ الدَّمُ فَأَثَوَهُ بِحِجَامٍ ، فَقَالَ لِلْحِجَامِ :  
 « اشدُّ قَصَبَ الْمَلَأَمِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَرْهِفْ طُيَابَ الْمَشَارِطِ ، وَأَسْرِعِ الْوَضْعَ وَعَجِّلِ  
 التَّرْعَ ، وَلِيَكُنْ شَرْطُكَ وَخَرًّا ، وَمَصُّكَ نَهْرًا ، وَلَا تُكْرِهْنِ أَيْيَا ، وَلَا تَرْدُنْ  
 أَيْيَا . فَوَضَعَ الْحِجَامُ مُحَاجَّهُ فِي جُودَتِهِ ثُمَّ مَضَى <sup>(٣)</sup> .
- فَحَدِيثُ أَبِي عَلْقَمَةَ فِيهِ غَرِيبٌ ، وَفِيهِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ حِجَامًا مَرَّةً مَا زَادَ  
 عَلَى مَا قَالَ . وَلَيْسَ فِي كَلَامِ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا أَنَّهُ غَرِيبٌ ،  
 وَهُوَ أَيْضًا مِنَ الْغَرِيبِ بَغِيضٌ .
- وَذَكَرُوا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : لَمَّا جَاءَ ابْنُ الزَّيْبِرِ وَهُوَ بِمَكَّةَ قُتِلَ  
 ١٠ مِرْوَانَ الضَّحَّاكَ <sup>(٤)</sup> بِمَرْجٍ رَاهِطٍ ، قَامَ فِينَا خَطِيئًا فَقَالَ : « أَنْ تُعَلَبَ بِنِ  
 ثَعْلَبٍ ، حَفَرَ بِالصَّحْصَحَةِ ، فَأَخْطَأْتَ اسْتُهُ الْحَفْرَةَ <sup>(٥)</sup> . وَالْهَفَفَ أَمْ لَمْ تَلْدُنِي  
 عَلَى رَجُلٍ مِنْ مَحَارِبِ <sup>(٦)</sup> كَانَ يَرْعَى فِي جِبَالِ مَكَّةَ ، فَيَأْتِي بِالصَّرِيَةِ مِنْ  
 اللَّيْلِ <sup>(٧)</sup> فَيَبِيعُهَا بِالْقَبْضَةِ مِنَ الدَّقِيقِ ، فَيُرَى ذَلِكَ سِلْدَادًا مِنْ عَيْشٍ ، ثُمَّ أَنْشَأَ  
 يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ وَوَرَاثَةَ النُّبُوَّةِ » .

- (١) يروى هذا القول أيضا لمعمر بن عمر ، كما في بغية الوعاة ٢٢٥ .
- (٢) الحير في الصناعتين ٢٦ - ٢٧ . والملائم : جمع ملزم ، بالكسر ، وهو خشبتان مشدود  
 أو ساطعهما بمحيد تمهل في طرفها فتاحة فتلزم ما فيها لزوماً شديداً .
- (٣) فيما عدا ل : « وانصرف » . المجوز : بالضم : سلية مستديرة مغطاة أودما .
- (٤) الضحّاك هذا هو الضحّاك بن قيس بن خالد القهري ، ولد في زمان الرسول بعد الهجرة ،  
 ٢٠ ولا معلومة الكوفة ثم عزله ، ثم ولاه دمشق . ولا مات معلومة بن يزيد بن معاوية دعا إلى نفسه قاتله مروان  
 فقتل بمَرْجٍ رَاهِطٍ سنة ٦٤ الإصابة ٤١٦٤ والطبري ( ٧ : ٣٧ - ٤١ ) .
- (٥) الصحصحة والصحصح : الأرض المستوية الواسعة . والحير في اللسان ( ٣ : ٢٣٩ ) . وقال :  
 « وهذا مثل الحرب تضره فيمن لم يصب موضع حاجته . يعني أن الضحّاك طلب الإمارة والتقدم فلم ينلها » .
- (٦) يعني الضحّاك بن قيس ، انتهى نسبه إلى محارب بن فهر .
- (٧) الصرية : الواحدة من الصرب ، وهو اللين الحقيق الحامض . فيما عدا ل : « بالشرية » .
- ٢٥ وهذه العبارة في اللسان ( صرب ) .

وأول هذا الكلام مستكروه ، وهو موجود في كل كتاب ، وجار على لسان كل صاحب خير . وقد سمعت لابن الزبير كلاماً كثيراً ليس هذا في سبيله ، ولا يتعلق به .

وقال أبو يعقوب الأعرور <sup>(١)</sup> :

- وَحَلَجَّةٌ ظَنٌّ يَسْبِقُ الطَّرْفَ حَزْمُهَا تُشِيفُ عَلَى غَنَمٍ وَتُمْكِنُ مِنْ دَخْلِ  
صَدَعَتْ بِهَا وَالْقَوْمُ فَوْضَى كَانَتْهُمْ يِكَارَةُ مِرْيَاحٍ تُبْصِصُ لِلْفَحْلِ  
خَلَجَةٌ ظَنٌّ : أى جذبة ظن ، كأنه يجذب صواب الرأي جذبا . والخلج :  
٢٢٢ الجذب <sup>(٢)</sup> . تُشِيفُ : أى تُشْرِفُ ؛ يقال أَشَافَ وَأَشْفَى بمعنى واحد ، أى  
أَشْرَفَ . يِكَارَةُ مِرْيَاحٍ : أى نوق فتايا <sup>(٣)</sup> قد أُذِلَّتْ للفحل . مِرْيَاحٍ : أى نوق  
رئيس <sup>(٤)</sup> . والمِرْيَاحُ : رُبْعُ الغنمية في الجاهلية لصاحب الجيش . وقال ابن عَنَمَةَ <sup>(٥)</sup> :  
١٠ لك المِرْيَاحُ منها والصَّمَايَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ <sup>(٦)</sup>

وقال رجل من بني يربوع :

- إِلَى اللَّهِ أَشْكُو ثُمَّ أَشْكُو إِلَيْكُمَا وَهَلْ تَنْفَعُ الشُّكُورُ إِلَى مَنْ يَزِيدُهَا  
حَزَازَاتٍ حُبِّ فِي الْفَوَادِ وَعَبْرَةٍ أَظْلُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ أَذْوَدُهَا <sup>(٧)</sup>  
يَحْنُ فَوَادِي مِنْ مَخَافَةٍ بَيْنَكُمْ حَتِينَ الْمَرْجَى وَجَهَةً لَا يَزِيدُهَا  
١٥

(١) فيما عدل : « الأعرور السلمي » ولست منه على بينة . وقد أنشد له الجاحظ شعرا في الحيوان ( ٣ : ٧٢٠ ) وذكره أيضا في ( ٥ : ٣١٦ ) .

(٢) بدل هذا كله في « : خَلَجَةٌ ظَنٌّ ، أى ظن سريع » .

(٣) فتايا : جمع فتية . فيما عدل « صخر » .

(٤) في الأصول : « ربيع » ولى اللسان : « ما يأخذه الرئيس » .

(٥) هو عبد الله بن عتمة الضبي ، أحد شعراء المفضليات ، وهو مخضرم شهد القادسية ، ذكره ابن حجر في الإصابة ٦٣٣٤ . وانظر الحزانة ( ٣ : ٥٨ ) .

(٦) البيت في اللسان ( ربيع ، صفا ، نشط ، فضل ) . وهو من أبيات ثمانية في الحماسة ( ١ : ٤٢٠ ) .

(٧) الحزانة : وجع في القلب من غيظ ونحوه . ل : « حريرات » .

وقد أحسن الآخر حيث قال :

وأكرم نفسى عن متناكح جمّة . ويقصر مالى أن أنال القواليا

وقال الآخر :

وإذا العبد أغلق الباب دونى لم يُحرّم على متن الطريق

وقال الخليل العطاردى<sup>(١)</sup> : كنّا بالبادية إذ نشأ عارض وما فى السماء  
قرعة معلقة<sup>(٢)</sup> ، وجاء السيل فاكسح آياتاً من بنى سعد ، فقلت :

فرحنا بوسمى تالقى وذقه عشاء فأبكانا صباحاً فأسرعا<sup>(٣)</sup>

له ظلة كأن ريق ويلها عجاجة صيف أو دخان ترفعا<sup>(٤)</sup>

فكان على قوم سلاماً ونعمة وألحق عاداً آخرين وثبعا<sup>(٥)</sup>

وقال أبو عطاء السندى<sup>(٦)</sup> ، لُعبيد الله بن العباس الكندى :

قلّ لُعبيد الله لو كان جعفر هو الحى لم يبرح وأنت قبيل<sup>(٧)</sup>

إلى معشر أزدوا أخاك وأكفروا أباك فماذا بعد ذلك تقول ٢٢٣

فقال عُبيد الله : أقول: غصّ أبو عطاء يَظُر أمه ! فغلب عليه .

قال أبو عبيدة : قال أبو البصير ، فى أنى رُهم السُّلوسى ، وكان يلى

الأعمال لأبى جعفر : ١٥

(١) قال فى المؤلف ١١٣ : الخليل السعدى ، وهو الخليل بن زفر ، أحد بنى عطارد بن  
عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، يقال له الخليل العطاردى .

(٢) القرعة ، بالتحريك : واحدة القرع ، وهو قطع السحاب .

(٣) الرسمى : مطر الريح الأول . والريق : المطر .

(٤) الريق : أول كل شئ . ترفع : ترتفع .

(٥) ل : سلاماً وسقاً . ألحق الآخرين عاداً : أهلكهم مثلهم .

(٦) أبو عطاء السندى ، هو أفلح بن يسار ، مولى لبني أسد ، وشاعر من مخضرمى الدولتين . وكان من

شعبة بنى أمية . تولى عقب أيام المنصور . الخزانة ( ٤ : ١٧٠ ) والشعر والشعراء والأغاني ( ١٦ : ٨٨ - ٨٤ ) .

(٧) فيما عدل ، هـ : وقيل : بدون الحرم . كما أن هذا البيت فيما عداها متأخر عن لاحقته .

رَأَيْتُ أَبَا رُفْعٍ يَقْرُبُ مُنْجِحاً      غَلَامٌ أُنَى بَشَرٍ وَيُقَصِّى أَبَا بَشَرٍ <sup>(١)</sup>  
فَقُلْتُ لِيَحْيَى كَيْفَ قَرَّبَ مُنْجِحاً      فَقَالَ : لَهُ أَمِيرٌ يَزِيدُ عَلَى شَيْبَرٍ

\*\*\*

- وقال أبو عثمان : وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب في حُطْبِهَا المَخْصَرَةِ والقَنَاءِ والقَضِيبِ ، والاتِّكَاءِ والاعْتِمَادِ عَلَى الْقَوْسِ ، والحَذِّ فِي الْأَرْضِ ، وَالْإِشَارَةِ •  
بِالْقَضِيبِ ، بِكَلَامٍ مَسْتُكِرٍ سَنَدَكِرُو فِي الْجِزَةِ الثَّانِي <sup>(٢)</sup> ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَذْكُرَ فِيهِ بَعْضَ كَلَامٍ مَعَاوِيَةَ ، وَيَزِيدَ ، وَعَبْدَ الْمَلِكِ ، وَابْنَ الزَّيْبَرِ ، وَسَلِيمَانَ ، وَعَمَرَ ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَالْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ ؛ لِأَنَّ الْبَاقِينَ مِنْ مُلُوكِهِمْ لَمْ يَذْكُرْ لَهُمْ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي يُلْحَقُ بِالْحُطْبِ ، وَبِمَنَاعَةِ الْمُنْطَقِ ، إِلَّا الْيَسِيرُ . وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَذْكُرَ فِيهِ أَقْسَامَ تَأْلِيفِ جَمِيعِ الْكَلَامِ ، وَكَيْفَ خَالَفَ الْقُرْآنُ جَمِيعَ الْكَلَامِ ١٠  
الْمُوزُونِ وَالْمُنْثَوِرِ ، وَهُوَ مَثَوْرٌ غَيْرُ مَقْفًى عَلَى مَخَارِجِ الْأَشْعَارِ وَالْأَسْجَاعِ ، وَكَيْفَ صَارَ نَظْمُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْبَهَانِ ، وَتَأْلِيفُهُ مِنْ أَكْبَرِ الْحَجَجِ . وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَذْكُرَ فِيهِ شَأْنَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَانْقِلَابَ لَفْظِهِ بَعْدَ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ ، وَكَيْفَ نَسِيَ لَفْظَهُ الَّتِي رَزَى فِيهَا ، وَجَرَى عَلَى أَعْرَاقِهَا ، وَكَيْفَ لَفَظَ بِجَمِيعِ حَاجَاتِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ عَلَى غَيْرِ تَلْقِينٍ وَتَرْتِيبٍ ، وَحَتَّى لَمْ تَدْخُلْهُ عَجْمَةٌ ، وَلَا لُكْنَةٌ وَلَا حُبْسَةٌ ، وَلَا تَعَلَّقَ بِلِسَانِهِ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الْعَادَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَلَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ بَعْضِ كَلَامِ الْمَأْمُونِ وَمَذَاهِبِهِ ، وَبَعْضِ مَا يَحْضُرُنِي مِنْ كَلَامِ آبَائِهِ وَجَلَّةِ رَهْلِهِ . وَلَا بُدَّ أَيْضاً مِنْ ذِكْرِ مَنْ صَعِدَ الْمُنِيرَ فَحَصَّرَ أَوْ خَلَّطَ ، أَوْ قَالَ فَأَحْسَنَ ؛ لِيَكُونَ أَتَمُّ لِلْكِتَابِ <sup>(٣)</sup> إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) فيما عدل : « ويخبر أبا بشر » . وأشير في هـ إلى رواية : « يقصى » . ٢٠

(٢) فيما عدل : « الثالث » وهو خطأ .

(٣) فيما عدل : « ليكون الكتاب أكمل » .

ولا بد من ذكر المنابر ولم أُنْخِذت ، وكيف كانت الخطباء من العرب ٢٢٤  
 في الجاهلية وفي صدر الإسلام <sup>(١)</sup> ، وهل كانت المنابر في أمة قط غير أمتنا ،  
 وكيف كانت الحال في ذلك . وقد ذكرنا أن الأمم التي فيها الأخلاق والآداب  
 والحكم والعلم أربع ، وهي : العرب ، الهند ، فارس ، والروم . وقال حُكَيْم بن  
 عِيَّاش الكلبي <sup>(٢)</sup> :

ألم يك مُلْكُ أرضِ الله طُرّاً لأربعةٍ له متميّنين  
 لحميرٌ والنجاشي وابن كِسرى وقِصرٌ غير قول المُتَمَتِّرين  
 فما أدري بأيّ سببٍ وضع الحبشة بهذا المكان . وأما ذكره لحمير فإن كان  
 إنما ذهب إلى تبع نفسه في الملوك ، فهذا له وجه . وأما النجاشي فليس هو عند  
 الملوك في هذا المكان ، ولو كان النجاشي في نفسه فوق تبع وكِسرى وقِصر لما  
 كان أهل مملكته من الحبش في هذا الموضع . وهو لم يفضل النجاشي لمكان  
 إسلامه ، يدل على ذلك تفضيله لكِسرى وقِصر . وكان وضع كلامه على ذكر  
 الممالك ، ثم ترك الممالك وأخذ في ذكر الملوك . والدليل على أن العرب أنطق ،  
 وأن لغتها أوسع ، وأن لفظها أدل ، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر ، والأمثال  
 التي ضُرِبَتْ فيها أجود وأسير . والدليل على أن البديهة مقصور عليها ، وأن  
 الإرتجال والاختصاص خاص فيها ، وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذي

(١) فيما عدل ، هـ : صور الإسلام .

(٢) ضبط حكيم هـ من هـ . وحكيم هو المعروف بالأعور الكلبي . وهو شاعر مجيد كان  
 منقطعاً إلى بني أمية بدمشق ، ثم انتقل إلى الكوفة . وكان بينه وبين الكمي بن زيد مفاخرة . وهو القائل  
 في تمصيه لليمن على مضر :

ما سرني أن أُمي من بني أسد . وأن ربي نخاف من النار  
 وأنهم زرجوني من بينهم . وأن لي كل يوم ألف دينار

إرشاد الأريب ( ١٠ : ٢٤٧ - ٢٤٩ ) والأغانى ( ١٥ : ١٢٢ - ١٢٣ ) .



تسميه الروم والفرس شعراً . وكيف صار التسيب في أشعارهم وفي كلامهم الذي أدخلوه في غنائهم وفي ألحانهم إنما يقال على ألسنة نسايتهم ، وهذا لا يُصاب في العرب إلا القليل اليسير . وكيف صارت العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة ، فتضع موزوناً على موزون ، والعجم تملط الألفاظ فتقبض وتيسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون .

وسنذكر في الجزء الثاني من أبواب العمى واللحن والغلط والعقلة ؛ أبواباً طريفة <sup>(١)</sup> ، ونذكر فيه التوكي من الوجوه وبجائين العرب ، ومن ضرب به المثل ٢٢٥ منهم ، ونوادر من كلامهم ، وبجائين الشعراء . ولست أعنى مثل مجنون بنى عامر ، ومجنون <sup>(٢)</sup> بنى جعلة ، وإنما أعنى مثل أوى حية في أهل البادية ، ومثل جعيفران في أهل الأمصار ، ومثل أرسيموس <sup>(٣)</sup> اليوناني .

وسنذكر أيضاً بقية أسماء الخطباء والتسكك الظرفاء والملحاء ، إن شاء الله . وسنذكر من كلام الحجاج وغيره ، ما أمكننا في بقية هذا الجزء إن شاء الله .

\*\*\*

وقال أبو الحسن المدائني : قال الحجاج لأنس بن مالك ، حين دخل عليه في شأن ابنه عبد الله ، وكان خرج مع ابن الأشعث : « لا مرحباً بك ولا أهلاً . » ١٥ لعنة الله عليك من شيخ جوال في الفتنة ، مرة مع أوى تراب ، ومرة مع

(١) فيما عدل ، هـ : « طريفة » بالمجعة .

(٢) الحق أن هذا المجنون والذي قبله واحد . فإن المجنون العاشر هو قيس بن الملوح بن مزاحم ابن قيس بن علس بن ربيعة بن جعدة . انظر المؤلف ١٨٨ حيث ساق أيضاً من يسمى بالمجنون من الشعراء : المجنون الشريدي ، والقشيري ، والتميمي .

(٣) كنا في ل . وفي هـ : « أرسيموس » ، وسائر النسخ : « أرسيموس » .

ابن الأشعث . والله لأقلعنك قلع الصنعة <sup>(١)</sup> ، ولأعصبتك عصب السلعة <sup>(٢)</sup> ، ولأجودتك تجريد الضب <sup>(٣)</sup> . قال أنس : من يعنى الأمير أعزّه الله <sup>(٤)</sup> ؟ قال : إياك أعني ، أصم الله صداك <sup>(٥)</sup> ! فكتب أنس بذلك إلى عبد الملك بن مروان ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج :

• بسم الله الرحمن الرحيم . يا ابن المستفزمة بعجم الزبيب <sup>(٦)</sup> ، والله لقد هممت أن أركلك ركلة تهوى بها في نار جهنم <sup>(٧)</sup> . قاتلك الله ، أخيفش العيتين أصلك الرجلين <sup>(٨)</sup> ، أسود الجماعرتين . والسلام .

وكان الحجاج أخيفش ، مُنسلق الأُجفان ، ولذلك قال إمام بن أرقم النخعي <sup>(٩)</sup> ، وكان الحجاج جعله على بعض شرط أبان بن مروان ثم حبسه ، فلما خرج قال :

طَلَيْقُ اللَّهِ لَمْ يَمُتْ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ وَإِنْ أُنِيَ كَثِيرٌ  
وَلَا الْحَجَّاجَ عَيْنِي بَنَتْ مَاءٍ تَقْلُبُ طَرْفَهَا حَنَرَ الصَّقُورِ  
لَأَنَّ طَيْرَ الْمَاءِ لَا يَكُونُ أَبَدًا إِلَّا مُتَمَلِّقُ الْأُجْفَانِ .  
قال : ونحطب الحجاج يوماً فقال في خطيبته : « والله ما بقي من الدنيا

١٥ (١) انظر ما سبق في ص ٣٧٦ .

(٢) السلم : شجر من العضاء . وإنما يحصب لتخبط أفرقه فتتأثر للماشية . انظر اللسان (عصب) حيث تفسر العبارة .

(٣) تسمى في اللسان (جود) : « أي لأسلخك سلخ الضب » لأنه إذا شوى جرد من جلده .

(٤) فيما عدا ل : « أبواه الله » .

(٥) الصدى : رجع الصوت . وهذا كناية عن الإهلاك ، إذا مات الرجل فإنه لا يسمع صوته ولا يجيب .

(٦) وكنا في اللسان (حرم) وفي ل : « بحب الزبيب » وعجم الزبيب : حبه . والمستفزمة : التي تجعل الدواء في منها لضيق .

(٧) ل : « إلى نار جهنم » .

(٨) الصكك : اضطراب الركبتين والرقبتين .

(٩) فيما عدا ل : « إمام بن أرقم » .

إلا مثل ما مضى ، وهو أشبه به من الماء بالماء . والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه .

المفضل بن محمد الضبي قال : كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم : أن ابعث إلى بالآدم الجعد<sup>(١)</sup> ، الذي يفهمني ويفهم عني . فبعث إليه غلام بن شتير<sup>(٢)</sup> فقال الحجاج : لله دره ! ما كتبت إليه في أمر قط إلا فهم عني وعرف ما أريد .

٢٢٦

وقال أبو الحسن وغيره : أراد الحجاج الحج ، فخطب الناس فقال : « أيها الناس ، إنني أريد الحج ، وقد استخلفت عليكم ابني محمداً هذا ، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله ﷺ في الأنصار . إن رسول الله ﷺ أوصى أن يُقبل من محسنهم ، ويُتجاوز عن مسيئهم ، ألا وإني قد أوصيته ألا يقبل من مُحسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم . ألا وإني ساقولون بعدى مقالة ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى<sup>(٣)</sup> . ساقولون بعدى : لا أحسن الله له الصحابة<sup>(٤)</sup> ! ألا وإني مُعجل لكم الإجابة<sup>(٥)</sup> ، لا أحسن الله عليكم الخلافة . ثم نزل . وكان يقول في خطبته : « أيها الناس ، إن الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله . »

وقال عمرو بن عُبيد رحمه الله : كتب عبد الملك بن مروان وصية زياد<sup>١٥</sup> بيده وأمر الناس بحفظها وتدبر معانيها ، وهي : « إن الله عز وجل جعل لعباده عقولاً عاقبهم بها على معصيته ، وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين محسن بنعمة الله

(١) الآدم : الأسود . والجعد : الخفيف ، وقيل المجمع الشديد .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : غلام بن شتير .

(٣) ل : مقالة ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى .

(٤) في القاموس : صحبه ، كسمه ، صحابة ويكر .

(٥) ل : الجواب .

عليه ، ومسيءٌ بخِلِّانِ اللهِ إِيَّاهُ . واللهُ التَّعَمَّةُ على المحسن ، والحُجَّةُ على المسيءِ  
 فما أَوْلَى مَنْ تَمَّتْ عليه التَّعَمَّةُ في نفسه ، ورَأَى العِوَةَ في غيره ، بأن يَضَعَ  
 الدُّنْيَا بحيثِ وضعها اللهُ فيعطِي ما عليه منها ، ولا يَتَكَبَّرُ مما ليس له فيها ؛ فَإِنَّ  
 الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ ، ولا سَبِيلَ إلى بَقَائِهَا ، ولا بَدْءَ مِنْ لِقَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ . فَأَحْذَرُكُمْ  
 اللهَ الَّذِي حَذَّرَكُمْ نَفْسَهُ ، وأَوْصِيَكُمْ بِتَعْجِيلِ ما أَخَّرْتَهُ الْعِجْزَةُ ، قَبْلَ أَنْ تُصِيرُوا  
 إلى الدَّارِ الَّتِي صَارُوا إِلَيْهَا ، فلا تَقْلَرُوا <sup>(١)</sup> فيها على نُوبَةٍ ، وليست لكم منها  
 نُوبَةٌ وَأَنَا أَسْتَخْلِفُ اللهُ عَلَيْكُمْ ، وَأَسْتَخْلِفُهُ مِنْكُمْ .

وقد رَوَى هذا الكلام عن الحجاج ، وزِيَادٌ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ .

\*\*\*

(١) في جميع النسخ : « فلا تَقْلَرُونَ » .

## باب

ما ذكروا فيه من أن أثر السيف يحو أثر الكلام

قال جرير :

تُكَلِّفُنِي رَدَّ الْفَوَائِتِ بَعْدَ مَا سَبَقَنَ كَسْبَقَ السِّيفِ مَا قَالِ عَاذَلُهُ (١)

وقال الكميت بن معروف (٢) :

خَذُوا الْعَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمْ الْقَوُّ عَقْلَكُمْ وَكُونُوا كَمَنْ سَيِّمَ الْهَوَانَ فَأَرَبَا (٣)  
٢٢٧ وَلَا تَكْتَرُوا فِيهِ الضُّجَاجَ فَإِنَّهُ عَا السِّيفُ مَا قَالِ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا (٤)  
وَالْمَثَلُ السَّابِقُ (٥) : « سَبَقَ السِّيفُ الْعَدْلَ » (٦) .

\*\*\*

ومن أهل الأدب : زكرياء بن درهم ، مولى بنى سُلَيْم بن منصور ،  
صاحب سعيد بن عمرو الحرشي (٧) . وزكرياء هو الذى يقول :

(١) فيما عدل ل : « رد العواقب » تحريف . والقصيدة من التفاضل ٦٣٩ يجب بها الفرزدق .  
ورواية الديوان ٤٨٣ والتفاضل :

• وما بك رد للأزهد بعد ما •

(٢) وكذا جاءت النسبة في حسانة البحري ١١ وشرح الحامسة للبيروني ( ١ : ٢٠٦ بولاق ) .  
وقيل هو الكميت بن ثعلبة . الخزانة ( ٤ : ٥٦٠ ) والمؤتلف ١٧٠ .

(٣) العقل : الذمة . فيما عدل ل : « العقل قومكم » . ساهم الهوان : أراده عليه . وأربع : أقم في  
المربع عن الزيادة والنجعة . ويرى : « قلتما » ، وفسو في الخزانة بأنه من قولهم أرتع إبله ، جعلها تأكل  
ما شابت . انظر الحيوان ( ٣ : ٧٩ ) .

(٤) فيه ، أى في الأمر . ويرى : « فيها » ، أى في القضية . وابن دارة هو سلم بن مسافع بن  
مروء ، كان يجرى بنى قزرة مجرا شنيعا ، قتلته زميل القزري .  
(٥) فيما عدل ل : « والمثل السائر من قيل هذا » .

(٦) العدل ، بالتحريك : اسم من عدله يمثله ، إذا لاه . والمثل للحلوت بن ظالم ، كان قد  
ضرب رجلا فقتله ، فأعير بمنزله قتال : « سبق السيف العدل » .

(٧) سعيد بن عمرو الحرشي : أحد قواد العرب ، وهو الذى قتل شذبا بالخارجي وقتل من معه سنة ١٠١ ،  
ولاه ابن هبيرة عرسا سنة ١٠٣ ثم بلغه أنه يكاتب الخليفة مباشرة ولا يحرف بإمرته ، فقتله وعذبه . والحرشي : نسبة  
إلى الحارث بن كعب بن ربيعة . انظر الجهمشيلري ١١ والطبري ( ٨ : ١٤٢ ، ١٦٨ - ١٧٥ ) والحيوان ( ٤ : ٢٣ ) .

لا تُنْكِرُوا لسعيد فضل نعمته لا يشكر الله من لا يشكر الناس

ومن أهل الأدب ممن وَجَّهَهُ هشامٌ إلى الحرشي : السُّرادق بن عبد الله السُدُوسِيّ الفَارِسُ<sup>(١)</sup> . ولما ظفر سَلَمٌ بن قتيبة<sup>(٢)</sup> بالأزد ، كان من الجند في دُور الأزد انتهابٌ وإحراق ، وأثار قبيحة ، فقام شبيب بن شيبه إلى سَلَمٌ بن قتيبة فقال : أيها الأمير ، إن هُرَيمَ بن عدى بن أُلَى طَحْمة<sup>(٣)</sup> - وكان غير منطيق - قال ليزيد بن عبد الملك في شأن المهالبة : يا أمير المؤمنين ، إنا والله ما رأينا أحداً ظَلِمَ ظَلَمَكَ ، ولا نُصير نصرك ، ولا عفا عفوك<sup>(٤)</sup> . وإنا نقول أيضاً : أيها الأمير ، إنا والله ما رأينا أحداً ظَلِمَ ظَلَمَكَ ، ولا نُصير نصرك . فافعل الثالثة نُقْلُها .

قال الهيثم بن عدى : قام عبد الله بن الحجاج الثعلبي إلى عبد الملك ابن مروان ، وقد كان أراد الاتصال به ، وكان عبد الملك حَيِّقاً عليه ، فأقام ليأباه حَوْلًا لا يصل إليه ، ثم ثار في وجهه في بعض رَكَباته فقال :

أَدْنُو لَتَرْحَمَنِي وَتَرْفُقَ خَلَّتِي وَأُرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمَدْفَعُ<sup>(٥)</sup>

فقال عبد الملك : إلى النار ! فقال :

وَلَقَدْ أَذَقْتُ بَنِي سَعِيدٍ حَرْهَا وَأَبْنَى الزُّبَيْرِ فَعَرَشُهُ مَتَضَعُضُ<sup>(٦)</sup>

فقال عبد الملك : قد كان ذلك ، وأنا أستغفر الله .

(١) فيما عدل ، ه : « الفارسي » تحريف .

(٢) ل والتميمية : « سلم بن قتيبة » تحريف . وترجمة سلم في ١٧٤ .

(٣) كان هريم من فرسان بني تميم في الإسلام . الاشتقاق ١٤٨ . وكان مع المهلب في قتال الأرزفة ، ومع عدى بن أرطاة في قتال يزيد بن المهلب . ولما كبر حول اسمه في أعين الديوان ليوقع عنه الغزو . قتل

له : إنك لا تحسن أن تكتب . فقال : إلا أكتب فأبى أمر الصحف . المطرف ١٨٣ - ١٨٤ .

(٤) هذه الجملة في ل والتميمية قطع . وانظر ( ٢ : ١٠٧ ) .

(٥) « لترحمني وترفق » كتبت في ح والتميمية بتقطيعين من أعلى وآخرين من أسفل . وفي ب :

« ليرحمني ويرفق » .

(٦) فيما عدل ل : « فرأسه متضعضع » . وأشير في حواشي ه إلى رواية : « فرشه » .

وقال أبو عبيدة : كان بين الحجاج وبين العُدَيْل بن الفَرَخ العَجَلَى<sup>(١)</sup>  
بعضُ الأمر ، فتَوَعَّدَ الحجاجُ ، فقال العُدَيْل :

أُتَخَوَّفُ بالحجاج حتى كأنما يَمْرُكُ عَظْمٌ في الفؤاد مَهِيضُ  
ودون يَدِ الحجاج من أن تنالني بِسَاطٍ لَأَيْدِي اليَعْمَلَاتِ عَرِيضُ<sup>(٢)</sup>

٢٢٨ مَهَامُهُ أَشْبَاهُ كَأَنَّ سَرَاهِبَهَا مُلَاءٌ بِأَيْدِي الْغَاسِلَاتِ رَحِيضُ<sup>(٣)</sup>  
المهيض : الذي قد كُسر ثم جُبر ثم كسر . اليَعْمَلَاتِ : العوامل ،  
والياء زائدة لأنها من عملت<sup>(٤)</sup> .

ثم ظَفِرَ به الحجاج فقال : إِيو<sup>(٥)</sup> يَا عُدَيْل ، هل نَجَاكَ بِسَاطِكَ  
العريض ؟ فقال : أَيُّهَا الأمير ، أنا الذي أَقول فيكم<sup>(٦)</sup> :

١٠ لو كُنْتُ بِالْعَقَاءِ أَوْ يَسُومُهَا لَكَانَ لِحَجَّاجٍ عَلَى دَلِيلُ<sup>(٧)</sup>  
خَلِيلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَصِيْفُهُ لِكُلِّ إِمَامٍ مُصْطَفَى وَخَلِيلُ

(١) العُدَيْل ، ببيتة التصغير . والفَرَخ ، بالفتح ، وضبط في الخزانة ( ٢ : ٣٦٨ ) بضم الفاء ،  
وأراه تحريفاً . وضبط بالفتح في الاشتقاق ٢٠٨ ج : ٥ فرج ، ، التيمورية « فرح » ب ، هـ : ٥ فرخ ،  
والوجه ما أثبت من حـ . والعُدَيْل شاعر إسلامي مقل في الدولة المروانية . الخزانة والأغانى ( ٢٠ : ١١ -  
١٩ ) والشعر والشعراء وحسان ابن الشجرى ١٩٩ .

(٢) البساط ، بالفتح ، ويكسر : الأرض البسيطة الواسعة .

(٣) ملأ بالضم : جمع ملأه . رحيض : مشيول .

(٤) هذا الضم في ل فقط .

(٥) فيما عدا ل : « له » .

(٦) فيما عدا ل : « فيك » .

(٧) العقاء : أكمة فوق جبل مشرف . كنا في القاموس ومعجم ياقوت . ويسوم : قال في اللسان :  
« جبل صخره ملساء » ، وقال ياقوت : « في بلاد هذيل .. وقيل يسوم جبل قرب مكة » . في جميع النسخ :  
« بأسومها » صوابه ما أثبت . ومثله قول محمد بن عبد الله بن عمر الثقفي ، للحجاج حين خاف منه :  
ولو كنت بالعقواء أو يسومها لخلتلك إلا أن تصد تراني

٢٥ انظر الكامل ٣٥٣ ليسك . ورواية صدر بيت العُدَيْل في المراجع المتقدمة :  
« ولو كنت في سلمى أجا وشعابها » .

بنى قِبَةَ الإسلامِ حَتَّى كَانَمَا هَدَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالِ رَسُولٌ  
فَقَالَ لَهُ الْحِجَابُ : ارْبِطْ نَفْسَكَ ، وَاحْقِنْ دَمَكَ ، وَإِيَّاكَ وَأَخْتَهَا ؛ فَقَدْ  
كَانَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ قَتْلِكَ أَقْصَرَ مِنْ إِبْهَامِ الْحَبَّارَى .

قال : وقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، خطيباً بالمدينة ، وكان واليها ،  
• ينعى معاوية ويدعو إلى بيعته يزيد ، فلما رأى رَوْحَ بن زُبَيْعَ إِبْطَاءَهُمْ قَالَ :  
« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا لَا نَدْعُوكُمْ إِلَى لَحْمٍ وَجَذَامٍ وَكَلْبٍ ، وَلَكِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى  
قَرِيشٍ وَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ هَذَا الْأَمْرَ وَاخْتَصَّ بِهِ ، وَهُوَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، وَغَمْنُ أَبْنَاءِ  
الطُّغَمَنِ وَالطَّاعُونَ ، وَفَضَائِلُ الْمَوْتِ <sup>(١)</sup> ، وَعِنْدَنَا إِنْ أَجَبْتُمْ <sup>(٢)</sup> وَأَطَعْتُمْ مِنْ  
الْمَعُونَةِ وَالْعَائِلَةِ <sup>(٣)</sup> مَا شِئْتُمْ » . فَبَايَعَ النَّاسُ .

قال : وخطب إبراهيم بن إسماعيل ، من ولد المغيرة المخزومي فقال : « أَنَا  
ابْنُ الْوَحِيدِ ، مَنْ شَاءَ أَجْزَرَ نَفْسَهُ <sup>(٤)</sup> صَقْرًا يُلَوِّذُ حَمَامَتُهُ بِالْعَرْفِيجِ <sup>(٥)</sup> » .  
ثم قال :

اسْتَوْسِقِي أَحْمَرَةَ الْوَجِينِ <sup>(٦)</sup> سَمْعِنَ حَسْرٍ أَسِيدَ خَرُونِ

فَهَنَ يَضْرِبُ طَنْ وَيَتَزَيَّنُ

ثم قال : « وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَبْغِضُ الْقُرَشِيَّ أَنْ يَكُونَ فُظًّا <sup>(٧)</sup> . يَا عَجَبًا لِقَوْمٍ  
يُقَالُ لَهُمْ مَنْ أَبُوكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أُمْنَا مِنْ قَرِيشٍ » .

(١) الفضالة ، بالضم : ما غفل من الشيء . فيما عدل ، هـ : فضلات .

(٢) فيما عدل ، هـ : أحيم .

(٣) العائلة : النفع . فيما عدل ، هـ : والعائلة .

(٤) أجزر نفسه الصقر : جعلها له جزورا . ل : « أجزرتي نفسه » ، وفيما عدل : « أحرز  
نفسه » ، والوجه ما أثبت .

(٥) اقتباس ، هو عجز بيت سيق في ص ٤٨ . وصدرو :

• وبشت من ولد الأقر محب •

(٦) استوسقي : أجمعني . والوجين : شط الوادي .

(٧) ل : « فضا » بالضاد المصحفة .



فَتَكَلَّمُ رَجُلٌ مِنْ غُرُضِ النَّاسِ <sup>(١)</sup> وَهُوَ يَخْطُبُ ، فَقَالَ غَيْرُهُ : مَهْ <sup>(٢)</sup> فَإِنَّ الْإِمَامَ يَخْطُبُ . فَقَالَ : إِنَّمَا أُمَرْنَا بِالْإِنصَابِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، لَا عِنْدَ ضُرَاطِ أَحْمَرَةِ الْوَجِينِ .

٢٢٩

وَقَالَ آخَرُ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنِ هَيْوَةَ وَهُوَ يَقُولُ عَلَى هَذِهِ الْأَعْوَادِ <sup>(٣)</sup> فِي دُعَائِهِ :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْوٍ يَسِيرٍ ، وَمِنْ جَلِيلٍ يُغْرِي ، وَمِنْ صَدِيقٍ يُطْرِي .

- قال أبو الحسن : كَانَ نَافِعُ بْنُ عُلْقَمَةَ بْنُ نَضْلَةَ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرٍ ، خَالَ مَرْوَانَ ، وَالْيَا عَلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، وَكَانَ شَاهِرًا سَيْفَهُ <sup>(٤)</sup> لَا يُعْمَدُ ، وَبَلَغَهُ أَنْ فَتَى مِنْ بَنِي سَهْمٍ يَذْكُرُهُ بِكُلِّ قَبِيحٍ ، فَلَمَّا أَتَى بِهِ وَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ قَالَ الْفَتَى : لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ ، وَدَعْنِي أَتَكَلَّمُ . قَالَ : أَوْ بِكَ كَلَامٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَأُزِيدُ ، يَا نَافِعُ وَلَيْسَ الْحَرَمَيْنِ تَحْكُمُ فِي دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا ، وَعِنْدَكَ أَرْبَعُ عَقَائِلَ مِنَ الْعَرَبِ ، وَبَنِيثَ يَاقُوتَةَ بَيْنَ الصُّفَا وَالْمَرُوءَةِ - يَعْنِي دَارَهُ - وَأَنْتَ نَافِعُ بْنُ عُلْقَمَةَ بْنِ نَضْلَةَ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرٍ ، أَحْسَنْ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَكْمَلُهُمْ حَسِبًا ، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا التُّرَابُ <sup>(٥)</sup> ، لَمْ نَحْسُدْكَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ ، وَلَمْ تَنْفَسْهُ عَلَيْكَ ، فَتَفِئَتْ عَلَيْنَا أَنْ تَتَكَلَّمَ . قَالَ : فَتَكَلَّمْتُ حَتَّى يَنْفُكَ فَكَأَنَّكَ <sup>(٦)</sup> .

عَلَى بْنِ مُجَاهِدٍ <sup>(٧)</sup> ، عَنْ الْجَعْدِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ ، قَالَ : قَالَ صَعْبُصَةَ بْنِ

- صُوحَانَ : مَا أَعْيَانِي جَوَابُ أَحَدٍ مَا أَعْيَانِي جَوَابُ عُثْمَانَ ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ :  
أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَمْوَالِنَا أَنْ قُلْنَا رَبَّنَا اللَّهُ ! فَقَالَ : نَحْنُ الَّذِينَ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَمْوَالِنَا أَنْ قُلْنَا رَبَّنَا اللَّهُ ؛ فَمَنْ مَاتَ بِأَرْضِ الْحِيشَةِ ، وَمَنْ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ .  
قَالَ : وَقَالَ الْحِجَاجُ عَلَى مَنْبَرِهِ : « وَاللَّهِ لَأَلْحُوْكُمْ لَحْوُ الْعَصَا ، وَلَأُعْصِبَنَّكُمْ

(١) هـ : من البداية . وفي حواشيا : خ : الناس .

(٢) فيما عدل : هـ : صه . وكلاهما بمعنى اسكت . يَنْوَانُ عِنْدَ الْوَصْلِ .

(٣) أى أعواد النير . فيما عدل : هـ : على هذه الأعواد وهو يقول .

(٤) ل : وكان سيفه شاهراً .

(٥) فيما عدل : هـ : قلم .

(٦) ل : حتى ينفك فكأنك .

(٧) ترجم في ٣٠١ .

عَصَبُ السَّلَمة ، ولأَضْرَبْتَكُمْ ضَرْبَ غَرَابِ الإِبل . يا أهل العراق ، ويا أهل الشَّعْاقِ والتَّفَاقِ ، ومسأولى الأخلاق ، إني سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذى يُراد به الله فى التَّرعِيبِ ، ولكنَّه التَّكْبِيرُ الذى يراد به التَّرهيبُ . وقد عَرَفْتُ أَنَّهَا عِجَاجَةٌ تَحْتَا قَصْفُ قَتْنَةٍ . أى نَبِيَّ اللَّكِيعةِ وعِيْدَ العَصَا ، وأبناء الإِماء ، والله لئن قَرَعْتُ عَصَا عَصَا <sup>(١)</sup> لَأَتْرَكَنَّكُمْ كَأَمْسِ الدَّابِرِ .

مالكُ بن دينار قال : رُبَّما سمعتُ الحُجَّاجَ يخطُب ، يذكُر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم ، فيقع فى نفسى أَنَّهُمْ يظلمونه وأَنَّهُ صادقٌ ؛ لِيُبانَ وحسنُ تَخْلُصِهِ بالحُجَّجِ .

قال : وقَسَمَ الحُجَّاجَ مالا ، فَأَعْطَى مِنْهُ مالَكَ بن دينار ، وأَراد أَن يَدْفَعَ  
١٠ مِنْهُ إِلَى حَبِيبِ أبى مُحَمَّد <sup>(٢)</sup> فَأَبَى أَن يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئاً ، ثم مرَّ حَبِيبٌ بِمالِكَ ، فإذا  
هو يَقْسِمُ ذَلِكَ المَالَ ، فقال له مالِك : أَبَا مُحَمَّد ، لَماذا قِيلَناهُ <sup>(٣)</sup> ! قال له  
حَبِيب : دَعْنِي مِمَّا هُناكَ ، أَسأَلُكَ باللهِ أَلَحُجَّاجُ اليَوْمَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ قَبْلُ اليَوْمِ ؟  
قال : بل اليَوْمِ . فقال حَبِيب : فلا خَيْرَ فى شَيْءٍ حَبَّبَ إِلَيْكَ الحُجَّاجَ .

ومَرَّ غِيلانُ بن خَرَشَةَ الضَّبِّى ، مع عبدِ اللهِ بن عامر <sup>(٤)</sup> ، على نَهْرٍ أَمَّ  
١٥ عبدَ اللهِ <sup>(٥)</sup> ، الذى يَشُقُّ البَصْرَةَ ، فقال عبدُ اللهِ : ما أَصْلَحَ هَذا التَّهَرُّ لأَهْلِ هَذا  
الجِصْرِ ! فقال غِيلانُ : أَجَلٌ واللهِ أَيُّها الأَميرُ ، يَعْلَمُ القومُ صَبِيانَهُمْ فى السَّبَّاحَةِ ،  
وَيَكُونُ لِسُقْيائِهِمْ <sup>(٦)</sup> وَمَسِيلِ مِيَاهِهِمْ ، وتَأْتِيهِمْ فى مِرْثَتِهِمْ . قال : ثم مرَّ غِيلانُ

(١) هذه الكلمة الأخيرة ساقطة عما عدل . وما بعد « الإماء » إلى نهاية الفقرة ساقط من هـ .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٣٦٤ .

(٣) ل : « قبله » .

٢٠

(٤) ترجمة غيلان فى ٣٤١ وعبد الله فى ٣١٨ . وكان غيلان أحد أصحاب أبى موسى الأشعرى . ثم انقض  
عليه وكان سبياً فى أن يهرل عثمان أبى موسى الأشعرى وهوى مكانه عبد الله بن عامر . انظر الجهشيارى ١٤٧ .

(٥) نهر أم عبد الله ، منسوب إلى أم عبد الله بن عامر . كما فى مصحح البلدان ( ٨ : ٣٣٦ ) .

وفى الأصل : « نهر عبد الله » تحريف . وآخر فى الحيوان ( ٥ : ١٩٨ ) بخلاف فى اللفظ .

(٦) فى الأصل : « لشقائهم » صوابه من المدة ( ١ : ١٦٥ ) .

٢٥

يسائر زهاداً على ذلك التهر ، وقد كان عادى ابنَ عامر ، فقال زياد : ما أضُرُّ هذا النهر ، بأهل هذا المصر ! قال غيلان : أجل والله أيُّها الأمير ، تنزُّر منه دورهم ، وتفرق فيه صبياتهم ، ومن أجله يكثر بعوضهم .

فالذين كرهوا البيان إنما كرهوا مثل هذا المذهب ؛ فأما نفسُ حسن البيان فليس يذمه إلا من عجز عنه . ومن ذمَّ البيان مدح العيِّ ، وكفى بهذا خيالاً (١) .

ولخالد بن صفوان كلامٌ في الجُبن المأكول ، ذهب فيه شيئاً بهذا المذهب . قال : ورجع طلوسٌ عن مجلس محمد بن يوسف ، وهو يومئذ والى اليمن ، فقال : ما ظننت أن قول سبحان الله معصيةٌ لله حتى كان اليوم . سمعتُ رجلاً أبلغ ابنَ يوسف عن رجلٍ كلاماً فقال رجل من أهل المجلس (٢) : سبحان الله ! ١٠ كالمستعظم لذلك الكلام . فغضب ابنُ يوسف .

قال أبو الحسن وغيو ، قالوا : دخل يزيد بن أبي مسلم (٣) على سليمان ابن عبد الملك ، وكان دميماً ، فلما رآه قال : على رجلٍ أجرك رستك ، وسلطك على المسلمين ، لعنة الله ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنك رأيته والأمر عني مدبر ، ولو رأيته والأمر على مقبلٍ لاستعظمت من أمرى ما استصغرت ! ١٥ قال : فقال سليمان : أفتري الحجاج بلغ قعر جهنم بعد ! قال (٤) : يا أمير المؤمنين ، يمجى الحجاج يوم القيامة بين أيك وأخيك ، قابضاً على يمين أيك وشمال أخيك ، فضنعه من التار حيث شئت .

(١) فيما عدل : « وكفى بذلك جهلاً وخيالاً » .

(٢) فيما عدل : « في المجلس » وانظر ( ٢ : ٢٩٤ ) .

(٣) يزيد بن أبي مسلم ، هو يزيد بن دينار الثقفي ، كان مولد الحجاج بن يوسف ، ولا حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أخوه الوليد بن عبد الملك . وقال الوليد في شأنه : « مثل الحجاج » وابن أبي مسلم ، كرجل ضلع منه درهم فوجد ديناراً ، مثل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان .

(٤) فيما عدل : « فقال يزيد » .

وذكر يزيد بن المهلب ، يزيد بن أوى مسلم ، بالعقة عن الدينار والدرهم ،  
وهم بأن يستكفيه مئها من أمره ، قال : فقال عمر بن عبد العزيز : أفلا أدلك ٢٣١  
على من هو أزهّد في الدرهم والدينار منه ، وهو شرّ خلق الله ؟ قال : من  
هو (١) ؟ قال : إبليس .

قال : وقال أسيلم بن الأحنف ، للوليد بن عبد الملك قبل أن  
يستخلف : أصلح الله الأمير ، إذا ظننت ظناً فلا تحقّقه ، وإذا سألت الرجال  
فسألهم عما تعلم ، فإذا رأوا سرعة فهمك لما تعلم ظنوا ذلك بك فيما لا تعلم ،  
ودسّ من يسأل لك عما لا تعلم .

وكان أسيلم بن الأحنف الأسدي ، ذا بيان وأدب وعقل وجاه ، وهو  
الذي يقول فيه الشاعر :

ألا أيها الركب المخبون هل لكم      بسيد أهل الشام تُحبّوا وترجعوا (٢)  
أسيلم ذاكم لا تخفا بمكائنه      لعين تُرجى أو لأذن تسمع (٣)  
من التفري البيض الذي إذا انتموا      وهاب الرجال حلقة الباب قمعوا (٤)  
جلا الأذقر الأحوى من المسك قره      وطيب الدهان رأسه فهو أنزع  
إذا التفّر السود اليمان حاولوا      له حوك برديه أرقوا وأوسعوا ١٥  
وهذا الشعر من أشعار الحفظ والمناكرة .

\*\*\*

(١) فيما عدل : « قال بلى » .

(٢) هذا البيت ساقط من ل . والمخبون : الذين تحب بهم دوابهم : تسرع . وفي النسخ جميعها :

٢٠ والمخبون : تخوف . والآيات في الحيوان ( ٤٨٦ : ٣ ) والعقد ( ٤٢٣ : ٣ ) والكامل ١٠٣ والبخلاء ورسائل

الجاحظ ٧٩ ساسى . وانظر ( ٣٠٥ : ٣ ) .

(٣) خفا : مقصور خفاء . فيما عدل : « تلجى » وضبطت هذه الكلمة في هـ ، ب بفتح التاء

والدال وتشديد الجيم المفتوحة .

(٤) جعلهم نفرا لقتلهم ، والكرم قليل . حلقة الباب ، أى باب الملك . وفي حواشى هـ .

الهيثم بن عدى قال : قَبِلْتُ وفودَ العراق على سليمان بن عبد الملك ، بعد ما استخلف ، فأمرهم بِشتم الحجاج ، فقاموا يشتمونه ، فقال بعضهم ، إِنَّ عدوَّ الله الحجاج ، كان عبداً زَباباً <sup>(١)</sup> ، قَتُوراً ابن قُتُور <sup>(٢)</sup> ، لا نسبَ له في العرب . فقال سليمان : أى شتم هذا ؟ إِنَّ عدوَّ الله الحجاج كُتب إلى : « إِنَّمَا أَنْتَ نَقْطَةٌ من مداد ، فَإِنْ رَأَيْتَ قَمِيَّ ما رَأَى أبوك وأخوك كُنْتُ لَكَ كما كُنْتُ لهما ، وَإِلَّا فَأَنَا الحجاج وَأَنْتَ النُّقْطَةُ ، فَإِنْ شَعْتَ مَحْوُوكٌ ، وَإِنْ شَعْتَ أَثْبَتُكَ » . فآلَعُوهُ لَعَنَهُ الله ! فَأَقْبَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَ ، فقام ابن أبى بُرْدَةَ بن أبى موسى <sup>(٣)</sup> فقال : يا أمير المؤمنين ، أَخْبِرْكَ <sup>(٤)</sup> عن عدوِّ الله بعلمي . قال : هاتِ . قال : كان عدوُّ الله يَتَزَيَّنُ تَزْيِينُ المومِسة ، ويصعد على المنبر فيتكلم بكلام الأخيار ، وإذا نَزَلَ عَمِلَ عَمَلُ الفراعنة <sup>(٥)</sup> وأكْذَبَ في حديثه من الدِّجَالِ .

فقال سليمان لرجاء بن خَيوة <sup>(٦)</sup> : هذا وأبيك الشُّتْمُ لا مَاتَاقِي به هذه السُّفْلَةُ .

وعن عوانة قال : قطع ناسٌ من عمرو بن تميم وحَنظَلَةَ ، عَلى الحجاج ابن يوسف ، فكتب إليهم :

مِنَ الحجاجِ بن يوسف . أما بعد فإنكم قد استصحبتم الفتنة <sup>(٧)</sup> وقال بعضهم

(١) الزباب ، بالفتح : الجاهل ؛ مأخوذ من الزباب ، وهو ضرب من الفأر أصم . ل : زبانا ؛ ولا وجه له .

(٢) القُتُور : العبد . وأُشْدُّ أبو المكلِّم :

أُشْدَّتْ حلالٌ قُتُورٌ مِجْدَعَةٌ المصروع العبد قُتُورٌ بن قُتُور

(٣) هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعري . واسم أبى بردة عامر ، واسم أبى موسى عبد الله بن

قيس . وكان أبو بردة وبلال ابنة قاضيين . مات بلال في عذاب يوسف بن عمر . المعروف ١١٥ ، ١٧٤ .

(٤) فيما عدل : « إنا غفوك » .

(٥) هـ : « الجبابة » . وفي حواشيها : « خ : الجبابة » .

(٦) هو رجاء بن خيرة بن جرول الكندي الفلسطيني ، كان ثقة فاضلاً كثير العلم ، من عباد

أهل الشام وقهاتهم وزهادهم . توفى سنة ١١٢ - تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة ( ٤ : ١٨٦ ) .

(٧) فيما عدل : « استخلصتم الفتنة » .

قد استنتجتم الفتنة <sup>(١)</sup> - فلا عن حق تقاتلون ، ولا عن منكر تنهون ، وأيم الله إنى لأهّم أن يكون أول ما يرد عليكم من قِلي خيل تنسف الطارف والتالد ، وتُخلى <sup>(٢)</sup> النساء أباى ، والأبناء بئامى ، والدّيار خراباً ، والسّواد بياضاً . فأَيّما رُقّة مرّت بأهل ماء فأهل ذلك الماء ضامنون لها حتّى تصير إلى الماء الذى يليه . تقدمة منى إليكم ، والسعيد من وعظ بغيره . والسلام .

مسلمة بن محارب قال : كان الحجاج يقول : « أخطب الناس صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة » <sup>(٣)</sup> ، إذا شاء خطب ، وإذا شاء سكت . . يعنى الحسن . فيقول : لم ينصب نفسه للخطاب <sup>(٤)</sup> .

قال : ولما اجتمعت الخطباء عند معاوية في شأن يزيد ، وفيهم الأحنف ، قام رجل من حمير ، فقال : إنا لا نطبق أفواه الكمال - يريد الجمال - عليهم المقال ، وعلينا الفِعال . وقول هذا الحميرى : إنا لا نطبق أفواه الكمال <sup>(٥)</sup> ، يدل على تشاؤم خطباء زيار .

سفيان بن عُيينة <sup>(٦)</sup> قال : قال ابن عباس : « إذا ترك العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « من قال لا أدري فقد أحرز نصف العلم » . لأن الذى له على نفسه هذه القوة قد دلنا على جودة الثبوت ، وكثرة الطلب ، وقوة المنة .

(١) هذه العبارة من ل فقط .

(٢) فيما عدل : « وتدع » .

(٣) الأخصاص : جمع خص ، بالضم ، هو البيت من القصب .

(٤) فيما عدل : « يقول إنه لم ينصب نفسه للخطب » .

(٥) بلها فيما عدل : « وهذا من الحميرى » فقط .

(٦) ترجم في ١٠٤ ، ١٧٥ . وانظر في ( ٢ : ٩٠ ) .

قال : وقيل لعيسى <sup>(١)</sup> بن مريم عليه السلام : من نُجّالِس ؟ قال : مَنْ يزيد في علمكم منطلقه ، ويُذكركم الله رؤيته ، ويرغبكم في الآخرة عمله .

قال : ومُرَّ المسيح <sup>(٢)</sup> بقرى يكون ، فقال : ما بال هؤلاء <sup>(٣)</sup> يكون ؟ قيل له <sup>(٤)</sup> : يخافون ذنوبهم . قال : اتركوها يُغفر لكم .

الوصافي <sup>(٥)</sup> قال : دخل الهيثم بن الأسود بن العريان <sup>(٦)</sup> ، وكان خطيباً شاعراً ، على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف تجدك ؟ فقال : أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود ، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين ، ولأن مني ما كنت أحب أن يشتد . ثم أنشد :

اسمع أنيكَ بآيات الكبير نوم العشاء وسعال السحر  
٢٣٣ وقلة النوم إذا الليل اعتكر <sup>(٧)</sup> وقلة الطعام <sup>(٨)</sup> إذا الزاد حضر  
١٠ وسرعة الطرف وتحميج النظر <sup>(٩)</sup> وتركى الحسنة في قبل الطهر <sup>(١٠)</sup>  
وحذراً أزداده إلى حذر الناس يملون كما يلى الشجر

(١) فيما عدل : للمسيح .

(٢) فيما عدل : ما هؤلاء .

(٣) فيما عدل : قالوا . وفى هـ : تنفر لكم .

(٤) هو أبو إسماعيل عبيد الله بن الوليد الوصافي الكوفي ، من ولد الوصاف بن عامر المجلى . روى عن معارب وطولس وجماعة ، وعنه الثوري ووكيع وآخرون ، منهم رواية الضعيف والموضوع . الأنساب ٥٨٤ والنهذب .

(٥) فى الإصابة ٩٠٦١ أنه الهيثم بن الأسود ، وأنه يكنى أبا العريان . وقد ساق القصة بوجه آخر ، قال : عاد عمرو بن حبه أبا العريان فقال : كيف تجدك ؟ ... الخ . وفى اللسان ( عكر ) أنه أبو العريان . وانظر ما سأتى فى ( ٣ : ٦٩ ) .

(٦) اعتكر الليل : اشتد سواده .

(٧) الطعام ، بالضم : الطعام .

(٨) من مبدأ هذا البيت إلى كلمة « عدا » فى ( ٢ : ١٠ ) ساقط من التيمورية . والطرف : تحريك الجفون فى النظر ، والطرف أيضاً : العين ، لا يجمع ولا يثنى ؛ لأنه فى الأصل مصدر . والتحميج : تصغير

العين للتمكن من النظر . وفى الحيوان ( ٥ : ٥٠ ) : « وضعف فى النظر » . وانظر عين الأخبار ( ٢ : ٣٢١ ) .

(٩) قبل ، بضم القاف وإسكان الباء ، أى فى أول الطهر بعد انقطاع الدم . وفى الحديث : « طلقوا النساء من قبل طهرهن » ، أى فى إقباله ولوله .

وقال الآخر : « مُرُوا الْأَحْدَاثَ بِالْمِرَاءِ ، وَالْكَهْوَلُ بِالْفَكْرِ » . فقال عبد الله ابن الحسن<sup>(١)</sup> : الْمِرَاءُ رَأَيْدُ الْغَضَبِ ، فَأَخْزَى اللَّهُ عَقْلًا يَأْتِيكَ بِالْغَضَبِ<sup>(٢)</sup> . وقالوا : أَرْبَعَةٌ تَشْتَدُّ مَعَاشِرَتُهُمْ : الرَّجُلُ الْمَتَوَانِي ، وَالرَّجُلُ الْعَالِمُ ، وَالْفَرَسُ الْمَرْحُ ، وَالْمَلِكُ الشَّدِيدُ الْمَمْلَكَةُ .

وقال غازي أبو مجاهد ، يعارضه : أَرْبَعَةٌ تَشْتَدُّ مَوَوتُهُمْ : النَّدِيمُ الْمَعْرِيدُ ، وَالْجَلِيسُ الْأَحْمَقُ ، وَالْمَغْنَى الْتَائِهَ ، وَالْمُسْتَفِيلَةُ إِذَا تَقَرَّرَ<sup>(٣)</sup> .

وكان أبو شيمر الغساني يقول<sup>(٤)</sup> : أَقْبَلْ عَلَى فَلَانٍ بِاللَّحْظِ وَاللَّفْظِ ، وَمَا الْكَلَامُ إِلَّا زَجْرٌ أَوْ وَعِيدٌ .

قال : وقال عمير بن الحُبَابِ<sup>(٥)</sup> ، وروى ذلك عنه مِسْمَرٌ<sup>(٦)</sup> : مَا أَغْرَثَ عَلَى

- ١٠ (١) هو عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، كان من العبَّاد ، وكان له شرف وعارضة وهبة ولسان شديد ، وكان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز . توفي سنة ١٤٥ . تهذيب التهذيب . فيما عدل : « ابن الحسين » تحريف .
- (٢) فيما عدل : « يَأْتِيكَ بِهِ الْغَضَبُ » وليس بشيء .
- (٣) السفلة : الْأَذَالُ ، يقال للجميع وللواحد أيضا ، يُقَالُ هُوَ سَفَلَةٌ . تَقَرَّرَ : انْظُرْ مَا مَضَى
- ١٥ فِي حَوَاشِي ص ٣٢١ . وَهَذَا مَا لِي ، وَفِي هـ : « تَقَرَّرُوا » ، وَنَائِرُ النِّسْخِ « تَقَرَّرُوا » وَهَذِهِ عَرَفَةٌ .
- (٤) فيما عدل : « وَقَالَ أَبُو شِمْرٍ الْغَسَّالِيُّ » .
- (٥) هو عمير بن الحُبَابِ بن جَعْلَةَ بن إِيمَانَ بن حِزَابَةَ بن عَجْرَبِ بن مَرَّةَ بن هِلَالِ بن قَالِجِ بن ذَكْوَانَ بن ثَعْلَبَةَ بن بَجَّةَ بن سُلَيْمٍ ، شَاعِرٌ إِسْلَامِي قَتَلَهُ بَنُو ثَعْلَبِ بِالْحَشَاكِ ، وَهُوَ إِلَى جَانِبِ الزُّنَّارِ بِالْقَبْرِ مِنْ تَكْوَيْتِ . انْظُرْ مَعْجَمَ الرِّوَايَاتِ ٢٤٥ وَالْأَغْنَى ( ١١ : ٥٥ - ٦٠ ) وَلِلْحَشَاكِ بِقُرُونًا فِي
- ٢٠ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ، وَالْيَمَانِي فِي الْأَثَالِ ( ٢ : ٣٦٧ ) وَإِيَّاهُ يَعْْنِي الْأَخْطَلُ بِقَوْلِهِ :
- أَلَا سَائِلُ الْجَحَافِ هَلْ هُوَ نَائِرٌ يَقْتُلُ أَصْبِيحَ مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ
- الْأَغْنَى ( ١١ : ٥٨ ) .

- (٦) هو مِسْمَرٌ ، بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ ، مِنْ كَلَامٍ ، كَكِتَابٍ ، مِنْ ظَهْرِ الْمَلَالِ . أَبُو سَلْمَةَ الْكُوفِيُّ ، ثَقَّةٌ ثَبَتَ فَضْلُهُ ، تَوَفَّى سَنَةَ الثَّيْنِ ، أَوْ ثَلَاثَ ، أَوْ خَمْسَ وَخَمْسِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ
- ٢٥ وَالْمَعَارِفِ ٢١١ وَالتَّهْهَرُوسُ ٢٨٧ . قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ : « وَكَانَ يَقُولُ : مَنْ أَبْغَضَنِي فَجَعَلَهُ اللَّهُ عَدُوًّا لِمَلِهِ يَهْدِي مَا يَمَانُونَ مِنْ مَشْقَةِ الثَّيْتِ . وَفِيهِ يَقُولُ ابْنُ الْمُبَرِّكِ :
- مَنْ كَانَ مُتَمَسِّحًا جَلِيسًا صَالِحًا ظَلَمَاتُ حَلْفَةِ مِسْمَرٍ مِنْ كَلَامٍ



حَمَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَحْرَمَ امْرَأَةً وَلَا أَعْجَزَ رَجُلًا مِنْ كَلْبٍ ، وَلَا أَحْرَمَ رَجُلًا وَلَا أَعْجَزَ امْرَأَةً مِنْ تَغْلِب .

قال : وقامت امرأة من تغلب إلى الجحاف بن حكيم <sup>(١)</sup> حين أُوقع بالبشر ، فقتل الرجال ، وبقر بطون النساء ، فقالت له <sup>(٢)</sup> : « فُضَّ اللهُ فَاكْ ، وَأَصْمَكْ وَأَعْمَاكْ ، وَأَطَالَ سَهَادَكَ ، وَأَقْلَّ رِقْدَكَ ، فَوَاللَّهِ إِنْ قُتِلَتْ إِلَّا نِسَاءُ أَسَافِلِهِنَّ دُمِي » <sup>(٣)</sup> ، وَأَعَالِيهِنَّ يُدِي . فقال الجحاف لمن حوله : « لَوْلَا أَنْ تَلَدَ مِثْلَهَا لَخَلَيْتُ سَبِيلَهَا » <sup>(٤)</sup> . فبلغ ذلك الحسن فقال : « إِنَّمَا الْجَحَافُ جَنُودٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ » .

وكان عامر بن الظرب العلواني حكيماً ، وكان خطيباً رئيساً . وهو الذي قال :  
« يَا مَعْشَرَ عَلَوَانٍ ، إِنَّ الْخَيْرَ الْوَفَّ عَزُوفٌ ، وَلَنْ يُفَارِقَ صَاحِبَهُ حَتَّى يُفَارِقَهُ » <sup>(٥)</sup> ،  
وَأَيُّ لَمْ أَكُنْ حَلِيمًا حَتَّى أَتَّبَعَ الْحُكَمَاءَ ، وَلَمْ أَكُنْ سَيِّئًا حَتَّى تَعَبَّدْتَ لَكُمْ » .  
وقال <sup>(٦)</sup> أعشى بنى شيبان :

وَمَا أَنَا فِي أَمْرِي وَلَا فِي خَلِيقَتِي بِمَهْتَضَمٍ حَقِّي وَلَا قَارِعٍ سِتِّي <sup>(٧)</sup>

(١) الجحاف بن حكيم السلمي ، قاد قومه وأغفر على بني تغلب بموضع يسمى البشر ، بين الفرات والشام قتل منهم مقتلة عظيمة . انظر معجم البلدان والمعمدة ( ٢ : ١٦٧ ) وأمثال الميداني ( ٢ : ٣٣٥ ، ٣٧٦ ) .

(٢) الخير ساقه الجاحظ في الحيوان ( ١ : ٢٤ ) على هذا النحو . أما أبو الفرج في الأغاني ( ١٩ : ١٢٩ - ١٣٠ ) والميداني في ( ١ : ٣٦٠ ) فيجعلان الحديث للمرأة بنت ضمرة وعمر بن هند ، في خير طويل .

(٣) دمي ، يضم الدال وكسر الميم وتشديد الهاء : جمع دم . قال سيويه : « الدم أصله دمي على فعل بالتسكين ، لأنه يجمع على دماء ودمي ، مثل غطي وطباء وظني » . اللسان ( ١٨ : ٢٩٤ ) .  
(٤) ترجم في ٢٦٤ . وستأتي هذه الخطبة في ( ٢ : ١٩٩ ) .

(٥) بعدها في المعجمين ٤٧ : « لَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَهُ » . وقد ساق السجستاني هذه الفقرات في خطبة طويلة لعمر لرحى بها قومه . وانظر عين الأخبار ( ١ : ٢٦٦ ) .

(٦) ل : « قال » . والأبيات منسوبة إلى أعشى بنى ربيعة ، في عين الأخبار ( ١ : ٢٧٧ ) .

(٧) مهتضم : متقص . وقرع السن كناية عن التلم .

- ولا مُسلم مولاي من شرٍّ ما جَنَى      ولا خائف مولاي من شرٍّ ما أَجْنَى  
 وإنَّ فؤاداً بين جنبيَّ عالمٌ      بما أبصرت عيني وماسمعت أذني ٢٣٤  
 وفضلني في العقل والشعر أُنْتَى      أقولُ بما أهوى وأُعرف ما أعنى  
 وقال رجل من ولد العباس : ليس ينبغي للقرشي أن يستغرق شيئاً <sup>(١)</sup>  
 من العلم إلا علم الأخبار ، فأما غير ذلك فالتف والشئو من القول <sup>(٢)</sup> .  
 وقال آخر <sup>(٣)</sup> :  
 وصافية تُعشى العيونَ رقيقةً      رهينة عام في الدنان وعام  
 أدركنا بها الكأسَ الرويّة بيننا <sup>(٤)</sup>      من الليل حتى انجاب كلُّ ظلام  
 فما ذرَّ قرنُ الشمس حتى كأننا      من العبيّ نحكي أحمد بن هشام <sup>(٥)</sup>  
 ومَرَّ رجل من قريش بفتى من ولد عتاب بن أسيد <sup>(٦)</sup> وهو يقرأ كتاب ١٠

(١) فيما عدل : أن يستغرق في شيء . وما أثبت من ل يطابق ما في إرشاد الأئمة ( ١ ) :

( ١٦ ) . وقد نسب القول فيه إلى مطوية .

(٢) الشئو : كل شيء قليل من كثير .

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، كما في حاشية ابن الشجري ٢٥٩ .

(٤) رواية ابن الشجري : « موهنا » .

١٥

(٥) أحمد بن هشام هذا ، من أعيان الدولة العباسية وشعرائها . يروى أبو الفرج في الأغاني

( ٥ : ٦٣ ) أنه وجه إلى إسحاق بن عفران ، وكتب إليه :

اشرب على الزعفران الرطب متكاملاً      وانعم نعمت بطول اللهو والطرب

فحمة الكأس بين الناس واجبة      كحومة البد والأرحام والأدب

٢٠ فكتب إليه إسحاق :

أذكر أبا جعفر حقاً أنت به      إلى وإياك مشغوفان بالأدب

وإننا قد رضنا الكأس دوتها      والكأس حوتها أول من نسب

وفيه يقول محمد بن وهيب . الأغاني ( ١٧ - ١٤٢ ) :

إن الأمر على اليد كلها      بعد الخليفة أحمد بن هشام

(٦) هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، ذكره في الاشتقاق ٤٩ ، قال : « وأسيد ضعيف ٢٥

من قولهم أسد بأسد أسداً . إذا صار كالأسد » . أسلم عتاب يوم فتح مكة ، ولا يخرج الرسول إلى حين استعمله على مكة وعمو نيف وعشرون سنة ، فلم يزل عليها حتى أقر أبو بكر عليها . وتوفى هو وأبو بكر في وقت واحد . الإصابة ٥٣٨٣ والمعارف ٣٣ ، ١٣٢ .

سيبويه ، فقال : أَفَ لَكُمْ ، علم المؤذنين وهمّة المحتاجين !

وقال ابن عثاب <sup>(١)</sup> : يكون الرجل نحوياً غرضياً ، وقسماً قرضياً ، وحسن الكتاب جيد الحساب ، حافظاً للقرآن ، راوية للشعر ، وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستين درهماً . ولو أن رجلاً كان حسن البيان حسن التخرج للمعاني ليس عنده غير ذلك لم يرض بألف درهم ؛ لأن النحوى الذى ليس عنده إمتاع <sup>(٢)</sup> ، كالتجار الذى يُدعى ليعلق باباً <sup>(٣)</sup> وهو أحقُّ الناس ، ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب فيقال له : انصرف . وصاحب الإمتاع يُراد فى الحالات كلها .

خيرنا عبيد الله بن زيد السقياني <sup>(٤)</sup> قال : عود نفسك الصبر على المجلس السيئ <sup>(٥)</sup> ، فإنه لا يكاد يخطئك .

وقال سهيل بن عبد العزيز <sup>(٦)</sup> : من ثقل عليك بنفسه ، وغمك فى سؤاله ، فأعوه أذنأ صماء ، وعينا عمياء .

سهيل بن أبى صالح <sup>(٧)</sup> عن أبيه <sup>(٨)</sup> قال : كان أبو هريرة إذا استقل رجلاً قال : اللهم اغفر له وأرخنا منه !

(١) الخبر رواه يعقوب فى مقدمة إرشاد الأئيب ( ١ : ٩٥ - ٩٦ ) .

(٢) هذا ما فى ل . وفى هـ الذى لا إمتاع عنده . وسائر النسخ : لا متاع عنده . الأخوة عرفة .

(٣) تعليق الباب : نصب وتركيبه . اللسان ( ١٢ : ١٢٧ ) والحيران ( ٣ : ٢٨٦ ) .

(٤) فيما عدل : هـ . وقال عبد الله بن زيد السقياني .

(٥) منع هذا الوصف الأخفش ، وأجازه غيو . اللسان ( سؤ ) .

(٦) فيما عدل ، هـ : سهيل بن عبد العزيز .

(٧) هو أبو زيد تنهيل بن أبى صالح - واسمه ذكوان السمان الهيات - الملقب كان ثقة كثير الحديث . توفى فى ولاية أبى جعفر . تهذيب التهذيب وتلوكة الحفاظ ( ١ : ١٢٩ ) .

(٨) أبوه أبو صالح ذكوان السمان الهيات الملقب ، من ثقاة المحققين ، وكان من أثق الناس فى

أبى هريرة ، وكان يجلب الهيات والسمن لى الكوفة . تهذيب التهذيب ، وتلوكة الحفاظ ( ١ : ٨٣ ) .

وقال ابن أبي أمية <sup>(١)</sup> :

شهدت الرقاشي في مجلس وكان إلى بغيضاً مقيتاً  
فقال : اقترخ يابسا جفسي فقلت اقترحت عليك السكوتا <sup>(٢)</sup>

وقال ابن عباس : العلم أكثر من أن يحصى ، فخلوا من كل شيء بأحسنه <sup>(٣)</sup> . ٢٣٥

المدايني عن العباس بن عامر ، قال : خطب محمد بن الوليد بن عتبة <sup>(٤)</sup>

إلى عمر بن عبد العزيز أخته فقال :

« الحمد لله رب العزة والكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء <sup>(٥)</sup> .

أما بعد فقد أحسن بك فلناً من أودعك حرمة ، واختارك ولم يختار عليك ، وقد  
زوّجناك على ما في كتاب الله ، إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان » . ١٠

قال : وخطب أعرابي وأعجبه القول <sup>(٦)</sup> وكره أن تكون خطبته بلا تمجيد

ولا تمجيد ، فقال : « الحمد لله ، غير ملال <sup>(٧)</sup> لذكر الله ، ولا إثارة غيره عليه » .  
ثم ابتدأ القول في حاجته .

وسأل أعرابي ناساً فقال : « جعل الله حظكم في الخير ، ولا جعل حظُّ

السائل منكم عذرة صادقة <sup>(٨)</sup> » . ١٥

(١) هو محمد بن أمية بن أبي أمية ، كان كاتباً شاعراً ظريفاً معاصراً لأبي التمام ، وكان يتقدم إبراهيم

ابن المهدي . انظر أخباره في الأغاني ( ١١ : ٣٠ - ٣٥ ) .

(٢) فيما عدل : اقترح كل ما تشتهي . وفي حواشي هـ عن نسخة : « بعض ما تشتهي » . وفي  
البيت ما يسميه البلاغيون « المشكلة » ، كما في قول أبي الرقمق :

قالوا اقترح شيئا نحمد لك طبعه قلت اطلبوا لي جبة وقميصا

(٣) فيما عدل : « أحسنه » .

(٤) فيما عدل : « بن عتبة » .

(٥) يقال خاتم الأنبياء ، ينتح أثناء وكسرها أي آخرهم . وبها قرئ .

(٦) ل : « فأعجبه أمر » .

(٧) ل : « أما بعد بغير ملال » .

(٨) العذرة ، بكسر العين ، مثل الزكية والجليلة : الاعتذار . وانظر ( ٣ : ٢٦٨ ) .

وكتب إبراهيم بن سَيَّابَة <sup>(١)</sup> إلى صديق له كثير المال ، كثير الدُّخْل ، كثير النَاصُ <sup>(٢)</sup> يستسلف منه نفقة ، فكتب إليه <sup>(٣)</sup> : « العيال كثير ، والدُّخْل قليل ، والدِّين ثقيل ، والمال مكتوب عليه » . فكتب إليه إبراهيم : « إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنت مُليماً فجعلك الله معذوراً <sup>(٤)</sup> » .

وقال الشاعر :

لعل مُفيدات الزَّمان يُفدِنَنِي      بنى صامتٍ في غير شيء يضرها <sup>(٥)</sup>

قال : وقال أعرابي : « اللهم لا تُنزلني بماء سَوِيء فأكون امرأ سَوِيء <sup>(٦)</sup> » .

وقال أعرابي : « اللهم قى عثرات الكرام » .

قال : وسمع مُجاشع الرِّبَيعي رجلاً يقول : الشَّحيح أعثر من الظالم .

فقال : أحزى الله شيئين خيرا الشَّح .

قال : وأنشدنا <sup>(٧)</sup> أبو فروة :

إني امتدحتك كاذباً فأبكتني ،      لما امتدحتك ، ما يثاب الكاذبُ

وأنشدني عليُّ بن معاذ :

ثالثني عمرو وثالثته      فأنتم المثلوبُ والثالبُ <sup>(٨)</sup>

قلتُ له خيراً وقال الخنا      كلُّ على صاحبه كاذبُ

(١) سَيَّابَة ، كسحابة ، وأصل معنى السَّيَّابِ البَلْعُ أو البَر . وإبراهيم بن سَيَّابَة شاعر من شعراء الدولة العباسية من موالى الماشجيين ، وكان يمدح إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ويهتجان بما بشعرو ، ومرضان من شأنه يكرهه للخلفاء والوزراء . الأخاني ( ١١ : ٥ - ٨ ) . والخير في الأخاني والمقد ( ٦ : ١٩٢ ) . ونسب في تاريخ بغداد ( ٧ : ٥٧ ) إلى بشر المهدي .

(٢) الناصُ والناضُ : اللوامم والدناثير . فيما عدا ل : « النض » .

(٣) فيما عدا ل : « إما مستسلفاً وإما سائلاً ، فكتب إليه الرجل » .

(٤) مليم ، بضم الميم ، من قولم : ألام الرجل : ألق بما يلام عليه . فيما عدا ل : « محجوجاً » . وفي حواشي هـ : « فجعلك الله معذوراً ، أي جعل عذرتك صدقة » .

(٥) في حواشي هـ : « بنى صامت المال . في غير شيء يضرها ، أي أستفيدها في غير مشقة ولا تعب » .

(٦) الحيوان ( ٢ : ٤٧٢ ) . وسيأتي في ( ٣ : ٢٦٩ ) .

(٧) ل : « وأنشد » .

(٨) المثالية : مفاعله من الثلب ، وهو شدة اللوم والأخذ باللسان .

أبو معشر <sup>(١)</sup> ، قال : لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان ٢٣٦ عمرو بن سعيد قام خطيباً فقال : « إِنَّ أَبَا ذُبَّانٍ قَتَلَ لَطِيمَ الشَّيْطَانِ <sup>(٢)</sup> . كَذَلِكَ تَوَلَّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » .

ولما جلس عثمان بن عفان على المنبر قال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ عَلَيْكُمْ إِفْرِيقِيَّةً ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكُمْ ابْنَ أُمِّ سَرْجٍ <sup>(٣)</sup> ، عَبْدَ اللَّهِ الزُّبَيْرَ بِالْفَتْحِ <sup>(٤)</sup> . قُمْ يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ » . قال : قُمْتُ فَخَطَبْتُ ، فَلَمَّا نَزَلْتُ قَامَ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، انكِحُوا النِّسَاءَ عَلَى آبَائِهِنَّ وَإِخْوَتِهِنَّ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَرْ لَأَى بِكَرِ الصَّدِيقِ وَلَدًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْ هَذَا <sup>(٥)</sup> » . وَقَالَ الْحَرَمِيُّ <sup>(٦)</sup> : وَأَعَدَّهُ ذَخْرًا لِكُلِّ مَصِيبَةٍ وَسَهْمُ الْمَنَابِ بِالذَّخَائِرِ مُوَلِّعٌ <sup>(٧)</sup> وَذَكَرَ أَبُو الْعِزَّازِ <sup>(٨)</sup> جَمَاعَةً مِنَ الْخَوَارِجِ بِالْأَدَبِ وَالْخُطْبِ فَقَالَ :

(١) هو أبو معشر نجيج بن عبد الرحمن السندي المدني ، مولى بنى هاشم ، سقى في وقعة يزيد بن المهلب بالجماعة والبحرين . وكان من المحدثين الأُميين ، أقدمه المهدي من المدينة إلى بغداد سنة ١٦٠ فلم يزل بها حتى مات سنة ١٧٠ في خلافة هارون . وكان من أعلم الناس بالمغازي . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٧٣٠٤ .  
(٢) أبو ذبيان : كنية عبد الملك بن مروان . انظر الحيوان ( ٣ : ٣٨١ ، ٣٨٢ ) والبيان ( ٢ : ٩٥ ) .  
١٥ ولطيم الشيطان : لقب عمرو بن سعيد الأشدق . انظر حواشي ص ٣١٤ .  
(٣) هو أبو يحيى عبد الله بن سعد بن سرح القرشي العامري ، كان أبا عثمان من الرضاة ، اشترك في فتح مصر ، ولما عزل عثمان عمرو بن العاص سنة ٢٥ ولما عبد الله بن سعد ، ففزا إفريقية سنة ٢٢ ، وكان ضحا من أعظم الفتح ، ولما وقعت فتنة عثمان سنة ٣٥ لجأ إلى عسقلان ولم يبايع لأحد ، ومات بها سنة ٣٦ . وقيل : بل شهد صفين وعاش إلى ٥٧ . الإصابة ٤٧٠٢ .  
٢٠ (٤) في الإصابة ٤٦٧٣ : « وشهد ابن الزبير اليموك مع أبيه الزبير . وشهد فتح إفريقية ، وكان البشير بالفتح » .

(٥) ذاك أن أم عبد الله بن الزبير هي أسماء بنت أبي بكر . والحرير في ( ٢ : ٩٥ ) .

(٦) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان ، المترجم في ١١ : ١١٥ .

(٧) انظر الحيوان ( ٣ : ١٤٨ / ٤٢٣ ) والكمال ٧٠٣ ليسك .

(٨) وكذا جاءت النسبة في الحيوان ( ٦ : ٤٢٣ - ٤٢٤ ) . لكن الشعر قد نسب في الكامل

٧٠١ ليسك إلى عبيدة بن هلال ، المترجم في ٥٥ .

ومسّمٌ للموت يركب رَدْعَهُ بين القواضب والقنا الحطّار<sup>(١)</sup>  
يدنو وترفعه الرّماح كأنّه شيلو تنشّب في مَخَالِبِ ضارِي  
فكوى صريعاً والرماح تنوشه إنّ الشّراة قصيرة الأعمار<sup>(٢)</sup>  
أدباءُ إما جثتهم خطباءُ ضمناء كلّ كنيّة جرار<sup>(٣)</sup>

• • •

ولمّا خطّب سفيانُ بن الأبرد الأصمّ الكلبيّ<sup>(٤)</sup> ، فبلغ في الترهيب  
والترغيب المبالغ ، ورأى عبيدة بن هلال اليشكريّ<sup>(٥)</sup> أن ذلك قد فُتّ في  
أعضاء أصحابه ، أنشأ يقول :

لعمري لقد قام الأصمُّ بخطبة لها في صلور المسلمين غليل  
لعمري لئن أعطيتُ سفيانَ يعني وفارقتُ ديني إنني لجهول

ولما قام أحد الخطباء الذين تكلموا عند رأس الإسكندر قال أحدهم<sup>(٦)</sup> :  
« الإسكندر كان أمسي أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس » .  
فأخذه أبو العتاهية فقال<sup>(٧)</sup> :

٢٣٧ بكيّتك يا عليُّ بئرُ عيني فما أغنى البكاءُ عليك شيئاً<sup>(٨)</sup>

- ١٥ (١) ركب رده : خر صريحا لوجهه على دمه وعلى رأسه . والدوع : الدم .  
(٢) نوى : هلك . تنوشه : تأخذه وتتأوله .  
(٣) الضمناء : الكفلاء ، جمع ضمين . وذكر الوصف « جرار » كأنه ذهب بالكنية إلى معنى  
الجيش والمسكر .  
(٤) سيقّت ترجمته في ٦١ .  
(٥) ضبط « عبيدة » في الاشتقاق ٢٠٧ بضم العين ، وفي الكامل ٧٠١ بالفتح ، كلاهما  
ضبط قلم . فيما عدا ل : « عبد الله بن هلال » ، تحريف .  
٢٠ (٦) انظر ما سبق من تخرّج هذا الخبر في حواشي ص ٨١ والمحيوان ( ٣ : ٦ / ٩١ : ٥٠٥ )  
والأغانى ( ٣ : ١٤٢ ) .  
(٧) فيما عدا ل : « فأخذ أبو العتاهية هذا المعنى بعينه فقال » .  
(٨) على هذا ، هو على بن ثابت ، وكان صديقاً لأبي العتاهية . انظر الأغاني ( ٣ : ١٤٢ ) .  
٢٥ فيما عدا ل : « فلم يقن البكاء » . وكنا وردت هذه العبارة في ( ٣ : ٢٥٨ ) .

طوبك خطوب دهرِكَ بعد نشرِ كذاك خطوبُهُ نشرًا وطبًا  
كفى حُرْنَا بدفكٍ ثم أنى نفضتُ ترابَ قبرِكَ عن يدَيَا  
وكانت في حياتك لى عظمتَ وأنت اليومَ أوعظُ منك حيًا

• • •

ومن الأسجاع الحسنة قول الأعرابية حين خاصمت ابنها <sup>(١)</sup> إلى عامل الماء فقالت : « أما كان بطنى لك وعاءً ؟ أما كان ججرى لك فناء ؟ أما كان ندى لك سقاء ؟ » . قال ابنها : « لقد أصبحت خطيبةً ، رضى الله عنك » . لأنها قد أتت على حاجتها بالكلام المتخير كما يبلغ الخطيبُ بخطبته .

وقال النمر بن تولب :

وقالت: ألا فاسمع نِعْظَكَ بخطِيةً      فقلتُ: سمعنا فانطقى وأصيبى <sup>(٢)</sup>  
فلن تنطقى حقاً ولستِ بأهله      فقُبِحَتِ ممَّا قائلٍ وخطيبٍ <sup>(٣)</sup>  
قال أبو عبيد كاتب ابن أبي خالد <sup>(٤)</sup> : ما جلس أحدٌ قط بين يدي إلا تمثَّل لى أنى سأجلس بين يديه <sup>(٥)</sup> .

قال الله عز وجل : ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ . ليس يريد بلاغةَ اللسان ، وإن كان اللسان لا يبلغ من القلوب حيث يريد إلا بالبلاغة .  
قال : وكانت حُطْبَةُ قريش في الجاهلية - يعنى حُطْبَةُ النساء - : « باسمك اللهم ، ذُكِرَتْ فلانةٌ وفلانٌ بها مشغوف . باسمك اللهم ، لك ما سألت ولنا ما أعطيت » .

(١) فيما عدل : « الأعرابية لابنها حين خلصته » .

(٢) فيما عدل ، هـ : « فاسمع للقطى وخطبتي » . ولى هـ : « قلت سمعنا » .

(٣) ما عدل هـ : « فإن » ، وهى رواية نبه عليها فى حواشى هـ .

(٤) هو أحمد بن أبى خالد ، كما سبق فى ٣٤٧ س . ولخير رواه الجاحظ فى الحيوان ( ١٤٠ : ٥ ) .

(٥) زاد فى الحيوان : « وما سئى دهر قط إلا شغلنى عنه تذكر ما يلحق بالدهور من الغم » .

يلحق : يعلق . والغم : الأحوال المتغيرة .



ولما مات عبد الملك بن مروان صعد الوليد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « لم أر مثلاً مصيبةً ، ولم أر مثلاً ثواباً : موت أمير المؤمنين ، والخلافة بعده . إنا لله وإنا إليه راجعون . والحمد لله رب العالمين على النعمة . انهضوا فبايعوا على بركة الله » . فقام إليه عبد الله بن همام <sup>(١)</sup> فقال :  
 • الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها  
 • عنك ويأني الله إلا سوقها إليك حتى قللك طوقها  
 فبايع الناس .

٢٣٨

وقيل لعمر بن العاصي <sup>(٢)</sup> في مرضه الذي مات فيه : كيف تجددك ؟  
 قال : « أجددني أذوب ولا أثوب <sup>(٣)</sup> ، وأجدد نجوى أكثر من رزئي <sup>(٤)</sup> ، فما بقاء  
 الشيخ على ذلك » .

١٠

(١) عبد الله بن همام المولى السلولى . والسلولى نسبة إلى سلول أمهم ، وأبوهم مرة بن مصصة ابن معاوية بن بكر بن هوازن . الماروف ٣٩ . وعبد الله من شعراء الدولة الأموية . وكان معلومة قد أمر لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير ، فأبى واليا النعمان بن بشير أن ينفذ ما أمر به معاوية ، فقال عبد الله يطلب النعمان بها :

١٥ نأدنا نُسَمَانُ لا نَحْمُوتُنا      تق الله فينا والكتاب الذى تلو  
 الأغاني ( ١٤ : ١١٥ - ١٦٦ ) . ولما تزوج مصعب بن الزبير شقيقة على ألف ألف ، كتب عبد الله ابن همام إلى عبد الله بن الزبير :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة      من ناصح لك لا يمد خداعا  
 بضع الفتاة بألف ألف كامل      وتبيت سادات الجنود جباعا  
 ٢٠ لو لأنى حفص أقول مقالتي      وأبث ما أبثكم للإزاعا  
 فكان هذا الشعر سببا في عزل مصعب عن البصرة . الأغاني ( ١٤ : ١٦٣ ) . وانظر الخزانة ( ٣ : ٦٣٩ ) ومعاهد التصحيح ( ١ : ٩٦ ) والشعراء لابن قتيبة .

(٢) في تاج العروس ( ١٠ : ٢٤٥ ) : وقال النحاس : سمعت الأعمش يقول : هو العاصي بآلاء لا يجوز حذفها . وقد لجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة يعنى أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الباء وحذفها . وانظر شرح الرضى للشافعية ( ٢ : ٣٠٣ ) .  
 (٣) أثوب : أرجع ، أى لا أرجع إلى صحتي ولا تحسن حالي .  
 (٤) رزئي ، أى ما أرزؤ من الطعام وأصيه . والخير في اللسان ( ١ : ٧٩ ) .

٢٥

وقيل لأعرابي كانت به أمراضٌ عتة ، كيف تجدك ؟ قال : « أما الذي يَغْمِزُنِي فحَصْرُ وأَسِيرُ <sup>(١)</sup> » .

وعن مقاتل <sup>(٢)</sup> قال : سمعت يزيد بن المهلب <sup>(٣)</sup> ، يخطب بواسط ، فقال : « يا أهل العراق ، يا أهل السِّيق والسَّبَّاق ، ومكارم الأخلاق ، إنَّ أهل الشام في أفواهم لُقمة دسمة ، زُبَيْت لها الأشداق <sup>(٤)</sup> ، وقاموا لها على ساق ، وهم غير تاركها لكم بالمراء والجِجال ؛ فالبسوا لهم جُلودَ الثَّمُور <sup>(٥)</sup> » .

### [ تم الجزء الأول من تحفة المؤلف ]

- (١) عمله : أعضائه وأوجعه. والحصر ، بضم وضميتين : احتباس البطن . والأسر ، بالضم : احتباس البول . والحير في الحيوان ( ٥ : ٢٩١ ) واللسان ( ٤ : ٢٩٦ ) .
- (٢) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الحراساني صاحب التفسير ، أخذ التفسير عن الكلبي ، وكان متهماً في الرواية . توفي سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب .
- (٣) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة . خرج في أيام يزيد بن عبد الملك ، فإنه لما مات عمر بن عبد العزيز في رجب سنة ١٠١ تمكن يزيد هذا أن يخرج من سجنه ، وسار إلى البصرة ، واجتمع إليه خلق عظيم ، وخلع يزيد بن عبد الملك ، والتفت جيوش يزيد بن العنبر ، من أرض بابل ، فهزم يزيد بن المهلب وقتل سنة ١٠٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٧ - ٢٧٨ .
- (٤) زبيت الأشداق : اجتمع الرق في جوانبها وتخلَّب . ما عدا هـ : « زبت » ، تحريف .
- (٥) يقال : لبس لفلان جلد الثور ، إذا تنكر له وأظهر الحقد والغضب .

## فهرس الأبواب (٥)

صفحة	
٣	الباب الأول
٢٣	ذكر ما جاء فى تلقىب واصل بالقرال ومن نفى ذلك عنه
٣٤	ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة وما يحضرنى منها
٧٥	<b>باب البيان</b>
٨٨	البلاغة
٩٨	باب ذكر ناس من البلاء والخطباء والأئناء والفقهاء والأمرء ممن لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل
١٦٦	ذكر ما قالوا فى مدح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنشور وما جاء فى الأثر وصح به الخير
١٧٢	وباب آخر فى ذكر اللسان
١٧٦	وباب آخر
١٩٤	باب فى الصمت
٢١٠	باب من القول فى المعانى الظاهرة باللفظ الموجز من ملتقطات كلام الناس
٢١٢ /	باب آخر . وقالوا فى حسن البيان ، وفى التخلص من الخصم بالحقى والباطل ، وفى تخلىص الحق من الباطل ، وفى الإقرار بالحقى ، وفى ترك الفخر بالباطل
٢١٨	باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل فى باب الخطب
٢٢٢	وباب منه آخر . ووصفوا كلامهم فى أشعارهم فجعلوها كبرود العصب ، وكالحلل والمعاطف ، والديباج والوشى وأشباه ذلك

(٥) هذه هى التروانات التى وردت فى صلب الكتاب كما وضعها الجاحظ . أما تفصىل الأبواب فموضعه فى ملحقات الكتاب ، مع الفهارس العامة .

وياب آخر . ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ، ويقضون	٢٢٧
إصابة المقادير ، ويذمون الخروج من التعديل .	
باب آخر من الشعر مما قالوا في الخطب واللسان والامتداح به	(٢٣١)
والمدح عليه	
باب . وكانوا يعميرون النوك والعي والحمق وأخلاق النساء والصبيان	٢٤٤
باب في ذكر المعلمين	٢٤٨
وياب منه آخر	٢٥٠
وياب آخر في ذم التشاقد والإغراق	٢٥٤
باب من الخطب القصار من خطب السلف ، ومواظب من	٢٥٧
مواظب النساء ، وتأديب من تأديب العلماء	
باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المخوف القليل الفضول	٢٧٦
باب آخر من الأسجاع في الكلام	٢٨٤
باب أسجاع	٢٩٧
خطبة من خطب رسول الله ﷺ	٣٠٢/
ذكر كلمات خطب بين سليمان بن عبد الملك	٣٠٤
باب ذكر أسماء الخطباء والبلغاء والأنبياء وذكر قبائلهم وأنسابهم	٣٠٦
باب من أسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان	٣٥٨
باب ذكر النساء والزهاد من أهل البيان	٣٦٣
وأسماء الصوفية من النساء ممن كان يجيد الكلام	٣٦٦
ذكر القصاص	٣٦٧
باب ما قيل في الخناصر والعصى وغيرها	٣٧٠
باب ما ذكروا فيه من أن أثر السيف يححو أثر الكلام	٣٨٩







موسوعة أخرى للجاحظ . أطلق عليها اسم كتاب ( البيان  
والتمثيل ) جدد فيها صاحبها بين التنظير والأدب ، أى بين  
سوق الأفكار النظرية المتعلقة بأسس الفن القولي وتقديم  
الأمثلة والنماذج الجيدة الممثلة لهذه الأسس والموضحة  
لها . ويدرك الناظر المتأمل في كتب الجاحظ عمق خبرة  
الرجل وسعة علمه وتنوع جاريه ، وخاصة فيما يكشف  
القارئ أن الجاحظ قد جمع إلى الاهتمام بنوعية المعلومة  
التي يقدمها الاهتمام بكيفية تقديمها ، وهي كيفية جمعت  
بين البسط والتشويق والإعادة بغية التأكيد . هذا فضلا عن  
ريادة الكتاب في الاهتمام بالوع الأدبي النثري ، بعد أن  
كان اهتمام النقاد شبه محصور في الشعر .

## الذخائر سلخلة نصف شهرية

الحلقة التالية : الجزء الثاني من  
البيان والتبيين

Bibliotheca Alexandrina



0488387

المركز القومي للدراسات والبحوث

الثمان : ستة جنيهات